محمد بن أحمد العقيلي

التاريخ الأدبي لمنطقة جازان

الجزء الأول



المقدمـــــة

بســـم الله الرحمـــن الرحـيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين . وبعد :

فإن لكل فرع من فروع العلوم والفنون تأريخا يسجل بدايته ، ويوضح مساره ويرصد تطوراته في مختلف العصـــــور و الأحقاب ، فأدب كل أمة صورة من حياتها ونمط من سلوكها ، وسجل من حياتها .

ومنطقة جازان ، قُطْر من أقطار المملكة العربية السعودية التي تغطي أكبر مساحة من الجزيرة العربية ، بل هي أزخر مناطق بلدان وحكومات الجزيرة عمراناً ، وأسطعها نهضة أدبية واجتماعية واقتصادية وزراعية وصحية ، وبالأخص في عهد خادم الحرمين الفهد العظيم ، الذي بارك الله في عهده فزخر التقدم الحضاري في عصره .

ولقد ألفت – بفضل الله وعونه – كتاب المخلاف السليماني في التاريخ السياسي والاجتماعي لمنطقة جازان ، بل – لا أغالي – إن قلت أنه تاريخ النصف الجنوبي للجزيرة العربية .

وها أنا – أستعين الله – وأقدم للقراء الكرام التاريخ الأدبي لمنطقة المخلاف السليماني من العهد الإسلامي الأول إلى نهاية القرن الثالث عشر .

أما الجزء الثاني فسيكون – بحوله تعالى – للقرن الرابع عشر وما زخر به من الروائع الأدبية في العهد السعودي الزاهر ، لأن بعض مواده لم تستكمل ، لتفرق أدباء المنطقة في الرياض والحجاز وغيرها ، بل أن بعضهم موجود في المنطقة وإلى الآن لم يصلني نتاجهم .

وبما أن الإنسان عرضة لحوادث الزمان وتصرفات الأقدار ، والانتظار قد يطول إلى

عاماأو أقل أو أكثر من ذلك ، لذلك رأيت أن أقوم بطبع الجزء الأول ، ثم يليه في أقرب فرصة - بحوله تعالى - الجزء الثاني .

والله أسأل التوفيـق والســـداد ...

جــازان **محمد بن أحمد العقيلي**

❊ ❊ ❊

الفصل الأول



الجغرافية السياسية لمنطقة جازان

إن الجغرافية السياسية دائمة التغير بخلاف الجغرافية الطبيعية – التي تظل محتفظة باسمها الواحد ، فما يطلق عليه اسم منطقة جازان كان من قبل الإسلام وإلى منتصف القرن الرابع الهجري يطلق عليه اسمان :

١ – مخلاف حَكَم ويمتد من الشَّرْجَة جنوباً إلى صَبْيَا شمالاً[١].

٢ – مخلاف عثر ويمتد من شمال صبيا إلى حَمْضَة[٢].

وبعد ذلك التأريخ برزت شخصية من (آل عبد الجد الحكمي) أمراء مخلاف حكم ووحدت المخلافين باسم (المخلاف السليماني) نسبة إلى اسم ذلك الأمير الموحد للمخلافين (سليمان بن طرْف الحكمي) .

مصطلح اسم المخلاف

(اسم المخلاف) من مترادفات اسم المنطقة والكورة والمقاطعة ، والاسم عربي ، ويقول صاحب (المحكم) : المخلاف : الكورة .

وفي حديث معاذ : من مخلاف إلى مخلاف فعُشره وصدقته إلى مخلاف عشيرته الأولى إذا حال عليه الحول .

وقال أبو عمرو : ويقال استعمل فلان على مخاليف الطائف ، وهي الأطراف والنواحي ، وقال خالد بن حنبة : في كل بلد مخلاف ، بمكة والمدينة والبصرة والكوفة ، وكنا نلقى بني نمير ونحن في مخلاف المدينة وهم في مخلاف اليمامة[٣].

إذن فالمخلاف مصطلح جغرافي معروف متداول في الجزيرة العربية لا ينحصر في الجنوب . وقد مرّ عليّ في تأريخ الطبري ما يشير إلى مخلاف مكة ومخلاف الطائف[٤].

---

(١) صفة جزيرة العرب للهمداني ص ١١٩ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٢٠ .

(٣) أما عمارة الحكمي فيجعل حدود المخلاف السليماني من الشرجة جنوباً إلى حلي بن يعقوب شمالاً – انظر تاريخ عمارة .

(٤) تاج العروس ص ٩٧ جـ ٦ .

لقد كان قبل الإسلام وبعده قسم من قبيلة خزاعة في (ضمد) ومنهم الشاعر المخلافي القاسم بن علي بن هتيمل الخزاعي الضمدي ، ونجد في ديوانه ما يؤيد ذلك إذ يقول :

لست بالمقرف أدلي نسبي بأمريء القيس وجدي دعبل[1]

وقد تكون بيوت العلم في ضمد من تلك القبيلة العربية الكريمة ، وقد يكون لدى أحدهم من آل عمر ، وآل العاكشي ، وآل الزكري ، وآل النعمان ما يؤيد ذلك أو يعارضه فهم من أكرم بيوت العلم في المنطقة .

أما القسم أو المخلاف الثاني – مخلاف عثر – فسكانه من كنانة والأزد ، وخَوْلان في المرتفعات كما أورد ذلك الهمداني في كتابه الخالد صفة جزيرة العرب[2].

إن الجزيرة العربية كل لا يتجزأ ، سكانها عرب خلص من قحطان الجذم الأول للعرب أو من عدنان الجذم الثاني يجمعهما قبل الإسلام الانتماء الواحد واللغة الواحدة والتأريخ المشترك ، وجاء الإسلام فصيرهم أمة واحدة فشد أواصر القربى وروابط الإخاء فساروا تحت رايته لهداية العالم وفتح الدنيا وسيادة الأمم .

إن موقع المخلاف السليماني الجغرافي – في جنوب الجزيرة – موقع فريد يربط جنوب الجزيرة بشمالها ، ويتكون منه أيسر طريق للتجارة العالمية قبل الإسلام بالنسبة إلى الطريق الأعلى – الطائف – بيشة – اليمن ، يضاف إلى ذلك مواصلاته البحرية في العصر اليوناني والعهد الروماني .

عاش هذا الجزء من جنوب الجزيرة في الجاهلية كبقية أجزاء الجزيرة بين حروب قبلية ، وحل وترحال للانتجاع – وإن كان ذلك قليلاً – نظراً – لتوفر المراعي في محيطه فإن أجدب السهل أمرعت الحزون حيث غيول الأودية وغدران الأمطار من النادر انقطاعها .

وموقعه الممتاز جغرافياً وسكانياً واستراتيجياً – يجعل الطريق التجاري عبر سهوله الخصبه،وشواطئه الرطبة الهواء،الكثيرة القُرَى،الوفيرة المياه،من أصلح الطرق الواضحة المسالك المتصلة بالبلدان والقرى العامرة .

---

(١) ديوان ابن هتيمل .

(٢) ص ١٢٠ صفة جزيرة العرب للهمداني – طبعة ابن بليهد .

ومنطقة هذا وضعها تمر منها قوافل التجارة العالمية ، يستفيد أهلها من تجارة القوافل ، ويستفيد تجار القوافل من التسهيلات والخدمات الأمنية والاقتصادية والالتزامات التي يقدمها أهل المنطقة لهم ، من تأمين النزل والحماية والرفقاء والأدلة .

وفي أثناء إقامة القوافل تكون حركة البيع والشراء والأخذ والعطاء والمقايضة بالسلع والبيع بالنقد وأخذ ما يلزم القوافل وأهلها وحمايتها من المؤن والأعلاف واستبدال التالف من القرب والأرحل والمزاود والحقائب والجمال ، والبلاد التي على طرق المواصلات العالمية أهلها أوسع مدارك وتأثراً بحضارات وثقافات من يمر بهم .

يضاف إلى كل ذلك الاحتكاك والتفاهم والتبادل للآراء والمداولات التي توسع المدارك فكرياً وثقافياً بالنسبة إلى عصرهم . فأصحاب القوافل رسل تجارة وسفراء حضارة بالعروض والأفكار والسلع .

والقسم الشمالي من المنطقة قبائله من الأزد وكنانة وخزاعة في السهول،وخولان في الجبال،وهم لهم ارتباطاتهم القبلية بمواطنهم في سراوات عسير وغامد وزهران والحجاز ، والأواصر القبلية تشد القبيلة إلى جماعاتها ، ومع ذلك فهو مستقل بإدارة إقليمه ، وتصرفات جهته في تاريخه المجيد .

كما أن قبائل حكم لها نفس ذلك من الصلات والارتباطات القبلية بجماعاتهم في السهول والهضاب ، فتكون المنطقة بحسب موقعها مجالاً يجتمع فيه مزيج من الأفكار المتباينة ، والتفَهُّم لثقافة الجنوب والشمال ، وهو كسائر أقطار تهامة،واجهة بحرية مفتوحة على أفريقيا ومعبر لتجارة الشرق والغرب ، ومستقلاً بإدارة نفسه عن غيره في الجاهلية والإسلام .

ومنطقة هذا وضعها ، لا يمكن إلا أن يكون لها كيانها القبلي وتراثها الأدبي مما تفرزه حروبها مع بعضها ، أو مع جيرانها في الجاهلية ، أو تسببه حوادث الأيام وكوارث الدهر من تخليد الوقائع أو الإشادة بالمحامد أو رثاء لعظيم أو تنويه بجليل أو التغني بمكارم جواد .

فإذا تجاوزنا كل ذلك بعد دخولها في الإسلام ، فأي شيء هَزّ المشاعر كلها أعظم مما حدث

في الجزيرة العربية بل على مستوى العالم ، من سطوع شمس الإسلام وظهور نبي الهدى وما تلى ذلك :

١ - من وفادة وفد المنطقة برياسة رئيس قبيلة حكم (عبد الجد الحكمي) وما أشاد به الفكر وأفاض به القول في تلك المناسبة الكريمة .

٢ - أين ما قيل عن موت الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما كان من أمر الردة وحروبها ومرور جيش الإسلام من وإلى المنطقة وما بعدها .

٣ - ثم أين ما قيل في ثورة تهامة التي وصل ابن زياد للقضاء عليها في سنة ٢٠١هـ وكل ماسبق،وهذا يلهم القول ويوجب التخليد .

٤ - إن توحيد مخلافي حكم وعثر ، من أحفل الأحداث التي توقظ المشاعر وتثير العواطف وتلهم الشعراء .

٥ - نزوح النجاحيين بعد هزيمتهم على يد الصليحي والتجاؤهم إلى ابن طرف ثم وقعة (الزرائب)،كل ذلك يستوجب القول ويرفع عقيرة الشاعر[١] .

٦ - ثم أين المدائح والمراثي في أمراء المنطقة من القرن الأول والثاني والثالث والرابع ، والمديح في أمراء مخلاف عثر من المخزوميين وأمراء حكم من آل عبد الجد .

٧ - وأين ما قيل في زوال إمارة آل عبد الجد وأبناء سليمان بن طرف التي امتدت إلى منتصف القرن الخامس[٢] .

٨ - وأين ما قيل عن وصول السليمانيين من الحجاز إلى المنطقة وتوليهم إمارتها .

هذا بعض ما وجبت الإشارة إليه على سبيل الإيجاز والاختصار مما غاب عن التسجيل أو بالأصح عن التخليد ، في حين إننا نجد ذكراً في أشعار أبي دهبل الجمحي من شعراء مكة القرشيين - القرن الأول العصر الأموي - عن بعض معالم وبلدان مخلافي عثر وحكم .

سقى الله (جازان) ومن حل ولْيه	**وكل فسيل من سهام وسُرْدَدِ**
ومحصولة الدار التي خَيَّمتْ بها	**سقاها ، وروَّى كل ربع وفدفِد**
فأنت التي كلفتني (البِرْك) شاتياً	**وأوردتنيه فانظري أي مورد**

* * *

(١) مفيد عمارة ص ٥٤ .

(٢) المصدر قبله والصفحة نفسها .

لعلك أن تلقى محباً فتشتفي ... برؤية ريم بضة المتجرد

بلاد العدا لم تأتها غير أنها ... بها هَمٌّ نفسي من تهام ومنجدِ

وما جعلتُ ما بين مكة ناقتي ... إلى (البِرك) إلا أوبة المتهجد

وكادت قبيل الصبح تنبذ رحلها ... (بدومة) من لغط القطا المتبدد[1]

وقولـه :

ألا علق القلب المتيم كلثما ... لجاجا ولم يلزم من الحب ملزما

إلى قوله :

خرجت بها من بطن مكة بعد ما ... أصات المنادي بالصلاة فاعتما

فما نام من راعٍ ولا ارتد سامر ... من الحي حتى جاوزت بي (يلملما)

ومرت ببطن « الليث » تَهْوِي كأنما ... تباري بالإدلاج نهباً مقسما

فما ذر قرن الشمس حتى تبينت ... بـ (عَلْيَب) نخلا مشرفا ومخيما

ومرت على أشطان (دومة) بالضحى ... فما حزرت للماء عيناً ولا فما

وما شربت حتى ثنيت زِمَامَها ... وخفت عليها أن تخر وتكلما

فقلت لها قد بنت غير ذميمة ... وصبح (وادي البرك) غيثا مديما[2]

وقوله ذاكراً بيش :

اسلمي أم دهبل بعد هجر ... وتقض من الزمان وعمر

واذكري كَرِّي المطي إليكم ... بعد ما قد توجهتْ نحو مصر

لا تخالي أنيِّ نسيتك لما ... حال بيش ، ومن به خلف ظهري[3]

وقولـه :

إن تمس من منقلي نخلان مرتحلا ... يَبِن من اليمن المعروف والجود[4]

فأنت أيها القارىء الكريم ترى أن أبا دهبل أورد ذكر اسم (جازان) سواء كان يقصد الوادي على وجه العموم ، أو مدينة جازان الأعلى ، أو جازان البندر – الذي تارة يميز بالبندر وأخرى بالساحل مع اسم جازان .

---

(١) الأغاني ص ١٣٦ جـ ٧ .

(٢) الأغاني ص ١٣٧ جـ ٧ .

(٣) الأغاني ص ١٤١ جـ ٧ .

(٤) صحيح الأخبار – ابن بليهد .

كما أورد اسم (البرك) – والبرك من أعمال المخلاف السليماني – الذي يحده شمالاً (حلي بن يعقوب) ، كما يذكر اسم (دومة) بعد البرك وهذه غير معروفة في الوقت الحاضر .

وفي المقطوعة الثانية يورد عدداً من أسماء بلدان وأودية الحجاز بادئاً بمكة المكرمة ثم يلملم ثم بلدة (الليث) فـ (البوزاء) فـ (وادي عليب) إلى أن يحدد بـ (البرك) .

أما المقطوعة الثالثة فيورد بها إسم بيش ، وبيش علاقته بالحجاز أو بالأصح بقريش أوثق،لأمرين :

١ – لأن قبائل كنانة منتشرة في مخلاف عثر ، ونفس قريش هي فرع من قبيلة كنانة ، بل كنانة هي الجناح العسكري لقريش قبل الإسلام ، يتبين ذلك مما كان في حرب الفجار .

٢ – إن الهمداني يفيدنا أن أمراء بيش من بني مخزوم[١] ، وبطبيعة الحال إن ارتقاء مركز الإمارة لأبُدَّ له من قوة عصبية ترفده،وتفوق أدبي يسنده .

وعلاقة قريش بتهامة – التي تسلكها عير قريش في رحلة الشتاء – لم تكن مجهولة وجاء الإسلام فشد أواصر العروبة ببعضها أكثر فأكثر ، وكان أبو موسى الأشعري وجماعته من السابقين إلى الإسلام – كما هو معروف –[٢] وهذا عمر بن أبي ربيعة يذكر تهامة على وجه العموم فيقول :

أيها الراكب المجد ابتكارا	**قد قضى من تهامة الأوطارا**
إن يكن قلبك الغداة خليا	**ففؤادي بالخيف أمسى معارا**
....	....

ومن المعروف أن والد عمر بن أبي ربيعة كان عاملاً من عمال الخلافة في اليمن ، وأن عمر هو من مواليد لحج ، ولحج من تهامة اليمن .

فإذا كان قد حُفظ لنا بعض أشعار القرشيين عن المخلاف السليماني فهل من المستبعد أن يكون لشعراء من المخلاف السليماني – الذي وضعه الجغرافي،ما أشرنا إليه من الأهمية

---

(١) صفة جزيرة العرب للهمداني ص ١٢٠ .

(٢) لأن الأشاعرة من قبائل تهامة .

الاقتصادية والجغرافية – ما ينعكس على تصوراتهم ومفاهيمهم ليفرز أدبا يتجاوب مع الأحداث ويتعامل – على الأقل بعد الإسلام – مع شعراء الجنوب والشمال ، وبالأخص بعد أن أصبحت المواصلات متصلة والارتباطات وثيقة مع عاصمة الخلافة في العهدين : عهد الخلفاء الراشدين وعهد الأمويين ، وبعد أن صار الطريق مسلوكاً لأداء فريضة الحج .

فأين ذلك التراث الأدبي ، فإن ما سبق الإشارة إليه يفجر القرائح ويجود بمأثور الشعر ، وبدون شك عدتْ عليه عوامل الضياع فمحته من ذاكرة الزمان ووعي الأجيال .

وقد بحثت – مخلصاً – في ما تحت يدي من المخطوطات وفي بعض المطبوعات ، فلم أوفق على العثور على أشعار أو أدب لمنطقتنا قبل القرن الخامس الهجري .

إلا أن يكون موجوداً في غير الذي تحت يدي من المصادر – فأرجو ممن وقف على ذلك إرشادي – مشكوراً – فإن العلم أوسع من أن يستوعبه فرد أو يحصره بشر .

وكل ما أستطيع أن أقوله على سبيل التقدير أن لمخلافي (حكم) و (عثر) – في الجاهلية وبعد الإسلام – مأثوراً من الأشعار اشتملت على أبواب الشعر ، من :

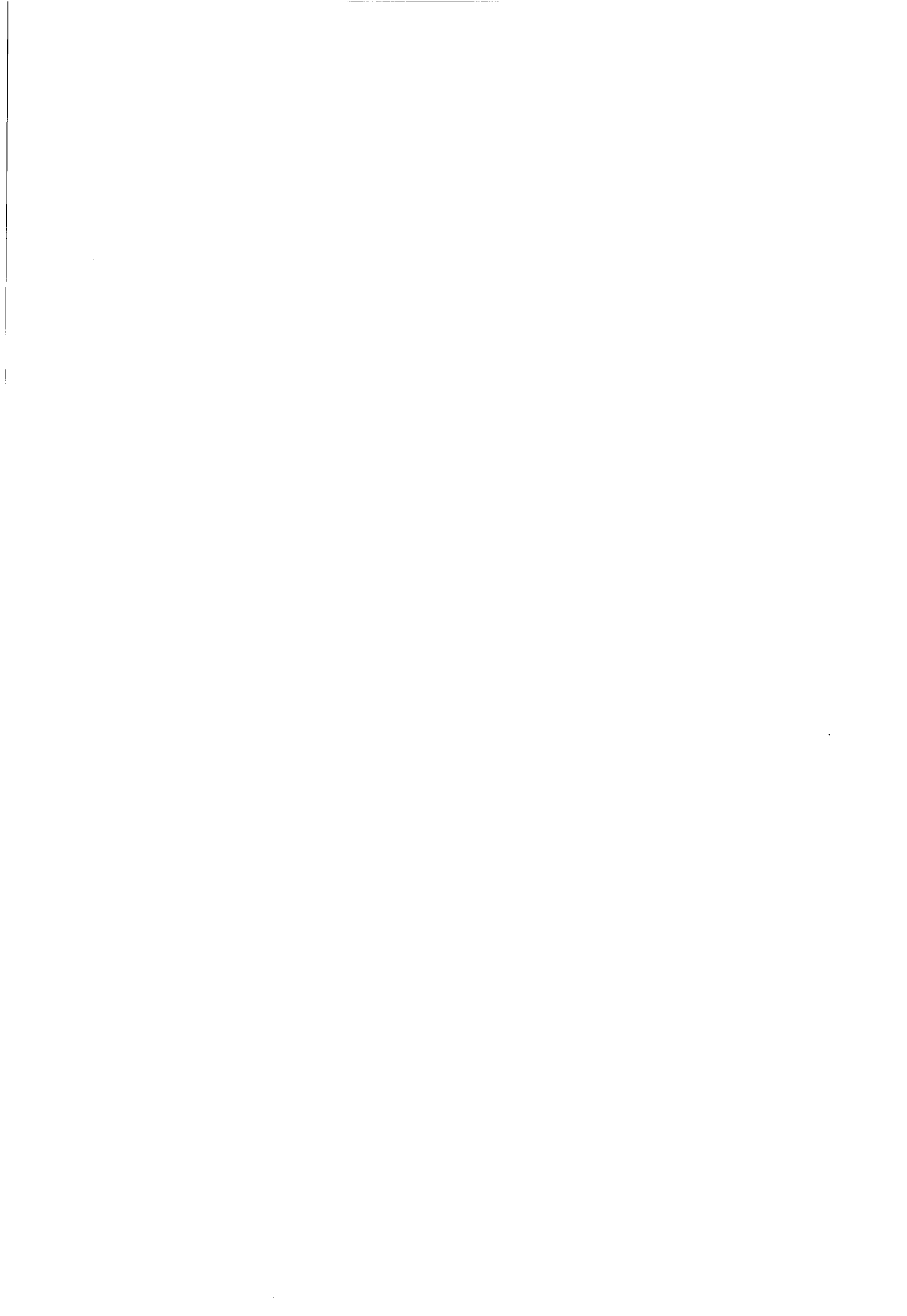
١ – شعر المفاخر وذكر الوقائع في ما كان من الحروب القبلية .
٢ – شعر المديح في كرماء المنطقتين .
٣ – شعر المراثي .
٤ – شعر النسيب .

وهذا ما نراه ينطبق وينسحب على العهد الإسلامي من القرن الأول إلى مستهل القرن الخامس– الذي يوجد لديَّ حقاً مايلقى الأضواء فيه على أدب المخلاف السليماني – منطقة جازان – ومن بعد ذلك تفجر العطاء وحفل التأريخ بنوابغ الشعراء وروائع الشعر ، وأصبح للمخلاف السليماني أدب ومعارف ومدارس علمية وأدبية ، ومحاورات فكرية ومذهبية ومقامات وغير ذلك .

* * *



الفصل الثاني



أشرنا في الفصل الأول إلى واقع منطقة جازان أدبياً وسياسياً وجغرافياً بغية الوصول إلى ما يفرزه ذلك الواقع في حياتها الأدبية ، وأنه لم يسعفنا التأريخ بما أبدعته القرائح وأنتجته الأفكار ، لا شعراً ولا نثراً في حال أن لبعض شعراء الحجاز ممن سبق أن أوردنا أقوالهم ما يجعلنا نتعشم أن هناك مأثورات أدبية أوحتها الذكريات واستلهمت من الوقائع والأحداث وإنما سحبت عليها ذيول النسيان فمحيت من ذاكرة الأجيال فلم يبق من التراث الفكري والنتاج الأدبي لمنطقتنا المتمثلة آنذاك في :

١ – مخلاف حكم .
٢ – مخلاف عثر .

أي أثر من الجاهلية إلى منتصف القرن الرابع وكل ما وصل إلى علمنا :

١ – أن مخلاف حكم يحكمه في الجاهلية ثم في الإسلام أسرة آل عبد الجد الحكمي .
٢ – أن مخلاف عثر لا نعلم من هي الأسرة التي رأسته في العهد الجاهلي وما بعده غير ما ذكره الهمداني في كتابه « صفة جزيرة العرب » من أن ملوكه من بني مخزوم أو من مواليهم ، في حال ليس لدينا مرتكز يوضح لنا اسم الأسرة التي حكم أبناؤها ذلك المخلاف في الجاهلية أو متى أو في أي تاريخ آل أمره إلى المخزوميين .

بيد أنه في النصف الثاني من القرن الرابع نبغ أحد أمراء آل عبد الجد وهو سليمان بن طرف الحكمي ووحد المخلافين .

وهذا العهد – أيضاً – مطموس المعالم أدبياً وفكرياً ، أو بالأصح فُقِدَ كل أثر أدبي لعهده ، وإلا فَعَصْرُ سليمان بن طرف يتميز بالتوسع السياسي والانتصار الحربي مما نتج عنه التوسع بإمارته على حساب مخلاف عثر المجاور له وتوحيدهما ، وهذا يدل على ما كان عليه سليمان بن طرف من التفوق الفكري والأدبي والاقتصادي ، فالنهوض لتغيير الواقع إلى الأحسن ليس من الميسور للرجل العادي ولا لمن لا توجد لديه المادة ، فالمال وقود الحرب ، وإذا كانت الأفكار في المنطقتين في درجة التساوي فلن يوجد من يقوم بالتغيير .

وكان قد مضى على ظهور الإسلام ثلاثمائة وخمسون سنة والمخلافان يعيشان في وئام ، وإن كان ذلك الوئام لا يخلو من مناوشات أو تعديات فردية محدودة . وبإتمام عَمَلِيّة

الضم وتوحيد المخلافين قام ابن طرف بنقل عاصمته من بلدته وقاعدة إمارة أسرته مدينة « الخصوف » على عدوة وادي خُلَب إلى مدينة عثر في ساحل وادي بيش ، ثم ضرب السكة للإمارة الموحدة والذي عرف بالدينار العثري[1]، وكان لهذا الدينار قيمة اقتصادية وتاريخية وظل يتعامل به في جنوب الجزيرة حتى بعد زوال آل طرف بمدة مديدة .

ويحدثنا عمارة في كتابه « المفيد في تاريخ زبيد » عن تلك الإمارة مما لا نجده في مصدر غيره فيقول :

« وممن امتنع من أعمال ؟ (أبي الجيش بن زياد) ،سليمان بن طرف صاحب عثر وهو من ملوك تهامة وعمله – أي مساحة إمارته – مسيرة سبعة أيام في عرض يومين وهو من الشرجة – والشرجة معروف موقعها فيما يسمى في الوقت الحاضر – المُوَسَّم – وتعرف أيضاً في كتب التاريخ باسم شرجة حرض لأنها على مصب وادي حرض في ساحل المُوَسَّم – تمتد – شمالاً إلى حَلْي بن يعقوب »[2].

(ومبلغ ارتفاعه – أي مجموع إيرادات إمارته السنوي – خمسمائة ألف دينار – وهو مَبْلغ ضخم بحسب القيمة الشرائية في ذلك العصر) .

إلى أن يقول :

« وكان ممن امتنع عن طاعته ابن طرف ، ومع امتناعه من الوصول إلى ابن زياد – وهو يقصد بابن زياد أحد أحفاده ، المسمى أبو الجيش – يخطب له ويضرب السكة على اسمه ويحمل إليه مبلغ من المال كل سنة ، وهدايا لا أعلم مبلغها ويتلو لابن طرف من ملوك تهامة في الخطبة والسكة (الحرامي) صاحب (حلي بن يعقوب) وهو دون ابن طرف في المكانة[3]، – ونلاحظ أن هذا الارتباط لابن زياد لا بصفة ابن زياد أميراً مستقلاً على تهامة واليمن بل إن محمد بن زياد أول أمير من تلك الأسرة الزيادية هو عامل من عمال الخلافة العباسية في عهد المأمون بعثه عندما قامت الفتن في اليمن[4]، واستغل العلويون ذلك فقامت ثورات في تهامة فبعث المأمون محمد بن زياد في القضاء على الفتنة وإقرار الأمن فكان عند حسن ظن المأمون به ، فقضى على الثورات ورتب الأمور وأقر

---

(١) مفيد عمارة ص ٣٩ .
(٢) المصدر نفسه ص ٣٧ .
(٣)و(٤) المصدر نفسه .

الأمراء التقليديين على إمارة جهاتهم وقبائلهم مثل صاحب جَرَش وصاحب حلي بن يعقوب وأمير المخلاف السليماني وأمراء الإقطاعيات في الجبال وعدن[1] – وبما أن نظام الخلافة لم يكن – لصعوبة المواصلات – ينسجم مع المرونة والدقة في الإدارة العامة فكان في إقرار أمراء الإقطاعيات على إقطاعياتهم المتوارثة ما يسهل على عامل الخلافة أمور الإدارة ويكسب الجهاز الإداري المرونة وسرعة التنفيذ ، ومن المعروف أنه كان يخطب على المنابر للمتغلبين على الإمارة بعد إسم الخليفة في كثير من بلاد الخلافة العباسية .

ومن الناحية الأخرى يرى أمراء الإقطاعيات كابن طرف وغيره أن انتماءهم الحقيقي ليس لابن زياد ، بل للخلافة الشرعية المتمثلة في الخلافة العباسية ، وكان في ذلك التأريخ يكاد يكون مذهب السنة والجماعة يشمل الجزيرة العربية ولم تفد الزيدية أو الإسماعيلية إلى اليمن الأعلى إلا في النصف الأخير من القرن الثالث .

ويحدثنا عمارة بعد ذلك بقوله (وأما الذي سَلِمَ لابن زياد من اليمن حين طعن في السن فهو من جنوب الشرجة – أي شرجة حرض – إلى عدن طول عشرين مرحلة ، وله من غُلافِقَة إلى صنعاء خمس مراحل) – ونفهم من ذلك أنه بعد أن كانت عمالة ابن زياد العباسية تشمل جنوب الجزيرة في عهد عاملها الأول مؤسس الإمارة الزيادية محمد بن زياد وأبنائه تقاصرت في عهد أحد أحفاده،أي الجيش على ما بين الشرجة وعدن في تهامة وعمقاً من الساحل في غلافقة إلى صنعاء ، واستقل الإقطاعيون بإقطاعياتهم كصاحب جرش وابن طرف وصاحب حلي وصاحب نجران وعدد من الإقطاعيات في القسم الأعلى من الجبال اليمنية .

إلى أن يقول « ورأيت مبلغ ارتفاع ابن زياد – أي ارتفاع إيراداته السنوية بعد

---

(١) مفيد عمارة ص ٣٧ : سار ابن زياد – من بغداد – وحج ومن معه في سنة ٢٠٣هـ وفتح تهامة بعد حروب واختط زبيد في شعبان سنة ٢٠٤هـ إلى أن قال : « وحج من اليمن جعفر مولى ابن زياد ، بمال وهدايا سنة خمس ومائتين ووصل العراق وعاد جعفر في سنة ست ومائتين ، ومعه ألف فارس منها سبعمائة من خراسان ، فعظم ملك ابن زياد . وملك إقليم اليمن بأسره » .

إلى أن قال : « وملك ابن زياد حضرموت ، وديار كندة ، والشحر ومرباط ، وابين ، ولحج ، وعدن ، والتهائم إلى حلي ، وبين حلي ومكة – ثمانية أيام » .

« وملك من الجبال الجند وأعمالها – مخلاف المعافر – مخلاف جعفر – صنعاء – صعدة – نجران – بيحان ، وواصل ابن زياد الخطبة لبني العباس وحمل الأموال والهدايا السنية إليهم هو وأولاده من بعده » .

تقاصرها في سنة ست وستين وثلاثمائة ، ألف ألف دينار عثري » – وهذا يدلنا على قيمة الدينار العثري ومكانته الاقتصادية ، وهذه الإيرادات الزيادية خارجاً عن ضرائب غير مباشرة تتمثل فيما يأتي :

١ – ضرائب على مراكب الهند من العوائد المختلفة .
٢ – ضرائب على المسك والكافور والعنبر والصندل الصيني .
٣ – ضرائب على العنبر على سواحل باب المندب وعدن وأبين والشحر وغير ذلك .
٤ – ضرائب على معادن اللؤلؤ .
٥ – ضرائب على صاحب مدينة (دَهْلَك) ومن بينهـا ألف رأس رقيق منها خمسمائة وصيفة حبشية .
٦ – هدايا ملوك الحبش من وراء البحر – أي في إفريقيا[1] .

إننا نورد هذه الدراسة التأريخية لمعرفة أن الرخاء الإقتصادي المتمثل في الإيرادات الحكومية سواءً في إمارة المخلاف السليماني – إقطاعية ابن طرف – أو في الإيرادات العامة للإمارة الزيادية هو من أكبر الحوافز للنشاط الأدبي والفكري سواء في المخلاف السليماني أو في تهامة اليمن أو في اليمن الأعلى .

كل ذلك يجعلنا نجزم أن هناك أدباً وحياة فكرية تتناسب مع ذلك العصر ضاعت أو فقدت ، ونستدل على وجودها مـما كان بعد ذلك في عهد الإمارة النجاحية وما مدحوا به وزراءهم مثل الوزير أنيس والوزير (منّ الله الفاتكي) ، والأخير هو الذي أمد مدارس الفقهاء الحنفية والشافعية بما أغناها فيما أوقف عليها من الأراضي والمرافق والرباع ، إن الوزير منّ الله النجاحي قد بلغ ما مدح به من الشعر – كما ذكره عمارة – عشرة مجلدات ، فهل لا يكون ضمن هؤلاء الشعراء الذين بلغ نتاجهم في مدح هذا الوزير خاصة عشرة مجلدات،فما هو عدد المجلدات من الشعر التي مدُح بها محمد بن زياد وأبنائه وأحفاده ، ثم ما هو الشعر الذي مُدح به الأمراء النجاحيون في عهدهم الأول ، فهل لا يكون ضمن أولئك الشعراء في تلك العهود من سنة ٢٠٢هـ – وهو التأريخ الذي تولى فيه ابن زياد – إلى سنة ٤٦١هـ – وهو التاريخ الذي استولى فيه أحمد المُكَرَّم الصليحي على زبيد ، من الأمير جياش بن نجاح – ضمن أولئك الشعراء شاعران أو

---

(١) عمارة ص ٤٠ .

ثلاثة أو أربعة من أهل المخلاف السليماني كما هو الحال عندما تقدم الشعراء لتهنئة أحمد المكرم الصليحي وكان ضمنهم أحمد بن علي بن محمد التهامي الشاعر المخلافي .

إن الحركات الأدبية في كل عصر إذا قامت في أي قطر انعكست ظلالها على ما حولها بدافع العدوى أو التقليد فما بالنا والمخلاف السليماني عريق في أصالته وأدبه وعلى طريق تجاري يتلقف ثقافة الجنوب والشمال ، وفيما أنجبه بعد القرن الخامس من الشعراء،علي بن محمدالتهامي وابنه أحمد بن علي التهامي وعمارة وابن هتيمل وابن سحبان – والجراح بن شاجر وغيرهم – ما يجعل تقديرنا لوجود تراث أدبي حقيقةً لا خيالاً .

ثم إننا نجد في سنة ٤٧٠ – تقريباً – وقد انطوت إمارة آل عبد الجد وتولى إمارة (المخلاف السليماني) السليمانيون الوافدون من الحجاز ومنهم الأمير يحيى بن حمزة أمير المخلاف السليماني الذي كان على نفس العلاقة السياسية مع الدولة النجاحية كما كان في عهد آل طرف الحكمي ، نجد يحيى بن حمزة يرسل وزيره (مسلم بن يشجب) إلى الدولة النجاحية للتفاوض في بعض الأمور ونعلم مما أورده عمارة عن تلك الوفادة[1] مايعرف منه أن هذا الوزير المخلافي على جانب من الأدب وإلا لما ابتعث لمثل تلك المهمة .

وفي سنة ٤٧٩هـ دارت معركة الكظائم بين الصليحيين والنجاحيين الذين استنصروا بأمير المخلاف السليماني يحيى بن حمزة الحسني فاشترك معهم في المعركة وحمل في أثنائها على القاضي الصليحي عمران بن الفضل اليامي فطعنه طعنة نجلاء أودت به بعد أيام من المعركة وفي ذلك يقول الأمير يحيى بن حمزة مفتخراً من قصيدة استهلها بقوله :

(أبلغ نزارا حيث حل نزار) ....

ومنها :

ونجا الحجازي الرئيس بطعنة نجلاء لها تحت القميص خوار

ثم اقتضت سياسة الوقت إلى اعتذار الأمير المخلافي إلى السلطان سبأ بن أحمد الصليحي بقصيدة أولها :

ياراكبا جسرة كالقارب القطم هوى لقاريه الكدري من أمَمِ

ومنها :

---

(١) عمارة ص ١١٥

وقد يعــز علينــا ما أصــــابكم　　منــا بغير رضى كف ولا قـــــدم
والله يعلم أني يــوم وقعتـــــــكم　　لم أمس إلا على جمـــر من النــــدم
وإن فيــض دم منــكم كفيــض دم　　بكربــلاء وثأر الطـف لم يــــرم[1]

وفي البيت الأخير إشارة إلى المنحى الشيعي في الأدب المخلافي كما سوف نوضح ذلك بعده في شعره وشعر غيره .

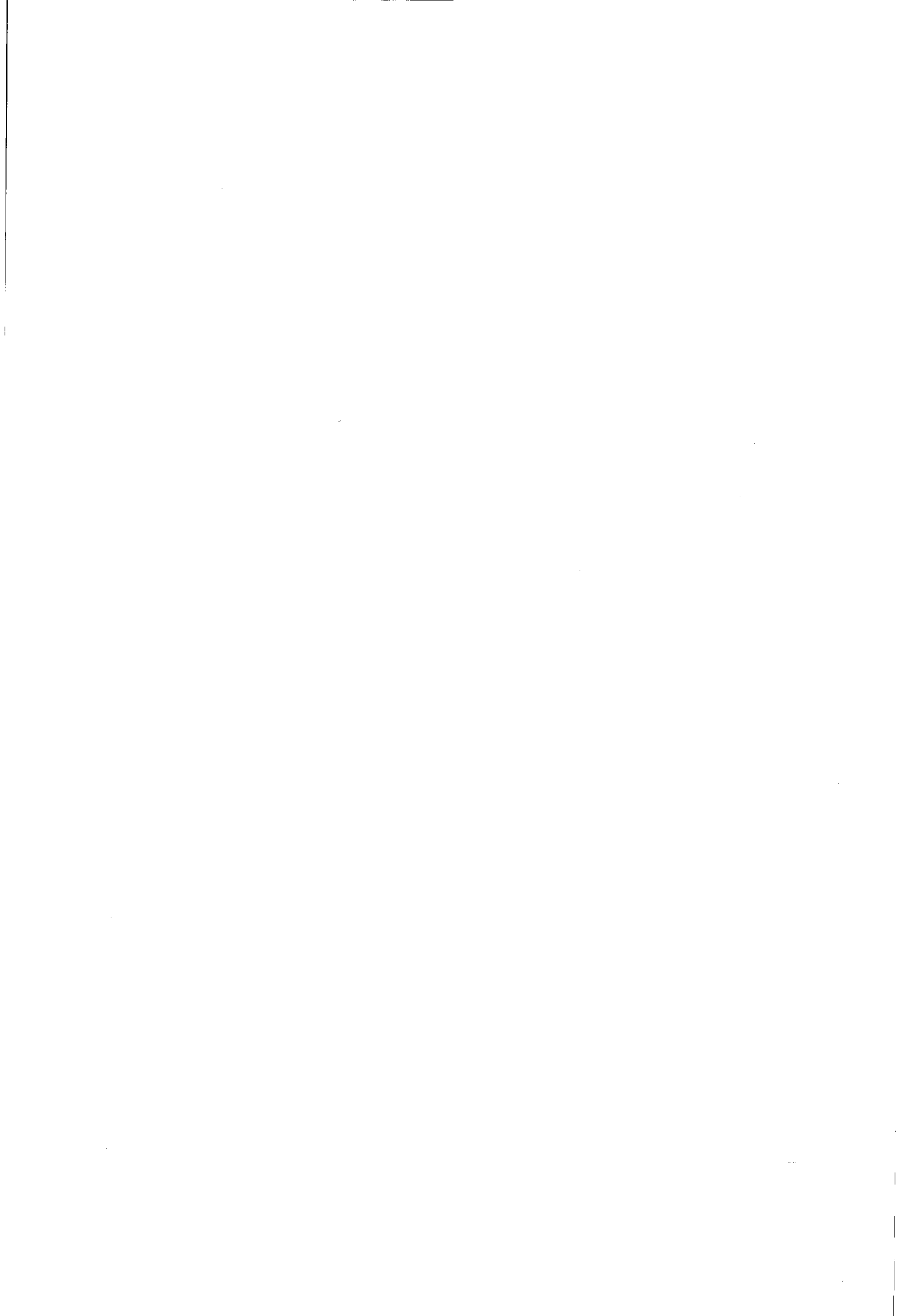
وسواءً كانت القصيدة من شعر الأمير نفسه – وليس بكثير على أدبه ذلك – أو قيلت من شاعر من أهل المخلاف السليماني على لسانه ، فإننا نجد من الشواهد في شعر ابن هتيمل وغيره نمطاً من ذلك على لسان بعض أمراء عصورهم فإن في كل ذلك شاهداً على ما للمخلاف السليماني من تراث أدبي .

بل نجد قبل العهد الصليحي – بل على وجه التحديد – في سنة ٤٦١هـ عندما استولى أحمد المكرم الصليحي على زبيد باسم الخلافة الفاطمية في مصر ، وانسحب فلول النجاحيين بقيادة الأمير جياش النجاحي ملتجئاً إلى أمير المخلاف السليماني ابن طرف تعقبهم أحمد المكرم على رأس جيشه إلى أن وصل إلى بلدة الهَجَر – في ضمد فوجد أن جياش قد انسحب شمالاً وتفرقت فلول جيشه فارتحل من هجر عائداً إلى الساعد في جنوب المخلاف السليماني – راجع كتابنا المعجم الجغرافي ص ٢١٣ وما بعده وتحقيقنا عن هذا الموضع – وهناك وفد عليه الشعراء للتهنئة والترحيب ومن ضمنهم الشاعر المخلافي أحمد بن علي التهامي الذي مدحه بقصيدة غراء سنوردها بعده .

❊ ❊ ❊

(١) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن .

الفصل الثالث



دراسات عن التاريخ الأدبي والفكري للمخـــلاف الســـــليماني
(القرن الخامس)

لقد شهد المخلاف السليماني من النصف الأخير من القرن الرابع تغيرات ومنعطفات تاريخية وقضايا ساخنة في بنيتي مخلافي (حكم) و (عثر) أفرزت معاناة جديدة ومتغيرات حديثة وتوجهات آنية ، بالنسبة إلى الأدب والحياة الاجتماعية والفكرية .

لقد عاش كل من المخلافين حياة قبلية منفصلة في قضاياه وعاداته وشئونه ، من العصر الجاهلي إلى نهاية النصف الأول من القرن الرابع ، وكانا يعيشان في شبه انفصال دائم .

لا نعلم شيء عنهما من الوجهة التاريخية والأدبية والإدارية إلا ما سبق أن ألمحنا إليه قبله فيما يتلخص فيما يأتي :

١ - إن مخلاف حكم تحكمه أسرة آل عبد الجد الذي وفد على الرسول صلى الله عليه وسلم في عام الوفود بإسلام قومه[1].

٢ - إن مخلاف عثر تحكمه أسرة من بني مخزوم ، وبطبيعة الحال أن هذه الأسرة حكمته بعد الإسلام ، أما قبل ذلك فلا علم لنا بالأسرة التي كانت تتولى رئاسته لأن قبائله لا يضمها جذم واحد ، فهي تتألف من كنانة والأزد وخزاعة في السهول وخولان في المرتفعات .

وفي تلك الأثناء تفوق أمير من أمراء آل عبد الجد هو سليمان بن طرف الحكمي ، واستطاع بتفوقه الفكري والأدبي والسياسي أن يرتفع فوق مستوى أسرته ومواطن قبيلته ويضم مخلاف (عثر) إلى إمارته ، وينقل عاصمتهم التقليدية من مدينة الخصوف التأريخية على عدوة وادي خلب إلى مدينة عثر على ساحل وادي بيش غربي مدينة صبيا ، وأن يضرب السكة باسمه ، وصهر الشعبين في بوتقة واحدة وإمارة واحدة ، وألَّفَ من المنطقتين منطقة موحدة ، ومن قبيلة حكم وقبائل مخلاف عثر شعباً واحداً - مع ما يترتب على ذلك من تغيرات في كل وسائل الحياة معيشياً وأدبياً وفكرياً واقتصادياً ، ونخال أن ذلك أفرز وأحدث ما يأتي :

---

(١) ذكره ابن الكلبي كما أورده جواد علي في كتابه المعروف « تاريخ العرب قبل الإسلام » .

١ - إحداث شروخات وانشقاقات واهتزازات في المألوف والمتبع والمعتاد في المخلافين تجاوز الاسم والمسمى إلى تغيرات في الأوضاع والإدارة بكل ما كان سائداً ومألوفاً من الجاهلية إلى النصف الأول من القرن الرابع الهجري .
٢ - اتساع في نطاق الإمارة وتوحيدها في كل شيء حتى في الاسم الذي يوحي بذلك التآلف ويوحدها في اسم جديد - هو اسم المخلاف السليماني نسبة إلى شخص الموحد للإمارة الجديدة - يقضي على الانتماءات القبلية والتفرقة العشائرية .
٣ - أصبح الميناء الرئيسي وهو مدينة عثر العاصمة الجديدة مما ترتب عليه تراجع ميناء حكم الذي هو (الشرجة)[1] إلى الدرجة الثانية .
٤ - إن هذا التوحيد شمل الوحدة الكاملة في الانتماء والاعتزاء وتوحيد المصطلحات والمفاهيم وتقارب التقاليد ، أو جعل تقاليد منطقة (حكم) بحكم مركز القوة والثقل فيها، هي السائدة .

كل ذلك كان له طروحاته وتوجهاته ونتائجه وإفرازاته وفوائده الوحدوية والمادية والأدبية وإن كان ذلك هو ضمن الانتماء العربي والدين الإسلامي والولاء الروحي والانتماء العام للخلافة العباسية التي هي تمثل (مذهب السنة) .

وكما أنه قبل ذلك وصل مع محمد بن زياد، خلفُ بن طاهر الأموي وزيراً للإمارة الزيادية ومحمد بن هارون التغلبي لتولي القضاء وترسيخ مذهب الدولة الرسمي ، فنخال أنه استوجب الوضع واقتضى الحال وصول جد آل شافع لجهة صبيا فمثل في المنطقة دور محمد بن هارون التغلبي في زبيد وجهاتها في ترسيخ مذهب السنة والجماعة .

إن الضم والتوحيد أوحته عوامل وظروف وأسباب ، وأملته غايات وأهداف واعتبارات بالنسبة إلى المنطقة وما حولها ، فالأحداث التأريخية مهما كبرت أو صغرت تفرزها أحداث بعيدة أو قريبة لها صلة قد تكون ظاهرة وقد تكون خافية وتظهر متى تهيأت الوسائل ووجدت الشخصية التي تمثل الدور التأريخي ويكون لتلك الشخصية صفاء الرؤية ووضوح التصور والتفوق الأدبي . والتسامي الفكري وهذا مانخاله تحلى ببعضه سليمان بن طرف كما ارتفع فوق قناعات أسلافه وقصور طموحاتهم التي لا تعدو السيادة القبلية في مخلاف حكم .

---

(١) صفة جزيرة العرب ص ١٢٠ .

وعمل مثل هذا الذي قام به سليمان بن طرف في ذلك الوقت ليس بالأمر اليسير ولا بالمطلب السهل ، فلابد للإقدام عليه أن يكون مخلاف حكم قد :

١ – تفوق أدبياً على مخلاف عثر .

٢ – شاع فيه الرخاء الاقتصادي،فضرورة المعيشة لا تتسامى بصاحبها بأكثر من طلب ضروريات العيش .

٣ – أن يكون للقيادة مركز يؤهلها ، كشخصية لها كل مؤهلات الدور التاريخي الذي ستقوم به .

في مقابل ذلك نرى أن مخلاف عثر قد أصابه نتيجة لعدم وحدة قبائله المنتمية إلى كنانة وخزاعة والأزد وخولان المختلفة العناصر – ضعف القيادة وتصدع البناء الوحدوي وانتهت الضرورة التي جعلت تلك القبائل المتفرقة تتعلق بتلك القيادة أو أن قبيلة كنانة التي كانت أقوى قبائل الحلف قد تخلت عن تلك الإمارة أو أن دهاء سليمان بن طرف عرف كيف يستقطبها ويضرب إسفيناً من الناحية الأخرى بين تلك القبائل فأصبحت تلك القيادة المخزومية ليست في مستوى الدور التاريخي ، ولا من القدرة بحيث تقاوم تيار التفوق الذي يتحلى به ابن طرف .

على كل فنحن نمهد بهذه الدراسة للواقع التأريخي وما أحدثته تلك المتغيرات في الناحية الفكرية والأدبية وإن كانت الأيام قد أضاعت كل أثر أدبي لتلك الفترة المهمة والصورة الأدبية التي تمثلها .

أما بعد ذلك فقد طرأ حسب تقديرنا على الحياة الفكرية والأدبية نتيجة لما يأتي :

١ – امتداد نفوذ الصليحي ومذهبه الشيعي الإسماعيلي ومنهج دعوته ورسوم تقاليدها ما نلمسه في قصيدة أحمد بن علي التهامي في مدح الملك أحمد المكرم .

٢ – قدوم السليمانيين من الحجاز على رأس حمزة بن وهاس واستيطانه في المخلاف السليماني ثم تشييد إمارته في المنطقة وما تطلبه الوضع الجديد من الدعاية للإشادة بالقوم والتنويه بمزاياهم مذهبياً وأدبياً ودعائياً .

٣ – تفرُّدُ السليمانيين بالسيادة والسلطة والحكم ، وما اقتضاه الحال والواقع من احتجاب أسماء شخصيات آل طرف ورجال إمارتهم وتواريهم كلياً عن مسرح الأحداث بحيث لم يبق لأي منهم أي ذكر في التاريخ .

لذلك تبدلت المفاهيم لمعنى السيادة وأحقية الإمارة من الأصالة المحلية والعصبية القبلية وصراحة النسب العربي إلى مزايا أصالة القربى الهاشمية والانتماءة العلوية .

٤ – إن مذهب الإمام زيد الذي يتمذهب به السليمانيون أصبح هو مذهب الأسرة الحاكمة ورجالهم الرسميين ، وإن كان المذهب الشافعي هو السائد في المخلاف السليماني بل في عموم تهامة إذا استثنينا بعض الجهات .

وبما أن الدولة – أي دولة – ينسدل ظلال مذهبها ونهج معتقدها على الحركة الفكرية والنشاط الأدبي ، فإن نجاح حركة الصليحي وتغلبه على الدولة النجاحية السنية جعل للتشيع بعض الأثر الإيجابي المؤقت ، وإن كان تقلص ظله بعد استعادة النجاحيين لإمارتهم في سنة ٤٧٣هـ/١٠٨٠م ثم عاد قوي التوجه للمرة الثانية في عهد الملك المكرم الصليحي مما نجده في شعر الشاعرين أحمد بن على التهامي والأمير يحيى بن حمزة الحسني[١] .

---

(١) يلمس القارىء الكريم في أدب المخلاف السليماني في القرن الخامس ظاهرة الأدب الشيعي التي عرفت في شعر الكميت وخلافه ، مما كان له أثره السلبي السياسي والمذهبي ، وتلا الكميت غيره من شعراء الفرق الإسلامية ، بعد أن كان للشعر أثره الإيجابي في حفز الهمم والإشادة بالأمجاد العربية على وجه العموم والإسلامية على وجه الخصوص من الإشادة بالشجاعة والوفاء والكرم وغير ذلك من القيم والمثاليات العربية[١] في الجاهلية وجاء الإسلام لإتمام مكارم الأخلاق فكان للشعر مجاله وللأدب مكانته من القول في البلاء الحسن لنصرة الإسلام وأبطال معارك الغزو والفتوح والبلاء في قتال فارس والروم .

تمادى شعراء الفرق من الشيعة والخوارج والشعوبية إلى الإشادة بمذاهبهم ورموز فرقهم أو التعصب لأئمتهم والمغالاة في تقديسهم والتفجع على مصائرهم .

وتلا ذلك قيام الدولة الفاطمية وماكان يعمق ويرسخ التشيع ويجعله مذهب الدولة بل تمادى الأمر في شعر ابن هانىء الأندلسي إلى المغالاة التي تبلغ حد الكفر .

وجاءت انتصارات الصليحي في جنوب الجزيرة العربية بزخم للمغالاة في مذهبه الشيعي الإسماعيلي وكذا من جاء بعده من شعراء الشيعة ، ومن طبيعة البشر – إلا من عصم الله – أن كل شخص أو فرقة تزكي طريقتها وتشيد بمذهبها وتفاخر برموزه وأئمته وتجعل من ذلك قضية إسلامية – في نظرها – هي أحق بالنضال والإشادة والإطناب وكأنها هي الفرقة الناجية .

ويأخذ الشعراء بالتقرب إلى الأئمة والحكام بالتنويه والمدح والتقرب إليهم بما يحبونه فأصبح للتنويه والتفاخر والتمجيد بمعارك كربلاء والطف وفخ وغيرها المكان الأول ، لا بمعارك الإسلام، بدر وحنين وخيبر وأحد والقادسية وحطين واليرموك ومعارك الإسلام مع فارس .

رجع الأمر بشعراء الفرق إلى الإشادة والإفتخار بمناسباتهم التاريخية ووقائعهم الحربية وشعاراتهم التقليدية ...

وماورد في شعر بعض الشعراء الشعوبيين في العهد العباسي من تمجيد الكسروية والزرادشية وذم العرب والتهكم ←

---

(١) المثاليات العربية – المعروفة – من الكرم والسخاء والوفاء والشجاعة والحلم وغير ذلك من المكارم والأمجاد مثل =

أما في النثر فلا يوجد تحت يدي ما يعتمد عليه في مثل هذه الدراسة لقلة الحصيلة ،

والاستهزاء بحياتهم وشظف العيش الذي كانوا عليه قبل الإسلام فهذا له دوره العبثي في الأدب العربي ،
وكما كان الحال في الشمال والشرق العربي والعراق وغير ذلك نجد نفس الحالة في جنوب الجزيرة من الإشتراك في الأدب الشيعي كقول الشاعر الماربي في رثاء عيسى بن حمزة – القرن الخامس – .

ياطف عثر أنت طف آخر   يا يوم عيسى أنت يوم حنين

فكأنه يقارن يوم الطف بيوم حنين يوم المعركة الإسلامية الكبرى ، ومثل قول يحيى بن حمزة :

وإن فيض دم منكم كفيض دم   بكربلاء وثأر الطف لم يرم

أو كقول أحمد بن علي التهامي :

وجئت وأم المؤمنين وسربها   كزينب يوم الطف حول المخضب

وإلى الكثير مثل ذلك ·
أو كقول أبي تمام في التنويه والإشادة بالأصل الفارسي :

تبوأتم من آل ساسان هضبة   لها الكنف المحلول والسند النهد
بحيث انتمت زرق الأجادل منهم   سموا ، وقامت عن فرائسها الأسد

أو أشعار أبي نواس في ذم العرب والإشادة بالفرس .

إن العهد السليماني الجديد قد أفرز أدبياً واجتماعياً انتماءات وارتباطات جديدة لشد المجتمع مذهبياً وسياسياً واجتماعياً وأدبياً إلى الأسرة الجديدة السليمانية بحيث تكون جمهوراً أو طبقة تؤمن بأحقية وأفضلية الأسرة الجديدة ، ووضعت من التشريعات مايؤيد أحقية الإمارة الجديدة – كما هو الحال لدى الشيعة في كل زمان ومكان – وترتب على ذلك ما طرحه الواقع من شكليات تتعايش والوضع الجديد .

يضاف إلى ذلك أن وجود فرق من الشيعة في اليمن الأعلى جعل للأدب الشيعي مزية التواجد في جنوب الجزيرة وبالأخص الشعر ، وتلك الفِرق هي :

١ – الزيدية بطوائفها المعروفة

٢ – الإسماعيلية الأولى التي أوجدتها وفود علي بن الفضل ومنصور اليمن وما يتسما به من الغلو الذي يبلغ إلى حد البعد عن الدين الصحيح .

٣ – الإسماعيلية الثانية التي تعتمد في ترسيخ مذهبها على السياسة في الدرجة الأولى والفتح في الدرجة الثانية .

٤ – إن السليمانيين أو الوافدين من الحجاز والذين كونوا لهم إمارة في المخلاف هم زيديو المذهب – كما هو معروف في التاريخ –

وقد بدت هذه الظاهرة تتكون في شعر ذلك العصر في المخلاف السليماني ابتداءً من هذا القرن ثم ماتلاه ، وبالأخص في شعر الشعراء الآتية أسماؤهم بدءاً بالشاعر (الأعشى) وحتى الشاعر (أبي الحسن التهامي) وغيره

قصة قوس حاجب بن زرارة وكرم حاتم طي ووفاء السموأل وحلم قيس بن عاصم وانتصار بني شيبان في وقعة ذي قار إلى إشادة الأعشى والافتخار بالأنساب العربية التي كانت مضرب المثل ومنتهى الفخر .
فقصيدة الأعشى التي أولها :

كن كالسموأل إذ طاف الهمام به   في جحفل كسواد الليل جرار

وهكذا سار أبو تمام – في أغلب شعره – وغيره على هذه الوتيرة فيقول أبو تمام في أبي دلف :

إذا افتخرت يوماً تميم بقوسها   وزادت على ما وطدت من مناقب
فأنتم بذي قار أمالت سيوفكم   عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

ويقول في مدح يزيد بن مزيد الشيباني ونسبه العربي الصريح :

لأن الأثر الوحيد الموجود هو ما سنورده في رواية عمارة لمسلم بن يشجب في ص ٣٥ في العهد النجاحي .

---

١ – علي بن محمد التهامي — القرن الخامس
٢ – أحمد بن علي التهامي
٣ – قاسم بن علي بن هتيمل — القرن السابع
٤ – ابن سحبان
٥ – الجراح بن شاجر — القرن العاشر

فنجد في شعر أبي الحسن علي بن محمد التهامي[1] في مدح محمد بن حسين النصيبي الحسني قوله :

هو بعض النبي والله قد صا ... غ جميع النبي والبعض طهرا
وابن بنت النبي يشبهه علماً ... وحلماً واسماً وسراً وجهرا
نسب ليس فيه إلا نبي ... أو إمام من العيوب مبرا

وقوله يمدح الحسن بن إبراهيم الحسني :

يحكي النبي شمائلا وفضائلا ... من لم يكن كأبيه كان دخيلا
لولا الرسالة بعد جدك أحمدا ... ختمت لقلنا قد بعثت رسولا
أشبهته خلقاً وأخلاقاً فما ... خالفته جملاً ولا تفصيلا
لولا أبوك لما امتلى قلب إمرىء ... في الأرض تكبيراً ولا تهليلا

وقال :

ما لي إلى الدهر ذنب استحق به ... ما نالني منه من جور ومن شغب
إلا لأني لآل المصطفى تبع ... وبعد ذا أنني من سادة نجب

وفي شعر ابنه قوله :

وجئت وأم المؤمنين وسربها ... كـ « زينب » يوم الطف حول المخضب
حماها الذي أعطاك ملكاً كما حمى ... « بنات علي » من مسوخ وأكلب[2]

أما ابن هتيمل لتوضيح تلك الظاهرة – نكتفي منها بإيراد بعض الشواهد كقوله :

شمائل وهاسية غانمية ... هي الفرع من فرع النبوة والأصل
ومن كان من سبطي علي وأحمد ... فليس ولا إشكال فيه وله شكل

ويقول في أحد العلويين عن وراثة الخلافة والإمارة كما يقول بها الشيعة :

قمت بالأمر الذي ورثته ... عن إمام عن وصي عن نبي

ويقول عن مقالة الشيعة في الأثر (من كنت مولاه فعلي مولاه)

أراني وإن كنتم موالي دينه ... وأهلي ؛ فلي في غير أرضكم أهل

والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾[3]

ويقول في أحدهم :

= مطر أبوك أبو أهلة وائل ... ملأ البسيطة عدة وعديدا
نسب كأن عليه من شمس الضحى ... نوراً ومن فلق الصباح عمودا

(١) كتاب « أبو الحسن علي بن محمد التهامي – حياته وشعره « ص ٧٦ وما بعده ، د/محمد الربيع .
(٢) الصليحيون والحركة الفاطمية . (٣) سورة محمد آية ١١ .

وبعودة النجاحيين عاد لمذهب السنة زخمه وسلطانه إلى زوال الدولة النجاحية في سنة ٥٤٥هـ/١١٥٠م .

❊ ❊ ❊

فلك الفضل بجد ما جد وبعم وبخال وأب
أين حال الناس من حالكم ليس صرف الصفر مثل الذهب

وأين هذا من قوله عليه صلوات الله وسلامه: (الناس لآدم وآدم من تراب)﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1]

ويقول في أحمد بن عبد الله بن حمزة العلوي :

لو انك وازنت القبائل كلها قبيلا قبيلا ما وفت بقباله
فليس نساء الحي مثل نسائه وليس رجال الحي مثل رجاله

وهذا البعض من قائمة يطول مداها[2] .

أما منصور بن سحبان فهو أقل زملائه إغراقاً وغلواً ، فهو يقول مدافعاً عن الهاشميين جواباً على الشاعر الخنديدي :

فقل لي يا علي بأي وجه جعلت قناع حرمتهم مذالا
أليسوا خير من ركب المطايا أليسوا خير من خلع النعالا
لقد أهلكت نفسك فاستقل ما فعلت فكل من عثر استقالا ؟
اتهجوا أشرف العربين آلا وتمدح أخبث العربين آلا ؟[3]

والشاعر الجراح بن شاجر لا يقل غلوا عن من سبقه فهو يقول في مدح الأمير المهدي بن أحمد القطبي :

ويعرف الرمز ويدري بما في أنفس الناس وهم صامتون
خليفة الله على خلقه ومن نمته الخلفاء الراشدون ؟
يا ابن الطواسين ويس والأ عراف والطور وطه ونون
وابن الصفا والحجر والبيت والأركان والبطحاء والحجون

وهكذا نرى الشاعر يؤكد خرافة الجفر الذي تقول الشيعة إنه لدى أئمتهم ، وأن فيه علوم الكون بأسره – لا حول ولا قوة إلا بالله – وإنه خليفة الله على الخلق ، وإنه نمته الخلفاء الراشدون .

والخلفاء الراشدون عند الشيعة هم علي بن أبي طالب والحسن والحسين وبقية الإثنى عشر المعروفين بأسماءهم لدى الشيعة ، وأن ممدوحه ابن السور القرآنية إلى آخر ذلك الهذيان .

إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم ينف عن نفسه البشرية ، فيقول القرآن عن لسانه عليه الصلاة والسلام ، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[4] وفي الأثر (ما أنا فيما لم يوح عليّ إلا كأحدكم) .

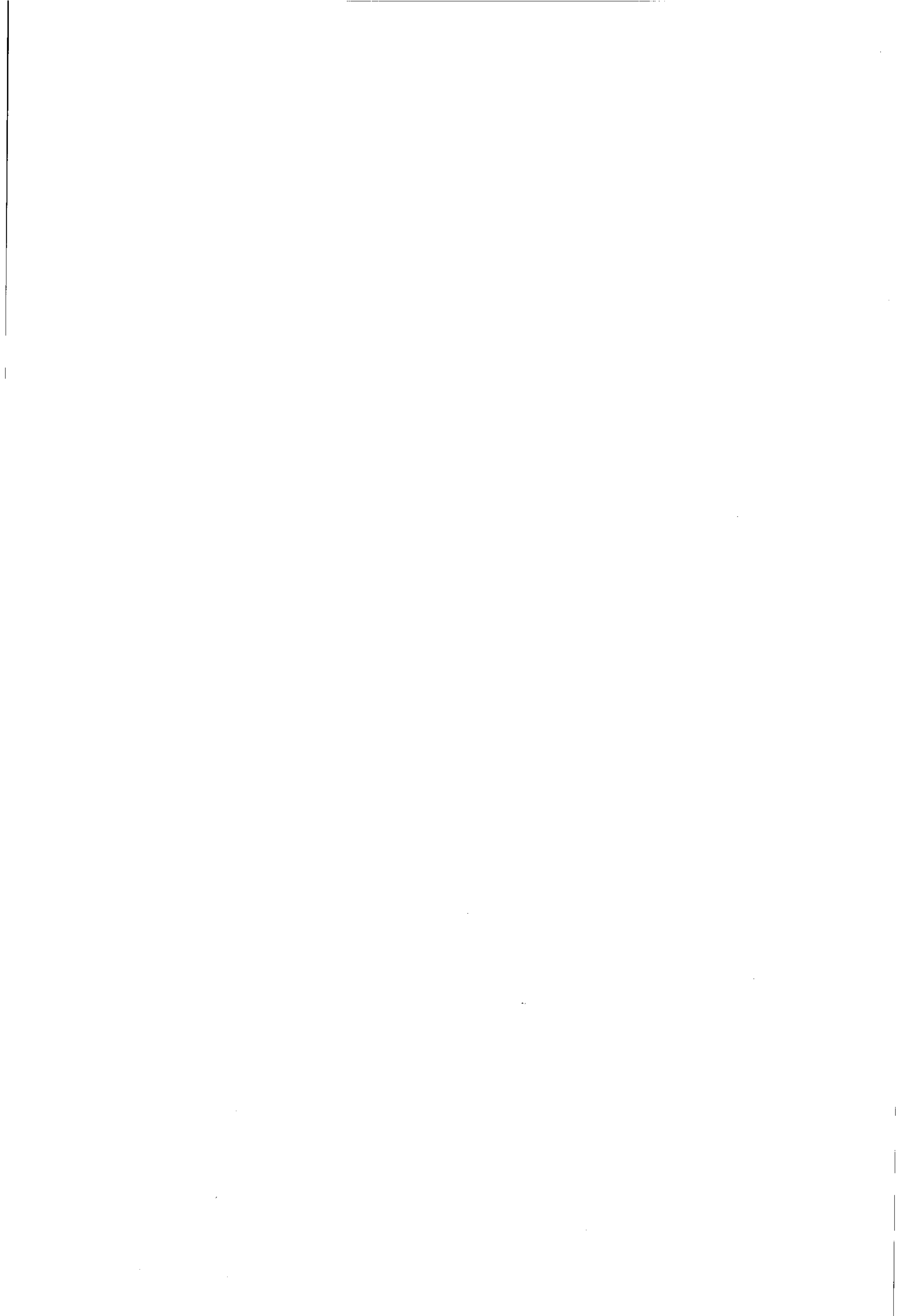
إن تلك الأشعار لشعراء مضوا وأيام خلت ، وقد كان التشيع سائداً فيها في كثير من البلاد ، والحمد لله أن منطقة جازان هي كسائر أجزاء المملكة العربية السعودية سائرة على مذهب السلف الصالح الذي جدد رسومه محيى السنة الشيخ محمد بن عبد الوهاب – أسكنه الله فسيح جناته – .

---

(١) سورة الحجرات آية (١٣) .
(٢) ديوان ابن هتيمل – مخطوط – .
(٣) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، للفاسي .
(٤) من الآية الكريمة رقم ٦ سورة فُصِّلَت .



النثر



نمط من النثر الفني
في القرن الخامس

أشرنا في الفصل الذي قبله – مختصراً – إلى وفادة وزير أمير المخلاف السليماني إلى الإمارة النجاحية مما دلّلْنا به على ما للمخلاف من مكانة أدبية وفكرية ، وهنا نتناول الموضوع بشيء من التفصيل ، وخلاصة الموضوع أن وزير أمير المخلاف السليماني (مسلم بن يشجب) وصل إلى زبيد في مهمة إلى القائد سرور الفاتكي – الذي يتولى أمور الدولة النجاحية نيابة عن الأمير النجاحي – لعقد هدنة ومصالحة ، فقابله عبيد بن بحر وزير القائد سرور ، وبعد المجاملة والترحيب جرى الحديث الآتي :

– (عبيد بس بحر):ليت قدومك تقدم أو تأخر فإنك صادفت القائد(سروراً)مشغولاً خاطره فما عليك سوى الإنتظار يومين أو ثلاثة .

– (مسلم بن يشجب المخلافي):سأنتظر فلعل في ذلك ما يسهل إنجاز المهمة . انتظر مسلم بن يشجب ثلاثة أيام على أحر من الجمر . وبعدها جري الحديث الآتي :

– (عبيد بن بحر) : يسرني يا أخ مسلم أن أخبرك الآن بقرب حل العقدة بعد قدوم حمير بن أسعد .

– (مسلم بن يشجب) : أرجوك التوضيح وكيف ذلك ؟

– (عبيد بن بحر) : إن أمُ عمرو « وردة » حظية القائد أقسمت لا تكلمه ولا تأذن له بالدخول عليها حتى يأتي أبوها الشيخ حمير بن أسعد .

– قال مسلم بن يشجب : (وفي تلك الليلة دُعينا إلى مجلس فيه شراب وغناء وطيب فجلسنا وإذابالقائد قد أقبل فسلمنا عليه ثم سمعنا من خلف الستار جَلَبَةً وجرس حُلَيّ لم يكن ، وإذا هي وردة حظية الوزير أصلح حمير بينها وبين القائد فجاءت لتغني له فوقع في قلبي من تعجيز القائد وضعف عزيمته بعض ما وقع فكأنه أُلْهِمَ بما في نفسي فاقترح عليها أن تغني قول الشاعر :

نحـن قـوم تذيبنـا الحـدق النجـل مع أننـا نذيب الحديـــــدا[1]

---

(١) المصدر : مفيد عمارة ، مع بعض التصرف والترتيب الذي اقتضاه السياق .

نورد هذا تدليلاً على بلاغة كاتب من أدباء المخلاف السليماني بلغ بأدبه وثقافته هذه المنزلة الرفيعة في إمارة المخلاف مما بوَّأه مركز الوزارة وأهله للوفادة والمفاوضات وكم كنا نود لو نظفر نحن أو غيرنا بشيء من ترسله المونق وبيانه المشرق ، فإذا كان ما أوردناه هو حديث مرسل جرى بينه وبين رصيفه عبيد بن بحروز يرالقائد ، فكيف يكون بيانه وسمو بلاغته لو تأنى واحتفل لذلك أو كتب أو ترسل .

ليس تحت يدي من المواد الإنشائية ما يمكن الاعتماد عليه في فن الإنشاء والمكاتبات كأثر فني رفيع في حال أن من أدباء وشعراء ذلك القرن أفراداً مشهوداً لهم بالتفوق في الشعر والنثر مثل :

١ - أحمد بن علي التهامي .
٢ - عمارة بن أبي الحسن الحكمي .
٣ - يحيى بن حمزة الحسني .   ... وغيرهم

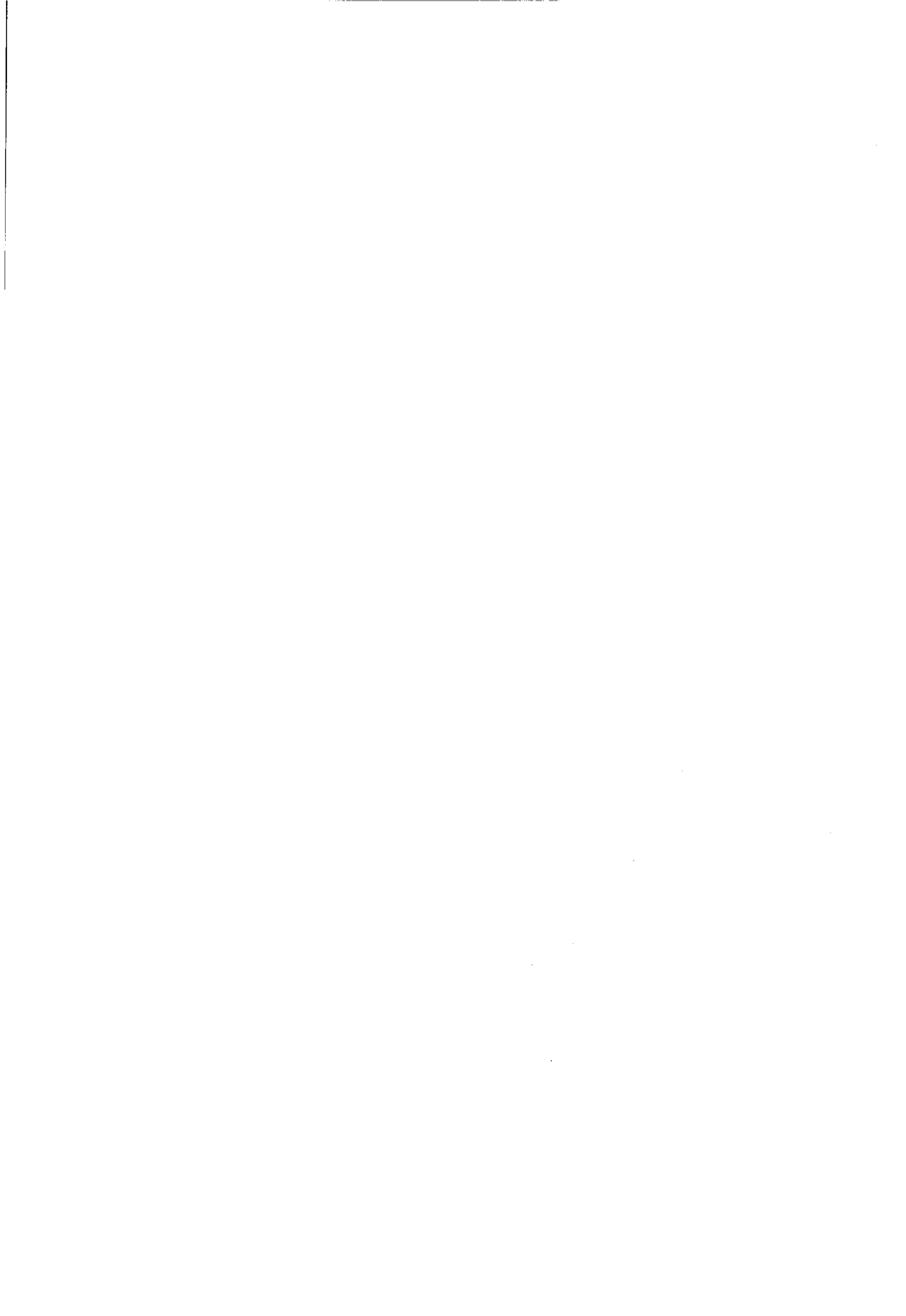
ولا يعقل أن لا يكون في ذلك القرن بأكمله شيء من أدب الترسل الرفيع كالرسائل فهي وسيلة الاتصالات بين الأمراء والأدباء ، فأين تلك الرسائل ؟ ولا شك أن ما وجد عدت عليه يد الضياع . ولدينا مؤلفان لعمارة هما :

١ - المفيد في تاريخ زبيد - أو ما يعرف بـ « تاريخ عمارة » .
٢ - كتاب النكتة العصرية .

وكلاهما من النثر المرسل الذي لا يرقى إلى منزلة النثر الفني الرفيع وفن الترسل العالي ، ومع عدم وجود ما أشرنا إليه فلنعتبر ذلك كنمط من النثر حتى يتاح لنا العثور على ما يثبت ، أو يتاح لغيرنا في المستقبل ما عجزنا عن الحصول عليه .

❊ ❊ ❊

شعر المديح



الشاعر أبو الحسن علي بن محمد التهامي[1]
من مقطوعة له في المديح

أعطى وأكثر فاستقل هباته   فاستحيت الأنواء وهي هوامل

---

(١) يقول ابن خلكان في ترجمته (وهذه النسبة إلى تهامة . وهي تطلق على « مكة » ولذلك قيل للنبي (صلى الله عليه وسلم) التهامي وتنطلق أيضاً على جبال تهامة .. وهي خطة متسعة بين الحجاز وأطراف اليمن ولا أعلم نُسب الشاعر إلى مكة أم إليها) ؟

لقد لفت نظري الأخ الأستاذ محمد زارع عقيل قبل عشر سنوات تقريباً عندما تحصل على ديوانه وأعارني إياه مشكوراً قائلاً : قد يكون هذا الشاعر من منطقتنا فإني أشتم من رائحة شعره نسمات مخلاف منطقة جازان .. فأخذت في البحث والاستقراء عن هذا الشاعر وهل يوجد له قريب من الشعراء أو الأدباء ورد اسمه في التاريخ ، أو أسرة لاتزال تحتفظ بهذا الاسم في المنطقة .

إن تهامة إذا أخذنا بمنطوق هذه التسمية الواسعة المجال ، فإنها تشمل السهول المحاذية للبحر الأحمر من العقبة في عَمَّان شمالاً إلى عدن في الجمهورية العربية اليمنية الجنوبية جنوباً ، والتقسيم المصطلح عليه جغرافياً هو أن يضاف كل قسم إلى ماهو أعلاه فيقال : تهامة الحجاز – تهامة عسير – تهامة اليمن .. وهنا نحار إلى أي قسم من تهامة ننسبه .

إلا أن الحيرة لا تستمر طويلاً فيهدينا البحث إلى ما يأتي :

١ – في سنة ٤٦١هـ – ١٠٦٨م سار الملك أحمد المكرم الصليحي لمطاردة الملك جياش بن نجاح فوصل إلى (هَجَر) – من وادي ضمد[1] – فوجد أن جياش قد فاته وأنه لا سبيل إلى إدراكه وفي عودته من هجر وصل إلى « الساعد » ، فأنشده الشعراء مهنئين ومنهم الشاعر أحمد بن علي التهامي[2] الذي مدحه بقصيدة غراء[3] .

٢ – إن اسم هذا الشاعر أحمد واسم أبيه على التهامي فإذا عرفنا أن الشاعر علي بن محمد التهامي قتل سنة ٤١٦هـ فيكون قد مر على قتله ٤٥ عاماً ، ومن المعقول أن يكون للشاعر ابن في ذلك التاريخ هو في عمر السابعة والأربعين أو الخمسين والذي يترجح أن اتفاق الاسم المضاف إلى اسم الابن مع النسبة – التهامي – وموافقة تاريخ سن الشاعر الابن – بالنسبة إلى تاريخ وفاة الشاعر الأب كل ذلك يؤيد أن أحمد بن علي التهامي هو ابن الشاعر أبو الحسن علي بن محمد التهامي .

٣ – يضاف إلى ذلك أن (الساعد) هي من جهات المخلاف السليماني ، وفوق ذلك فإنه يوجد إلى هذا التاريخ جماعة في بني حمد يطلق عليهم اسم آل التهامي[4] وبلاد بني حمد في جنوب المخلاف السليماني – منطقة جازان – الذي لا يبعد عنها إلا بمسافة قريبة نسبياً – عن موقع مدينة الساعد التاريخية . ←

---

(١) قد اندثرت تلك القرية أو المدينة ، وإنما يرجح أن موقعها غير بعيد عن مدينة ضمد الحالية .

(٢) انظر كتاب الصليحيين والحركة الفاطمية ص ١٣٢ .

(٣) انظر ص ٤٦ .

(٤) وصل إلي في مكتبي بـ « جازان » في سنة ١٤٠٤هـ شخص وعرفني بنفسه قائلاً : أنا فلان ابن فلان التهامي نسكن في قرية « الطوال » من بلاد قبيلة بني حمد ونشتغل في سمسرة السيارات ، ولسنا من نفس تلك القبيلة ، =

فاســم الســحاب لديــه وهو كنهور   آل وأســماء البحــور جــــــداول

كيف رحل الشاعر الأب

ليس تحت أيدينا ما يوضح كيفية رحلة الشاعر من وطنه إلى الحجاز ثم إلى مصر . وكل ما وقفنا عليه هو أن الشاعر وصل إلى الديار المصرية مستخفياً برسائل من حسان بن مفرح الطائي الثائر في الرملة من فلسطين ضد خليفة مصر الحاكم بأمر الله ليسلم تلك الرسائل إلى قبيلة (بني قرة) ليحضهم على الثورة ضد الحاكم بأمر الله فَظُفِرَ به . وعندما سئل قال : إنه من بني تميم ، فلم تنطل على من ظَفِرَ به الحيلة ، فسيق إلى القاهرة وأودع السجن في ٢٦ ربيع الآخرة سنة ٤١٦ ثم قتل سراً في سجنه في ٩ جمادى الأولى من السنة المذكورة .

ما أشبه الليلة بالبارحة

بعد ١٣٣ عاماً تقريباً رحل نفس الرحلة الشاعر عمارة الحكمي الشاعر المخلافي المشهور إلى الحجاز ثم سار إلى مصر يحمل رسالة من أميرها إلى الخليفة العاضد .. ولم تكن الرسالة للإثارة والتحريض وإنما هي رسالة وفادة وتفاوض فلقى الإقبال والحفاوة وعاش في مصر حيناً من الوقت متكسِّباً بشعره إلى أن زالت الدولة الفاطمية على يد (صلاح الدين) فتآمر مع بعض المخلصين للخلافة الزائلة ؛ فقبض عليهم ومنهم عمارة فشنقوا – كما هو معروف في التاريخ .. فعمارة هو الشاعر الثاني من منطقة المخلاف السليماني الذي يلقى مصرعه في مصر .

إن هذه المنطقة المعطاءة – منطقة جازان – المعروفة تاريخياً باسم المخلاف السليماني أنجبت الأعداد الوفيرة من العلماء والأدباء والمفكرين ، ومع وفرتهم وتخليد آثارهم ، التي جُلها في المخطوطات لم يُشهر منهم على مستوى العالم العربي إلا أبو الحسن علي بن محمد التهامي ثم عمارة الحكمي فقط . وقد وفق الله وكتبنا وألفنا عن عدد وفير منهم ، ومنهم عمارة وابن هتيمل والجراح بن شاجر والحسن بن أحمد عاكش والبهاكلة وغيرهم ممن ينوف عددهم على العشرات .

وهانحن الآن نستعين بالله ونقدم هذا الشاعر الذي هو معروف لكل من أطلع على الآداب العربية ، ولو لم يكن له من الشعر المشهور المتداول على مستوى العالم العربي إلا قصيدته الخالدة :

حكـم المنيــة في البريــة جـــاري   ما هــذه الدنيــا بــدار قـــــرار

لكفاه مكانة وشهرة . وإنما الذي يعنينا في هذه الكلمة هو ما أسفر عنه التحري والبحث من ترجيح أنه من منطقة جازان ، وهذا مما يزيد في رصيدها الفكري والأدبي .

لقد قتل علي بن محمد التهامي في مصر في ٩ جمادى الأولى سنة ٤١٦هـ وعلى ذلك يكون مولده – على وجه التقدير في سنة ٣٥١هـ في عهد إمارة سليمان بن طرف الحكمي موحد المخلافين « حكم » و « عثر » تحت اسم المخلاف السليماني ، وقد يكون ذلك الفخر الساطع في مرثيته بدافع شرف الانتماء النبيل إلى قبيلة حكم التي منها أسرة عبد الجد التي أنجبت أبرز شخصية من تلك الأسرة ، وكما قيل « لا نار بدون دخان » ، فقد يتغنى الفرد بأمجاد القبيلة ، فإذا توسع الأفق الإنساني في الشاعر تغنى بأمجاد أمته – متى ماتمت الوحدة لأمة من الأمم ، بل الأمم ذات الحضارات الراقية والفتوحات العظيمة والأمجاد الخالدة تعتز وتفخر بعظمة من أنجبت من أساطين الملوك وعظماء القادة الفاتحين وكبار المؤلفين ونوابغ الشعراء المبدعين ، فمن منا لا يفخر مثلاً بقائد كخالد بن الوليد أو طارق بن زياد أو صلاح الدين ، فالإنجليز كما يقال يفخرون بثلاثة :

دســتورهم ، أسطــولهم ، شاعرهم شكســـبير

= ونعرف بآل التهامي فهل تعلم لنا نسب في تاريخ المنطقة نرجع إليه ، فقلت له : قد تكون من سلالة الشاعر علي بن محمد التهامي .

إن أفقاً أطلع شهابه ، وحقلاً أنبت غُصْنه ،وغِمداً استل منه ذلك الحسام وبيئة نشأ فيها ، تدلنا على أن المخلاف السليماني موطن أدب وَمَثابة معرفة فلا وجود من عدم ، وإذا كانت رحلته إلى الحجاز أولاً ثم إلى فلسطين ثانياً ثم إلى مصر ثالثاً أتاحت له سطوع الاسم وبروز الشخصية وخلود الذكر فَعُرِف على مستوى العالم العربي ، لما كان تعدى ذيوع شعره المخلاف السليماني واليمن والحجاز – على أكبر تقدير – كشأن من رحل من شعرائنا مثل :

١ – ابن هتيمل في القرن السابع .

٢ – ابن سحبان في القرن السابع .

٣ – الجراح بن شاجر في القرن التاسع .

وغيرهم ممن أبرزنا أشعارهم وأطلعنا آثارهم في مؤلفاتنا – بحمد الله تعالى – .

إن شاعرنا لم يتوفق – مع علمه وفضله – على تأليف تاريخ لجنوب الجزيرة أو اليمن أو لوطنه على الأقل كما صنع من بعده رصيفه عمارة في كتاب « المفيد في تاريخ اليمن وزبيد » ولو أن عمارة لم يسجل لنا تاريخ وطنه ماعدا نتف متفرقة قليلة جداً لا تزيد عن جمل متفرقة تأتي عرضاً في أثناء السياق في ثلاثة مواضع وإنما هي خير من لا شيء ، وقد قال أمير الشعراء :

وللأوطـــان في دم كـل حـــــر يـد سـلفت وديـن مســـتحق

ولأبي الحسن علي بن محمد التهامي جولات مأنوسة وإبداعات ملموسة في الطيف تجعله في أوائل الشعراء الذين طرقوا هذا الباب .

لقد ترجم له في أشهر كتب الأدب مثل تتمة اليتيمة جـ١ ص ٣٧ والنجوم الزاهرة جـ٤ ص ٢٦٣ وعبر الذهبي جـ٣ ص ١٢٢ كما ترجم له ابن خلكان في جـ٣ ص ٣٧٨ وبركلمان في التكملة جـ١ ص ١٤٧ وغيرهم ، وإنما لم يشر أحد إلى ما أشرنا إليه – حسب علمي – من بنوته لهذه المنطقة .. وقد يكون استنتاجنا هذا يلقي الضوء لدراسة حول هذا الشاعر تقر ما توصلنا إليه أو تخالفه ؛ فالعلم أوسع من أن يحيط به شخص أو أشخاص .

بيان بمصادر بحث أبي الحسن علي بن محمد التهامي

١ – تتمة اليتيمة .

٢ – النجوم الزاهرة .

٣ – عبر الذهبي .

٤ – وفيات الأعيان لابن خلكان .

٥ – بركلمـــان .

٦ – تاريخ السباعي .

٧ – خطط المقريزي .

٨ – ديوان قديم لأبي الحسن التهامي .

٩ – أبو الحسن التهامي حياته وشعره .

١٠ – ديوان التهامي .

} د/ محمد عبد الرحمن الربيع .

الشاعر أبو الحسن علي بن محمد التهامي
يمدح معتمد الدولة قرواش بن المسيب العقيلي

ألَمَّت ودوني من تِهَامَةَ بِيدُها ... وعهدي بها عَنّي كثيراً صدودُها
يمانية للبدر سِنَّةُ وجْهِها ... وللظبي منها مقلتاها وجيدُها
سَرَتْ تستزيدُ الودَ والقلبُ مُلْكُها ... وهل ليَ قلبٌ غيره فأزيدها
ألمت ورحلي بين شُعْثٍ رمت بهم ... وبي هِمَمٌ في رِفْعَةٍ تستفيدُها
وقد عَقَلوا أنْضاءَهم برؤوسهم ... ولو خُلِّيَت كان الكلالَ قيودُها
على أنهم بانوا وبين جوانحي ... هوىً مثلُ لَذْعِ النار شب وقودها
وساعدها في النوم غِرٌّ أوانس ... قِصَارُ الخطى بيض السوالف غيدها
اغضُّ من الورد الذَّكِيِّ خدودُها ... وأرشق من غصن الرياض قدودها
تَضَوَّعَ منهن العبيرُ كأنما ... أتتك بِفَار المسك حَياً بُرُودُها
فكم من يد أُوْلَيْنَني فجحدتها ... وشكر أيادي الغانيات جحودها
وليس سِفَاحاً حين كانت مُهورُها ... صحيحَ وِدَادٍ والغرام نقودها
سَلِ الله تَهْويم الكرى ليس غيره ... لعل الكرى يوما إليك يُعيدها
أيا حَبَّذَا أرض السَّرَاةِ وحبذا ... تهائمها من أجلها ونجودها
ولم أنسها يوم النوى وقد التقى ... جُمَانَان : جَارِى دمعها وعقودُها
لها مَبْسَمٌ تحكي المساويكُ أنه ... بُعَيْدَ الكرى عَذْبُ الثنايا بَرودُها
وهل مُنْصِفٌ منها فيلزمَ قَوْمَها ... حمالة ما قد أتلفت أو يُقيْدُها
فَدَعْ ذِكْرَ سُعدى إن فيك بقيَّةً ... ألا إنما سعدى لها من يعيدها
أأرضى بعيش الْمُقْتِرِينَ وهذه ... أنامل ذي المجدين يَنْهَلُّ جودها
دعا جُودُ ذي المجدين عَنْسي ولم يزل ... من اليمن الأقصى نداه يقودها
فجاءته مكتوباً على حُرِّ وجهها ... حرام على غير الأمير وَخِيْدُها
سليل ملوك من ذُؤابة عامر ... تُرَجَّى عطاياها وَيُخشى وعيدُها
مهذبُها قِمْقَامُها تاج فخرها ... مُوَفَّقُها في كل رأي سديدُها

مُقَدَّمُها في كل حرب شجاعها ... مُدَبِّرُها في كل خَطْبٍ حميدها
مُكَرَّمُها مِفْضَالُها لَوْذَعِيُّها ... وملجؤها في النائبات عميدها
مُسَوَّدُها مِقْدَامُها كَنْزُ عِزِّها ... سَمَيْدَعُها مِصْدَاقُها ورشيدها
تَخِرُّ له الأملاك في الأرضِ سُجَّدا ... وقَلَّ له تعفيرها وسجودها
هو البحر إلا أنه طاب وِرْدُهُ ... وكم من بحار لا يطيب ورودها
إذا ما ابتدى يوما بِنُعْمى أعادها ... ويا رب مُبْدَي نعمة لا يعيدها
وما البرق إلا دوحة هو ماؤها ... ولو غاض فيها الماء ما اخضر عودها
يَسُودُ عُقَيْلًا بل نزارا بفضله ... ولا بُدَّ للسادات ممن يسودها
يدافع عن أحسابها بنواله ... ويحمل عن أشياخها ما يَؤُودُها
وَيُرْدِي أعاديها بكل كتيبة ... يَرُدُّ عيونَ الناظرين حديدُها
ثقيلٌ تلاقيها خفيف ركابها ... كثير مناويها قليل عديدها
إذا وقعوا في وقعة أوقعوا بها ... وَبَالاً فهم أشبالها وأسودها
و خاضوا إلى الموت الصفائح والقنا ... وهان عليهم صعبها وشديدها
رأيت الورى أتباعَ آل مسيب ... ولولا كلامُ الناس قُلت عبيدُها
أقرَّ عُقَيْلٌ بل نزار بفضلكم ... ولو أنكرت يوماً أقرت جلودها
ولو أمَّ عافٍ طفلَ آل مسيب ... لقاسمه درَّ الرضاع وليدها
يلوح ضياء الملك فوق جباهها ... إذا خفقت راياتها وبنودها
ملوك أماتت ما اقتنت بسيوفها ... وزادت على ما أورثتها جدودها
ملوك شرت حُسْنَ الثناء بمالها ... وأضحى حَميداً حَيُّها وفقيدُها
فلو كان جودُ المرء يُخَلِدُ ربهُ ... لدام على رغم الأعادي خلودها
ودان لها شرق البلاد وغربها ... وذل لها شُوسُ الملوك وصيدُها
يَحِنُّ إلى أسمائه كل منبر ... ولو يستطيع اهتز واخضر عودها
غُيُوثٌ ولكن قَطْرُها المال والندى ... ليوث ولكن الملوك صُيودُها
بكم بلغت كعبٌ مُناها وربها ... يُتِمُّ لها نعماءَها ويزيدها
بكم صعدت خُطَّابُها كلَ منبر ... ولولاكُم والله قَلَّ صعودها
أتى العيد فاسعد ألف عام بمثله ... فأنت لأبناء المطالب عيدها

إذا ما حللت الأرض زالت نحوسهـــا وأقبـــل من كل الجهـــات سعودهـــا

وكيـــف يحل الجدب أرضاً تحلهـــــا وكـــــفك غيث لا يزال يجودهـــــا

وكم ليلـةٍ سِرْنـــا إلـــيك شَوازبـــا سواء عليهـــا مِيلُهـــا وبَريدُهـــــا

ومالـــتْ رِقـــابُ القـوم بالنـوم فالتقت مناكـــبُ أبنـــاء السُّـرى وخدودُهـــا

وغنَّـــى مُغَنِّيـنـاً بمدحـــك مثلمـــا عَوَى بِشَرَوْرَى آخر الليـــل سِيدُهـــا

فلولاك ما جُبْنا الفـلاةَ ولا انطـوى لانضائنـا طـــيَّ الـــرداء بعيدُهـــا

وقــد وعدتني النفـس عنـدك بالغنـى وأجْـدِرْ بهـا ألا تخيـب وُعُودُهـــا

سأكسوك من مدحي على النّـأي حُلَّـة يـدوم علـى مَـرِّ الزمـان جَدِيدُهـــا

وأشكـر نَعْمَـاءً بمدحـــك نِلْتُهـــا ومن حباهـــا دائمـــاً أستزيدُهـــا

الشاعر مدبر الحكمي[1]

قال الشاعر مدبر الحكمي يمدح والد عمارة :

أبوكمـــــا رد على ابن حبـابـــة   مُلكـا تبـــدد شـملـه تبديـــدا
كفـل المشـيب عن الحســام بعــودة   مذ صـــال زيـدان بـــه فأعيـــدا
وبنيتمـــا ما شـيـــد من ســـؤدد ..   قدمـــا فأشبـــه والـــد مولـــودا

(١) مصدرنا الوحيد عن هذا الشعر هو كتاب « النكتة العصرية في الوزارة المصرية » لعمارة ، أورد اسم هذا الشاعر عرضاً عند ذكر والده - أي والد عمارة - ولم يشر إلى سنة مولده ولا سنة وفاته ولا بلدته واكتفى باسمه ونسبته إلى حكم قبيلة عمارة نفسها ، وعسى أن نظفر نحن أو غيرنا بما يسلط الأضواء الكاشفة عن هذا الشاعر المخلافي .

الشاعر المخلافي أحمد بن علي التهامي[1]
مادحاً الملك أحمد المكرم الصليحي

نفضت غبار العارِ عن ثوبِ يعـــربِ	وقد سحـــبت أعطافـــه كل مسحب
بشعـواء في (صنعـــاء) قرع طبـــولها	وريعـانها بـ (العـــرق) دون المحصب
أدرت على درب الخُصيب مع الضحى	رحـــى ذات قطبٍ حاشديٍ ولـــولب
فأضحـوا على الأبـواب صرعـى كأنهم	قبائـل عاد في الصبـــاح الـــعصبصب
وجـــئت وأم المؤمـــنين وسربهـــــا	كـ (زينب) يوم (الطّف) حول المخضب
حماها الـذي أعطـــاك ملكـــا كما حمى	بنـــــات علي من مسوخ وأكـــــلب
فإن ذكـــرت بالفخـــر يومـــا نسابها	قريش كـ(عمرو) أو كـ(عيسى بن مصعب)
أو الخرق (عتاب) أو القرم خالد	أو الشهم (مروان) الخطيب المهذب
واخواننـــا الأزد اليمانـــون إن أتـــوا	بغر بنـــي الأيـــــام آل المهـــــلب
أتينـــا بذي السيـــفين أحمد إنـــــه	يفـــــوق على الحيين أدٍ ويعـــــرب
لقـد طـالهم فخـراً ومجداً ونجـدة	كما طال (كيوان) على كل كوكب
ألـــيس نظـــام المؤمـــنين وملكهـــــم	أبـــوك وأن الفخـــــر للمـــــتسبب
وأمك بنت القيـــل من آل جعفـــــر	فناهـــيك من أم وناهـــــيك من أب
فدم لبنـــي قحطـــان يا رأس عزهـــم	ومهيعهـــم في الحادث المتصـــــعب

---

(١) من أبناء المخلاف السليماني – مقاطعة جازان – عاش في القرن الخامس الهجري ، وتدل القرائن وتتضافر البراهين أنه ابن الشاعر المشهور أبو الحسن علي بن محمد التهامي .

فإذن هو شاعر ابن شاعر وللوراثة عاملها وللبيئة أثرها ، والنص الوحيد من شعره يدل على شاعرية هذا الشاعر الفحل ، ورد اسمه عرضاً في كتاب عيون الأخبار حيث قال : (إن الملك أحمد المكرم الصليحي استخلف على مدينة زبيد أبا حمير سبأ بن أحمد الصليحي وخرج على رأس جيشه لمطاردة الأمير جيـاش بن نجاح المهزوم في معركة زبيد في شهر رمضان سنة ٤٦١هـ ووالى سيره فدخل إلى (هجر) بلدة ضمد في المخلاف السليماني صبح يوم الجمعة ٢٨ شوال سنة ٤٦١هـ فعلم أن خصمه (جياش) فر في طريقه إلى (الهند) فاتجه إلى الساعد فظل بها إلى يوم السبت ٧ ذي القعدة فوصلته السجلات المستنصرية من مصر تتضمن تشريفاته ومنحه ألقاب الرفعة فقرأها على الناس ودخل عليه الشعراء مهنئين ومنهم الشاعر أحمد بن علي التهامي فمدحه بقصيدته .

عُلي بن عيسى بن يحيى بن حمزة الحسني[1]

قال يمدح شيخه جار الله الزمخشري :

وأحر بأن تزهو زمخشر بامرىء	إذا عد من أسد الشرى زمخ الشرى
جميع قرى الدنيا سوى القرية التي	تبوأها دارا فــداء زمخشــرا
وكم للإمام الفرد عندي من يد	وهاتيك مما قد أطــاب وأكــثرا

(١) هو العلامة الجليل واللغوي الضليع عُلي بن عيسى بن حمزة الحسني من مواليد المخلاف السليماني ، وهو في فضله وعلمه وشهرته لا ينحصر مجده للمخلاف السليماني بل هو قبل كل شيء علم من أعلام الأدب واللغة في الأمة العربية الكريمة التي أنجبت من الخلفاء والأئمة والقادة الفاتحين ، والعلماء البارزين ما يملأ الأسفار ويضيء الأبصار .

والعباقرة والنوابغ من أبناء كل أمة لا ينحصر فخرهم ولا يتوقف مجدهم على بلدة أو منطقة لأنهم إرث مشاع وفخر عام للأمة العربية بأسرها . بل منهم من يتجاوز نطاق الأمة إلى آفاق الإنسانية .

ولا يبعد أن يكون لعلامتنا شعر في مرابع المخلاف السليماني مسقط رأسه ومدارج طفولته ومراتع صباه ومثوى قبر والده ، ولكن أنَّى لنا أن نظفر بذلك ؟

ومن البديهي أن من كان في كرم محتده وجليل فضله أن لا يغفل مسقط رأسه بخاطرة من الشعر أو نفحة من عاطر الوجدان

إنني أعترف أنه يعوزني الكثير عن حياة هذا العالم وحياته العلمية والخاصة ، فأين نظفر بذلك ؟ ولعل وعسى أن تسنح لنا فرصة الإطلاع على ذلك في بعض المؤلفات أو المخطوطات أو يتاح ذلك لغيرنا في المستقبل ، أما ما تحت أيدينا من المصادر فلا يزيد عما أوردناه ، ترجم له العماد الكاتب في الخريدة فقال : (من أهل مكة وشرفائها وأمراءها من بني سليمان بن حسن وكان ذا فضل غزير وله تصانيف مفيدة وقريحة في النظم والنثر مجيدة ، قرأ على الزمخشري بمكة) .. توفى في ولاية الأمير عيسى بن فليتة في سنة ٥٠٦هـ / ١١١٢م ، كما ترجم له الصفدي في الوفيات - القسم المخطوط - وقال : (توفي سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٧م وهو في سن الثمانين وأصله من اليمن ؟ - كأنه يقصد المخلاف السليماني) .

أما صاحب تاج العروس فقد ذكر ما نصه : (... وأما الأمير عيسى بن حمزة السليماني فقتله أخوه أبو غانم يحيى بن حمزة وتأمَّر بعده فهرب إبنه عُلي بن عيسى إلى « مكة » وأقام بها) .

وعلى - بالتصغير - وشهر أيضاً بـ « ابن وهاس » من باب التغليب لشهرة جده ، ويقول الفاسي : (إن ابن وهاس اسمه علي - بضم العين المهملة وفتح اللام - تصغير علي ، وهذا بعيد أن يقع من الأشراف لفرط حبهم في علي فلا يصغرون اسمه) .

ومع تقديري واعترافي بفضل وغزارة علم علامتنا الفاسي فالتصغير في الأسماء والأشياء المادية والمعنوية لا يكون دائماً يدل على التصغير المجرد أو على التحقير ، بل من سنن العرب في نعتهم أن يصغر الشيء لما يأتي :

١ - تصغير التكبير :

(أ) كقول سعد بن عبادة الأنصاري (أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب) .

وقد أجابه شيخه الزمخشري بقصيدة منها البيت المعروف :

ولولا ابن وهاس وسابق فضله رعيت هاشيما وانتقيت مصردا

(ب) كقول لبيد : (وكل أناس سوف تدخل بينهم دويهية تصفر منها الأنامل) .

٢ – تصغير تنقيص :

(أ) لم يبق في بيت المال إلا دنيرات . (ب) لم يبق من بني فلان إلا بييت .

٣ – تصغير تحقير :

(أ) دويرة : تصغير ديرة أو دارة . (ب) رجيل .

٤ – تصغير إكرام ورحمة :

(أ) كقول النبي (ص) لعائشة ياحميراء . (ب) كقولك يا بني ، يا أخي .

٥ – تصغير الجمع :

(أ) كقولك دريهمات ودنيرات وأغيلمة . (ب) وكقول عيسى بن عمر : والله إن كانت إلا أثيابا في اسيفاط .

هذا كل ما ظفرنا به ووقفنا عليه عن هذا العالم الجليل ممن أنجبهم المخلاف السليماني ، أما كيف ومتى نزحت أسرته إلى المخلاف السليماني ؟ فهذا ما نوضحه فيما يأتي :

جنوب الجزيرة والدولة الفاطمية

إن الدولة الفاطمية كانت تعد نفسها – وهي في المغرب – لوراثة الدولة العباسية وما إحتلالها مصر إلا تمهيداً لمد نفوذها على الشرق العربي بأسره ، ففي سنة ٣٠١هـ – ٩١٣م سيرت الدولة الفاطمية من المهدية عاصمتهم في المغرب حملة إلى مصر استولت على الإسكندرية وبعض قرى الوجه البحري ، وإنما استطاع العباسيون هزيمتهم فانسحبوا عائدين إلى المغرب .

وقد أعادوا الكرة سنة ٣٠٧هـ – ٩١٩م فتمكن الإخشيد حاكم مصر التابع للعباسيين من هزيمتهم ، وفي سنة ٣٥٨هـ – ٩٦٩م وللمرة الرابعة بعث المعز الفاطمي حملته المشهورة بقيادة جوهر الصقلي الذي تمكن من ضم مصر إلى دولتهم ، التي امتدت إلى بلاد سوريا وفلسطين ، وقبل احتلال مصر ، وإنفاذاً للمخطط الفاطمي كان المعز قد بعث برسلٍ من المغرب إلى مكة للصلح بين آل حسن وآل جعفر بن أبي طالب الذين قد نشب القتال بينهم ، فتمكن الرسل من المصالحة بين الفريقين ودفع دية القتلى من آل حسن وذلك في سنة ٣٤٨هـ ٩٥٩م .

وفي سنة ٣٥٨هـ – ٩٦٩م وقبل احتلال القائد جوهر لمصر ثار بمكة أحد الأسرة الحسينية ، فاستقل بأمر مكة التي كانت تابعة للعباسيين تحت إدارة الإخشيد بمصر .

كان العباسيون يمثلون – في ذلك التاريخ – الخلافة الإسلامية فنجم بقيام العبيديين الفاطميين منافس قوي ينافسهم على الخلافة ، وباحتلال العبيديين لمصر فتح الباب على مصراعيه لشدة المنافسة ، وكان في نظر الناس أن من أكبر أسباب شرعية دولة الخلافة الإسلامية ضم الحرمين إلى حاكمها والخطبة له على منبريهما .

لقد أثمرت الاتصالات بين أمير مكة والدولة الفاطمية ثمرتها وامتد النفوذ الفاطمي على الحجاز فأضاف أمير مكة إلى الأذان عبارة (حي على خير العمل) وهو من تقاليد الشيعة ، ثم بَعْد ذلك حذف اسم الخليفة العباسي من الخطبة وأبدله بالدعاء للمعز الفاطمي .

ولهذا قامت قائمة الخلافة العباسية وقام أمير الحج العراقي باستمالة وإغراء شريف مكة بالمال حتى استجاب لقطع اسم « المعز » من الخطبة ، والدعاء للخليفة العباسي « المطيع لأمر الله » في عام ٣٥٩هـ ٩٧٠م

ولـ « علي » مرثية في الأمير قاسم جد الأمير عيسى بن فليتة أورد العماد الكاتب بعض أبياتها ، ومن شعره الأبيات الآتية :

واستمرت المنافسة على أشدها بين الخلافة العباسية والفاطمية وتبادل الضغوط على أمير مكة ، وتجاذبه بين الكتلتين،حتى صار تارة يخطب لهذا وأخرى يخطب لذاك ، وأمير مكة هو المستفيد الوحيد من هذا التنافس والتجاذب،فمن أجزل المال خطب له مدة حتى يزيد الآخر في المال والأعطيات فيخطب له ، فمثلاً : في سنة ٤٦٢هـ - ٩٧٣م تمكن العباسيون من استمالة أمير مكة،فخطب لهم ، فبعثوا له بثلاثين ألف دينار وخلعة نفيسة ، ولم يقف الموضوع على الخُطبة فقط،بل تعداها إلى صيغة الأذان للصلاة . واستمر الأذان بـ(حي على خير العمل) مدة من الوقت،حتى تمكن العباسيون من إقناع واستمالة أمير مكة أبي هاشم فحاوره وناظره رسولُهم،فقال أمير مكة : هذا هو آذان علي بن أبي طالب ، فقال له المندوب العباسي ، إن ذلك لم يصح عنه ، وإنما فعله عبد الله بن عمر في بعض أسفاره فما أنت وابن عمر ، فأمر أمير مكة أبو هاشم بإسقاط (حي على خير العمل) من الأذان[1].

هذه أنماط من المنافسة السياسية والصراع المذهبي،فأمراء الحجاز كانوا « زيدية »[2]،وأهل الحجاز كانوا ولا يزالون سنيين،فهم أقرب ميلاً ونفسية إلى العباسيين ومذهب السنة - وفيما نورده الشاهد والدليل - .

بعث المعز سجلاً (منشوراً) مملوءاً بالنَّيل والثَّلب في الصحابة إلى شريف مكة أبي الفتوح وأمره بقراءته على منبر الحرم المكي،فعظم ذلك على أبي الفتوح ، ويظهر أنه تحاشى الأمر وسرب مضمون المنشور في أهل الموسم ، وباتصال ذلك إلى أسماع الحجاج والأهالي وأهل البادية ، ثارت ثائرة الناس وتجمهروا في جموع كالسيل المندفع،وتدفقوا على المسجد الحرام عازمين على كسر المنبر على الخطيب الذي بدأ في القراءة،وكان يوماً من أيام الفتنة ، وانتهى بعصيان أبي الفتوح لأمر المعز ، وعدم إتمام قراءة المنشور .

في تلك الأثناء وقع الخلاف بين الحاكم بأمر الله الفاطمي ووزيره أبي القاسم المغربي،وفر المغربي إلى الحجاز واتصل هناك بأبي الفتوح أمير مكة وأخذ في تشويقه وإغرائه،وصادف أن أبا الفتوح قد أعلن العصيان على الحاكم الفاطمي،مما جعل لإغراء الوزير مجالاً ، وعندما عرف الوزير المغربي أن أبا الفتوح قد أصغى إليه ووثق به،أخذ في تحريضه على الإدعاء بالخلافة،وأنه أحق بالخلافة من الحاكم الفاطمي وخليفة بغداد العباسي .

وسرعان ما أعلن أبو الفتوح نفسه خليفة للمسلمين،وطلب البيعة من علماء مكة والمدينة ، وأخذ في استمالة القبائل،فبايعه بنو سُليم وبنو هلال وبنو عوف وبنو عامر وغيرهم من قبائل الحجاز،وجهز جيشا سار على رأسه يقصد فلسطين،وكلما مرّ في سيره على بلاد دعا أهلها لمبايعته فبايعوه وهكذا حتى وصل فلسطين فقصد منازل آل الجراح في (الرملة) وأغراهم بالمال والوعود فبايعوه،وخُطب باسمه على المنابر في كثير من بلاد الشام .

ووافت الأخبار الحاكم الفاطمي في مصر،فساوره القلق والخوف من نجاح أبي الفتوح،فاختصر الطريق فبعث رسوله إلى أمير قبيلة طي في فلسطين،حسان بن مفرج الجراح،ومع رسله المال الوفير والوعود المغرية للتخلي عن مناصرة أبي الفتوح .

---

(١) النجوم الزاهرة ص ٨٤ جـ٥ .

(٢) السباعي ص ٢٦٢ الطبعة الثانية .

وسائلة أهل هو كالذي ؟ عهدنا صروم الحبل ممن يجاذبه
أم ارتجعت منه الليالي وربما تفلل من حد اليماني مضاربه
فقلت لها اني لتراك منزل إلي حبيب حين يزور جانبه

وفي نفس الوقت بعث يحرض السليمانيين أبناء عمومة أبي الفتوح في الحجاز،فقاموا بثورتهم المعروفة برياسة أبي الطيب داود بن عبد الرحمن واستولوا على مكة .

شعر أبو الفتوح بحرج موقفه وما يدبر ضده،فقد لمس من آل الجراح ما أرابه في الوقت الذي وافته الأخبار من مكة بثورة السليمانيين،فأسقط في يده ولم يسعه إلا الالتجاء إلى مفرج والد حسان الجراح راجياً حمايته،فطمأنه وتعهد له بتسوية قضيته،على شرط أن يتنازل عن دعوة الخلافة،ويكتب بتنازله للحاكم الفاطمي،شريطة أن يساعده الحاكم بإعانته على أبناء عمومته السليمانيين واستعادته لإمارة مكة .

وتم الصلح،وعاد إلى إمارته مكة،وخطب للحاكم بأمر الله وضرب اسمه على العملة[(١)] .

عاد أبو الفتوح إلى مكة ٤٠٣هـ تابعاً للحاكم بأمر الله حتى توفى سنة ٤٣٠هـ،فخلفه ابنه محمد بن شَكَر على إمارة مكة حتى توفي سنة ٤٥٣هـ بدون عَقب ، فخلفه عبد من مواليه ، فثار عليه السليمانيون وتولوا أمر مكة وأجلوا الموسويين أبناء عمومتهم أسرة شكر ، وخطبوا للعباسيين[(٢)] ، فغضب صاحب مصر وأمر الصليحي بالتقدم إلى مكة ففعل واستولى على مكة وطرد السليمانيين وزعيمهم حمزة بن وهاس،وولاها لأحد الموسويين،أبي هاشم محمد بن جعفر،وأمره بالخطبة للفاطميين فأخذت بغداد في تحريض السليمانيين الذين أخذوا يحضرون لوثبتهم ، وعندما تم استعدادهم ثاروا على أبي هاشم وأجلوه عن مكة وتولوا الحكم ، إلا أن أبا هاشم كر على مكة واسترد سلطته ، وأجلى السليمانيين وزعيمهم حمزة بن وهاس .

أما حمزة بن وهاس الذي أجلاه أبو هاشم من مكة فقد يمم نحو المخلاف السليماني وأسس لنفسه مركز إمارة جديدة هناك ظلت تتوارث في عقبه أمداً طويلاً .

وكل ما بغيناه من هذه الدراسة هو هذه الإمارة الوهاسية السليمانية في المخلاف السليماني،التي أزالت إمارة طرف من آل عبد الجد الحكمي .

كان وصول حمزة بن وهاس إلى المخلاف السليماني – المصاقب للحجاز – ركوناً منه إلى النفوذ العباسي المتمثل في الإمارة النجاحية،التي استطاعت استعادة إمارتهم من الصليحيين المُؤَيّدين من الخلافة الفاطمية الشيعية ، وفوز النجاحيين هو فوز ورجحان لكفة سياسة الخلافة العباسية السنية .

والأهداف السياسية والمصالح الإدارية والأسرية تحدد الوسائل وتوحد الغايات ، فالهدف هو اتفاق النجاحيين والسليمانيين على تأييد سياسة بغداد المنتمين إليها،والوقوف سوية في خندق واحد ضد الصليحي الممثل لسياسة القاهرة الفاطمية .

وقضت المصلحة السياسية بتناسي الإمارة النجاحية للصداقة التقليدية القديمة مع آل طرف الحكميين،الذين التجأ بالأمس النجاحيون إلى موطنهم وقاتلوا معهم في وقعة الزرائب .

---

(١) خطط المقريزي ص ١٥٧ ، ٢٨٨ جـ٢ – ابن خلدون ص ١٧٣ جـ٤ .

(٢) العبر لابن خلدون ص ١٢٦ جـ٤ ، ٢٠٢ السباعي .

وله أيضـاً :

أهـلاً بهـا من بنـات فكـر   إلى أبي عذرهـن صــادي

وحمزة بن وهاس العلوي ليس بغريب على الإمارة و ليس مجهول المكانة،وعلاقات المخلاف السليماني – قبل وبعد توحيد مخلافي عثر وحكم – بالحجاز معروفة في الجاهلية وفي الإسلام،وطيدة الوشائج متينة الروابط اقتصادياً واجتماعياً .

والسليمانيون لهم أساليبهم وممارساتهم في إدارة الإمارة في الحجاز وبطبيعة الحال وصل معهم إلى المخلاف السليماني أتباعهم ومرافقوهم ممن يثقون بهم ويعولون ويعتمدون عليهم في إدارة الأمور،فأحلوهم في المراكز الحساسة والأمور المهمة التي كان يشغلها رجال عهد آل طرف .

لا نعلم على وجه التحقيق من تأريخ حمزة بن وهاس في المخلاف السليماني أي شيء سوى ما سجله عمارة في تاريخـه عن إمارة ابنيه يحيى وعيسى ابني حمزة ثم حفيده غانم بن يحيى بن حمزة وما يدفعونه كإتاوة للنجاحيين ستين ألف دينار ، وبطبيعة الحال فإن غانم كان يدفع ذلك المبلغ كما يدفعه من هو قبله من ذويه ابتداء من المؤسس الأول حمزة بن وهاس .

وحمزة بن وهاس هذا هو مؤسس إمارة السليمانيين في المخلاف السليماني،كان يحمل جذوة الكفاح ومرونة السياسة والتفوق الأدبي، مما أعانه على استمالة الشعب و جـذب القلوب،واحتواء بقية أمراء بني عبد الجد والتعامل مع إمارة زبيد سياسياً حتى أدركته الوفاة،فَوَرَّثَ إمارته ابنيه عيسى بن حمزة ويحيى بن حمزة،هذا ما يوضحه لنا صاحب تاج العروس عندما تعرض لذكر الزمخشري فقال : (وأما الأمير عيسى بن حمزة فكان أميراً بالمخلاف السليماني قتله أخوه أبو غانم يحيى بن حمزة وتأمر بعده ، فهرب ابنه عُليّ بن عيسى إلى مكة وأقام بها) [1] .

كان عيسى بن حمزة أميراً على النصف الجنوبي من المخلاف السليماني،وقاعدة حكمه مدينة حرض وأخوه يحيى بن حمزة أميراً على القسم الشمالي قاعدته مدينة (عثر) فبعثت بغداد سرية من الأتراك إلى المخلاف فأخذت يحيى بن حمزة أسيراً ويظهر أن الذي حفز بغداد لذلك مخالفة يحيى بن حمزة لعلي بن مهدي وأحمد بن سليمان في القسم الأعلى والأوسط من اليمن ضد النجاحيين التابعين لخلافة بغداد العباسية السنية،وهذا ما نعلل به السبب لوصول تلك الحملة حتى يظهر لنا أو لغيرنا غيره .

فأخذ أخوه عيسى في مكاتبة بغداد واسترضائها سياسياً،وبذل فدية جزيلة من المال لقاء إطلاق سراح أخيه يحيى،ولم يزل حتى أطلقته بغداد .

وبعودته استعاد مركزه في إمارته من القسم الشمالي من المخلاف،واستقر في قاعدة حكمه مدينة (عثر) ولم يقدر لأخيه عيسى كريم سعيه في إطلاق سراحه من الأسر وعودته إلى إمارته،بل أخذ يدبر أحابيل مكره ويمد شرك خداعه ويعمل على تدبير هلاكه،حتى تمكن من قتله واستولى على إمارته في القسم الجنوبي من المخلاف ، فقال شاعر أخيه عيسى وخصيصه الشاعر محمد بن زياد الماربي يرثيه من قصيدة طويلة :

---

(١) تاج العروس .

....

خنــت المــودة وهي ألأم خطــــــــة	وســلوت عن عيســـى بن ذي الجـــدين
يا طــف عـمر أنت طـف آخــــر	يا يـــوم عيســـى أنت يوم حنـــــين
قد كان يشفى بعض ما بي من جـــوى	لو طــاح يوم الروع في الخيــــــلين
هيهــــات أن يــد الحمـــام قصــــيرة	لو هــز مطــرد الكعــــوب رد يـــــنى
أبلــغ بني حســـن وإن فارقتهـــــم	لا عـن قلـــى وحللـــت باليمنـــــين [(١)]

وأخذ من الإكثار في رثاه فاحفظ على نفسه الأمير يحيى بن حمزة فأهدر دمه .

وبقتل يحيى بن حمزة لأخيه عيسى بن حمزة فر ابنه عُليّ بن عيسى بن حمزة إلى مكة وأقام بها .

مصــادر البحـــث

١ - تاج العروس لمرتضى الزبيدي
٢ - وفيات الأعيان لابن خلكان
٣ - العقد الثمين للفاسي
٤ - الخريدة للعماد الكاتب
٥ - الوافي بالوفيات للصفدي
٦ - الجامع اللطيف ، ابن ظهيرة
٧ - فقه اللغة للثعالبي
٨ - مطالع البدور
٩ - الصليحيـــون

(١) مطالع البدور - مخطوط -

شعر الغزل



من قول
أبي الحسن علي بن محمد التهامي
متغــــزلاً

أتَرُوم تغطيــةَ الهوى بجحـــوده — وَنُحُولُ جسمك من أَدَلِّ شهوده
هيهات تستر منه فجراً واضحاً — من بعد ما صَدَعَ الهوى بعموده
قد قُلْتُ إياك الحجازَ فإنــه — ضَرِيَتْ جآذِرُه بصيد أسوده
وأردت صَيْدَ مَها الحجاز ولم يسا — عِدْكَ القضاء فصرت بَعْضَ صُيوده
يا سائلي عمن هَوَيْتُ وحالتي — ما حال مفقود الفؤاد عميده
قد كان يرجف في ليالي وصله — قلبي فكيف يكون عند صدوده
قلب يزيد بماء جفنيَ نارُه — وَهَجاً فكيف الرأي في تبريده
لم يرض في قتلي سِهَامَ لحاظه — عَدْوا فأتبعها رماحَ نهوده
لما رأى لَحَظَاتُ طَرْفِيَ رُتَّعاً — تجني شقيقا من رياض خدوده
قفل اللثام وصدَّ عني شاردا — ونأى فأسهر مُقْلتي بشروده
لا حظَّ لي في قربه وبعاده — عُدْمُ البخيل وفَقْدُه كوجوده
قطع التنفسُ عِقْدَه من غُصَّة — ظلت تَرَدَّدُ في سواد وريده
وبكى لفرقتنا فوافى فالتقى — دُرَّانِ در دموعه وعقوده
وجلا كمثل البدر في تدويره — وضيائه والفجر في توريده
يا ليته جعل القطيعة موعداً — منه فيخلفها كَخُلْفِ وُعوده
أخفِى هواه وهو نارٌ مثلما — يخفى الزنادُ ضِرَامَه في عوده
أبصرته في رَفْرَفٍ من جيشه — من كل مُضْطَمِرِ الْحَشَا أُمْلُودِهِ
يلثمن نَوْرَ الأقحوان بمثله — في ريحه وبياضه وقدوده
فصنعن عنديَ مِنَّةً فجحدتها — نَيْلُ الغواني شُكْرُهُ بجحوده
يحففن أَغْيَدَ يغتدي درَّ الهوى — ويَرُوحُ بين مُروطه وبُروده

من قول الشاعر أبي الحسن علي بن محمد التهامي في الغـزل

قلـت لخـلي وثغـور الربــا ... مبتسـمات وثغـور المـلاح
أيهمـا أحـلى تـرى منظـرا ... فقـال : لا أعلـم ، كـل أقـاح

ومن قولـه :

ألمـت ودوني من تهـامة بيدهـا ... وعهدي بها عني كثيراً صدودها
يمانيـة للبـدر سـنة وجهها ... وللظـبي منهـا مقلتاها وجيدهـا
ألمـت ورحـلي بين شعث رمت بهم ... به همم في رفعة تستفيدهـا
وسـاعدها في النـوم غـر أوانـس ... قصـار الخطى بيض السـوالف غيدها
أغـض من الـورد الزكـي خدودها ... وأرشـق من غصن الرياض قدودها
لهـا مبسـم تحكى المساويك أنـه ... بعيـد الكرى عذب الثنايا برودهـا
أيـا حبـذا أرض السـراة وحبـذا ... تهائمهـا من أجلهـا ونجودهـا

ومن شـعره :

بـين كريمـين مجلـس واسـع ... والـود حـال يقـرب الشـاسع
والبيـت إن ضـاق عن ثمانيـة ... متسـع الوداد بالتاسـع ؟

شعر في الطيف

أشعار
أبي الحسن علي بن محمد التهامي
في الطيف

قولـــه :

لا أكفر الطيف نُعمى انشرت رمما ... منا ، كما تفعل الأرواح بالرمم
حيا فأحيا فأغنتنا زيارته ... عن اعتناق الفلا بالأنيق الرسم
وصل الخيال ووصل الخود أن بخلت ... سيان ، ما أشبه الوجدان بالعدم
والطيف أفضل وصلا إن لذته ... تخلو من الإثم والتنغيص والندم

وقولـــه :

زارني في دمشق من أهل نجد ... لك طيف أسرى يفكك أسرى
زارني موهنا يريد وصالي ... فباشراق وجه عاد فجرا
وأراد الخيال لثمي فصدت ... لثامي دون المراشف سحرا
فاجتلينا بدور نجد بأرض الشا ... م بعد الهدوء بدرا فبدرا

وقولـــه :

كم ليلة أعجزنا حله ... فساقه النوم إليه سفاح
أفلته مني وقد صدته ... برقدة صوت منادي الفلاح
تسلبنا اليقظة ما زفه ... لنا الكرى من كل خود رداح
فنحن في نوم وفي يقظة ... بين دنو منهم وانتزاح

من مقطوعة في الطيف
للشاعر أبي الحسن علي بن محمد التهامي

أحياه الله بعد إذ أحياه ... طيف يسري الهم عند سراه

أهدي السلام على تنائي داره ... يا حبذا المهدي ومن أهداه

أهداه احور من ظباء تهامة ... كالبدر ، ألحاظ الظباء ظباه

يعدي ولا يعديه سقم جفونه ... والسيف ليس يضره حداه

نفسي الفداء له على هجرانه ... أبدا ، ومن لي أن أكون فداه

ما العيش غير جواره في روضه ... ينضاف رياها إلى رياه

شعر المراثي



الرثـــاء في شـعر
الشاعر أبي الحسن علي بن محمد التهامي

قال يرثي ولده وقد مات صغيراً :

حكم المنية في البرية جـاري ... ما هذه الدنيـا بـدار قـرار
بينـا يُـرى الإنسـان فيها مُخـبراً ... حـتى يرى خبـراً من الأخبـار
طبعـت على كـدر وأنـت تريدهـا ... صـفواً من الأقـذاء والأكـدار
ومُكَلِّف الأيـام ضـد طباعهـا ... متطـلب في المـاء جذوة نـار
وإذا رجـوت المسـتحيل فإنمـا ... تبني الرجـاء على شـفير هـار
فالعيـش نـوم والمنيـة يقظـة ... والمـرء بينهمـا خيـال سـار
والنفـس إن رضيت بذلك أو أبت ... منقـادة بأزمـة المقـدار
فاقضـوا مآربكـم عِجَـالاً إنمـا ... أعمـاركم سَـفرٌ من الأسـفار
وتراكضـوا خيـل الشـباب وبادروا ... أن تسـترد فإنهـن عـوار
فالدهـر يخـدع بالمنـى ويغص إن ... هـنَّى ويهـدم مـا بنى بـوار
ليس الزمان وإن حرصـت مسـالما ... خـلق الزمـان عـداوة الأحـرار
إني وُتِرْتُ بصـارم ذي رونـق ... أعددتـه لطـلابة الأوتـار
أثنـي عليـه بأثـره ولو أنـه ... لم يُغْتَبـط أثنيـت بالآثـار
يا كوكبـاً ما كـان أقصـر عمـره ... وكـذاك عمـر كواكـب الأسحـار
وهـلال أيـام مضـى لم يسـتدر ... بدراً ولم يُمْهـل لوقـت سِـرار
عَجِـل الخسـوف عليه قبل أوانـه ... فمحـاه قبـل مظنـة الابـدار
واسـتل من أترابـه ولداتـه ... كالمقـلة اسـتلت من الأشـفار
فكـأن قلبـي قـبره وكأنـه ... في طيـه سـر من الأسـرار
إن يُغْتَبـط صـغراً فرب مفخـم ... يبـدو ضئيـل الشـخص للنُظَّـار
إن الكواكـب في علـو محلهـا ... لتـرى صـغارا وهـي غير صغـار
ولـد المعـزى بعضـه فإذا مضـى ... بعـض الفـتى فالكـل في الآثـار

أبكيه ثم أقول معتذراً له ... وُفقت حين تركت ألأم دار
جاورت أعدائي وجاور ربه ... شتان بين جواره وجواري
أشكو بعادك لي وأنت بموضع ... لولا الردى لسمعت فيه سراري
والشرق نحو الغرب أقرب شقة ... من بُعد تلك الخمسة الأشبار
هيهات قد علقت أشراك الردى ... واغتال عمرك قاطع الأعمار
ولقد جريتَ كما جريتُ لغاية ... فبلغتها وأبوك في المضمار
فإذا نطقت فأنت أول منطقي ... وإذا سكت فأنت في إضماري
أخْفي من البُرَحاء ناراً مثلما ... يُخفي من النار الزناد الواري
وأخفض الزفرات وهي صواعد ... وأكفكف العبرات وهي جوار
وشهاب نار الحزن إن طاوعته ... أورى وإن عاصيته متواري
وأكف نيران الأسى ولربما ... غلب التصبر فارتمت بشرار
ثوب الرياء يشف عما تحته ... وإذا التحفت به فإنك عاري
قصرت جفوني أم تباعد بينها ... أم صورت عيني بلا أشفار
جَفَتْ الكرى حتى كأن غراره ... عند اغتماض العين وخز غرار
ولو استزادت رقدةً لرمى بها ... ما بين أجفاني من التيار
أحيي ليالي التم وهي تميتني ... ويميتهن تبلج الأسحار
حتى رأيت الصبح يرفع كفه ... بالضوء رفرف خيمة كالقار
والصبح قد غمر النجوم كأنه ... سيل طغا فطفا على النوّار
لو كنت تمنع خاض دونك فتية ... منا بحار عوامل وشفار
ودحوا فريق الأرض أرضاً من دم ... ثم انثنوا فبنوا سماء غبار
قوم إذا لبسوا الدروع حسبتها ... سحباً مزررة على أقمار
وترى سيوف الدارعين كأنها ... خُلُجٌ تمد بها أكف بحار
لو أشرعوا أيمانهم من طولها ... طعنوا بها عوض القنا الخطار
شوس إذا عدموا الوغى،انتجعوا لها ... من كل أوب نجعة الأمطار
جنبوا الجياد إلى المطي وراوحوا ... بين السروج هناك والأكوار

وكأنما ملأوا عِياب دروعهم ... وعمود أنصلهم سراب قِفار
وكأن من صنع السوابغ غره ... ماء الحديد فصاغ ماء قرار
زرداً فأحكم كل موصل حلقة ... بحبابة في موضع المسمار
فتسربلوا بمتون ماء جامد ... وتقنعوا بحباب ماء جار
أُسْدٌ ولكن يؤثرون بزادهم ... والأسد ليس تدين بالإيثار
يتزين النادي بحسن وجوههم ... كتزين الهالات بالأقمار
يتعطفون على المجاور فيهم ... بالمُنْفِسات تعطف الأظآر
من كل من جعل الظُبى أنصاره ... وكرمن فاستغنى عن الأنصار
وإذا هو اعتقل القناة حسبتها ... صِلاً تأبطه هزبر ضار
والليث إن ثاورته لم يعتمد ... إلا على الأنياب والأظفار

زرد الدلاص من الطعان بريحه
في الجحفل المتضايق الجرار

ما بين ثوب بالدماء مضمخ ... زَلِق ونقع بالطراد مثار
والهون في ظل الهوينى كامن ... وجلالة الأخطار في الأخطَار
تندى أسرة وجهه ويمينه ... في حالة الإعسار والإيسار
ويمد نحو المكرمات أناملا ... للرزق في أثنائهن مجاري
يحوي المعالي كاسباً أو غالباً ... أبداً يداني دونها ويداري
قد لاح في ليل الشباب كواكب ... إن أمهلت آلت إلى الأسفار
وتلهب الأحشاء شيب مفرقي ... هذا الضياء شواظ تلك النار

شاب القذال وكل غصن صائر
فينانه الأحوى إلى الإزهار

والشبه منجذب فلِمْ بيض الدمى ... عن بيض مفرقه ذوات نفار
وتود لو جعلت سواد قلوبها ... وسواد أعينها خضاب عذاري
لا تنفر الظبيات عنه فقد رأت ... كيف اختلاف النبت في الأطوار
شيئان ينقشعان أول وهلة ... ظل الشباب وخلة الأشرار

لا حبذا الشيب الوفي وحبذا ... ظل الشباب الخائن الغدار

وطري من الدنيا الشباب وروقه

فإذا انقضى فقد انقضت أوطاري

قصُرت مسافته وما حسناته ... عندي ولا آلاؤه بقصار

ما زاد فوق الزاد خلّف ضائع ... في حادث أو وارث أو عار

إني لأرحم حاسدي لحرما ... ضمت صدورهم من الأوغار

نظروا صنيع الله بي فعيونهم ... في جنة وقلوبهم في نار

لا ذنب لي قد رُمْت كتم فضائلي ... فكأنما برقعت وجه نهار

وسترتها بتواضعي فتطلعت ... أعناقها تعلو على الأستار

ومن الرجال معالم ومجاهل

ومن النجوم غوامض ودراري

والناس مشتبهون في إيرادهم ... وتفاضل الأقوام في الأصدار

عمري لقد أوطأتهم طرق العلا ... فعموا فلم يقفوا على آثاري

لو أبصروا بقلوبهم لاستبصروا ... وعمى البصائر من عمى الأبصار

هلا سعوا سعي الكرام فأدركوا ... أو سلّموا لمواقع الأقدار

ذهب التكرم والوفاء من الورى ... وتصرما إلا من الأشعار

وفشت خيانات الثقات وغيرهم ... حتى اتهمنا رؤية الأبصار

ولربما اعتضد الحليم بجاهل ... لا خير في يمنى بغير يسار

لله در النائبات فإنها ... صدأ اللئام وصيقل الأحرار

هل كنت إلا زُبْرة فطبعنني ... سيفاً وأطلق صرفهن غراري

زمن كأم الكلب ترأم جروها ... وتصد عن ولد الهزبر الضاري

شعر الحكم

من قــول
أبي الحسن علي بن محمد التهامي

ما أصعب الدهر على من رَكِبَه
حدَّثني عنه لسان التجربة

لا تحمد الدهر لخير سببه
فإنه لم يعتمد للوهبة

والسيل قد يسعى مكان الخِرَبَة
واليم يستسقي به من شربه

وله بيت بديع من جملة قصيدة وهو :

وإذا جفاك الدهر وهو أبو الورى
طرا فلا تعتب على أولاده

أبو الحسن علي بن محمد التهامي

تحَوَّلَ الدهر أحوالي وبدلني
داراً بدار وجيراناً بجيران

ورب أمر رمتني الحادثات به
أرنو إليه وحالي فيه حالان

إذا نظرت بعين الهزل أضحكني
وإن نظرت بعين الجد أبكاني

يظما الكريم فلا يُسْقَى وقد ظفرت
كف اللئيم بسيحان وجيحان

تأمل القدر المحتوم وأرض به
فإنما وزن الدنيا بميزان

فظل يزداد فيها كل منتقص
غُلًا ويهبط منها كل رجحان

....
....
....
....

وباقل الخط سحبان المقال فهل
كباقل في نثاه أو كسحبان

تراه مجفو نادِ مستضام يد
مستخبلًا وهو في أثواب لقمان

ما ذنبه غير نفس لا تساعده
على لباس رياء غير صوان

الفصل الرابع

دراسة عن التاريخ الأدبي والفكري
في المخلاف السليماني – في القرن السادس

سبق في الفصل الثالث دراسة عن الحياة الأدبية والفكرية في القرن الخامس ، والآن نقوم بدراسة موجزة عن الحياة الأدبية والفكرية والاجتماعية في القرن السادس الهجري .

ومن حسن الطالع،أن أحد أبناء المخلاف السليماني – عمارة ابن الحسن الحدقي الحكمي – قد قدم لنا بعض التسهيلات غير المباشرة لهذه الدراسة ، ونقول غير المباشرة ؛ لأنه لم يورد في تأريخه الموسوم بـ (المفيد في تأريخ زبيد) إلا أخبار الإمارتين الزيادية،والنجاحية،والسلطنة الصليحية وغيرهم ، وجُملاً ثلاث أو أربع عن المخلاف السليماني فقط،مثل قوله –: (وممن امتنع من عُمَّالِ أبي الجيش ابن زياد ، سليمانُ بن طرف صاحب (عثر)،وهو من ملوك تهامة،وعمله مسير سبعة أيام ، في عرض يومين ، وهو من الشرجة إلى « حلي » ، ومبلغ ارتفاعه في السنة خمس مائة ألف دينار ، وكان مع امتناعه عن الوصول إلى ابن زياد يخطب له ، ويضرب السكة على اسمه ، ويحمل إليه مبلغاً من المال كل سنة،وهدايا لا أعلم مبلغها ، ويتلو لابن طرف – من ملوك تهامة في الخطبة والسكة لابن زياد وعمل إتاوة مستقرة – الحرامي صاحب « حلي » ، وهو دون ابن طرف في المكانة)[1].

إن تلك الأسرة التي استمرت في الرياسة من الجاهلية إلى منتصف القرن الخامس،أي نحو ستمائة سنة – تقريباً – على مخلاف حكم ، ونحو مائة سنة بعد ضم مخلاف عثر وتوحيد المخلافين في مخلاف واحد ، تأصلت سيادتها في نفوس شَعبها،وتعمقت جذور مكانتها،ورسخت طاعتها في وجدان سكان أهل إمارتها سياسيـاً وأدبياً ومعنوياً،يضاف إلى عصبيتها القبلية في قبيلة حَكَم الذين هم منها في الصميم ، بحيث لا يمكن من الناحية الأدبية – على الأقل – أن يُمحَى اسمُها وتزول ذكراها،أو تطمس معالمها ويضمحل ولاؤها من قلوب أهل إمارتها ، وتعدم ، على أقل من القليل ، من شاعر يرثي مجدها

---

(١) تاريخ عمارة ص ٣٩ .

الزائل وفخرها الحائل،أو الإشارة إلى محاولة لاستعادة مكانتها ، ثم إن منطقة يَشْغل أمراؤها إدارتها تلك المدد الطائلة،لاشك أن سجل أحداثها وحوادثها وسِيَر أمرائها يستوعب المجلدات لو سجلت ، وإذا كانت لم تسجل - حقاً - فإن سِيَرَ أحداثها ومآثر أمجادها لا يمكن أن تنطمس في طرفة عين ، بل سوف تتردد على الألسنة وتتناقلها الرواة على مدى أجيال .

إن إمارات تماثلها زالت من الوجود،بل أقل منها مدةً وأضعف شأناً وأضيق رقعةً ، ولكن بقي ذكرها في ذاكرة تأريخ المنطقة ، أو في تأريخ البلاد المجاورة،أو في شعر شاعر يبكي ماضيها ويندب زوالها،ويأسى لسالف أيامها وغابر أعوامها .

ثم إن الدُّول والإمارات إن زالت ، وبالأخص ممن مضى على وجودها مئات السنين ، يترسخ ولاؤها في القلوب،والإخلاص لها في النفوس،والتعلق بها في الوجدان .

ولكل أسرة حاكمةٍ مثلها الرفيعة،وقيمها الأصيلة،وسمتها الخاصة،مما ينعكس قرباً وبعداً ، وقوةً وضعفاً على شعبها ، وتوثق صلتها به ، وميولها نحـوه .

وثاني ماورد في تأريخ عمارة عن المخلاف السليماني هو : « ومن أخبار السلطان علي بن محمد الصليحي ، أنه في سنة خمسين وأربعمائة ، بَلَغَه أن ابن طرف قد اجتمع إليه من ملوك الحبشة - النجاحيين - وأخلاط السودان ؟،فسار إليهم الصليحي في ألفي فارس ، فالتقوا بالزرائب من أعمال ابن طرف،وهو الوطن الذي ولدت فيه ، وبها أهلي إلى اليوم ، فاستحر القتل أول يوم بالعرب ، ثم كانت الدائرة على السودان ، فلم يبق منهم إلا ألف ، فاحتازهم جدي أحمد بن محمد في حصنه بعكوة ، والعكوتان[1] جبلان منيعان لا يطمع أحد في حصارهما ، وفيهما يقول راجز الحاج إذا نفروا،يخاطب عينه :

إذا رأيـت جبـلي عكـاد وعكوتـين من مكـان بـاد

فأبشـري ياعـين بالرقـاد

وجبلا عكاد فوق مدينة الزرائب ، وأهلها باقون على اللغة العربية من الجاهلية إلى اليوم،لم تتغير لغتهم بحكم أنهم لم يختلطوا قط بأحد من أهل الحاضرة،في مناكحتهم ولا

---

(١) انظر ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ من كتابنا المعجم الجغرافي .

مساكنتهم ، وهم أهل قرار لا يظعنون ولا يخرجون منه .....)[1].

وعدا ذلك فقد أورد اسم أمير المخلاف السليماني غانم بن يحيى السليماني، عندما استنجد به الوزير مفلح ضد سرور، الذي هزم مفلح وأمير المخلاف، أو وفادة مسلم بن يشجب كاتب أمير المخلاف إلى الوزير سرور، والتي سبق الإشارة إليها[2].

ويكاد يكون ما تقدم - تقريباً - أهم، إن لم يكن كل ماذكره في تأريخه ، عن وطنه المخلاف السليماني ، ومع أن كتاب عمارة هو في ١٤٧ص ، وقد اشتمل على أخبار الإمارة الزيادية، والإمارة النجاحية في زبيد، وأخبار السلطنة الصليحية، وأخبار أمراء عدن آل الزريع، وإمارة علي بن مهدي وأبنائه ، فإنه لم يذكر أخبار تأريخ المخلاف السليماني في عهد آل عبد الجد الحكمي في الجاهلية ولا في الإسلام، ولا تاريخ قبيلة حكم بن سعد العشيرة .

كما أنه لم يذكر وصول مؤسس الإمارة السليمانية حمزة بن وهاس، ولا إمارة ابنيه الذين خلفاه في الإمارة، ولا لقتل عيسى بن حمزة بن وهاس، وتغَلُّبِ أخيه الأمير يحيى بن حمزة على إمارته ، ولا إمارة الأمير غانم بن يحيى بن حمزة، ولا أخبار ابنه وهاس بن غانم ، في حال أنه خصص صفحات لكل إمارة من الإمارات التي أشرنا إليها قبله ، وللكثيرين من أمراء الإقطاعيات في اليمن الأعلى والأسفل، كتعز وبعدان وإب وغير ذلك .

وقد نلتمس له العذر عن إهمال تأريخ آل عبد الجد الأولين ، في الجاهلية والصدر الأول من الإسلام ، لطول المدة وإغفال المؤرخين - إن وجد مؤروخون آنذاك - ولكن لا نجد له عذراً يستساغ في إهمالِ ما بعد ذلك في عهد سليمان بن طرف وأبنائه، وكذا إهمال تأريخ الإمارة السليمانية الوهَّاسِيَّة، من عهد مؤسسها الأمير حمزة بن وهاس إلى نهاية عهد وهاس الثاني، الذي قتله (عبد النبي بن علي بن مهدي) في معركة حرض، والذي يقول عنه من أرجوزة معروفة ، مفتخراً :

ألــــوت « بــوهـــاسٍ » ضحـــى فابتــــدرته مرحـــــــــــــا
فظـل من تحــــت الرحــــــا معفـــــراً مضرجــــــــــا

---

(١) تاريخ عمارة ص ٥٤ ، ١١٣ .

(٢) تاريخ عمارة ص ١١٤ .

إن إهمال عمارة لتأريخ المخلاف،حرم الأجيال من معارفٍ تأريخية وسياسية واجتماعية وأدبية وفكرية لا تقدر بثمن ، بحيث جعلنا إذا أردنا البحث عن تأريخ تلك الأحقاب،لا نجد ما ينير السبيل،أو يهدي الطريق،فنضطر مرغمين إلى الرجوع إلى تاريخ الإمارتين الزيادية والنجاحية ، أو تأريخ السلطنة الصليحية من كتاب عمارة نفسه ، وكما سلف أن ذكرنا،إننا لم نقف في تأريخه عن المخلاف السليماني،إلا على ثلاث جمل وردت عَرَضاً في تأريخ الإمارتين الزيادية والنجاحية،أو تاريخ السلطنة الصليحية . أو نطلب ذلك بالاستقراء في بعض مخطوطات التراجم،مثل ترجمة الشاعر المارني[1] الذي رثى عيسى بن حمزة السليماني،أو نرجع إلى مصادر بعيدة عن المنطقة،مثل عيون الأخبار،عندما ذكر وصول أحمد المكرم الصليحي إلى « هجر » من مدن المخلاف السليماني ومدح الشعراء له في « السَّاعِد » ومنهم أحمد بن علي التهامي[2].

فـ (عمارة) - رحمه الله - لم يفرد فصلاً لتأريخ وطنه - كما صنع لكل إمارة أو سلطنة،بل - على قلة ما ورد عنه - يورد ما يعن له عنه ضمن سياق أخبار الإمارة النجاحية ، مثل قوله :(حدثني الشيخ عبد المحسن بن إسماعيل، وكان كاتب القائد سرور ووزيره : أذكر وقد سار الأمير الشريف غانم بن يحيى الحَسَني في نصرة الوزير مفلح على سرور ، ومع غانم ألف فارس ومن الرجال عشرة آلاف،وانضاف إلى عسكر مفلح ، وانضمت إليها من العرب (بنو سعد)،وهم أحلاس الخيل وفرسان الليل و (بنو عمران) ، وبنو زعل ، وبنو حرام ، والحكميون ، وزحفوا إلينا ونحن في عدد يسير ، وقد كتب القائد سرور إلى أهل زبيد يستنفر الناس،وكانت الوقعة بالمهجم،ويبعد من زبيد ثلاثة أيام)[3] .

قال : وقلت للقائد : إن هذا تهور ، إنما نحن في هؤلاء كالقطرة في اليم ، أو لقمة في فم ، فقال امسك عليك فوالله إن الموت عندي أهون من الهزيمة،ثم التقى الناس،فكانت الدائرة على مفلح وغانم ومن معهما) .

---

(١) مطالع البدور - مخطوط -

(٢) راجع التحقيق عن موضع « الساعد » في كتابنا المعجم الجغرافي حَرف (س) .

(٣) تاريخ عمارة ص ١١٦ .

إن الحركة الأدبية والنشاط الفكري – في أي قطر من الأقطار – مرتبط بأقوى قطر مجاور له ، والتقليد والعدوى عاملان لهما أثرهما وتأثيرهما ، والحركة الفكرية ترف حضاري، ينبت ويترعرع في البيئة التي تجاوزت الاشتغال الكادح بضرورة المعيشة . والإمارة النجاحية وعاصمتها زبيد مركز نشاط علمي وأدبي، وقادتها من النجاحيين على جانب من التذوق الأدبي والثقافي، ووزراؤهم وقوادهم يهتزون للمديح ويطربون للثناء ويتذوقون الآداب الرفيعة، وبالأخص الشعر الذي لا يزكو نماؤه، ولا ينفق سوقه إلا بما يغدقه العطاء على أهله – في تلك العصور .

ومن هنا نقيس ونقدر نصيب المخلاف السليماني، في ذلك النشاط الفكري وتلك الحركة الأدبية .

إن الإمارة النجاحية التي أسسها أحد موالي الزياديين المعروف بـ (نجاح) واستمرت سنة ٤١٢هـ – ٤٥٢هـ طيلة نصف قرن – تقريباً – وخلّفها لابنه البكر سعيد بن نجاح المعروف بـ (الأحول)، الذي ولي الإمارة أولاً من سنة ٤٥٢ – ٤٥٤ وغلبه الصليحي على الإمارة، ثم استعادها من ٤٧٣هـ – ٤٧٥هـ وزالت عنه، ثم وليها ثالثة من سنة ٤٧٧ إلى ٤٨٢، فخلفه أخوه جيَّاش بن نجاح من سنة ٤٨٣هـ – ٥٠٣هـ، وبعد ذلك تغلب مواليهم على الإمارة، وحجزوا على من وليها من الأمراء النجاحيين .

وكان هؤلاء الموالي على جانب من حسن التصرف، والتحلي بالكرم والشجاعة والأدب . قال عمارة (.... ولم يكن لأولاد فاتك بن جياش من الأمر سوى النواميس الظاهرة، من الخطبة لهم من بعد بني العبَّاس، والسكة والركوب بالمظلة في أيام المواسم وعقد الآراء في مجالسهم ، وأما الأمر والنهي والتدبير وإقامة الحدود وإجازة الوفـــود . وما عدا ذلك فلعبيد فاتك بن جياش وعبيد منصور ابنه ، وهم وإن كانوا أحباشاً – تعربوا – فلم يكن ملوك العرب تفوقهم في الحسب إلا بالنسب ، وإلا فلهم الكرم الباهر، والعز الظاهر، والجمع بين الوقائع المشهورة والصنائع المذكورة)[1] .

---

(١) عمارة ١٠٢ .

إن أولئك الأحباش من موالي النجاحيين،منهم من استعرب بالمولد،ومنهم من جُلب صغيراً[1] وأتقن العربية مخالطة وتعليماً ودراسة،ومنهم من رُبي في قصر الإمارة ودرس مع أبناء مواليه النجاحيين[2]،الذين كانوا يختارون مؤدبين لأبنائهم من الفقهاء والأدباء[3].

فتولوا قيادة الجيش والحجابة والوزارة،وقلدوا مواليهم في البذخ وبناء القصور وتشييد الدور .

إن الأمير منصور بن فاتك بن جياش قد بلغ عدد جواريه وحظاياه ألف سرية وحظية ، وعهده من أضعف عهود الأمراء النجاحيين،فكيف كان الحال في العهد الزيادي ، أو في عهد نجاح،أو ابنيه سعيد الأحول وجياش .

ثم إن ألف جارية ما بين سرية وحظية ، ما هو سعة القصر الذي يأويهم ؟ وما هو عدد غرفه وسعة أبهائه وصالاته ومقاصيره ؟ ، وكم هي موازانة ذلك القصر المخصصة لسد نفقات مثل ذلك العدد،مما يلزم للمطابخ الملحقة به ، والمبالغ المرصودة لكسوتهن وزينتهن وطيوبهن ، ولحليهن التي تصرف لهن في الأوقات العادية ؟ ، فكيف بما يصرف في المواسم والأعياد والأفراح والمناسبات،وكم عدد خدم القصر والقائمين على شؤونه من غلمانه وحراسه ، وموظفيهم و .... و .... ؟ ، وقد كان للقصر وزير مختص للإشراف على أموره وتدبر شؤونه ، ويشير عمارة على أن من بين من تولى ذلك المركز سرور الفاتكي،الذي تولى رئاسة الحكومة فيما بعد[4]، وكان الوزراء من أولئك الموالي ترفع فوق رؤوسهم المظلة في مواكبهم ، وكان لأول وزير منهم،وهو أنيس الفاتكي، قصور واسعة ، وصفها عمارة بقوله : « وهي قصور واسعة رضية ، عرض كل قاعة فيها ثلاثون ذراعـاً،وعرض كل مجلس أربعون ذراعاً[5]، واقتنى الفتيات البارعات الجميلات ، فيهن « علَم »،التي اشتراها من تركة الأمير النجاحي نفسه[6]،وكان أنيس هذا جواداً مهيباً،يهتز لمديح الشعراء ويثيبهم على أشعارهم ثواباً جزيلاً »[7]، ويقول عمارة : إنه بلغ

---

(١)، (٢)، (٣) عمارة ص ١٠٢ .
(٤)، (٥)، (٦) عمارة ص ١١٦ .
(٧) عمارة ص ١٠٧ .

ما مدح به الوزير مَنَّ الله الفاتكي من شعر الشعراء المجيدين المشهورين عشرة أجزاء كبار ، أفلا يكون في مجموعة أولئك الشعراء المجيدين بعض شعراء من أهل المخلاف السليماني .

ومما يسجل لذلك الوزير من المواقف الكريمة،ما أوقفه من الأوقاف الواسعة على مدارس العلم للفقهاء الحنفية والشافعية،من الأراضي والمزارع والرباع بما أغناهم عن سواه[1]، وقد قتل هذا الوزير سنة ٥١٧هـ .

والوزير رزيق الفاتكي،وصفه كاتبه محمد بن عبد الله اليافي بالشجاعة الخارقة،والكرم الفياض على الشعراء خاصة،وكان أكولا إلى حد الشراهة ومات عن ثروة لا تحصى من الأرض والعقار .

أما الوزير مفلح الفاتكي،فقد نعته عمارة بقوله : وكان أبو منصور هذا رشيداً من الأعيان،أهل الخبرة والفقه والأدب والصباحة والشجاعة والسماحة والرياسة الكاملة ، وكان الناس يقولون:لو كان له نسب من قريش كملت له شروط الخلافة[2]،ولذا يعتبر إيراد عمارة لأوصافه وهو العربي الصميم،مما ينطبق عليه في قول البحتري في سينيته المشهورة في إيوان كسرى ، وقومه « الفرس » :

وأراني من بعد أعجب بالأشرا ... ف طراً من كل جنس وأس

ومع تلك الأوصاف النبيلة وصفه بالعفة والتصون عن الفواحش،وأورد مايؤيد ذلك من واقعه ، وذياع صيته ، وممن وفد إليه في عاصمتهم مدينة زبيد من الشعراء أبو المعالي ابن الحباب من الديار المصرية ، وفي أثناء إقامته بزبيد اشترى غلاماً حبشياً برسم الخدمة ، فهرب الغلام والتحق بغلمان الوزير مفلح ، فكتب أبو المعالي البيتين الآتيين ورفعهما إلى الوزير :

وأنت سحاب طبق الأرض صوبه ... وعاقته عن سقياي بعض عوائقه
فإن لم تجدني هاطلات غمامه ... فلا تدن مني محرقات صواعقه

(١) عمارة ص ١٠٧ .
(٢) عمارة ص ٤٩ .

فلما وصل البيتان إلى الوزير ، وعرف القصة أعاد إليه غلامه مع خمسة من جنسه ، ومما أورده عمارة عنهم القصة الآتية :

(كان من رجال النجاحيين مولى يسمى فرج السحرتي ، وكان من أهل المعروف والصدقات ، وله الدور الواسعة ، وكان من نزل بمسجده أكرمه وآواه ، يتنكر ليلاً ويدخل المسجد يتحسس أخبار الضيوف سراً عن وكلائه وخدمه ، خرج ذات ليلة فظفرفي المسجد بشاب يقرأ القرآن ، فسأله عن العشاء – أي هل تعشيت –،فأنشده قول المتنبي :

من علم الأسود المخصي مكرمة أعمامه الغر ، أم آباؤه الصيد

فأخذه فرج وصعد به إلى أعلى مكان في داره ، وأكرم مثواه ، واستخبره عن سبب قدومه إلى تهامة،وكان هذا الشاب هو علي بن محمد الصليحي – بالطبع قبل أن يكون ملكاً –،فقال الصليحي : إن لي عما يقال له:« شهاب »،وله إبنة يقال لها:« أسماء » قليلة النظير في الجمال ، معدومة المثل في الأدب والعقل ، خطبتها إليه فاشتط في المهر ، وأمها تقول:لا تزوجها إلا لبعض ملوك همدان بصنعاء ، أو ملوك بني الكرندي بمخلاف جعفر .

وقد استاموا علي في المال مبلغاً لا قدرة لي عليه ، وأنا متوجه إما إلى بني معن بعدن ، وإما إلى ملوك بني المعافر،فابتسم فرج السحرتي،ودفع للشاب مالاً جزيلاً أضعاف ما أدى الصليحي)[1].

كما أورد عمارة القصة الآتية عن النجاحية،نوردها هنا لطرافتها بإيجاز :

الأتراك الغز

بعد انتصار جياش واستعادة إمارة تهامة من الصليحيين،بعث يستدعي من العراق فريقاً من (الغز) للاستعانة بهم في محاربة الصليحيين،فلما تحركوا من مكة إلى زبيد شعر

(١) عمارة ص ٤٩ .

جيَّاش بالندم،خوفاً أن يمثلوا معه الدور الذي مثله الأتراك مع خلفاء بني العباس ، فأمر رجـــاله الذين مع الغز،أن يضعوا السم فيما يأكلون ويشربون،فمات منهم كثيرون ، ولم يصل منهم سالماً إلى زبيد سوى ألف،وبوصولهم إليه في زبيد جهز منهم خمسمائة إلى الجبال،فملكوا له جهات واسعة ، ولما بلغوا إلى كور صنعاء،أمر رجاله بدس السم لهم - أيضاً - ومن بقي منهم فرق كلمتهم[1]. والخلاصة أنه لم يبق منهم إلا أربعمائة قواس تحت قيادة ثلاثة منهم وهم :

١ - سولي ٢ - طياس ٣ - عثمان

فأقطعهم الإقطاعات والضياع الواسعة، فتأثلت أحوالهم،وتوسعت أمورهم،وكثرت أموالهم،ثم مات سولي وطياس،فاستولى عثمان على أموالهم،وكفل أبناءهم،ويحكي هذا عمارة كشاهد على عفاف الوزير مفلح،القصة التي أوردناها في كتابنا « ديوان السلطانين » ص ٢٠ ، ويضيف لنا ما كان في تلك الإمارة من البذخ في الولائم،وإقامة حفلات الغناء وأعطيات القوم التي تشمل الضياع والمزارع وما تحتويه[2]..

تغمر كل مطلع الدهشة،فيما سطره عمارة في تاريخه المعروف بالمفيد،عن موالي النجاحيين،الذين انحدروا من نجاح الحبشي،الذي جلب صغيراً وتربى في حضن الأمير الحسين بن سلامة ، ويظهر أنه تلقى العربية في طفولته الباكرة،ودرس وتأدب حتى أصبح نائباً للأمير الزيادي بعد موت مولاه الحسين بن سلامة ، ثم استقل بالإمارة وورثها لأبنائه . والأغرب والأدهش أن النجاحيين - أيضاً - لهم مماليك،هم بدورهم جُلب أباؤهم من الحبشة،أو وصلوا صغاراً وأصبحوا عرباً أو مستعربين بالمولد أو بالمخالطة والتلقين ، ودرسوا وتأدبوا مع أبناء مولاهم نجاح،حتى نجحوا في إتقان العربية وآدابها وفقهها ، وتبوؤا أهم المراكز في الدولة،وعرفوا كيف يستقطبون ولاء الشعب التهامي السني العقيدة والمذهب مثلهم،بحيث أصبح أهل تهامة يمحضونهم الإخلاص،ويؤثرونهم على غيرهم من الأمراء العرب،مثل:علي بن محمد الصليحي،وابنه أحمد المكرم،وإمام الزيدية أحمد بن سليمان،وغيرهم .

---

(١) إن هذا من أقذر وأحط وسائل الظلم والخسة والبعد عن خوف الله سبحانه .

(٢) عمارة ص ١١١ .

ومعروف أمر سعيد الأحول وثورته الناجحة ضد الصليحي،وكيف كان سعيد الأحول متخفياً في زبيد،في دور أحد وجهاء المدينة وتجارها،يدبر أمر حركته السرية وأكثر أهل زبيد يتعاطفون معه ويساعدونه سراً،ويكتمون أمره عن عامل الصليحي،بل ويتناقلون ما يذيعه بينهم سعيد الأحول،من التنبؤات عن زوال الصليحي،وإعادة دولة النجاحيين بالفرح والابتهاج .

ولم يقف الأمرعندإخلاص أهل تهامة للنجاحيين لـ « سعيد الأحول » ابن نجاح،بل تعداه بعد قتل سعيد الأحول إلى أخيه الأمير جياش،الذي كان الحرب سجالاً بينه وبين الأمير سبأ الصليحي،الذي كان إذا برد الجو – جو تهامة الحار – واعتدل المناخ انحدر بجيوشه واستولى على تهامة،وتحت ضغط القوة ينسحب الأمير جياش متراجعاً إلى الشواطىء والجزر ، وإذا أقبل الصيف زحف جياش بجموعه وأنصاره،وأرغم سبأ الصليحي وجيشه على الانسحاب من تهامة إلى المرتفعات الجبلية .

وبعودة جياش،يتلقاه الناس بمواكب الأفراح وحفلات الابتهاج،ويخرجون لاستقباله بالأعلام والزينات،والدعوات والابتهالات،ويحتفي العلماء بقدومه،ويتطاول الأدباء حبوراً بعودته،وقد يتعجب المرء لما يبديه الناس من التعاطف مع أولئك الأمراء المنحدرين من أصل حبشي ،أو بين الراعي والرعية، وقد لا يطول العجب إذا استنتجنا الأسباب الآتية :

١ – ان الناس كانوا يرون الإسلام هو أقوى رحماً وأقرب صلة من الأجناس والقوميات وبالأخص إذا كانت الحكومة مسلمة سنية العقيدة مثل من تتولى أمرهم[1] .

٢ – ان النجاحيين يمثلون الخلافة الشرعية السنية في بغداد،وأهل تهامة سنيون شوافع ، بل ان مذهب السنة والجماعة كان الغالب في جنوب الجزيرة في الجبال وتهامة ، وكان مذهب الإمام زيد ينحصر في ذلك التاريخ فيما بعد « ذمار » وشمالاً إلى

(١) جاء في تعليق المحقق لتأريخ عمارة على حواشي المستشرق « كاي » حول الحاشية (٨٦) قول المحقق : (التفت الجماهير بفضل سعي الفقهاء حول بني نجاح الأحباش ؟ الذين صاروا في نظرهم رمزاً للمذهب السني ، وفضلت حكم العبيد على وحدة اليمن تحت ظل دولة الصليحي العربية ، والحقيقة أن الصراع بين الصليحي والنجاحيين هو يتجاوزهما،فهو صراع بين الخلافتين العباسية – المتمثلة في نوابهم النجاحيين – والفاطمية الإسماعيلية في مصر – المتمثلة في الصليحيين .

صعدة فقط ، ومذهب الإسماعيلية محصوراً في بعض المرتفعات الجنوبية وفي جهات عدن ، والتنافر والإختلاف واقع بين الشيعة والسنة على إختلاف طوائفهم .

وحسب الناس في تلك العصور من يحسن رعايتهم،ويشاركهم في معتقدهم ومذهبهم ويحترم ميولهم وعواطفهم .

إن تلك السياسة التي سار عليها النجاحيون،هي التي وضع أسسها محمد بن زياد القادم من بغداد من لدن الخليفة المأمون العباسي ، فقد أبقى على إمارة كل قطر أميره المحلي،واكتفى منه بالخطبة للخليفة العباسي ، وبعث ما يترتب عليه من الخراج إلى زبيد ولا شيء غيره ، والمخلاف السليماني هو مقاطعة من مقاطعات جنوب الجزيرة،مثله مثل حلي ونجران وجرش،التي رأت في ابن زياد نائباً للخلافة العباسية ليس إلا ، برغم ما وصف به ابن زياد من الجبروت،ومصادرة خيل وسلاح قبائل تهامة . وإنما قد يكون ذلك ممن مالئوا الثائر العلوي إبراهيم بن محمد الملقب بالجزار،أو غيرهم من الممالئين للثائر والمباينين للخلافة العباسية السنية .

هذاماعن لناعن ذلك الوضع،وما نَجَمَ عنه بعد ذلك،من ميول أهل تهامة إلى الزياديين أولاً ثم النجاحيين ثانياً ، وأهل المخلاف السليماني هم من أهل منطقة تهامة السنيين ينعكس عليهم ظلال قاعدة مركز نائب الخلافة العباسية،التي هي مدينة زبيد،سياسياً وأدبياً .

ومع إسهاب عمارة في الإشادة بالنجاحيين ، والإطالة في الثناء على عهدهم،فقد أوردنا ذلك – كما تقتضيه الأمانة التاريخية – لا رغبة في استعراض مآثرهم ، بل لاستجلاء الثقافة في عهدهم،ورواج الأدب في عصرهم ، ولتأثير ذلك وانعكاسات ظلاله على الحياة الفكرية والأدبية في المخلاف السليماني،والإرتباطات السياسية والإقتصادية والاجتماعية والجوار والإتصالات ، فكانت السياسة اللامركزية في الخلافة العباسية تربط عدة جهات بعامل واحد ، فمثلاً : كان عامل مصر تناط بعمالته ليبيا والقيروان وشمال إفريقيا ، وعامل خراسان تناط به البلاد المشرقية إلى ماوراء النهر ، كما كان يناط بأعمال عامل المدينة نجد وغيرها .

وبما أن زبيد عاصمة جنوب الجزيرة إلى حضرموت ، حتى عهد أبي الجيش ابن زياد ، ثم تقاصرت على تهامة من جنوب عدن إلى جنوب الشرجة .

إن القوي يقلد الأقوى ، وإن الحياة الأدبية والفكرية،هي صورة مصغرة في بقية النواحي،لما كان في العاصمة القطرية زبيد .

نورد ما أوردناه عن النجاحيين،ونكرر ما قلناه قبله،لا رغبة في استعراض ثقافة عربية دمغتهم بطابعها العربي ، ولا لعرض حضارة عصرهم،الذي هو صورة مصغرة لأدب الحضارة العربية للعصر العباسي في جنوب الجزيرة ، وإنما لتأثير ذلك ، وانعكاس ظلاله على ثقافة وأدب المخلاف السليماني المجاور لهم،ولإرتباطه بهم باسم المذهب السني والإنتماء العباسي .

لقد تأسست إمارة جديدة وسيادة حديثة – بالنسبة إلى المخلاف السليماني – هي إمارة حمزة بن وهاس السليماني،في النصف الثاني من القرن الخامس،تحتاج إلى وقت لتتلائم مع بيئتها الجديدة،ويتلاءم الناس معها سياسة وسلوكاً وإدارة ، ولا نستطيع أن نحكم هل كان الوضع الجديد قد عاد على الأدب بربح أو خسارة؟ فإنه ليس لدينا أنماط عن أدب المخلاف في عهد آل طرف القديم،ولا في عهد آل وهاس الجديد،إلا إذا اعتبرنا شعر علي بن محمد التهامي هو من مكاسب عهد آل طرف،وشعر عمارة من مكاسب عهد آل وهاس السليمانيين .

❊ ❊ ❊

شعر المديح



شعر

عمارة بن أبي الحسن الحكمي(١)

قال يمدح الخليفة الفائز :

الحمد للعيس بعد الحمد للهمم ... حمداً يقوم بما أوليت من نعم
لا أجحد الحق عندي للركاب يد ... تمنت اللجم فيها رتبةَ الخطم
قَرَبن بُعْدَ مزار العز من نظري ... حتى رأيت إمام الحق من أمَم
ورحن من كعبة البطحاء والحرم ... وفداً إلى كعبة المعروف والكرم
فهل درى البيت أني بعد فرقته ... ما سرت من حرم إلا إلى حرم

---

(١) شاعر على مستوى الأمة العربية ، أشهر من أن يعرف ، ولد في المخلاف السليماني – منطقة جازان – في مدينة يقال لها الزرائب(١) ، وقيل « مرطان » من وادي وساع ، ولازال هذا الوادي يحمل اسمه التاريخي إلى يومنا هذا ، تلقى العلم في وطنه،ثم رحل إلى مدينة زبيد لتلقي العلم والتوسع في معارف عصره،وبقى إلى أن تخرج،ثم اشتغل بالتجارة والسياسة بين « عدن » و « زبيد »،وحج ومدح أمير مكة فأعجب به واصطفاه،وبعد ذلك بعثه في مهمة إلى « البلاط » الفاطمي بمصر ، وهناك مدح الخليفة الفاطمي بقصيدته المشهورة :

الحمد للعيس بعد الحمد للهمم ... حمداً يقوم بما أوليت من نعم(٢)

ومكث مدة بمصر ، عاد بعدها إلى وطنه المخلاف السليماني ، ومنه إلى زبيد وعدن،ثم رجع إلى مصر واتخذها دار إقامة،وظل بها حتى قتل شنقاً بأمر صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٩هـ ، ولنستعرض حياة عمارة من خلال ما يأتي :

١ – مولد عمارة وعصره .
٢ – موطن عمارة .
٣ – الشاعر عمارة يتحدث عن نفسه .
٤ – عمارة ابن المخلاف السليماني .
٥ – عمارة ومذهب الإسماعيلية .
٦ – علاقة عمارة بالقاضي الفاضل .
٧ – عمارة والأيوبيون .
٨ – كتاب عمارة المفيد في أخبار زبيد .

---

(١) في جبل مصيدة من جبال بني الغازي بقعة – مجموعة من البيوت – يطلق عليها اسم الزرائب ، نرجح أنها البقية الباقية من مدينة الزرائب التاريخية ، كما توجد في بنى الغازي أكثر من قبيلة تسمى آل زيدان باسم القبيلة التي ينتسب إليها عمارة ، وعسى أن يهيىء الله لنا فرصة نزور تلك الجهة،لعمل تحقيق ميداني عن كل ما أوردناه هنا .

(٢) الحمد : لا يكون إلا لله . سبحانه وتعالى . وهذا من الشاعر خطأ وتجوز ، والأفدح من ذلك قسمه بـ « الفائز » . والقسم بغير الله لا يجوز .

حيث الخلافة مضـــروب سرادقهـا بين النقيضـين من عفـو ومـن نقـم

وللإمامـــة أنـــوار مقدســـة تجلو البغيضين من ظلم ومن ظلـم

وللنبـوة آيـــات تنـص لنـــا على الخفيـين من حكم ومن حكـم

وللمكـارم أعـــلام تعلمنـــا مدح الجزيلين من بأس ومن كـرم

وللعـلى ألســن تتـلو محامدهـــا على الحميدين من فهـم ومن شـيم

ورايـة الكـرم البـذّاخ ترفعهـــا يد الرفعـين من مجـد ومن كـرم

أقسـمت[1] بالفائز المعصوم معتقداً فوز النجاة وأجـر البر في القسـم

(مولـد عمـارة وعصـره)

ولد عمارة سنة ٥١٥هـ وقد مضى على زوال إمارة ابن طرف من آل عبد الجد الحكمي ٦٥ سنة وخلفهم على إمارة المخلاف السليماني آل وهاس المعروفون بالسليمانيين القادمين من الحجاز بعد أن أرغمهم أبناء عمومتهم حلفاء خليفة مصر الفاطمي،لأن آل وهاس السليمانيين حلفاء بني العباس في بغداد ، وبوصولهم إلى المخلاف السليماني اتفق حمزة بن وهاس زعيم المَجَلِيِّين مع النجاحيين نواب حلفاء بغداد على تولي حكم المخلاف السليماني فكان أول أمير على المنطقة من تلك الأسرة وهم :

١ – حمزة بن وهاس المؤسس للإمارة .

٢ – أ – « عيسى بن حمزة » ب – « يحيى بن حمزة » وقتل يحيى أخاه عيسى واستقل بالإمارة .

٣ – غانم بن يحيى بن حمزة .

وكانت إمارتهم في المخلاف مرتبطة سياسياً بالنجاحيين في زبيد والقاسم المشترك بين آل وهاس والنجاحيين هو الولاء للخلافة العباسية – كما أسلفنا – .

وقد اشترك يحيى بن حمزة أولاً ، وابنه غانم بن يحيى ثانياً بقبائل المخلاف السليماني مع النجاحيين ضد الصليحيين الموالين للخلافة الفاطمية .

فالأمير يحيى بن حمزة اشترك مع الأمير جياش بن نجاح في معركة الكظائم ضد الصليحيين في شهر ذي الحجة سنة ٤٧٩[1] وقد أوردنا بعض أبيات من قصيدة الأمير يحيى بن حمزة الذي قالها مفتخراً ببلائه في تلك المعركة .

والأمير الابن غانم بن يحيى اشترك مع الوزير مفلح الفاتكي ضد القائد سرور الفاتكي بألف فارس وعشرة آلاف راجل لكن القائد سرور تمكن من هزيمة خصمه الوزير وحليفه الأمير غانم[2] وكانت هذه الوقعة في سنة ٥٢٧هـ وعمر شاعرنا اثنى عشر سنة .

(١) القسم بغير الله سبحانه وتعالى هو شرك نبرء إلى الله منه وهذه القصيدة ذائعة وموجودة في أكثر الكتب الأدبية من العقد السادس إلى الآن .

---

(١) الصليحيون والحركة الفاطمية ص ١٥٢ .

(٢) عمارة ١١٣ ونلاحظ أن هذا العدد الكبيرفوق إمكانية المخلاف السليماني في ذلك التاريخ ، وإن كان قد ذكر عمارة في ص ١١٦ بأنه انضمت إليها بنو شعل وبنو عمران ، وبنو حرام ، والحكميون وهذا أول مرة يرد فيها اسم الحكميون من بعد زوال إمارة آل طرف الحكميون .

لقـد حمى الدين والدنيـا وأهلهمـا	وزيره الصـالح الفـراج للغمـم
اللابـس الفخـر لم تنسـج غلائلـه	إلا يد الصـانعين السـيف والقـلم
وجـوده أوجد الأيـام ما اقترحـت	وجـوده أعـدم الشـاكين للعـدم
قد ملكتـه العـوالي رق مملكـة	تعـير أنف الثريـا عـزة الشـمم

* * *

لقد كان خراج المنطقة في عهد سليمان بن طرف في منتصف القرن الرابع خمسمائة ألف دينار ، وكانت إمارة ابن طرف تعد الأولى في الإقطاعيات ويتلوها إقطاعية الحرامي أمير حلي[1].

ويظهر أن في عهد آل وهاس وبأسباب اشتراك الأمير يحيى بن حمزة والأمير الابن غانم بن يحيى – بعده – مع النجاحيين زادت التكاليف ، وارتفعت الضرائب على سكان المنطقة ، فاستنفار ألف فارس وعشرة ألاف راجل من منطقة محدودة الطاقة البشرية والمادية هو عدد كبير على المنطقة،ينجم عنه انهيار الحالة الاقتصادية ونضوب الأيادي العاملة في الزراعة والماشية،لا سيما وأن المنطقة بأسرها تشتغل بالزراعة،التي هي المصدر الوحيد لدخولات الأكثرين من أهل المنطقة .

يضاف الى ذلك العبء ، حروب وغارات تبودلت وتداولت بين السلطانين الحُجورين(سليمان والخطاب) والأمير غانم بن يحي جَرَّت على المخلاف السليماني الخراب والدَّمار ، ومن قصيدة سليمان ابن أبي الحفاظ إلى أخيه، نعرف أن الخطاب وَالَى الغارات على بلاد الأمير غانم أمير المخلاف السليماني وأكثر النهب وقطع الطرق وضيق السبل ، إذ يقول سليمان :

يبكي على فقـدي الذين تعـودوا	أني أذب عليهـم وأُحـامـي
وسـواي أنهبـهم وفرق جمعهم	ما بين بيش وسـردد وسـهام
وتقطعـت طرق البـلاد وأقفـرت	فكـأنما خسـفت بفعـل أثـام
من لـم يـر إرمـاً ومدينَ فليقـف	منها بدورٍ أو عَـروش خيـام[2]

ونعلم من مدائح السلطان سليمان في الأمير منصور الفاتكي ووزرائه أن تلك الحوادث وعمارة طفلاً .

موطـن عمـارة

قد أشار عمارة نفسه في تاريخه إلى مكان مولده وبلدته ونشأته – كما أوردناه قبل هذا في ص ٧٤ – عرضاً – في أخبار الصليحي،فسجل ما يأتي : (من أخبار الصليحي أنه في سنة ٤٥٠ هـ ، بلغه أن (ابن طرف) صاحب المخلاف السليماني قد اجتمع إليه حشد من ملوك الحبشة وأخلاط السودان – يقصد بهم النجاحيين – فسار إليهم في ألفي فارس فالتقوا (بالزرائب) من أعمال (ابن طرف)،وهو الوطن الذي ولدتُ فيه وبها أهلي الى اليوم فاستحرّ القتال أول يوم بالعرب ثم كانت الدائرة على السودان،فلم يبق منها إلا ألف احتازهم جدي أحمد بن محمد في حصنه بعكوة) .

(١) عمارة ص ٣٩ .

(٢) ديوان السلطانين – مخطوط ، و الذي حققناه و طبع في سنة ١٣٧٤هـ ، و ط٢ في ١٤٠٣هـ

أرى مقاماً عظيم الشـأن أوهمـني	في يقظـتي أنـه من جملة الحـلم
يـوم من العمـر لم يخطـر على أمـلي	ولا ترقَّـت إليـه رغبـة الهمـم

(والعكوتان جبلان منيعان لا يطمح أحد في حصارهما وفيهما يقول راجز الحاج :

إذا رأيـت	جبـلي عكـاد
والعكـوتين في	مكـان بـاد
فأبشـري يا عين	بالرقـاد

وجبلا عكاد فوق مدينة (الزرائب)،وأهلهاباقون على اللغة العربية من الجاهلية لم تتغير لغتهم ، بحكم أنهم لم يظْعَنوا أو يختلطوا بأحد قط من أهل الحضر،في مناكحتهم ولا مصاهرتهم ولا مساكنتهم،وهم أهل قرار لا يظعنون ولا يخرجون) .

ويقول عمارة : (ولقد أذكر أني دخلت زبيد في سنة ٥٣٠ هـ ، أطلب الفقه دون العشرين فكان الفقهاء يتعجبون في كوني لا ألحن في شيء من الكلام(١)).

وجاء في تاريخ ابن خلكان في ترجمة عمارة:(قرأت في بعض تأليفه أن وطنه تهامة اليمن بمدينة يقال لها (مرطان) من وادي وساع تبعد من مكة في مهب الجنوب أحد عشر يوماً وأنه بلغ الحلم سنة ٥٢٩ هـ(٢) وهذه المسافة تنطبق على بلدة الزرائب أيضاً) .

وعلى ذكر العكوتين،فقد كنت أظن أنهما الجبلان المعروفان شرقي مدينة صبيا،والتي تطل على قرية (جخيرة)،فزرتها في عام ١٣٧٧ هـ في وقت كانت الطرقات غير معبدة والمنطقة لم يشملها العمران الذي تزخر به في الوقت الحاضر .. وارتقيت جبل عكوة اليمانية،التي هي أكبر وأوسع من جبل عكوة الشامية ، قد سجلت تلك الرحلة في جريدة اليمامة في ٩/١٧ ، ١٣٧٧/٩/٢٤ هـ،ثم أوردتها بعد ذلك في كتابي « الجراح بن شاجر الذروي شاعر المخلاف السليماني المتوفى سنة ٩٢٤ هـ » .

وخلاصة تلك الدراسة على الطبيعة:أن عكوة اليمانية جبل يكوّن شبه نصف دائرة غير متوازية الأضلاع فهو أشبه بالقوس العربي القديم،وينتصب كحائط مرتفع يستغرق الصعود إليه من الناحية الشمالية الغربية نحو ثلث ساعة،فإذا أرتقيت سطحه تجده لا يزيد عرض رأس الحائط عن ثلاثة أمتار تقريباً أو أقل،يقطعه الماشي إلى نهايته في الضلع الجنوبي الغربي في نحو ساعة ونصف،وهناك يتسع عرض الجبل نسبياً إلى أحد عشر متراً على امتداد طوله ٣٦ م تقريباً .. ويوجد بها بقايا أسس مبان .. غرف تقدر بثلاث عشرة غرفة،ويبلغ طول احدى الغرف المحتفظة بشكلها ٦ × ٤ أمتار،وفي وسط المباني درج تتكون كل مرقى منه من حجر واحد،وليس في الجبل ولا حوله ماء .. ماعدا بئر في السفح حديثة نسبياً،فهمنا من شيخ جخيرة محمد عثمان الذروي وبعض المسنين أن الإمام محمد الإدريسي أمر بحفرها سنة ١٣٢٨ هـ - تقريباً -،فلم يجد بها ماء بعد أن وصل الحفر إلى عمق عشرين قامة فتركت ، وفي وقت وقوفنا عليها كان أغلبها مردوماً بالتراب،فاكتفينا بما سجلناه .

---

(١) تاريخ عمارة ص ٥٤ .

(٢) تاريخ ابن خلكان - مخطوط .

ليت الكواكب تدنو لي فأنظمها عقود مدح فما أرضى لكم كلمي
ترى الوزارة فيه وهي باذلة عند الخلافة نصحاً غير متهم

إن الجبل لا يتسع بمبانيه لمائة شخص،فضلاً عن أنه يتسع لألف رجل،كما ورد في قول عمارة قبله ..

لذلك طفقنا نوالي التحري والبحث بين لعل وعسى حتى أسفر مجهودنا عن وجود بقعة (قرية صغيرة) بين ضلعين يسميان العكوتين في الطرف الجنوبي الشرقي من جبل مصيدة،المصاقب لجبل حريص الحشر ، فكانت ركيزة لاستقراء جديداً بالنسبة إلى موضوعنا،فترجح لدي أن تلك القرية المسماة الزرائب،هي المتبقية من بلدة عمارة للأسباب الآتية :

١ – أن القرية أو البقعة المسماة الزرائب هي الوحيدة في المنطقة بهذا الاسم .
٢ – أن الضلعين والبلدة من جبل مصيدة من جبال بني الغازي،وهو جبل واسع وشامخ وحصين وكثير الأشجار وبه الماء ، وكل الأوصاف التي ترشحه والضلعين الموجودين به بأن يكون هو مكان مولد عمارة .
٣ – وجود قبيلة من قبائل بني الغازي تعرف بآل زيدان إلى الوقت الحاضر .

وعلاوة على ذلك نجد حديثاً لعمارة نفسه عن عمه علي بن زيدان يحتوي على ما نصه:(.. وكان الناس – يقصد أهل بلدته – في أشهر القيظ يسرحون أمواهم – يقصد أنعامهم – قبل الفجر إلى واد مُعشب مخصب مسبع بعيد عن البلدة يقال له صبيا ..ويسرح معه في كل يوم خمسمائة قوس تحرسه ؟)[1].

فهذا يدلنا على أن الأنعام تسرح من بلدة الزرائب إلى وادي صبيا وتعود إلى البلدة في المساء[2]،وقد سجلنا هذا في الطبعة الثالثة من المعجم الجغرافي . ونزمع إن شاء الله رحلة علمية إلى عين المحل للتطبيق العلمي والبحث عن بقايا آثار الحصن الذي أشار إليه عمارة في الضلع الذي فوق مدينة الزرائب ..

إن المسافة من جبل مصيدة في بلاد بني الغازي إلى مجرى وادي صبيا في الحزون بحيث يمكن لرعاة الأنعام أن يسرحوا إليه مبكرين ويعودوا في المساء،وهذه المسافة يوجد بها من الأودية :

١ – وادي قصي .
٢ – وادي صبيا .
٣ – وادي دامس .

ويلتقي أولاً وادي دامس بوادي صبيا،ويكونان مجرى واحداً،وترفدهما عدة شعوب قبل الالتقاء وبعد الالتقاء ، ثم يلتقيان بوادي قصي جنوباً في موقع يسمى (مجمَّع الأودية)،ومن بعد ذلك لا يعرف إلا بوادي صبيا .

ووادي صبيا (الأصل) مآتيه – قبل أن يلتقي بوادي دامس – من جبال آل أمصهيف وما كان أعلى منها وحواليها،وهو يعرف بوادي صبيا من هناك ومن قبل التقائه بوادي دامس،وهو ما نرجح أنه كانت ترعى فيه أنعام أهل بلدة الزرائب .

---

(١) هكذا في الأصل .

(٢) النكتة العصرية في أخبار الوزارة المصرية .

عـواطف علمتنــا أن بينهمـــا	**قرابـة من جميـل الرأي لا الرحـم**
خليفـة ووزيـر مـد فضلهمـــا	**ظـلًا عـلى مفـرق الأيـام والأمـم**
زيـادة النيـل نقـص عنـد فيضهمـا	**فمـا عسـى يتعـاطى هاطـل الديـم**

* * *

وقد نكون بهذا البحث سلطنا بعض الأضواء على موقع بلدة الزرائب وما حولها،أما بلدة مرطان التي أشار على أنها بوادي وساع فحتى هذاالتاريخ لم نعثر لها على أثر،ولم نجد لها أسماً ضمن قرى وبقاع الجبال الممتدة من جبل مصيدة إلى ما بعد وادي وساع ..

إن إلقاء نظرة على الخارطة تتيح لنا أن من المعقول والممكن أن ترعى أنعام بلاد عمارة في أعالي وادي صبيا قبل التقائه بوادي دامس،فهذا بيت من الشعر الشعبي معروف بين أهل تلك الجهة،مضمونه أن إبلهم ترعى في وادي قصي ومراعي جبال بلاد (الحُسّاب) وترد موارد مياهه وادي صبيا،وقد روى لي البيت الأخ عبد الله البَطِي الذي أقام في تلك الجبال مدة طويلة ..

ترعـى « قصـي وديـرة الحسـاب »
ولا ورد « صـبيا » مناهيـله

مصـادر البحـث :

١ – تاريخ عمارة .
٢ – وفيات الأعيان لابن خلكان .
٣ – النكتة العصرية لعمارة .

الـرواة :

١ – الأخ عبد الله البطي .
٢ – علي حمود المحائلي كاتب إمارة بني حريص سابقاً،وكاتب إمارة المضايا لاحقاً،والمحال إلى التقاعد مؤخراً .

الشـاعر عمـارة يتحـدث عن نفسـه

هذا الشاعر الذي كان اسمه ولازال على مستوى العالم العربي،فهو شخصية من الشخصيات الخالدة المتعددة المواهب،وإذا كان غلب عليه الشعر وكان أسطع مواهبه،فهو أيضاً فقيه من فقهاء الشافعية المعروفين،وفرضي له اليد الطولى في علم الفرائض،ومؤرخ يشهد له كتابه المعروف بـ (مفيد عمارة) في تاريخ اليمن ، ولذلك يقول محقق تاريخه الدكتور حسن سليمان محمود (كان يُعْرَفُ عمارة) عند أهل بلدته – يقصد المخلاف السليماني – منطقة جازان حالياً – (بالحدقي)،وعند أهل مصر باليمني،وعند أهل اليمن وعدن والجبال بالفقيه ، وعند أهل زبيد بالفرضي .

وعهدي بالصالح وهو يستعيدها في حال الإنشاد،والأستاذون[1] وأعيان الأمراء والكبراء

هو ثاني شخصية من أبناء المخلاف السليماني الذين طوحت بهم الأقدار عن وطنهم إلى مصر وقضى عليهما بالقتل ، فالأول الشاعر المعروف علي بن محمد التهامي الذي سبقت ترجمته .

والآخر هو عمارة الحكمي الملقب بعمارة اليمني ، أما اسمه الكامل فهو عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان بن أحمد بن محمد المولود في بلدة الزرائب من أعمال المخلاف السليماني – منطقة جازان – سنة ٥١٥ هـ .

مهما أراد الإنسان – أي إنسان – أن يترجم لشخص فلا يستطيع أن يكتب عن نشأته وأدوار حياته ؛ وتقلبات الزمان به ، إلا أن يكون قد عايشه معايشة خلطة ، وعاصره منذ مولده إلى وفاته،وهذا مالم يكن بالنسبة إلى عمارة لأمرين :

١ – البعد الزمني الذي بيننا وبينه .
٢ – أنه قضى شطراً من حياته بل أغلبه في زبيد متعلماً ثم مستوطناً وبعده رحل إلى الحجاز ومنها إلى مصر .

لقد ترجم لعمارة عدد ممن أشرنا اليهم ومنهم ابن خلكان،ولكن كل من ترجم له كان إما من أهل مصر أو من أهل العراق كابن خلكان،أو من أهل الشام أو سوريا .

إنما عمارة نفسه قد مهد لنا السبيل ووضع شبه ترجمة ذاتية لنفسه في فترات في تاريخه،وبصورة شبه مطولة في مقدمة كتابه (النكتة العصرية في أخبار الوزارة المصرية)[1] .

ترجمة لم تقتصر فقط على حياته العلمية،بل ذكر ما ذكر عن أسرته ونشأته،واتصاله بعد تخرجه من التعليم بالنجاحيين وبأمراء عدن ، ثم بالأسباب والمسببات التي أوجبت نزوحه عن زبيد أولاً ثم إلى مكة ثانياً ثم إلى مصر ثالثاً .

وها نحن نورد ما جاء في كتابه النكتة العصرية،حيث يقول عن أسرته وقديمه ما نصه (.. كان زيدان بن أحمد وهو جدي لأبي يقول : « أنا أعد من إسلافي أحد عشر جداً ما منهم إلا عالم مصنف » إلى أن يقول عن رحلته إلى زبيد وما بعدها .. في سنة تسع وعشرين وخمسمائة أدركت الحلم،ثم أراد الله إنفاذ قدره فمنعنا الغيث سنة كاملة وبعض أخرى،حتى هلك الحرث والنسل ومات الناس في بيوتهم فلم يجدوا من يدفنهم،وعمت قطيعة ؟ البلوى فخرجت عنا سنة ثلاثين وخمسمائة ونحن من أشبه[2] الناس حالاً،وفينا بعض التماسك بسبب مال كانت والدتي ورثته عن أبيها المثيب بن سليمان،واستغنت عنه حتى احتاجت إليه في وقت الشدة،وفي سنة إحدى وثلاثين دفعت لي والدتي مصوغاً لها بألف دينار ودفع لي أبي أربعمائة وسبعين ديناراً وقالا لي:تمضي مع الوزير ابن يشجب إلى زبيد وتنفق هذا المال عليك ، ولا ترجع إلينا حتى تفلح فقد احتسبناك عند الله وصبرنا عنك،وكان بيننا وبين زبيد في مهب الجنوب تسعة أيام فأنزلني الوزير في داره مع أولاده ، ولازمت الطلب فأقمت أربع

(١) هكذا في الأصل .

---

(١) النكتة العصرية ص ٨ .

(٢) أشبه :– بلهجة جهتنا والى هذا التاريخ – أحسن ، انظر ص ١٦ من كتابي « اللهجة المحلية لمنطقة جازان » الطبعة الثانية .

يذهبون في استحسانها كل مذهب،ثم أفيضت عليَّ خلع من ثياب الخلافة مذهبة،ودفع إليَّ الصالح خمسمائة دينار،وأخرج لي من أخت الخليفة خمسمائة دينار ..

سنين لا أخرج من المدرسة إلا لصلاة يوم الجمعة،ثم زرت الوالدين في السنة الخامسة،ورددت ذلك المصاغ إلى الوالدة ولم احتاج إليه)[1] .

(وأقمت في زبيد ثلاث سنين،وجماعة من الطلبة يقرأون عندي مذهب الشافعي والفرائض في المواريث – مصنف يقرأ في اليمن –[2] .

(من ألطاف الله التي يجب شكرها ، ويحسن ذكرها،إنني حججت مع الملكة الحرة أم فاتك ملك زبيد وكانت تقوم لأمير الحرمين بجميع من يتناوله من حاج اليمن براً وبحراً،وبجميع خفارات الطريق والأدلاء،ومقدمي العربان والأشراف،ومبلغ ذلك جملة كبيرة،فربما حج معها أهل اليمن في أربعة آلاف بعيراً أو خمسة،ويسافر الرجل منهم بحريمه وأولاده والمواشي التي يذبحون منها ويحلبون درها،ومعهم المطابخ والأسِرّة وجميع ما يحتاجونه وكأنهم خارجون في نزهة ، فأذكر ليلة وقد سئمت ركوب المحمل ، أني ركبت جملاً نجيباً،وحين تهود[3] الليل أنست عن يميني حساً فعدلت إليه،فوجدت هودجاً مفرداً والبعير يرتعي،فناديت مراراً كثيرة : يا أهل الجمل يا جمال ، فلم يكلمني أحد،فدنوت،فإذا امرأتان نائمتان في الهودج وأرجلهما خارجة عنه،ولكل واحدة منهما زوج خلخال من الذهب،فسلبت الزوجين من أرجلهما وهما لا يعقلان،فأخذت بخطام الجمل حتى أبركته في المحجة العظمى،وعقلته وبعدت عنه بحيث أشاهده،حتى قد مرت قافلة من آخر الناس فانشطوا عقال البعير وساقوه معهم،فلما أصبح الناس وإذا صائح ينشد الضالة ويبذل لمن ردها مائة مثقال ، وإذا هما امرأتان لبعض أكابر أهل زبيد نام الجمّال عنهما،فعدل البعير عن الطريق،وكانت عادة الحرة أن تمشي في ساقة الناس ولا يمشي بعدها أحد ، فمن نام أيقظته،ومن انقطع حملته،وكانت مائة بعير برسم حمل المنقطعين،وحين انتصفت الليلة الثانية تأخرت حتى مرّ بي محملها،فتبادر الغلمان إلي وقالوا :ألك حاجة ، قلت : الحديث مع الحرة في خلوة ، ففعلوا ذلك وأخرجت رأسها إليّ من سجف الهودج،فناولتها الزوجين الخلاخل،وبلغني أن وزنهما ألف مثقال ، فقالت : ما أسمك ؟ ومن تكون ؟ فقد وجب حقك ، فأعلمتها بذلك وبصورة الحال الذي وجدت الامرأتين عليها ، ويا سبحان الله فما كان أبركها من ساعة،لأني حصل لي منها جانب قوي وصورة جميلة،وتقدم على الأكابر من الفقهاء وأعيان الخواص،وتسهيل الوصول إليها في أي وقت شئت،والإستظهار بي على التوسط فيما بين الناس ومن صحبتي لها ومعرفتي بها حصل لي معرفة الوزير القائد أبي محمد سرور الفاتكي،وهو القائم بدولتها ودولة فاتك صاحب زبيد ، وبمعرفتها كسبت مالاً جزيلاً،وذلك أن الشيخ السعيد بلال بن جرير الداعي،بعد أن غزا اسطوله سواحل زبيد،فَقَتَلَ ونهب وأحرق،فانقطع الناس عن السفر من زبيد إلى عدن،ومن عدن إلى زبيد مدة ثلاث سنين،فقضى ذلك برخص بضائع كل بلد فيها وغلائها في البلد الأخرى،حتى صار ما يساوي ديناراً بربع دينار،وما يساوي ديناراً في البلد الأخرى بأربعة دنانير ، فأذنت لي الحرة هي والقائد سرور في السفر إلى عدن

---

(١) المصدر نفسه ص ٢١ ، ٢٢ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٢ .

(٣) مفيد عمارة – النكتة العصرية في أخبار الوزارة المصرية .

دون الأسود والأحمر ، ودفع لي كل واحد منهما ألوفاً من المال وَتَذْكرة بما يشترى من عدن ، فقالا : اشتري بهذا المال من البضائع الرخيصة بزبيد،وما حصل فيه في عدن من فائدة فهي لك،وابتغ لنا برأس المال من عدن مافي « التذكرة » ، فحصل لي من المال مالاً مزيد عليه ، وحصلت لي صحبة أهل عدن،ووصلت من مودتهم إلى غاية من الاختصاص والمساهمة ، فأما الصلات الغامرة ، والخلع الفاخرة،والهدايا والتحف المذخّرة،فشيء يكثر وصفه ، وامتد هذا الشوط من سنة ثماني وثلاثين إلى سنة ثماني وأربعين،وما من أهل دولتي زبيد وعدن إلا من يغار على نصيبه من مجالستي ومؤانستي،ويطلقون ما وصل من البضائع بأسمي من الهند ومن عدن ومن زبيد ومن مكة ومن عيذاب براً،فقضى ذلك باتساع الحال وذهاب الصيت،حتى كان القاضي أبو عبد الله محمد بن أبي عقامة الحفائلي،وهو رأس أهل العلم والأدب بزبيد،يقول لي : « أنت خارجي هذا الوقت وسعيده ،لأنك أصبحت تعد من جملة أكابر التجار وأهل الثروة،ومن أعيان الفقهاء الذين أفتوا ودرسوا غيرهم ، ومن أفضل أهل الأدب منزلة ، وأفصحهم عارضة ، فأما الوجاهة عند أهل الدول المتباعدة،ونعمة خدك بالطيب واللباس وكثرة السراري فوالله ما أعرف من يعشرك فيه فهنيئاً لك » ، فكأنه والله بهذا القول نعى إلي حالي وذهاب مالي ، وذلك أن كتاب الداعي محمد بن سبأ صاحب عدن جائني من ذي جبلة يستدعي وصولي إليه،فأستأذنت أهل زبيد فأذنوا لي على غش ودخل من فساد الباطن وكانت للداعي بيدي خمسة آلاف مثقال سيرها إلي مع اتباع له لأبتاع له بها أمتعة من مكة وزبيد،فلما قدمت إلى ذي جبلة فوجدته خارجاً عنها في حصن ومستنزه يقال له الضريحان،وقد دخل فيه عروساً على ابنة السلطان عبد الله بن أسعد بن وائل منذ ثلاثة أيام،ولم يصل إليه أحد وكانت جماعة من أكابر التجار وأعيان من أماثل الناس : بركات بن المقريء وحسين بن الحبار ومرجي الحراني وأبي الحسن علي بن محمد النيلي والفقيه أبي الحسن بن علي بن مهدي القائم الذي قام باليمن وأزال دولة أهل زبيد وغيرهم،وكان الجميع قد سبقوني بمدة ولم يوصلهم الداعي إلى ذي جبلة . كتبت إليه قول المتنبي :

كن حيث شئت تصل إليك ركابنا ... فالأرض واحدة وأنت الأوحد

ثم اتبعت ذلك برقعة مضمونها طلب الإذن في الاجتماع به فكتب بخطه على ظهر رقعتي ما مثاله :

مرحباً مرحباً قدومك بالسعد ... فقد أشرقت بك الآفاق
لو فرشنا الأحداق حتى تطأهن ... لقلت في حقك الأحداق

وكان هذان البيتان مما حفظه عن جارية مغنية أهدتها إليه،واتفق ان الرقعة وصلت مفتوحة بيد غلام جاهل فلم تقع في يدي حتى وقفت الجماعة كلهم عليها،فأقمت عنده في المستنزه أربعة أيام بلياليها .. فما من الجماعة إلا من كتب إلى أهل زبيد بما يوجب سفك دمي ولا علم لي ، تحسداً منهم وبغياً،وكان مما تمنوا به المكيدة عَليَّ ونسبوه إليَّ،أن علي بن مهدي صاحب الدولةاليوم باليمن،التمس من الداعي محمد بن سبأ أن ينصره على أهل زبيد فسألني الداعي أن اعتذر عنه إلى علي بن مهدي،لما كان بيني وبين ابن مهدي من أكيد الصحبة والاختصاص في مباديء أمره،لأني لم أفارقه إلا بعد أن استفحل أمره،وكشف القناع في عداوة أهل زبيد،فتركته خوفاً على مالي وأولادي لأني مقيم بينهم،وحين رجعت إلى زبيد من تلك السفرة،وجدت أولئك القوم قد كتبوا إلى أهل زبيد في أمري،كتباً مضمونها أن فلان كان الواسطة بين الداعي وبين ابن مهدي،وقد انعقد الأمر بينهما بواسطته على حربكم وزوال دولتكم فأقتلوه ، فحدثني الشيخ جياش بن اسماعيل قال : اجمع رأي أهل زبيد على قتلك في

....

بكرة يوم الجمعة الثاني من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ، فلما كان في آخر الليل جاءهم خبر محمد بن أبي الأغر ونفاقه ؟ وزحفه على تهامة فأزعجهم ذلك،واشتغلوا عني مدة سبع عشر يوماً،وحين عادوا إلى زبيد ذكرهم بي رجل كنت أحسن إليه ، وإنما حاسد النعمة لا يرضيه إلا زوالها ، فمر بي القائد إسماعيل بن محمد جليس الملك فاتك فقال : « سلام عليكم » ، وهو راكب مجتاز لم يقف،ثم قرأ قوله تعالى:﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[1] فلم ينتصف الليل حتى خرج الملك فاتك وعساكره إلى وادي حيس في نصرة القائد علي بن مسعود على البازة[2] والنوبة ؟ فمكثوا شهراً وعادوا،فحملت إلى رجل منهم يقال له العريف كثير ، المال مثل اسمه كثيراً،حتى أجارني ريث ما خرجت حاجاً بل هاجا ، إلى مكة سنة تسع وأربعين وخمسمائة، في موسم هذه السنة مات أمير الحرمين هاشم بن فليتة وولي الحرمين ولده هاشم بن قاسم ؟ فألزمني السفارة عنه ، والرسالة منه إلى الدولة المصرية فقدمتها في شهر ربيع الأول سنة خمسين وخمسمائة[3] .

(١) سورة القصص من الآية ٢٠ .

(٢) هكذا في الأصل .

(٣) كتاب النكتة العصرية ص ٨٠ .

عمـارة ابن المخـلاف السـليماني

أشرنا إلى ما أورده عمارة عن المخلاف السليماني (وطنه)،وإنما لا يعدو ذلك أخبار أسرته ومكانتهم الاجتماعية ، وبالأخص في مقدمة كتابه « النكتة العصرية في أخبار الوزارة المصرية » فلم يتناول بالتوضيح تاريخ المخلاف السليماني،لا سياسياً ولا اجتماعياً ولا أدبياً ولا قبائله لا متفرقة – أي بأسم كل قبيلة وجهاتها وأحوالها – أو مجتمعة،ولا ارتباطاتها بالإمارة السليمانية،التي ورثت الإمارة التقليدية والقبلية من آل عبد الجد،الذين تسلسلت في أسرتهم الإمارة من الجاهلية،إلى أن وصلت بالتسلسل إلى أنبههم وأنبغهم (سليمان بن طرف)،ثم خلفائه من بعده إلى غزوة الصليحي للمخلاف في سنة ٤٥٠ هـ .

وكل ما نفهم من تاريخ عمارة عن المخلاف أن أميرالمخلاف غانم يحي بن حمزة بن وهاس الحسني،وأنه يدفع إتاوة لحكومة زبيد التابعة للخلافة ببغداد .

وعدا ذلك جُمَلٌ من الأقوال المتناثرة التي ترد عفواً في أنباء الحكومة النجاحية مثل :

(١) ما جاء في ص ١١٣ أن غانم بن يحي السليماني – حفيد حمزة بن وهاس – الذي هو أول وافد إلى المخلاف السليماني – كان ملكاً للمخلاف السليماني من حلي إلى الشرجة،وأنه يدفع الإتاوة لحكومة زبيد،وأنه يجند ألف فارس وعشرة آلاف راجل .

وأن كاتب هذا الأمير هو مسلم بن يشجب – من أهل المخلاف نفسه – وأنه أي عمارة توجه إلى زبيد لطلب العلم برفقته،وظل معه في البيت الذي يملكه في زبيد،ونفهم مما أورده ضمناً،أن أهل السهول والحزون في المخلاف السليماني تتمذهب بمذهب السنة،الذي يتزعمه آل شافع في جهة صبيا ، وإلا لما سار إلى زبيد لدراسة مذهب الشافعية ، لو كان يعتنق مذهب الزيدية،ولكان مساره إلى صعدة مركز المذهب الزيدي هناك .

(٢) إن الفقهاء السبعة الذين ثاروا على الأمير المفـضل صاحب حصن التعكر ، هم من أهل السنة،ومنهم عم عمارة (ابراهيم بن محمد بن زيدان)،وأن في نفس التعكر رعايامن أهل السنة حضروا لإعانة الفقهاء الثائرين ، مما يدلنا أن مذهب السنة كان هو السائد في تهامة اليمن،واليمن الأسفل،وكذا في أقسام كثيرة من اليمن الأعلى – راجع كتابنا التصوف في تهامة ص ٦٦ – في حال أن الأمير المفضل بن أبي البركات والصليحيين وأمراء عدن اسماعيليوا المذهب والمعتقد .. الخ .

(٣) أما الحكومة النجاحية وعاصمتها زبيد،فهو من الناحية السياسية قد أوفاها الكثير،فهو يتحدث عنها بإسهاب مما استفاده من تاريخ الملك جياش،ويضيف ما أخذه بالرواية وما عايشه بالذات .

(٤) كما يفيدنا عن أحوال الثائر علي بن مهدي،من بداية أمره إلى استكمال قوته وزحفه على زبيد،وضربـه نطاق الحصار عليها ، ومصابرة حكومة زبيد على الحصار ، وأخيراً كما قال عمارة :

(.. حتى أكلوا الميتة من شدة الجهد ، ثم استنجدوا بالشريف الزيدي،ثم الرسي أحمد بن سليمان صاحب صعدة فانجدهم طمعاً في الملك ، وشرط أن يملكوه عليهم ، فقال : « أن تقتلوا مولاكم فاتكاً » فقتلوه في شهور سنة ٥٥٣ هـ،ثم عجز عن نصرهم على علي بن مهدي الذي استولى على المدينة عنوة .

أما عن إمارة عدن الإسماعيلية،فهو يورد من أخبارهم الكثير،وفي أكثرها يقول: حدثني الداعي محمد بن سبأ،أو

أذكر يوماً .. أو حدثني الشيخ السعيد بلال،أو أذكر ليلة،وأنا عنده في قصره بالجوة أريد النزول الى عدن .. الخ .

وعمارة ابن المخلاف السليماني،نجده في كتابه(النكتة العصرية)يورد ألفاظاً لازالت مستعملة متداولة إلى هذا التاريخ في جهتنا .

جاء في كتاب النكتة العصرية ص ٢١ وما بعدها : (فمنعنا الغيث سنة كاملة وبعض أخرى،حتى هلك الحرث والنسل،ومات الناس في بيوتهم،وعمت .. البلوى،فخرجت عنا سنة ٥٣٠ هـ ونحن أشبه الناس حالاً وفينا بعض التماسك،بسبب مال كانت والدتي ورثته عن أبيها .. الخ .

قوله « من أشبه الناس حالاً » .. لأن في جهتنا إلى هذا التاريخ تستعمل « أشبه » بمعنى أفضل : تسأل المريض ، مثلاً،عن صحته فيقول : الحمد لله أشبه من أمس ، أي أحسن – راجع ما أوردناه عن هذه اللفظة في كتابنا اللهجة المحلية ص ١٤١ ط ٢ – .

أما لغة فالشبه : المثل . وفي المثل العربي المشهور:« من أشبه أباه فما ظلم » وتشابه الآيات تساوت،والإشتباه الإلتباس .. الخ .

وجاء في المصدر نفسه ص ٢٥ : (آنست عن يميني حساً فعدلت إليه) أي سمعت صوتاً ، وإلى هذا الوقت تتداول هذه اللفظة : يقال اسمع حس بوق سيارة،أو مثل ذلك : حسيت ركض فرس من ورائي .

واللفظ عربي فصيح في ذاته ، قال تعالى : ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾[1] ويأتي بمعنى أدركت ، أحسست منه مكروهاً ، ومنه قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾[2] .

وجاء في المصدر نفسه ص ٢٥:(فاذكر ليلة وقد سئمت ركوب المحمل،أني ركبت جملاً نجيباً،وحين (تهود الليل ...)،فكلمة (تهود)[3]:فعل مضعف من الهدوء ، ولدينا إلى الآن،يقال للوقت المتأخر من الليل:هدوة ..

---

(١) من الآية ١٠٢ سورة الأنبياء . (٢) من الآية ٥٢ سورة آل عمران .

(٣) في جهتنا يقال للوقت المتأخر – نسبياً – من الليل « هدوة » ،وكأنهم يقصدون متى هدأت الحركة وأخلد الناس إلى السكون ، ومعلوم أن كل كلمة لها حقيقة ومجاز ، فلنأتي إلى أصل الكلمة ، هدأ يهدأ هدأ هدوءاً ، والاسم الهدأة ، والهدوة .

هدأ : هدأ يهدأ هدوأ وهدوءاً : سكن ، يكون في سكون الحركة والصوت وغيرها ، فالكلمة تعطي معنى الشمول ، قال ابن هرمة :

ليت السباع لنا كانت مجاورة ... وأننا لا نرى ممن نرى أحداً
إن السباع لتهدا عن فرائسها ... والناس ليس بهاد شرهم أبدا

« أراد لتهدأ فحذف الهمزة للتخفيف،وهذا جار في كلام العرب ، مثل في مادة « رأى » ينشد ابن جني :

حتى يقول من راه إذ راه ... يا ويحه من جمل ما أشقاه

أراد كل من رآه إذ رآه ، فسكن الهاء وألغى حركة الهمزة ، والحق هادياً ، برام ، وسام ، وهذا عند سيبويه إنما يأخذ سماعاً لا قياساً ، وقوله :

من را مثل معدن بن يحيى ... إذا ما النسع طال على المطيه
ومن را مثل معدن بن يحيى ... إذا هبت شامية عريبه

....

وقد التبست الكلمة في كتاب النكتة العصرية على عالم جليل ضليع في اللغة،فكتب أمامها في الحاشية (تهور) بالراء المهملة ، وهو سهواً[٤] من الرجل كما يتراءى لي .

أصل الكلمة من رأى فخفف الهمزة على حد : « لا هناك المرتع » فاجتمعت الفان فحذف أحدهما لالتقاء الساكنين ، قال ابن سيده : أصله رأى فأبدل الهمزة ياء،كما يقال في « سألت » : سيلت ، وفي « قرأت » : قريت .

وقال أبو الهيثم : يقال نظرت إلى هدئة بالهمزة ، وهديه ، وإنما اسقط الهمزة فجعل مكانها الياء وأصلها الهمزة من هدأ يهدأ إذا سكن ، بالتحريك .

وأتانا وقد هدأت الرجل والعين ، أي سكنت وسكن الناس بالليل ، وهدأ وهدأة وهدىء فعيل وهدوء فعول . أي بعد هزيع من الليل ، وقيل الهدأ من أوله إلى ثلثه وذلك ابتداء السكون أو سكون الناس ليلاً ، فالحذف والابدال والتخفيف وارد في كلام العرب ، حسب الشواهد بأعلاه .

الخلاصـــــــة

إن الهدأة هي الاسم للهدوء ومثله الهدوء – كما ينطق بها في منطقتنا – وهي من أول الليل إلى ثلثه ، أوابتداء سكون الناس ليلاً ، ويؤيد ذلك الحديث : اياكم والسمر بعد هدأة الرجل ، وفسر صاحب لسان العرب الهدأه : السكون عن الحركة ، أي بعد ما يسكن الناس عن المشي والاختلاف في الطرق ، هكذا .

(القرينة على معنى كلمة تهود في حكاية عمارة)

أورد عمارة كلمة « تهود » في رحلته للحج في موكب « الحرة » أم الأمير النجاحي منصور بن فاتك ، فقال : – في أثناء وصف الرحلة – : « أذكر ليلة وقد سئمت ركوب المحمل ، أني ركبت جملاً نجيباً ، وحين تهود الليل،أنست عن يميني حساً فعدلت إليه،فوجدته هودجاً مفرداً والبعير يرتعي،فناديت مراراً كثيرة:يا أهل الجمل،فلم يجبني بكلمة أحد ، فدنوت،فإذا امرأتان نائمتان في الهودج وأرجلهما خارجة عنه،ولكل واحدة منهما زوج خلخال من الذهب،فسلبت الزوجين من أرجلهما وهما لا يعقلان،ثم أخذت بخطام الجمل حتى ابركته في المحجة العظمى .. الخ » ، والمعنى الواضح لقوله : « أذكر ليلة ، وقد سئمت ركوب المحمل أني ركبت جملاً نجيباً وحين تهود الليل .. – أي مضى منه شطر وساد الهدوء والسكون – سمعت .. » وكما سبق أن أوردنا أن في منطقتنا يقال إلى هذا التاريخ « هدوة » .

(٤) الخبر محذوف مقدر قبل سهواً ، قال صاحب الألفية :

وقبل حال لا يكون خبرا عن الذي خبره قد أضمرا
كضربي العبد مسيئاً وأتم تبيني الحق منوطاً بالحكم

يعني المصنف بقوله : « وقبل حال » على أن الخبر المحذوف مقدر قبل الحال التي سدت مسد الخبر كما تقدم تقريره ، واحترز بقوله « لا يكون خبراً » عن الحال التي تصلح أن تكون خبراً نحو ما حكى الأخفش – رحمه الله – من قولهم « زيد قائما » ، فزيد مبتدأ والخبر محذوف والتقدير ثبت قائما ، وهذه الحال تصلح أن تكون خبراً فتقول « زيد قائم » فلا يكون الخبر واجب الحذف ، بخلاف ضربي العبد مسيئا ، فإن الحال فيه لا تصلح أن تكون خبراً عن المبتدأ الذي قبلها فلا تقول:« ضربي العبد مسيء » لأن الضرب لا يوصف بأنه مسيء .

لغـة :

حقيقة : الهدوء والسكون ، وهذأ القوم أخلدوا إلى السكون قال ابن هرمة :

إن السباع لتهدا عن فرائسها والناس ليس بهادٍ شرهم أبدا

ومجازاً : أتانا بعدما هدأت العين : أي بعد ما سكن الناس بالليل ، وآتانا هدوء من الليل ، وأتانا بعد هدء من الليل وهدء ، وهدأت وهادىء ، فعيل وهدوء فعول ، أي بعد هزيع من الليل ، وعلى كل فالكلمة فصيحة على غرابتها .

وجاء في ص ٢٥ من المصدر نفسه : (فدنوت، فإذا امرأتان نائمتان في الهودج وأرجلهما خارجة ؟ عنه ولكل واحدة منها زوج خلخال من الذهب فسلبت الزوجين من أرجلهما وهما لا يعقلان ؟) .. بمعنى:لا يدركان،ولازال لدينا إلى الآن تستعمل إلى هذا التاريخ،فيقول الرجل لرفيقه:أعقل – أي أفهم – يا رجل،أو يقال له:أنت ما تعقل كلامي .

واللفظ صحيح،جاء في أساس البلاغة للزمخشري في«باب عقل»:(مريض لا يعقل)،أي لا يدرك .

وجاء في ص ٢٧ من المصدر نفسه (.. وامتد هذا الشوط من سنة ثمانية وأربعين وخمسمائة ولازال تستعمل كلمة الشوط لدينا بمعنى:المدة أو الوقت أو الأمد ، مثلاً يقول لك صديقك إذا أغربت في الحديث أو غاليت : رحت بي شوطاً بعيداً .

وجاء في ص ٣١ من المصدر نفسه (ريث ما خرجت حاجاً بل هاجاً)،ولدينا الى هذا التاريخ فلان هج أي سافر إلى جهة مجهولة،أو بالأصح فر .

لغـة : الكلمة من غريب الفصيح : وتستعمل حقيقة،هجج البعير يهجج إذا غارت عيناه من جوع أو عطش أو إعياء ، قال لبيد :

أو ذو زوائد لا يطاق بأرضه يغشى مهجج كالذنوب المرسل

والمضاف إلى هذا المصدر حكمه كحكم المصدر (... ثم) تبيني الحق منوطاً بالحكم فأتم : مبتدأ و تبيني مضاف إليه ، والحق مفعول لتبيني ومنوطا حال سد مسد خبر أتم والتقدير أتم تبيني الحق إذا كان – أو إذ كان منوطاً بالحكم .

حـذف المبتـدأ

يحذف المبتدأ كقوله تعالى : ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ؟ نَارُ ٱللَّهِ﴾[1] أي هي نار الله والنحو – كما قيل – حذف وتقدير ، وما كل ضمير رفع يكون مبتدأ فهذا قوله ﷺ « نحن معاشر الأنبياء لا نورث » فنصب معاشر على الاختصاص .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾[2]

---

(١) سورة الهمزة الآية ٥ ، ٦ . (٢) سورة المزمل آية ٢٠ .

عمارة ومذهب الإسماعيلية

يكاد يتفق المؤرخون أن عمارة ظل متمسكاً – بالرغم من الضغوط الأدبية والمغريات المادية من وزراء وأمراء الفاطميين – بعقيدة أهل السنة والجماعة،حتى زالت دولة العبيديين الإسماعيلية بمصر،وحلت محلها دولة صلاح الدين السنية المذهب والعقيدة .

١ – يقول ابن خلكان عنه : (وكان شافعي المذهب شديد التعصب للسنة) .

٢ – يروي العماد الأصفهاني أن عمارة بقي على عقيدته السنيَّة حيث يقول :

(والعجب من عمارة أن تأبى في ذلك المقام عن الانتماء إلى القوم – يعني الفاطميين – وغطى القدر على بصره ، حتى أراد أن يتعصب لهم) .

أما بقية من كتب عن عمارة فكلهم – تقريباً – يؤكد على أن عمارة بالرغم من كل المغريات التي نصبت لاجتذابه إلى المذهب الإسماعيلي،ظل محافظاً على عقيدته السنية ومذهبه الشافعي .

يؤيد ذلك القصة الآتية : حان وقت الصلاة،فقام أحد رجال الدولة من الفاطميين (سيف الدولة ابن أبي الهيجاء)،فتوضأ ومسح رجليه،ولم يغسلهما على طريقة المذهب الشيعي الإسماعيلي ، فتناول عمارة الإبريق وصب منه الماء على رجليه،فجذبهما سيف الدولة وهو يضحك .

فقال عمارة:إن كان الحق معكم في مسح الرجلين فلا تعصي ولا تعاقب يوم القيامة ، وإن كان الحق معنا في غسل الرجلين خرجتم من الدنيا بلا صلاة،لأنكم تتركون غسل الرجلين وهو فرض ، فكان سيف الدولة يقول بعد ذلك : والله لقد أدخلت الشك والوسواس عَلَيَّ بكلامك في مسألة الوضوء ، ويقول عمارة نفسه:كانت تجرى بحضرة الملك الصالح مسائل ومذاكرات،ويأمرني بالخوض مع الجماعة فيها ، وأنا بمعزل لا أنطق بحرف،حتى جرى من بعض الأمراء الحاضرين ذكر السلف ، فاعتمدت عند ذكره قول الله تعالى : ﴿ فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ [(١)] ونهضت وخرجت ، وانقطعت في منزلي ثلاثة أيام ، ورسوله يأتي كل يوم ، فاستوحش من غيبتي ، فقلت : « إنه لم يكن بي وجع ، وإنما كرهت ما جرى في حق السلف وأنا حاضر ، فإن أمرتم بقطع ذلك حضرت »،فقال : « سألتك بالله ما الذي تعتقده في أبي بكر وعمر »،قلت : « أعتقد أن لولاهما لم يبق الإسلام علينا وعليكم ، وأن ما من مسلم إلا ومحبتهما واجبة عليه» ، فضحك،وبعد أيام بعث إلَيّ برقعة فيها هذه الأبيات ومعها ثلاثة أكياس ذهب :

قل للفقيه عمارة يا خير من	أضحى يؤلف خطبة وخطابا
أقبل نصيحة من دعاك إلى الهدى	قل (حطة) وادخل علينا البابا
تلق الأئمة شافعين ولا تجد	إلا لدينا سنة وكتابا
وَعَلَيّ أن يعلو مكانك في الورى	وإذا شفعت إلي كنت مجابا

فأجبته مع رسوله بهذه الأبيات :

حاشاك من هذا الخطاب خطابا

يا خير أملاك الزمان نصابا

(١) من الآية ١٤٠ سورة النساء .

....

لكن إذا ما أفسدت علمائكم
معمور معتقد وصار خرابا
ودعوتمو فكري إلى أقوالكم
من بعد ذاك أطاعكم وأجابا
فاشدد يديك على صفاء مودتي
وامنن علي وسد هذا البابا

وإذا رجعنا إلى قصيدته المسماة (أنة المتظلم وشكوى المتألم)،التي رفعها إلى السلطان صلاح الدين بعد زوال الدولة الفاطمية – نراه يشير معتزاً ومفتخراً – بمواقفه في نصرة السنة،في ذلك العهد الشيعي المتعصب حيث يقول – مخاطباً صلاح الدين :

ألم ترعني للشافعي وأنتم ... أجل شفيع عند أعلا مشفع
ونصري له من حيث لا أنت ناصري ... بضرب صقيلات ولا طعن شرع
ليالي لا فقه العراق بسجسج ... بمصر ، ولا ريح الشآم بزعزع
كأني بها من آل فرعون مؤمن ... أصارع عن ديني وإن حان مصرعي

وإذا كان شعره في مدح خلفاء الفاطميين يشيد بمآثرهم،وينوه بتقاليدهم الطائفية،ونحلتهم الإسماعيلية ومعتقدهم الشيعي،فالسلطان سوق يجلب إليه ما ينفق فيه ، ولو لم يقل ما يريدون هم ، لما قبل شعره ولا حظى لديهم بالقبول،ولا ساغ له العيش بين ظهرانيهم والتكريم في دولتهم .

علاقة عمارة بالقاضي الفاضل

علاقة عمارة بالقاضي الفاضل بدأت من العهد الفاطمي،فقد نوه عمارة وأشاد بالوزير الناصر بن الصالح،حين طلب القاضي الفاضل من الاسكندرية وأسند إليه وظيفة في ديوان الإنشاء . فقد عد عمارة ذلك من مآثر الوزير الناصر ومفاخر أمجاده ، حيث قال :

(ومن محاسن أيامه وما يؤرخ عنها،بل هي الحسنة التي لا توازى،واليد البيضاء التي تجازى،خروج أمره إلى والي الإسكندرية،بتسيير القاضي الأصيل الفاضل إلى الباب واستخدامه) .

واستمرت الصداقة بينهما وثيقة العرى،حتى أن عمارة ألف كتابه(المفيد في تاريخ زبيد)استجابة لتمني القاضي .

وتقلبت الأيام وزالت الدولة الفاطمية،واختلفت وجهتا نظر الرجلين،فحظى القاضي الفاضل بثقة صلاح الدين والمكانة الرفيعة لديه .

بعكس عمارة الذي نال الإبعاد والحرمان ، فنراه حين قطع راتبه في تلك الأثناء يبعث أبيات عتاب إلى الفاضل،يضمنها ضرورة حاله وسوء مآله في تلك الفترة،وشفعها بالأبيات الآتية :

قست رأفة الدنيا فلا الدهر عاطف
علي ولا عبد الرحيم رحيم

عفا الله عن آرائه كل فترة
كلام العدا فيها عليّ كلام[1]

وسامحه في قطع رزق بفضله
وصلت إليه والزمان ذميم

ألا هل له عطف علي فإنني
فقير إلى ما اعتدت منه عديم

ولا نعلم الظروف أو الخلفيات التي وقعت،أو اعاقت القاضي عن السعي في نفع صديقه ، وهو في تلك المنزلة من صلاح الدين ، ولا يحسن أن نحكم بتقصير القاضي وملامته ، فنكون في دائرة من قال فيه الشاعر :

(لعل له عذراً وأنت تلوم)

فاحتجنها عمارة في نفسه وأساء به الظن جداً ، يدلنا ذلك،أنه لما صدر الحكم بهلاكه ومن اشتركوا معه أحضروا إلى مجلس صلاح الدين لإبلاغهم مضمون الحكم،فدنا القاضي الفاضل من صلاح الدين وساروه فتعجل عمارة واستراب،ووقف وصاح بأعلى صوته مشيراً إلى صلاح الدين : « يا مولاي لا تسمع لما يقوله هذا عني » ، فتوقف القاضي وانصرف في سرعة ، والغضب يقدح من عينيه ، فالتفت صلاح الدين وصوب نظره إلى عمارة في تعجب واندهاش قائلاً : « لقد كان يتشفع لك » ، فنكس عمارة رأسه في حيرة وخجل،ولم يحر نطقاً :

يقضى على المرء في أيام محنته — حتى يرى حسناً ماليس بالحسن

فأعيد عمارة ورفقاه إلى السجن ، وفي اليوم الذي خرجوا به ورفقاه لتنفيذ أمر شنقهم،جاءت الطريق على دار القاضي،فرجا حراسه أن يمكنوه من دخول الدار ليجتمع به،فرثوا لحاله ووقفوا به على باب دار القاضي فطلب الإذن،فلم يأذن له،فقال ارتجالاً :

عبد الرحيم قد احتجب — إن الخلاص من العجب

(١) هكذا في الأصل .

عمـارة والأيوبيـون

لا يمكن لمؤلف التسرع في الحكم بالخطأ أو الصواب على أحداث تاريخ قد سحب عليه الدهر أذياله وسترت الأيام خلفياته .

أي كاتب للتاريخ يكتب أحداث العهد المعاصر،لابد أن يكتبها في حيطة،أو يلمسها لمساً رفيقاً ، قد يكون بدافع الرضا أو الحب أو الاخلاص ، وقد يكون للتوقي والحيطة .

والناس قبل كل شيء بشر ينساقون لعواطفهم،ويجارون زمانهم في الأغلب الأعم،ويعجبني باب في مجلة المختار بعنوان (هذه طبائع البشر)،يلون فيه كل حادث غريب أو عجيب أو ناشز .

نكتب هذا تمهيداً لما نحن بصدده عن عمارة والأيوبيين ، لقد استشكوا في أمر اخلاصه لهم،واسترابوا في بقاء ميوله إلى الخلافة الفاطمية الزائلة ، فغذى هو هذا الشك بما يضمّنه أشعاره في القوم،من الإشادة بمآثرهم والتحسر على أيامهم،وقد يكون يعضد أقواله في شعره بما ينفثه في مجالسه الخاصة،أو بين من يعاشرهم،وهم بدورهم ينقلون عنه ما يتفوه به،كشرح لمبالغاته في شعره،فجفاه الأيوبيون في أول الأمر ، ثم عندما ازدادت السعاية به والقول عنه أقصوه عن الاتصال بهم ، ولما لم يجد ذلك قطعوا راتبه،وهو الذي لا يملك غيره،فساءت حالته،وتظلم وشكى،وحبّر القصيدة تلو القصيدة ، ولم ينل عطفهم أو يزل عتبهم .

فانفرط عقد صبره،فصرخ جهاراً في غير قصيدة في رثاء الخلافة الزائلة وأيامها البائدة،فأكد للأيوبيين الريبة في أمره والشك في حاله،ووجد من يشاركه الاستياء من رجال العهد البائد،فاشترك معهم أو اشتركوا معه،في حبك المؤامرة التي نسبت إليهم،والتي خلاصتها اتصالهم بالأفرنج في القدس للتعاون سياسياً وحربياً،لإعادة الدولة الفاطمية .

إن عمارة حاد المزاج،كثير الاعتداد بنفسه،فكان في مدحه للأيوبيين يسلك سبيل الترفع،ويخاطبهم مخاطبة الند ، ومن طبيعة البشر عدم احتمال الهفوات فيما بين الأنداد،فكيف مع أولياء الأمر ، وشاعر يسترزق من أقواله ويعيش على حساب صلات من يمدحهم،يعرض نفسه منهم إلى كل ما يسوء .

تـاريخ عمـارة

من الكتب الجديرة بالإشادة والتنويه،وعلى صغر حجم الكتاب الذي لا تتجاوز صفحاته ١٣٠ صفحة من القطع المتوسط،فهو من الكتب التاريخية القيمة التي كانت مصدر الهام واحتذاء ، ومصدراً من المصادر المهمة عن جنوب الجزيرة،فهو شرفة يُطل منها على قصص ونوادر وطرائف،وأخبار تفرد بها دون غيره ، كما احتفظ لنا – ضمناً – بكتاب تاريخ الملك جياش بن نجاح،الذي فقد منذ زمن بعيد ، يتصف المؤلف في كتابه بالاعتدال وعدم التطرف،أو الغلو الطائفي أو المذهبي . وإذا كان لم يورد اسم أي كتاب سوى كتاب تاريخ الأمير جياش

فهو يتحرى دائماً،إما أن يكتب عمن عايش الأحداث،أو ما يشاهده هو نفسه ، أو يقول حدثني ، أو قال فلان . فممن أورد روايته عنهم مثلاً :

١ – الفقيه نزار بن عبد الملك .
٢ – الفقيه أحمد بن محمد الأشعري .
(يصفهما بقوله وما منهما إلا عارف بأيام الناس وأنسابهم وأشعارهم) .
٣ – قرأت في كتاب مفيد زبيد تأليف الملك المكين جياش بن نجاح .
٤ – ما طالعته في وثائق الخراج .
٥ – حدثني الفقيه أبو محمد عبد الله الأبار .
٦ – حدثني الفقيه أبو علي بن طليق .
٧ – حدثني الفقيه أبو الحسن علي بن سليمان .
٨ – حدثني أحمد بن حسين الأموي عن أبيه عن جده .
٩ – حدثني السلطان ناصر بن منصور الوائلي عن جده .
١٠ – حدثني محمد بن بشارة من أهل صنعاء .
١١ – حدثني الفقيه المقريء سليمان بن ياسين .
١٢ – حدثني الداعي محمد بن سبع .
١٣ – حدثني الشيخ السعيد بلال .
١٤ – حدثني أحمد بن فلاح صاحب ديوان التحقيق .
١٥ – قال مشعر العكي .
١٦ – قال الكاتب محمد بن عبد الله اليافي .
١٧ – قال كاتب الوزير حمير بن أسعد .
١٨ – قال مسلم بن يشجب كاتب الأمير غانم .
١٩ – قال عبيد بن بحر وزير القائد سرور .
٢٠ – قال الشيخ عبد المحسن بن إسماعيل كاتب القائد سرور ووزيره .
٢١ – حدثني محمد بن علي من أهل ذي جبلة .
٢٢ – شاهدت في سجل الصدقات .

هذا بعض رواته الذين آثرنا إيراد اسمائهم ، كما أورد لنا أسماء شعراء وكتاب بعضهم – كما أرجح – غير معروفين أو لم ترد اسماؤهم في غير كتابه ، على مبلغ علمي .

١ – الشاعر نزار بن الفقيه زيد بن الحسن الأحاضي . أورد له بيتين من الشعر .
٢ – الشاعر أبو الحسين علي بن سليمان .
٣ – الشاعر عبد الله بن يعلي .
٤ – الشاعر القاضي يحيى بن أحمد قاضي صنعاء .
٥ – الشاعر المفضل بن وديع .

أما من أورد اسماءهم من الكتاب والوزراء المنسيين فهم :

١ – محمد بن الغفاري وزير الملك جياش .
٢ – زريع بن أبي الفتح وزير الملك جياش .
٣ – خلف بن طاهر الأموي وزير الملك جياش .
٤ – يحيى بن علي العامل وزير الداعي سبأ .

وهناك أسماء لم نستقصها،وبطبيعة الحال أنه لم يرو إلا عن شخصيات من المشهورين في عصره،بصدق الرواية وحسن الدراية،وينسب أكثرهم بالفقيه،وهو لقب علمي لا يطلق إلا على من تؤهله معلوماته لذلك اللقب وبعضهم من القضاة الشرعيين .

أما الشعراء فيكتفي بنعتهم بالشاعر إشادة بهم،ولا يطلق لقب شاعر جزافاً لأن الشاعر له مؤهلاته الأدبية والفكرية،وحصيلته الثقافية،وعلوم الآلة البيانية .

والكتاب والوزراء لا يحتاجون إلى تنويه،فوظيفة الكتابة كانت لا يرتقي اليها الشخص إلا بعد التبريز في علوم البيان واللغة والثقافة العامة ، وهي المرقاة الى التّصدر في ديوان الإنشاء،وفي ديوان الإمارة أو المملكة ، فإذا حاز الكاتب على الثقة وحسن التدبر في الإيراد والإصدار، نال رتبة الوزارة .

(أسباب تأليف الكتاب)

في أثناء إقامته في مصر،ألزمه القاضي الفاضل أبو علي عبد الرحيم البيساني رئيس ديوان الإنشاء،أو من موظفي الديوان في العهد الفاطمي ، بتأليف كتاب عن أخبار جزيرة اليمن[(١)]،وهو الكتاب المعروف باسم (مفيد عمارة) والبعض يسميه « المفيد في تاريخ زبيد »،بدأ بتأليفه سنة ٥٦٣ هـ،وهو على صغر حجمه يعتبر من المراجع المهمة في أخبار اليمن ، نقل عنه كبار المؤرخين :

١ – ابن الأثير في تاريخه الكامل .
٢ – ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان .
٣ – أبي الفداء في كتابه المختصر في تاريخ البشر .
٤ – يحيى بن الحسين في أنباء أبناء الزمان .
٥ – إدريس عماد الدين في عيون الأخبار .. نزهة الأقطار .
٦ – ياقوت الحموي في معجم البلدان ، وغيرهم .

(آراء المؤرخين)

قال عنه ابن خلكان:عمارة مؤرخ ثقة وشاعر فقيه أديب ، ووصفه أبو شامة المقدسي في كتاب الروضتين: (كان عمارة عربياً فقيهاً أديباً) .

ويقول عنه صاحب خريدة العصر ودمية القصر :«هو ذو قدرة على النظم الحسن ، وبلاغة في اللهجة واللسن ، وإن شعره كثير وعلمه غزير وإنه في سماء النثر والشعر نثرتها» .

وأثنى عليه ابن الأثير ثناءً عاطراً فقال :«كان عمارة شاعراً مفلقا،له ديوان شعر مشهور في غاية الحسن والرقة والملاحة» .

---

(١) هكذا في الأصل .

وقال عنه أبو الفدا :(كان عمارة شاعراً مطبوعاً بليغاً فصيحاً،لا يلحق شأوه في هذا الشأن).
ويقول عنه القلقشندي :(عمارة أتى في الفاطميين من المديح بما يبهر العقول) .

(من كلمة كاي عن تاريخ عمارة)

(وجدير بنا الإقرار بأن كتاب عمارة تاريخ اليمن ، ليس من الكتب التي تؤهل صاحبها للانخراط في سلك كبار المؤرخين في العلم ، يتضح مما قاله عمارة،من أن ما كتبه ليس للتثقيف والتعليم،بل لإزجاء وقت فَرَاغ أحد العظماء،لذلك أبرز فيه براعة وحذق كل ما يمكن أن يؤدي إلى هذا الهدف،من فكاهة أو نادرة .

أما المسائل ذات الخطر فكان يلمسها لمساً رقيقاً ، أو يدع بعضها دون تناول ، ولكنه احتفظ لنا بالحقائق الرئيسية في التاريخ الإسلامي لوطنه في العصر الذي عاش فيه .

أما أسلوبه في كتابة هذا التاريخ فيمتاز بالبساطة والسلاسة ، وكان يعبر عن إحساسه بكل ماهو شيق وجذاب في قوة ورصانة .

وإن هذه ليست أقل المزايا في عمارة،فإنه احتفظ بصورة عجيبة ، بل وغريبة غاية الغرابة،لحياة العرب وأخلاقهم،على نحو يمكن أن لا يفوقه في الأدب العربي إلا ما ورد في قصص ألف ليلة وليلة .

إلى أن قال : وجدير بي على أي حال ، أن أذكر أولاً أن عمارة أغفل في كتابه ذكر من سبقوه إلى تدوين تاريخ اليمن في العصر الإسلامي ،ولم يستثن إلا أبي الطامي جياش بن نجاح،أحد ملوك آل نجاح،الذي كتب « تاريخ زبيد »،باسم كتاب المفيد في تاريخ زبيد ، ويذكر الخزرجي المؤرخ أن كتاب جياش كان نادراً جداً في عهده ، ونقل عنه عمارة فيما أورده عن وفاة الصليحي وإعادة دولة بني نجاح ، ولعل هذه الفقرات هي كل ما تبقى في العصر الحاضر من كتاب جياش ، ولعل شهرته بين بني بلدته ترجع إلى ملكته الشعرية ، وإذا كان خلد في أذهانهم حتى اليوم ، أنه رائد مؤرخيهم والكاتب الذي يدينون له بكل ما يسعهم الإلمام به من تاريخ بلادهم ، في حقبة تزيد في القليل على قرنين ونصف من الزمن ، ومع ذلك فلم يحسن خلفاؤه توفيته دينه إنما اقتصر جهدهم اليسير على إعادة ما كتبه في صورة موجزة – على تفاوت – وإن كانت في عمومها تلتزم نفس ألفاظه ..)الخ .

ونرجو أن نكون – بحوله تعالى – ممن يحاول أن يوفيه بعض حقه،ويقوم ببعض الواجب نحوه،فإنه من أبناء المخلاف السليماني – منطقة جازان – من المملكة العربية السعودية .

(مؤلفـــاتـه)

١ – ديوان شعر مشهور تضمن الكثير من أشعاره .
(أ) في مدح الخلفاء الفاطميين وجماعة من خاصة دولتهم .
(ب) امتدح آل زريع أمراء عدن من رجال دولتهم،كالعندي وبلال ، وبعض آل بني عقامة ، ونرجح أنه امتدح – أيضاً – بعض وزراء آل نجاح ، وجميع مدائحه فيمن ذكرناهم ، فهذه الفترة مفقودة .
٢ – كتاب النكتة العصرية في أخبار الوزارة المصرية ، اعتنى المستشرق الفرنسي دير نبورج بنشره في مدينة شالون بفرنسا سنة ١٨٩٧ م .
٣ – كتاب أخبار الشعراء .

....

٤ – كتاب نماذج ملوك اليمن .
٥ – كتاب في الفرائض .

(مصـــادر البحـث)

١ – تاريخ « عمارة نفسه » .
٢ – مقدمة المستشرق كاي .
٣ – وفيات الأعيان لابن خلكان .
٤ – خريدة العصر ودمية القصر .
٥ – الكامل لابن الأثير .
٦ – المختصر لأبي الفداء .

عمارة يخاطب نجم الدين أيوب

وكان لي في ملوك النيـــل قبلكـــم ... مكانـة عرفتهـا العُرب والعجـم ؟
وكان بيـني وبـين القـوم ملحمـة ... في حربهـا ألسـن الأديـان تختصـم
وما تــزال إلى داري عوارفهـــم ... يسـعى إليّ بهـا الإنعـام والكـرم
تركـت قصـدك لمـا قيـل إنك لا ... تجـود إلا عـلى من مســه العـدم
ولســت بالرجـل المجهـول موضعه ... ولا لـنزرٍ من الإحســان أغتنـم
ولا إلى صدقـات المـال أطلبهـا ... ولا عَمَـىً نـال أعضائي ولا صـمم
وإنمـا أنا ضيـف للمـلوك ولـــي ... دون الضيـوف لسـان ناطق وفـم



شعر الغزل

من شعر عمارة في الغزل

عسى منجد الأظعان يوما يعيرها ... وقاتل أسباب النوى لا يغيرها

ومانع أجفاني لذيذ رقادها ... يبيع جفوني رقدةً أو يعيرها

ولولا العيون النجل ما ذقت لوعة ... تقوم بمحني الضلوع زفيرها

وبين قباب الخيف من جبلي منى ... أسيرة خدر لا يفك أسيرها

ينم عليها كلما نمت الصبا ... على الروض وهناً مسكها وعبيرها

فيا ساكني أكناف نعمان أنعِموا ... بزورة حق يشبه الحق زورها

فلو شئتم بردتم حر حرقة ... يهيجها تذكاركم ويثيرها

ولو كان لي في النفس أمر بذلتها ... وهان على الأخطار فيكم خطيرها

شعر
شكوى الزمان والحال



قصيدة عمارة

أنَّةُ المتألم وشكاة المتظلم

أيا أذنَ الأيامِ إن قلتُ فاسمعي ... لنفثة مصدور وأنة موجع

وعن كل صوت تسمعين نداءه ... فلا خير في أذنٍ تُنادَى ولا تعي

تقاصرني خطو الزمان وباعه ... فضيق من ذرعي وقصر أذرعي

وأخرجني من موضع كنت أهله ... وأسكنني بالجور في غير موضعي

بسيف ابن مهدي وأبناء فاتك ... أقضّا عن الأوطان جنبي ومضجعي

فيممت مصراً أطلب الجاه والغنى ... فنلتهما في ظل عيش ممتع

وزرت ملوك النيل أرتاد نَيْلَهم ... فأحمد مرتادي وأخصب مربعي

وفزت بألفٍ من عطية (فائز) ... مواهبه للصنع لا للتصنع

وكم طوقتني من يد عاضديّة ... سرت بين يقظى من عيونٍ وهجع

وجاد ابن رُزِّيك من المال والغنى ... بما زاد عن مرمى رجائي ومطمعي

وأوحى إلى سمعي روائع شعره ... لجيرته مني بأكرم مودع

وليست أيادي شاورٍ بذميمة ... ولا عهدها عندي بعهد مضيع

ملوك رعوا لي حرمة كان نبتها ... هشيماً رعته النائبات وما رعي

وردت بهم شمس العطايا لوفدهم ... كما قال قوم في علي ويوشع

مذاهبهم في الجود مذهب سنة ... وإن خالفوني في اعتقاد التشيع

* * *

فقل لصلاح الدين والعقل شأنه ... من الحكم الداعي إلي فأدعي

سكت فقالت ناطقات ضرورتي ... إذا حلقات الباب أغلقن فاقرع

وأذللت إذلال المحب وقلت ما ... إبائي بغير الطبع لا بالتطبع

وعندي من الإدلال ما لو شرحته ... تيقنت أني قدوة ابن (المقفع)

أعلل غلماني وخيلي ونسوتي ... بما صغت من عذر ضعيف مرقع

ونوابكـم في الوفـد في كل بلـدة ... تفـرق شـمل النـائل المتـوزع
وكم من ضيوف الباب من لو لسـانه ... إذا قطعـوه لا يقـوم بإصبـعي
مشـاريع من نعمائكـم زرتها وقـد ... تكـدر بالإسـكندرية مشـرعي
وضـايقني أهـل الديـون ولم يكـن ... سـوى بابكم منهم ملاذي ومرجعـي

* * *

فيـا راعي الإسـلام كيف تركتنـا ... قريعـي ضيـاع من عرايـا وجـوع
دعونـاك من قـرب وبعـدٍ فهـب لنـا ... جوابـك فالمـولى مجيب إذا دعـي
إلى الله أشـكو من ليـالي ضـرورة ... رجعنـا بهـا نحـو الحنـين المرجـع
قنعنـا ولم نسـألك صـبراً وعفـةً ... إلى أن عدمنـا بلغـة المتقنـع
ولمـا أغـص الريـق مجـرى حلوقنـا ... أتينـاك نشـكو غصـة المتجـرع

* * *

فإن كنت ترعـى الناس للفقه وحده ... فمنه طـرازي بل لشـامي وبرقعـي
ألم ترعـني لـ (الشـافعي) وأنتـم ... أجـل شفيع عنـد أعـلا مشـفع
ونصـري له في حيث لا أنت ناصـر ... بضـرب صقيـلات ولا طعـن شـرع
ليـالي لا فقـه العـراق بسجسـج ... بمصـر ، ولا ريـح الشـآم بزعـزع
كـأني بهـا من آل فرعـون مؤمـن ... أصارع عن ديني وإن حان مصرعي

* * *

أمـن حسـنات الدهـر أم سيئاتـه ... رضـاك عن الدنيـا بما فعـلت معـي
ملكـت عنـان النصـر ثم خذلتـني ... وحـالي بمـرأى من عـلاك ومسـمع
فمـالك لم توسـع عـلي وتلتفـت ... إلي التفـات المنعـم المتـبرع
فامـا لأني لسـت دون معاشـر ... فتحـت لهـم باب العطـاء الموسـع
وأمـا لمـا وضحتـه مـن زعـازع ... عصفـن عـلى ديـني فلـم أتزعـزع
وردي ألـوف المـال لم ألتفـت لهـا ... بعيـني ، ولـم أحفـل ولـم أتطـلع
وأمـا لفـن واحـد مـن معـارفي ... هـو النظـم ، إلا انـه نظم مبـدع
فإن سـمتني شـعراً ظفـرت بمفـلق ... وإن سـمتني نـثراً ظفـرت بمصقـع

صناع وفي المطبوع من خطراته غنى عن أفانين الكلام المصنع
سألتك في دين لياليك سقنه وألزمنيه كارهاً غير طيع
وهَاجرت أرجو منك إطلاق راتبي تقدر في أزمان كسرى وتبع
وليتك فيمن أطلع الشرق مطلعي لتعلم نبعي أن عجمت وخروعي

* * *

وما أنا إلا قائم السيف لم يعن بكف وذُرٍ لم يجد من يرصع
ويا قوتة في سلك عقد مدارة على خرزات من عقيق مجزع
وكم مات نضناض اللسان من الظما وكم شرقت بالماء أشداق لكَّع

* * *

فيا واصل الأرزاق كيف تركتني أمد إلى كف الغلا زند أقطع
أعندك أني كلما عطس امرؤ ندى شمم أقنى عطست بأجدع
طلابة مصدوع الفؤاد فهل له سبيل إلى جبر الفؤاد المصدع
فأقسمت لو قالت أياديك في الدجى أغد غارب الجوزاء قال لها أطلعي ؟
غدا الأمر في إطلاق رزقي وقطعه بحكمك ، فابذل كيفما شئت وامنع
كذلك أقدار الرجال وإن غدت بأمرك فاخفض كيفما شئت وارفع

* * *

فيا زارع المعروف في كل تربة ظفرت بأرض تنبت الشكر فازرع
فإني إذا ما العرف كان جُزيته ثناء كعرف المسكة المتضوع
وقد صدرت في طي ذا النظم رقعة غدا طمعي فيها إلى خير مطمع
أريد بها إطلاق ديني وراتبي فأطلقهما بالأمر منك ووقع
إلى ها هنا أنهي حديثي وأنتهي وما شئت في حقي من الخير فاصنع
فإنك أهل البر والجود والتقى ووضع الأيادي البيض في كل موضع

* * *



شعر الهجاء

الشاعر عمارة ونجم الدين « الأحدب »

مدح الشاعر يحيى بن سالم الأحدب نَجْمَ الدين وأنشده في قصر اللؤلؤة الأبيات الآتية :

يا مالك الأرض لا أرضى له طرفـا ... منهـا ، وما كان منها لم يكن طرفـا
قد عجـل الله هذي الدار تسكنهـا ... وقد أعـد لك الجنـات والغرفـا
تشـرفت بك عمـن كان يسكنهـا ... فألبس بها العز ولتلبس بك الشرفـا

فأجابه عمـــارة :

أثمت يا من هجـا السادات والخلفا ... وقلت ما قلتـه في ثلبهـم خلفـا
جعلتهـم صدفـا حلُّو بلؤلـؤةٍ ... والعرف مازال سكنى اللؤلؤ الصدفا
وإنمـا هـي دار حـل جوهرهـم ... فيهـا وشـف فأسنـاها الذي وصـفا

إلى أن قـال :

فالكلب يا كلب أسنى منك مكرمة ... لأن فيـه حفاظـاً دائمـاً ووفـا



شعر المراثي



عمارة يرثي الدولة الفاطمية التي ناله إحسانها وغمـره برهـا وعنايتهـا

إن قصيدته التي يرثي بها الدولة الفاطمية هي من أجمل شعره بغض النظر عن ميوله الشيعية،وتجاوزاته البيانية،ويقول عنها المقريزي : « أنها كانت سبباً في موته » ، كما يقول القلقشندي : « أنها كانت آخر أسباب حتفه » :

رميـت يا دهـر كـف المجـد بالشـلل ... وجيـده بعـد حسـن الحلي بالعطـل

سـعيت في منهـج الرأي العثور فإن ... قدرت من عـثرات الدهـر فاسـتقل

جدعـت ما رنك الأقـنى فأنفك لا ... ينفك ما بين أمـر الشـين والخجـل

هدمت قاعـدة المعـروف عن عجـل ... شـقيت مهلا ، أما تمشـي على مهـل

لهـفي ولهـف بني الآمـال قاطبـةً ... على فجيعتهـا في أكـرم الـدول

قدمـت (مصـر) فأولتـني خلائفها ... من المكـارم ما أربى عـلى أمـلي

بالله زر سـاحة القصـرين وابك معي ... عليهمـا لا عـلى صفـين والجمـل

وقـل لأهليهمـا والله ما التحمـت ... فيكـم قروحـي ولا جرحـي بمندمـل

مـررت بالقصـر والأركـان خاليـةٌ ... من الوفـود وكـانت قبـلة القبـل

فمـلت عنها بوجهي خـوف منتقـد ... من الأعـادي ووجـه الود لم يمـل

أسلت من أسـفي دمعي غداة خلت ... رحابكـم وغـدت مهجورة السـبل

أبكي على ما ترأت من مكارمكـم ... حـال الزمـان عليها وهي لم تحـل

* * *

دار الضيافـة كانت أنـس وافدكـم ... واليـوم أوحش من رسـم على طـلل

وكسوة الناس في الفصلين قد درست ... ورثَّ منهـا جديد عندهـم وبـلي

وموسـم كان في يوم الخليـج لكـم ... يأتي تجملكـم فيـه على الجمـل

وأول العـام والعيديـن كـان لكـم ... فيهـن من وبل جود ليس بالوشـل

والأرض تهـتز في يـوم الغدير كمـا　　يهـتز ما بين قصريكـم من الأسـل
والخيـل تعرض في وشـي وفي شـيةٍ　　مثـل العرائس في حلي وفي حـلل

* * *

كانت رواتبـكم للذمتـين وللضيـ　　ـف المقـيم وللطـاري من الرسـل
وما خصصـتم ببـر أهـل ملتكـم　　حـتى عممـتم به الأقصى من الملل
وما حملـتم قرى الأضيـاف من سـعة　　الأطبـاق إلّا على الأكتاف والعجـل
ثـم الطـراز بتنيـس[1] الذي عظمـت　　منـه الصلات لأهـل الأرض والدول
والله مازلـت عـن حـبي لكـم أبداً　　مـا أخـر الله لي في مـدة الأجـل

(١) مدينة في مصر كانت مشهورة بجودة النسيج .

شعر الحكم

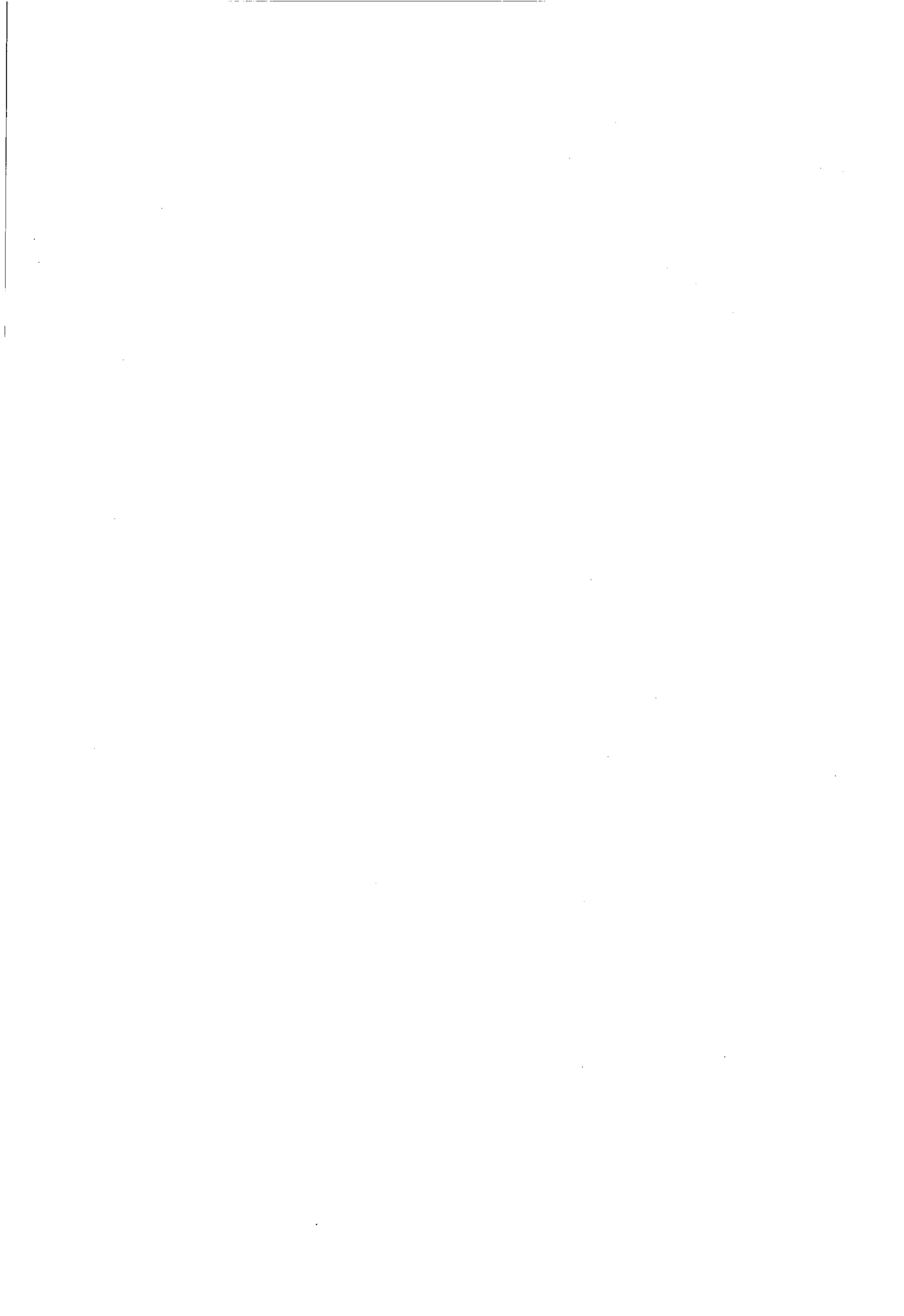
الحكم في شعر عمارة الحكمي

ولا تحتقــــر كيـــد الضعيـــف فربمـــــا
تمــوت الأفـــاعـــي مـــن سمـــوم العقـــارب
وقـــد هـــد قدمـــا عرش بلقيـــس هدهـــد
وخـــرب حفـــر الفـــار ســـداً لمـــارب
إذا كـــان رأس المـــال عمـــرك فاحتـــرز
عليـــه مـــن الانفـــاق في غـــير واجـــب
فبـــين اختـــلاف الليـــل والصبـــح معـــرك
يكـــر علينـــا جيشـــه بالعجـــائب
ومـــا راعـنـــي غـــدر الشـبـــاب لأنـنـــي
أنســـت بهـــذا الخُلـــق من كل صـــاحب
وغـــدر الفـتـــى في عهـــده ووفـــائـــه
وغـــدر المواضـــي[1] في نبـــو المضـــارب

---

(١) السيوف .

الفصل الخامس



دراسة عن الأوضاع السياسية والأدبية
في المخلاف السليماني في القرن السابع

إن الأوضاع السياسية والأحداث الإجتماعية،لها أثرها وتأثيرها – كما سبق الإشارة إلى ذلك قبله – على الأدب والحركة الفكرية في كل زمان ومكان ، وفي القرن السادس،كان الضعف قد بلغ منتهاه في الإمارة النجاحية،نتيجة ما تمخضت عنه ثورة علي بن مهدي الخارجي ومبادئه المتطرفة التي قلبت الأوضاع رأساً على عقب ، وقد تم النجاح لتلك الثورة وامتد سلطانها على الكثير من بلاد جنوب الجزيرة بعد وقعة حرض،وقتل أمير المخلاف السليماني وهاس بن غانم،وفرار الناجين من أسرته إلى الخليفة العباسي،الذي أحالهم بدوره إلى صلاح الدين الأيوبي ، وما تم بعد ذلك من إرسال جيش من قبل صلاح الدين بقيادة أخيه توران شاه،الذي قتل عبد رب النبي بن علي بن مهدي واستولى على دولته من عدن إلى المخلاف السليماني،وامتدت سلطة توران شاه بعد ذلك على نصف شبه الجزيرة من الحجاز إلى عدن وحضرموت[1].

بطبيعة الحال،أن حدثاً جللاً كهذا سوف يستنطق الألسنة،ويفجر القرائح،ويلهم الشعراء،ويحرك أقلام الكتاب في تلك الأصقاع ومنها المخلاف السليماني ، وإنما مع الأسف فإن ما قيل وسطر من أدب تلك الفترة طوته يد الضياع ، وطمسته عوامل النسيان إلا أقل من القليل ، وإن كان التاريخ قد حفظ لنا حوادثه وأخباره ،ولكن التاريخ شيء والأدب شيء آخر .

لقد أعاد توران شاه لأسرة وهاس التي التجأت إلى الخليفة العباسي وصرف أمرهم الخليفة إلى صلاح الدين،الذي بدوره أوصى أخيه بأمرهم وإعادة الاعتبار إليهم بإعادة إمارتهم لهم على المخلاف السليماني فأسند توران شاه إمارة المنطقة إلى قاسم بن غانم،الذي استمر بها حتى وافته،المنية فخلفه ابنه المرتضى في آخر عهد المعز إسماعيل الأيوبي ،

---

(١) قرة العيون في أخبار اليمن الميمون ، والعقود اللؤلؤية للخزرجي .

فاختلف المرتضى مع الأيوبيين اختلافاً تطور إلى الاشتباك المسلح ذهب ضحيته المرتضى نفسه سنة ٦١٠هـ - ١٢١٣ م،فخلفه أخوه المؤيد،فأخذ من ساعة توليه في الاستعداد للأخذ بثأر أخيه،فاتصل بالإمام عبد الله بن حمزة الثائر في الجبال العليا على الأيوبيين ، والذي يود فتح جبهة على الأيوبيين - في أي ناحية - تخفف الضغط عليه،فشجع المؤيد معنوياً وأدبياً ومادياً،فاشتد ساعد المؤيد وتقدم من حرض إلى جهة المهجم في تهامة اليمن فانهزم جيشه ووقع في الأسر ، فولى الأيوبيون على مركزه علي بن محمد بن ذروة خلفاً له على إمارة المخلاف .

استمر علي بن محمد بن ذروة إلى وصول الملك المسعود من مصر ، الذي بدوره أطلق المؤيد من الأسر وقسم ولاية المخلاف بينه وبين المؤيد،فأصبح الوضع في المخلاف السليماني على الوجه الآتي :

١ - من وادي عين إلى وادي خلب تحت سلطة المؤيد .

٢ - من خلب فشمالاً إلى بيش تحت سلطة علي بن محمد بن ذروة .

لم تطب نفس المؤيد بالقسمة،فاستولى بالقوة على قسم علي بن محمد بن ذروة،الذي انسحب إلى تعز شاكياً مما حصل عليه من المؤيد للملك المسعود الذي،بعد تدبر الأمر سير معه سرية بقيادة أحد قواده المسمى الخوارزمي،فوالت الحملة سيرها إلى أطراف المخلاف السليماني،وهناك التحمت في معركة مع المؤيد انتهت بقتله وضم منطقة المخلاف السليماني إلى سلطة الملك المسعود المباشرة[1].

واستمر الحال على ذلك حتى حان عزم الملك المسعود على العودة إلى مصر عن طريق الحجاز بعد أن استناب على جنوب الجزيرة عمر بن علي الرسولي .

وعندما وصل الملك المسعود الأيوبي إلى مكة وافاه الأجل المحتوم وعاد الجند المرافق له إلى مصر،فاستقل نائبه عمر بن علي الرسولي على البلاد،وإن كان في حقيقة الأمر أن سلطته امتداد لعهد الدولة الأيوبية،لأن جل قواده من رجال الدولة الأيوبية التي ضعف أمرها في مصر والشام .

---

(١) انظر ص (٢٠٨) من المخلاف السليماني جـ ١ (ط٣) .

في عهد عمر بن علي الرسولي بعث عمالاً جداً يثق بهم ويعول عليهم إلى الجهات التي كانت تحت سلطة المسعود الأيوبي وأصبحت الآن تحت سلطته المباشرة،ومن تلك الجهات المخلاف السليماني[1]، فتلاشت سلطة الأسرة الوهاسية من السليمانيين،وإن كان قد احتفظت بعض أسرهم بتراثها الموروث ونفوذها العائلي أدبياً ومعنوياً في غير جهة من المخلاف السليماني مثل :

١ – الغوانم في وادي جازان .

٢ – آل وهاس في باغتة .

٣ – آل ذروة في صبيا[2] .

٤ – القاسميون في ضمد .

٥ – آل هضـام[3] في خلب .

وكان لهم من الإقطاعيات والضياع الزراعية التي اقتناها أسلافهم إبان سلطتهم في الإمارة،ما حفظ على الخلف مركزهم الأدبي ومكانتهم الإجتماعية،وكفاهم مؤنة الإرتزاق وعوز الإحتياج،وسهل لهم التزيد من اصطناع الأنصار،واقتناء الخيل والسلاح وفرض سلطتهم على مستأجري أراضيهم،فكونت كل أسرة منهم لنفسها شبه إقطاعية في الجهة التي تسكنها حول أراضيها،وتحصل على كل شيء من الإمتياز السياسي والإجتماعي والإداري،إما بالاتصال المباشر بحكومة « الرسوليين »،أو عن طريق عمالها في المخلاف السليماني ، ونلاحظ أن سكان المنطقة لم يكن عددهم بالنسبة إلى عهدنا الحاضر يوازي ٥٠٪ على أكثر تقدير في السهول والجبال – في المخلاف السليماني – وإنما أولئك « السكان » – في ذلك التاريخ – تتجاذبهم عوامل تنازع البقاء في شتى النواحي وتتلخص في :

١ – الفتن والغارات بين كل قبيلة وأخرى واشتغالها بذلك عن كل ما عداه .

٢ – إقطاعيات السليمانيين وما يلعبه زعماؤها من أدوار في ثورة من يقوم بثورة من

---

(١) قرة العيون – مخطوط – ، العقود اللؤلؤية للخزرجي .

(٢) يطلق عليهم (آل ذروة) و (بني ذروة) ، قال ابن هتيمل :

بني (ذروة) تنقون من أهـل دهركم   خياراً كما ينقى من الحشف التمر

(٣) انظر مدائح ابن هتيمل في رؤساء تلك الأسر في ديوانه – المخطوط .

أئمة الزيدية في القسم الجبلي الأعلى تارة،ومع الرسوليين أخرى طمعاً في أن يعترف لهم المنتصر بحق الزعامة في المخلاف،أو أن تراعى لهم الأولوية، في حال أن نفس تلك الأسر في غير وئام مع بعضها .

٣ - إن عمال الدولة الرسولية بالرغم من تمركزهم في بيش وجازان وحرض والبرك إلا أن الأمن غير مستقر والفوضى ضاربة أطنابها[١] .

٤ - إن تأخر الحالة الإقتصادية في المخلاف السليماني في ذلك العهد،الذي تنحصر فيه موارد الرزق في الزراعة اليسيرة للأفراد،إذ لا تتعدى المزارع ما حول القرية ورعي الماشية في سوحها ، فالإنتقال والإنتجاع للمراعي في غير نطاق القبيلة الواحدة معناه الضياع والهلكة،إلا أن يكون تحت تأدية حق (الجوار) في المرعى،وحق (الرفقة) في الطريق .

٥ - إن إمارة الغوانم قد تلاشت - تقريباً - في الربع الأول من القرن السابع،وأصبح المخلاف تحت التبعية المباشرة للأيوبيين ، ثم بعد ذلك إلى عمر بن علي بن رسول ، إلا أنه بعد قتله واشتغال ابنه المظفر بإخماد ثورة ابني[٢] عمه قد حدث فراغ في المخلاف نبه الطموح الغافي في السليمانيين ، فأخذت كل أسرة تفرض سلطتها في مكان استقرارها وموطن أملاكها،وبما لها من إمكانيات،مما يعوز غيرهم من رؤساء القبائل الذين قعد بهم العوز وضيق الفكر - بالنسبة إلى السليمانيين الذين أتاح لهم التفرغ وهيأ لهم الغنى شيئاً من الثقافة ، وسعة الأفق الفكري بحكم ما مهد لهم مركز أسلافهم،الذين حصلوا كل شيء من مركز الصدارة وشارة السيادة،فغدت تتصرف بحكم التفوق الأدبي في مصائر سواد الشعب أولا،وبحكم العادة التي قد دَجَّنُوا الشعب عليها فيما قبل - واستمر - حتى بعد أن تلاشت الإمارة من تلك الأسر .

إن ما أوردناه في هذه الدراسة هو تمهيد لما نحن بصدده عن الحياة الفكرية والأدبية في

---

(١) انظر لمضامين أشعار الشاعر ابن هتيمل المنشورة في ديوانه وما اخترناه منها .

(٢) العقود اللؤلؤية .

القرن السابع،الذي يعد من أخصب القرون،لا بالنسبة إلى المخلاف السليماني فقط بل وفي البلاد المجاورة له من تهامة اليمن .

ولا نستطيع أن نعلل أسباب تلك الخصوبة الأدبية،وبالأخص الشعر إلا نتيجة للأسباب والمسببات الآتية :

أولاً : إن الإمارة النجاحية قد شاخت وأصبحت ميداناً للاضطرابات والانتكاسات فجاءت ثورة علي بن مهدي بتطرفها الجارف ونزعتها المتسرعة،فقضت على الإمارة النجاحية،وانتظمت البلاد في إمارة جديدة من عدن إلى حلي بن يعقوب،فهزت الركود وحركت الأفكار،وتيقظت الأنفس في انتباهة فكرية جديدة[1].

---

(١) راجع ص ١٣٩ جـ ١ من كتابنا المخلاف السليماني الطبعة الثالثة،عن ثورة علي بن مهدي الخارجي .

لقد كان علي بن مهدي متضلعاً في الفقه والعربية،وله قصيدتان معروفتان تمثلان أشعار الخوارج في نزعتها التطرفية،كما أن لابنه عبد رب النبي قصيدة مخمسة سبق أن أوردنا منها بيتين،وها نحن هنا نورد في هذه الحاشية قصيدة علي بن مهدي .

إن الأدب في عهد علي بن مهدي تأثر بنزعته الخارجية ، فإن الخوارج لهم – كما هو معروف – أدب حاد يتسم بروح البطولة ونزعة الفروسية،يتفق وتطرفهم في الدين وغلوهم في معتقدهم ، وإنما مع الأسف لم يبق من أدب عصر علي المهدي إلا قصيدته التي نوردها هنا :

عناق العتاق الصافنات السوابق ... ألذ وأشهى من عناق العواتق
وسهرتنا بالليل فوق ظهورها ... ألذ إلينا من رقاد النمارق
وما العز إلا في صها[1] كل صاهلٍ ... من الخيل لا في صهوةِ كل ناهق
وفي الذابلات العاسلات من القنا ... وفي المشرفيات العتاق الفواتق
تمزق شمل الكل في جمع هذه ... إذا ما دلفنا مأزقاً في المآزق ..
إذا ضحكت في حافتيهم سيوفنا ... بكين العوالي من دماء هوارِق ..
وما طلعت أسيافنا من غمودها ... فتغرب إلا في الطلا[2] والمفارق .
أدرنا على درب الحصيب صواعقا ... يحاكي صداها موبقات الصواعق
بجيش كَجيَّاش العبير ؟ عرمرم ... يعمُ آكام الأرض قبل السمالق ؟
صدمنا بجرد الخيل باب سهامها ... ودارت على درب الحصيب الغلافق ؟
وسالت نواصيها على باب قرتب ... ولم تأل أن جالت بباب الشبارق[3]
على بابها الغربي كان حصادهم ... وأسيافنا فيها حصاد المنافق

---

(١) صها بضم الصاد جمع صهوة،بفتحها وهو من ظهر الفرس مقر سرجه . (٢) الطلا بالضم العنق .
(٣) (باب قرتب) و (باب الشبارق) من أبواب سور زبيد القديمة .

ثانياً : وصول الجيش الأيوبي بعدده وعديده وأجناسه المختلفة ، وما وفد مع الحملة من الكتاب والأدباء والشعراء من مصر وسوريا والعراق وفلسطين وحتى من الحجاز ، وإذا كانت ثقافة تلك البلاد معروفة في جنوب الجزيرة،وإنما كانت تفد تنجيماً وتقسيطاً لا في اندفاع،كما حصل في حملة توران شاه،التي نجم عنها الاحتكاك الفكري والحضاري والأدبي،كما أمرعت البلاد – بالرغم عن الوقائع الدامية والفجائع الساخنة – اقتصادياً ، ونشطت الحركة التجارية في الأسواق بما ينفقه جنود الحملة للحصول على احتياجاتها وتشغيل الأيدي التي تتعاون معها ، هذا من ناحية ، ومن الأخرى،فإن المجال الواسع وانتظام جنوب الجزيرة في وحدة سياسية وفكرية،تمتد من مصر عبر سوريا وفلسطين والحجاز والمخلاف السليماني وتهامة اليمن واليمن الأعلى،جعلت جنوب الجزيرة تعيش في أفق أوسع - فكرياًوأدبياً - فنرى مثلاً:في المخلاف السليماني نهضة فكرية،وخصوبة أدبية تتمثل في خمسة شعراء،هم من خيرة من أنجبهم المخلاف :

تركنا عليهم في زبيد بوائقا ... بها نسبوا ما استنسبوا من بوائق ؟
تركنا رؤوس الحُبش فيها مفالقا ... بُعيد الضحى من بعد تلك الفيالق
وسرنا على « كدرى سهام » عشية ... نجوب الفلا في جحفل متفائق[1]
كأنا بجنبي كل طرفٍ إذا جرى ... جناحي عُقاب كاسر غير خافق
طرقناهم والليل مرخ سدوله ... وقد غفلت عنا عيون الطوارق
طحناهم بالخيل والرجل طحنةً ... ببحر حديد يوم ذلك دافق

ويرجح أن في خلال الثمان عشر سنة،التي هي كل مدة حكم ذلك الثائر وابنيه[2] – وهي مدة طويلة بالنسبة إلى عُمر الإمارات والدول – فإذا لم يكن لها أثر يذكر فلاشك أن يكون لها – ولو – من باب المجاراة والتقليد والمحاكاة لقصائد ذلك الثائر الخارجي – تأثير في أدب تلك الفترة القصيرة ، وإنما قيل قديماً « ويل للمغلوب » فقد هُدم كل أثر من آثار علي بن مهدي الثائر الخارجي وابنائه،حتى ضريحه الفخم الذي ابتدعه ابنه كبدعة تخالف المسنون،من عدم تشييد البنيان على القبور ، وأخال أن الهدم تناول حتى قصوره ومدرسته،وطال أيضاً الآثار الأدبية لعهده ، وإذا كان حفظت،كما حفظ لنا التاريخ القصيدتين المشار إليهما قبله،فإن ذلك كما نرجح احتفظ به البعض حتى زوال عهد الدولة الأيوبية،أو على أقرب وجه حتى انتهاء عهد توران شاه .

---

(١) هكذا في الأصل .

(٢) قرة العيون .

١ – القاسم بن علي بن هتيمل .
٢ – القاسم بن علي الذروي .
٣ – منصور بن سحبان .
٤ – المدير الشماخي .
٥ – الشاعر العليف في حلي بن يعقوب .

كما أن الأمر لم ينحصر في المخلاف السليماني فقط،بل شمل تهامة اليمن التي أنجبت أبرز شاعرين في تاريخها في ذلك القرن[1]،وهما :

١ – عبد الله بن جعفر .
٢ – محمد بن حمير .

وبما أن موضوعنا هنا هو التاريخ الأدبي في المخلاف السليماني في القرن السابع،فعلينا أن نقدم نماذج لشعراء ذلك القرن .

❊ ❊ ❊

(١) انظر كتابنا من أدب جنوب الجزيرة ص (٣٨ ، ٦٦) .

النثر



فن الترسل في القرن السابع الهجري
- الثالث عشر الميلادي

لم تسعفني المصادر التي في حوزتي بشيء من أدب الترسل في القرن الخامس وما قبله لكتاب وأدباء المخلاف السليماني .

أما في القرن السادس،فسنجد في كتاب عمارة(المفيد في تأريخ زبيد)وكتابه الآخر (النكتةالعصرية في أخبار الوزارة المصرية)ما يصلح أن يكون نمطاً من أنماط الترسل - ولو على سبيل المجاز - فإن مالا يدرك كله لا يترك جله ، وأدب النثر سواء كان إنشاءً،أو ترسلاً،أو كتابة مرسلة،وأقصد بالمرسل - أي الخالي من السجع والمحسنات اللفظية والزخرف البياني -

أما في القرن السابع فقد واتانا الحظ وسهلت لنا الصدف العثور على مخطوط نادر،هو (ديوان الشاعر محمد بن حمير)،الذي من ضمن ما اشتمل عليه من الشعر رسائل نثرية ، ومنها رسالتان متبادلتان بينه وبين معاصره شاعر المخلاف السليماني ابن هتيمل .

والرسالتان في القمة من فن الترسل في ذلك الزمن ،وهي تُطْلِعُنَا على ما بلغه ذلك الفن الترسلي في المخلاف السليماني ، وتهامة اليمن .

وقد استهلــت كل من الرسالتين بقصيدة كاملة للمُرْسِل ، هي في غاية الظرافة والطرافة،والرقة وإشراقة البيان ، ونثرها كما أشرنا إليه من التحف البيانية) .

وقد اشتملت الرسالتان في جملها على أنواع من البديع: كالجناس - الازدواج - المقابلة - المطابقة - التورية - القلب .

ومن فن البيان على:التشبيه ، والمجاز ، والاستعارة ، والكناية ، وغير ذلك ، ولولا خوف الإطالة لأوردنا من الشواهد ما ينطبق وما أشرنا إليه .

كما ان الرسالتين مسجوعتين شأن الترسل في تلك العصور ، وإنما سجعها من النوع

الذي هو عفوي،وبعيد عن التكلف ، ويتحلى بالإيجاز ، والاختصار في فقراته ، مثل ماجاء في أول الرسالة الأولى .

(سبب هذه الرسالة المختصرة ، والألفاظ القاصرة المقتصرة ، إلى ذلك الجناب المحروس ، والفناء المأنوس ، والآداب العربية ، والأنساب اليعربية) .

ويأتي باللفظة ويقرنها بما يقرب منها لفظاً،ويختلف معنىً،مثل قوله : (والآداب العربية والأنساب اليعربية)،أو قوله : (وما عسى أحمل من ورق العرار إلى العبير والعنبر)،أو كقوله : (وحمت قصائد نتجتها اليراعة،وسطرتها البراعة) .

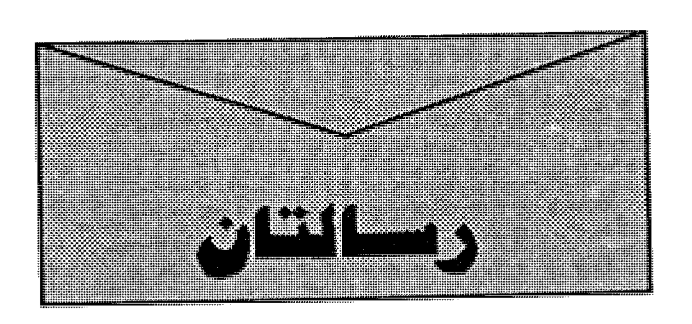
وكثير ما يرد الاستشهاد في الرسالة الأولى بآيات من الذكر الحكيم،مع ما يوشيها به من الأبيات الشعرية،وأكثرها من الشعر المشهور،والأبيات السائرة ، هذا عن رسالة ابن حمير .

ورسالة ابن هتيمل تسير على نفس الأسلوب والمعاني،ونفس الطريقة المسجوعة السجع العفوي ، والنهجين الواردين في الرسالة السالفة،البديعي والبياني ، وتقارب الفقرات ، فيقول في أول الرسالة : (وردت – أدام الله مولاي – التحفة المرضية ، والنعمة الروضية ، الجليلة الخطر ، الرفيعة النظر ، الحاسرة الجيوب ، المعجزة الأسلوب .... الخ) .

وبالطريقة نفسها في الرسالة الأولى يكثر من الاستشهاد بالأبيات الشعرية،وفي قصيدة ابن هتيمل ورسالته ضروب من التواضع الكريم ، والمجاملة الرفيعة ، والتهذيب الحميد وإن كان قد ورد في الرسالة الأولى شيء من ذلك،فإن في الرسالة الأخيرة الأكثر والأحسن .

ولا نحب أن نفسد على القارىء الكريم تذوقه الراقي،بتحليل مقتضب ودراسة مختصرة قد تبعده عن الغرض،وتطوح به عن الغاية،فالرسالتان غنيتان بقيمتهماالبيانية عن كل تنويه وإطراء .

* * *



من القرن السابع الهجري « ١ »

رسالتان من القرن السابع الهجري

(١)

إن الوثائق والرسائل القديمة سواء كانت تاريخية،أو علمية،أو سياسية،أو أدبية،فإنها من أوثق المصادر،وأهم الوسائل،فهي من محتواها تعطينا الصورة الواضحة لعصرها،والرؤيا الصادقة لعهدها ، وبالرغم من أن أدب الترسل في جنوب الجزيرة لم يرق إلى مستوى وشهرة أو كثرة فن الترسل أو النثر الفني الرفيع في شمال الجزيرة وبقية أقطار العروبة كالعراق وفارس والشام ومصر والمغرب والأندلس،وهذا ليس معناه أن جنوب الجزيرة قليل الحظ من هذا الفن الرفيع،بل له فيه نصيب مشرق يتمثل في:رسائل « ابن القُم » وعمارة ، و « عبد الباقي بن عبد المجيد »،والعماد إدريس،والمقري،وابن حمير ، وابن هتيمل ، وغيرهم ممن لا تحضرني أسماؤهم من أدباء اليمن وتهامة والمخلاف السليماني .

إن الأدب العربي هو تراث لأبناء العروبة في الشمال والجنوب والشرق والغرب،ولا ينحصر انتماؤه أو فخره على قطر واحد،ولا لمنطقة من المناطق،بل هو تراث أدبي وارث علمي لأبناء الأمة العربية بأسرها .

وقد ظفرت برسالتين قيمتين لم تنشرا – حسب علمي – قبل هذه المرة – منذ سطرتا في القرن السابع الهجري إلى هذا التاريخ .

١ – الأولى صادرة عن شاعر تهامة الأديب الشاعر محمد بن حمير المتوفى سنة ٦٦١ –١٢٦٢ .

٢ – الثانية لمعاصره الشاعر المخلافي الضمدي في القرن السابع – القاسم بن هتيمل .

وقد سبق أن نشرت بحثاً عن الشاعر محمد بن حمير في مجلة العرب الغراء العدد ٦ السنة الرابعة ص ٥٥٤ – ٥٦٧ الحجة ١٣٩٩هـ ١٩٧٠م اشتمل على دراسة عن هذا الشاعر العربي التهامي اليمني وعصره وشعره،وقصيدة جوابية للشاعر المخلافي الضمدي الذي بعثها إلى زميله محمد بن حمير ، وتحسرت على عدم وقوفي على قصيدة ابن حمير

التي أجاب عليها ابن هتيمل،والآن وقد تكرم أستاذنا الجليل علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر بالحصول لي على نسخة فريدة من ديوان ابن حمير ، وجدت فيها قصيدة ورسالة ابن حمير المرسلة إلى ابن هتيمل ، كما ظفرت فيها بقصيدة ابن هتيمل ورسالته الجوابية ، كما سيطلع القارىء الكريم على ذلك في هذا التاريخ .

رسالة الأديب جمال الدين محمد بن حمير إلى الأديب قاسم بن علي بن هتيمل التي صدرها بالقصيدة الآتية :

إن سعت بيننا صروف الليالي ... أو تناءت منا ومنك الخيام[1]
أو رمى البينُ سَهْمَهُ فحوتني ... يمنٌ واحتوتك عني شام
فودادي ذاك الوداد ووجدي ... ذلك الوجد والغرام الغرام
والذي كان بيننا - فبقيتم - ... لم تكدر صفاءه الأيام
فعليك السلام مني وأرض ... أنت من أهلها عليها السلام
والبشام الذي (بعوسجة) لازال ... مغدودقاً عليه الغمام[2]
سيدي أنتم المراد وقوم ... أنت فيهم قوم عليّ كرام[3]
أصلنا واحد يعد ولكن ... أنت منه السناء وأنت السنام
وبيوم السباق أنت المجلي ... كم جرى بعدك الرجال وقاموا

---

(١) (أ) هذا البيت في الأصل :

أو رمى البين فيه عزك فحوتني ... يمن إذ حوتك عني شام

فأصلحناه بما ترى . جرى التنبيه .

(ب) إن الشاعر ابن حمير هو من أهل وادي سهام في تهامة اليمن ، وهم يطلقون على جهة المخلاف السليماني « الشام » ، وقد كرر الشاعر ذلك البيت الثاني من المقطوعة الثانية فقال :

ولما حوته الشام عني وايمنت بلاد ... ي وهذا الدهر أجور حاكم

(جـ) كرره في المقطوعة الثالثة فقال :

وإنما الجهل غطى كل مثلبة ... وشاعر الشام يرعى شاعر اليمن

(٢) عوسجة : بلدة في ضمد غير معروفة في وقتنا الحاضر ، وقد أشرنا إلى ذلك في كتابنا « مختارات من ديوان ابن هتيمل » الطبعة الأولى سنة ١٣٨١ هـ ، وفي الطبعة الثانية منه ١٤١٠ هـ .

(٣) كلمة في أول البيت السابع غير مفهومة ، وضعنا في محلها كلمة « سيدي » . جرى التنبيه .

لا أناديك من مكان بعيد قَرَّبت بعده لنا الأرحام

لا كثير إذا وصلناك يوماً قد مضى للصدود عام وعام

فأذكرونا فما نسينا هواكم لا تناموا فإننا لا ننام

أنت مولى الكرامَ لاغالك الد هرَ ، وفحل الكلام حيث الكلام

« ضمد » مذ حللت فيه عليه حرج ، أن يحل فيه الملام

فسقت بلدة حوتك الغوادي ولك العز دائماً والدوام

سبب هذه الرسالة المختصرة ، والألفاظ القاصرة المقتصرة،إلى ذلك الجناب المحروس ، والفناء المأنوس،والآداب العربية ، والأنساب اليعربية ، والطلعة الوضيئة المضيئة والأخلاق الراضية المرضية – قول العلماء : المعارف فيهم مؤكدة ، وقول النبوة : القلوب جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف .

شعراً :

وما بين هارون وموسى ابن أمه من الود ما بيني وما بين قاسم

ولما حوته الشام عني وأيمنت بلاد ي ، وهذا الدهر أجور حاكم

سطرت إليه في الطروس رسالةً تعبر عما في الحشا والحيازم

وما طرسها إلا الفؤاد تخطه يد الشوق عني بالدموع السواجم

فلو علم القرطاس ما في ضميره شكي وبكى ، لكنه غير عالم

وما عسى أحمل من المحار إلى الجوهر ، وما عسى أحمل من ورق (العرار) إلى العبير والعنبر ، وما عسى أحمل من حشف التمر إلى خيبر .

شعراً :

وناظم الشعر يهديه (لعوسجةٍ) كحامل السيف يهديه إلى عدن

وإنما الجهل غطى كل مثلبة وشاعر الشام يرعى شاعر اليمن

قحطان ، هود أبونا لو ذكرت له وقاسما ، قال أنتم نصرتي وبني[1]

وللخزاعي كل الفخر قاسمني فيه وسيف كساه الفخر ذو يزن[2]

---

(١) هكذا في الأصل .

(٢) الخزاعي نسبة إلى قبيلة « خزاعة » التي منها الشاعر ابن هتيمل .

وإنما ينبسط المنبسط على أهل الأحساب البيض،وينسحب المنسحب على أهل السؤدد العريض ، والله يقول في القرآن الذي ليس في حكمه نقض : ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾[1] ، وكما حدث في اليمن،في أرض اليمن،ما حدث من جائحة الزراعة،وأنف الأديب لأهله من الضراعة ، وهي أشرف بضاعة ، وحمت قصائد نتجتها اليراعة،وسطرتها البراعة ، سيرت هذه الرسالة على أيدي الجماعة،ولولا عوائق الزمن ما تأخرت ساعة ، ولله على الناس حج البيت من استطاعه .

شـــعراً :

فقلت للركب إذ صاح الدليل بهـم	**هبــوا فكلهم لَبَّــاه إذ صاحـــا**
يا نازحــين إلى المختــار من مضــــر	**صـرتم جسـوما وصرنا نحـن أرواحـا**
حيـوا (بعوسجة) سحبان منطقهـا	**والمنتقـى عـز ... وأوضـــاحا؟**
وبلغـوه سـلاما مشرقا أرجــــا	**كالصبـح إذ لاح أو كالمسك إذ فاحا**
انا إلى الله من عـذر أقمـت بـــــه	**ومن أقـام على عـذر كمـن راحــــا**

ولكن يتصل بي من رواة الأخبار ، وَجَوَّابة الأقطار من البلاد الشريقية ؟ والأقيسة[2] الشمسية أن أقواماً من سقط المتاع ، وممن يجب أن يباع ولا يباع ، يتقولون الأقاويل ويحرفون الكلم عما نزل به جبريل ، ويسترزقون بالأباطيل التي يزورون ، وينتسبون إلى بعض ما يصورون . وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون ، وأيم الله لو زأرت لأسكت الذين يصفرون ، ولو قرأت نون لعثر[3] القلم وما يسطرون ، الا انهم ينحرون على ذلك في المواضع البعيدة ، ويغرون به من لا يميز القصيدة من العصيدة ، وأولوا الشرف متعبون بثرثرة هؤلاء الأنكاس ، وما على الأسد البهناس من النوابح من بأس ، والنبي صلى الله عليه وسلم تعوذ من الوسواس الخناس،الذي يوسوس في صدور الناس،من الجنة والناس .

شـــعراً :

ومذ كنت لم أقصد لئيما لحاجــــة	**ولو بلغـت أموالـه حبـك السمــاء**

---

(١) من الآية (٧٥) من سورة الأنفال .

(٢) ، (٣) هكذا في الأصل .

« وما كل برق لاح لي يستفزني ... ولا كل من ألقاه أرضاه مغنماً »

« إذا قيل هذا مورد قلت قد أرى ... ولكن نفس الحر تحتمل الظما »

الأبيات لأبي الحسن الجرجاني،كأن الشاعر ضمنها تضميناً ليس إلا .

معاشر أملاك خدمت بمدحهم ... « وما أمدح الأملاك إلا لأخدما »

ولا نقص لي مهما قصدت قصائدي ... نبي ، عليه الله صلى وسلما ؟

فإن احتاج الملوك إلى مشورة فيها السداد ، وتثقيفة تستفاد،لجهلهم بأهل البلاد فمولاي - أمده الله - أولى من أشار عليهم ، وأومأ لهم وإليهم ، فطال ما جملتني أملاك اليمن،وشروا شعري بأنفس ثمن ، وهذا أول تحفة إلى أشراف بني حسن،وأول صيف طعمت فيه اللبن ، وهم - أكرم الله حياتهم . وكثر نسلهم - أهل العوارف والمنن ، وإن لم يكتبها ، فمن الله تعالى سقى تلك الأنفس النفيسة ، والهمم الرشيدة ، وعليك أفضل السلام والتحية والإكرام .

شعراً :

فكل الأرض دار أنت فيها ... وكل الناس شخصك والسلام

ولو لم تروعن قحطان فخرا ... لكنت الفخر وانقطع الكلام

❊ ❊ ❊

رسالتان من القرن السابع الهجري

(٢)

سلف قبله رسالة الشاعر محمد بن حمير المتوفى سنة ٦٦١هـ - ١٢٦٢ إلى ضريعه الشاعر القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي الجازاني .

والآن نورد رسالة القاسم بن هتيمل الجوابية،لتكمل الصورة البيانية للبحث .

إن الشاعرين من الشعراء الذين حفظ لنا التاريخ جانباً من نثرهم الفني الرفيع وترسلهما الإنشائي البديع .

لقد حفظ لنا الأدب العربي رسائل لنوابغ الشعراء،في أعلى مراتب البلاغة وأسمى مراقي البيان،كرسائل الشاعر الوزير ابن زيدون الأندلسي،والشاعر العالم ابن عبد ربه ، والشاعر الفيلسوف أبي العلاء المعري،والشاعر أبي الفرج الببغاء،وغيرهم إلا أن هناك من عباقرة الشعراء من لم نقف لهم على رسائل فنية تبادلوها مع غيرهم من الشعراء،أو،الكتاب أو الرؤساء،ومن هؤلاء - على مبلغ علمي - أبو تمام وأبو عبادة البحتري وأبو الطيب المتنبي .

إن أدب جنوب الجزيرة شعراً أو نثراً لم يكتب له الإنتشار والذيوع - قبل عصرنا الحاضر - ،بل ظل محصوراً فيما بين الحجاز والمخلاف السليماني واليمن ، حبيس المخطوطات وقعيد المكتبات الخاصة،فلا نجد لشعراء مثل :

١ - سليمان ابن أبي الحفاظ .

٢ - الخطاب ابن أبي الحفاظ - القرن السادس .

٣ - الحسين بن علي بن محمد القم - القرن الخامس .

٤ - الشاعر محمد بن حمير - القرن السابع .

٥ - الشاعر القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي - القرن السابع .

٦ - الشاعر عبد الله بن جعفر - القرن الثامن .

٧ - الشاعر الشهيد ابن سحبان الضمدي - القرن السابع .

٨ – الشاعر الآنسي .
٩ – الجراح بن شاجر الصبياني – القرن العاشر .

وغيرهم من فطاحل شعراء جنوب الجزيرة[١] ، تراجم في كتب الأدب العربي من مؤلفات،أهل العراق،ومصر،والشام وخراسان،كـ « يتيمة الدهر »،أو خريدة العصر وغيرهما من مؤلفات بقية البلاد العربية ، ولا حتى مختارات من أشعارهم ، ولا رسائل من رسائلهم ، ما عدا عمارة اليمني،وعبد الباقي بن عبد المجيد،وأبي الحسن علي بن محمد التهامي،الذين رحلوا من بلدانهم لظروف خاصة إلى مصر وسواها .

ولنعود إلى الرسالة الثانية ونورد نصها الحرفي ، فهي نمط رفيع وطراز فريد ، والرسالة مصدرة بقصيدة رائعة كما صنع ابن حمير في رسالته السالفة ... قال الشاعر ابن هتيمل :

سيدي ما دمي عليك حرام … ليس في سفكه عليك آثام
أنت أولى مني بروحي فاحكم … لك فيها ، فما إليَّ كلام ؟
أنا راضٍ فما ملام أخي اللوم … لمن لا يجبك فيه الملام
بليت جدةُ الليالي وما جُدتَ … بوصلٍ ، وبادت الأيام
ومضى للصدودِ شهرُ وشهرٌ … ما تداركتني ، وعام وعام
عبدك الرق ، شاب في لوعة البين … وليداً وشاخ وهو غلام
حاش لله ما أظنك إلا صنـ … ـما شُبهت به الأصنام ؟
أتراني أحظى بلثم ثناياك كفـ … ـاحاً ، وقد أميط اللثام
تتلاق الأرواح حين تلاق … في العناق الأجسام والأجسام
لي من ضفرتيك رُوح وريحان … ولي من مدام فيك مُدام
التقت نون حاجبيك وخطَّت … ألف بين حاجبيك و لام
يا نسيم الأسحار فيك شميمٌ … من بشام اللوى فكيف البشام
أعقيق الحمى عقيق الحمى … والعَلَمُ الفرد والخيام الخيام

---

(١) وهذا على سبيل الإشارة والاختصار فيبلغ عدد شعراء جنوب الجزيرة العشرات في كل عصر .

ما لنا يارفاق زَغزعنا الشوق ... وللعيس تحتنا إرزام
قلتم لا نلمّ بالطلل البالـ ... ـي وهيهات مني الإلمام
أفبدعاً ان قلت يا ربع حييت ... ويا دارهم عليك السلام
لا نأى الغيث عن « سهام » ولا زال ... يمج المياه ريا ـ(سهام)
بلد توجد المروءة والثروة ... فيها ويعدم الإعدام
جمعت في محمد آلة الفضل ... وحارت في وصفه الأقلام
الجواد الجواد والسيد السيد ... والصارم الحسام الحسام
عالم عالم أحاشيه أن تدركه ... العالمون والأعلام
راعف السيف واليراعة ... تمضي بيديه السيوف والأقلام
وإمام للأكرمين ، وما كل ... إمام للأكرمين إمام
إنما لابن حمير قدم ؟ السبق ... وحيداً ، وتستوي الأقدام
يا أبا عبد الله عزت بك الأ ... مة والمسلمون والإسلام
قمت فرداً بدولة الملك المنـ ... ـصور بالشعر حين عز القيام
بقواف يلحقن من أعجز الجيش ... الرسولي وهو جيش لهام

* * *

أنا لولاك ما عرفت وما السـ ... ـيل بشيء في الأصل لولا الغمام
نحن سيفا عمرو وقد علم ... العالم أنا ذو النون والصمصام
نسبة بيننا إلى نسب يجـ ... ـمع فيه الآداب والأرحام
بأبي أنت يا محمد أنعمت ... بفضل من دونه الإنعام
فلماذا طوقتني ولأمر ... طوقت في زمان نوح الحمام

وردت أدام الله مولاي،التحفة المرضية ، والنعمة الرَوضِيَّة ، الجليلة الخطر،الرفيعة النظر ، الحاسرة الجيوب ، والمعجزة الاسلوب ، الطالعة في فلك الريح،الموضحة في كل أمر مريح .

شعراً :

عـــذارى أحـــلى في الفـــؤاد من المُـــــــنى
وألـــذ مـــن ريـــق الأحبـــة فـي الفـــم

ووردت ورود العافية على السقيم ، والثروة على اليتيم ، والغنى على الفقير،والإطلاق على الأسير ،

شــــعراً :

فلثمتهـــا حتى محـــوت سطورهـــا لـثم المحـــب لوجنـــة المحبـــوب

كانت ألذ من غفلة الرقيب ، وأبهج من طلعة الحبيب وأحسن موقعاً مني وعندي من البشرى ، أتت بعد النعي وكأن « حبيباً » أنشاها[1] ، والوليد وشّاها[2] ، والحسن أوْهَبَها[3] وحسان هَذَّبَهَا[4] ، وأنى اهتدت لها الأفهام لولا الرؤية الحميرية ، فعلمت أنها جوهرة من خاطرك .

شــــعراً :

« كالبحر يعبث للقريب جواهـــراً جـــوداً ويبعـــث للبعيد سحائبـــا »[5]

مما ردت عني الحيرة في أمري ، والتفكر في سري وجهري ، فرأيت أني استبعدت الشقة ، ولم أتكلف المشقة ، فسترت عواري ، وأعصيت ؟ إهذاري ، ميلا إلى التخفيف على خاطرك الشريف ، هتكت حرمة الأدب ، أغرقت ؟ شواظ الغضب ، وإن أمرت بالجواب ، وبعث الكتاب جعلت غرسي (...) وقابلت بالشمس السها[6]

---

(١) هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ، الشاعر المشهور .

(٢) هو أبو عبادة الوليد البحتري الشاعر المعروف .

(٣) هو أبو نواس الحسن بن هاني .

(٤) هو حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ .

(٥) البيت من قصيدة لأبي الطيب المتنبي أولها :

بأبي الشموس الجانحات غواربا اللابسـات من الحرير جلاببا

(٦) السها : نجم لا يراه إلا حاد البصر .

وساجلت بباقل سحبان وائل[١]، وباهيت البيض بالدأدي[٢]، وما صحت قيس الإيادي ، وكنت كمحاسن القمر ، أو كمخاشن الحجر ، ولم أر بداً من جنوح،إلى بعض هذه الفضوح[٣].

شـــعراً :

وما علـى إذا ضـيف تأوبـــني مـن المـلام إذا أديـت مجهـودا

ولو شرط في الجواب مماثلة الخطاب - لسـكت موسى عليه السـلام عند مفاجأة المناجـاة .

شـــعراً :

ولـكنه جهـدٌ مقـلٌ ومن سـعى مقلاً، وأعطى الحمد لم يخش لائماً

ولولا سعة الفضول ، لكان الرد من الفصول ، فالواجب على السيد الصبر عند عجرفة الغدر ، بدلالة أرقاكـم أرفاكم ؟ .

ومولاي أيده الله أولى من تفضل بطوايله وطوله ، وستر بقوته وحوله ؟ علي[٤]... وحصرم عنقوده إذ أنا غصن من دوحته ، وجزء من جملته،وليس المرء من يخطىء على نفسه ، ولا من يفسد غرسه،ولو أني ذهبت إلى مدح فصاحته ، والثناء على شجاعته ، لجاوزت حد الإسهاب ، وتعجرفت في الإطناب، كمؤيد الإصباح بالمصباح،أو الذي قال ما أحلاك يا عسل ، ولاه الله ما أولاه،وحاطه وأولاه ، وأدام نشر محاسنه الفاخرة ، وقرن له خير الدنيا والآخرة ، ولا خلا المملوك من خدمته ومهماته ، ولا أوحش الله الدنيا من حياته ، موفقاً إن شاء الله سبحانه .

---

(١) باقل : شخص عاش في الجاهلية يضرب به المثل في العي .
سحبان وائل الخطيب العربي المشهور في الجاهلية .

(٢) الدأدي : ليالي السرار من الشهر والليالي البيض هي الليالي المقمرة .

(٣) هكذا في الأصل .

(٤) كلمة مع جملة قبلها غير واضحة بالأصل .
المصدر : ديوان ابن حمير - مخطوط .

شـــــعراً :

جرى معك الجارون حتى إذا انتهـوا　　إلى الغاية القصوى جريـت وقامـوا[1]

فليس لشـمس مذ أنـرت إنـارة　　ولـيس لبـــدر منـذ تمـت تمـام

* * *

(١) هكذا في الأصل .

شعر المديح

القاسم بن هتيمل[1] يمدح الملك المظفر

ذاك العقيق وذاك الاثل والبـــــان ... فسل أولئك عن الحيى الذي بانـوا
وقل لأهل الغضى بالله ما فعـــلت ... من بعـد فرقتنـا نعم ونعمـــان
هل الآراك إذا مــر النسـيم بــه ... تعانقت منـه أغصـان وأغصـان
وهل من الشـيح والحوذان لي بـدل ... بالشيح شيح وبالحوذان حـوذان
يحن للأبـرق الحنـان من ولـــه ... صب على الأبرق الحنـان حنـان
ماللنهـاة وما للعـاذلات ولـّـي ... والعاذلات لها شـأن وليّ شـان

---

(١) الشاعر القاسم بن علي بن هتيمل

يحق لنا أن نطلق عليه اسم شاعر المخلاف السليماني في القرن السابع ، ولد في بلدة نجران في وادي ضمد ، وقد أندثرت تلك المدينة ولا يعلم على وجه التحقيق موقعها ، وتضـن المصادر المخطوطة – التي تحت أيدينا – بالكثير مما يتطلبه البحث عن حياة ذلك الشاعر،كتاريخ المولد والوفاة وحياته الخاصة والعامة ، ولا عن أسرته ومكانتها في المجتمع ، ولا عن أسلافه ومكانتهم ، وإذا كان المرجح أن بيته يعد من بيوت العلم في ضمد .

أما نسبه فقد صرح في شعره أنه من خزاعة،إذ يقول :

لست بالمقرف ، أدلي نسـبي ... بإمـريء القيس وجدي دعبل

وقال عنه ابن حمير :

قحطان هود أبونا لو ذكرت له ... وقاسما قال انتم نصرتي وبـني[1]
وللخزاعي كل الفخر قاسمني فيه ... وسيف كساه الفخر ذو يـزن

وقد استنتجنا في دراستنا لهذا الشاعر،في مقدمتنا لمختارات من شعره المطبوع في سنة ١٣٨١ هـ – ١٩٦١ م[2]،أنه ولد في مستهل القرن السابع الهجري .

وقد أُشير في المخطوطات إلى أنه عمر طويلاً،حتى قيل أنه ما مدح شخصاً إلا ورثاه ، وبنفس الطريقة الإستنتاجية والإستقراء،عرفنا أن آخر ما وجد في ديوانه من مدائحه في الرسوليين،هو مدحه للأشرف الأول المتوفى سنة ٦٩٦ هـ ولم نجد له مدحاً في الملك المؤيد،الذي ولي الملك بعد الأشرف،مما يدل على أن الشاعر إما كان مريضاً مدنفاً أو أنه توفي في تلك الفترة .

---

(١) هكذا في الأصل ، و (هود) هو نـــــبي الله ،وهو من أبناء قحطان ، ولعله نصب قاسما على واو المعية .

(٢) وها نحن – بفضل الله – قد قمنا بطبعه الطبعة الثانية في هذه السنة ١٤١٠ هـ/١٩٨٩ – ١٩٩٠ م .

قتلي ولا قتل هند ثم عاشقهـــا　　عمرو بن عجـلان أومَيّ وغيـــلان
فكيف أجحد أو أخفي هوى قمـر　　عن الحداثـة سـري فيـه إعـــلان
أغـن يغنيـك من بسـتان طلعتـه　　طـلع وورد وتفـاح ورمــــــان
نشـوان من خمـر فيـه ، فيـه عربـدة　　من ريقـه فهو صـاح وهو سكـران

شـــعره :

شعر ابن هتيمل قيثارة من قيثارات الخلود،ووتر من أرق أوتار الشعر الغنائي،يترقرق بطلاوة الفن ويشع بروعة الأصالة .

ظل يجوب جنوب الجزيرة بين مكة وأقاصي اليمن متكسباً بشعره،من مدائحه في ملوك وأمراء وقضاة وإقطاعي عصره ، ملأ زمانه شدواً وعصره غناءً،وكان شعره الأرغن العازف يشنف أسماع معاصريه دائماً ، وإنما لم يتح لشعره الذيوع في أجزاء الوطن العربي والأقطار الإسلامية ، ونعلل ذلك لضعف وسائل النشر،وانعدام الإتصالات،وعدم مبارحته لجنوب الجزيرة إلى مصر أو العراق أو الشام .

وقد قال فيه أحد شعراء عصره :

أمـا قصـائد قاسم بن هتيمل　　فمذاقها أحـلى من الصهباء

وينوه بشعره الهادي إبراهيم الوزير بقوله :

وهـاك قصيدة غـراء تحـكي　　إذا جئت الغضـى ولك السـلامه

والشطر الأخير هو الشطر الأول من مستهل قصيدة ابن هتيمل المشهورة :

« إذا جئت الغضى ولك السلامه »　　فطـارح بالتحـية ريـم رامـه

كما نوه بشعره غير شاعر من شعراء عصره وبعد عصره ، وعلاوة على ما سبق من التنويه عن الخصائص الفنية في شعره ، فشعره سجل حافل لأحداث المخلاف السليماني،واسماء بلدانه،ومغانيه الجميلة ، ووقائعه التاريخية،بما يعين الباحث،ويهدي المحقق إلى الأحداث ، وبأن يجعل من ذلك الشعر الرفيع صوى وأعلاماً تعين المعنيين بتاريخ المنطقة ، ونقول على سبيل الاختصار مثلاً:نحو ما ورد في كتاب العقد المفصل بالعجائب والغرائب،لمؤلفه علي بن عبد الرحمن البهكلي[1] عند قيام الأمير أحمد بن غالب في سنة ١١٠٤ هـ بترميم قلعة جازان الأعلى،المسماة الثريا،إذ يقول :

(وأعلم أني قد طالعت بغية المفيد في تاريخ مدينة زبيد للديبع،مطالعة استقصاء،فلم أره ذكر عمارتها القديمة،مع ذكره لملوك زبيد في عماراتهم،إلى مدة بني طاهر رأس المائة التاسعة ، وطالعت قرة العيون في أخبار اليمن الميمون له أيضاً مراراً،ولا أخال ذكر عمارتها،وبعض تاريخ أبي الحسن الخزرجي،ولم أرَ فيما رأيت ولا أظن العامر لها إلا خالد بن قطب الدين .. الخ) .

مع ان خالد بن قطب الدين توفى عام ٨٤٢ هـ،فإذا رجعنا إلى ديوان ابن هتيمل،نجده يشير إلى تلك القلعة ويصف حصانتها،ومتانة بنيانها قبل منتصف القرن السابع،عند ذكره لمدينة الدرب،التي هي جازان العليا،التي بها القلعة المذكورة المسماة الثريا،فيقول في وصف القلعة :

إذا ما رماح الخط لم ترد هاربا　　إلى الدرب أردته رماح المكايد
ومـا خلفـه من صـحن صرح ممـرد　　وكان لشيطان من الإنـس مـارد[2]

---

(١) حققه المؤلـف وطبع في سنة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .　　(٢) هكذا في الأصل .

معقرب الصدغ يحكي لثم وجنته | من شعره عقرب فيه وثعبان
كأنما نقشت في العين صورته | وشخصه فهي في الإنسان إنسان
حسن بديع ولا إحسان فيه فيا | لهفاه لو شاب ذاك الحسن إحسان
أرضى بقتلي كي يرضى فوا عجبا | من قاتل أنا راضٍ وهو غضبان
جارت « حنان » على ضعفي فمن لحشا | تضرمت من حنان فيه نيران
يهنى المظفر أن الله خوله | ما لا تخول قحطان وعدنان
خليفة العصر والشمس التي طمست | بنورها جيل عدنان وخاقان

ولولا دفاع الله عنهم وخوفه | على روحه – ألقى لكم بالمقالد

وأيضاً :

لاذ بـ« بالدرب » ثم أدلج يستر | جف ، لما نزلتم لحصاره

وقوله :

ولولا دخول « الدرب » أصبح عانياً | وفي رجله قيد وفي جيده غل

وقوله :

فأدلج من (بروج الدرب) يهوي | إلى السلبين من أهلٍ ومَالٍ

ومدينة جازان الأعلى لازالت أطلالها ماثلة للعيان،تشهد على ماكان لتلك المدينة من أهمية تاريخية،ولقلعتها المعروفة باسم الثريا ، من شأن .

كما أن شعره يثبت لنا أن أسرة السليمانيين لم تنقرض أو تتلاشى،كما سجل ذلك الرحالة ابن المجاور الدمشقي في حوادث سنة ٦١٥ حيث يورد ما نصه :

(بقيت البلاد بيد القوم – يقصد السليمانيين – إلى سنة ٦١٥ وضعف القوم ودخلت عليهم الغز – يعني الأيوبيين – فخرجوا من البلاد وخرجت البلاد من أيديهم،فصارت في حوزة الغز وفي قبضتهم،وآخر من تولى من القوم المؤيد أحمد بن قاسم بن غانم،وانقرضوا ولم يبق لهم في البلاد خبر) وهذا ما يعنيه شعر ابن هتيمل،ويثبت وجود شخصيات وأمراء من السليمانيين في المنطقة .

وعدا ذلك فإن في شعره من الحكم والأمثال ، وما فيها من عمق الفكر وصدق التجربة،ما يخلد شعره ويعلي ذكره في نحو خمسة وعشرين بيتاً،كل بيت مثل سائر وحكمة خالدة ،كقوله :

لا تيأسن لكون قومك أصبحوا | فتين بين أصادق وأعادي
وأصبر فمرجعهم إليك وإنما | مجرى الشعاب إلى مسيل الوادي

أو قوله :

يقظان أقتل من مسددة القنا | رأياً ، ومن بيض السيوف مكائدا

أو قوله :

والنمل ما زادها التدبير أجنحة | إلا لتفنى بها ، والزيد نقصان

ملك يغـار على تقبيـل مفرقـــــه	سـمر وبيـض وشـاشـات وتيجـان
أغــر قابله في المــلك من ولـــدي	سـيف وقيصـر عـران وعـران ؟[1]
خرْق إذا نزل الضيفـان ساحتــه	يود أن جراد الأفـــق ضيفـــان
ما بـات يطعـم إلا ظـل يطعـن لبات	العدى فهـو مطعـام ومطعـــان
في تاجـه قمـر في درعــه قـــدر	في بطـن كفيـه سيحـان وجيحـان
إمامـة في أصـول الديـن سلطنـة	في الخـلق فهـو إمام وهو سلطـان
مازاد في المـلك ذو القرنين عنـه ولا	ذو قايش وابن داود سليمـــان
ولا بنى دون أهليـــه فيفضـــله	في سـعيه منـذر منهـم ونعمـــان
ترافدتـه مـن الأذواء ذو يـــزن	وذو نواس وقابـوس وحســـان
المالكـون حـدود الأرض في دول	تمـايلت حمـير فيهـا وكهـــلان

كما أن شعره خلد نحو عشرين موقعاً وبلدة وقرية في منطقة المخلاف السليماني كقوله :

هل الأثلات اللاء غربي « واسـط »
نواعـم خضـر ما بهـن ذبـول
فقـد طـالما أمسـت وظلت ودوحها
مبيت لغـزلان الحمـى ومقيـل

وقـوله :

اهل شيح العميم تميس تيها ذوائب شيحه سقي الغمـاما

وقوله في قرية البديع :

أراني ونضوي أن ثنا الأثل معرضا أحن إلى أثل البديع ويرزم

وقد أستوفينا أغلب ذلك في مقدمة كتابنا(ديوان ابن هتيمل)المطبوع سنة ١٣٨١ هـ/١٩٦١ م،وفي الطبعة الثانية المطبوعة سنة ١٤١٠هـ-١٩٨٩ م .

(١) هكذا في الأصل .

المصـــادر :

١ - مطالع البدور ومجمع البحور لابن أبي الرجال .
٢ - مخطوطة « ديوان ابن هتميل » .
٣ - مختارات ودراسات لديوان ابن هتميل «للمؤلف» .
٤ - العقد المفصل بالعجائب والغرائب لعلي بن عبد الرحمن البهكلي تحقيق وتعليق « المؤلف » .

يا شمس يا يوسف الصديق يامالك ... الدنيا ومن ملكه أمن وإيمان

لا تلتفت لخيالات حقيقتها ... ظن وزيدتها في الربح خسران

فالنمل مازادها التدبير أجنحة ... إلا لتفنى بها والزيد نقصان

والله لا ضر في سر ولا علن ... موسى بن عمران فرعون وهامان

ولا استمر ظلام الليل في بلد ... وقد أضاء بشمس الدين شمسان

هل نازعوك غُبار الجوف أو فتحت ... لهم براقش من قهر وغمدان[1]

أو حاولوا في براش أو « ذا مرمر » ما ... أدركت إذ همدت في الغصن همدان

لو كنت تمنع عما رمت لامتنعت ... على المصانع عمار وعلوان[2]

ولا أطاعك سنحان ولا خرجت ... برغمها من هداد عنك سنحان

فالورد سلم ذروانا وسلم من ... سبط ابن حمزة عبد الله ذروان

وكان في خلب ما كان في خلب ... ورضت عزان حتى ذل عزان

وسور مبين لم تبرح مدينته ... كرات خيلك إلا وهو ميدان

ولو دعوت بكحلان أجابك من ... خوف الردى أهل كحلان وكحلان

أما اللجام فقد شابت ذوائبه ... خوف اللجام وهرت منك هران

فكيف بالحقل « والأرض » التي حكمت ... فيها على أمراء الحقل خولان[3]

لو أن صعدة خفان وقلت خلى ... من أسد خفان لما قلت خفان

من كان في واسط والري همته ... فكيف يعجزه نجر ونجران

يبيت والفكر يطويه وينشره ... حران لما تناءت عنه حران

لا ينتهي دون أن تجبى الشآم وأن ... يجبى العراق وأن تجبى خراسان

---

(١) هكذا في الأصل.

(٢) أنظر كتابنا (مختارات من ديوان ابن هتيمل) عن « عمار الشيباني، و علوان الجحدري » ، ص ١٢٨ – ط٢ .

(٣) في الأصل « والأمر » ونرجح أن الاسم الموصول المؤنث والضمير في « فيها » يعود إلى « الأرض » التي رسمت في الأصل « والأمر » . وجرى التنبيه .

فمـا مداب ودمـاج وعرعـرة وما عـلاف وما نحـر وبوصـان[1]

كأنـني بعيـان قد خـلى وخلـت شـهارة وخلى حـوث وخيـوان[2]

وراسـلتك ظفـار من تذللهـا وذل في الجانب الغـربي غربـان[3]

إن قيـل مثلك إنسـان فقد عبـدت مع المهيمـن نـيران ونـيران

لا خـالد لك ثـان في البلاغـة يـا شـمس الملوك ولا قس وسحبـان

مـذ قمـت ما فخـرت طي بحاتمهـا ولا سـمت بابن ذي الجـدين شيبـان

فأفخـر فكسـرى بن كسـرى وابن ذي يـزن

وتبـع لأبـي المنصـور غلمـان

(١) ، (٢) ، (٣) اسماء حصون وبلدان في اليمن الأعلى .

الشاعر المخلافي القاسم بن هتيمل
يمدح الملك المظفر

بـوأت ديـن الله دار قـــرار ... وأحـل حـزب البغـي دار بـوار
ووضعـت أوزار الذنـوب بوقعـة ... ما حربهـا موضوعـة الأوزار ...
مشـبوبة الطرفـين يـردي الجحـ ... فـل ، الجرار نحو الجحفـل الجـرار
شـعا فمـا حـس الفـوارس جمرها ... إلا رمـت شررا عـلى الأشـرار
أضـرمت جاحمهـا كـأن كماتهـا ... حطـب الوقـود ، ونارهـا كالنـار
هي كالفجـار الصعـب أو كحنين أو ... كالشـعب أو كبعـاث أو ذي قـار
زاوجـت بين المركبـين لراحـة ... لك في سـروج الخيـل والأكـوار
وسـريت في غسـق الدجنة طاويـاً ... بعـد المشـقة ، كالخيـال السـاري
عجـلاً إلى الحـرب العـوان فجئتهـا ... ركضـاً ، عـلى قـدر من الأقـدار
لا ق بنـو الهـادي وحمـزة ضعـف ما ... لاقـت سـليم بجانب الثرثـار[1]
أنسـيتهم ما سـن عمـك فيهـم ... بالأمس في « عَصَر » بيوم « ذمار »[2]

---

(١) بنو الهادي : هم أبناء أو سلالة : يحيى بن الحسين الرسي العلوي،مؤسس الإمامة الزيدية في اليمن،والملقب (الهادي إلى الحق)،وبني حمزة من علويي اليمن،ومنهم الإمام « عبد الله بن حمزة » .

(٢) عَصَر – بالتحريك:جبل معروف قرب مدينة « صنعاء »،« يوم عَصَر » الذي عناه الشاعر ، وهو يوم وقعت فيه معركة دارت رحاها بين أحد قادة الأيوبيين« بدر الدين حسن بن علي بن رسول » وبين الأمير عز الدين محمد بن عبد الله بن حمزة ، وخلاصة الواقع : أن الملك المسعود الأيوبي توجه من اليمن إلى مصر ، وأناب على مملكته اليمنية وذلك في رمضان ٦٢٠ هـ .

١ – عمر بن علي الرسولي على تهامة اليمن .

٢ – بدر الدين حسن بن علي الرسولي على صنعا .

وتقدم الأمير الحمزي بسبعمائة فارس وألفي راجل لأخذ مدينة صنعا،مغتنماً تغيب أميرها بدر الدين،الذي خرج إلى « دروان » يقود جيشاً لمساعدة أخيه عمر بن علي ضد بعض الثائرين .

علم بدر الدين بخبر الحمزي،فعاد مسرعاً يرافقه عمر بن علي ، وقد سبقهما الأميران الحاتميان « بشر » و « علوان » وحفظا المدينة . فاضطر « الحمزي » أن يعسكر في جبل عَصَر،فخرج الأميران الحاتميان لقتاله،وفي أثناء المعركة أقبل الأميران الرسوليان وجنودهما،فدخلا مدينة صنعا وتناولا طعام الغداء ثم استحما ثم خرجا إلى المعركة ، فتوقف نور الدين على رأس كتيبة من الجيش لحماية المدينة ، وتقدم بدر الدين للهجوم .

طلبوا (ذمار) فرد سعدك ذاهلا ... دالا ، فأي هزيمة ودمار
حفوا بسيدهم فلما أيقنوا ... بالموت طاروا عنه أي مطار
صبوا السياط على قوارح خيلهم ... هرباً عن المهرات والأمهار
فكأنهم شهب البزاة تبللت ... بالغيث ، فانقضت إلى الأوكار
شمسية عمرية علوية ... جفنية الإيراد والإصدار
فنجوا ، و (إبراهيم) يأمر نفسه ... بالكر لا بالفر ، خوف العار
حتى إذا حمي الوطيس وأحضرت ... عنه السوابق ، أيما إحضار
حملته (مِرة) روحه متحصنا ... في الحصن لا متخفياً في الغار
لم يلق من يلوي عليه ولم يجد ... أحداً يقاتل من وراء جدار
وإذا الصفاح البيض لم يمنع بها ... لم يمتنع بصحائف الأحجار
فأسرته مستبسلا وحفظته ... شرفاً بأفضل حوطة وجوار

← فعبأ جيشه ورتبهم ثم ألقى نظرة أخيرة ، وصاح بشعار الهجوم : هيا هيا،وتقدم الصفوف بنفسه في هجوم جارف انتهى بهزيمة « الحمزي » ولم يتوقف مع فلول جيشه إلا في « ثلى » فانشأ الأمير بشر بن حاتم على لسان الأميرين الرسوليين القصيدة الآتية وبعثاها إلى الملك المسعود بمصر :

سلا ذات سمط الدُّر والمارن الأقنى[1] ... لدى «عَصَر»من أصدق الضرب والطعنا
ومن شهدت «صنعا» لولا بلاؤه ... لما فارقت رعباً ولا رافقت أمنا
وقد كانت البيض الخرائد خيفة السـ ... ـبا ، من اعدينا أسأنا بنا الظنا[2]

* * *

ولما تدانى الفيلقان عشية ... عدا الهام فيها منهم والظبا منا
ورحنا إلى « قصر القليس » نصافـ ... ـح ، الكؤوسُ يغنينا النديم الذي غنا

* * *

وخيل غشينا بالأسنة بعدما ... تكدسن « من هنا علينا ومن هنا »
« ضربنا إلينا بالسياط جهالة ... فلما تعارفنا ضربنا بها عنا»
وشيمتنا وصل السيوف بخطونا ... إذا قصرت حتى تبيد العدا طحنا
ونحن إذا شئنا دسرنا عدونا ... ولا نحتقد حقداً دفيناً ولا ضغنا
فلا زالت الأخبار منكم تسرنا ... كما سركم في مصر مخبركم عنا

---

(١) هكذا في الأصل .

(٢) المارن : ما لان من الأنف وفضل عن القصبة .

أحييتــه بالعفـــو ثم لقيتـــه ... بسكينـــة وبشـــاشـة ووقـــار

لـو أن غـيرك يا مظفـر صـــاده ... لكســاه ثـوبي ذلـة وصغـــار

عـــانٍ طمسـت قيامـه وقعــوده ... فتركتــه خــبراً مـن الأخبـــار

أغــراه بالنقـض الغـواة فأهلكـوا ... وثمـود كان هلاكهـم بقــدار

يا فرحـــة البـلد الحـرام ويا ضياء ... أرض العـراق وفرحـــة الأمصـار

جاءتهم البشـرى فكـاد سـرورهم ... يقضـي عـلى بـاد هنـاك وقـــار

وكـأن مـن فـض الصحيفـــة فيهـم ... بالأمـس فـض لطيمـة العطـــار

المصـدر : العقود اللؤلؤية للخزرجي .

الشاعر القاسم بن هتيمل
يمدح أبا نمي صاحب مكة

يقـول متلفـه في الحـب واديـه ... وليس مـن عزمـه واديـه واديـه
هيهـات إعراضـه من قبـل هجرتـه ... إعراضـه وتجنيـه تجنيـه
فلا محيـص له أيامـه بهـم ... أيامـه ولياليـه لياليـه
صـب به مـرض من حـب قاتلـه ... مستهتر بطبيـب لا يداويـه
أعيـا تلافيـه حـتى لو يعالجـه ... عيسـى بن مريـم أعيـاه تلافيـه
الله من تائـه لـم تبـق صورتـه ... شـخصاً يماثلـه في الـدل والتيـه
ممـوه العهـد ممشـوق الدلال عـلى ... مافيـه يا صـاح من دل وتمويـه
أغـر في البـدر شـكل من محاسـنه ... وللقضـيب نصـيب من تثنيـه
كأنمـا الصعدة السمراء عاسـلة ... في بـرده ومجـاج النحـل في فيـه
إذا تحـرك فارتجـت أسـافلـه ... تحـت الغـلالة واهـتزت أعاليـه
رأيـت من فـتن الدنيـا وبهجتهـا ... ما لا يحـد بتمثيـل وتشـبيه
وإن تضـاحك من زهو ومن عجـبٍ ... في الروض فاحـت أقاحيـه أقاحيـه
يكـاد قلـبي من وجـد ومن حـذر ... عـلى تكتمـه مـني سـيبديـه
صـبابتي من حبـيب لا أفـوه بـه ... وعـلتي من طبيـب لا أسميـه
سـقى الحجـاز وأهليـه حيـا ونـدا ... بنـوء راحـة شمـس الديـن ساقيـه
ولا عَـدَاه مُلّـثٌ من أناملـه ... تسـري سواريـه أو تغـدي غواديـه
حتى يروِّض مـن وشـي ومن ذهـبٍ ... سـاحات حاضـره فيـه وباديـه
فالبحـر أحقر قدراً أن يراسـله ... والغيـث أنزر قطـر أن يباريـه
يهنـى بني حسـن ما سر سـيدهم ... محمـد بن أبي سـعد ويهنيـه
بـنى لهـم بيت عز لو أعيـد لـه ... في الوقـت حيـدرة ما كان بانيـه

ولـم شملهـم عزمـا فســـادتهم أنصــاره ومواليـــه مواليــــــه [1]

وإن جـرى قلـم من بـين أنمـــله خــد منـه في معاليهــم عواليــــه

يجـود طبعـا فلا بالذم تغضبــــه لكـي يضــن ولا بالشــكر ترضيــه

مهــذب كمـلت أخلاقـه فعــلت على النهــاية من حصــن نبنيــه

لأوســعنك يا قلـــبي برؤيتــــه مســـرة وجلوســا وسـط ناديــه

من حيث تشـرب عيني من محاسنه ريـا ويشبــع فكــري من أحاجيـه

يا بن الشـهيـد الـذي كانت أقاربــه على الحقيقــة في الهيجــا أعاديــه

دع الحســود ومـا تخفيــه أضلعــه فـداؤه والــذي يخفيــه يكفيــه

لا تسع في حب ذي القربىٰ فيـوسف بعـد الجب قد باعـه بالبـخس شاريـه

فقـــد يلـــذ بشرب الماء شاربــه وفيـه من سكــرات الموت ما فيــه

قد ذاق هابيـل من قابيــل من حسد ما ذاقــه ورمــــاه لا يواريــه

قد جاءني الطرف ملء الطرف زفرته ملء الحزام وبــعض الجسم هاديــه

اقب لا الرجـــل العــادي يلجمـــه ولـــو شحــا فوه لم يبلــغ إلى فيــه

والمدهش المرهش السحـاب حين بدا في رقــم راقمـــه أو وشى واشيــه

---

(١) في الأصل :

ولـم شملهـم عزمـا فســـادتهم أنصــاره ومواليـــه ومواليـــــه

فأصلحناه أعلاه بحذف الواو .

نماذج من شعر
منصور بن عيسى بن سحبان[1]

قال من قصيدة مستهلها :

ما أو مضت سحرا بروق الأبـــرق　　　إلا شرقتُ بدمعـــــي المترقـــرق

ومنهـــــا :

صـنمٌ شـغفت به وغصـــن شبابـــه　　　غض ، وبــرد شـبيبتـــي لم يخـلـــق
شـقت عرى كبـدي شقائـق خـــده　　　وبكـأس فتنته سقيت و مـا سـقـي
ما فات من عمـري فللغيـد الدمـــى　　　لا أرش فيـــه للصبابـــة ما بقـــي

---

(١) (منصـور بن عيسى بن سـحبان)
(القرن السابع)

شاعر من شعراء المخلاف السليماني من وادي ضمد،ولد بقرية من قراها تسمى نجران،في النصف الأخير من القرن السابع الهجري .

عاصر رصيفه ومواطنه وبلديه الشاعر القاسم بن علي بن هتيمل ، وعاصر شاعر تهامة اليمن محمد بن حمير ، وقد قال بيتين من الشعر في رصيفيه المتقدمين،تناقلتهما كتب الأدب في جنوب الجزيرة،وهما :

أما قصائد قاسم بن هتيمـــل　　　فمذاقـها أحـلى من الصهبـاء
هـو شـاعر في عصـره فطـن ولكن　　　ابن حمـير أشـعر الشـعراء

عاش شاعرنا – كشعراء تلك العهود – متكسباً بشعره في وطنه المخلاف السليماني ، وفي الحجاز يمدح أمراء مكة الذين حفظ لنا (الفاسي)،في العقد الثمين،جزءاً من شعره في مدحهم ، وقطعة في الرد على الشاعر اليمني (الحنديدي)،الذي هجا هاشمي المخلاف السليماني .

والعجيب أن الشاعر قتله الهاشميون الذين دافع عنهم بشعره،ويظهر أن قتله كان ظلماً ، لذلك تجد كتب تواريخ وأدب المخلاف تنعته بالشهيد .

ويظهر أن خصومه كما أزهقوا روحه،تآمروا على طمس أشعاره ، لهذا نجد مخطوطات التاريخ والأدب الخاصة بتراث المنطقة خالية من أشعاره ماعدا البيتين السابقين ، ولولا ما حفظه لنا الفاسي في العقد الثمين،لكان ضاع شعر هذا الشاعر .

ومن مديحـــه :

رجل إذا اشتبه الرجــال عرفتــه ... بجــلال صورتــه وحسن المنطـــق
ومظفـر الحمـلات يرجـف منه قلـ ... ـب المغرب الأقصى وقلب المشرق
علـــم يدل على كمال صفاتـــه ... كرم الفـروع له وطيــب المعـــرق
يلقـى بوجـــه البشر طـارق بابـه ... كرماً ، ويرزق منه مــن لم يــرزق
عـزت بنــو حســـن بدولتــه التي ... عز الذليــل بها وأمــن المفـــرق
هو صبـح ليلتهـا ، وبـدر ظلامهـا ... ولسان حِكْمتِها ، وقـلب الفيلـق

وقال يمدح أمير مكة الأمير (رميثة) :

حفـظ العهـد بعدنـا أم أضاعـا ... وعصـــى لائمـاتـه أم أطاعــــا
ورعـى حرمـة الجــوار وراعــــى ... أم دهــى بالفـراق قلبــي وراعـا
من يكـــن يحمـــد الـــوداع فإني ... بعـــد يوم النـــوى أذم الوداعــــا
جيرتي مالنــــا حفظنــــا هواكم ... وغـدا حبنــا لديكـــم مضــاعــا
إن من قـــدر الفـــراق علينـــا ... قادر أن يقـــدر الاجتمـاعـــا

* * *

قل لذات القنـــاع هل جئت ذنبــاً ... فيك ، حتى أسبلت دوني القنـاعـا
إن من أشبــع السوار بزنــــد يـ ... ـك ، لمجرى الــوشاح منك أجاعـا
خالـط النـاس بالخداع فمــا أكثــ ... ـر ، أهــل الزمـــان هذا خداعــا
قل لأهـل الزمـــان لست وإن ريـــ ... ـع ، سوائي بكيــــد كم مرتـاعـــا
نحن في دولـــة إذا مدت النـــــاس ... إلينــــا شبرا مددنـــا ذراعـــا
وإن يكـن قبلها نراعُ فقـد أصبـــ ... ـح ، حتـى الصغير منها يراعـــى[1]

* * *

شعره يتسم بعذوبة المؤسيقى ووضوح المعنى مع ولوعه بالجناس والمطابقة وبدون شك أن للشاعر أشعاراً كثيرة – شأن رصيفه ابن هتميل – في مدح الملوك الرسوليين وامراء وملوك المخلاف،وأئمة صعدة وأمراء حلي بن يعقوب،ومراثي في من مات منهم في حياته ، كما أن له نسيباً وإخوانيات ، فقد كل ذلك مع ما فقد من شعره .

(١) هكذا في الأصل .

طلبـــــــت من أبي (عرادة) عيسا — لا تمل الإرقــــال والإيضــاعــــــا

نزلت سوحــه عطاشـــا جياعـــــا — فأقـــــامت به رواءً شــباعـــــــا

رجـــل لا تراه بالمـــال مِفْرَاحــــــاً — ولا من ملمـــــــةٍ مجزاعــــــــا

ليــس بالنــازل الوهـــاد من الأرض — ، ولكنـــه يحــــل اليفــاعـــــا

موقــــداً ناره على نشــــز الأرض — إذا النــــاس ألبسوهــــا ٱلقفاعـــــا

نم هنيئـــــاً يا جاره ملء عينـــــــ — ـيك ، ولا تخش ثانيــــاً أن تراعــــا ؟

وله أيضـــــاً :

جنانك أمضى من عطاش القنا عزما — وأرجح من رضوى ومن يذبـل حلمـا

وكل له ضد يساميــــه في العــــلا — ولسـت تسـامى ، لا وَمَنْ عَلَّمَ الأسما

المصدر : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، للفاسي .

مقطوعة من قصيدة في المديح
للشاعر منصور بن سحبان

مليك أقام الحق بعـــد اعوجاجـــه · وشيـــد من سمك المعـــالي منارهـــا
متـــى بطـــرت قوم أذل عزيزهـــا · وإن عثرت جهـــلا أقـــال عثارهـــا
إذا جاد يومــــاً لم يشق غبـــاره · وإن شهـــد الهيجـــاء شق غبارهـــا
وأبلـــج مخضر الخوان ، يمينـــه · تزيـــل عن المسترفديـــن افتقارهـــا
جمال يحار الطـــرف فيـــه وعزمـــة · كسـا فخرهـا قحطانها ونزارهـا



شعر الغزل



مقطوعة من قصيدة في الغزل

للشاعر منصور بن سحبان

وبجدولة جدل (القناة) تباعــدت مزارا ، ومــا أشهــى إلي مزارهـــا

مهـــاة إذا ما أفرشتنـــي يمينهـــا وهـوَّم طرفي أفرشـتنـــي يســارهــا

يساور قلبي باعث الوجد والشجا إذا ركَّبــت في ساعديهـــا سوارهــا

القاسم بن علي بن هتيمل
متغــــزلاً

على الجزع من وادي العقيــق سلام ... وإن مرّ عام لا أراه وعــــــــام
ولا أنفك سقي الغيث من كل وجهة ... على الرفــه طرفــا هامعــا وبشام
أصــم عن الناهــين فيــه وتــارة ... ألــــوم على من حلـــــه وألام
ومـا كلفــي بالجـــزع إلا لأنـــي ... أقمـت بـه مـع أهلـه وأقامـــوا
مكلف نفســي خطـة لا ينالهـــا ... ورايــم أمـــر ما إليـــه مـــرام
فيـا بانتي سـفـح العـميم سقـاكما ... ولـو من دمـي ياباناتـــان غمـــام
اوامكمـا لا من أوام تراكمـــا ... أخــــوه لمن أحبـتمـــا ه أوام
كـأن قـــوام المالكيـــة فيكمـــا ... لهـذا قـــوام أو لتـــلك قـــوام
أما منـك ياذات الـوشاح على الوفا ... لمام خيـــال ان عـــداك لمـــام
بخـلت بماعـون الكـلام على إمـرءٍ ... وحللـت قتل الصيـد وهـو حـرام
وما زلـت حتى شـاب وهـو ممـوه ... شبابا وحتى شـاخ وهـو غـلام
أما زورة يا عـلو في أخـريـاتهـا ... يحـل نطـاق أو يمـاط لثـــــام
وما ليلـة الرمـل العقيقي إن مضت ... بمذمومـــة إن ذم منـــك ذمـــام

شعر
شكوى الزمان والحال



القاسم بن علي الذروي

أمير من أمراء الإقطاعيات وشاعراشتهر بقصيدته المشهورة في جنوب الجزيرة والتي قالها وهو في سجن الملك المظفر الرسولي ، ولذيوع تلك القصيدة في المنطقة نترجم له بين شعراء القرن السابع ونورد القصيدة لعشاق الشعر الرفيع :

من لصبٍ هاجه نشـــر الصبا ... لم يزده البـــين إلا نصبـــــا

وأســـير كل مـــا لاح لـــه ... بارق القبلـــة من (صبيـــا) صبـــا

ولطـــــرف أرقٍ انســـانـــه ... دون من يشتاقـــه قـــد حُجبـــا

لم يزل يشتـــــاق « نخلان » وإن ... قدم العهـــــد ، ويهوى الطنبـــا

ما جرى ذكـــر المغـــاني في ربـــى ... ضـبرات[1] الشط إلا انتحبـــــا

حبـذا أرض « القعـيسا » وطنـــي ... وليبـــلات ، بهـــا ما أطيبـــا

وربى « البئريـــن » من قبليهمـــا ... وزلال ، بهمـــا ما أعذبـــا

* * *

يا أخلائي بـ « صبيا » واللوى ... وأحيبـــابي بتيـــاك الـــربى

هـل لنا نحوكـم من عـودة ... ونـرى ســدركم والكثبـــا

فلكـم حـاولت قلبي جاهـدا ... يتسلا ، عن هواكم ، فأبـى

فاذكـروا صبا بكـم ذا لوعـة ... بـان عنكـم كارهـا مغتصبـا

وإذا عَـنّ لـه ، ذكراكـــم ... في أعيصـار الشـباب انتحبـا

وإذا ما سـجعت « قمريـة » ... صاح ، من فرط الجوى ، وا حربا

هائم القـلب كئيب دنــف ... لم ير السلوان ، عنكم مذهبا

ونرى الحي الذي كنا وهـم ... جيرة بالشـام ، أيام الصبـا

* * *

---

(١) الضبر : شجر معروف بهذا الاسم في المنطقة ، والشط يقصد به ضفة الوادي .

ليت شعري ، بعدنا هل طنبوا ... بربى « نخلان » بعدي طنبا
أو تناءت دارهم عن دارنا ... أو سبتهم بعدنا أيدي « سبا »

* * *

عجبا للدهر ماذا سنه ... ولأحداث الليالي عجبا
ما طلبت السهل إلا صعبا ... أو طلبت السلم إلا حربا
ولقد حلت بقلبي نوب ... مصميات تستهل النوبا
وبلاني من زماني محن ... بلغ الضد بها ما طلبا
فلعمري مانبا إلا صفا ... وانتضت إلا حساما خشبا
غير لا أنكر معروفا ولا ... عابس الوجه إذا الدهر كبا
لا ، ولا مكتئبا لو أنه ... نهب « الحوباء »[1] فيما نهبا
وأشد الناس بأسا لو علي ... غارب المكروه يوما ركبا

* * *

اخوتي بالشام[2]، بل يا سادتي ... وأعز الناس أما وأبا
ومساعير الوغى من « هاشم » ... وبني الحرب ، إذا ضاق القبا
الشناخيب الذرى من معشر ... الصناديد الكرام النجبا
إن قضيتم من هوانا ، إربا ... ما قضينا من هواكم إربا[3]
أو تناءت دارنا عن داركم ... يأتكم منا على الدهر نبا
لا تناسونا وإن طال المدى ... كم نوى بعد بعاد قربا
فإذا ريح جنوب جنبت ... فاسألوها كيف حال الغربا
فلديها من تناهي لوعتي ... وغرامي ، ما يحط الشهبا

* * *

---

(١) الحوباء : النفس .
(١) انشأ القصيدة وهو في السجن بـ (تعز) وأهل تلك الجهة يطلقون اسم الشام على المخلاف السليماني وما بعده .
(٣) الإربة : الحاجة ، وفي حديث عائشة (ض): كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أملككم لإربته، أي لحاجته.

حبذا لو أنني من دونكم خائضا سمر العوالي والظبا
وجياد الخيل ينشرن على متنات الدارعين العذبا
لحق الأقراب شعثا شزبا تتبارى بالعوالي شزبا

* * *

أيها الرائح للشام على قلق السير ، كهبات الصبا
أو كسهم طار من محنية ذات دورين إذا ما ركبا
قل لمن كان لنا دون القضا ولأحداث الليالي سببا
والذي أوقد نيران الغضى زد على نارك ، ياذا حطبا
واستلب ما شئت عمدا فعسى عن قليل ستحط السلبا
إن يكن سرك ماساء ، فعش كي ترى من بعد هذا عجبا
أو أمنت الدهر يوما واحدا فلقد حاولت ظنا كذبا
رب صدع كان أعيا شعبه أدركته رحمة فانشعبا[1]

---

(١) ذكر السباعي : (أن أحمد بن إسماعيل الرسولي ملك اليمن،كتب إلى الشريف بركات بخروجه إلى الحج،وطلب إليه إخلاء بيوت مكة لإقامته ، وأن يتلقاه عند حلي ، فأجابه بركات بقصيدة أنشأها عفيف الدين عبد الله بن قاسم الذروي فيما يزيد على ثلاثين بيتاً ، وفيها يقول :

بالقنا الخطّي والبيض الظبا وبخيل تتبارى شزبا
وبأبطال إذا ما استعرت نار حرب ، ولظاها ألتهبا
نحمي ذا البيت ونحمي جدة ورُبا حلي وأكناف قُبا

إلى أن يقول :

قل لمن رام يناوأنا ومن رام يأتي بيتنا مغتصبا
لا يحج البيت إلا خاضعاً دافعاً عشرا لنا ثم جبا
وإذا ما كان رأساً لم يعد عندنا يا صاح إلا ذنبا

فلما انتهت إلى ملك اليمن تخلف عن الحج ، وأمر من يترصد لعفيف الدين الذروي ، فترصدوه حتى نزل جازان فاحتالوا عليه حتى حملوه إلى ملك اليمن فحبسه ملك اليمن، وضيق عليه الخناق في الحبس،فأرسل بركات يفتديه بمائة ناقة ، وقد رفض ملك اليمن العرض ، وأقسم ألا يطلقه حتى ينشعب هذا الصدع « ولعله أشار إلى صدع في صخر أو حجر » .

وفي هذا يقول عفيف الدين الذروي من قصيدة ذكرها الشيخ الحضراوي « في تاريخ البشر » :

إن ظننت الدهر يوماً واحدا فلقد حاولت أمرا كذبا
رب صدع كان أعيا شعبه أدركته رحمة فانشعبا

كم سرور بعد يأس قد أتى وزمان بعد محل أعشبا

فلكم فتح من الله أتى .. حيث لا يدرك ساع هربا

فجلّى همّا وأطفى حرقا وشفى غيظا وجلّى كربا

فينال الملتجيء من ربه في أعاديه الذي قد طلبا

ومن الغريب أن الشاعر لم يبت ليلته حتى سحت السماء بمدرارٍ هاطلٍ انشعب له صدع الحجر،فأطلقه الملك وأحسن صلته) . انتهى ما أورده السباعي[1] .

وإذا رجعنا إلى مصادر تاريخ جنوب الجزيرة عامة،أو التواريخ اليمنية خاصة،يتضح لنا ما يأتي :

١ - أن المؤرخ عبد الرحمن الديبع لم يذكر أي شيء،لا تصريحاً،ولا تلميحاً في تسجيله لتاريخ وأخبار الملك الناصر أحمد بن إسماعيل الرسولي،لا عن عزمه للحج ولا لإتصاله بأمير مكة « بركات »،ولا لأبيات عفيف الدين عبد الله بن قاسم .

٢ - باستقراء ديوان الشاعر القاسم بن هتيمل - القرن السابع الهجري - والذي عاصر القاسم بن علي الذروي وابنه عفيف الدين عبد الله بن قاسم الذروي،والذي مدحهما حيين ورثاهما بعد وفاتهما ، بل نجد أن عفيف الدين عبد الله بن قاسم الذروي قتل في حياة والده قاسم بن علي ، وفي ديوان ابن هتيمل قصيدة في مدح عفيف الدين عبد الله بن قاسم الذروي،ثم بعدها قصيدة بعنوان « قال يعزي الشريف قاسم بن علي الذروي في ولده عبد الله ويذكر أنه قتل » أي أن عفيف الدين عبد الله بن قاسم الذروي قتل في حياة والده ، ومعروف تاريخياً أن الشاعر ابن هتيمل وممدوحيه القاسم بن علي الذروي وابنه عفيف الدين عاشا وقتلا في القرن السابع الهجري .

٣ - ان ابن أبي الرجال في كتابه مطالع البدور ومجمع البحور - مخطوط - ذكر قصة سجن المظفر للقاسم الذروي كاملة،وإنما ذكرها في ترجمة قاسم بن علي الذروي والد عفيف الدين عبد الله ، وأن القصة وقعت مع القاسم نفسه في عهد الملك المظفريوسف بن عمر الرسولي،وأنه أمر بالترصد لقاسم بن علي الذروي،وعندما وصل إلى ميناء جازان قبض عليه وبعث به للملك المظفر فسجنه هناك .. الخ . وأورد قصيدة من نفس الروي والقافية في ٥٧ بيتاً ومنها البيتان اللذان أوردهما المؤرخ السباعي :

رب صدع كان أعيا شعبه أدركته رحمة فانشعبا

وأعادت رحمة الباري على موئس من حاله ما ذهبا

وعلى كل فالسباعي نقل ما أورده الشيخ الحضراوي في تاريخه ، وهنا لفتة ذكية للمؤرخ السباعي - رحمه الله - فقد جاء في ص ٣٠٦ أن ملك اليمن أحمد بن إسماعيل توفى سنة ٨٢٧ هـ،أي قبل ولاية بركات في سنة ٨٢٩ بنحو سنتين،وعلق بقوله : « فلا تستقيم الرواية إلا إذا كان الحادث في عهد شراكة بركات لأخيه حسن ... ألخ » .

---

(١) تاريخ مكة ص ٣٠٦ الطبعة الثانية .

المصــادر :

مطالع البدور ومجمع البحور - مخطوط -

تاريخ مكة لأحمد السباعي .

وأعادت رحمة الباري على موئس من حاله ما ذهبا

* * *

إن خبوني عنك في مستودع فشهاب العزم مني ما خبا

أو ملا جفنيك لذات الكرى فجفوني والكرى ما أصطحبا

رب ليل بته مرتقبا لطلاب الثأر أرعى الشهبا

أرقب « النسر » هزيعا ، طالعا وأراعي « الغفر » مهما غربا .

لنهار تنقط « السمر » به في الوغى ، ما شكلت بيض الظبا

والمذاكي في لظى معركة عاديات ينشرن الغيهبا

رب ان يقضي به ذو أرب موجع القلب ، أسير ، أربا

وينال المرتجي من ربه في أعاديه الذي قد طلبا



شعر الإخوانيات



الشاعر القاسم بن علي بن هتيمل

قال على لسان الأمير قاسم بن علي الذروي مجيباً لعيسى بن موسى الحرامي الكناني أحد أمراء حلي :

(أداري) ذرته الريح وهنا   وأنفاس الرياض مطرن حزنا
وهل سبكت نجوم الليل لفظا   وصيغ لها عمود الصبح معنى
ورقش في جبين الصبح خط   ملأن سطوره عينا وأذنا
أم السحر الحلال تنحلته   روية (سيد) أغنى وأقنى
إذا ما همت فيه ثملت سكرا   به (وكأنني عاقرت دنا)
رقا يصدرن من عيسى بن موسى   تسل من الحشى حمة وضغنا
فتى أغليت قومي فيه بيعا   فقضت به (بني الحسن المثنى)
تراه إذا التقى الجمعان (سمع)   أزل وإن جنى الجاني مجنى
لقد شرفت (نزار) به وطالت   بأشرف من تسمَّى أو تكنى
بأكبرهم إذا نسبوه قدرا   وأصغرهم إذا حسبوه سنا

* * *

جعلت فداك إن الحرب غول   تأجج نارها فنا ففنا
إلى كم ، والأماني مطمعات   أعلل بالمجيء وكم أمنى
وكم حم الفراق فهل أراها   قد اكتنفتك من هنا وهنا
تهافت في صبير الموت شعثا   إذا ما عارض النقع أرْجَحَنَّا
بكل سميدع يضحى خضابا   بأنمله النجيع عن (اليرنا)
إذا عقدوا الحُبا أبصرت إنسا   وإن شهدوا الوغى أبصرت جنا
هلم إلَيَّ إما عشت عيشا   أعز به ، وإما مت غبنا
فقد رميت بنو عبس بـ (حصن)   إلى أن جاوزت بالرغم حصنا

* * *

رجوت الله في قـــوم أرادوا   بي السوأى وكل يدي حسنا

رسوت فزحزحـوا جبلا أشما   أصـم وقعقعـوا للطـود شنـا

فإن لم تنظـروا منا ومنهــم   جلادا فاسمعـوا عنهـم وعنـا

فحسبك أن من عـاديت يمسـي   ويصبـح ما اسـتقر وما اطمأنـا

يراني نصـب عينيـه جهـاراً   ويحلم بي إذا ما الليـل جنـا

شعر الهجاء



ابن حمير يهجو مسلم بن العليف[1]

غيري تغيره الفتاة العيطــل	ويشوقه الغادون حيث تحملوا
وسواى يُشجيه الحمام إذ شدا	وتهيج لوعته الصبا والشمأل
لكنني أبكي على زمن مضى	بالرقمتين فدمع عيني يهمــل

(١) الشاعر محمد بن حسن العليف الملقب ببليغ البطحاء هو محمد بن حسن بن عيسى بن أحمد بن مسلم بن مُحيى - بضم الميم المعروف بابن العليف -بالتصغير- الشراحيلي الحكمي المولود بمدينة (حلي بن يعقوب)في جنوب الحجاز سنة ٧٤٢ هـ .

ومدينة (حلي) مدينة كان لها زخمها التاريخي والسياسي في تاريخ جنوب الجزيرة،جمعت بين عبق العلم والأدب ، وألق مجد السيف والقلم،في بيت أمرائها من بني حرام الكنانيين،من قبل القرن الثاني الهجري إلى القرن الثاني عشر - راجع كتابنا(ديوان الشاعر القاسم بن هتميل)دراسة وتحقيق وتحليل ط ٢ .

كان لأمرائها في تأريخهم الطويل الحافل شغف بالمجد وتعلق بالعلم والأدب ، كما أن تلك المدينة انجبت عدداً من العلماء،أشهرهم العالم الزاهد الشيخ علي بن محمد الطواشي - القرن الثامن - راجع كتابنا(التصوف في تهامة) ص ١٨٩ ط ٢ - كما أنجبت أسرة آل العليف،التي برز منها عدد من الأدباء والشعراء حظت بأشعارهم كتب أدب جنوب الجزيرة،ومنها: كتاب العقد الثمين للفاسي،ومطالع البدور لابن أبي الرجال،وغيرهما .

ولد شاعرنا المفلق - كما أسلفنا - في مدينة حلي ، وفي سِنِّ الشباب الباكر سار إلى مكة لطلب العلم،فقرأ على المعز بن جماعة وغيره،ثم برزت شاعريته المتألقة فأخذ في التكسب بشعره - شأن شعراء عصره - فمدح أمراء مكة،ومنهم عنان بن مغامس الحسني أمير مكة،الذي أثابه على قصيدته المعروفة :

(بروج زهــرات أو مغــاني)

بثمانية عشر ألف درهم ، فأطمعه ذلك في الرحلة إلى تعز ومدح ملكها الرسولي وغيره ، ثم سار إلى اليمن الأعلى فمدح الإمام صلاح بن علي .

(الشاعر والإمام صلاح)

وفد على الإمام فمدحه بقصيدة معروفة أستهلها بقوله :

جادك الغيث من طلول توالي	كبروج من النجـوم خوالي
فعّـدت بيض أنسـها فتساوى	بيض أيامها وسـود الليـالي
قاسـمتني وجدي بها فتساوى	حـالها ، بعد من أحب وحـالي

ومنها في المدح :

وترى الأرض إذ يهـم بمغزى	هي في رعـدة وفي زلـزال
قرأت (سأل سائل بعـذاب	واقع) منه في سهول الجبال

أيام ما كان الشباب غرانقا	بوصال من أهوى وسعدي مقبل
أقصرت عن غي الشباب وكان لي	فيه الترسل والعنان المرسل
ولكم جريت من الصبا جري الصبا	وسقاني الصهباء أحور أكحل
وأحق خلق بالملامة شاعر	يلحى على البخل الرجال ويبْخل

ودارت بين الشاعر والإمام المحاورة التي نوردها ملخصة :

الإمام : أحسنت هذا هو الشعر ، لا قول الفاسق أبي نواس :

صدح الديك الصدوحُ   فاسقني طاب الصبوح

الشاعر : ما ينفعني من الإمام هذا إنما أريد حكمك في تفضيلي على المتنبي .

الإمام : ليس هذا إليّ ، هذا الى السيد المطهر صاحب حصن الغصن،فإنه المشار إليه في علم الأدب .

سار الشاعر إلى المطهر .. (كلمة غير واضحة) وقال له المطهر:هذا المتنبي يقول في صباه غزلاً أوله :

أبلى الهوى أسفاً يوم النوى بدني   وفرق الهجر بين الجفن والوسن

ثم قال له : إن للمتنبي ثلاثمائة وستين بيتاً مثلاً يتمثل بها الخليفة فمن دونه ، فأثبت أنت ثلاثة أمثال لم تسبق إليها .

فخرج الشاعر ورجع إلى الإمام صلاح وقال له : إن المطهر له إلمام بالأدب مثلي فحسدني ولم يقض لي بشيء ، فقال الإمام : لا يفضلك أحد بعده على المتنبي،ولكن أقول لك يا محمد لو نطقت في أذن حمار لصهل ..

وأورد بعد ذلك صاحب مطالع البدور قصيدة طويلة ، ثم استثنى بقوله : لمحمد بن الحسن قصائد في أهل البيت واسعة كثيرة،لكني لا أعرف هل الرجل القائل لها هو هذا أو غيره ، فلعله اتفق اسم كل منهما محمد بن الحسن ، وصاحب مطالع البدور نفسه،بعد ذلك أورد للشاعر العليف بيتين يفهم منهما أنه سني العقيدة شافعي المذهب :

إذا ما رأوني من بعيد تغامزوا	عليّ وقالوا شافعي تزيدا
فوالله ما بعت الهدى بضلالة	ولكني بعت الضلالة بالهدى

ونعته الشوكاني في كتابه البدر الطالع بالمالكي الشافعي[1] .

رزق الشاعر ولدين هما : أحمد وعلي ، ولد الأول سنة ٧٩٤ بمكة ونشأ بها وحفظ القرآن وقرأ المقامات والنحو واللغة وتقدم في فنون الأدب ولقب بشاعر البطحاء ، ذكره الخزرجي وترجم له الفاسي في مؤلفه المعروف العقد الثمين ، وقال السخاوي : إنه مات في المحرم سنة ٨٥٦ هـ ودفن بالمعلاه .

وذكر الجندي : من متقدمي آل العليف أبا الحسن علي بن قاسم بن العليف،وترجم له ضمن من ترجم لهم من علماء الشافعية .

ونجد في ديوان الشاعر محمد بن حمير قصيدة بعنوان (وقال يهجو مسلم بن العليف)،وقد يكون هو جد الشاعر محمد بن حسن ، وهي قصيدة طويلة،وبعدها قصيدة لمسلم بن العليف نفسه يرد بها على الشاعر محمد بن حمير،اكتفينا منها بإيراد مالا يخدش وجه المروءة ولا يسيء لشرف الأدب .

---

(١) البدر الطالع جـ ٢ ص ١٥٧ .

العلامة الفقيه الأديب الشيخ جمال الدين علي بن صديق بن الدهل بن صديق الحكمي المتوفى ٩٨١هـ[١]

اغتنم فرصة الليالي البواقي ... قبل أن يشتملن ثوب المحاق
قبل أن يغلق الرهان وتمسي ... جندل الترب بين تلك الطباق
ذهب العمر وانقضى وتولت ... منك أيامه كلمح الأماق
عد إلى الله تائباً من ذنوب ... عقبها لو عرفت مر المذاق
وأذكر الموت وأخش للفوت وأحذر ... فرقة الاعتبار يوم التلاق
وازجر النفس قامعاً لهواها ... وعليها فاحرص بشد الوثاق
واتهمها إذا أتتك بنصح ... فلعمري إذ ذاك عين الوفاق
واصحب الجد ما بقيت وبادر ... لتنال اللحاق بالسُباق
واجعل الصدق والتقى لك زادا ... نعم زاد الطريق للارتفاق
وكذا الصبر فادرعه لتحمى ... فهو درع من المكاره واقي
وعلى الله فاتكل فهو كاف ... كافل للعباد بالأرزاق

* * *

واحبب الصالحين واركن إليهم ... فهم للضعيف خير الرفاق
وتأدب لهم تعش في حماهم ... في سرور وغبطة ووفاق
وإذا ما جلست بين يديهم ... فاخفض الرأس منك بالإطراق
واحفظ القلب من تقلقل وهم ... إنما الوهم كالصفا الزلاق

(١) ترجم له صاحب العقيق اليماني بقوله : « كان رحمه الله من رجال الحقيقة والطريقة علماً وعملاً،صاحب استغراق عند سماع القرآن .. وكان يلفظ بحار معارفه بجواهر الفوائد ، ويدير شراب رحيق لطائفه من كؤوس الفرائد ، وكان له أوراد في أوقات السحر،من صلاة وتلاوة وأدعية شريفة ، وله نظم غريب ومن أحسن كلامه قصيدة في المواعظ والأدب .

والـق للسـمع شـاهداً ثم تشـــهد | لمعـانٍ لطيفـــة ودقـــاق
بـين رســل القلـوب قـد أرسلوها | ناطقـات بألسُــن الأشــواق
وسـلام علـى النـبي المفـــدى | أشـرف الخـلق كامـل الأخـلاق

* * *

وفي المقطع الثاني يتمثل أدب السلوك عند الصوفية ، فهو يحث على حب صالحيهم ، والركون إليهم – والركون إلى الله سبحانه وتعالى أولى من الركون إلى مخلوق لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً – وكذا قوله : « تعش في حماهم » ، وأين هذا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتضى عليه الأعرابي السيف والرسول قد انفرد تحت شجرة . فقال له الأعرابي : من يحميك مني يا محمد ؛ فقال عليه الصلاة والسلام : الله . فتخاذل الأعرابي وسقط السيف من يده .

وفي البيت الثالث من المقطع نفسه يجلي لنا أدب الصوفية في التماوت والخنوع وإطراق الرأس – كما هي عادة المريدين بين يدي شيوخهم – وهذا ينافي ما يعرف من روح الإسلام ، ويروى عن عمر بن الخطاب أنه رأى شاباً يتظاهر بالنسك ويمشي منكس الرأس متماوت الجسم فخفقه بالدرة ، وانتهره قائلاً : إن الله يحب المؤمن القوي ويكره المؤمن الضعيف .

* * *

الشيخ المفتي العلامة عمر بن عبد القادر الحكمي[1]

٩٥٣هـ - ٩٨١هـ

هب النسيم فطاب الأنس والسمر وغاب حسادنا عنا فلا ذكروا

وأين من تلكم الحسنا نواصلها فزال عنا عنانا ، وانجلى الكدر

وهذه أكأس الأحباب قد جليت حفت بها تحف كالأنجم الزهر ؟

سلافة تسلب الألباب حليتها من المناسم ؟ تستجلى وتعتصر

كم حي ميت وكم قوم بها دهشوا وكم أناس بريا نشرها سكروا

---

(١) النجم المشع والكوكب المتألق في سماء ذلك البيت ، استظهر القرآن قبل العاشرة،ومن ثم أخذ في الدرس والتحصيل على :

١ - الشيخ محمد بن صديق بن أبي الفتح الحكمي .
٢ - الشيخ الدهل بن أبي الفتح .
٣ - الشيخ النحوي الأديب محمد بن عبد القادر المحلوي .
٤ - الشيخ شيخين بن أبي الفتح الحكمي .
٥ - القاضي عثمان الأقرع .
٦ - القاضي أحمد أبو الفضائل .
٧ - الشيخ العلامة محمد المحبوب الوليدي .

وبعد استكمال التحصيل وحصوله على الاجازات،قام بالتدريس في جامع أبي عريش خمس سنوات،وفي ١٩٧٧ توفي قريبه المفتي الشيخ محمد بن صديق الحكمي فأسندت إليه رياسة التدريس والافتاء وعمره ٢٤ سنة ، فقام ببناء مدرسة لنشر العلم والمعرفة والهداية والارشاد،فنفع الله بها وتخرج منها عدد من أبناء المنطقة والبلاد المجاورة،منهم :

١ - القاضي محمد بن عيسى قلاص .
٢ - الفقيه الأديب أبوبكر بن عيشه .
٣ - علي بن عبد القادر الحكمي .
٤ - أسعد بن محفوظ (من أهل جبل رازح) من اليمن .
٥ - علي بن عبد القادر بن الطاهر .

وغيرهم وغيرهم .

وقد اعتبطته المنية في سن مبكرة لم تتجاوز ٤٧ سنة،والبلاد أحوج ما تكون إلى علمه وفضله ، ويقول

هاموا فقاموا سكارى عندما جليت ... طاشوا ولا جنة فيهم ولا خـور
باتـت تعللهـم حسـناء فائقـة ... من ثغرهـا سكر ما مثـله سـكرٌ
كأنها البـدر حسنا والنجوم لهـا ... قلائـد ، وحلاهـا الجيـد والشـعر
أو غصـن آس عليه مشرقاً قمـر ... فأعجـب لغصـن عليه يحمل القمر
من فوقهـا مظـلم كث وذا عجـب ... بـدر يضـيء عليه الليـل معتكـر
من وصفهـا انها كل الجمال حـوت ... في سـاعد المدح عمـا قد حوت قصر

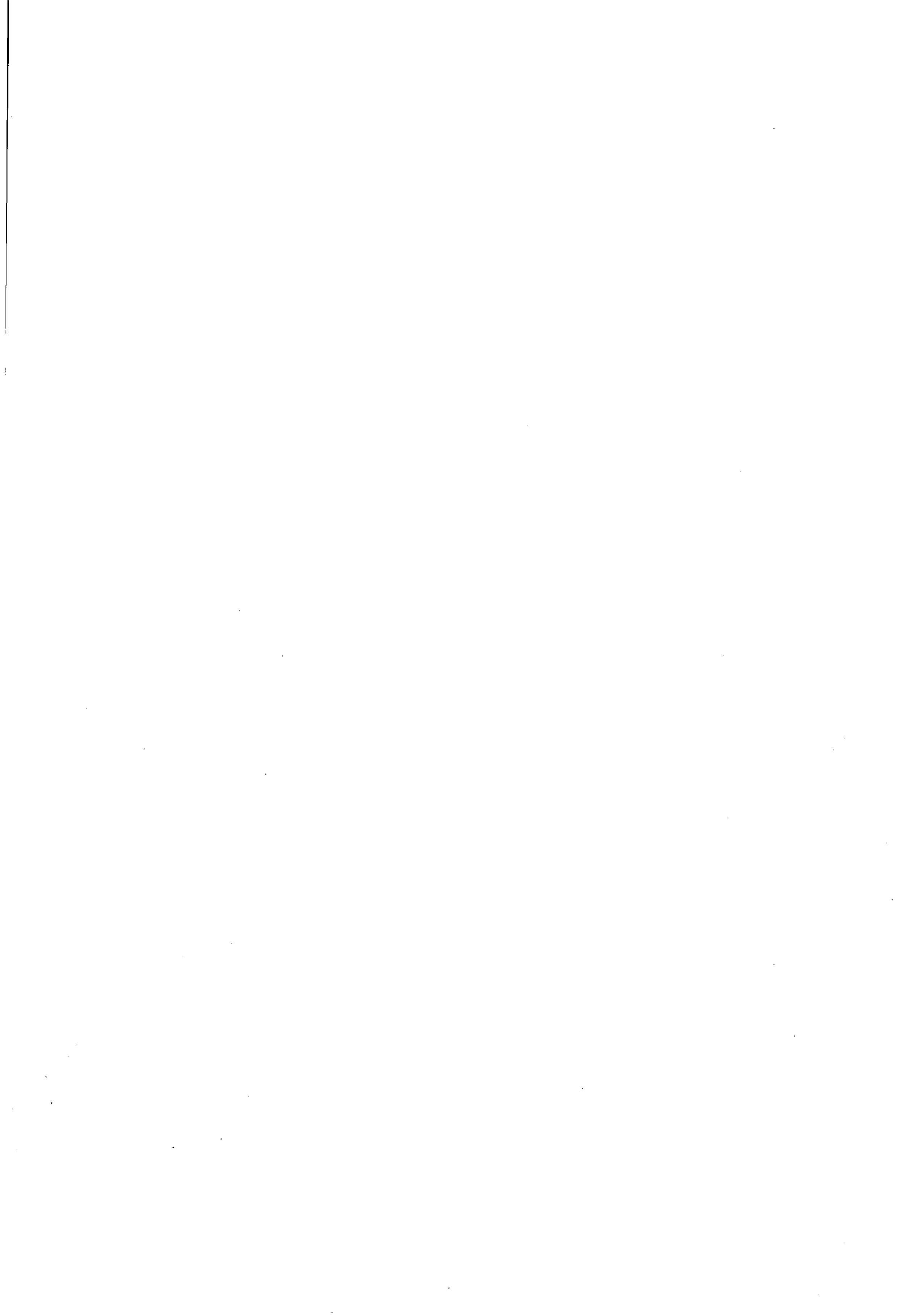
* * *

صاحب العقيق : (ولما انتقل إلى رحمة الله تعالى، حصل في اقليم جازان بعده على الناس من الحزن والوحشة ما طاشت له الألباب، وتضاعف كثر البكاء والاضطراب ، ورثاه تلميذه الشاعر الأديب محمد بن عيسى الطفاري بقصيدة رائعة طويلة، سبق إيرادها في باب المراثي مع ما عثرنا عليه من شعره .

وللمفتي الجليل أشعارٌ فائقة جمعت في ديوان في حياته .

المصـدر : العقيق اليماني – مخطوط

شعر المراثي



الشاعر القاسم بن علي بن هتيمل
يرثي أخاه وأخته وقد ماتا في أسبوع واحد

قصارى المرء رد المستعار ... وسائلة الحياة إلى قرار
ولسنا بالخيار على الليالي ... ولكن الليالي بالخيار
فلا يأمن عثار الدهر حي ... فليس الدهر مأمون العثار
وقد أفنى ذوي يزن وأخلى ... ديار الحمس دار بعد دار
وما شعب من العربين إلا ... رمى جمراته رمي الجمار
بنفسي أنفس غصبت جهارا ... بأمر دق عن غصب الجهار
ولو طلبت بحكم الحرب عادت ... بحرب دونها حرب الفجار
بنت شرفا بأعلام طوال ... معطلة بأعمار قصار
مصاب عم قحطان بن هود ... وجل،فخص حيا من نزار
فأي زمام عادية لقوم ... ليوم الخطب أو يوم المغار
وأي أخ أشم وأي أخت ... رزيتُ،وأي ضارية وضار
وأية جارة ومناخ ركب ... ونجعة مرملين وأي جار
غلام ليس كالغلمان خيراً ... وجارية وليست كالجواري
متى ترى بيتها تشبع ومهما ... ضربت به ، ضربت بذي الفقار
وأي يدي من أخوي أشجي ... أأشجى لليمين أم اليسار
وأيهما على الخلوات أبكي ... أبدر التم أم شمس النهار
أحين تكاملا أفلا، وأفضى ... سرارهما إلى غير السرار
ولو ذهبا بعمر العود هانا ... على الباكين ، أو عمر الحوار
مضت ما أنضت الضفرات منها ... ومات وما بدا شعر العذار
فلا ضعف الصغار أخل منهم ... بمنفعة ولا هرم الكبار
فيارب العمامة كنت تكفي ... من الحسرات عن ذات الخمار

ويا عف الأزار لقد رزينا ... على الأسبوع : طاهرة الإزار
أكفك بالقناة أشف حسنا ... بها أم كف أختك في السوار
وخدك بالطلاقة كان أبهى ... ضيا ، أم خدها بالجل نار
محاسن منك مادنست بعار ... ولا دنست محاسنها بعار
ألم تريا وجوه البيض سوداً ... كأن جباهها طليت بقار
أبعدكما نحاذر ما يفاجيء ... وكان عليكما كل الحذار
رأيتكما أرق على اليتامى ... وأرأف في التحنن من صوار
وأحفظ للحقوق إذا أضيعت ... لذي القربى وأرعى للجوار
إذا حجب الدخان عن الموالي ... واجهضت الأجنة للقتار
فلا أدري لطيب الأصل أرثي ... وطيب الفرع أو طيب النجار
وأيكما أبتُ عليه قلبي ... لبتة ذلك السبب المغار
لما يثني الزمان من افتقاد ... إلى وجيهكما ومن إفتقار
تمر الراغبون به وانسى ... زيارتها على قرب المزار
فتفجع منهم فجعي ورزئي ... رزيته لصاحبة الخمار
فلا وأبي وجدي لا تنامي ... على وجدي الفرزدق في نوار
فيا مخفي الشماتة أي شيء ... حصلت عليه من سحق المزار
أتعجب للجواهر إن تفانت ... وتفرح بالسلامة للحجار
توقع مالقوه ولا تأمل ... رفاهية فإنك في الاثار
فمهلك فاطم ملوٍ بهند ... ومفني صالح مفني قدار
إذا غِضن البحار وهن أدنى ... إلى شرف . فأوشك بالغمار
ولا عجب فإن الدهر تبقى ... جواهره وترمي بالمحار
غدت لكما الغوادي متلعات ... وراحت أو سرت لكما السواري
ولا زالت عيون المزن تذري ... على قبريكما هلل القطار

الشاعر المخلافي القاسم بن علي بن هتيمل
يرثي زوجته فاطمة

على مثل من ودعته ووساده … على المضجع الأرضي كف ومعصم
ومن غصبته النائبات وشاءني … بفرقته يوم من السوء أيوم
أحن حنين أهيم ذاد خماسها … عن الورد ذات العبقري الغشمشم
أمقت صرى أن لا أحن صبابةً … لروحي مالي لا أحن و أرأم[1]
أبين ضلوعي جمرة تسم الجوى … سويداءه أم يذبل ويلملم
تباكر لومي طير غيرك أيمن … بإعراضه عني وطيرك أشأم
وهل أنا إلا نطفة بشرية … تولد من أمشاجها اللحم والدم

....

تجانف عنها ميتة لو أتيتها … أتيت إلى الرأي الذي هو أحزم
مضت غصة والموت غص فإنه … إلى من تولت من يشب ويهرم
فماذا الحفاظ الحي بعد جليلة … ولا ذو الغرام الضاحك المتبسم
أمسرورة من آل حمزة بالردى … تطل إلى غم لها تتبغم
تراهن عما في الضمير ونشرها … على الفور عمدا والضمير مترجم
بك الريب قد ماتت هناك خديجة[2] … وفاطمة أم الحسين ومريم
كأني وأم المعزبي تقاصرا … على صفتينا مالك ومتمم
أبيت على جنب الفراش كأنني … ضجيعي من بعد المليحة أرقم
أتاركتي فردا بغير قرينة … وما كل مأخوذ القرينة توأم
تندمت فيما كان من عجرفية … عليك فما أغنى علي التندم
وأطمعني فيك المنجم برهة … فاكذب شيء ما يقول المنجم
فمن لي أني في مكانك أرمل … وانك مني في مكاني أيم
ومن ضعف حظي أنني متأخر … فيا بردها لو أنني متقدم

---

(١) هكذا في الأصل .
(٢) في الأصل « بك الريب إن ماتت خديجة » .

أهـــابك حتـــى ان كـــل محـــلـــل　　علي - على ما تعهدين - محـــرم
كأنـك كنت المـاء ما حل بعـــده　　على المرء في المفـروض إلا التيمـم
وحسـبك أني فـوق قبرك كلمـــا　　هفـت كبـدي مستغفـر مترحــم
فما شـثف هيـم جراجيـج ضمـــر　　غرابيـب أمثـال الأهـلـة سـهـم
إذا شارفت بوس[1] الحيـاض أعادهـا　　على يدهـا صدق العزيمـة طمطـم
وما معـزل جات ومربض طفلهـا　　بـه من بقايا الطفـل قرن وأعظـم
فلـم تبـق في طول الشقايق ممكنـا　　تحسـس في أرجائـه وتنعـم

---

(١) هكذا في الأصل .

الشاعر المخلافي القاسم بن علي بن هتيمل
يرثي أخاه خليفة

ماشا بعدك فليأتي به الزمن   فلا السرور يوازيني ولا الحزن
بمن أضن بعمري لا يعرض لي   عند الردى بعدها ضنن[1]
فما رأت يا أبا يحيى ولا سمعت   بمثل يومك لا عين ولا أذن
كان الذي خاف أهل الأرض فيك من
الدنيا فيا قرب ما خافوا بما أمنوا
مصيبة لو أصاب الطور أو حضنا   معشارها لتداعى الطور أو حضن
ما خص يومك حيا إنما رزئت   على العموم به قحطان واليمن
لو قاضك الدهر منا بالحياة   وبالأحياء كان عليه الغبن والغبن
قد كنت للدين روحاً يستقيم به   في أهله فتولى الروح والبدن
ما هكذا محن الدنيا التي سلفت   من قبل فالناس قد تبلى وتمتحن
ذخيرة نزعت منا وباقية   من الفروض أقامت بعده السنن
هل تعلم الأرض من وارت ومن ضمنت
أحشاؤها ودرى من ضمه الكفن
ليث على مهج الأعداء متهم   يوم الوغى وعلى الجارات مؤتمن
يوماه حسبك من بأس ومن كرم   إذا الرجال محل البخل والجبن
مرهق النار إن حطت بساحته   أوائل الركب كاست بينها البدن
ملازم الصمت لا عي ولا حصر   وإن تكلم فهوالمصقع اللسن
آس عليك ومالي ياخليفة لا   آس وقد صدقتني بعدك المحن
هيهات مكث الليالي أن تنابذني   حرب الخطوب وكانت بيننا هدن
تغيرت بهجة الأيام وانتقض الـ   ـعهد الوثيق وحال الحي والسكن
فالأقرب الأقرب الأرحام يصـ   ـرف نا باه عليّ وجار الجنب مضطغن

---

(١) هكذا في الأصل .

يا عصمتي يوم لا يخفى أخ لا أخ ... وجنتي حيث ان لم تحصن الجنن
أوجهك الحسن الميمون طلعته ... أدمى بفرقته أم وجهك الحسن
بمن أذود الأعادي كلما كلحت ... تحت العجاج رماك الخيل والحصن
وما أحمل أعباء العشيرة إذ ... لم تحمل الزمن المعذور والزمن
لي في المقابر أشجان وإن كرمت ... عندي فقبرك لي من بينها شجن
وما الحياة لمثلي غير صالحة ... أهان بين أهليها وأمتهن
ما أنصفتك العيون الباكيات فلو ... أنصفن ما جال في أجفانها الوسن
تلك المنازل أطلال وما سلخت ... شهرا وتلك وفيها أهلها دمن
أما وقد قادك الموت الذي يده ... لكل آب أبي جامح رسن
فأذهب حميدا وإن أصبحت مرتهنا ... فردا فكل بما لاقيت مرتهن
من الأسى ان أهل البيت فارقهم ... محمد وأبو السبطين والحسن
وإن غمدان من سيف ابن ذي يزن ... أقوى فأصبح لا سيف ولا يزن

الفصل السادس

دراسة عن الأوضاع الفكرية والأدبية والعلمية للمخلاف السليماني في القرن الثامن

لا نستطيع أن نعلل ركود الحركة الفكرية،أو فقدان أي أثر أدبي في القرنين الثامن أو أقل من القليل في التاسع،في كل ما تحت أيدينا من المصادر،مع وجود ثلاث مدارس علمية وأدبية في المخلاف السليماني نفسه ، بعضها يصعد تأسيسها إلى القرن الرابع الهجري وهي :

أولاً : مدرسة آل شافع[1]: في وادي صبيا،التي نخال أن وصول الجد الأول لآل شافع مؤسس هذه المدرسة كان في عهد الإمارة الزيادية – وإن كان لا يبرز الشيء إلا إذا وجد نظيره أو ضده – فهي مدرسة سُنية ، وكان مذهب السنة والجماعة يسود أغلب جنوب الجزيرة العربية،وإن كانت المذاهب الشيعية موجودة في الجهات الآتية :

١ – في الحجاز،وكان يعتنقها أشراف مكة ، أما سواد الشعب فهم سنيون[2].

٢ – في نجد،في عهد آل الأخيضر[3]،وكان حتى الآذان في جهتهم بـ « حي على خير العمل » ، ولا نعلم على وجه التحقيق هل عم نجد أم اقتصر على بعض الجهات .

٣ – في حلي بن يعقوب،كان هناك جماعة من الشيعة،ويجري بينهم وبين الشيخ الطواشي العالم السني المحاورات والمناظرات[4].

ولم يكن التشيع كمذهب رسمي في اليمن الأعلى،إلا من بعد وصول مؤسس الزيدية يحيى بن الحسين الرسي إلى صعدة .

---

(١) نسميها مدرسة على وجه المجاز،لا مدرسة بالعرف والطريقة والنهج الحاضر . فلا يعدو الأمر أن شيخاً كجد آل شافع،أو جد آل الحكمي،يتفرغ لطلاب العلم احتساباً لوجه الله،فتستمر الدراسة في حياته ، ثم بعد وفاته يقوم بالتدريس أنجب أبنائه مع أنجب أوائل المتخرجين،وقد أشار صاحب مخطوطة العقيق اليماني إلى هذه المدرسة في غير موضع .

(٢) تاريخ مكة للسباعي ص ٢٥٨ .

(٣) رحلة ناصر خسرو ص ١٦٧ (مطبوعات عمادة المكتبات بجامعة الملك سعود) .

(٤) طبقات الخواص للشرجي .

أما الإسماعيلية فقد وجدت في حراز،في سِرار القرن الثالث وأول الرابع على يدي علي ابن فضل ومنصور اليمن[1].

ونرجح أنه مع وفود السليمانيين من الحجاز إلى المخلاف السليماني،وجدت الزيدية لأن السليمانين يعتنقونها،وأصبح لها وجود شبه رسمي ، نلمح إلى ذلك لما للمذهبية أو المذاهب المختلفة من الأثر والتأثير في اتباعها،وأن للمذاهب في تلك العصور ثقل ومكانة فكرية،وحجج وأدلة،وأشعار يستعلي بها كل أهل مذهب لتأييد مذهبه .

وكما هو معروف في التاريخ،كان هناك لكل طائفة من تلك الطوائف أدباؤها وشعراؤها ، فهناك :

١ – شعراء الخوارج .
٢ – شعراء ورسائل المعتزلة .
٣ – شعراء ومؤلفات ورسائل الشيعة .

وهكذا غيرهم من كتب الطوائف والفرق وغيرها .

لذلك كان يحدث بين الأكثرية السنية في المخلاف السليماني،وبين الشيعة الجدل والمناقشة .

إن مدرسة آل شافع كانت تجد في الإمارتين الزيادية ثم النجاحية التأييد،لأن الإمارتين تابعتان للخلافة العباسية السنية .

وكان مركز هذه المدرسة في أسفل وادي صبيا في قرية (الباحر)،وقد امتد زخمها ونفوذها الأدبي إلى أبي عريش جنوباً،وإلى بيش شمالاً،ما عدا بعض جهات بينهما معروفة .

ومن أشهر من أنجبتهم هذه المدرسة بيوت الأسر العلمية الآتية :

١ – آل النمازي .	٢ – آل العقيبي .	٣ – آل الديباجي .
٤ – آل ياسين .	٥ – آل المحلوي .	٦ – آل السبعي .
٧ – آل المقص .	وغيرهم وغيرهم .	

---

(١) هكذا في مصادر تاريخ جنوب الجزيرة (مفيد عمارة ، والديبع ،وغيرهما) .

وطلابها يكملون دراستهم في زبيد أو مكة ، وكان من أهم مواد تدريسها فقه السنة والحديث، والعربية، والأصول ،والنحو، والصرف، والعروض، وغير ذلك .

ثانياً : مدرسة ضمد : التي كانت من أنشط المدارس، وأحفلها بالعلم والأدب ، وكانت تجد التشجيع من السليمانيين أمراء المنطقة، وغيرهم من أئمة اليمن الأعلى، وأهم مواد تدريسها فقه مذهب الإمام زيد، وعلم الكلام، واللغة، والحديث، والأدب، وعلم أصول الفقه، وعلم الفرائض، والعروض، والجبر، والمقابلة، وعلم المساحة، وعلم القراءات، ومن أشهر من أنجبتهم تلك المدرسة :

١ - آل شبيب[١] أسلاف آل النعمان وغيرهم .

٢ - آل هتيمل ٣ - آل عمر .

٤ - آل حازم . ٥ - آل الذكري .

٦ - آل المعافا . ٧ - البهاكلة .

٨ - آل هذيل . ٩ - آل سويدان .

وغيرهم وغيرهم ، ونجباء طلابها يكملون دراساتهم في صعدة وفللة وضحيان وصنعا وفي زبيد، وبعضهم في مكة .

ثالثاً : مدرسة أبي عريش[٢]، أو بالأصح مدرسة آل الحكمي، التي تعتبر امتداداً لمدرسة آل شافع، وقد تأسست في سرار القرن الثامن، وهي مدرسة نشطة توسعت في مواد التدريس، التي اشتملت على: الفقه، والحديث، وعلم القراءات السبع، والفرائض والحساب، وعلم المساحة، والجبر، والمقابلة[٣]، والأدب، والعروض ، والنحو والصرف .

---

(١) ورد في مخطوط كتاب العقيق اليماني في حوادث سنة ١٠١٦هـ: « فيها توفى المقدس التربة[(١)] نور الدين علي بن محمد بن علي بن حسن بن إبراهيم بن يحيى بن أحمد بن يحيى بن محمد النعمان بن حسن بن حسين بن أبي القاسم بن شبيب » .

وشبيب هذا، هو والد الفقيه الحسن بن شبيب، الذي عاش في أول النصف الثاني من القرن السادس - أنظر ص ٢٠٣ من كتاب المخلاف السليماني جـ ١ ، وأنظر مخطوطة الجواهر اللطاف .

(٢) مؤسس هذه المدرسة هو الفقيه الزاهد صديق بن علي بن أبي بكر الحكمي المتوفى سنة ٨٧٦ هـ مؤسس جامع أبي عريش، أنظر العقيق اليماني - مخطوط - .

(٣) العقيق اليماني - مخطوط .

---

(١) هكذا في الأصل .

ومن أشهر من أنجبتهم تلك المدرسة رجال الأسر الآتية :

١ - آل الحكمي ٢ - آل قـيراط

٣ - آل القـلاص ٤ - آل الحـراز

٥ - آل الأسـدي ٦ - آل الطفاري

٧ - آل الأقرع ٨ - آل عيشـه

٩ - بعض آل الديباجي ١٠ - بعض آل المحلوي

ومع وجود المدرستين السابقتين،ثم نشوء المدرسة الثالثة،لم نعثر في خلال القرن الثامن في المصادر التي تحت أيدينا،على اسم شاعر بارز أو أديب لامع،وإن كان نجزم ان هناك شعراء وأدباء قد تكون فقدت آثارهم - فعسى أن نعثر في المستقبل على آثار أدبية،أو يعثر غيرنا عليها -

في حال أن في حلي بن يعقوب المصاقب للمخلاف السليماني،وجد في ذلك القرن شعراء وأدباء،منهم الشاعر المعروف العليف ، الذي أوردنا ترجمته ضمناً .

أما القرن التاسع،فهو كالقرن الثامن،لم نعثر في خلاله على ما يوجب التدوين،في حال أنه كان فيه إمارة محلية بوادي جازان،أسسها خالد بن قطب الدين[1]، وتسلسلت في أسرته،وفي عهد ابن المؤسس دريب بن خالد بن قطب الدين ، حفظ لنا التاريخ أبياتاً شعرية للشاعر الغرباني اليمني في مدح الأمير ، فهل لا يكون هنالك شاعر مخلافي حتى يتفرد بمدح الأمير الشاعر اليمني فقط ، هذا ما يحير الباحث .

فهل يعقل أن المخلاف السليماني المعطاء،ومن أنجب من الشعراء والأدباء أعداداً وفيرة قبل القرن الرابع،أو بعده - في خلال القرنين الثامن والتاسع - يعجز عن إنجاب أي أديب أو شاعر .

إن ابن أبي الرجال الصنعاني صاحب كتاب مطالع البدور،يورد ما نصه:(مما اشتهر

---

(١) انظر المخلاف السليماني جـ ٢ ص ٥٠٦ .

على الألسنة،ان ضمد لا تخلو عن محقق أو أديب بديع،وفيهم من اتصف بالعلم والأدب وفيهم من اتصف بإحداهما[1].

ويقول علامة المخلاف السليماني في القرن الثالث عشر الحسن بن أحمد:(.. وقد تتبعت بحسب ما اطلعت عليه من علمائهم – أي علماء ضمد – قديماً وحديثاً،ما ينوف على مائة عالم،فيهم من اتصف بكمال التحقيق ، وفيهم من اطلع على سائر العلوم تفسيراً وحديثاً وفقهاً وكلاماً وأصولاً وعربية،وغير ذلك من العلوم العقلية والنقلية)[2].

وكل ما وقفنا عليه – في المصادر التي تحت أيدينا – هو ترجمة للشاعر الضمدي المخلافي علي بن يحيى بن إبراهيم الهذلي،وترجمة ومحاورة للعلامة محمد بن أحمد بن جناح الضمدي،لا غير نوردها،بعد هذا .

❊ ❊ ❊

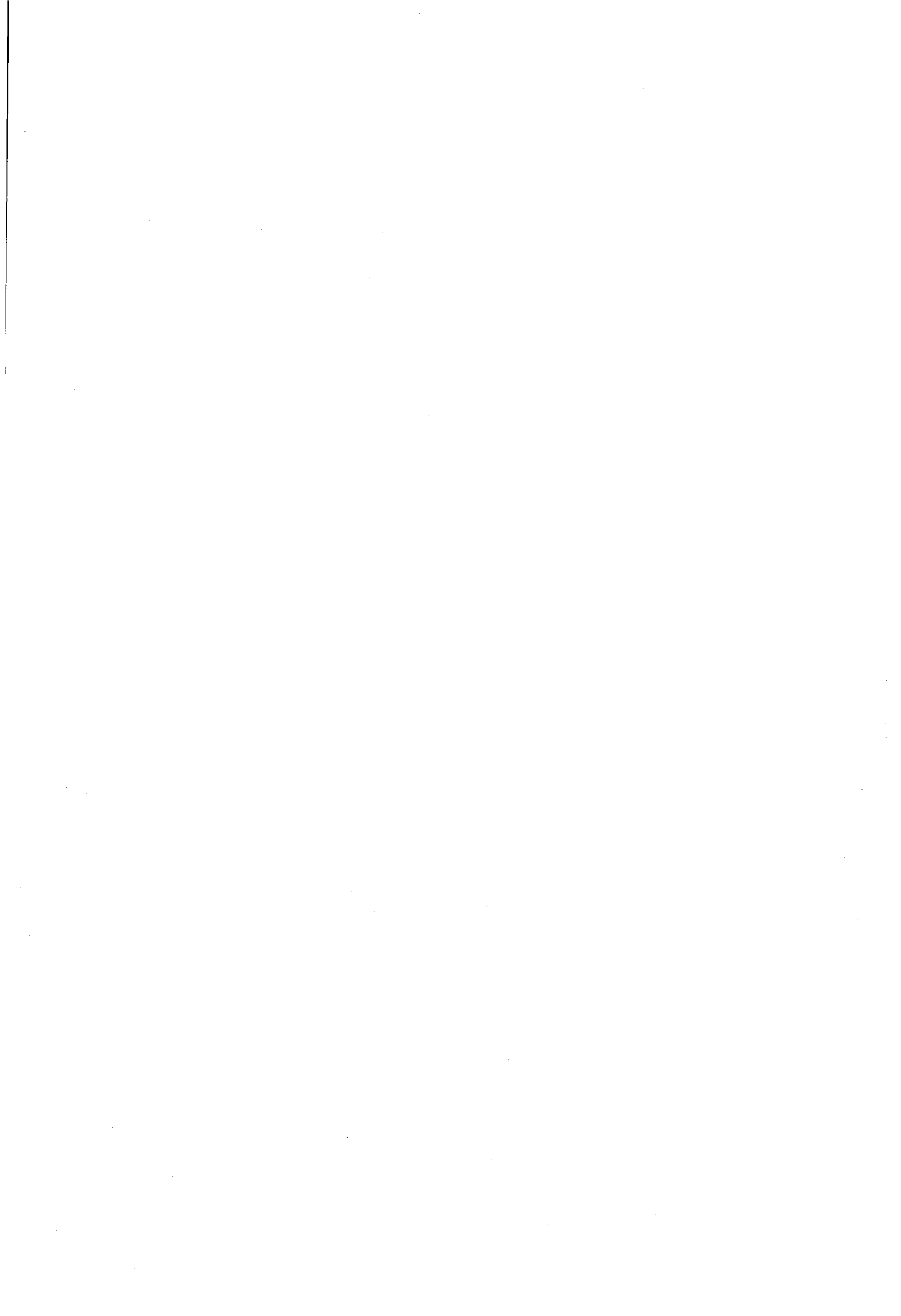
---

(١) مطالع البدور ومجمع البحور لابن أبي الرجال الصنعاني - مخطوط - .

(٢) الذهب المسبوك - مخطوط - .

(٣) العقيق اليماني - مخطوط - .

شعر المديح



القصيدة النبوية

للشاعر علي بن يحيى بن إبراهيم الهذلي[1]

يا أيها الراكب الغادي أو الساري عرج قليلا لأقض بعض أوطــاري

واحمل سلامي إلى أرض كلفت بهــا حيا وطال بها شــوقي وتذكاري

فانزل من الروضة الغناء ومسجدهــا تنزل هنــاك بجنــات وأنهــار

وعفـر الوجـه من قـبر ابن آمنـة تظفر بأمنك في العقبى من النار

محمد المصطفى المختار من مضــر لله من مصـطفى صـاف ومختــار

خير البريــة أعلاهــا وأعظمهــا من المهيمـن في حـظ ومقــدار

زكي طباعا فلم يعكف على وثــن كغيره وهو ناش بين كفــار

---

(١) الفقيه النحوي الضليع من رجال القرن التاسع،يروى أنه وفد إلى مدينة أبي عريش في عصره رجل واسع العلم في النحو ، من أهل البصرة،فطلب مناظرة علماء المخلاف السليماني في علم النحو،فما ناظره أحد منهم إلا وغلبه وفاز عليه البصري ، وفي النهاية قال البصري:هل بقى أحد من أهل الجهة يناظرني،فقال قائل : لم يبق إلا الفقيه علي بن يحيى الهذلي في ضمد ، فقال : اطلبوه ليحضر للمناظرة والمحاورة ، وبوصول الهذلي دخل على العالم البصري في محل إقامته،فسلم وجلس حيث انتهى به المجلس،فقال : من أنت ؟ فقال : أنا الهذلي قال : لعلك الفقيه الذي نعت لي،ووصف بمعرفته لعلم النحو ، قال : نعم ، وجرى الحوار الآتي :

البصــري : فيما قرأت ؟

الهــذلي : في الحاجبية .

البصــري : كتاب وضع لتأديب الأطفال ، ثم قال : وفي أي شيء آخر ؟

الهــذلي : شرحه الموشح .

البصــري : ارتفعت عن الحضيض بقليل ، ثم ماذا ؟

الهــذلي : في التسهيل .

البصــري : الله أكبر - كفء كريم ، ووثب وعانق الهذلي .

ثم تحاوروا حتى انخزل البصري وتفوق عليه الهذلي[1].

له أشعار في رؤساء عصره،ومن أشهر أشعاره القصيدة النبوية .

---

(١) المصدر : مطالع البدور ومجمع البحور لابن أبي الرجال .

حتى إذا ما أراد الله بعثتـــه ... إلى الأنام بأعـذار وإنـــذار

وجاءه الروح جبريل الأمين بمـا ... جلا العمى من كلام الخالق الباري

أحيي به الله من أحيي وأيـــده ... بكـل أبلـج نفـــاع وضـرار

وبين الصـدق منـه كل معجـــزة ... كأنهـا علـم بـــادٍ لنظــــار

برء الضرير إلى شكوى البعير إلى ... تكليم عضـو إلى تسليم أشجـار

فالجذع حن له والبدر شـــق لـه ... والماء ظل لـه من كفه جـار

يا سيد الرسل إن أوجزت مختصـــرا ... فيك المديح ولم أجنح لإكثار

فإن صمتي ونطقي واكتسـاب يـــدي ... فيـكم ثناء وأعـلاني وإسـراري

.... الخ .

وهي تنوف على مائة وثلاثين بيتاً اكتفينا منها بما أوردناه[1] .

---

(١) المصدر : مطالع البدور ومجمع البحور لابن أبي الرجال .

الفصل السابع



دراسة عن النشاطات السياسية والأدبية والعلمية
في المخلاف السليماني في القرن العاشر

أما القرن العاشر فهو من أكثر القرون خصوبة بيانية،وعطاءً أدبياً،ونمواً وتوسعاً في الحركة الثقافية والفكرية،المعروفة في ذلك العصر،ويحق للدارس أن يتمثل عن ذلك القرن بقول المتنبي :

وقد وجدت مكان القول ذا سعة　　فإن وجدت لساناً قائلاً فقل

وإذا كان نقصد من هذه الدراسة في هذا الفصل،الحركة الفكرية بوجه خاص والنشاط الأدبي – بوجه عام –،بحسب ما بلغته المعارف في ذلك التاريخ ، فالأدب والنشاط الفكري هو حصيلة وجود المعارف لا العكس .

ومن المعروف أن النشاط الفكري لا يوجد من عدم،فلابد من الإستقرار والجو السياسي،والوجود الأمني،والحضور الإداري ، وقد وجد ذلك متمثلاً في ذلك التاريخ في إمارة شابة،تشجع الأدب وتقدر رجاله،هي شخصية الأمير المهدي بن أحمد القطبي الشاب الطُلعة،الذي يحب الأدب،ويثيب على المدح،سواءً من شعراء المخلاف السليماني أو من الأقطار المجاورة،ولا غرابة في إمارة صغيرة في وادي جازان من المخلاف السليماني توسعت جنوباً إلى حرض،وبلاد بني حسن القريبة من عبس،يكون لها هذا الشأن في الحركة الفكرية والنشاط الأدبي ، ففي التاريخ أشباه ونظائر لذلك ، فهذه إمارة سيف الدولة ابن حمدان في شمال سوريا،وجد بها من الأدباء والشعراء،وعلى رأسهم أبو الطيب المتنبي،ما ينوف على ثلاثون شاعراً وأديباً،وإن كان لا تقاس هذه الحركة الفكرية بتلك وإنما كما قال الشاعر :

ذكرت جبين العامرية اذ بدا　　خلال السما والشيء بالشيء يذكر

لقد برز في القرن العاشر شعراء وأدباء في المخلاف السليماني،أبرزهم وأشهرهم :

١ – الجراح بن شاجر　　٢ – أحمد بن قبر
٣ – المدير الشماخي　　٤ – الشاعر محمد الهبي الصعدي

٥ – أحمد بن مقبول الأسدي ٦ – محمد بن علي بن إبراهيم النعمان
٧ – محمد بن أحمد بن جناح

وفي تلك الفترة كان على رأس مُلْكِ اليمن عامر بن عبد الوهاب الطاهري،الذي هو آخر ملوك اليمن السنيين ، كما كان على إمارة الحجاز بركات بن محمد البركاتي،وعلى إمارة المخلاف – كما أشرنا قبله – المهدي بن أحمد القطبي،فكان للشعر والأدب – نسبياً – صحوة نشاط أدبي في جنوب الجزيرة،فتوسعت بهم مجالات الشعر،وانسحب ذلك على فترة العهد الشركسي المملوكي المصري في جنوب الجزيرة ، ومع ما اتسم به عهد الجراكسة من الظلم والاستبداد،إلا أن اتساع المجال الوحدوي، بحيث كانت دولتهم دولة واحدة تشمل أغلب أقطار الجزيرة والبلاد العربية، كمصر والشام والحجاز والمخلاف السليماني وتهامة واليمن الأعلى والأسفل وعدن وحضرموت، مما أتاح شيئاً من الوحدة وسعة المجال الحيوي والرواج الإقتصادي،مما أفسح للأدب قبل عهدهم،ثم في أثناء عهدهم اتساع مجالات الشعر ونشاط الفكر،التي احتوت على :

١ – شعر المديح .
٢ – شعر المراثي .
٣ – شعر التصوف .
٤ – الشعر السياسي .
٥ – شعر الوصف والاستغاثة .
٦ – المحاورات المذهبية .
٧ – رجال الفقه والحديث والعلوم الدينية والقراءات .

وبعد هذا التمهيد نورد أنماطاً من تلك الأبواب الشعرية والأدبية،مع تراجم رجال الفكر في تلك الفترة .

❊ ❊ ❊

شعر المديح

شعر المديح

الشعر - كما يقال - ديوان العرب،وقد كان المديح عملة صعبة متداولة،وسوق رائجة لأنه من أنجح وسائل الدعاية لبروز وذيوع اسم الشخصية،فضلاً عن تخليد اسم الممدوح وتسجيل أعماله،والإشادة بكرمه وإشهار شجاعته ، وكان الكرماءالمشهورون،والأمراء البارزون،يحرصون كل الحرص،على استقطاب شعراء عصرهم بشتى الأسباب وأرق الوسائل ، من الإستمالة والإغراء،ووافر العطاء،وجزالة الصلات،رغبة الحصول على مدحهم،وتمجيد أشخاصهم،وتخليد أعمالهم،والتنويه بأخلاقهم،وإشهار كرمهم .

والأمير المهدي بن أحمد القطبي من أبرز أهل بيته،وكرام أسرته،بَزَّمَنْ سبقه في هذا المجال ، فاصطفى الشاعر المخلافي (الجراح بن شاجر الصبياني) كشاعر له ، علاوة على جذب واستمالة غيره من شعراء المنطقة والوافدين،ومن أشهر شعراء المديح في ذلك القرن الشعراء الآتية أسماؤهم :

١ - الجراح بن شاجر السالف ذكره .

٢ - أحمد بن قبر الضمدي .

٣ - المدير الشماخي .

٤ - الشاعر محمد الهبي الصعدي .

٥ - أحمد بن مقبول بن عمر الأسدي .

٦ - أحمد بن مقبول الأسدي (أبو الفضائل) .

٧ - محمد بن علي بن إبراهيم النعمي .

٨ - محمد بن جناح .

٩ - العلامة أحمد بن علي المعافا .

❊ ❊ ❊

الجراح بن شاجر الذروي[1]
يصف خروج موكب الأمير لصلاة العيـد

ولقد خرجت إلى المصلى مخلصا   لله ربـك خائفـاً مترقبـا
في آلة ما سار فيها (قيصر)   أبداً ولا كسرى الملوك ولا سبا
وركبت ظهـر مطهـم لو أنـه   بارى الصبا لكبت ، وفات وماكبا

---

(١) هو أحد أقانيم الثالوث الشعري في المخلاف السليماني ـ من منطقة جازان حالياً - وهم :
١ - عمارة اليمني .
٢ - القاسم بن علي بن هتميل .
٣ - الجراح بن شاجر .

نسبه :

من عشيرة الذروات - المعروفة في وادي صبيا - وأشهر شخصية منهم هو القاسم بن علي الذروي .. راجع ترجمته في كتابنا (شرح وتحليل ديوان القاسم بن هتميل) - القرن السابع الهجري .

حياته :

إن كتب التاريخ والتراجم المخطوطة للمنطقة،ضنت علينا بكل معلومات مفيدة عن حياة هذا الشاعر المبدع فلم نعثر له على ترجمة نستفيد منها المعلومات الوافية،عن تأريخ مولده ونشأته وحياته وتاريخ وفاته ، وكل ما ورد عنه في كتب التاريخ نتف يسيرة،يرد ذكرها عرضاً عند ذكر الأمير المهدي بن أحمد القطبي ، مثل قول صاحب العقيق اليماني - مخطوط - : ومدحه - يقصد الأمير المهدي - شعراء عصره،ومنهم الشاعر الجراح بن شاجر الذروي،وله فيه ديوان مشهور متداول بأيدي الناس - أي في عصر المؤلف - انتهى .

ومثل قول صاحب الجواهر اللطاف ص ١٣١ مخطوط ، عند ذكر المهدي : (وهو ممدوح الشاعر الجراح بن شاجر الذروي الصبياني)،وأورد له من القصائد :

١ - قصيدته التي مستهلها (أبكت جفوني فاترات الجفون)،مع زيادة في أبياتها،نعتقد أنها مدسوسة من المتشيعين،لأنها ليست موجودة في نسخة هذا الديوان،الذي سجل في حياة الشاعر وأميره .

٢ - قصيدته المخمسة التي مطلعها (حدث عن الحي بذاك الحمى) .

٣ - قصيدته التي قالها على لسان الأمير المهدي إلى ملك اليمن الظافر الطاهري،وما عدا ذلك فلا شيء .

حياة الشاعر من مقدمة الديوان وشعره :

لم نجد في مقدمة الديوان أي شيء عن حياة الشاعر - وكما يرى القارىء الكريم صورتها الفوتوغرافية خالية عن كل إشارة عن حياته - وقد ضن علينا الشاعر بأي معلومات مفيدة،عن سنة مولده،أو عن عمره عندما مدح الأمير،ولو عن طريق الإشارة أو التلميح - كما أفادنا الشاعر ابن هتيمل عند مدحه الإمام أحمد بن المهدي - وكل ما ورد في الديوان يفيدنا بصورة غير مباشرة :

للجيش قبلك يا بن أحمد هِـــزة	تركـت عدوك وهـو مفلول الشَّبا
متوشحين خنـــاجرا وبواتـــرا	بيضا يحاكين النجوم الثقبـا

---

١ – ان وطنه وادي صبيا مثل قوله :

نشقت نشره بـ (صبيا) فتاقت	لورود المنـاهـــل الهاشـميـــة
بكرت بي من منزلي مطلع الفجر	فجـاءت قبل الهجـير ضحـية
حين قابلت (درب جازان) لاحت	وبـدت لي قصـورها (الخالدية)

وكقـوله :

ولي في ربـا صبيا حبيب عشـقته	وملكـته رقـي ، وأصفيته ودي

وهكذا أفهمنا أنه من وادي صبيا،بدون أن يفصح لنا عن اسم القرية التي هو منها ، ومن المفهوم أن عشيرته منتشرة في (الحسيني) و (جخيرة) و (العريش) ، وجميع هذه القرى على مجرى وادي صبيا ، والأكثر من عشيرته يسكن قرية الحسينية ، وهي على القرب من مجرى وادي (نخلان) ، وإنما نجزم أنه من أحد القرى السالفة الذكر ، ومن المتعارف عليه في المنطقة إلى الآن،أن الشخص الذي هو من أحد قرى أحد الأودية،عندما يسأل من أي ناحية،فيجيب في الغالب بقوله مثلاً : إنه من (خلب)،أو (بيش)،أو (مقاب)،أو (جازان) وهو يقصد أنه من إحدى قراه .

وعدا ذلك،فنعرف من قصائده أنه قبل اتصاله بـ (العزيز)،ومن بعده بأخيه (المهدي)،كان على اتصال بأمراء (مكة) و (المدينة)،وأنه قد مدحهم ونال رفدهم والحظوة لديهم .

أنا يا ابن الكرام أوقفت شعري	فيـك فاغنـم نسـيبه ومـديحه
وتركـت المـلوك لفظـا ومعـنى	وعلى ذا ، فـلي عليـهم سنيحه
يتمنـــون أن أعـــود إليهـــم	ويردون ، من لـدي بالقبيحـه

وإذا كان قد لمح هنا وأبهم،فقد صرح وأفصح في القصيدة البائية بقوله :

أنا من علمت أديبك الحق الذي	في سـوحك المأنوس حل وطنـبا
صـيرت جـازان الخصيب وأهله	حجـا وخلفـت (الحجاز) ويثربـا
وبها ملـوك كان خلـك عنـدهم	دون الصـديق ، مقـرباً ومحـببا

ونعلم من مضمون البيت الآتي – أيضاً – أنه مدح الأمير (يوسف العزيز بن أحمد القطبي) أخا الأمير المهدي،الذي خلفه الأخير في مركز الإمارة .

وقـم بحـالي كمـا قام العزيز بها	فـإنني لك يا مهـدي منتظر

ومع الأسف الشديد،أن أشعاره في أمراء (الحجاز)،وشعره في الأمير يوسف العزيز قد فقد ، كما نعتقد أن للشاعر أشعاراً في مدح رجالات المخلاف السليماني،وأشعاراً خاصة قد فقدت هي أيضاً،لعل الزمان يتيح لنا أو لغيرنا العثور عليها ، أما هذا الديوان،فمن المقدمة نعلم أنه خاص بمدائحه في الأمير المهدي ، أما تاريخ وفاة الشاعر،وإن كانت قد أغفلته جميع المصادر السالفة،فإنا نستطيع بقليل من الروية والإستنتاج،إستخلاص النتيجة بعد إيراد الروايتين الآتيتين :

وترى الجنائب كالكواعب رتبت ... يفضحن داحس والوجيه ومذهبا

والخيل عاكفة عليك وفوقها ... بيض الوجوه ، كأنهم زهر الربا

والطبلخانة وهي خلفك اسمعت ... من كان في أقصى البلاد مغيبا

والصنج والأبواق قبلك صوتها ... كالرعد أرعب سامعيه وأرهبا

والخلق شاخصة عيونهم إلى ... ما راق حينئذ وسر وأعجبا

* * *

---

١ – قال صاحب العقيق اليماني : (وعاد الأمير عز الدين،ولما وصل إلى جازان،قبض أخاه الأمير المهدي ووضعه تحت الحفظ في الحديد،وتولى أمر جازان،واستولى على قصر أخيه المهدي،وما فيه من الخيل والعبيد والسلاح وسائر الأمتعة،وقبض مع المهدي على وزرائه وخواصه،فقتل منهم من قتل،وسجن من سجن،وأبقى من أبقى،ولبث المهدي في السجن أياماً،أصبح في بعضها ميتاً،فقيل:مات حتف أنفه) .

٢ – وجاء في اللطائف السنية(مخطوط)في حوادث سنة ٩٢٥ هـ : (وفيها وصل غدر الأمير عز الدين بن أحمد في المخلاف السليماني بأخيه الأمير المهدي،بعد أن أرسله بجند من عنده لإعانة الجراكسة،فتواطأ هو وذلك الجند على أخذ الإمارة من أخيه،ورجع إلى جازان وقبض على أخيه وعلى أعوانه،وسجنهم ثم قتلهم) .

إن الشاعر يعد من الشعراء المتفوقين،ويتسم شعره بعذوبة الموسيقى،وجمال التصوير البياني،والتجسيد البلاغي ، وعلى قدر كبير على قدرة الإفصاح،وفصاحة التعبير ، وله ولع بالقوافي الراقصة،والنغمات الحالمة ، وسيلمس القارىء الكريم ذلك في مطالعة ما أخترناه .

الجراح بن شاجر الذروي
يمدح الأمير المهدي بن أحمد

الله حسبي والأمير كفايتي ... مما أحاذره وما أخشاه
الماجد المتعظم المتواضع ... المتهجد المتعبد الأواه
وتوهم (الخبثاء) وتلك جهالة ... منهم ، بأن جموعهم تلقاه
فهناك تم بهم وأمضى فيهم ... عزم يطيح بـ (يلملم) وصفاه
وغزاهم بجحافل وصواهل ... ومناصل سفكت دماء عداه

* * *

جيش كأن غباره ليل دجى ... ويبارق المهدي شهب دجاه
لما التقى الجمعان في حوم الوغى ... قل الكلام وكلت الأفواه
وتبادروا هربا وفر عن ابنه ... ذو الغدر وهو يصيح يا ابناه
وتحكمت فيهم بأمر (محمد) ... ليث الهياج ، رماحه وظباه
وجرت كما جرت السيول دمائهم ... فوق البقاع ، كأنها الأمواه
فكأنما هو ضيغم وكأنهم ... قبل الخليفة والجنود شياه
ولقد غدت أموالهم ونفوسهم ... نهبا ، برغم أنوفهم ، ورضاه
وتشتتوا من بعد ذاك وأحرقت ... (حيرانهم) و (بداحهم) وقراه[1]
ثم انثنى من بعد ما نال المنى ... منهم ، إلى (حرض) وحل رباه
وبنى بـ (رحبان) الخصيب خيامه ... فعلى الثريا والسماك بناه
وأتى البشير إليه من (حرض) بمن ... صافاه وهو سليله وحكاه
أكرم به ولدا نماه وحبذا ... ملك من القوم الكرام نماه

---

(١) « حيران » بالحاء المهملة : واد معروف جنوب مدينة « ميدي »،و « البداح » : قرية قبيلة « بني حسن » من قبائل عبس اليمنية .

أو ما رأيت (المقربات) تطاولت أعناقها وتشوفت لتراه
والقبة البيضاء بالقصر الذي في (درب جازان) المنيع حماه[1]
وترى (الثريا) كالثريا سمكها عال على شهب السما وعلاه
غرف حكت غرف الجنان وفاخرت بمحمد قمر السما وسماه

* * *

وافاك عيد النحر يسحب ذيله فكأنه ثمل يجر رداه
لو كان ينطق قال عند قدومه يهنى الأمير السؤل من مولاه
العيد والولد المبارك وجهه والنصر والقصر المشيد بناه

وقال :

سل الخبثاء عن كبش النطاح زعيم الجيش ضرغام الكفاح[2]
سلالة أحمد بن دريب حقا وقائد كل سلهبة وقاح
وكيف رأوه حين أتى أليهم بكل كتيبة شعوا رداح
وخلوا الرجل ، وانجردت تعادا بهم جرد السلاهب في البطاح
وأجلوا عن منازلهم جهارا غداة السبت ، يا لك من صباح
وفى بمقاله قمر المعالي وسار على الوعيد إلى (البداح)
وأخرب دار شيخ السوء عمدا فراح مشردا أردى مراح
ونال مراده فيهم ونادى منادي النصر حي على الفلاح
ولم تقبل - فدتك نفوسنا - في (بني سبأ) و (أحمد) أي لاح[3]

---

(١) الأول اسم مكان يطلق على قلعة « جازان » العليا،ولا تزال اطلال هذه القلعة ماثلة للعيان إلى هذا التاريخ ، والثاني اسم المجموعة النجمية المعروفة .

(٢) « الخبثاء » اسم قبيلة تنسب إلى « يخبث بن قادم بن عبد الله بن حديق بن شاخد » من حجور - راجع الإكليل ص ١٠٧ ج ١،وكان موطنها في موضع قبيلة بني حسن في بلاد عبس في الوقت الحالي ، وقد يكون بني حسن الحاليين من سلالتهم ، وإن - كان يقال - انهم ينتمون إلى حكم بن سعد العشيرة .

(٣) بني « سبأ » قبيلة داخل الحدود اليمنية في جهات « حرض »،وتحتفظ باسمها إلى هذا التاريخ .

وألقيت (الدعائث) في عذاب مهين بعد ذاك الاستراح
وطلقت الملاح البيض عمدا وقسرا من أولي الصور القباح
وشردت الخبيث الطبع حتى غدا من سكر ذاك الكبر صاحي
يعض بنانه ندما وغبنا ويعرك حسرة راحا براح
وأخربت (البداح) وكان كل يرى أن لا سبيل إلى (البداح)
و (حيران) الخصيب ضربت فيه خيامك والعساكر في انشراح
وفي (الذرماء) قد نزلوا فضاقت بهم من بعد أودية فساح
أمير الناس فلتهنأ بنصر إلى الأمصار،راح مع الرياح
ولي في جيد مدحك كل عقد جواهره كأزهار الأقاح
إذا هي أنشدت راقت وفاقت بكور الحور والعرب الملاح
بقيت ودمت ما قرأت وراقت (سل الخبثاء عن كبش النطاح)

وقال :

كمجدك يا (مهدي) فليكن المجد وإلا فلا مجد سواه ولا حمد
شكمت العلى بالبيض والبيض والقنا وجرد المذاكي تحت أسد الوغى تعدو
وقدت إلى الأعداء أسدا ضواريا تجل وتسمو أن تقاس بها الأسد
وجوههم بيض إذا الحرب أظلمت وأيديهم سحب وألسنهم لد
لقيت صدور المشرفيات والقنا . وقاتل منهم دونك الشيب والمرد
أجابت (سليمان) العريضة قمصها وتيجانها في المعرك البيض والسرد
بأيديهم بيض خفاف قواطع بها الهام والأجسام والزغف[1] تنقد
إذا افتخروا كان افتخارهم بكم كما ببنان الكف ينتفع الزند
وقاتل من (بيش) الخصيب قبائل مواقفهم مشورة ما لها جحد[2]
وفرسان (جازان) الخصيب ورجله يزيدون إن عدوا الحروب وإن شدوا

---

(١) الزغف : الدروع .

(٢) « بيش » واد معروف في منطقة جازان إلى هذا التاريخ،والخصيب نعت له .

فصلت بهم في قرية البغي صولة فما انطبق الجفنان إلا وهم رمد
تمد على البيداء كالبحر جحفلا طمى فوق سهل الأرض واتسع المد
كأن غبار الخيل سحب بروقها مواضي الظبا (والطبلخان) لها رعد
ولما التقى الجمعان منا ومنهم وحان لبيض الهند في القمم الورد
تداعوا ، كما طار الجراد وأدبروا وقالوا ألا غور يقينا ولا نجد
وفر وخلا قومه ضد اسمه كما فر من ليث غضنفرةٍ ، فرد
وأقبل ينعي في (البداح) قتيله ووجه عدو الله ، كالقار مسود
على أنه لو غار في الأرض أو أتى إلى الأفق الأعلى لجاء به السعد
وحاقت بـ (حيران) الخبيث وأهله خيانتهم إذ لم يتم لهم عهد
وفي الصبح احراق (البداح) وخوره ويكفيهما من جند عز الهدى عد[1]
ألا إنما (المهدي) واحد عصره فلا قبله قبل ، ولا بعده بعد
عزائمه أمضى من البيض والقنا وهيبته منها يذوب الصفا الصلد
لقد جالد (الخبثاء) إلى أن أبادهم وكانوا عن الدين الحنيف قد ارتدوا
وأصحابهم روع القوافل أمنا[2] مغنيهم يشدو وحاديهم يحدو
فلا زلت ركنا يابن أحمد ثابتا يلاذ به ما مست القضب الملد

وقال :

تسنمت يا مهدي أعلى المراتب وأدركت غايات المنى والمطالب
وأعليت سمك المجد حتى لقد علا منارا على أعلى النجوم الثواقب
سمكت المعالي بالعوالي على السهى وكل رقيق الحد ماضي المضارب
وملمومة قطيبة غانية جلبت على أرض العدو المحارب
وأساد جرد خادرات نيوبها طوال القنا الخطي وبيض القواضب
غزوت بهم أرض الأعادي فاقبلوا إليها كأمثال الجمال المصاعب

---

(١) أشرنا قبله إلى قرية « البداح » وأنها بلدة من يطلق عليهم في الوقت الحاضر « بني حسن » في « اليمن » ، و « الخور » كان يطلق على قرية غربي قرية « حبل » ولا يزال الموقع يعرف بـ « خور بني علي » عند أهل قرية حبل إلى الآن .

(٢) هكذا في الأصل .

ولله أجناد بـ (جازان) ما لهم إذا جردوا بيض الظبا من مغالب
أبادوا العدا بالطعن والضرب واصطلوا سعير جحيم من لظى الحرب لاهب
ومن آل قحطان اصطلى الحرب فتية تغادر أساد الوغى كالثعالب

* * *

ومن آل (هضام[1]) و (كعب[2]) ومن (بني
شراحل[3]) كم من طاعن القرن ضارب
وجاءت (بنو سنحان[4]) والكل عن يد
وخاضوا المنايا في ظهور السلاهب
ويا حبذا شم الذرى آل (ذروة[5])
أجابوا إذا ناديت يا آل غالب
وأقبل من ابنا (معافا[6]) و (حازم[7])
ليوث عليها السرد فوق المناكب

---

(١) « آل هضام » عشيرة من العلويين – من سكان المخلاف السليماني – كانت تسكن في قرية « البدوي » من وادي « خلب »،وقد انقرضوا في عهدنا هذا،ولا زالت أراضيهم الزراعية تعرف بـ « الهضامية » إلى الآن في غرب قرية البدوي .

(٢) كعب قبيلة من قبائل « بني الحرث » كان لها مكانتها – كما يظهر في ذلك العهد – أما في عصرنا الحاضر فهم فئة يسيرة في جهة « المجارشة» « من بني الحرث » ويدعون،« الكعابية » وهم غير قبيلة « الكعوب » الذين يعرفون في جهة الحرث بكعوب الحقار .

(٣) « بنو شراحل » قبيلة معروفة من قبائل بني الحرث،وتعرف الآن ببني « شراحيل » .

(٤) « بنو سنحان » في عصرنا الحاضر هم فئة من بني شراحيل – السابق ذكرهم – وقد يكون أنها كانت قبيلة قوية في عهد الشاعر في القرن العاشر،ثم ضعفت وأخذت في التلاشي حتى انضمت مع بني شراحيل – والآن سكناهم في « المصقع » ويعرفون – حالياً – باسم « الجفامية » .

(٥) « آل ذروة » عشيرة من عشائر قبائل الحسيني في – منطقة جازان – ولا زالت تحتفظ بمكانتها ومساكنها في شرق مدينة صبيا وفي الحسيني وجخيرة والحسينية .

(٦) « بنو المعافا » : من عشائر وادي ضمد المعروفة إلى هذا التاريخ .

(٧) « الحوازمة » : من عشائر وادي ضمد المعروفة الى هذا التأريخ .

وغلمانك (الأخضـــوض[1]) و (الأنصبــــا[2]) معا
فلم نفتقــد منهــم ســوى كــل خــائب
وشــيخ شـيوخ العصر (يوسـف[3]) جاءنــــــا
من (المرقــــب[4]) المـــزري على سـد مـأرب
يقـود إلـى الحــــرب (البكاريـــة) الأولـى
لعمــرك ما فيهـــم معـــاب لعـــائب
ومن معدن (الدحـــــن[5]) الخصيب رجالك الأو
لـى جربــوا في الحــــرب كـل التجــارب
ولله قــوم من (عريــش بـن عســـكر[6])
ومـــن معقـــل الأبطــال أســـد المقـــانب

---

(١) « الأخضوض » عشيرة من « بني الحرث »،وموقعهم في قريتان تسميان « تبول » و « الرصفة » على عدوة وادي « خلب » الشمالية ، والقريتان شرق مركز « الخوبة » بحوالي ثلاثة أكيال ، وهي معروفة إلى وقتنا هذا ، والأخضوض بالخاء والضاد المعجمتين .

(٢) « الأنصباء » قبيلة قد انقرضت ولم يبق – في هذا التأريخ إلا مواليهم – ويدعون هؤلاء الموالي بـ (الفرشة » ويسكنون بقرية « العره » على حرف وادي خلب الأيمن،وهم يعتزون بمواليهم إلى تاريخنا هذا .

(٣) و (٤) « المرقب » هو « جبل ابن يوسف »المسمى – الآن – بـ « الطرف » ولا تزال جماعات من قبيلة « البكارية » تسكنه إلى هذا التاريخ،وإذا سألت أحدهم عن ذلك الجبل أجابك : ذهه ، الطرف « جبل ابن يوسف » وموقعه بين واديي « مقاب » و « مملح »،وبالجملة فـ « البكارية » قبيلة من قبائل المسارحة وتعرف بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، والبعض منها يسكن في الطرف ، الموقع المبين أعلاه ، والأكثرية تسكن في وادي مقاب الأدنى .

(٥) « الدحن » بالدال والحاء المهملتين بعدهما نون،بكسر الدال المشددة اسم « واد » رؤسه تنزل من جبال « العبادل » و « الحجلة »،وله بعض شعوب ترفده وتجتمع أعلى السوده،وبعد اجتماع الفرعين يطلق عليها اسم الدحن،ثم ينحدر في أرض خميعة ومنها ينحدر في وادي « سيال »،ويندفع منه إلى موضع يسمى « ملاقي الأودية » – أسفل العين الحارة .

(٦) « عريش بن عسكر » لا يعرف في وقتنا الحاضر ، مكان أو قرية ، تعرف بهذا الاسم – بـ « عريش بن عسكر »،ومع ذلك فيوجد في المنطقة ثلاث قرى تعرف بالأسماء الآتية :

١ – قرية « العريش » أعلى قرية الحسيني .

٢ – بلدة أبي عريش المدينة المعروفة .

٣ – حلة أو قرية تسمى العريش غرب قرية الجرادية،وأهلها يسمون العراشيه،ومنها الشيخ علي بن محمد عريشي قاضي « ضمد » حالياً،ولا نستطيع الجزم بأي منهم أنها الاسم الوارد في هذه القصيدة .

وكم من (قليـــلي) [1] أبـي جنـابـه
همــام ، و (كعبــي) سـما غـير هائـــب

وأكـرم بأهـــل (الجرشــــبية) [2] عـن يـد
(وآل ســـــبيل) [3] الأكرمــــين الأطــايب

* * *

وبكرت من (رحبان) تزجي كتائبا — إلى العُصب الباغين أثـر كتــائب
ولما التقى الجمعان منا ومنهــم — وقـال كثير لا نجاة لهــــارب
وسـل لضرب كل أبيض قاطـع — وهـز لطعـن كـل أسـمر راعــب
تولـوا كمـا طار الجـراد فادبـروا — أمـامك أمثـال النعـام الهـــوارب
وراحوا و (عيسى) شيخهم ورئيسهم — ينادي بأعلى الصوت أين أقــاربي
غـدا رأسـه المقطـوع للخلق لعبة — وجثتــه للحائمـــات النواعـــب
وأخليـت أرض (الجابليـــــة) [4] منهـــم
وحلـت بهـــا منهـــم دواهــي المصــائب
ورحت إلى (رحبان) وجهك ناضر — وأنت كبـدر التم بين الكواكـــب
تجر ذيـول النصـر والظفــر الذي — حبيت به عن كل مــاش وراكب
واعطـيت (حيران) الأمـان وأهلــه — وقد بدلـوا أموالهم بـذل واهـــب
فيا ويـل من أمســى الأمير مغاضبـا — عليه ، ويا سعد المطيع المصاحـــب
هـو الغيث إلا أنه غــير مقلــــع — إذا أقلعـت يومـا غـزار السحـائب

* * *

(١) « قليلي » يظهر أن هذه كانت قبيلة قوية تعرف « بآل القليلي » أو بـ « القلالية »،أما في وقتنا هذا فقد تلاشت ولم يبق إلا بيت من ضمن قبيلة « المحازرة » يسكنون قرية الجعدية،يسمون « آل قليل » .

(٢) « الجرشبية » لا توجد قرية في تلك الجهة بهذا الاسم،وإنما في قرية « المقطابة » التي تقع أسفل « الجابري » على عدوة وادي دهوان الشمالية عشيرة تعرف بالجراشيب،وهم من قبيلة المحازرة،قد يكون لهم البقية الباقية من قبيلة الجرشبية التي ينوه بها الشاعر في أول القرن العاشر – أنظر كتابنا(المعجم الجغرافي) ، ص ٣٩٧ .

(٣) « آل سبيل » هم كما نعتقد قبيلة « النشملة » وإلى الآن ينتخون – يعتزون – (بآل السبيل)،ومساكنهم بجهة وادي الرباح غرب « الروحة – النخمة » – الأرض المعروفة –،وبعضهم في جهة المرخ بين وادي مشرف ووادي جازان .

(٤) « الجابلية » غير معروفة ، وإنما لا تبعد أن تكون في جهة « حيران »،كما يفهم من سياق الأبيات .

وهـــاك عروســـا يا بن أحمد عاتقـــــا ابت كـل بعل ما ســـواك وخاطــــب
بقـــيت لنـــا في الملك ما ذر شــــارق وما لاح بـــرق في متـــون الغياهــــب

الشاعر أحمد بن قبر الضمدي[1]
يمدح أمير جازان المهدي بن أحمد القطبي

والله ما لـي بكــــم بديــــــل	ولا ثنــاني عنــكم العــــــذول
وإن قــلبي بكـــــم مولــــــــع	والجســـم مني ذابـــلٌ نحيــــل
والربـــع منــه عامــر بقربكـــم	وعــن ســواكم دوره طلـــــول
مازار جفـني النـوم مـذ فارقتكـم	ولا بكحـــل دار فيــه ميــــــل

---

(١) الشاعر أحمد بن القاسم قبر الضمدي
القرن العاشر الهجري

كل ما نعرفه عن هذا الشاعر أنه ممن مدح الأمير المهدي بن أحمد القطبي،وذلك من قصائد وردت في آخر ديوان الشاعر الجراح بن شاجر .

١ – الأولى مستهلها :

يا من بكفيه عسراه ويسراه   والناس قبضة يمناه ويســـراه

وتشتمل على ٥٤ بيتاً .

٢ – قصيدة عنوانها

والله مالي عنكم بـديل   ولاثنتـــني عنـكم العــذول

في ٦١ بيت .

٣ – قصيدة مستهلها :

هذا الحمى والمنحـــنى وبانــه   معانقاً حـوذانه ريحـانــه

تشمل ٧٢ بيتاً .

لم يبرز لهذا الشاعر ذكر أو اسم في كتاب العقيق اليماني في وفيات المخلاف السليماني،ولا في غيره من المخطوطات المخلافية،ولا في كتاب مطالع البدور ومجمع البحور .

وكل ما ورد عنه في كتاب « مطالع البدور »،في آخر ترجمة الفقيه العلامة الشاعر علي بن يحيى الهذلي الضمدي قـوله :(.. وفي ضمد علماء أكابر فاتني ذكرهم،وخبرهم الطيب الزاكي،من حافظة الأخ الحسن بن محمد ، قدس الله سره،وطالما تطلبت ترجمة العلامة أحمد بن قبر رحمه الله فلم أجدها،والله ييسر ذلك) انتهى .

ولم يـذق ما ذقتـه من الهـوى	قبـلي من بثينـة جميـل
اني صـبٌّ قلبـه مقـلب	عـلى اللظـى وجسـمه عليـل
يا سـاكني الربـع اليمـاني صِـلوا	من هـو بالغـيب لكـم وصـول
يا سـادتي والله مـا عدلـتم	ظلمـا فصـبري بكـم جميـل
بقلبـه عن جسـمه قـد رحـلت	من « ضمـد » إليكـم الحمـول
بيضـاء بـدر التم في نقابهـا	إذا بـدت وطرفهـا كحيـل ؟
والشـمس من عيـونها طـالعة	وحجبها في كـبدي حلـول
في ثغرهـا العـين الـذي مزاجهـا	مسـك وكافـور وزنجبيـل
وريقهـا يقلبـه أبريقهـا	فهـو كمـا قد قيـل سلسـبيل
يقتـل قتـل العمـد منها وأيمـا	خفيفهـا العشـاق والثقيـل ؟
الردف منهـا كالكثيـب عـالج	والخصـر فيـه طوقهـا .. يجـول
وجسـمها من طـرف تحسـبه	في حـيث ما تنظـره يسـيل
من شـعرها الليـل يغـار والقنـا	من قـدها وخدهـا أسـيل
وليـلة رأت بهـا محبَّهـا	في خفيـة والرقبـاء غفـول
ما أحـد نـمَّ بهـا من الـورى	هنـاك إلا الطـيب والحُجـول
في ليـلة سـعودهـا طالعـة	بحيث ما يحوشـها أفـول
وجنـة عاليـة قطوفهـا	دانيـة وظلهـا ظليـل
وقاصـرات الطـرف كل سـاعة	لهـا إلينـا والرضـى وصـول

وعلى كل فنراه يفيدنا هو نفسه أنه من أهل ضمد إذ يقول :

بقلبه من جسـمه قد رحـلت   من (ضمـد) إليـكم الحمول

أما في مطالع البدور[1] قد ورد اسمه : أحمد بن قبر ، بالقاف وسنَّة بين القاف والباء الموحدة والراء المهملة،في آخر ترجمة علي بن يحيى الهذلي الضمدي ، ولا نجزم أن السنَّة التي بين القاف والباء هل هي نون أم زائدة . شعره يدل على شاعرية خصبة،وقد عاش في الربع الأخير من القرن التاسع والربع الأول من القرن العاشر .

(١) أورد اسمه صاحب مطالع البدور في آخر سطر من ترجمة مواطنه علي بن يحيى الهذلي الضمدي .

والعـود في مجلسـنا دخـانه ... لـه طـلوع ولـه نـزول
وسـاكن « العـود » إذا تحركـت ... أوتـاره هفـت لـه العقـول
والعيـس تطـوي كـل قفـر وقـرى ... وسـيرها الأرقـال والذميـل
من كل بكر من « عزيز »[1] عمـه ... وجـده من أمـه « جـديل »[2]
يسـوقها شـوقا كمـا يقـود ... إلى الحمـى من « حـرض » دليـل
نـوء سـنا بارقـة كشمسـه ... طـرف الذي يبصـره كليـل
من سـيدي « المهـدي » الذي بكفه ... اليمـنى فـرات والْيسـار نيـل
هـذا الجـواد ابن الجـواد والـذي ... لكـل من يسـأله ينيـل
مهـدي عيسـى من عـلى دولتـه ... أجمعـت الأوغـار والسـهول
تأزر الملك صبيّـاً وارتـدى ... فجـوده وملكـه أصيـل
مـن أنه في كل أمـر صـالح ... وسـيفه من الحيـا صقيـل
ما بـارز الأقـران إلا وانثـنى ... ومنهـم المجـروح والقتيـل
نـور الهدى جـم الندا حتـف العدا ... مُردي الصدى ليس لـه مثيـل
جَرَّ على « الخبثاء » جيشـا لجبـاً ... منـه سـاوى ، الرجـل والخيـول ؟
صَـفُّوا له هنا لكم وطيسـهم ... بأنهـم من جهلهـم قبيـل
ما لبثـوا إلا يسـيراً واسـتوى ... دقيقهـم في الخـوف والجليـل
ويـل الشَّـرافي[3] لقـد أوثقهـم ... فجاهـم لكنـه جهـول ؟
وأعـين « الخبثاء » لمـا أبصـروا ... جنـوده، عمـي العيـون حـول
وقد أتاهـم أسـد من تحتـه ... سِيْدٌ[4] له سـرج الجـواد غيـل
فأصبحـوا فـوق الثرى صـرعى معا ... والحـي منهـم قلبـه مهـول
ظنـوا بأن ترحـل عنهـم سرعـة ... ومـا لـه عن أرضهـم رحيـل

(١)،(٢) « عزيز » و « جديل » : فحلان مشهوران من إبل الجاهلية .
(٣) الشرافي – بفتح الشين المثقلة وفتح الراء المهملة بعدها ألف ففاء مثناة تحتية – جمع شرفي – الذي هو في الفصحى : الأرنب .
(٤) السِّيد : الذئب .

حتى على طاعته يسلموا ... ما قاله فالقول ما يقول
أو ينقضي فصل الخريف كله ... وتقطف الأعناب والنخيل
ويبذلون الخيل والدرع له ... وذاك في حقهم قليل
يا قايم الإسلام يا من أمه ... فاطمة الزهراء والبتول
ومن أبوه أحمد خير الورى ... حبيب ربي المصطفى الرسول
وعمه الطيار في جنانه ... يا حبذا جعفر أو عقيل
هنيت بالنصر الذي قد نلته ... ولم تنله قبلك الأصول
ودولة سعيدة قطيبة ... تزول أعداك ولا تزول
ولّاكها الله وأنت أهلها ... لا تنثني عنك ولا تحول

....

فأنت يا مهدي عيسى خلف ... أكل ما يفعله فعول
والرق لا يرضى بما يكرهه ... ولا له يوما بكم بديل
وقد أتى في ساعة طيبة ... إليكم وريحه قبول
وحقه يا سيدي جائزة ... ظاهرة فيها له قبول
ترعى بها لي صحبة قد سلفت ... مع أبيك شرحها يطول
فامح عن المملوك ما أثبته ... عندك قال قائل وقيل
فالتبر يمحو أبدا أثر الجفا ... طبعا كما تمهوا الثرى السيول
بقيت ملكا ما شدا الوِرق وما ... جاء بها هنالك الهديل

الشاعر أحمد بن قبر الضمدي

يمدح أمير جازان المهدي بن أحمد القطبي – أيضاً

هذا الحما والمنحنى وبانه ... معانقاً حوذانه ريحانه

وذا الكثيب الفرد من طويلع ... يأوي إلى آساده غزلانه

من كل ليث وغزال حسن ... قد خجلت من حسنه حسانه

كأنه البدر الذي قرانه ... سعد السعود والسماء مكانه

يا ضاحك الأزهار إلا ما بكت ... على الذي مرّ الحيا أعيانه

وما تغنى الطير إلا سلبت ... قلوب من تسمعه ألحانه

عروس روض للهوى تعانقا ... بالمنحنى بشامه وبانه

والترب قد صافحه نسيمها ... تزاوجت منه به أغصانه

ومجلس السلوان فيه قد سرى ... منه إلى كل الورى سلوانه

والعود قد نم به عرف بها ... سماء طيب في الهوى دخانه

والطَّار كالرعد إذا تحركت ... أوطاره تراقصت غيطانه

والخمر قد خامر كل شارب ... لريمه راحته وحانه[1]

يديرها في كفه وكأسه ... وثغره البلور أورقانه ؟

كأنما الزهرة ثم المشتري ... مع الثريا جمعت بنانه

أحوى أغر خصره جيعانه ... وردفه وحجله شبعانه

في خده الضدان من كماله ... نيرانه تحسبها جنانه

بالحسن قد أوصت له مي[2] ولي ... بالعشق أوصى قبله غيلانه[3]

فليت شعري والأماني ظلة ... يعود من عصر الصبا ريعانه

---

(١) ذكر الخمر والريم والحانات في البيت والغزل المكشوف من هذيان الشعراء في كل زمان وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾ الآية ٢٢٤ سورة الشعراء . جرى التنبيه .

(٢) مي وغيلان : عاشقان معروفان في الأدب العربي عاشا في العهد الأموي .

والعهـد من « حضرانه »[1] مخضرة بانـاته يا حبـذا حضـــــرانه
لمغـــرم ما اكتحــلت مـن وجـــده بميــل كحــل وكــرى أجفـــانه
ولا سـلى قـلبي ولا ســـــلوانه وقـد نـأى بنعمـــة نعمـــانه
والدهـــر ما يعــرف من أسـبابــه عليـــه راضيـــه ولا غضبـــــانه
إن رُزق الرضــوان مــن حبيبــه ســـرت بما ســـر بــه اخوانــه
وقـائل هـل لك في نيـل المـــنى قلـت نعـم قـال فـذا أوانــــه
أعمـــل وجــب كل محبـوك القــرى بحــرٌ فلا توثقـــه أرســـانه
كأنــه من « ضمـــد » إذا انـــبرى بـرق ســـرى في الجــو أو عقيـانه
حـتى نرى من جبـل عـــالي الــذرى ضـــوء القَـرى مســـعرة نيرانـــه
من ساحة المهـدي الذي فاق الورى وعمهـــم بفضــــله إحســـــانه
« جــازانه » كـأنـــه أم القـــرى يهـوى إليـه النَسَـــه وجـــانه
بـه يطـــوف أمنـــا رجـــــاله في كـل حـين وكـذا ركبـــانه ؟
يـــود أن مـد بـه أن بـــــني الدنيـا معـا جميعهـم ضيفــــانه
منـه الصّــلات كالصــلاة لم تـزل يدعـو إليهـا دائمـا آذانــــه
كـم فـرس أركبهـا وافـــــده يتبعهـــا من جـــوده حصـــانه
خــزاين المهــدي سـليل أحمـــد قـد أنفقتهـا للـورى خزانـــه
جـزاره داميــــة شـــــفاره يجلــو صداهـا أبـدا ســـمانه

---

(١) حضران : موضع في جهة ضمد ، انظر كتابنا « مختارات من ديوان ابن هتيمل » ، وانظر كتابنا « المعجم الجغرافي لمنطقة جازان » ص ١٥٠ .

المصـدر : آخر مخطوطة ديوان الجراح بن شاجر .

قصيدة الشاعر محمد الهبي الصعدي[1]

يا مربع الحي بذات الرند   بالله خبر كيف كنت بعدي
هل وقفت فيك الحداة تحدي   وأحر أكبادي وطول وجدي
نومي ودمعي فيك أقصى جهدي

كنت لريا ولعليا ملعبا   وكل رعنا ذات ثغر أشنبا
أصبحت مأوى للنعام والظبا   وفيك طير البوم ليلا نعبا
جادك هطال صدوق الوعد

أصبحت بعد الظاعنين مقفرا   مغبرا منكراً مدعثرا
فيك النعام والظباء والفرا   فدمع عيني قد غدا مفجرا
سقاك من مجلجل مسود

ينبت فيك الشيح والنيلوفر   ويضحك الآس ضحى والعبهر
إذا غدا يرقص فيك السنبر[2]   والزهر فيك أبيض وأحمر
وعانق البان غصون الرندي

فليت شعري هل يعود ما مضى   ويرجع العيش الذي قد انقضى
رعياً وسقيا لأثيلات الغضا   هيهات قد عاد سوادي أبيضا
وأبيضي قد عاد كالمسود

---

(١) شاعر معروف من شعراء جنوب الجزيرة،عاش بين الثلث الأخير من القرن التاسع وأول الثلث الأول من القرن العاشر ، وهو من الشعراء الوافدين على الأمير المهدي بن أحمد القطبي،ومن مداحه[1] .
لم نعثر فيما تحت أيدينا من المصادر على ترجمة لهذا الشاعر المبدع،ونكتفي هنا بقصيدته المخمسة في مدح الأمير المهدي،والتي تدل على شاعرية خصبة،وله مدائح في بعض ائمة اليمن الأعلى وردت في مجموعة خطية .
إن في هذه القصيدة تجاوزات ومبالغات وغزل صارخ،وهذه من مغالاة الشعراء وتجاوزاتهم - الحمد لله - نحن في السعودية وكل شبابها متحصنون دينياً وأخلاقياً - إن شاء الله - بحصانة الدين الحنيف،وعلى النهج السلفي الذي أحياه إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - .

(٢) هكذا في الأصل .

---

(١) راجع كتابنا المخلاف السليماني جـ١ ص ٢٦٤ .

فـرب هيفـا كالقضـيب قامــةْ   ظاهـرة النعمـــة والوســـامةْ
مليحـــة في ثغرهـــا المُدامـــه   فائقـة في نجـــد أو تهامـــــه
محببـــا غـير مضـــاع الـــود

يا عـاذلي دع عنـك لومـي واعـــذر   في حــب غيدا كالغـزال الأعفـــر
تريـك كعبـا مثـل حـق المرمـــر   ابنـة عشـر وثـلاث معصـــــر
طـوع العنـــاق غـير ذات نهـــد

جبينهـــا مثـل الهـلال يزهـــــر   وشعـرها ان نشـرته يســـتر
وثغرهـــا ممســـك معنــــبر   معطـــر مكوثـــر مســــكر
فيـــه مـدام عاتـــق وشهـــد

ان بســمت تريك برقا رفرفـــا   أو لثمــت أعطتـك خمـرا قرقفـــا
أو لحظـــت أرتـك خشـفا شنفـــا   أو خطـرت أرتك غصنا أهيفــــا
أخفـي هواهـــا تـارة وأبـــدي

حوت من الحسن عجيبـا في عجـيب   أنالهـا رب السما أوفى نصيـــب
ليلا وشمسا وقضيبـا في كثيــــب   بي ألم ليس له اليـوم طبيـــب
إلا الـتي ملمســـها كالزبـــد

من الخراعـــيب الرعـابيب رداح   إن صمــت الحجـل لقرطيها صيـاح
أو أشـبعت دملجهـا جـاع الوشـاح   تغـار منها الحاجريـات المـــلاح
تفاخـــر البـــان بلـين القـــد

تريـك من مبسمهـــا زمــــردا   ولؤلـؤاً وفي الخـدود عســـجدا
دعجـــاء نعســـاء ما تريـد الأثمـــدا   كـن لهـا البيـض الهراكيل فــــدا
أيضـــا أنـا من كـل سـوء أفـــدي

الثغــر منهـا أشـنب مفلـــج   والطـرف ساج أدعـج ما أدعـــج
والجيـد سـام والجبـين أبلـــج   كأنهـا بـين النســاء عوهـــــج
أتلـــع أدمـى مـن ظبـاء نجــــد

لعســـاء نعســاء لم تمخـض بولـــد   وكعبهـا غضـة ليـم ما نهـــــد

كأنما أنيابها ماء جمد أو جوهر أو طلع نخل أو برد
أو لؤلؤ رطب مليح السرد

كأنها حمامة في غصنها يقارب الخد هدوب جفنها
تائهة على النساء بحسنها رشيقة يا بعد قرط أذنها
حين تميس في مجال العقد

تعطيك ما تهوى لصغر سنها يذهل عقلي حين قطر دنها
قد صار فني في الهوى من فنها وموج بحري قد جرى في دنها
أو مصطلاها من شرار زند

مشيتها في الأرض مشية القطا ليست من الغير طويلات الخطا
يعجبني التخميش منها والخطا إن المحب لا يذم إن سطا
حبيبة إذ لم تجد بوعد

في ثغرها السلسال منها يرشف كسلا في المضجع لا تنحرف
حتى إذا كاد النهار ينصف قامت كمن قد دب فيها القرقف
إلى سواك الراك لا للكد

وشادن أشرف لي من كلله ذو حمرة في خده من خجله
قبلته فصدني عن قبله لما وضعت سكري في عسله
أعاضني أنسا بذاك الصد

لم أنس أيام أبي عريش حيث رياشي قد نما وريشي
حيث انتهت خلاعتي وطيشي مالذ لي نومي وطاب عيشي
إلا بإنعام الإمام المهدي

القطبي الخالدي الغانمي الحيدري الأزهري الفاطمي
القرشي الحسني الهاشمي حديث كل الناس في المواسم
ونقطة البيكار من معد

غضنفر الهيجاء طَعَّان الثغر فارس عدنان إذا النقع انتشر
القمر التم لنا وابن القمر الواهب الخيل صحيحات الغرر
المقربات الصافنات الجرد

محمد المهدي وما محمد إلا همام وخضم مزبد
وعارض يغنيك حين يرعد يفيض منه ورق وعسجد
فرد بذاك العصر أي فرد

سنانه يهوى النحور والكلى وسيفه يهوى الرؤس والطلى
من آل قطب الدين أرباب العلا دع غيرهم فإنهم هم الملا
أهل المعالي ورجال المجد

نال من المجد منالاً لا ينال هو الزلال العذب والحلو الحلال
حاز البهاء والجمال والكمال وإن غدا في درعه يوم النزال
فدونه العباس وابن معد

فاق ملوك الدهر أقداراً وطال مشخص أبصار النساء والرجال
لوجهه كناظر إلى الهلال كأنما الناس له طرا عيال
يعجبك مرتديا برود المجد

تلتفت الغيد إذا ما التفتا وترهب الأسد إذا ما صمتا
هو لي ربيع ومصيف وشتا هو النقي هو التقي هو الفتى
لعقد حل ولحل عقد

محمد لا زلت في عيد جديد في كل وقت لك مجد لا يبيد
إذا بديت في الخيول والعبيد نوديت ذا المأمون أو هذا الرشيد
وما الرشيد أنت أهل الرشد

لا زال خفاقا عليك العلم والسيف ماضي في الورى والقلم
فأنت في الناس جميعا حكم يا حامي المجد ويا غشمشم
لواءه فوق جباه الأسد

ما هذه الخيل وما هذا العدد ما هذه البيض وما هذا الزرد
لو رمت بغداد أتت بغير كد أني لأقرأ قل هو الله أحد
عليك أبقاك المعيد المبدي

اخم وابدي وما الطيف سرى وما شدا القمري وما زاد الكرى
إن لنا فيك وثيقات العرى لألأ شعري أبداً محبرا
وفيك أنت غايتي وقصدي

القـاضي أبو الفضـائل[1]
يمدح شيخه شيخين بن أبي الفتح الحكمي

أتـاني كتـاب منـك يا زاكي الأصل — كمنظـوم در الراح يلعـب بالعقـل
وراح غـدا كـرم المذاقـة أصلهـا — فبـورك من فـرع تعالى على الأصـل
وفي دن ثغـر الطرس كان عصيرهـا — وفي وسط كأس الدن يرشف بالفعل
وما كان تأخير الجـواب لعـلة — ولكنـني استتبع العل بالنهـل
إلى الآن لم أصـح ولكـن فكرتـي — تناست لتنسي ذا المزيف من نقـلي
وقلـت لهـا أن الجـواب فريضـة — فقالت إذن ، فأنظمـه فـوراً بلا مهل
فعلقت هذا العقد في جيد جود مـن — غدا جيده حقا بعقـد البقـا المجـلي؟
وذاك وجيـه الدين شيخي وسـيدي — سـليل أبي الفتـح المسـربل بالفضـل
على خلقـه المرضـي ألف تحيـة — دواما جديد الدهر ليس له مبـلي
وأما الذي أهدى أقـل عبيـده — إليـه فشـيء ليـس يحسـب بالبـذل
ولا زلتُم ركنـا ولازلـت ملحقـا — بكـم في حيـاتي ثم في موقف الفصـل

وذيل الأبيات بقوله : (وردت من أقل عبيدكم أحمد بن المقبول الأسدي، فلاحظوا بعين القبول ،واسحبوا عليها ستر الفضل المسبول، مع اشتغال الظاهر بالتعلقات التي لابد منها

(أبو الفضـائل)
(١) القاضي شمس الدين أحمد بن المقبول الأسدي
المتوفى سنة ١٠٩٣ هـ

ولد في أبي عريش المدينة المعروفة ، درس على مشايخ عدة في جميع الفنون، ثم ارتحل إلى مكة المشرفة، فقرأ على مشايخها في الفقه والأصول والأدب والقراءات ، ثم عاد إلى بلده ومسقط رأسه ، ولما أدركت والده الوفاة ، قام بوظيفة القضاء الشرعي مدة مديدة ، نعته صاحب العقيق بقوله : « كان فصيحاً منوهاً له نظم عجيب وأدب غزير » .

وبالطبع هو غير أحمد بن مقبول بن عمر السالف ذكره المتوفى سنة ٩٦٢ ،وهو في التسلسل النسبي يكون هو أخو القاضي عمر جد القاضي شمس الدين أحمد بن مقبول المعروف بأبي الفضائل والمتوفى سنة ٩٦٢ هـ .

والباطن بهم الغول،الذي نفس الإنسان مجبولة عليها ، فوصيتكم الدعاء في إخلاص الباطن والظاهر،من أشياء مكدرات للسرائر ، والأيدي الشريفة مقبلة بالسلام ، والسلام .

القاضي أبو الفضائل

يمدح العلاّمة الشيخ صديق بن صديق الحكمي

يا بارقـــا شـــوقني برقـــــه ... يلمـــع ما في لمعـه تبطيــــه

بأرض جـــازان سـرى معتمـــا ... قـــد غشـيت أنـواره الأنديـــه

أظهــرت مــني ما أنطـوى نشــره ... من وجــدي الكـامن في قلبيـــه

وكـل ما رفـرف فـي عـــارض ... أجريــت دمـع العـين في خديــه

وبـت أحســو مـاء وجــدي ولـم ... يـرو غليـــلي من ظمــى ما بيـــه

لفقـــد أحبـــاب لنـا قد مضـوا ... ولـم يرعوا ذمامـــا ليـــــه[1]؟

وغـــادروني هائمـــا والـــه ... أرعـــى نجـوم الليـــل في باليـــه

واحســـرة تمتـد طـول المـدى ... وحالــة واهيـــة باليـــه

وخلفـــوني بعـــد مـــا قوضـــوا ... خيـــام وصـل لهـم باديـــه

واستعذبـــوا التعـــذيب فـــي بعدهــــم

و ما رقـــــوا حماهـــم المصبيـــــة[2]

وكـم تناسـوا عهـد ودي لهـــم ... واختطفـــوا من نأيهـــم لبيـــه

وليـس يسـلي القـلب منهـم سـوى ... تجـريد عزمـي ماضـي الأقضيـــه

في مـدح من تغـــدوطيـور الهـوا ... إليـــه خمصــا مالهـــا أغذيـــه

وتنثـــني منـــه وقـــد نالهـــا ... من بركـــات تمـلىء الأوعيـــه

يخلصهـــا محـض الدعـــا معلنـــا ... بصـــدق عـــزم من أبـر النيـــه

أعـني رضـي الديـــن من اسمــــه ... الصــديق رب الصــدق والتربيـــه

ابن عـلي نعــم ذاك الفـــــتى ... الصـالح المخـلص في الأدعيـــه

من خصـــه الله بعرفــــــانه ... أكـــرم بهـــا مرتبـــة معليـــــه

---

(١) في الأصل « ولم يذيحوا » بالذال أخت الدال .

(٢) هكذا في الأصل ،وفي نسخة أخرى من العقيق اليماني« و فا رقـــــوا حماهـــم المصبيـــــة »،.

حليــف ذكــر الله فــي شــــأنه تــلاوة القـــرآن والفضيليــــه

* * *

يا سيدي الشـــيخ بكـــم مغــــرم مــلازم الأوزار والمعصيــــــه

يتـــابع النفـــس عــلى غيهـــــا من فرطـــات أثقــلت ظهريــــه

وقــد أتاكــم طالبـــا منـــــكم أن تبـــدلوا أدعيـــــة منجيــــه

فواصـــلوا حبـــل الدعـــا موثقـــا وأبرمـــوا القيـــل ؟ عــلى توطيــــه

وأســلم ودم في عمـــل صالـــح وعيشـــــة سالمـــة راضيـــــه

وختمهـــا المســـك صـــلاة العــلا[1] عــلى رســـول الله بالتزكيــــه

والآل والأصحـــــاب ما غـــردت ساجعـــة في روضـــة مزهيــــه

* * *

---

(١) هكذا في الأصل .

المصدر : مخطوطة كتاب العقيق اليماني .

الفقيــه الأديب

محمد بن أحمد بن علي بن إبراهيم النعمان المتوفى سنة ٩٩٩هـ[١]

يمــدح الإمــام شرف الدين

بهذا الهوى العذري مالي من عُذر ... إذا لم أمت من حب مخجلة البدر

مثقلة الأرداف مخطفــة الخصــــر ... بعيـدة مهوى القرط طيبة النشــــر

فوتــيرة الأحــــاظ خمريـــة الثغــر

مرهرهــة رود رشــيقية القــــــد ... معقربـة الصدغــين وردية الخـــد

بملمضهاظَـلْمٌ ألـذ من الشـــــهد ... ومبسمهــا الدري أبهــى من العقــد

أذابت فـؤادي في الهوى وهي لا تدري

أنـوح إذا نــاح الحمـام المطـــوق ... إلى غـادة في خدهـا الـورد مـورق

يهيجــني بلبالهــــا ويـــــؤرُق ... فمــن لي بهـا أنـي إليهــا لشــــيق

مفيض دمـوعي من غـرامي على صدري

فرفقـاً فدتك النفس بالمغـرم الصــب ... ومنـاً على الصادي إلى ريقك العــذب

فقــد كدت أقضي من أليم الهوى نحبي ... وما لي لا والله غـيرك من طـــــب

فـزوري سـمير النجـم في حندس الشـعر

لعـل تبــاريح الصبابــة تـــبرح ... ويسـكن وجـد كـان في القلب يقدح

ويرقأ دمـع منــه جفــني مقـــــرح ... فياليـت شـعري هل لي الدهـر يسـمح

لوصـــلك إني صـرت كالقــلم المــبري

---

(١) نعته صاحب العقيق : بـ « العلامة الأديب والفهامة المصقع »،وهو من آل نعمان المشهورين بالفقه والأدب ، ولد بقرية الشقيري ورحل بعد أن حفظ القرآن ومباديء الفقه إلى الجبال اليمنية،وتأدب على مشايخ عديدين،ثم عاد إلى وطنه ولزم صحبة القاضي محمد بن علي بن عمر،وأنتفع به ورحل معه إلى مكة مراراً عديدة،وقدمه شيخه إلى شريف مكة أبي نمي،فقرر له راتباً سنوياً (٥٠ حرفاً) – عملة متداولة –،واستقر في آخر مدته في قرية ضمد متفرغاً للعبادة والأمر بالمعروف،ولازم التدريس والفتوى والحكم بين الناس احتساباً ، وله أشعار كثيرة لم نقف منها إلا على القصيدة المشهورة والمقطوعة الواردتين في هذا الباب .

عسى ولعل الدهر بالوصل يسعف ... فلم أنسى لا والله إذ بت أقطف

شقائق خد بالنضارة تنطف ... كأن ندى مولى البرية يقذف

عليه بأمواج تجل عن الحصر

إمام الهدى يحيى أجل الورى قدرا ... وأطولها باعا وأعظمهم فخرا

وأبسطهم كفا وأرفعهم ذكرا ... وأربطهم جأشا وأوسعهم برا

واثبت من قد قام بالنهي والأمر

وأعلى بني الدنيا وأوفاهم عهدا ... وأنفذهم رأيا واوراهم زندا

وأرجحهم حلما وأشرفهم مجدا ... وأفضلهم طرا وأرحبهم وفدا

وأولاهم والله بالحمد والشكر

الفقيــه الأديب

محمد بن أحمد بن علي بن إبراهيم النعمــان

يمدح حسـن بن أبي نمـي

الحمـد لله هـذا السـؤل والمــنن هـذا المقـام وهذا الركـن يسـتلم

به السـلالة مـن أبنـاء « حيدرة » ومن به الآن قـام الفرض والسـنن

إلى قولـــه :

ما للرجـال أقـال الله عثرتهـم قد غرهم زهرة الدنيا وما فطنـوا

في غفـلة وغـرور عـن معادهـم كأنهـم من عذاب الله قد أمنـوا

أهـم نيـام وإلا غافلـون أمـا آن التيقـظ حتى يذهب الوسـن

شـمر وبشـر وانذر ما استطعت فمن سـعى بجـد فذاك الفائز القمـن

وأعمـل ليـوم غد إن كنت ذا رشـد كل بمـا كسـبت كفـاه مرتهـن

* * *

أبا عـلي كـلأك الله مـن مـلك لـه عـلى كـل شـخص رأفـة وحنـوا

أنـت الذي البـس الأيـام بهجتهـا مـن بعـد أن منهـا للبـلا دنـوا[1]

* * *

---

(١) هكذا في الأصل .

بدر الدين الشاعر العلامة محمد بن أحمد جناح الضمـــدي[1]

يمـدح بلدتــه ضمـــد

ما ضمـــد يا صـــاح إلا جنـــة	وهـل تســاوي جنـــة جهـــنم
نســـيمها وتربهـــا من عنـــبر	وماؤهـــا الكوثـر عـذب شـــبم
إذا تغـــنى ســـحرا قمريهـــــا	أيقـظ منهـا من نيـام تغـــنم ؟
وإن تـلا السـامر في مســـجدها	تال بــه ، عنــك يــزول الســقم
لا يهتكـــون حرمـــة للجـــار ولا	يعــرف عيــب منهــم وفيهـــم

(١) يقول عنه مؤلف (مطالع البدور) : « هو من بيت بالفضل معمور ومن منار علا ظاهر غير مغمور ، لهم في التشيع[1] غرر شادخة،وفي الكمال دور شامخة ، ومنهم الأعقاب والبقية الصالحة إلى يومنا هذا ، وكان هذا الفاضل لساناً متكلماً كما هو منهاج أهله بل منهاج بلدة ضمد،فلله ما حوت من كرام ، ومما اتفق بين هذا العلامة وبين أهل زمانه من الشافعية في البيع الذي يزداد في ثمن البيع لأجل « النسيئة »،أشعار مرت بنا أيام القراءة بصعدة ، ولم يبق عندي مما دار غير جواب هذا المنطيق ، ولعله خاتمة ما دار من تحقيق ، هذا ولا أعرف ما سبقه من الأشعار وقد رأيت اثباته لجودته » انتهى .

لم يذكر أبي الرجال مؤلف « مطالع البدور » تاريخ ولادته،ولا تاريخ وفاته،ولا شيء من أخباره وأحواله ، ومن مديحه ومَن مدحهم يعرف أنه عاش في القرن التاسع الهجري - تقريباً - .

(١) هذا في الماضي،أما الآن فضمد وأهله سنيو المذهب صحيحو العقيدة،وقد استعاد أمجاده العلمية والأدبية ، و انجب عدداً من الشعراء والكتاب والقصاصين .

من مديح ابن جنـــاح

سنة ٩٥٥هـ

أقم ركن هذا الدين بعد انطماســـه ... فأنت إمـام الحـق وابن إمامـــه

وحُــلْ بين ذي الأفســاد يا شــرف الهـــــدى ... بألفــاظك الفصحــــى وبــين مرامــــــه

فأنت الذي فاق البريـــة علمـــه ... وفاقهــم في نـــثره ونظامــــه

شـــجاع جــواد أريحـي مهــذب[1] ... أنار لنـا نهج الهــدى في ظلامــــه

كليث الشرى إن كر في حومة الوغى ... وكالبــدر بــادٍ ناسخـا لظلامــــه

فقــل لرؤوس البغــي موتـوا بغيظكم ... .

إذا صال في الأمـوال لم يبـق باقيـــا ... ولا ســيما إن صــال عند ابتســامه

فقل لمـلوك الأرض لا تحســـبونها ... لما قد مضت قدمــا أمام قيامـــه

فكــم قد طلبــتم شــرع أحمد بينكـم ... بلا نظــر في حـــله وحرامـــــه

سيظهر دين الله بالســـيف ســـائراً ... على ســنن في عفـــوه وانتقامــــه

ويعــــلم أهل الجور طـرا بأنهـــــم ... بهــم نقص قـدر عـن غـلام غلامــه

وســوف تــراه في الحرمــين قائــدا ... جحافلــه ، أو ضاربــا لخيامــــه

---

(١) في الأصل « عليم حليم » . جرى التنبيه .

العلامة أحمد بن علي المعافا العلوي ٩٩٩هـ[١]

يمدح الإمام شرف الدين سنة ٩٥١هـ

تلألأ الأفـــق نـــورا وأزدهــى طربـــــا
وماس في حـــلل منشـــورة عجبـــا

وطـــاب هـذا الزمـــان الغـض منظـــره
للمســلمين وراقــت عيشـــة الأدبـــا

وفاقــت الأرض فخـــرا بالـــذي لبســـت
مـن التفـــاخر حــتى طالـــت الشهبـــا

وعــز ديـــن إلـــه العـــرش وانتضيــت
ســـيوفه واســـتقام الحـــق وانتصبـــا

---

(١) شخصية من أبرز شخصيات المخلاف السليماني فضلاً وعلماً ونباهة ، تجاوزت شهرته المخلاف السليماني إلى الحجاز واليمن،فكانت له علاقاته العلمية والأدبية والسياسية بأمراء وعلماء تلك الجهات .
كما نوه وأشاد بذكره غير واحد من المؤرخين مثل :
(أ) عبد الله بن علي النعمان في كتابه المخطوط – العقيق اليماني .
(ب) صاحب التحفة العنبرية .
(جـ) صاحب الجواهر اللطاف .
ولد علامتنا الجليل في قرية عشيرته المسماة (الراكب)[١] على وادي صبيا،وتلقى معارفه في وطنه وفي غيره وعندما استكمل التحصيل قام بوظيفة القضاء احتساباً في وادي صبيا ، وكان يتحرى العدل ويستقصي الانصاف بين الخصوم،فحمدت سيرته ، وقع خلافات بينه وبين عشيرته فرحل عن قريته إلى صلهبة وجاور الحوازمة،فقال أبياته المعروفة التي وجهها إلى القاضي محمد بن علي بن عمر،وقد أجاب عليها القاضي المذكور – كما سيأتي ذلك – .

---

(١) قرية الراكب قد دثرت،ولا نعرف عنها إلا أنها على وادي صبيا،وقد تفضل مشكوراً الشيخ موسى بلخير المعافا من أسرة المترجم له،والذي يشغل في الوقت الحاضر مدير أوقاف المنطقة،فقال مشكوراً :
(قرية الراكب دثرت منذ أمد،بعيد وتفرق سكانها من آل المعافا إلى قرية الظبية وبلدة ضمد وقرى المخلاف الشمالي) .

وافتر عن لؤلؤ رطب وعن برد

ثغر الخلافة حتى ضاء والشهبا

وجرت الخود أذيال السرور ضحى

ولم تؤد من الأفراح ما وجبا

فلا آثام على بيضا إذا بردت

ولا ملام على حبر إذا لعبا

إن كان فيما مضى من دهرنا عجب

للسالفين فقد رد الذي ذهبا

يا أعظم الخلق طرا منصبا وعلا

وأشرف الناس جدا فاضلا وأبا



شعر الغزل

مـن شـعـر
الجـراح بن شـاجر الذروي

ذكـر اللوى والنازلـين حمـاه ... ذاد الكـرى عن ناظـري وحمـاه

يا ذاكر الرمـل العقيـقي الـذي ... بالسـفح من (إضـم) أعـد ذكـراه

وأشـرح لنـا خـبر العذيب وحاجـر ... وأُهَيْـلَه وعقيقـه ولـواه

مـا ضـاله وسـياله وبشـامه ... وخـزامه وأراكـه وغضـاه

وهـل الخمـائل شـيحها متمايـل ... لينـا يرنحـه نسـيم صبـاه

والشِـعْب كيـف رأيتـه أرأيتـه ... كالعهـد تصطـاد الأسـود ظبـاه

* * *

قسـما بليـل جعيـده وبجيـده ... وصبـاح طلعـة وجهـه وبهـاه[1]

وبخمـرة في ثغـره ما كأسهـا ... إلا ثنـايا عذبـه وشـفاه

اني لأهـواه وأهـوى كـل مـن ... يهـواه أو يهـوى الذي يهـواه

الـرّاح معصـور بعقـد لمـاه ... والسـحر معقـود بهـدب مقـاه

وكـأن أزهـار الربيـع خـدوده ... وكأنمـا رمانهـا نهـداه

أغـراه من أغـراه بي فأطاعـه ... وصـغت مسـامعه لمـن أغـراه

لكن رضيت ، رضيت ذاك وإن يكـن ... نشـر الفـؤاد فراقـه وطـواه

* * *

---

(١) لا يجوز القسم بغير الله سبحانه وتعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اطلع في سماء الفضائل من نور القراطيس سراجا
ونظم من شذور ذهب معالم الفضلاء طرازا ولمفارقهم تاجا
وجعل كاس مفاكهم برحيقه ممزوجا وشذا مسكه مختوما لمونقي
روض محادثاتهم اذا هب فيها عبير الشوكان سموما واذا هب
فيه الشوكان نسيما واباح لهم من زهرات آدابه ثمرات دانية
وآنية القطوف وذللت لهم تذليلا وسقاهم من طلاء معانيه
كؤوسا وكان مزاجها زنجبيلا والصلوة والسلام على سيدنا
محمد افضل من سمع الشعر واجاز عليه واعظم من مدح به وانشد
بين يديه والامة في رسولها اسوة حسنة فالقبيح ما قبح
والحسن ما حسنه ولم تزل حضرات الملوك ينشد فيها الشعر
فيفوح شذاه في جنباتها عبيرا ام يروى فيها القريض فيتساقط
معانيه في ساحاتها لولوا منثورا وكان من اجلهم حضرة واعظمهم
امرة سيدنا ومولانا من ملكه الله الى الاقطار الحجازية ومن عليها
وجعل دولته العالية كعبة تجبى ثمرات النصر والظفر اليها وانام
منه الانام في ظل الامان وكسى من عدله الوجود حليا بانتشرت
به معاطف الزمان المتحلية بالدعا له آفاق السماء وارجاء
الارض الناطقة بالثناء عليه السنة الخلق الى يوم العرض
الخافقة الويته نصره وظفره في الخافقين خادم الحرمين الشريفين
وحامي حمى المحلين المنيفين سلطان وابن سلاطين الذاب
عن ضعفائه وفقرائه وساكنيه حارس حوزة البلد الذي
بجنوده وخيله ورجله وحافظ جهاته برماحه وصفاحه ونبله
سيدنا ومولانا السيد الشريف الحسيب النسيب خلاصة
السلالة الاشراف وواسطة آل عبد مناف الملك العادل
ابا سعيد شهاب الدين احمد بن ابو نمي بن بركات بن محمد بن

نموذج من مقدمة مخطوطة ديوان الجراح بن شاجر الذروي

شعر الإخوانيات

الأبيات التي أرسلها العلامة
أحمد بن علي المعافا إلى علامة ضمد محمد بن عمر
وجوابـــه عليهـــا

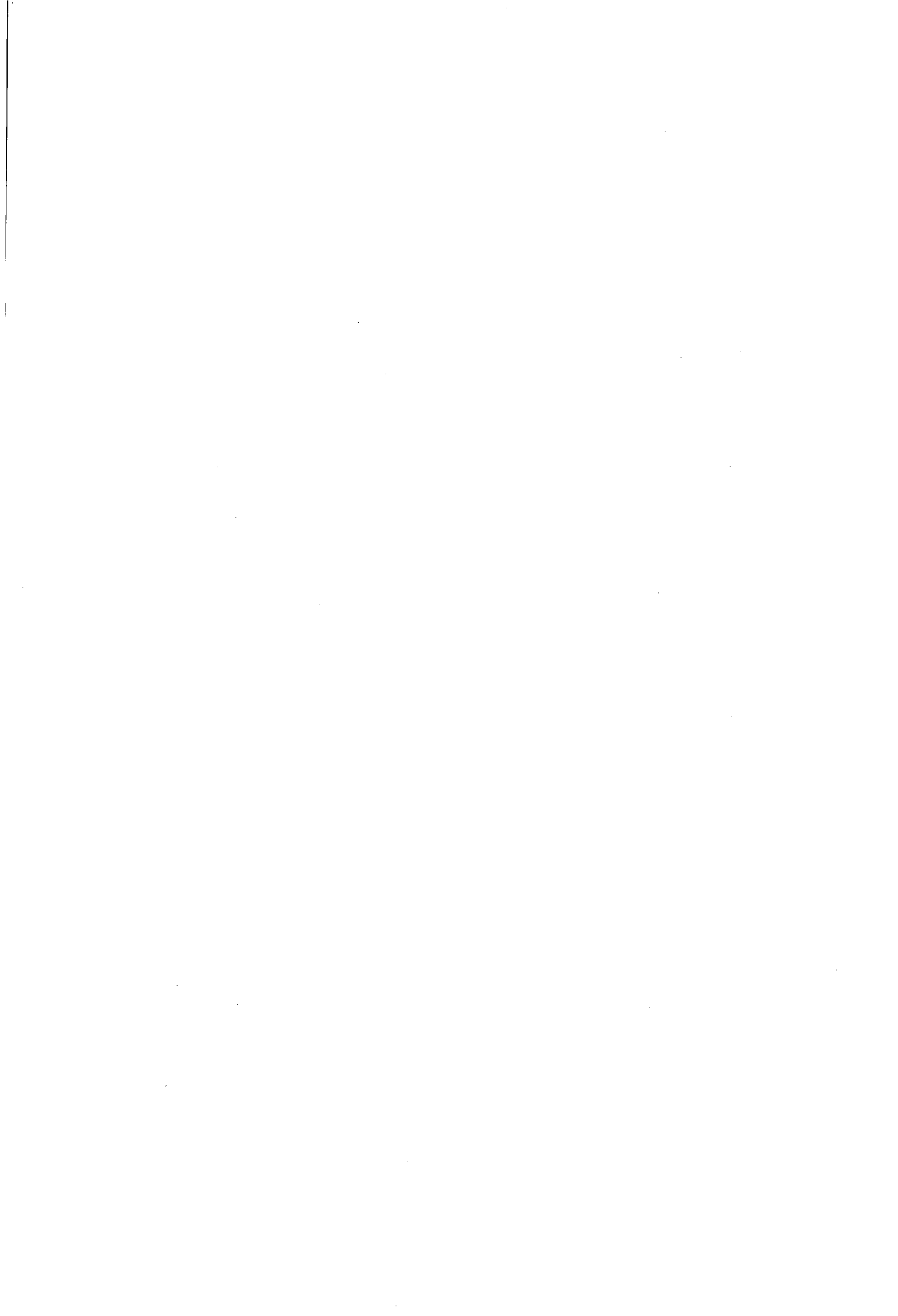
اطمأنت بـآل (حـازم) داري   وأسـاءت بنو (المعـافا) جواري
فإلى الله أشـكر الحسـن الـبر   وأشـكـو إســاءة الأشـــرار
كم إليهـم مني النصيحة في الجهـر   فلـم يقبـلوا وفـي الاســرار
وأطـاعوا الشـيطان لما دعـاهم   فهــداهم إلى ســبيل النـــار

إلى أن قال مخاطبـا :

فاعـن يا أخـي أخـاك سريعـــا   بدعــاء تتلـــوه بالأســـحار
قد وعدنـا على الدعـاء جوابــا   وأصـح الوعـود وعـد البـاري

فأجابه بالأبيـات الآتية :

رب ألـف شـمل آل (المعافـــا)   بـدرت منهـم أمـور طـــوارى
فلقـد خالفـوا الصـــواب ولكـن   مـادروا بالـذي لـه أنـت دارى
يا أخـي . قومـك الأقـارب فاحفـظ   ـهـم وإن ضيعـوا حقـوق الجـوار
فكمـا . قيـل في التوالي التقـــالي   والحـــواري كما علمـت حـــوار
فاعـف عمـن عصـاك منهـم وعامل   ـهـم بنصـح عن ذنبهـم واغتفـار
واسـئل الله أن يقيـل عثـــارا   منهـم انـه مقيـل العثـــــار
وبنـو (حـازم) كـرام السـجايا   ذروة في الفخـار من مختــــار
وابـق . يا شمـس ديننـا في سـعود   ما تغنـت على الغصـون القمــاري



شعر الطرماح

شعر المراثي

شعراء المخلاف السليماني – في القرن العاشر – قد طرقوا هذا الباب بإجادة وبراعة – بالنسبة إلى تردي الشعر في ذلك القرن وما قبله – وإضافة على الإجادة في ذلك الباب،فإن شعرهم فيه سمات مخلافية تميزه عن غيره .

ومن أشهر المراثي في ذلك القرن :

١ – قصيدة الشاعر محمد بن عيسى الطفاري المتوفى سنة ١٠٢٧هـ،يرثي بها الشيخ العلامة عمر بن عبد القادر الحكمي مفتي المنطقة .

٢ – قصيدة الشاعر محمد بن عيسى الطفاري،التي يرثي بها شيخه العلامة صديق بن علي بن صديق الحكمي .

٣ – مرثية العلامة الشيخ محمد بن صديق بن أبي الفتح الحكمي المتوفى سنة ٩٧٧هـ يرثي شيخه شيخ الإسلام أحمد بن محمد بن حجر الهيثمي .

٤ – قصيدة المنشيء والشاعر أحمد بن مقبول الأسدي المتوفى ١٠٢٧هـ،يرثي شيخه العلامة محمد بن صديق بن أبي الفتح الحكمي السالف ذكرها .

وبعد هذا نورد القصائد بحسب تسلسلها.

❊ ❊ ❊

الشاعر محمد بن عيسى الطفاري[1]
راثياً المفتي عمر بن عبد القادر الحكمي
المتوفى ١٠٠٠هـ

من لكشــف المســائل المشــكلات ولصــرف النــوازل المعضــلات

مــن يجلي وجـه المهمات يغشــى ليلهـا بالهمـــوم والكربـــات

مــن بـه نسـتقي إذا أجدب الأفــق وحصـلت كلاكــل الأزمـــات

من شـفيع الورى الموجــه فيهـــم حـين تعي مصــادر الــواردات

من إذا اشـتد حل عقـد مهـــم للـورى حُـلّ منـه بالهمـــات

مـن يجيب الصريـخ لبيـك فـوراً فتوافيــه أســرع الغـــارات

مـن لطــلاب عصرنـا والمريديـــن وللوفـــد في جميـع الجهـــات

بعد قالـوا شـيخ المشـايخ أودى عمــر الفــرد صاحــب المنقبـات

والشـجاع الجسـور في ظلـم الليـل على الهـول منـــه والموحشـــات

والمصـلي حـين الأنـام هجـــوع والمجـــلي في حلبـة الغـــايات

والــذي عمــره الجميــع كيــوم صامـه وانتهـى إلى الميقـــات

ليـس ينفــك مقريـا لعلـــوم وأخـا الذكـر أو قريـن الصَّـــلاة

كــل آن منــه كليــلة قـــدر أو كيــوم العيـدين والجمعـــات

---

(١) الشاعر محمد بن عيسى الطفاري العريشي،ولد بمدينة أبي عريش في النصف الأخير من القرن العاشر الهجري ، تلقى مباديء الفقه والنحو على والده الفقيه عيسى الطفاري،وكمل تحصيله في مدرسة مفتي أبي عريش الشيخ عمر بن عبد القادر الحكمي،كما درس الأدب والعربية على يد الأديب النحوي محمد بن عبد القادر المحلّوي ، ثم تفرغ للشعر والأدب،وانتقل إلى صبيا فكان الشاعر الأول في المنطقة ، وكعادة الشعراء في تلك العصور أخذ في التكسب بشعره،بتجوله ما بين الحجاز وحضرموت،فمدح رجالات المخلاف السليماني وأمراء الأتراك أمراء مكة المكرمة وأمراء الشحر - ساحل حضرموت - ومع كل ذلك الاكثار فقد جل شعره،ولم يبق تحت أيدينا إلا ما دونه صاحب كتاب « العقيق اليماني » من المراثي .

حضرة القدس حضرة الذكر معه ... فهو مَجْلى الفتوح والنفحات

كم مريد أزال عنه بلايا ... سيئات بخلعه الحسنات

سوحه للأنام منهل ظام ... وربيع لجملة السائمات

كم عليه من الرجال حزين ... وكئيب يتابع الزفرات

كم عليه مرائر شققتها ... حسرات من أوجع الحسرات

كم عليه من أيم ذي هيام ... عاش في فضله ومن آيمات

وعليه كم للدروس حنين ... وأنين كأنه المقلات[1]

وعيون الفنون تبكي عليه ... بدموع سحاحة ترات

فاقدات تحريره للعبارات ... وماله من التنقيحات ؟

كم عليه في الأفق من وحشات ... واسوداد في بهرة النيرات

بكت الأرض فقده والسماوات ... وحيث تصاعد الطاعات

شكر الحافظون ما كتبوه ... عنه من طاعة ومن حسنات

ألفوه والنور يألفه النور ... وما فارقوه من مقلات

بل أتاه أمر الإله فلباه ... داعي الله بالوفا للوفاة

فتلقت ملائك الله روحا ... منه قد طهرت بطهر الزكاة

وأولوا الإصطفا من الخلق زفوا ... روحه للعلى في الجنات

بعد نال الرضا من الله والفوز ... ورؤيا جمال وجه الذات[2]

رحم الله ذلك الوجه ماذا ... فيه من بهجة ومن طلعات

من رآه رءا السعادة فيه ... والبهى ظاهراً على البشرات

وجمالا فيه من الله باد ... للورى انه من الآيات

باهيا ناظراً إليه مساء ... وصباحاً في أغلب الساعات

فاز والله من تشرف منه ... بإخاء أو خدمة أو وصاة

---

(١) هكذا في الأصل ، والصواب « المقلاة » : المرأة التي فقدت ابنائها جميعهم فلا ترق لها دمعة ولا يجف لها جفن .

(٢) في الأصل « وجه اللذات » .

شهد الله أنه حبر علم ... بارع في العلوم والأدوات
وإليه الفتوى تحمل منها ... مثقلات عظيمة ناهضات
وكفاها وقام بالحق فيها ... بسداد وعصمة وثبات
باذلاً نفسه بغير كفاءٍ ... بل لوجه الإله ذي الرحمات
قائماً وحده بغير معين لم ... يخف من ملائم اللائمات
هكذا دأبه إلى أن تقضى ... عمره وانتهى لوجه الممات
فجزاه خير الجزاء إله ... بجنان مرفوعة الدرجات
ما رأينا كليلة أو كيوم ... نعشوه فيه إلى التربات
حملوه تبركاً بل رأوه ... قربة من عظائم القربات[1]
لو يرى السادة الكرام ذوي الفضل ... لمن شيعوه في النعشات[2]
والإمارات والعساكر يمشون ... لديه في العالمين مشات
كلهم آخذ بأوفر حظ ... ليس يرضى الإيثار بالقربات
ما رأينا كيومه يوم جمع ... حشر الناس فيه بالأصوات
كلهم خاضع وباك عليه ... لبكاء النوائح النادبات ؟
لم يزالوا يدنوه للقبر حتى ... وضعوه في أحسن الروضات
وتخلوا عنه وخلوا لديه ... مؤنساً فعله الجميل الصفات
واتته ملائك الله بالبشر ... يهنونه بخير الهبات
كلهم قائل له أرحب ، وهذا ... وقت حصد الزرايع الصالحات
وعليك السلام كل صباحٍ ... ومساء من محسنٍ ذي هبات
ندمي بعده تزايد لما ... فاتني منه موسم الخيرات
قل حظي إذ لم أنل منه وقتاً ... ومقاماً في سوحه في الحياة

---

(١)و(٢) في الأصل :

(لو يرا السادة الكرام ذوي الفضل إلى ذوي النعشات

والتبرك بالأحياء أو الأموات من البدع الشركية السائدة في ذلك التأريخ .

بل تشاغلت بالدنا والدنايا ... وتلاهيت عنه في الغفلات

فتأسفت بعد ذلك على الفوت ... وواليت جملة الزفرات

غير أني أرجو الجزاء من الله ... على رتبة ومن ساداتي ؟

ويقولون كلهم أنت في السلك ... ومنا ، ولا تخف من فوات

ولك لعذر واضح قد قبلناه ... لما قد يكون من معذرات[1]

حيث لم يأت للعزا وعافيك ... عن الشد شدة الحماة

يا بني الشيخ ذي الجمال عليّ ... قطب أقطاب هذه الدايرات

أسأل الله يعظم الأجر منكم ... ومن المسلمين والمسلمات

وينيل الجميع أجمل صبر ... كي ينالون أفضل الصلوات ؟

وذويه آل الولي المولا ... دهل الشيخ صاحب التاجات

وخصوصاً شيخ الشيوخ أباه ... وبنيه خلاصة السادات

وأخاه قاضي القضاة ونالت ... رحمة الله أفضل الدمات ؟

وتوالت على الثرا منه سحب ... هاميات بسحبها المثقلات

قل لزوار هذه الترب عوجوا ... ان أردتم تسهل الحاجات[2]

بضريح للشيخ ينفح طيبا ... عنبريا يشمه من يات

....

....

....

وصلاة الإله تترا على من ... خصه الله منه بالصلوات

وعلى الآل والصحاب جميعا ... ما تغنت حمائم الأيكات

---

(١) في الأصل :

(ولك العذر واضح قد قبلنا ... لما أبديت منك من معذرات)

(٢) لا تقضي الحاجات بزيارة القبور،وهو من البدع والشرك ، وهكذا كل ما ورد بعد هذا البيت ، وأصل البيت هكذا :

(قل لزوار هذا الترب عوجوا ... إن أردتم تسهيل الحاجات)

وطلب الحاجات من الأحياء أو الأموات شرك وكفر نبرء إلى الله من ذلك .

الشاعر محمد عيسى الطفاري

يرثي الشيخ صديق بن علي بن صديق الحكمي

أبا قاسم اني أسيف لفقدكم ... أناوح في الأغصان كل حمام

فلا كان يوم قبل صديق قد ثوى ... وقادته أيدي أسقم وحمام

وما زلت من سيف الفراق وفتكه ؟ ... وتمزيقه ، قلبي حليف كِلام

وأنثر من عيني دراً حشوته ... مسامع أذني من بديع كَلام

لتبكيك مني أعين قد تفجرت ... بأبحر دمع من مسيل سهام[1]

ويكفيك أني قد ترحلت للنوى ... أسير قروح نصِّبت لسهام

إذا دار فكري في حطامك يا أخي ... يضيق فسيح الأرض بي ومقامي

عمرت من الدنيا قصورا عواليا ... أراها بعيني في أجل مقام

وأخربت داراً كان بالذكر عامر ... وادعية للنائبات عظام

يقوم بها ميت إذا هي وجهت ... إليه فيحيى من رفات عظام

رفضت من الدنيا محاسنها التي ... أتتك على كره بغير حرام

وأخلصت لله المهيمن طاعةً ... بأشهر حلّ في شهور حرام

وأحرزت كنزا من (عُلى) وحقائقه ... فأنت إمام فوق كل إمام

تقدمت بالتقوى وغيرك مقتد ... وصحته أن يقتدى بإمام

وأغرست أغصان المعارف للورى .. ... بأرض رياض الكتب فهي مرامي

يظل بها طرف من العلم سارحا ... ويرعى بسهل ليس فيه موامي

تجيب ضيبقا إن دعاك لحاجة ... وتسعى إلى خاص لهم وعوام ؟

بجد وجهد في الأصايل والضحى ... وفي أشهر تمضي وكل عوام

ومازلت في قلبي وفي كل خاطري ... وحالت مسعى أرجلي ومقامي

---

(١) « سهام » بكسر أوله واد معروف في تهامة اليمن .

وإن مـت ما أنسـى وداد محبـة وأرجـو بها نفعـي ليـوم قيـامي
عليك من الله المهيمـن بعـد مـا يصـلي على مختـاره بسـلام
سحاب من الرضوان تغشى ضريحكم بعفـو وغفـران وخـير سـلام

المصـدر : مخطوطة العقيق اليماني .

من شعر محمد بن عيسى الطفاري
يرثي أحد علمـــاء آل الحكمـــي
الشيخ صديق بن علي[1]

عجبـا للزمـان ذي الاغتيـــال	ولمـــا حالــه من الاحتيـــال
دب في خفيـــة إلى المجـد حـــتى	أمكـــنت فيـــه فرصـــة المحتـــال
فرمـاه عن قـوس هلك بســـهم	ليـس تخطـي نبـاله في النبـــال
قصـــد المطـلب الســـني فغطـــى	ضـــوء مصباحـه المضـيء الليـــالي
هـدّ عـرش الكمـال حـتى تداعـت	منـه للأرض قاعـدات الكمـــال

* * *

هذا ما عثرنا عليه من شعره .

(١) العقيق اليماني - مخطوط - ص ٤١٠ .

الشيخ محمد بن صديق بن أبي الفتح الحكمي
راثياً شيخه شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمي
في سنة ٩٧٣هـ

نبأ أتى من أعظم الأنباء
فتقلقلت من هوله أحشائي

قالوا شهاب الدين أحمد قد ثوى
فكذاك عز ، كما ترون عزائي

وصلت إليه يد المنون ونفذت
ما كان من حكم ومن إمضاء

يا طود علم في الوجود قد انثنى
متهدما من بعد شد بناء

كم قد جليت بهيمها وأبنتها
ببصيرة وقادة وذكاء

من للعويص من المسائل ان غزت
من بعد أن حزب البعيد النائي

وشفيت من داء الجهالة طالبا
أمراضه دفعت لكل دواء

ورقيت في كل العلوم مراقيا
أعلى عُلا من رتبة الجوزاء

وغدوت في حرم المهيمن مهبطا
للطالبين بنيل كل رجاء

تزهو بك الآفاق في كل الربى
زهو الحيا إذ نيط بالزرقاء

تبكيـــك مــن حــرم الإلــه مجالــس
عطلتهــا مــن زينــة وحــلاء

كـم قـد بثـت بهـا علومـا جمـة
أورثتهـا مـن عالـم الأسمـاء

وعمـرت بالتدريـس أفضـل بقعـة
في أفضـل الأوقـات والأنـاء

تمـلي وأنـت عـلى مشـاهد بيتـه
والنـور يكشـف عنـد كـل غطـاء[1]

فـي حلقـة جمعـت لكـل فضيلـة
محروسـة مـن زلـة وخطـاء

* * *

قـد كنـت طـالع بـرج سـعد سعودهـا
ومنـيرها فـي الليـلة الظلمـاء

فطلعـت فـي ليـل المحـاق فحلكـت
تلك البقـاع بليـلة سـوداء

* * *

يا ضيعـة الطـلاب بعـد مفيدهـا
حـبر الزمـان مسـدد الآراء

سهـل الخـلائق عـالم متواضـع
ذي عفـة ومـروءة وحيـاء

---

(١) في الأصل :
« تملي وأنـت مشـاهـد لبيتـه والنور يكشـف عند كـل غطـاء »
جرى التنبيه .

حفـــــظ الوصيـــــة فيهمــــا مــن أحمــد

فلـــذاك أولاهــــم بكـــل حبـــــاء

يرعـــى العهــــود على تقـــادم عهدهـــا

فكـــأن وافـــده شـــقيق اخـــــاء

يلقـــاه بالترحيـــب عنـــد قدومـــــه

ويحـــل منـــه محـــلة الأبنـــــاء

لا عيـــب فيـــه غـــير أن نزيلـــــه

يســلوا عــن الأهـــلين والرفقـــاء

قـــل ما تشـــاء . فلســت تــدرك وصفــه

ما فيـــه مــن كـــرم وحســـن وفـــاء

ان صـــح رزءك يا شهـــاب عشـــيرة

فلقـــد أحـــاط بســـائر الأحيـــاء

واضـــر بالاســـلام حـــتى أنـــــه

قـــد صـــار معـــدودا مــن الغربـــاء

صاحـــت لمصرعـــه (الصحـــاح) وأعولـــت

أســـفا عليـــه واجهشـــت ببكـــاء

إذ كـــان مســـند وقتـــه وأجـــل مـــن

تهـــوي إليـــه ســـوابق الانضـــاء

فمـــن الكفيـــل بجبر كســـر صحيحهـــا

ومـــتى يكـــون طبيـــب ذاك الـــــداء

هيهـــات خـــاب الســـعي وانبتّ الرجـــا

وانحـــل عقـــد العـــروة الوثقـــاء

* * *

مازلـــت تفحـــم مــن أتـــى متشـــوقا

ينحـــو لنحـــو الزيـــغ والأهـــواء

يرعـــى ببرهـــــان وقاطـــع حجـــة
يثـــني عنـــــان معـــاند لــــــواء

* * *

هـــفي عليـــك وهـــل يفيـــد تلهفـــي
أو هـــل يفيـــد تحســـري وعنـــائي
لو كـــان يُفـــدى بالكـــرائم ســـيد
لفـــديت بالأبنــــــاء والآبـــــــاء

* * *

فحبـــاك مولاك الكـــريم برحمـــــة
وجـــزاك في الحســـنى بخـــير جـــزاء
وغـــدت وراحـــت كـــل يـــوم مزنـــة
تســـقي ثـــراك بواكـــف الأنـــــواء

المصـــدر : مخطوط كتاب « العقيق اليماني » .

القاضي أبو الفضــائل
راثياً شيخه محمد بن صديق الحكمي
المتوفى سنة ٩٧٧هـ

خطب بدا سلب العقــول بظاهـره ... وسـرت فحفـت بالأنـام غوائـره
قالوا أتاك اليـوم عِلـم فــادح ... سـلب المنام شيوعـه وفوائــره
وأتتـك كتب أن شيخك قد ثـوى ... وأنـدك طـود بقائـه ومناظــره
نجـل الكـرام محمـد فرع الرضـى ... الصـديق قانـت ليـله ومســامره
شـيخ عظـيم في العـلوم مناظـر ... مازال طالبـــه تقـر نواظـــره
طـود العـلوم الشـامخ العلم الذي ... أمثـاله عدمـوا وعـز مناظـــره
بحـر له لجـج تفيـض جواهـــرا ... قد نالهـا تلميـذه ومذاكـــره
يمـلي عليـه فرائـدا وفوائـــدا ... مـن كـل علـم طاب عنه مفاخـره
ويفيـد منهاجا وإرشـادا ومـــا ... في الـروض مـن علـم حوتـه دفاتره
كانت مدارسـه ريـاض كلهـــا ... تجني قطائفهـا لديـه معاشـــره
يا طالبـا للعـلم غـاب سحابـه ... وتفرقــت أنـواءه ومواطـــره
مـن ذا يدرّس علمكــم يوما وقــد ... طويـت دفاتـره وفـتن مســاطره
لو كان يفـدى ميـت نـال البـلى ... لفدتـك من كل النفوس ذخائـره
لو كـان يقبـل من صديق فديــة ... لفـدا الصـديق صحابــه وعشائره
ثلمـت بفقـدك ثلمـة من ديننــا ... وتنكـرت أعـلامه وشـعائره
والحمـد للمـولى على ما قد قضـى ... وجـرت عـلى ما قـد أراد أوامـره

المصـــدر : مخطوطة العقيق اليماني .



شعر التوبة والندم

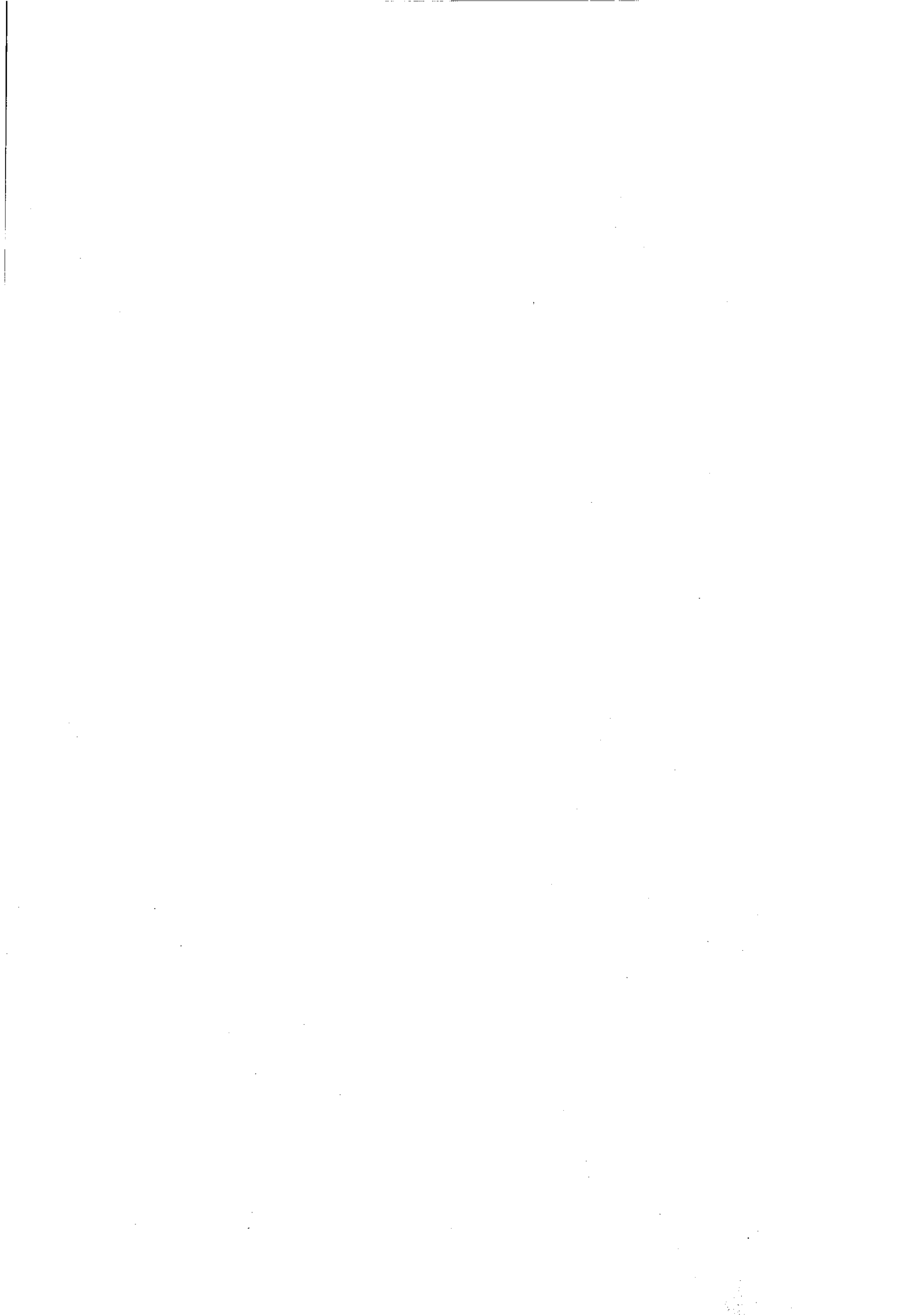
من قول الشــــاعر
محمد بن أحمد بن جناح الضمدي

ركنت إلى الدنيــــا مع العلــم أنــــني ... ســأصبح في بطــن الـثرى متوســـدا
وجاهــرت بالعصيــان لله عالمــــا ... عقوبتــه للظــالمين لــه غـــــدا
وخضـــت بحـــور المهلكـــات تعمــدا ... مع العـلم مني أن في خوضها الردى
علمــت طريـق الحــــق ثم هجرتهــا ... عيانا ولم أمــدد إليهــا يـــــدا [1]

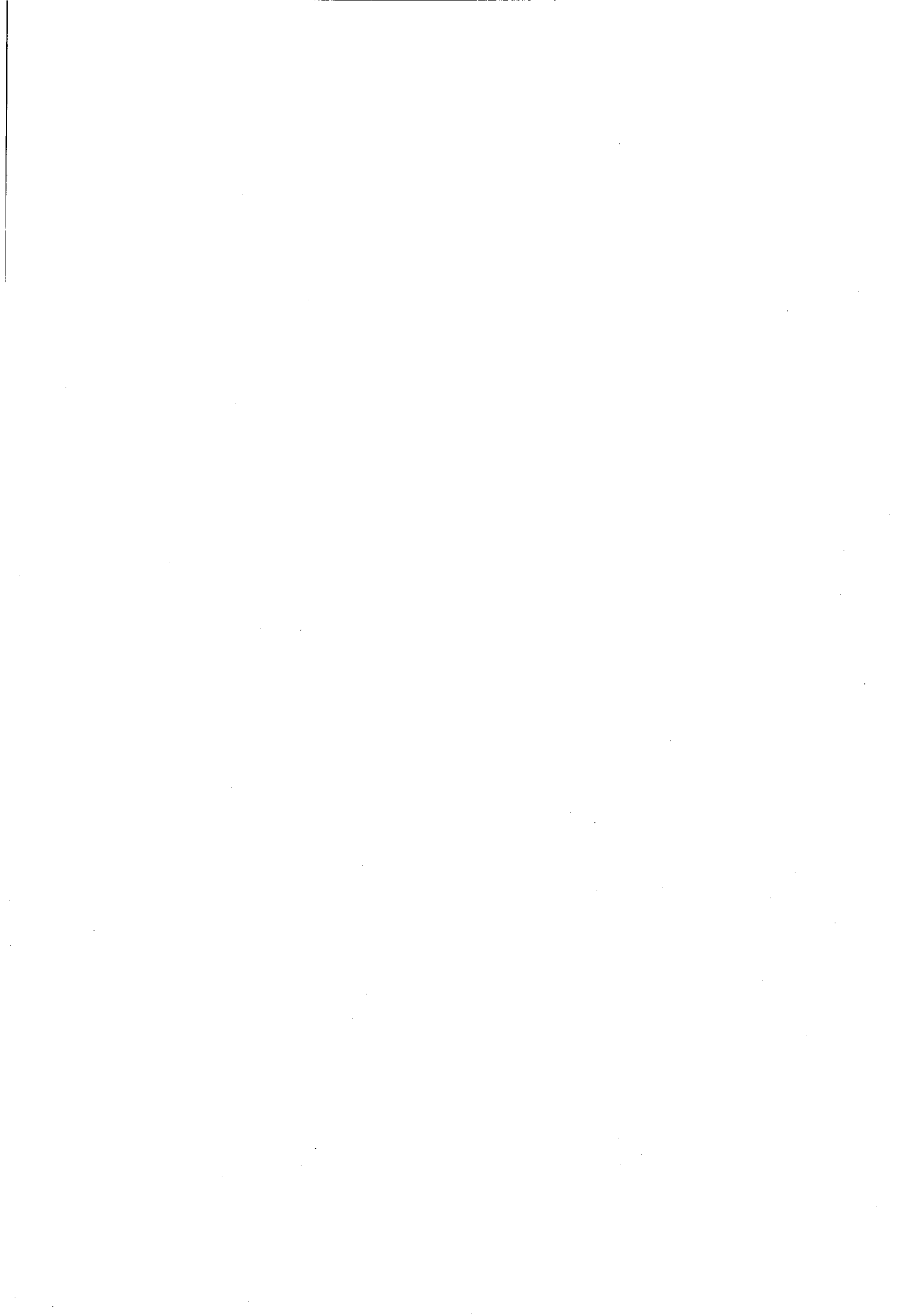
---

(١) هكذا الشطر الأخير،ولعل الصواب « ولم أمدد إلي نيلها يدا » .

المصـــدر : ١ - مخطوطة كتاب العقيق اليماني .
٢ - مطالع البدور ومجمع البحور .



شعر التصوف والمواعظ



الأشـــعار الصوفيـــة
في القرن العاشر

الشعر الصوفي يشغل حيزاً واسعاً،وأغلب مشاهير الصوفية إن لم يكن له ديوان فله البيت أو البيتان،ومنهم من له القصيدة أو القصيدتان .

وللشعر الصوفي طريقته المتبعة وأسلوبه المعروف،وللقوم مصطلحاتهم ومنهجهم المميز وقد ألمعنا في كتابنا التصوف في تهامة – الطبعة الثانية الموسعة – بالكثير مما يهم القارىء عن الصوفية والتصوف عالمياً ومحليـاً .

وهنا نكتفي بالناحية الأدبية لأشعار التصوف في منطقة المخلاف السليماني – منطقة جازان – ، وأخال أنه لأول مرة بالنسبة لأدب التصوف نجد في القرن العاشر الهجري – الرابع عشر الميلادي – شعراً صوفياً لعلماء من أهل المخلاف السليماني نفسه،قد جمعوا بين العلم والعمل والزهد والتقوى ، وأشعارهم الصوفية ليست من طراز ما يعرف عن الشعر الصوفي من الرمزية ووحدة الوجود،أو الاتحاد والحلول،أو الشطحات والغلو والإيغال في الكتابة،وما يتبع ذلك من مصطلحات القوم بل هو أقرب إلى شعر الزهد والوعظ .

وقائلوه من علماء السنة والفقه والتقوى والصلاح،يقومون بعمل تدريس العلم ويسعون في مصالح الناس ومنافع الخلق،ومن أشهرهم الشخصيات الآتية :

١ – العلامة الشيخ جمال الدين المقبول بن صديق بن دهل الحكمي المتوفى سنة ٩٤٨هـ .

٢ – العلامة الشيخ فخر الدين صديق بن دهل الحكمي المتوفى سنة ٩٥٢هـ .

٣ – العلامة الكبير الشيخ علي بن صديق بن دهل الحكمي المتوفى سنة ٩٨١هـ .

٤ – الشيخ العلامة مفتي المنطقة عمر بن عبد القادر الحكمي المتوفى سنة ١٠٠٠هـ .

❊ ❊ ❊

الشيخ الفقيه المقبول بن صديق بن الدهل بن صديق الحكمي
المتوفى سنة ٩٤٩هـ[١]

زار الحبيـب فحيـاني وأحيـاني ... فشـرفت منـه سـاعاتي وأحيـاني

وبـات يرشـفني من ثغـره ضربـا ... وينشـر الورد لي من خـده القـاني

عـلى مدام كلون التـبر قد سكبـت ... ألقيـت عقـلي لساقيهـا وألقـاني

دقـت عـن الوهـم معـنى أن يماثلهـا ... للطفهـا ، فهـي في عيـني كإنسـاني

لطيفة تسـلب الألبـاب رقتهـا ... رقـت لطافتهـا عن كـل إنسـان

كالشمـس تحجبهـا أنـوار بهجتهـا ... ذكري لحضرتهـا ، للكـل أنسـان

مشـروبة تسـلب الألباب ما برحـت ... في مـس راحتهـا روحـي وريحـاني

تصغواالعقول إليها كلمـا وضعـت ... كؤوسها بـين تسـنيم وريحـان

رقاصـة بين أترب لهـا عـرب ... تغـري الغـرام بتسـجيع وألحـان

لو هـب من ريحها نشـر على جسـد ... ميت لقام بها . يسـعى إلى الحـاني

أدنيتهـا من فمـي معـنى وناولـني ... يديرهـا لمعانيهـا وأدنـاني

ويـا نديمي . بكـأس الوصـل ناولـني ... صرفـا معتقة . وامـزج لأقـراني

وغنـني بأحاديث معنعنـة ... عمـن ألفن الهوى العـذري اقرانـي

وأنت يا لائمـي في حبهـا سفهـا ... كـف الملام فما الاصغـاء من شـاني

---

(١) من علماء منطقتنا البارزين في عصره،وصفه صاحب العقيق بقوله : « كان من العلماء المحققين والفصحاء المبرزين ، عالماً بالفقه والعربية وعلمي المعاني والبيان وعلم البديع ، ومن آثاره الأدبية قصيدته التي عارض بها قصيدة عبد الرحمن السويدي التي استهلها بقوله :

نسيم نجد سرى وهنا فأشجاني ... وبات يبعث لي همي وأشجاني

وقال الشيخ المقبول بن صديق بن الدهل الحكمي
المتوفى سنة ٩٤٨هـ

كل حـين يأتي عليك وسـاعه ... هي في العمـر فرصـة وإضـاعه
فاغتنم مهلة الزمان وبـادر ... واجعل الحزم في الحياة بضاعه
واجتهد في بقية العمـر واجهد ... إنما العمـر والحياة وداعـه
واقتحم حلبة السباق وبادر ... واعدد الزاد فالطريق مجاعه
وأفق من منام قلبك وانهض ... قبل أن يكشف الحِمام قناعه
خذ من الصحة الأمان لسقم ... ومن العمـر للحياة شفاعه
وأصحب الجد ما بقيت فلا العمـ ... ـر ، جديداً والحياة مشاعه
ليس بعد الممات للمرء كسب ... غير كسب مع الحياة اذاعه

* * *

أيها المرء خذ لنفسك زاداً ... وخلاصاً ، وفي الحياة إستطاعه
واتخذها عدوة لك وأحذر ... كيدها ، فهي للفتى صرَّاعه
وإذا ما أتت إليك بنصح ... فاتهمها فإنها خداعه
وأذقها طعم الخلاف وذلل ... صعبها ، وانهها الهوى واتباعه
واعمر القلب بالتفكر واحرص ... خطرات على الدوام وراعه
واغضض الطرف عن موانع لهو ... رغبة عن عقوبة وشناعه
وصن اللسن عن مقالة لغو ... واجتنب منه قوله وسماعه
واحفظ اللسن إن هممت بقول ... إن في الصمت حكمة وبراعه

* * *

هذه سنة المحبين فاسلك ... سنن القوم إن أردت اتباعه
هم أناس عن الخلائق بانوا ... بقلوب وأنفس مطواعه

علموا إنما الحياة متاع | فاستزادوا من التقى ومتاعه
حذروا الفوت فاستحبوا نفوسا | طالما كن للدجى قطاعه
سهروا ليلهم إذا الناس ناموا | وكذا كابدوا النهار مجاعه
وأطالوا الحنين تحت الدياجي | ببكاء وخشية وضراعه
لو تراهم قيام في ظلم الليل | يناجوا ؟ بأعين هماعه
قد أذابوا من الجسوم صحيحا | وأصحوا من الحشا أوجاعه
لبسوا حلة الغرام قديماً | فأستطابوا من الغرام ادراعه
فهم صفوة الإله من الخلق | وأسرارهم محل إطلاعه

* * *

وهي طويلة جداً نقتصر منها على هذا القدر .

من شعر
الشيخ فخر الدين صديق بن دهل الحكمي
المتوفى سنة ٩٥٢هـ(١)
في أهل العناية الربانية

عليك بهم لا تعد عيناك عنهم	فهم انجم للاهتدا وشموس
وحبهم يهدي إلى كل مشهد	رفيع عظيم قدره ونفيس
فآثرهم في الحب من دون غيرهم	فما مثلهم في العالمين أنيس
هم مرهم يشفي سقام محبهم	فلا يعتريه بعد ذاك رسيس
هم الناس لا ناس سواهم فكن لهم	نعالا ... بهم ومدعوس ؟(٢)
ولا تتأنس يا أخي بغيرهم	إذا كنت ذا فهم وأنت حسيس
عليك أخي نصحي فصخ لوصيتي	لتسمو لأعلى من لديك نفوس ؟

والصوفية في ذلك التاريخ،كان لهم من الطاعة والنفوذ مالا يضارعه إلا طاعة الرعية لملوكها ، ويقول اليافعي فيما لهم من مكانة ومقام :

ملوك على التحقيق ليس لغيرهم	من الملك إلا تاجه وعقابه

والمقطوعة الشعرية تمثل صورة من السلوك الصوفي،وما يشتمل عليه من الخنوع والخضوع،والمغالاة في شيوخهم،وحث العامة إلى سلوك طريقتهم،وإلا فالاهتدا لا يكون

---

(١) من أسرة آل الحكمي المعروفة في مدينة أبي عريش ، وكان متفرغاً للعلم سالكاً طريق الزهد ، يقول عنه صاحب العقيق اليماني:(وكان له في علم الطريقة اليد الطولي) ، ومن قوله في أهل العناية الصمدية والولاية الربانية الأبيات المذكورة بعاليه .

(٢) لعل الصواب :

هم الناس لا ناس سواهم فكن لهم	نعالاً بها يمشي لهم ومدوس

إلا بكتاب الله ثم بسنة رسوله . والحب لا يكون إلا لله وفي الله سبحانه وتعالى . قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]

❊ ❊ ❊

(١) سورة آل عمران الآية (٣١) .

العلامة الفقيه الأديب الشيخ جمال الدين علي
بن صديق بن الدهل بن صديق الحكمي
المتوفى ٩٨١هـ[1]

اغتنم فرصة الليالي البواقي	قبل أن يشتملن ثوب المحاق
قبل أن يغلق الرهان وتمسي	جندل الترب بين تلك الطباق
ذهب العمر وانقضى وتولت	منك أيامه كلمح الأماق
عد إلى الله تائباً من ذنوب	عقبها لو عرفت مر المذاق
وأذكر الموت وأخش للفوت وأحذر	فرقة الاعتبار يوم التلاق
وازجر النفس قامعاً لهواها	وعليها فاحرص بشد الوثاق
واتهمها إذا أتتك بنصح	فلعمري إذ ذاك عين الوفاق
واصحب الجد ما بقيت وبادر	لتنال اللحاق بالسُباق
واجعل الصدق والتقى لك زادا	نعم زاد الطريق للارتفاق
وكذا الصبر فادرعه لتحمى	فهو درع من المكاره واقي
وعلى الله فاتكل فهو كاف	كافل للعباد بالأرزاق

* * *

واحبب الصالحين واركن إليهم	فهم للضعيف خير الرفاق
وتأدب لهم تعش في حماهم	في سرور وغبطة ووفاق
وإذا ما جلست بين يديهم	فاخفض الرأس منك بالإطراق
واحفظ القلب من تقلقل وهم	إنما الوهم كالصفا الزلاق

---

(١) ترجم له صاحب العقيق اليماني بقوله : « كان رحمه الله من رجال الحقيقة والطريقة علماً وعملاً،صاحب استغراق عند سماع القرآن .. وكان يلفظ بحار معارفه بجواهر الفوائد ، ويدير شراب رحيق لطائفه من كؤوس الفرائد ، وكان له أوراد في أوقات السحر،من صلاة وتلاوة وأدعية شريفة ، وله نظم غريب ومن أحسن كلامه قصيدة في المواعظ والأدب .

والـق للسـمع شـاهداً ثم تشـــهد — لمعـانٍ لطيفـــة ودقــــاق
بـين رســل القلوب قـد أرسلوها — ناطقـات بألسُـــن الأشـــواق
وسـلام علـى النـبي المفـــدى — أشـرف الخـلق كامـل الأخـلاق



وفي المقطع الثاني يتمثل أدب السلوك عند الصوفية ، فهو يحث على حب صالحيهم ، والركون إليهم – والركون إلى الله سبحانه وتعالى أولى من الركون إلى مخلوق لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً – وكذا قوله : « تعش في حماهم » ، وأين هذا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتضى عليه الأعرابي السيف والرسول قد انفرد تحت شجرة . فقال له الأعرابي : من يحميك مني يا محمد ؛ فقال عليه الصلاة والسلام : الله . فتخاذل الأعرابي وسقط السيف من يده .

وفي البيت الثالث من المقطع نفسه يجلي لنا أدب الصوفية في التماوت والخنوع وإطراق الرأس – كما هي عادة المريدين بين يدي شيوخهم – وهذا ينافي ما يعرف من روح الإسلام ، ويروى عن عمر بن الخطاب أنه رأى شاباً يتظاهر بالنسك ويمشي منكس الرأس متماوت الجسم فخفقه بالدرة ، وانتهره قائلاً : إن الله يحب المؤمن القوي ويكره المؤمن الضعيف .

❊ ❊ ❊

الشيخ المفتي العلامة عمر بن عبد القادر الحكمي[1]

٩٥٣هـ - ٩٨١هـ

هب النسيم فطاب الأنس والسمر ... وغاب حسادنا عنا فلا ذكروا
وأين من تلكم الحسنا نواصلها ... فزال عنا عنانا ، وانجلى الكدر
وهذه أكأس الأحباب قد جليت ... حفت بها تحف كالأنجم الزهر ؟
سلافة تسلب الألباب حليتها ... من المناسم ؟ تستجلى وتعتصر
كم حي ميت وكم قوم بها دهشوا ... وكم أناس بريا نشرها سكروا

---

(١) النجم المشع والكوكب المتألق في سماء ذلك البيت ، استظهر القرآن قبل العاشرة،ومن ثم أخذ في الدرس والتحصيل على :

١ - الشيخ محمد بن صديق بن أبي الفتح الحكمي .
٢ - الشيخ الدهل بن أبي الفتح .
٣ - الشيخ النحوي الأديب محمد بن عبد القادر المحلوي .
٤ - الشيخ شيخين بن أبي الفتح الحكمي .
٥ - القاضي عثمان الأقرع .
٦ - القاضي أحمد أبو الفضائل .
٧ - الشيخ العلامة محمد المحبوب الوليدي .

وبعد استكمال التحصيل وحصوله على الاجازات،قام بالتدريس في جامع أبي عريش خمس سنوات،وفي ١٩٧٧ توفي قريبه المفتي الشيخ محمد بن صديق الحكمي فأسندت إليه رياسة التدريس والافتاء وعمره ٢٤ سنة ، فقام ببناء مدرسة لنشر العلم والمعرفة والهداية والارشاد،فنفع الله بها وتخرج منها عدد من أبناء المنطقة والبلاد المجاورة،منهم :

١ - القاضي محمد بن عيسى قلاص .
٢ - الفقيه الأديب أبوبكر بن عيشه .
٣ - علي بن عبد القادر الحكمي .
٤ - أسعد بن محفوظ (من أهل جبل رازح) من اليمن .
٥ - علي بن عبد القادر بن الطاهر .

وغيرهم وغيرهم .

وقد اعتبطته المنية في سن مبكرة لم تتجاوز ٤٧ سنة،والبلاد أحوج ما تكون إلى علمه وفضله ، ويقول

هاموا فقاموا سكارى عندما جليت طاشوا ولا جنة فيهم ولا خور
باتت تعللهم حسناء فائقة من ثغرها سكر ما مثله سكرٌ
كأنها البدر حسنا والنجوم لها قلائد ، وحلاها الجيد والشعر
أو غصن آس عليه مشرقاً قمر فأعجب لغصن عليه يحمل القمر
من فوقها مظلم كث وذا عجب بدر يضيء عليه الليل معتكر
من وصفها انها كل الجمال حوت في ساعد المدح عما قد حوت قصر

* * *

صاحب العقيق : (ولما انتقل إلى رحمة الله تعالى،حصل في اقليم جازان بعده على الناس من الحزن والوحشة ما طاشت له الألباب،وتضاعف كثر البكاء والاضطراب ، ورثاه تلميذه الشاعر الأديب محمد بن عيسى الطفاري بقصيدة رائعة طويلة،سبق إيرادها في باب المراثي مع ما عثرنا عليه من شعره .

وللمفتي الجليل أشعارٌ فائقة جمعت في ديوان في حياته .

المصدر : العقيق اليماني – مخطوط

الشعر السياسي



الشعر السياسي
في القرن العاشر

لم تقف أغراض الشعر في المخلاف السليماني عند أبوابه التقليدية،بل وجد شعر خليق بأن ننعته بالشعر السياسي لدبلوماسية ذلك العصر، تداول بين أمراء جنوب الجزيرة،أو قام بدور السفارة بين الأمراء أو لأغراض سياسية أخرى،فيأمر الأمير شاعره أو الشاعر الذي يعتمد عليه،بأن ينشىء قصيدة يحدد له الغرض السياسي والهدف الدبلوماسي،فيقوم الشاعر بما يتطلبه المقام ، وهذا الشعر في مجمله ليس من مبتكرات القرن العاشر الهجري،فقد سبق في القرن الخامس أو السادس أنه قام بنفس الغرض في الشعر الأندلسي،كقصيدة ابن الخطيب،التي أنشأها في بلاط ملك فاس عن لسان ملك الأندلس، يستثير حميته العَرَبيَّة ويستنجد غيرته الإسلامية،لنجدة الأندلس من مطامع ملوك الإفرنج .

كما أنه سبق في نفس المنطقة بما كان ينشئه الشاعر المخلافي القاسم بن هتيمل على لسان بعض الأمراء إلى البعض الآخر،كقصيدته عن لسان أمير حلي إلى القائد ابن برطاس أمير الدولة الرسولية على مكة،والتي مطلعها :

أدرهـا بأطـراف الأسـنة وأشـرب وغنِ بوقع البيض في البيض واطرب[1]

وكذا في قصيدته التي قالها على لسان الأمير قاسم بن علي الذروي إلى القائد سنجر الخوارزمي،والتي أولها :

عذلت على حـب المدامـة فاعـذر وطولت في روح الحيـاة فأقصـر[2]

أما في القرن العاشر فقد توسع في المعنى والمبنى والغرض والهدف،ومن هذا النمط الذي نورده كشاهد على توسع ذلك الفن :

---

(١) أنظر كتابنا ديوان الشاعر ابن هتيمل دراسة وتحليل ص ١٦٣ .

(٢) نفس المصدر السابق .

١ - قصيدة قالها الشاعر الجراح بن شاجر على لسان أميره المهدي بن أحمد القطبي إلى ملك اليمن عامر بن عبد الوهاب الطّاهري،وهي قصيدة دالية استهلها بقوله :

(ان صدقت لي منكـــم الوعود أخضـر مني ورقٌ وعــــود)

ثم راح الشاعر يضرب على هذه الوثيرة في رمزية شفافة؛ظهر فيها الشوق والتعلق والروابط بين الأمير والملك الطاهري .

وبعد أن يستنفذ المعنى في ذلك المقطع يقول :

ســقيا لأيــام مضـــت بقربكـــم عـلى (زرودٍ) حبــذا زرودُ[1]

ومضى على تلك الوثيرة يكني عن أيام اجتماعه بذلك الملك،في رمزية حاذقة وإشارة ذكية تشير إلى أيام تلك اللقاءات،وإن كان يكني عن ذلك الاجتماع عن محبوبة أشغفه وجدها وأنحله غرامها ،وكان في هذه القصيدة بليغاً لولا أنه استعمل أسماء مواقع وبلدان معروفة كـ (زرود)و (رامة) من الأعلام المشهورة في نجد، في حال أنه كان في وسعه وإمكانه أن يذكر بدلاً عن ذلك ذكر مروج ومنتزهات في جهة « المقرانة » عاصمة الدولة الطَّاهرية الأولى؛أو في جبل (صبر) عاصمتهم الثانية .

وبعد ذلك أخذ يصف رحلة رسوله وهو يحث السير خبباً،من درب جازان عاصمة الأمير في المخلاف السليماني إلى العاصمة الطاهرية (المقرانة) في اليمن الأعلى قرب مدينة رداع .

ومضى الشاعر يصف لنا قدوم الرسول على عاصمة الطاهريين وقصورها الملكية الشامخة بقوله :

(من درب جازان إلى المقرانة الغـ ـراء ، حـيث المفخـر المشــيد)
وحــيث بنيــان القصـور شـــامخ والملك والســؤدد والأســـود

(١) أنظر كتابنا الجراح بن شاجر دراسة وتحليل ص ٩٨وما بعدها

وحيث أعلام العلا خافقة بالنصر والعسكر والجنود

وراح يصف قدوم الرسول على تلك العاصمة التي تلقت الوافد بالترحاب،إلى أن قال موجهاً الخطاب منه للرسول :

وقل لها والد مع منك سافح قد خددت من فيضه خدود
فهل علمتم أن طود - مجدنا طحطحه بطش القضا العنيد
وأن مولانا العزيز يوسفا فارق وهو العلم الفريد
وقمت بالأمر كما وعدتني من بعده فابتهج الوجود
ودانت الخلق لأمري عن يد وأسعدت بسعدك الجدود

ويظهر من فحوى المقطع أن أمير جازان السابق يوسف العزيز أدركته الوفاة،فخلفه أخوه المهدي في الإمارة ، ومنطقة جازان واقعة بين اليمن والحجاز،فهي بين شقي الرحى من الطرفين،وإذا كان الاتفاق أو حسن الجوار واقع بين تلك الإمارة والطاهريين،فإن في تلك الفترة لم تكن العلاقات بين بركات بن محمد وأمير المخلاف السليماني على مايرام،وهناك أمير حلي بن يعقوب حليف أمير مكة قد توترت العلاقات بينه وبين أمير جازان[1]،وليس في الأمر خيار والسياسة لها أساليبها ومقتضياتها ، وعلى كل فإن القصيدة صورة أدبية وسياسية في نفس الوقت لدبلوماسية تلك العصور ، وفي الرجوع إلى القصيدة ما يغني عن التوضيح .

القصيدة الثانية هي - أيضاً - من الأمير إلى الملك عامر،ونفهم من فحواها أن الأمير المهدي قام بغزوةٍ على قبيلة بني حسن وكانت تسمى (الخبثاء)[1] ،فهو يشعره بتلك الغزوة مسبقاً، لكيلا تحدث تلك الغزوة لدى الملك الطاهري مردوداً غير حميد وصدى غير مرغوب وبالأخص بعد أن تأخر الرد على القصيدة الأولى من الملك الطاهري وقد استهلت القصيدة بهذا المطلع :

---

(١) نسبة إلى قبيلة الأخبوث من قبائل اليمن ، أنظر كتاب الأكليل للهمداني .

إن بان من نحن نهـواه ويهوانـــا فوده المحـض في الأكبـاد مابانـــا

وغدا بعد ذلك في الكناية والرمزية،ويلوح في آخر المقطع أنه ما خان عهداً ولا حاول نقضاً،أو أزمع تخلياً عما ينهي إتفاقياته ومواثيقه،وراح يصف عروس الشعر تمهيداً للتخلص من الموضوع،ثم مضى يصف ناقة مندوبه حامل القصيدة،كما صنع في القصيدة الأولى،إلى أن قال :

وهل أتاك مع الركبان ما فعـل « الـ خبثا » وما تم لي فيهـم وماكانـــا

وراح يشرح مبررات غزوه لتلك القبيلة،وأنه لم يبعد عن رغبة الملك الطاهري في تأديبهم – وكأنه يقول أنهم بؤرة فتن،ونقطة قلق للطرفين،وذهب يصف نهضته لحربهم وتقدمه لتأديبهم،إلى آخر ما ورد في القصيدة .

أما القصيدة الثالثة فهي جواب من الملك الطاهري على القصيدتين،وهي على وزن وقافية قصيدة الأمير الأخيرة .

استهل الملك قصيدته بهذا الاستهلال :

يا ســاكنين الحمى من سفح نعمــانا لا غــير الله نعمـــاكم ونعمـــانا

وسار في نسيب رقيق مشوب بالرمزية والكناية،إلى أن تخلص إلى المجاملة بمدح الأمير بقوله :

أقسمت بالسحر[1] من حسن البيان وما في الشعر من حكمة من حكم لقمانا
لا بعت جِدي في هزل النسيب ولا صرفـت نظمي في التشبيب مجانـــا
بل في قوافٍ توافي في تجاوزهـــــا بـين الفيــافي عميد المصر (جازانا)

ومضى يسبغ على الأمير فيض من النعُوت،ينوه بحزمه وعلو همته ومكانة أسرته ، وبانتهاء ذلك المقطع ابتدأ المقطع الثاني :

(١) لا يجوز القسم بغير الله . جرى التنبيه .

فيا أمير المعالي وابن بجدتها يا نور بهجتها ، حييت إنسانا
وافى كتابك وهو العقد منتظماً درا نفيساً وياقوتاً ومرجانا

وراح يطنب بإسهاب في وصف قصيدة الأمير وبلاغتها،وأنها حازت صحة المعنى وجودة المبني،وكأنها زهر الروض الذي ألبسه وبل السحاب (ابرادا وتيجانا) .

أما المقطع الذي بعده فابتداؤه بقوله :

ذكرت فعلك بـ (الخبتا) وقد مكروا وأشعلوا بالفساد الأرض نيرانا
وأخذهم إخِذةَ طاروا لها فَرَقَاً إذ قدتها نحوهم رجلا وفرسانا
فإن أطاعوا لكم من بعدها حقنوا دمائهم وكفتهم تلك عنوانا

ويتضح لقارىء قصيدة الملك الجوابية أنها شملت الإجابة على القصيدتين الدالية والنونية،إذ يقول في الختام :

أنت الموالي لنا تقفوا (أخاك) كما (أبوك) أولى (أبانا) ثم والانا
حاشاك من نقض إيمان وجحد اخاء أو أن تبدل بالرحمن شيطانا

* * *

عليك منا سلام (نشره عبق) يزور سوحك ابكاراً واصلانا
يفوح بالمسك والكافور عبقتها يبقى مدى الدهر آباداً وأزمانا

أما القسم الثاني من هذا الباب فهو يتمثل في قصيدتين :

الأولى – وهي قصيدة على لسان الأمير المهدي بن أحمد إلى أمير مكة بركات بن محمد، مهنئاً له بالنصر على بعض المخالفين له،ومعزياً بوفاة ابنه،وراجياً توثيق الصلات السياسية استهلها بقوله :

مالي إذا هب النسيم القبلي مبكراً ، إلا وذبت كلي

وفي هذا المقطع (نسيب) إلى الحجاز وتشوق إلى مرابعه،واستسقاء الغيث لمغانيه .

وكما سبق في هذا النمط ابتدأ المقطع الثاني بالغزل الرمزي،وتلاه بوصف واسطة النقل

في ذلك التاريخ،التي هي المطية التي استقلها الرسول حامل القصيدة،وأنها سريعة كالريح بل كالبرق،أو كانقضاض النجم،وكأن الأمير أمر شاعره بإنشاء القصيدة بعد انتصاره على الخبثاء،وكان مقيماً في مدينة حرض التي كانت تابعة لإمارته في ذلك التاريخ،إذ يقول :

دعها على اسم الله تجتاز الفـــلا　　　من (حرض) إلى (الحجاز) القبـلي

وانتهى من هذا المقطع بياء النداء بقوله :

يا بركـات بن محمــد وياســ　　　ـيد كـل أمـرد وكهــل

ثم أخذ في وصف غزو بركات لقبيلة بني إبراهيم،المخالفين عليه في جهة ينبع،وأنه نهض إليهم بالخيل والرجالة في حملة أتت على آجالهم،وشردت أحد قادتهم (يحيى بن سبع) بعد أن أتت على قومه بالقتل،وأنه نصب مخيمه في ينبع يعفو عن من شاء ويأدب من أراد بعد أن أصبحوا لا مال لهم يعيشون عليه،ولا سكن يأوون إليه،بعد أن قتل كبير قادتهم المسمى (مالك)،ويختم هذا المقطع بتهنئة بركات بهذا النصر،ويعزيه في ابنه نور الدين .

وكأن الأمير أراد مسبقاً أن يشعر – بدوره – بركات بما أحرزه هو نفسه بالنصر على أهل حيران – قبيلة الخبثاء – فابتدأ المقطع الثاني بقوله :

فهـل أتـاك أنني أتيـــت في　　　(الخبثـاء) ما لم يأت والٍ قَبْـلِي

تركتهـم بعد انتهـاء عزهـــم　　　في الهـون ، لما نكثـوا ، والـــذل

إلى آخر المقطع .

واختتم القصيدة باهداء أزكى التحيات،مؤكداً بقاءه على الود وحسن الجوار .

وقد أجاب بركات بقصيدة على الأمير المهدي من نظم الشاعر ابن الريس المكي مطلعها .

إن جئت (سلعا) يا حويدي البـزل　　　فقف وسل عن (بانها والأثـل)

ماضياً في نفس الطريقة الرمزية والكناية الشعرية بالنسيب في عروس الشعر،طالباً من

الرسول إبلاغ سلامه على أهل ذلك الحي،وأوانسه الجميلات في وصف غزلي رشيق يخلب لب القارىء،ويأسر أذن السامع .

وعلى نفس الطريقة السالفة،أخذ يصف القلوص التي امتطاها الرسول،وأنها كالظليم نفورا وكالشهاب مضاءً ، موصيـاً إياه أنه إن وصل جازان ثم وادي حرض،الذي كان مقيماً فيه الأمير،أن يبلغ الرسالة التي يحملها ، ثم أخذ يصف الأمير ويشبهه بالضيغم ومنوهاً بمقامه ومكانته ، شاكراً لما تضمنته القصيدة ، واصفاً لبلاغتها ، وبأنها الدر النفيس الغالي ، وأنها اشتملت على التغزل البديع والمدح الرفيع،شاكراً على تعزيته له ، وأخذ في المقطع الذي يلي الأول بقوله :

وقـد ذكرت ما ذكرت آنفـاً ... من اتصـال حبلكـم بحبـلي

فمرحبـا ، أهـلا وسهـلا بك يا ... قرة عـين الدهـر بـل والأهـل

وراح يبادله العواطف والمجاملات التمهيدية،إلى أن قال في المقطع الذي تلاه :

وقـد ذكـرت « مالكـا » وقومـه ... ثم (بني إبراهيم) أهـل الغـل

ثم يصف القوم بالبغي والفتنة والجهل،وأنهم ثاروا لأخذ ثأرهم فيما مضى على علمهم بمضاء عزيمته،وأنه لا يضيع فرصة ولا يترك (ذحل)،ويعدد من قتل منهم،ويختم القصيدة بقوله :

وها جـوابي قد أتـاك عاجـلاً ... يزهـو على نظـم (الصفي الحـلّي)

وهاكها بكـراً عروسـاً تجتـلي ... أنـت لهـا كفـوا وخـير بعـل

واهنـأ بمـا قد نلتـه من ظفـر ... على (أولي الخبثاء) بعـد البـذل

وبعد هذه الدراسة الموجزة نورد القصائد حسب ترتيبها بهذا :

❊ ❊ ❊

الشاعر الجراح بن شاجر الذروي
يخاطب الملك عامر بن عبد الوهاب
على لسان الأمير المهدي بن أحمد القطبي

إن صدقت لي منكم الوعود أخضر مني ورق وعود

وإن سمحتم لي بالوصل ولو طرفة عين أنني سعيد

أنا الذي شوقي مقيم مقعد إليكم ، وأدمعي شهود

إن خفق البرق اليماني همت في وجنتي - أوحنت الرعود

وكلما هب النسيم في الضحى طفقت لا أبدي ولا أعيد

فليت شعري هل لكم من عطفة على محب قلبه عميد

أبلى الفراق والنوى جدته وشوقه ووجده جديد

* * *

حملتموني فوق ما أطيقه عمدا ، وقلتم أنني جليد

أما علمتم أن ثقل حمله يذوب منه الصخر والحديد

بحقكم إذا رضيتم تلفي فاكثروا من تلفي وزيدوا

* * *

سقيا لأيام مضت بقربكم على (زرود) حبذا (زرود)

أيام والشمل بكم مجتمع ولا جفاء لي ولا صدود

كم قلت - والقلب يذوب حرقة ليت ليالي (رامةٍ) تعود

وغادة تبسم عما نظمت من جوهر جمانه نضيد

رشيقة القد ثقيل ردفها للظبي منها ناظر وجيد

النار والجنة في خدودها والآس والتفاح والورود

كأنها والحلي في لبتها بدر لها شهب السما عقود

* * *

أما وأيدي العيس وهي في الفلا — لها بأرباب الرجا وخيد
أخفافها أسبق من أعناقها — فما عليها مطلب بعيد
لتسرّين والرجا يسوقها — شوقا ، وجود (عامر) يقود
من (درب[1] جازان) إلى (المقرانة)[2] — الغراء ، حيث المفخر المشيد
وحيث بنيان القصور شامخ — والملك والسؤدد والأسود
وحيث أعلام العلى خافقة — بالنصر والعسكر والجنود

* * *

حينئذ نادى المنادي مرحبا — بكم وأهلا أيها الوفود
لقد وردتم إذ نزلتم منهلا — يعذب فيه لكم الورود
فاستبشروا بالسؤل من خليفة — ينال راجيه الذي يريد
أغر جحجاح أشم أصيد — أنجبه شم الأنوف صيد
ملك لمن في الخافقين ملك — يجبى إليه السهل والنجود
إن بني (طاهر) سادات الورى — وكل حي غيرهم مسود
فهم شموس والملوك أنجم — وسادة كل لهم عبيد
يا أيها الركب الذي تحمله — ركائب كالهضبات قود
سِرْهَا على اسم الله نحو سوحه — تشملك النعماء والسعود
وقبل الأقدام منه واستلم — بساطه ، تحظى بما تريد
وقل له والدمع منك سافح — قد خددت من فيضه الخدود
أهل علمت أن طود مجدنا — طحطحه بطش القضا الجديد
وأن مولانا (العزيز يوسفا)[3] — فارق ، وهو العلم الفريد

---

(١) « درب جازان » ويسمى « جازان الأعلى » و « الدرب » و « درب النجا » ، ولا تزال أطلال تلك المدينة التاريخية في طرف « الحرة » شرق قرية « حاكمة » - راجع كتابنا - « الجراح بن شاجر » ص ١٤١ وما بعدها .

(٢) المقرانة : كانت عاصمة الدولة الطاهرية في اليمن الأعلى شمال بلدة « جبن » وجنوب غرب مدينة رداع .

(٣) الأمير يوسف العزيز بن أحمد بن دريب تولى إمارة جازان - كما يظهر من القصيدة - فترة يسيرة من الوقت،مع أن المصادر التي تحت يدنا لم تذكر أسمه ضمن أسرته ، فصاحب العقيق اليماني - مخطوط - يقول : « أعلم أن ←

وعـــم أهـل الخافقــين رزأه ... وكــادت الأرض بنـــا تميـــد

....

ودانـــت (البــلاد) لي من عن يد وأســعدت بســـعدك الجـــدود

معتقـداً منــك رضــاك والوفــا بالعهـــد ، والله بـذا شهيـــد

فقـــم إليَّ واكفـــني ما هَمَّـــني حـتى يمـوت الباغـض الحســود

فإنـني منتظـــر لنظــــرة يهـدي إليهــا رأيـك الســديد

وليس في وهـــن - إذا شـئت ولا للغـير ، إن أهملتهــم جهـــود

* * *

أنت لنـا فيمـن فقدنـا عــــوض فمـا نبــالي ، إن مضـى فقيـــد

وكســـرنا بســـعدكم منجـــبر وحالنــا فيـه بكـــم يزيــــد

لكـــم علينـــا نعـــم ســـابغة بهـا يقـر اللحـم والجــــلود

....

....

....

....

لا زلـــت في الملك العظـيم خالـــداً ما سـبحت في الســـحب الرعــود

(*) مدة ولاية آل قطب الدين مائة سنة وأربعون سنة صافية،ثم تزلزلت بأيام الأمير عامر أربع سنين ، وأولهم الأمير خالد بن قطب الدين ثم ابنه دريب بن خالد ثم ابنه أحمد بن دريب وكان عالماً عادلاً حليماً ، ثم ابنه المهدي بن أحمد وكان مشهوراً بالكرم ، وكان أديباً فصيحاً مدحه أكثر الشعراء منهم الجراح بن شاجرٌ الذروي ، له ديوان مشهور متداول بأيدي الناس ، ومنهم الفقيه محمد الهبي الصعدي ... الخ .

ومن ذلك يتضح أن صاحب العقيق لم يذكر اسم يوسف العزيز بن أحمد بن دريب ، وإذا رجعنا إلى كتاب الذهب المسبوك - مخطوط - نجده يورد اسمه ضمن امراء القطبة على الترتيب الآتي :

خالد بن قطب الدين - دريب بن خالد - أحمد بن دريب - يوسف العزيز بن أحمد - المهدي بن أحمد - عز الدين بن أحمد - محمد بن يحيى - أحمد بن المهدي - عامر بن يوسف العزيز .

وإنما يظهر أن مدة يوسف العزيز كانت قصيرة،وأيام ولايته مضطربة ومما يؤيد ذلك قول الشاعر الجراح بن شاجر في قصيدته الهائية،التي منها قوله : (*)

الشاعر الجراح بن شاجر الذروي
يخاطب الملك عامر بن عبد الوهاب
على لسان الأمير المهدي بن أحمد
ويذكر غزوه لأهل (البداح)

إن بـان من نحن نهـواه ويهوانـا   فـودّه المحض في الأكبـاد ما بانـا[1]
وإن يغب وجهه عنـا ومنزلـه   فإن منزله المأنـوس أحشـانا
وإن فقدنـا جمـالاً منـه أبهجنـا   فمـا فقدنـا جميـلا منـه أعلانـا
وأن نسـينا - وحاشـاه - لغيبتنـا   فمـا نسـينا لـه فضـلا واحسـانا

* * *

يـا سـاكني (اليمن) الأقصـى وجيرتـه   ومن سـقوني كؤوس الحـب ملآنـا
إن نمـتم وسـلوتم بعد فرقتنـا   ما نمـت عنـكم ولا استشعرت سلوانا
وإن ظننـتم بأني خنـت عهدكـم   يومـاً ، فقولوا معا لا كان من خانـا
وحـق عيش مضـى بالأمس لي ولكـم   أيـام كنـا بذاك الربع جيرانـا
ما خنت عهداً ولا حاولت مصطـبرا   عنكم ، ولم أستطب أهلا وأوطـانا
وإنني كلمـا غنـت مطوقـة   وصافحت نسمات الريح أغصـانا
أحن شـوقا وأبكي كـل آونـة   دما وَدمْعَـا على الخـدين هتانـا

* * *

رحـم الله أحمـد بن دريـب   وسقى صيب الغمـام ضريحه
الذي يوم دفنه دفـن الـ   ـجود ، وحلت بالمجد والفضل صيحه
وحـذا حذوه العزيـز ولكـن   عوقتـه المقـادر المستبيحـه

راجع التحقيقات عنه في ص ١٠٠ من كتابنا « الجراح بن شاجر » وراجع تاريخ تلك الإمارة في كتابنا المخلاف السليماني في الطبعة الثالثة .

(١) في الاستهلال نفحة من أريج نونية ابن زيدون المشهورة .

وظبيـــة تقنـص الآســـاد جادلـــة ... أضحـى بهـا قلبي المعمـود ولهـانا
ريَّـا المخلخل ظمياء الموشـح لـم ... أزل إلى ورد فيهـا العـذب ظمآنـا ؟
بيـض ترائبهـا سـود ذوائبهـا ... زج حواجبهـا دعجـاء أجفانـا
كأنهـا غصـن بان في كثيب نقـا ... هفـا وأثمـر تفاحـا ورمانـا
أقـول يوماً لها والنفـس في قلـق ... والقـلب في حرق قد ذاب أحزانـا
صـلي فديتـك صبا هائما دنفـا ... متيما كلفـا حـران حيرانـا
فاسـتضحكت ثم قالت لا سبيل إلى ... وصـلي ، ولو مت أشواقا وأشجـانا
أما ونظـم القـوافي وهـي محكمـة ... كالـدر فُصِّـل ياقوتا ومرجـانا
لا راق في غير مولانـا وسـيدنـا ... ونعـم سـيدنا - حقـاً - ومولانـا
الظافـر الملك المحمـود سـيرته ... من شـاد للشـرف العلـوي بنيـانا
بحـر يفيـض لراجيـه غواربـه ... خيـلا وعيسـاً وملبوسـاً وعقيـانا
أشـم مازال مـذ نيطـت تمائمـه ... في السلم والحرب مطعاماً ومطعـانا
يلقى صـدور العـوالي والقناقصـد ... والوفد-في السنة الشهباء - جذلانا

* * *

وأنت يا راكب الوجنـاء ناجيـة ... تطـوي المهامـه غيطـانا وغيطانـا
دعهـا تجوب الفيافي والفدافد من ... « جازان » جاد الحيا الوسمي جازانا
إلى صـلاح الهدى والدين من ملئـت ... به الأقـاليم إسـلاماً وإيمـانـا
القـائم الملك الوافي الذمـام ومـن ... أضحـى إماما لنا - حقا وسلطـانا
....

* * *

يا عـامر الدين والدنيـا وساكنهـا ... هبـني لبيتك ، يا بن الشم سلمانـا
وهل أتـاك مع الركبان ما فعـل « الـ ... ـخبثاء »[1] وما تم لي فيها وما كانـا

---

(١) الخبثاء : قبيلة تنسب إلى « يخبث بن قادم بن عبد الله بن حديق بن شاخذ بن حجور »، راجع كتاب الاكليل جـ١ ص ١٠٧ وموطنهم حالياً ما يسمى بلاد بني حسن جنوب وادي حيران بالحاء المهملة وقريتهم تسمى « البداح » **تقع في** جنوب وادي حيران **في الحزن** .

لما بغـوا واعتدوا جهـلا وما برحـت زيادة البغي والعـدوان نقصـانا

أعملت (رأيك) في تشتيت شملهم وكنت حزما صليب الرأي يقظانا

فقدتها نحوهم شعواء فانتشرت على منازلهم رجلا وفرسانا

طاروا قلوبا وفروا حين أقبلهم جندي ، ولم يتخلف غير من خانا

ولم أدع أهل (حيران) بلا تعب إذ أدخلوا القوة الحمراء (حيرانا)

غاروا من الخور فاعلم « والبداح » كما أضحوا لها أهل تلك الأرض خزانا

مني عليك سلام الله ربك ما أغنيت وفدا وما أكرمت ضيفانا

....

....

....

* * *

....

....

....

....

....

....

....

....

جواب الملك الطاهري
على أمير جازان

يا ساكنين الحمى من سفح نعمانا ... لا غير الله نعماكم ونعمانا [1]

نزحتم فربانا - اليوم - موحشة ... منكم وقد كنتم انسا لمغنانا

لا تحسبونا - وان شطت دياركم ... نلقي المودة اعراضا ونسيانا

ولا تظنوا مطاياكم بكم رحلت ... وإنما رحلت عنا بسلوانا

لو تعلموا ما جرى يوم ارتمت بكم ... رواحل البين ليت البين ما كانا [2]

ما ان سرت نسمة من نحو أرضكم ... إلا وناجتْ من الأشواق أشجانا

ولا سرى البارق القبلي معترضا ... إلا وسح سحاب العين شنانا [3]

فو المطايا تجوب الدوَّ معنقة ... كأن منها على البيداء ظلمانا [4]

إنا لنسأل عنكم كل منتجع ... من كل من جهات الشام [5] وافانا

لا أوحش الله منكم يا أحبتنا ... ولا عدمنا (ولاكم) يا خلانا

سقى [6] الغمام رباكم - غير مفسدها ... بكل منهمر للودق هتانا

* * *

وأنت يا ربة الخال التي عقلت ... عقول أهل الهوى بغيا وعدوانا

يا غصن بان تثنى في كثيب نقا ... يقل بدرا كساه الليل فينانا

يا ظبية خطرت تعطو بسالفة ... تلعا ، وترنو بساهي الطرف نعسانا

أخجلت غصن النقا عطفا ورملته ... ردفا ، وظبيته طرفا وأجفانا

هل أنت يا فتنة العشاق من بشر ... أم أنت حورية من حور رضوانا

---

(١) هكذا في الأصل . (٢) هكذا في الأصل .

(٣) شنان : الشن « القربة الخلقة - البالية - » واستعمل هنا مجازا استعارة للسحاب . فجعل السحاب المنهمر بالمطر كالقربة البالية التي ترشح بالماء . (٤) الظليم : ذكر النعام .

(٥) يقصد بـ « الشام » المخلاف السليماني - منطقة جازان .

(٦) مأخوذ معنى ومبنى من البيت المشهور من شواهد البيان :

وسقى ديارك غير مفسدها ... صوب الغمام وديمة تهمي

سبحان من جمعت ضدين قدرتُه ... في روض خديك أمواها ونيرانا

لا تسرفي واتقي ربا جعل لك في ... أولي الهوى من جنود العشق سلطانا

الله أودع فيك الحسن أجمعه ... هلا جمعت إلى ذي الحسن احسانا

أقسمت بالسحر[1] من حسن البيان وما ... في الشعر من حكمة من حكم لقمانا

لا بعت جدى في هزل النسيب ولا ... صرفت نظمي في التشبيب مجانا

بل في قوافٍ توافي في تجاوزها ... بيد الفيافي عبيد المصر (جازانا)

خرق مكارمه في الخلق ظاهرة ... كالشمس في الأفق لا تحتاج برهانا

المفرد العلم (المهدي) من شهدت ... له الأنام بصدق العزم اعلانا

حاز المعالي بحزم مثل صارمه ... وهمة علت (الشعرى) و (كيوانا)[2]

* * *

لأنت قطب بني (القطب) الأولى رجحت ... وزنا وعزوا فعزوا الخصم سلطانا

صيد جحاجحةٌ غلب غطارفة ... أسد قساورة في الحرب شجعانا

إذا ترامت بهم جرد مطهمة ... رأيت منهن تحت الأسد عقبانا ؟

خضر المرابع غر الدهم حمر ظبا ... شهب الأسنه لدن السمر بيضانا

* * *

فيا أمير المعالي وابن بجدتها ... يا نور بهجتها ، حييت انسانا

وافى كتابك وهو العقد منتظما ... درا نفيسا وياقوتا ومرجانا

وحاز مع صحة المعنى وجودته ... لفظا بديعا وتهذيبا واتقانا

كأنما هو زهر الروض ألبسه ... وبل السحائب أبرادا وتيجانا

أهدى إلى القلب أنواع السرور كما ... أهدى إلى ناظر العينين بستانا

وكلما قد قُري ملنا له طربا ... كأنما من دنان الراح أدنانا

---

(١) لا يجوز القسم بغير الله سبحانه وتعالى .

(٢) الشِّعْرَى : كَوكب معروف ، وهُما شِعْرَيانِ : العَبُورُ والغُمَيْصاءُ . تَزْعُم العَرَب أنَّهما أختا سُهَيْل « مختار الصحاح » . وكيوانا هو النجم المعروف بـ « زحل »

ذكرت فعلك بـ (الخبثاء) وقد مكروا   واشعلوا بالفساد الأرض نيرانـــا
وأخذهم أخذة طاروا لها فرقـــا   إذ قدتهـا نحوهـم رجلا وفرسانـا
فإن أطاعـوا لكم من بعدها حقنـوا   دماءهـم وكفتهـم تلك عنوانــــا
أو لم يطيعوا فاقصدهم بذي لجـــب   كالطـود ثقلاً وأقطارا وأركانـــا

....

وأهل (حيران) لا تسمح لهم أبدا   أن يدخلوا القوة الحمراء (حيرانا)
فأشـدد على كل من يقصد مخالفـة   إذا تحققتـه ، لو كـان من كانـــا
وكن وثوقـاً بوافي شـكرنا وبـأن   تنـال منا مجـازاة واحســـانا
هـذا وإنا كما كنت تعهـــــده   فارقـب زيادتنـا لا تخـش نقصانا
فما استمعنا لمن قد نم أو مانــــا   أو التفتنـــا إلى من قال بهتـــانـا

* * *

أنت الموالي لنا تقفو (أخاك) كما   (أبوك) أولى (أبانا) ثم والانـــا
حاشـاك من نقض إيمان وجحـد أخ   أو أن تبـدل بالرحمــن شـيطانا

* * *

عليك منا سلام (نشـره عبـق)   يـزور سـوحك ابكاراً واصـــلانا
يفـوح بالمسـك والكافـور عبقتهـا   يبقى مدى الدهر آبادا وأزمـانا

قول الجراح بن شاجر الذروي
على لسان أمير جازان
إلى أمير مكة المكرمة بركات

مالي إذا هبّ النسيم القبلي ... مبكراً ، إلا وذبت كلي
ولا سرى من (الحجاز) بارق ... يخفق إلا وسرى بعقلي
ولا شدا البلبل إلا وبكت ... عيني بدمع ودم منهل
يا أيها الراكب بمن سن الهوى ... قل لي ماذا بالفريق قل لي
هل ضربت بالمنحنى خيامه ... بين أراك وغضا وأثل
وهل سقى الغيث مراعي عيسه ... وجادها كل غزير الوبل
وهل درى بأنني ما لذ لي ... نومي وشربي بعده وأكلي

* * *

ومال (جُمل) هجرت وكنت في ... ما قد مضى قرة عين جُمل ؟
فديتها من ظبية جادلة ... عيونها كحل بغير كحل
تلك التي علقتها صبابة ... وصار فني حبها وشغلي
فلي حنين (السَّقب) وهو مفرد ... شوقاً إليها وبكاء الطفل

* * *

وأنت يا راكبها (عيدية) ... تفري بها هام الفلا وتفلي
شِمِلة كالريح أو كالبرق أو كالنـ ... ـجم أو كالسهم ، تحت الرحل
دعها على اسم الله تجتاز الفلا ... من (حرض) إلى (الحجاز) القبلي
حتى توافي (بركات) المنتقى ... من حسن صفوة خير نسل
أعني صديقي وأخي من فرعه ... وأصله فرعي الزكي وأصلي
أشم من قبل الفطام لم يزل ... يرفع بنيان العلى ويعلي

* * *

يا بركات بن محمد ويا سـ ... ـيد كل أمرد وكهل
أخذت بالذحل الدفين ضعفه ... لله أنت آخذ بالذحل
وقدتها خيلا ورجلا قطعت ... آجال خيل للعدا ورجل
وشردت (يحيى بن سبع) بعد ما ... أفنت وأردت قومه بالقتل
ولم يزل في ينبع مخيما ... يمزج عفواً بعنيف كلي
أضحوا ولا مال يعيشون به ... بلا رحال وبلا محل
ومالكا أهديته (لمالك) ... فصاح من قيد لظى والغل
فليهنك الفتح المبين يا أبا ... عجلان والنصر ....[1]
ويجبر الله تعالى الكسر في ... نسلك (نور الدين) خير نسل

* * *

هذا وإني لم أزل محافظاً ... على اتصال حبلكم بحبلي
ولي صفاء ووفاء ظاهر ... يكتبه أولو الحجى وتملي

* * *

فهل أتاك أنني أتيت في ... (الخبثاء) ما لم يأت والٍ قبلي
تركتهم بعد انتهاء عزهم ... في الهون ، لمَّا نكثوا والذل
ونلت منهم - كالذي نلت - ولم ... أدع لهم شيئاً ولم أخل
فأصبحوا لي بعدها رعية ... أعزل فيهم مثل ما أولِّي

* * *

أزكى السلام والتحيات على ... وجهك ما غنى حويدي الإبل
واعلم بأني يا أبا محمد ... باق على ذاك الوداد الأصل
لا زلت غيثا للأنام هاطلا ... يخصب منه كل قطر محل ؟

(١) كلمتان غير مفهومتان في الأصل ، وضعنا محلهما «..........» . جرى التنبيه .

جواب أمير مكة بركات بن محمد
على أمير جازان من نظـــم ابن الريــــس

إن جئت (سلعا) يا حويدي الــبزل ... فقـف وسل عن (بانها) و (الأثل)
وانشـد فؤاداً مغرماً قد ضاع فـي ... حي (سعاد) ومغــاني (جُمــل)
ولا تحل عن ربة الخـال الــتي ... ليـس لهـا في حسـنها من مثــل
فالله رب العــرش قـد فضلهـــا ... وكـم لهـا من شـرف وفضـــل
إني مـع القــرب بهـــا متـــيم ... جعـلت دأبي حبهـــا وشــغلي

* * *

وأقر سلامي عرب ذياك اللـوى ... فإنهــم قصــدي وكـل كلــي
حلَّوا بوادي المنحـنى من أضلعـي ... وفي هــواهـم قـد حـلى ليّ قتــلي
وانزل بجنب الخيــف من وادي منى ... ولا تحـل عن خيفهـا والظــل
فكـم بهـا من غانيـــات خـــرد ... أخـــذن روحـــي وسـلبن عقــلي
مهفهفـــات نورهـــن ســـاطع ... تِهْـنَ بظـرف وبحسـن شـــكل
من كـل رعنــاء كـأن قدهـــا ... غصـن علا فـوق كثيـب رمــل
بعينهـا كحـل يـرى مدعـــج ... تخـاله ، ومـا بهـا من كحــل
كأنهـا البـدر إذا مـا أســفرت ... تســبي البرايـا بالعيـون النجــل
من خدهـا الـورد الجـني يجتــنى ... من لي بـذاك المجتــنى ، ومـن لـي

* * *

يـا راحـلا على (قلوص) ضامـر ... تطوي الفلا بالهجل بعد الهجـــل
كأنـه فـوق (ظليــم) نافـــر ... أو كشهــاب ثاقـب في الرمـــل
يهــوى المسير في الهجـير طبعـــه ... كمرجــل على اللظــى يغــلي ؟
إن جئت (جازان) ووادي حــرض ... عــرج عـلى مالكهـــا الأجــل
أميرها (المهدي) نجـل (أحمــد) ... خــير إمــام وأجــل نجـــل

ضيغم حرب في المجال ان يجل ... وإن يقل قال بقول فصل
نائي المدى مردي العدا بحر الندا ... عم البرايا بالنوال الجزل

* * *

أهديت لي درا نفيسا غاليا ... وعاليا في نظمه مستعلي
أهديت في أوله تغزلا ... نسجته نسجا رقيق الغزل
ثم أتيت بعده بمدحة ... أطنبت فيها بالثناء الكلي
هنيت فيها ثم عزيت بمن ... مضى إلى خالقه مولي
فنعم ذاك النسل كان حاتما ... في جوده وفي التقى كالشبل

* * *

وقد ذكرت ما ذكرت آنفا ... من اتصال حبلكم بحبلي
فمرحبا ، أهلا وسهلا بك يا ... قرة عين الدهر بل والأهل
مني لك الود الذي لا ينثني ... طول المدى بالقول ثم الفعل
وإن ترد خيلي ورجلي سرعة ... جئت بخيلي مسرعا ورجلي

* * *

وقد ذكرت (مالكا) وقومه ... ثم (بني إبراهيم) أهل الغل
أولئك القوم الذين افتنوا ... وأمعنوا في الغي ثم الجهل
ثاروا لأخذ الثأر فيما قد مضى ... وعقلهم عن الهدى في عقل
مع علمهم أني لست راجعا ... عنهم ، واني لا يضيع ذحلي
إن ينكروا ما قد مضى لي معهم ... وما أذيقوا من أليم القتل
فليسألوا السيوف عن قتلاهم ... فالسيف أزكى شاهد وعدل
ومالك صار إلى سميه ... ونسلهم أقبح بهم من نسل
وصنوه (مشهول) وسخله ... (بازان) ذاك العم سرسخلي ؟

* * *

وها جوابي قد أتاك عاجلا ... يزهو على نظم (الصفي الحلي)

وهاكهـا بكـرا عروسـا تجتـلي أنـت لهـا كفـوا وخـير بعـل
واهنـأ بمـا قد نلتـه من ظفـر على (أولي الخبثـاء) بعـد البـذل

* * *

المصـدر :
- ملحق مخطوطة ديوان الجراح بن شاجر .
- مخطوطة الجواهر اللطاف .



شعر الوصف
والاستغاثة والتضرع

شعر الوصف والإستغاثة والتضرع

لهذا الباب مجال في القرن العاشر،وهو من الأبواب الموجودة في الشعر العربي،ووجوده في شعر القرن العاشر في أدب المخلاف السليماني يعطينا صورة لأدب المخلاف في ذلك القرن،ومن أشهر من طرقه :

١ - الشيخ محمد بن علي بن عمر،المتوفى سنة ٩٩٠هـ .

٢ - محمد بن الحسن بن عبد الرحمن النعمي الحسني،المتوفى سنة ٩٩٩هـ .

الشيخ العلامة محمد بن علي بن عمر الضمدي
المتوفى سنة ٩٩٠هـ[١]

إن مسنا الضر أو ضاقت بنا الحيل	فلن يخيب لنا في ربنا أمل
وإن أناخت بنا البلوى فإن لنا	ربا يحولها عنا فتنتقل
الله في كل خطب حسبنا وكفى	إليه نرفعُ شكوانا ونبتهل
من ذا نلوذ به في كشف كربتنا	ومن عليه سوى الرحمن نتكل

---

(١) من أسرة اشتهرت بالعلم والصلاح والتقوى تعرف باسم (آل عمر)،من قبل القرن التاسع الهجري إلى العقد السادس - تقريباً - من القرن الرابع عشر،وآخر شخصية منهم تولت القضاء في العهد السعودي،هو القاضي محمد بن علي الضمدي المتوفى في سنة ١٣٥٥ هـ .

وجاء في حوادث سنة ٩٢٢ في كتاب العقيق اليماني - مخطوط - : (وفيها توفى الفقيه سراج الدين عمر بن محمد بن يوسف المعلم ، وهو جد الفقيه العلامة محمد بن علي بن عمر،ونعت بالصلاح والتقوى ، وأن قبره معروف بقرية (خضيرة) أسفل وادي نخيلان،وبينها وبين هجرة ضمد نحو ثلاث أميال في ناحية الغرب) .

وجاء في المصدر نفسه في حوادث سنة ٩٩٠ هـ - والمخلاف السليماني تحت التبعية العثمانية يحكمه مدير تركي اسمه الأغا طاشفين-:(وفيها توفى الشيخ العلامة محمد بن علي بن عمر الضمدي . نشأ في حجر والديه الصالحين وحفظ القرآن ، ومبادىء الفقه ، في بلدة ضمد ، ثم رحل إلى صعدة لطلب العلم،فقرأ على الشيخ محمد بن يحيى بهران الصعدي مدة مديدة،ثم انتقل في سنة ٩٥٩ هـ إلى اليمن الأعلى ودخل صنعا،فلازم الإمام شرف الدين وكان من خواصه ، فلما عاد الإمام أحمد بن عز الدين إلى إحياء دعوته شايعه الشيخ محمد بن علي بن عمر،فأرسله داعية له إلى بلاد (عذر و الأهنُوم) وقبض له الواجبات ، ثم ترك ذلك وعاد إلى وطنه) .

توجهه إلى مكة

عاد علامتنا الشيخ محمد بن علي بن عمر إلى وطنه وتفرغ للتدريس والوعظ فترة . ثم توجه إلى مكة المكرمة وانضم إلى جلساء شريف مكة أبي نمي بن بركات وولده الحسن فكان من خاصته المقربين وجلسائهما الملازمين ، وظل يقيم لديهما أكثر أيام السنة،ويقضي بقيتها في وطنه بلدة ضمد .

ومن مساعي هذا الشيخ الحميدة ومكانته لدى أبي نمي شريف مكة،رجاؤه من أبي نمي استرحام السلطان العثماني،باعفاء أهالي ضمد من الواجبات الحكومية،لما نالهم من جور الأتراك في المنطقة،فصدرت الموافقة السلطانية لشريف مكة لبعث الأمر إلى باشة اليمن محمود باشا،وزاد الباشا في مضمون الأمر مشمول العفو لأهل أودية بيش (ووساع) و (رملان) و (عتود) و(الشقيق) .

وكيف يرجى سوى الرحمن من أحد وفي حياض نداه النهل والعلل
لا يرتجى الخير إلا من لديه ولا بغيره يتوق الحادث الجلل
خزاين الله تغني كل مفتقر وفي يد الله للسؤال ما سألوا
وسائل الله مازالت مسائله مقبولة مالها من دونها ملل
فافزع إلى الله وأقرع باب رحمته فهو الرجاء لمن أعيت به الحيل
واحسن الظن في مولاك وأرض بما أولاك ينحط عنك البؤس والوجل
وإن أصابك عسرٌ فانتظر فرجا فالعسر باليسر مقرون ومتصل
وانظر إلى قوله ادعوني استجب لكم فذاك قول صحيح ما له بدل
كم أنقذ الله مضطراً برحمته وكم أنال ذوي الآمال ما أملوا
يا مالك الملك فادفع ما ألم بنا فما لنا بتولي دفعه قبل
ضاق الخناق فنفس ضيقه عجلا عنا فأنفع شيء عندنا العجل
وحل عقدة محل حلَّ ساحتنا بضره عمت الأمصار والحلل
وقطعت منه أرحامٌ لشدته فما لها اليوم غير الله من يصل
وأهمل الخِلّ فيه حق صاحبه الأدنا[1] وضاقت على كلٍّ به السبل

ويقول صاحب العقيق اليماني : (كان الفقيه الشيخ محمد علي بن عمر غاية في علوم الدين إماماً محققاً ، وله الشعر الفائق ، والنثر الرائق وخط جميل ، كما أن له في الإنشاء اليد الطولى،وكان فيه من حسن الأخلاق مالا تسعه الأوراق ، وفيه من السخاء مالا يوجد في غيره) .

وجاء في حوادث سنة ٨٨٧ هـ:(وفيها أو في التي قبلها أو بعدها حجر الشيخ العلامة محمد بن علي بن عمر أرض (قرعاء) و (نخيلان)،ولم يعش بعد أن أوقع الحجر إلا أياماً يسيرة،واختلف الناس بعده في سبب الحجر فقيل : إنه لكبر سنه وطول عمره يعلم أن لهذه الأرض ملاكا قد التبسوا وتفرقوا في البلدان،بسبب القحط أيام سني أم العظام[1] ؛ وموت الناس في ذلك العصر،وقيل إنما حجرها لتعلق حقوق أهل قرى ضمد الأسفل بالوادي والمحتطب والمرعى،وقيل غير ذلك،وفي مجاعة أم العظام ، واشتداد الغلاء وانعدام الطعام ، وتعاظم الخطب ، حث الناس عالم المنطقة الشيخ محمد بن عمر على الاستغاثة والاستغفار والتضرع إلى الله في كشف البلاء وانقشاع المحنة وجلاء الغمة،وخرج بهم إلى الصحراء لصلاة الاستسقاء،وبعد الصلاة والخطبة والدعاء والابتهال والاستغفار والرجاء أنشد القصيدة المذكورة قبله،فأسبغ الله عليهم رحمته وسقاهم الغيث المدرار .

وإذا كان لم يحفظ لنا التاريخ الخطبة فقد حفظ القصيدة التي سبق إيرادها .

(١) الأدنا : الصواب « الأدنى » .

(١) سنة أم العظام سنة مجاعة مشهورة في المخلاف السليماني،وكانت تجتاح جنوب الجزيرة عامة والمخلاف السليماني =

فرب طفـل وشيخ عاجز هـرم	أمسـت مدامعـه في الخد تنهمـل
وبات يرعا[1] نجوم الليـل في قلـق	وقلبـه فيـه نـار الجـوع تشـتعل
أمسى يعـج من البـلوى إليـك	ومـن أحواله عنـدك التفصيل والجمل
فأنت أكرم من يدعى وأرحـم مـن	يرجى وأمـرك فيمـن شئت ممتثـل
فلا مـلاذاً ولا ملجـأ سـواك ولا	إلا إليك لحـي منـك مرتحـل
واشـمل عبادك بالخـيرات إنهـم	على الضرورة والشكوى قد اشتملوا
واسـق البلاد بغيـث مـبلّ غـدق	مبـارك حجـن مزنـه هطـل
سـح عمـيم ملء القطـر منبعـق	لرعـده في حـوافي سـحبه زجـل
تكسـى به الأرض أثوابـا منمنمـة	بـه تعـود لهـا أحوالهـا الأول

(١) يرعا : الصواب « يرعى » وقد أوردناه هو وماقبله كما ورد في الأصل .

= خاصة ، ويحسن للذكرى والاعتبار أن نورد المجاعات التي اجتاحت المخلاف السليماني،اعتماداً على ما ورد في كتاب العقيق اليماني،وبالطبع أنه لم يذكر ما قبل القرن العاشر الهجري،وإلا فقد يكون هناك أفظع مما سنورده .

جاء في المصدر نفسه في ص ١٥٠ في حوادث سنة ٩١٧ هـ :(حصل الغلاء المفرط والأزمة الشديدة على أهل المخلاف السليماني،وهذه السنة تسمى (السحبة القديمة) وامتدت هذه الشدة إلى سنة ٩٢٥،وهلك من شدة الجوع عالم لا يحصى،مات من أهل (القاع) مائة نفس ومن أهل القصرة أكثر من ذلك وفي وادي جازان وضمد لم يبق إلا ٣٪ وأكثرهم تفرق في البلدان،وأما (الراجنية) و (الملحا) و (صبيا) فمات منهم عالم لا يحصى،ومن يومئذ خربت الراجنية وكانت قرية كبيرة – ونقدر أن الراجنية في جهة الملحا .

وجاء في حوادث عام٩٧٣هـ:(وفيها حصل غلاءعظيم عم السهل والجبل،لاسيما المخلاف السليماني،حتى كادت عقود شعائر الإسلام أن تنخرم،وأركانه أن تهد وتنهدم،وجلت الناس عن أوطانهم،وفنيت النفوس،فضلاً عن الدواب،وتشهر هذه السنة بأم العظام لأن الفقراء كان يحرقون العظام ويأكلونها ، وخرجت المخدرات من بنات الناس يسألون في الأسواق ويقلون الدم ويأكلونه ، وانقطعت السبل والقوافل،وبلغت الكيلة من الطعام بمدينة أبي عريش بمائة واحدى عشر عدنياً وزبيدياً ، وضرب بتلك السنة الأمثال وتعطلت من الأيادي المأكولات والنفائس والأموال،وأكلت الميتات والدماء والعظام والأطفال،ودامت تلك الشدة إلى انسلاخ سنة ٩٧٧ هـ) .

وجاء في حوادث سنة ١٠٣٦هـ:(وفيها اشتدت الأزمة والقحط،وكثر الجراد ومات من كل قرية مالا يحصى ومن الناس مالا يدفن،ولعل الهالك قريب من ثلث الناس أو النصف،وشهرت هذه السنة بسحبة .

هذا قليل من كثير ، نورده للحقيقة والتاريخ والعبرة والاعتبار والمقارنة بين الماضي والحاضر .

ويصبح الروض مخضراً ومبتسماً ... من النبات عليه الوشي والحلل
وتخصب الأرض من شام إلى يمن ... به وتحيى سهول الأرض والجبل
يارب عطفا فإن المسلمين معا ... مما يقاسون في أكبادهم شعل
وقد شكوا كل ما لاقوه من ضرر ... إليك يا مالك الأملاك وابتهلوا
فلا يردك من تحصيل ما طلبوا ... عجز لذاك ولا فقر ولا بخل
يارب وانصر جنود المسلمين على ... أعدائهم واعنهم حيثما نزلوا
وقل جد .... غدا ... يدنى الرفيع ويستعلى به السفل ؟
يارب اغفر ذنوبي كلها كرما ... فإنني اليوم منها خائف وجل
واغفر لأهل ودادي كلما كسبوا ... وحط عنهم من الأوزار ما حملوا
واعمم بفضلك كل المؤمنين وتب ... عليهم وتقبل كل ما عملوا
وصلي ربي على المختار من مضر ... ما أركضت في الفيافي نحوه الإبل
وآله الغر والأصحاب عن طرف ... فإنهم غرر الإسلام والحجل

قصيدة (الرحمـــانيـة)

للشاعر محمد بن الحسن بن عبد الرحمن النعمي الحسني – ٩٩٩هـ[١]

يا حـي يا قيـوم فـرج كربـتي	وعافـني واغفـر جوامـح زلـتي[١]
يا خالقـي ورازقـي ومنجـزي	وملجـأي ومفـزعي وعـدتي
يا سـيدي يا سـندي يا موجـدي	من عـدم يا مـددي يا جُنـتي
يا منتهـى سـؤلي وأقصـى مقصـدي	يا مسـتغاثي عنـد كل شـدتي
ويا مـلاذي عنـد كل حـادث	ويا دليـلي عنـد كـل حـيرة
يـارب يا معطـي لكـل سـائل	سـؤاله من نيـل كل نعمـة
أنـت غـنى فقـري وكـنزي دائماً	وحيـلتي عنـد انقطـاع حيـلتي
وأنت رب النعمـتين والـذي	تـرى جميـع الخـلق والبريـة
يا حـافظي مـاءً مهينـا مودعـا	في ظلمـةٍ قبـل تمام صـورتي
ومخـرجي من بطـن أمـي بشـرا	بحسـن لطـف شـامل وحكمـة
وكافـلي طفـلا صغـيراً مرضعـا	في حجـر أم بـرة مشـفقة
وكـم وكـم خولتـني من نعمـة	يا مـالك الملك العظـيم جلـة ؟
وكـم أعـد من أيـادٍ جمـة	وأنعـمٍ سـابغة جزيلـة
حـتى بلغـت الحـلم في معرفـتي	مقرونـة منـك بكـل نعمـة
ولـم أقـم يارب يومـاً واحـداً	بالغش من شـكر لتـلك المنـة
علمتـني القـرآن والنـور الـذي	أنزلتـه على إمـام الحضـرة
ولـم تـزل يـاذا الجـلال محسـنا	إلي تحبـوني بكـل منحـة

---

(١) نعته صاحب العقيق اليماني بجمال الدين محمد بن الحسن النعمي العلامة الفصيح والخطيب المصقع، شهر بالصلاح والتقوى ، ويقول صاحب العقيق اليماني : (له ديوان شعر عظيم، ومنه القصيدة المشهورة في المنطقة، والتي مستهلها « ياحي ياقيوم فرج كربتي ») .

وكل ما أذنبت ذنبا خشنا … سترت بالصفح الجميل هفوتي

تظهر عني كل شيء حسن … وتستر السَّيىء من سريرتي

وسرت أدعى بين قومي سيدا … سام عزيز القدر والعشيرة

ويسأل الناس الدعا من طرف … مني ويشفى بعضهم بنفثتي

كأني البشري أو البصري أو … شقيق في نسكي وحسن سيرتي

وما رأوا بأنني مخلط … طول زماني ساهيا في غمرتي

يا من هو الله الذي لا غيره … يا من هو الشافي لكل علة

بك استجرت ، ربَ لا أخذتني … بسوء تدبيري ولا بصيرتي

أسأت أسرفت فهل من جذبة … تصلح مني ما بدا من خلة

فاز المخفون الذين شمروا … قبلي وساروا وأنا في نومتي

مضى زماني كله سبهللا … أرقد في اللذات طول مدتي

ثم ذكرت بعد فوت العمر ما … بعد ممات العبد من عقوبة

فقمت أقفوا أثرهم مقهقرا … فقصرت عن من مضى مطيتي

وفاتني القوم الذين أدلجوا … بالليل حتى نزلوا بالجنة

وليس من أدلج كالمضحي ولا … معتسف كصاحب المحجة

يا ليتني رفضت دار الإلتوا … قبل زمان المشيب والكهولة

وسرت نهج من مضى من سلفي … في فعل كل واجب وسنة

أسفت يا صاح على ما قد مضى … من هفوات أحصيت وزلة

كيف خلاصي من جنايات إذا … ذكرتها طار الكرى من مُقْلتي

وا أسفي واقلقي واحرقتي … من سوء ما قدمت من خطية

شغلت بالدنيا التي قد نقصت … من هونها عن قيمة البعُوضة

....

أنا المسيء المذنب العاصي الذي … مضى زماني كله في غفلة

لكنني تبت إلى الله الذي … يقبل عذري كله وتوبتي

استغفر الله العظيم تائبا … إليه مما خط في صحيفتي

توبة عبد ظالم لنفسه … قد زاحم التسعين في الشيخوخة

فهو الذي إذا أتاه عبده ... يمشي أتاه ساعيا بسرعة
يارب يا ذا العرش يا من يستحي ... عز وجل الله من ذي شيبة
أمهلتني حتى بلغت ما ترى ... في العمر فارحم يا إلهي عثرتي
تلقني منك بلطف شامل ... ورأفة مقرونة برحمة
وجُد فإني قد لجأت هاربا ... إليك فاقبل يا كريم توبتي
فقد علمت ما ثوى في مهجتي ... من أسف قد شفني وحرقة
وأنت يا محسن قد قلت لنا ... قد وسعت لكل شيء رحمتي
فعافني يارب واستر عورتي ... واعطف على ذلي وسكن روعتي

....

ومنَّ واختم لي بخيرٍ وقني ... عذابك الأكبر يوم رجعتي
وقبل موتي أرني منازلي ... في جنة الفردوس حقق رؤيتي
وإن أتاني ملك الموت وقد ... جاء أجلي وانقضت معيشتي
فمره برفق بي وقل يا سيدي ... أيتها النفس أدخلي في جنتي
وارض وثبت مضجعي يا سيدي ... في القبر وارحم وحشتي ووحدتي
وإن أتاني الملكان يسألا ... سؤال رفق لا سؤال غلظة
فاجعل جوابي لهما مثبتا ... منك بتوفيق وقَوِّم حجتي
حتى أقول الله ربي وحده ... والكعبة البيت الحرام قبلتي
والمصطفى المختار ديني دينه ... في ملة الإسلام حقا ملتي
إمامي القرآن فارحمني وكن ... لي قائلاً يارب يوم أوبتي
ونجني من ضمة اللحد وما ... في القبر من ضيق وسوء ظلمة

....

واملأ علي القبر نوراً ساطعا ... منك وبشرني بفوز الصفقة
حتى يكون القبر روضا نشره ... من جنة الفردوس يشفي علتي
وحين يعطيني كتابي بيدي ... فباليمين كي أرى مسرتي
وكي أرى العفو عن الذنب الذي ... جنيته في الأعصر القديمة
وارض وثبت قدمي يا سيدي ... على الصراط وأقلني عثرتي

حتى أمر سالما مسلما عليه كالبرق ولمح الطرفة
يا أهل كل عادة جميلة وأهل كل نعمة سنية
سألتك اللهم بالاسم الذي يعطى به السائل كل نعمة
هب خير أيامي الجميع كلها يوم لقاك فهو أقصى منيتي

من شعر الشاعر العلامة
أحمد بن علي المعافا (وصف ليلة ماطرة)[1]

حبذا ليلة لنا غراء … في ربيع جادت بها الأنواء
ليلة الجمعة التي تسع بعد … عشر منه حساب سواء ؟
ثالث الزبرة التي هطلت فيها … علينا من ربنا النعماء
أبسط الله الخير تاريخها فافهـ … ـم حقا ، إن كان فيك ذكاء
فهي سبع من بعد سبعين من … بعد مائين تسع وزال الخفاء

(١) قال الشاعر هذا وقد جادت السماء في الخريف بأمطار غزيرة في منزلة الزبرة في شهر ربيع الأول سنة ٩٧٨ هـ .

ويقول صاحب العقيق اليماني – مخطوط – : « وله نظم عجيب وأشعار رائقة لو جمعت أشعاره لجاءت في مجلد ضخم » .

شعر
المحاورات المذهبية



فن المحاورات المذهبية في المخلاف السليماني

إن الاحتكاكات والمجادلات والمحاورات بين أهل المذاهب الإسلامية موجودة في الأدب العربي ، وإن كان في جنوب الجزيرة أشد بين علماء الشافعية وعلماء الزيدية وللحقيقة والتأريخ نورد ما وقع في القرن العاشر بين الطائفتين،وإن كان قد وجدنا فيه ما رد به الطرف الزيدي على الطرف الشافعي ، وإنما مالا يدرك كله لا يترك جله ، ونستدل بالموجود عن المفقود ، والحاضر على الغائب ، ومن أشهر قصائد تلك المجادلات قصيدة الشاعر محمد بن أحمد بن جناح الضمدي،التي رد بها على قصيدة شاعر أو شعراء الشافعية الذي لا نعرف اسمه أو أسماءهم،وقد دارت تلك المجادلة حول (النسيئة) أو القيمة التي تزاد بثمن المباع لأجل .

ومع الأسف الشديد فإن المؤرخ والأديب المعروف ابن أبي الرجال الصنعاني ذكر أسباب تلك المحاورة،والقصيدة الجوابية للشاعر الضمدي ابن جناح[1]،ولم يورد القصيدة الشافعية التي بدأت بها المجادلة .

❊ ❊ ❊

(١) المصدر : مخطوطة مطالع البدور ترجمة ابن جناح الضمدي .

مختارات من
قصيدة ابن جناح

أجاب على مقالتنا القويه	بتحريم الزيادة في النسيئه ؟
فمن جازان جاء إلي نظم	ونظم من (زبيد) الشافعيه
ونثر من (أبي دنقور)[1] وافى	كنثر سلوك مذهبنا البهيه

ومنها :

فكان جوابنا عن ذا وعن ذا	بما يشفي النفوس اللوذعيه
بنثر يسلب الألباب حسنا	ونظم كالعقود العسجديه
إذا أفرغته في سمع واعٍ	سرى في سمعه كالقرقفيه
فنظم زبيد دل على وقار	كناظمه وجود الألمعيه ؟
ولكن شاب صافيه وعفى	محاسنه التعصب والحميه

إلى أن قال :

وكان جوابنا للنثر قدما	بألفاظ عذاب سلسليه
ونظم لـ (ابن حوفر) ذو عيوب	يجانبها ذو الهمم العليه
فأبلغه السلام وناد جهرا	عليه ، عثرت سبعا (حوفريه)
فأول عثرة لم تأت فيما	نظمت بغير شتم (الهادويه)
وثاني عثرة لك لم تحافظ	على وزن العروض (وتاززيه) ؟

---

(١) أبو دنقور : كان موقع مدينة صبيا قبل أن تنتقل في أول القرن العاشر إلى موقعها الحاضر المعروف بصبيا القديمة وفي جهتنا أن المدينة الرئيسية تسمى باسم الوادي مثل جازان ، صبيا ، بيش : هي حقيقة اسماء للأودية وفي نفس الوقت هي نفس أسماء المدن .

كان أبو دنقور المركز الرئيسي للشافعية يليها قرية الباحر موطن آل شافع وآل التمازي ثم أبو عريش موقع مدينة مدرسة آل الحكمي الشافعية .

وثالــث عــشرة قلــت اعتســـافا بـأن الشــعر من حرف دنيـــــه
فمــالك باهتمــام دخــلت فيهـــا كــأن دخولكـــم مــن غـير نيــه
ورابــع عـــشرة ما قلـــت أنـــي ذممـــت إمامكـــم يا شـــافعيه
وخامــس عــشرة قلــت افتخـــاراً مقامكـــم أمـــان عــلى البريـــه
وســادس عشرة قلـت افتخـــاراً تفـاخـر بالتكـاثــر والمــريــه
متى كان التكــاثر فيــه فخـــرا إذا ما لــم يكـــن فخـر التقيـــه
وســـابع عــشرة ذكـــر الكفيـــه وتســـمية الروايـــة بالرويـــه
ولفــظ قلتــه غثـــا ركيكـــا يــدل عــلى غفــولك في القضيـــه
نظرنـا في الكتــاب كتــاب عمـــرو وطالعنـــا الطـــروس الأصمعيـــه
وقـلت مقـالة شنعـــاء دلــــت عـلى نفـــس خصصــت بها حريـه
بأنـا لـم نكـــن أتبـــاع « زيـــد » فمـــن أتباعـــه يـا ذا الأذيـــه
وحين فخـرت جهـرا « بالجويـــني » فخرنـــا بالليـوث الحيدريـــه
لنـــا زيـد إمـــام من كزيـــد وإن مثلـــت به الفئـــة الشقيـــه
.... الخ

وهو من نظم العلماء أقرب منه إلى شعر الشعراء ، وإنما نورده للحقيقة والتاريخ بعد تجاوزنا ما رأيناه يمت إلى تعصب، أو يعبر عن غلو .

تراجم رجال الحديث والفقه والعلوم الدينية



تراجم رجال الحديث والفقه والعلوم الدينية والقـــراءات الســـبع

إن القرن العاشر لم تنحصر نهضته الفكرية في الأدب والشعر،بل شملت العلوم الدينية من حديث وفقه وأصول وتفسير وعلم القراءات،والقواعد نحواً وصرفاً .

ولن نطلق القول جزافاً بدافع العاطفة الوطنية،بل نورد الشواهد المدعمة بتراجم رجال تلك العلوم كما سجلت في تواريخ المنطقة،ومن أشهرهم الشخصيات العلمية التي سنورد تراجمهم بحسب تسلسلها الزمني :

١ - الشيخ الهادي بن أبي القاسم بن علي الحكمي	المتوفى سنة ٩٢٧هـ
٢ - الشيخ مقبول بن عمر الأسدي	المتوفى سنة ٩٣٨هـ
٣ - الشيخ سـراج الدين صديق بن محمد بن عمر الأسدي	المتوفى سنة ٩٣٩هـ
٤ - الشيخ عمر بن مقبول بن عمر الأسدي	المتوفى سنة ٩٤١هـ
٥ - الشيخ جمال الدين محمد بن الطاهر بن القاسم الحكمي	المتوفى سنة ٩٥٠هـ
٦ - الشيخ محمد بن صديق الحراز الأسدي	المتوفى سنة ٩٦٠هـ
٧ - الشيخ العلامة الصديق بن طاهر الحكمي	المتوفى سنة ٩٦١هـ
٨ - الشيخ القاضي أحمد بن مقبول بن عمر الأسدي	المتوفى سنة ٩٦٢هـ
٩ - الشيخ العلامة أبو الحسن صالح بن صديق النمازي	المتوفى سنة ٩٦٥هـ
١٠- الشيخ محمد بن صديق الحكمي	المتوفى سنة ٩٧٧هـ
١١- الشيخ يعقوب على النمازي الصبياني	المتوفى سنة ٩٧٩هـ
١٢- القاضي علي بن أبي القاسم العقيبي الكناني	المتوفى سنة ٩٨٠هـ
١٣- الفقيه المقرىء أحمد بن محمد القيراط بن عبد الستار الحراز الأسدي	المتوفى سنة ٩٩٧هـ
١٤- القاضي مهدي بن أبي القاسم العقيبي	المتوفى سنة ١٠٠٠هـ
١٥- المدير الشـــماخي الشـــاعر	

الشيخ الهادي بن أبي القاسم بن علي الحكمي
المتــوفى سنة ٩٢٧هـ

رجل جمع بين العلم والعمل والسيادة الدينية في مجتمعه ، والزعامة الاجتماعية في بلدته ، يقول عنه صاحب العقيق : « كان مجلسه معموراً بالعلماء والأدباء والفضلاء والشعراء ، يقصده الملوك والأمراء،ويتبعون ما يأمرهم به ولا يردون شفاعته ، كان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر،مستقيماً على الكتاب والسنة،لا يخاف في الله لومة لائم » .

الشيخ مقبول بن عمر الأسدي
المتوفى سنة ٩٣٨هـ

هو الشيخ مقبول بن عمر أبي بكر بن محمد بن علي بن أحمد بن حمزة بن محمد بن علي صاحب الزهراء ابن الحسن بن الحسين بن محمد بن عبد الله المعروف بالبلاع الأسدي ، قحطانيو النسب .

كان الشيخ مقبول بن عمر من أهل العلم والفضل،تولى وظيفة القضاء بمدينة أبي عريش .

سراج الدين صديق بن محمد بن عمر الأسدي
المتوفى سنة ٩٣٩هـ

درس في مدينة أبي عريش في مدرسة آل الحكمي،وبعد إتمام التحصيل اشترك مع عمه مقبول في وظيفة القضاء بمـــدينة أبي عريش،نظراً لسعة أعمال المحكمة الشرعية وكثرة القضايا المعروضة عليها ، وبعد وفاة عمه أسندت إليه وظيفة القضاء فأشرك معه عمه عمر ، وابن عمه عمر بن مقبول الآتية ترجمته .

عمر بن مقبول بن عمر الأسدي
المتوفى سنة ٩٤١هـ

نعته صاحب كتاب العقيق بـ « الفقيه العالم الأفضل القاضي الأجل الفيصل »،إلى أن قال : « وكان فيه محاسن كثيرة،وكانت أحكامه صلحاً لا يفصل حكمـاً إلا مع غلبة وذلك لشدة ورعه وتحريه في الأحكام وخطرها » .

الشيخ جمال الدين محمد بن الطاهر بن القاسم الحكمي
المتوفى سنة ٩٥٠هـ

من الفقهاء البارزين في تلك الأسرة،انقطع للزهد والعبادة،يقول عنه صاحب

العقيق : (القانت الأواه كان مشجونا بالعبادة،وانتظم في سلك من قال الله في حقهم ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [1] .

محمد بن صديق الحراز الأسدي
المتوفى سنة ٩٦٠هـ

بدأ تحصيله العلمي بمدينة أبي عريش ثم رحل إلى مدينة (زبيد) لإتمام دراسته وبعد أن نال ما يبتغيه في الفقه والعربية والأصول تخصص في علم القراءات فأخذه عن جل علماء ذلك العلم ، و (زبيد) كانت جامعة العلم في تهامة اليمن في فقه الإمامين (الشافعي) وأبي حنيفة وفي بقية فروع العلم ، لهذا كان يقصدها الشافعيون من جهتنا في منطقتي صبيا ووادي جازان كـ (آل النمازي) و (آل الحكمي) و (آل الأسدي) وآل جلي و (آل الديباجي) وغيرهم ، ثم عاد إلى وطنه فتصدر لتدريس علم القراءات السبع ، وكان لمدرسته الفائدة المرجوة فتخرج منها جيل في علم القراءات ، ومن أشهر من تخرج منها :

١ – الشيخ أحمد بن محمد القيراط .
٢ – الشيخ مقبول الأسدي .
٣ – الشيخ محمد بن الطاهر الصعدي .
٤ – الشيخ محمد بن صديق الحكمي .

وكان حتى مشايخ العلم يدرسون لديه ذلك العلم .

---

(١) الآية ١٧ ، ١٨ سورة الذاريات .

الشيخ العلامة الصديق بن طاهر الحكمي
المتوفى سنة ٩٦١هـ

عالم من علماء المخلاف السليماني،وعلم من أعلامه انتهت إليه الفتوى ورياسة التدريس في :

١ - الفقه ٢ - الحساب ٣ - الفرائض ٤ - الجبر والمقابلة

وغير ذلك من العلوم ، كانت مدرسته مورداً عذب الزلال لرواد العلم وطلاب المعرفة ، أخرجت أفواجاً من الفقهاء والقضاة والأدباء،منهم :

١ - الشيخ الفقيه عيسى بن يوسف الطفاري .

٢ - الشيخ العلامة محمد بن المحبوب الوليدي .

وغيرهـــم .

القاضي أحمد بن مقبول بن عمر الأسدي
المتوفى سنة ٩٦٢هـ

هو ألمع أسرته وأشهر رجال ذلك البيت،وأوسعهم علماً وأدباً،وأبقاهم أثراً ، ولد بمدينة أبي عريش ، وجد في التحصيل مبكراً،ومن أشهر شيوخه :

١ - الشيخ أحمد بن أبي الفتح الحكمي .

٢ - الفقيه علي العبدي .

٣ - الشيخ الصديق بن الطاهر الحكمي .

٤ - القاضي عمر بن المقبول الأسدي .

وبعد وفاة أخيه تولى القضاء بمدينة أبي عريش في عهد الأمير (عامر بن يوسف العزيز)، ثم في عهد الأتراك إلى أن وافته المنية .

العلامة أبو الحسن صالح بن صديق النمازي
المتوفى سنة ٩٦٥هـ

ولد بـ (صبيا)، وبعد تلقي مبادىء الفقه رحل إلى (زبيد)، وقرأ على جماعة من رجالها، منهم العالم الديني الجليل (أحمد بن عمر المزجّد) صاحب العباب ، ثم رحل إلى مكة المكرمة، فأخذ العلم على الإمام أبي العباس الطبنداوي والبكري الصديقي وغيره ثم رجع إلى زبيد وقرأ علي بني (جغمان)، ثم عاد إلى وطنه قرية (الباحر) من (صبيا فأقام بها أياماً ، فرأى ما عليه الحال من الاضطراب والتأخر وعدم وجود مجال للإصلاح ، فرحل منها إلى اليمن ، وقد عاهد الله أنه لا يرجع إلى (المخلاف السليماني) مادام ليس لأهل العلم به قيمة .

ومن اليمن رحل إلى (الإمام شرف الدين) فأكرم وفادته ، واتخذه من أعيان جلسائه لا يفارقه في سفر أو حضر وربما عادله في المحمل في السفر ، وظل أثيراً لديه حتى تنازل الإمام لابنه المطهر – على الصورة المعروفة – فاضطر إلى الاختفاء ثم الرحيل سراً إلى تعز ، ومنها إلى (زبيد)، فأقام بها مختفياً عند العلامة (عبد الرحمن بن حسين الأهدل) مدة سنة – خوفاً من الأتراك – ثم سعى له (الأهدل) في أمان منهم فصدر المرسوم بالعفو عنه ، فانتقل إلى (تعز) ثم إلى (ذي جبله)، وظل بها مقيماً على التدريس والفتوى والتصنيف إلى أن أدركته الوفاة – رحمه الله .

وله مؤلفات معروفة متداولة منها :

١ – أرجوزة في العقائد أسماها الأنوار الساطعة على منهج السنة والجماعة . وله عليها شرح مفيد ، وفي مكتبتي نسخة مخطوطة منها[1] .
٢ – كتاب أفرد فيه الأحاديث القدسية .
٣ – كتاب في الأصول .
٤ – كتاب في شرح ألفية ابن مالك .
٥ – كتاب في التصوف .
٦ – كتاب يشتمل على فتاويه .

وله غيرها من المؤلفات في التصوف ، وله في إلقاء الدروس إملاء جيد وكان شافعي المذهب سني العقيدة .

الشيخ محمد بن صديق الحكمي
المتوفى سنة ٩٧٧هـ

ولد في مدينة أبي عريش سنة ٩٢٦هـ ، ونشأ في بيئة العلم وموطن المعرفة وبيت الفضل ، فقد كانت أسرة آل الحكمي في أبي عريش موطن العلم ومنهل الصلاح والتقوى .

قرأ كتاب الله على عمه الشيخ أحمد بن أبي الفتح الحكمي شيخ القراء في عصره ، برواية الدوري عن عمر بن العُلا ، وعلى علامة وقته في القراءة الشيخ محمد بن صديق الحراز الأسدي ، وقرأ الفقه على عمه أيضاً وحفظ الإرشاد وألفية ابن مالك . ثم توجه

(١) أهديت هذه النسخة ضمن مكتبتي المهداة إلى جامعة الملك سعود بالرياض .

إلى (مكة) المكرمة لاستكمال التحصيل ، فقرأ على :

١ - شيخ الإسلام ابن حجر .

٢ - العلامة الفاكهي .

٣ - العلامة ابن العـز .

٤ - عمه الشيخ الدهل بن أبي الفتح ، وتوسع في العربية على عمه وكان منفرداً بهذا الفن بلغ فيه الغاية القصوى .

وعاد إلى أبي عريش فتفرغ للتدريس والإفادة وحاجات الناس ، وكانت مدرسة (آل الحكمي) في عهد قيامه بالتدريس في زخم نشاطها ، وأزهر عهودها ، وممن تخرج على يده وتبوأ مراكز (الإفتاء) أو (القضاء الشرعي) أو (الإنشاء والعربية) أو التدريس الآتية أسماؤهم :

١ - الشيخ العلامة عمر بن عبد القادر الحكمي ، مفتي أبي عريش .

٢ - الشيخ العلامة الأديب المنشيء محمد بن عبد القادر المحلوي .

٣ - الشيخ العلامة القاضي عثمان بن سهيل الأقرع .

٤ - الشيخ العلامة الفقيه صديق بن علي الدهل الحكمي .

٥ - الشيخ العلامة الأديب الشاعر محمد بن عيسى الطفاري .

٦ - الشيخ العلامة القاضي أحمد بن مقبول الأسدي قاضي أبي عريش .

ويقول صاحب كتاب (العقيق اليماني) في ترجمته :(ووزع أوقاته في آخر عمره على الطاعات تدريساً وافتاءاً واجتهاداً في إصلاح شأن المسلمين والشفاعة عند ولاة الأمور ، مع نفوذ كلمة وقبول شفاعة). انتهى .

يعقوب بن علي النمـازي الصبياني
المتوفى سنة ٩٧٩هـ

رحل إلى مدينة زبيد لطلب العلم ودرس على جماعة من آل (جغمان) حتى أتم التحصيل ، ثم رحل إلى صنعا ودرس بعض الفنون على قريبه (صالح بن صديق النمازي) إبان اقامته بـ (صنعا)،ومنها عاد إلى وطنه آمراً بالمعروف ناهيـاً عن المنكر مقبول الشفاعة نافذ الكلمة يصدع بالحق ويقابل بالامتثال قائماً بالتدريس والافتاء .

وكان حسن التقرير في إلقاء الدرس،ولم يزل على حالته الحميدة حتى توفاه الله تعالى ودفن في صبيا،تغمده الله برحمته .

القاضي علي بن أبي القاسم العقيبي[1] الكناني
المتوفى سنة ٩٨٠هـ

شخصية علمية تقلبت في مناصب القضاء الشرعي في غير بلدة من المنطقة،واتسمت بالسيرة الحسنة والطريقة المرضية،ولي قضاء بلدة العالية – عالية خلب – راجع كتابنا الآثار التاريخية حول هذه المدينة وآثارها الباقية – وأقام بها على وظيفة القضاء عدداً من السنين،ثم نقل إلى وظيفة القضاء في مدينة جازان .

العقـــابية

(١) بيت علم وفضل،تولى القضاء غير واحد من تلك الأسرة النابهة،ويقول صاحب العقيق اليماني : (والعقابية من كنانة أهل حلي بن يعقوب) إلا أن القاسم عقيبي والد القاضي علي بن أبي القاسم العقيبي وصل إلى أبي عريش واستوطنها،ولا يزال للعقابية نسل منهم جماعة في قرية الجديين في نواحي صبيا،وجماعة في قرية الوثبة من قرى صبيا،وجماعة في جهة الحكامية،ونرجوا اللاحقين اتباع طريقة أسلافهم في العلم والمعرفة،والله الموفق .

وبعد مكوثه على تلك الوظيفة طويلاً حصل بينه وبين الشيخ عيسى بن محمد الزيلعي جفاء ، ويقول صاحب العقيق : (فشكاه الشيخ إلى كاشف البلد،فأرسل عسكري له وقال:لا تصل به إلا مشياً على قدميه ، فلما وصل سجنه الكاشف ثلاث أيام،ولا نظر إلى منصب الشريعة ولا أن القاضي محق أو مبطل . ثم خرج القاضي من السجن بشفاعة آل الحكمي،وصادره الكاشف بمال رسم عليه حتى أوفاه،وبعد ذلك انتقل هذا القاضي إلى صبيا،وأقام بها ملازماً الطاعات في الجامع إلى أن لقى بها الله). انتهى .

الفقيه المقرىء أحمد بن محمد القيراط
ابن عبد الستار الحراز الأسدي
المتوفى سنة ٩٩٧هـ

أخذ الفقه على الشيخ محمد بن صديق بن أبي الفتح الحكمي - المقدم ذكره - ثم أخذ في علم القراءات على المقرىء علي بن محمد بن صديق الحراز - المتقدم ذكره - فقرأ عليه (الشاطبية) و (قراءة عاصم)،وكان بعد ذلك إليه النهاية في التلاوة والتفسير والتجويد،منقطعاً إلى العبادة ساعياً للإصلاح بين الناس،له هيبة العلم ووقار العباد ، توفى عام ٩٩٧هـ .

القاضي مهدي بن أبي القاسم العقيبي
المتوفى سنة ١٠٠٠هـ

هو أخو القاضي علي - السابق ذكره - دَرَسَ في مدرسة آل الحكمي بأبي عريش حتى أكمل دراسته وتولى القضاء في أبي عريش وغيرها، وكان من مشاهير رجال العلم بالمنطقة .

المديــر الشــماخي

هذا هو اسمه ، من شعراء المخلاف السليماني في سرار القرن التاسع وأول القرن العاشر ، ذكره غير واحد من مؤرخي جهتنا ، وهو ممن مدح الأمير المهدي بن أحمد بن دريب القطبي وورد اسمه والتنويه بذكره . ولم نر من أورد شيئاً من شعره فيما تحت أيدينا من المصادر المخطوطة ، ولا زلنا نوالي الجهد والمتابعة فعسى أن نجد أو يجد غيرنا شيئاً من شعره .



الفصل الثامن

دراسة عن الأدب في القرن الحادي عشر الهجري

لم نقف على أي أثر شعري يذكر في أبواب الشعر المعروفة،من مديح ورثاء أو وصف أو نسيب – فيما تحت أيدينا من المصادر – في طيلة ذلك القرن ، مع أن هناك شعراء وأدباء سجل وفياتهم صاحب كتاب العقيق اليماني وغيره ، بلغ عددهم ٤٣ بين كاتب وقاضي وأديب وشاعر ،إلا أن آثارهم اغتالتها يد الضياع ،ومن عاش من شعراء القرن العاشر الهجري وامتد به العمر إلى العقد الثاني أو الثالث من القرن الحادي عشر ،مثل : القاضي أحمد بن مقبول الأسدي وغيره ، فقد أوردنا آثاره الأدبيـــــة في أدب القرن العاشر .

أما النثر فقد عثرنا على نص أدبي رفيع،نستدل منه على تقدم النثر الفني في القرن الحادي عشر إلى مرتبة رفيعة المستوى،ومكانة عالية،هي لأديب طُلعة وكاتب مبدع،هو الأديب سراج الدين عمر بن محمد مكي بافضل الجازاني – نسبة إلى مدينة جازان – كما أورده الشيخ القاضي عبد الرحمن بن حسن البهكلي صاحب مخطوطة خلاصة العسجد حيث قال : « ولنرجع إلى ما ذكره الوالد علي بن عبد الرحمن جواباً على لغز ورد إليه من الفقيه سراج الدين عمر بن محمد مكي بافضل الجازاني » .

ومن قراءة السؤال والجواب يستدل القارىء الكريم في هذه الدراسة على مكانة النثر الفني العالية في ذلك القرن ، فهو في تلك القطعتين يرقى إلى مصاف النثر في القرن الرابع والخامس من حيث سمو لغته،وسجعاته الغير متكلفة،والتي تأتي عفو الخاطر في ألفاظ بليغة مفهومة المعاني واضحة الدلالة .

ففي السؤال يظهر تمكن السائل من النواحي البلاغية والفقهية،وتشبعه ببلاغة القرآن الكريم ، ومن الناحيـــــة الثانيـــــة كاقتبـــــاســـــه أو إيراده نـــص بعض

الآيات الكريمة كقوله تعالى : ﴿ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ﴾[1]، أو ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾أو يقتصر على جزء من آية : فابتغى ﴿ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ ... ﴾[3] ، و ﴿ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾[4]، كما أنه يستعمل الجناس والمطابقة في قوله : (لمن عجلت له طيباته في هذه الدار ، وسكن جنات تجري من تحتها الأنهار) ، والمزاوجة كقوله : (ثم ذهب حتى جعل في أعلا طبقة وطبق عليه بنار محرقة) ، أو كقوله : (نال الشقاء بعد السعادة ...) .

وعلى كل فإن السؤال يدل على مالصاحبه من مكانة أدبية مرموقة ، وتمكن من علوم البلاغة والبيان .

أما جواب فضيلة القاضي فهو من البلاغة بمكان ، وأسلوبه من السهل الممتنع وسجعاته عفوية بدون تكلف ولا إكراه ، مثل قوله : (أيها الملغز بسؤاله ،والمعمي لمراده في مقاله) ، وإن كان استعماله للمطابقة والجناس قليل مثل قوله : (عاريا) و (لابسا) ، وقد تعمق القاضي في الدلالة والإيضاح،وتوسع في الإبانة والتبيين عن تعلق الناس بتلك الشجرة الخبيثة ، وولوعهم بتعاطيها،وإدمانهم على معاقرتها،وإذعانهم لطاعتها ، وخضوعهم لسطوتها،ورسفهم في قيود عادتها ، ويظهر أن فضيلة القاضي بحكم مركزه الديني تورع أن يورد أو يقتبس من آيات الكتاب الكريم مع ذكر تلك الشجرة الملعونة كما صنع السائل .

وعلى كل فالسؤال والجواب يعطيانا صورتين واضحتين لما بلغه النثر الفني في القرن الحادي عشر .

---

(١) من الآية ١٨ سورة الحج .

(٢) سورة الدخان الآية ٤٩ .

(٣) وهذه الآية : ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ الآية ٣٥ سورة الأنعام .

(٤) من الآية الكريمة رقم ٨ سورة النمل و هي : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

أما النثر شبه المرسل فما سنورده من مقدمة كتاب العقيق اليماني يكمل صورة من ذلك الفن ، وإذا كان قد عرف أن النثر الفني هو نمط من البيان الرفيع والإنشاء العالي، فإن النثر شبه المرسل في المؤلفات القديمة كان أسلوباً شائعاً ، فهو أقرب إلى الافهام وأنصع للتوضيح ، وأقرب مثال لذلك أسلوب مقدمة ابن خلدون، وأخيراً أسلوب الصحافة المعروف في عصرنا الحاضر، بعد تطور الكتابة وتسهيلها .

أما النثر الفني – فقد كان في الماضي – للترسل وإنشاء الرسائل وتحبير الخطب المنبرية ، والمقامات الأدبية، ووصف المعارك والقلاع الحصينة والأمطار الغزيرة والعواصف وغير ذلك .

وليس المطلوب من أهل ذلك العصر في النثر المرسل الكتابة بطريقة عصرنا أو أسلوبه ، والتعمق على طريقة ما يقتضيه عصرنا الحاضر .

فالمعارف البشرية بحكم تيسير الطباعة، وشيوع التعليم وتوسع الجامعات وتكاثر أعدادها، وتعميم التعليم في العالم بحيث سيصبح قريباً مشاعاً كالماء والهواء، كل ذلك وَسَّع المدارك وصقل الأفهام، وسهل الإطلاع على نتاج العقول وحصاد القرائح، وعلاوة على ذلك شيوع الصحف والمجلات، وتيسر الترجمة بين لغات العالم، مما أثرى العقول ووسع المفاهيم ، وجاءت الإتصالات السلكية واللاسلكية فكانت قفزة حضارية قربت بين رحاب الدنيا، وتلى ذلك المواصلات الجوية والإذاعات والتلفاز فأصبح العالم مدينة كبيرة يقرأ ويسمع ويرى المرء ما يحدث في الدنيا كلها ، ناهيك بما تبثه الإذاعات والتلفاز من أخبار ومعلومات ومعارف بحيث يسهل على الراعي – أي راعي – في مجاهل الكون يحمل الراديو أو يقتني التلفاز أن يتلقى من المعلومات والمعارف في ساعات ما كان يعز حصوله على طالب العلم في التحصيل الطويل ، وبذلك اتسعت المعارف البشرية وسلست الكتابة وتهذب الأسلوب ومرنت اللغة، بحيث أصبح المرء يعبر في سهولة ويسر عن كل ما يريد الاعراب عنه أو يختلج في نفسه .

إن الأسلوب البياني شبه المرسل في القرن الحادي عشر يجمع ما بين الإفهام والبساطة بحيث يستوعبه القارىء بدون تكلف أو كد ذهني، ومع ذلك يكون وافياً بالغرض مؤدياً

للمعنى المطلوب والإفهام المقصود ولنتخذ من مقدمة كتاب العقيق اليماني نمطا يحتذى فهو يعطينا فكرة عن علم التاريخ وماهيته وفائدته وخلفياته ، وأنه مما تدعو إليه الحاجة البشرية وتوجبه الضرورة الحياتية، فيعرف به أهل كل عصر وعظماء كل زمان، وعلماء وفصحاء كل أوان ، فهو يسجل الحوادث ويحدد أوقاتها، ويصف لنا أهل كل عصر، فيطلع المتأخر على ما تقدم من حوادث الماضي وأخباره فيستفيد بما تختزنه ذاكرته من تجاربهم بما يعينه في مشوار الحياة ومسيرة العمر .... إلخ .

ثم مضى يشير إلى زهد أهل زمانه في علم التاريخ، وقلة اعتمادهم على الاستفادة من تجاربه، أو الاعتبار مِنْ مَنْ سبقهم .

وأنه ظل يرسف في قيود التردد بين الإقدام والإحجام . ويلوح في تواضع حيي وأدب سري إلى صعوبة الموقف وبعد المرام ، ثم يشده الإقدام وتدفعه الرغبة فيتوكل على الله ويستعين به للشروع في كتابة تاريخه، كتابة تفي بالغرض وتؤدي المقصود إذا زهدنا عن العمق الفلسفي والبعد الفكري، وما تتطلبه خلفيات الأحداث وتعليل الحوادث من التطلعات الحضارية والإنسانية ، وحسب صاحب المقدمة أنه أبان عن قصده وأفصح عن مراده، وأعرب عن غرضه لفوائد التاريخ ، وأنه قدم للأجيال تاريخ خمسمائة سنة للمخلاف السليماني لا تجد لها مصدراً موجوداً غير كتابه العقيق اليماني .

وبعد هذا التمهيد وما أوضحناه من فقد الكثير، أو جل نتاج علماء وأدباء القرن الحادي عشر، الذين يربوا عددهم على أدباء القرن الذي قبله، نستنتج ذلك من تأريخ وفياتهم وموجز تراجمهم التي سنأتي عليها فيما بعد، وحسبنا أن نورد ما وجدناه ونتيح الفرصة لمن يجد شيئاً من آثار ذلك القرن، سواء من الأحياء أو من الأجيال الصاعدة في المستقبل .

ولنأت الآن إلى أنماط من النثر مع تراجم موجزة كما أشرنا ، ثم قائمة بأسماء المشاهير من فقهاء وأدباء وشعراء ذلك القرن ـ الذين حفل القرن الحادي عشر بهم، وجميعهم فقدت آثارهم الفقهية والأدبية والشعرية بحسب علمي وما لدي من مصادر، وحسب ذلك

القرن مؤلف كتاب العقيق اليماني عبد الله بن علي النعمان ، فهو من أكبر وأفيد الكتب التي ألفت في تاريخ المنطقة – كما يأتي :

١ – أثر أدبي من النثر الفني متمثلاً في سؤال من الأديب الجازاني سراج الدين عمر بن محمد مكي بافضل وجوابه من القاضي العلامة علي بن عبد الرحمن البهكلي .

٢ – نمط من النثر شبه المرسل في القرن الحادي عشر مأخوذ من مقدمة كتاب العقيق اليماني .

٣ – نمط من النثر الفني من مقدمة كتاب العقد المفصل للقاضي الشيخ علي بن عبد الرحمن البهكلي .

٤ – نمط من النثر شبه المرسل من مقدمة كتاب خلاصة العسجد .

الشعر

الأديب سراج الدين عمر بن محمد مكي بافضل الجازاني
النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري
التاسع عشر الميــلادي

أديب يدل أثره الوحيد الذي عثرنا عليه ، والذي أنشأه في سنة ست ومائة وألف هجرية أنه ضليع متمكن من اللغة والبيان ، فقد كتب رسالة إلى القاضي علي بن عبد الرحمن البهكلي تتضمن لغزاً في شجرة (التنباك) يقول فيها ما يأتي :

(ما قولكم رضي الله عنكم فيمن عَجَّلَت له طيباته في هذه الدار ، وأسكن جنات تجري من تحتها الأنهار ، حتى إذا صالت عليه يد المنون أخرج من جنات وعيون وحق عليه العذاب ، فما كان بأسرع من حشره بعد الذهاب فحشر في مكان ، وأقيم له الميزان ، فرجحت سيآته بالحسنات بسبب تعجيل الطيبات ، فصب عليه الموكل بالحميم ، وقال : (ذق إنك أنت العزيز الكريم) ثم ذهب به حتى جعله في أعلا طبقة ، وطبق عليه بنار محرقة ، فلما عاين الشيطان النار وهولها ، نادى أن بورك من في النار ومن حولها،فاجتمع إليه الناس إجتماعهم على الخطباء ، وعقدوا له الحُبى ، وصار من في النار لديهم معززاً مكرماً ، فابتغى[1] نفقاً في الأرض أو سلما في السما ، ثم صار يدخله من باب ويخرج من أبواب ، فكل أمره وشأنه عجاب ، نال الشقا بعد السعادة وصارت النار مهاده وزاده[2]، أفتونا مأجورين)

فأجابه القاضي الشيخ :

(أيها الملغز بسؤاله ، والمُعَمِّي لمراده في مقاله ، عن من سارت به في الفيافي والقفار الركبان ، ونال من الكرامة والعز ما لم ينله إنسان ، فقبلته أفواه الملوك كما لثمته ثغور

(١) هكذا في الأصل .

(٢) في نسخة باريس « مراده » ، وفي نسخة من نسخ العمودي « زاده » .

الخرائد الحسان ، وأنزلوه كلهم منزلة الشفا عند المريض المدنف ، وعانقوه معانقة اللام الألف[1]، ورمقوا من لم يكرمه وأبى بعين مرزوة[2] غضبا ، وجعلوا الخلوة معه بغير جليس ، قائمة مقام كل أنيس ، وعدوا من لم يخالطه ثقيلاً في المجالس ، وعارياً وإن كان في هيئة اللابس ، ورأوا أن احراقه بالنار ، ليس لكونه من الأشرار ، بل لما فيه من الإزالة للآلام والمضار، ولأجل ما فيه من الفوائد عانده الدهر بلا حراق[3]، كما هي عادته مع الكملة الحذاق ، فلسان حاله ينشد ودمعه مهراق .

فلا غـرو أن تجـني عـليّ فضـائلي ـــــ سـبب احـتراق المنـدلي دخانــه

فيا لله العجب من أمره وشأنه ، ويا للمسلمين من نفاذ حكمه وقوة سلطانه ، لقد ملك أزمة القلوب ، وصار عندها مقدّماً على كل محبوب ، فكم عنفوا من عذلهم عن الدخول تحت أمره ، ونهي من أطاعه واستمسك بتمويهه ومكره ، فدولته شبيهة بدولة الحاكم العبيدي في ملك الرقاب ، مع ارتكاب الأمور الصعاب ، حتى أذنت دولته بالانصرام ، وختم له في أعماله بأقبح ختام ، صار مثلاً سائراً مدى الليالي والأيام ، فلله دهره كم أبدع فيما أودع وجد جده فيما صاغ وصنع وما ذلك منه بكثير فتيار فكره غزير .

---

(١) في نسخة باريس « للألف » وفي نسخة العمودي كما هو بعاليه .
(٢) هكذا في الأصل .
(٣) هكذا في الأصل .

المصـــدر : خلاصة العسجد .

نموذج من النثر في القرن الحادي عشر
من مقدمة كتاب العقيق اليماني
لعلي بن عبد الله النعمان

إن علم التاريخ مما تدعوا الحاجة إليه،ويعرب به أهل كل عصر وعظماء كل زمان والعلماء والفصحاء في كل أوان ، وبه تعرف الحوادث وأوقاتها ، والخلائق وصفاتها ، ويعرف المتأخر ما تقدم من قبيح وحسن،فيختار لنفسه ما أراد واستحسن ، ورأيت أهل زماننا قد قل تعويلهم عليه ، ونظرهم إليه ، ونازعتني نفسي إلى حرفة العلماء ، والسلاطين والأئمة الكبراء والعظماء الماضين ، فيخيل إلي أن الأمر عسير ، وطفقت أخطو خطـــــــوة الحسير ، وأنهض نهضة الجمل الكسير ، وقلت كيف لي قصد ما أروجه ، ولم يتقدم في بلدتي فارط وأسلك سبيلا لم يوطأه قبلي بخف ولا حافر ، والسلف في بلادنا قد أضربوا عن هذا الأمر صفحاً ، وطووا دونه كشحا ، وألقوا هذا الفن وراءهم ظهرياً ، وتركوه نسياً منسياً .

فبينما أنا أتردد في الحيرة واتريض في الفكرة إذ سنح لي خاطر بأن أستخير الله سبحانه وتعالى وأستعينه ما وجدته واستطعت فيه من التعليق والكتب المتفرقة والدفاتر وألسنة الثقات ونحو ذلك ، مستخيراً الله سبحانه وتعالى .

هذا ولم يسألني أحد وضعه ولا كلفني جمعه ، وإنما رأيت الحاجة داعية إليه وحصلت في زماننا حوادث ووقعات أكابر وعلماء أعلام وملوك عظام أهل رياسات ولم يمض علينا وقت يسير إلا وقد نسيناه فوضعت هذا تذكرة لي ولمن يرغب .

المصـــدر : العقيق اليماني .

نموذج من النثر من القرن الحادي عشر
من العقد المفصل
لعلي بن عبد الرحمن البهكلـي

وسألني من لا أستطيع لسؤاله سوى الإجابة أن أرقم ما حدث في دولة الشريف ذي المناقب شهاب الدين أحمد بن غالب ، من الحوادث التي لم يمر مثلها على الأسماع والأبصار ولم يحتـو على ما يضاهيها تأريخ لهذه الديار أسعفته راجياً لثواب الرحمن ، ومتكلا على ما علمته بالتواتر والعيان .... ألخ .

المصـدر : العقد المفصل ، دراسة وتحقيق العقيلي .

(نمط من خلاصة العسجد)

بسم الله الرحمن الرحيم حمداً لمن ابدع صنع مخلوقاته على غير مثال
واودع في ضمنها من العجائب ما يبهر العقول وتحار عنده افكار نحارير
الرجال والثنا في كتابه العزيز على من نظر الى ما ابرزه في عالم
الوجود بعين الاعتبار فقال عز قائلا ان في خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب الذين يذكرون
الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض
ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار والصلاة والسلام
الاتمان الاكملان على سيدنا محمد افضل من تزينت بنشر حلى اوصافه وجوه
الاوراق وتشرفت الاقلام والمحابر بما تسطر الكاتبين بها
من كل ما حسن ورق او راق وعلى آله السالكين على منواله
ما بزغت الثريا بجلى ذلك المحيا وسطع نور البدر وتلالأت شمس
النهار بالاشراق وبعد فانها لما كانت ساحة الاعتبار واسعة
الفضا ونفوس المتوجهين مستشرفة الى اخبار من تقدمهم من غبر
ومضى ويسعفني الى علم ~~التاريخ~~ الاعتنا بعلم التاريخ اكابر الاعلام
وافاضل علماء الامة واثنوا على من سلك ذلك المنهج بما لا مزيد عليه
وصرحوا بانه من المهمات النافعة في الدين والدنيا وعولوا على من حرص
على الغوص في بحار تدقيقه واشاروا بالبنان اليه اذ به يعرف الحديث من
القديم ويتميز الصحيح من الاخبار عن السقيم فكم من قضية اشكلت على كبار
العلماء المحققين وخفي ظلامها فلم يكشفه الا انوار حقائق الاخبار بين
المدققين كما يعرف ذلك من مارس الاخبار من الاسفار واطلع من كتب
التاريخ على خبايا الاسرار كما في قضية يهود خيبر ودعواهم ان النبي صلى الله عليه
اسقط عنهم الجزية وابرازهم مسطورا بذلك فيه شهادة جماعة من اجلاء الصحابة
حتى كاد خليفة ذلك العصر ان يميل الى تصديقهم ركونا على ذلك التسجيل

على هذه القضية التاريخية

حتى

أسماء الأدباء والشعراء الذين فقدت آثارهم

محمد بن نور الدين الجيلاني
المتوفى سنة ١٠١٠هـ

عرف بصاحب قرية العشمة[١] من المخلاف السليماني وهي قرية بأعلى الصليبة[٢] من المخلاف السليماني كان من أعيان العلماء المعروفين ، ناسكاً عابداً يختم القرآن في رمضان كل يوم بين الظُهرين ، انتهت إليه في عصره رياسة الفقه والتدريس في بلاد لاعة .

يظهر أنه رحل من المخلاف السليماني إلى بلاد لاعة في اليمن الأسفل ، أخذ عنه الشيخ علي بن مطير وغيره[٣] .

شيخ مشائخ المقرئين
فخر الدين أبو بكر بن ياسين عيشة الضرير
المتوفى سنة ١٠١٢هـ

أخذ القراءات السبع على الفقيه عثمان الأقرع ، وعلى الفقيه القاضي أبو الفضائل وحقق في علم القراءات غاية التحقيق[٤] .

---

(١) ، (٢) القريتان غير معروفتين في الوقت الحاضر .
(٣) المصدر : الثناء الباهر بتكملة الضوء السافر – مخطوط –
(٤) المصدر : العقيق اليماني .

العلامة المفتي الأمين شافع
المتوفى سنة ١٠١٤هـ

كان فقيه الشافعية ومفتيها – في عصره – لا في المخلاف السليماني – فقط – بل وفي اليمن وتهامة ، ويقول عنه صاحب العقيق اليماني : (حتى أن بعض علماء زبيد جاءت إليه فتاوى من المخلاف السليماني فأجاب عليها،ثم قال في آخر الجواب : « عجبت لقوم يسألون من أرض الشام[1] وعندهم الأمين شافع ») ،ولد وتوفى بقرية « الباحر »

القاضي نور الدين علي بن محمد علي النعمان
المتوفى سنة ١٠١٦هـ

كان من أهل العلم والورع يقوم بالأحكام الشرعية في وطنه الشقيري بعد وفاة العلامة أحمد بن علي بن عمر،واشترك مع عمه الفقيه محمد بن أحمد النعمان في الأحكام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،ومع ذلك كان يعيش على ما يدره عليه الحرث والتجارة ولم يتقاض من بيت المال أي رواتب أو رزق .

(١) أهل المناطق الجنوبية يسمون جهاتنا الشام .

الحسين بن محمد بن حسن النعمي
المتوفى سنة ١٠١٨هـ

درس في صعدة ، وكان عالماً عاملاً بعلمه يصدع بكلمة الحق آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، ولازم الفتوى والتدريس إلى أن أدركته الوفاة .

الفقيه علي بن أحمد بن عبد الرحمن البصير
الملقب (أعوج البيشـــي)
المتوفى سنة ١٠١٨هـ

من خيار أهل زمانه فضلاً وعلماً وورعاً،وكان في وادي بيش عظيم الشأن،صاحب منازل كثيرة لإطعام الطعام .

الفقيه الأديب يحيى بن حسن الخصيب النعمان
المتوفى سنة ١٠٢٥هـ

نعته صاحب العقيق اليماني بقوله : « وكان صرفياً ، بل أعجوبة عصره وتحفة مصره فقهاً وأدباً وبياناً » .

المصـــدر : العقيق اليماني .

الفقيه الأديب الهادي بن المهدي بن الهادي الحكمي
المتوفى سنة ١٠٢٥هـ

جمع بين الفقه والأدب والطب ، نعته صاحب العقيق بـ « مجمع الأدب » سكن بصبيا ثم وصل إلى أبي عريش فأدركته الوفاة .

أحمد بن علي المخنحق الحازمي
المتوفى سنة ١٠٢٥هـ

طلب العلم في صنعا وصعدة وتوسع في الأدب،وبعد انتهاء التحصيل عاد إلى بلدته « صلهبة »،فأقام بها منقطعاً للأمر بالمعروف والإصلاح بين الناس،وفي آخر عمره قصد مدينة « صعدة » فأدركته الوفاة بها وذلك عام ١٠٢٦هـ .

المصـــدر : العقيق اليماني – مخطوط .

محمد بن عبد القادر المحلوي
المتوفى سنة ١٠٢٦هـ

عالم العربية والأدب في المخلاف السليماني في عصره غير مدافع ولا منافس،ولد ونشأ في مدينة صبيا،وقرأ على الشيخ محمد بن صديق بن أبي الفتح الحكمي في مدرسة آل الحكمي في أبي عريش،حتى أتقن العربية والأدب والفقه،ثم أكمل دراسته على يد عالم صبيا القاضي الأمين شافع ، ومن ثم تفرغ للإفادة والتدريس في مسجد صبيا،فانهال عليه الطلاب من المنطقة ومن أرجاء تهامة،حتى قيل : (لا نجد أحداً من أهل العربية في جهة تهامة إلا وللشيخ المحلوي عليه مشيخة أو نحوها) ، فتأدب وتفقه وأتقن العربية عليه الكثير من طلاب العلم والأدب .

وكان متقللاً من الدنيا زاهداً ورعاً،متفرغاً للتدريس في المسجد والعبادة والفتوى والتطبيب لأنه كان ملماً بعلم الطب ، فكانت حياته نفعاً عاماً ومعيناً ثراً من التدريس والفتوى والتطبيب ، وطال عمره في الأعمال الصالحة حتى أدركته المنية .

الفقيه العلامة محمد بن الهادي التمازي
المتوفى سنة ١٠٢٧هـ

شهر بالزهد والورع والفقه والتقوى ،ولد و توفى في مدينة صبيا.

المصــدر : العقيق اليماني .

الفقيه العلامة المفتي
رضي الدين صديق بن محمد السلاط مفتي الشافعية
في مدينة أبي عريش المتوفى سنة ١٠٢٨هـ

تفقه وتأدب على المفتي عمر بن عبد القادر الحكمي وغيره ، وانتهت إليه رياسة التدريس والفتوى بأبي عريش وانتفع به الكثير في دينهم ودنياهم،وكان على جانب كبير من الورع والزهد والتقلل من الدنيا إلى أن أدركته الوفاة .

الفقيه القاضي أحمد بن أبي بكر المقص
صاحب الأثلة[1] المتوفى سنة ١٠٣٥هـ

جمع بين العلم والعمل ووظيفة القضاء في جهته .

الفقيه محمد بن سهل البيشـي
المتوفى سنة ١٠٣٥هـ

تولى وظيفة القضاء في وطنه بيش وكان سديد الأحكام .

---

(١) انظر كتابنا « المعجم الجغرافي لمنطقة جازان » ص ٧٠ عن قرية الأثلة .

المصـدر : العقيق اليماني .

الفقيه العالم الأديب أحمد بن مهدي البهكلي
المتوفى سنة ١٠٣٨هـ

نعته صاحب العقيق بقوله : « الفقيه العالم الأديب الفصيح المصقع ، تفقه وتأدب بالجبال ثم لازم بيت الشريف بمكة . وتردد من مكة إلى الجهة مراراً ثم يعود إليهم ونال منهم عطاء كثيراً » .

الفقيه المقرىء جمال الدين محمد بن علي المعلم
المتوفى سنة ١٠٣٨هـ

من أهل قرية العقدة القريبة من مدينة أبي عريش،كان شيخاً في القراءات السبع،وكان له ملح ونوادر يأتي فيها بالنوادر والعجائب ، صحب الشيخ محمد بن قيراط،من رجال الجود والكرم .

الشيخ أبو القاسم بن علي بن صديق الحكمي
المتوفى سنة ١٠٣٩هـ

جمع بين الفقه،والأدب ذكر أن له أشعاراً رقيقة المعاني والمباني ، نعته صاحب العقيق اليماني بقوله : « وكان فقيهاً أديباً عالماً وله نظم عجيب » .

المصـــدر : العقيق اليماني .

العلامة الفقيه النحوي
جمال الدين محمد بن عيسى قلاص
المتوفى سنة ١٠٤٣هـ

نعته صاحب العقيق بالفقيه والنحوي والأديب الفهامة والإخباري المفسر الحافظ محمد بن عيسى قلاص،وأنه انتهت إليه رياسة الفتوى والتدريس في مدينة أبي عريش بعد الفقيه صديق السلاط .

شيخ المقرئين أحمد بن حيدر العريشي
المتوفى سنة ١٠٤٣هـ

انتهت إليه المشيخة في القراءات السبع في مدينة أبي عريش،ثم رحل إلى مكة المكرمة فقرأ ودرس القراءات بها،ولازم المجاورة والتدريس في القراءات إلى أن أدركته الوفاه .

محمد بن صديق بن موسى الديباجي
المتوفى سنة ١٠٤٦هـ

تولى القضاء ووصف بتحري العدل والورع والزهد في بلدة قرية الحجرين ونعت بالكرم وإطعام الطعام .

المصـــدر : العقيق اليماني .

الفقيه محمد الأمرح صاحب مشرف[1] من أعمال بيش
المتوفى سنة ١٠٤٧هـ

وكان كصاحبه النعمي – المذكور بعده – مرتبطاً بأشراف مكة ويعيشان في كنفهم

الفقيه حسن بن محمد الهديسي النعمي
المتوفى سنة ١٠٤٧هـ

نعته صاحب العقيق بقوله : (كان فقيهاً عالماً فطناً تعلق بأشراف مكة وعاش في كنفهم) .

الفقيه الشيخ علي بن مهدي الحكمي
المتوفى سنة ١٠٤٧هـ

نعته صاحب العقيق بقوله : (كان فقيهاً عالماً شاعراً له أشعاراً رائقة) .

---

(١) انظر تحقيقاتنا في كتاب (العقد المفصل) عن قرية « مشرف » ص ٦٥ .

المصـدر : العقيق اليماني .

سراج الدين المطهر بن علي بن محمد النعمان
المتوفى سنة ١٠٤٨هـ

ولد عام ١٠٠٤هـ بقرية الشقيري،وتلقى علومه خارج وطنه في صعدة وغيرها،وعاد إلى وطنه واعتكف على العبادة والتأليف،ومن مؤلفاته :

١ – الفرات النمير في تفسير القرآن المنير .
٢ – جلاء الفهوم وهو مختصر لكتاب ضياء الحلوم .
٣ – مختصر مفيد في الحديث .
٤ – شرح مفيد على قصيدة ابن الفارض التي مستهلها :

(سائق الأظعان يطوي البيد طي)

شمس الدين محمد بن أبي القاسم الحميدي التمازي الصبياني
المتوفى سنة ١٠٥٤هـ

نعته صاحب العقيق اليماني بقوله : « وفيها توفى الفقيه العلامة الفصيح المفلق الزاهد الصبور – وأورد اسمه – » ، ثم قال : « وهو أفصح من علمنا بالمخلاف السليماني ... الخ » .

الفقيه الأديب هادي بن عبد الله السبعي
المتوفى ١٠٥٥هـ

« جمع بين الفقه والأدب » – وهو من بيت علم وأدب معروف في منطقة المخلاف السليماني .

الكاتب المنشيء والأديب الأريب
إسماعيل بن محمد بن عبد القادر المحلوي
المتوفى سنة ١٠٥٥هـ

درس على والده ثم في مدرسة آل الحكمي بأبي عريش ومدرسة آل شافع بصبيا،حتى ألم بمعارف عصره فقهاً وحديثاً ومساحة وعربية وأدباً،وتولى كتابة الإنشاء لأمير صبيا أحمد بن حسين الخواجي ومع شهرته العلمية لم نظفر بشيء من نتاجه الأدبي أو الفقهي .

القاضي العلامة أحمد بن علي المهدي البيشي
المتوفى سنة ١٠٥٧هـ

تولى قضاء بيش إلى أن أدركته المنية .

المصــدر : العقيق اليماني .

الفقيه الأديب عقيل بن علي بن محمد النعمان
المتوفى سنة ١٠٥٧هـ(١)

جمع بين الفقه والتضلع في العربية .

القاضي العلامة عبد الرحمن بن محمد
المتوفى سنة ١٠٥٨هـ(٢)

تولى قضاء موطنه عتود وكان على جانب كبير من العلم والمعرفة .

محمد بن أحمد العواجي الأسدي العريشي المكي
٩٨٤ - ١٠٦٠(٣)

من آل الأسدي المعروفين بالعلم ، والأسديون أصلهم من قبيلة قحطانية يقال لهم آل خالدمساكنهم بنواحي جازان في بلدة تسمى المنارة غربي قرية الريان ، ومنهم جماعة في بلدة أبي عريش ، ونواحيها ، ومنهم الشيخ المتصوف عبد الله بن محمد الأسدي المعروف بالبلاع .

المصـــــدر :

(١) ، (٢) : العقيق اليماني .

(٣) : الثناء الباهر بتكملة الضوء السافر - مخطوط - .

رحل من وطنه إلى مكة فاستوطنها وبرز في العلم والتدريس،ومن مؤلفاته :

١ - كتاب اختصار المنهاج للنووي .

٢ - كتاب شرح الكافي في العروض والقوافي .

٣ - كتاب مقدمة الأجرومية .

الفقيه عثمان بن محمد بن ياسين
المتوفى سنة ١٠٦٠هـ[١]

علماً من أعلام فقه الشافعية في المخلاف السليماني في عصره،عرف بصاحب قرية الحجرين .

المفتي العلامة أحمد علم الدين شافع
١٠٦٤هـ[٢]

كان عين علماء الشافعية في المخلاف السليماني - منطقة جازان - وهو من أسرة توارثت رياسة الإفتاء في منطقة صبيا .

---

(١) ، (٢) المصـدر : العقيق اليماني .

الأديب الشاعر الهادي بن عثمان السبعي
المتوفى سنة ١٠٦٣هـ

نعت بالشاعر الأديب الفصيح وعرف بحسن الخط مع الأدب والشعر والبيان .

الشاعر الناثر أبو القاسم بن مهدي الحكمي
المتوفى سنة ١٠٦٦هـ

نعت بالذكاء المفرط والشعر الرائق والفصاحة المتناهية،والتضلع في كل فن من فنون الأدب ، وأنه قليل النظير في الذكاء وسعة الإطلاع .

صديق بن محمد بن صديق الدياجي
المتوفى سنة ١٠٦٦هـ

خلف والده في وظيفة القضاء والفتوى في جهة صبيا،وتوفى بقرية الحجرين .

نور الدين علي بن حسين النعمي
المتوفى سنة ١٠٦٧هـ

ولد سنة ٩٨٤هـ وأخذ العلم عن شيوخ عصره ، تولى القضاء بجهة صبيا ، وله مؤلفات ورسائل شهيرة – ذكر ذلك الشوكاني ولم يورد أسماء تلك المؤلفات أو بعض رسائله – ورزق باثنى عشر ولداً كلهم أدباء وشعراء .

الأديب الشاعر حسن بن شبير
المتوفى سنة ١٠٧٦هـ

ومع الأسف أنه كغيره من الشعراء الذين سجل وفاتهم صاحب العقيق اليماني ولم يتحفنا بشيء من أشعارهم .

الشيخ صديق بن علي بن صديق الحكمي
المتوفى سنة ١١٠٠هـ

من علماء آل الحكمي الأفاضل،جمع الحقيقة الشرعية والعلوم الفقهية والزهد والتصوف ، ويقول عنه صاحب « العقيق اليماني » : (كان رحمه الله العين الناظرة في مدينة أبي عريش في زمانه ، عم بجاهه خواص الأنام وعوامها) إلى أن قال : (ووضع الله له في قلوب الخلق من المحبة مالا تحيط به العيون،ولم تزل الملوك يحترمون جنابه ... الخ) .

المصـدر : العقيق اليماني .

العلامة علي بن عبد الرحمن بن الحسن بن شمس الدين البهكلي[1]
المتوفى سنة ١١١٤هـ

ولد بقرية ضمد سنة ١٠٧٣هـ،وقرأ مبادىء العلوم ثم ارتحل إلى مدينة صعدة،فكان موضع احتفاء شيوخ علمائها،وصنف شرحاً للكافية،ثم عاد إلى بلدة ضمد فانتفع فيها بعلمه وتتلمذ عليه عدد من أبنائها،ثم ارتحل إلى بلاد الشرق،ثم عاد إلى وطنه،وفي تلك الأثناء ولي القضاء بمدينة صبيا،وتزوج بها وأولد بها،وظل بها إلى أن أرتحل إلى مدينة صنعاء في سنة ١١١٣هـ للاستزادة من العلم،وفي صنعا أدركته المنية فتوفى مأسوفاً عليه في سنة ١١١٤هـ .

عبد الله بن علي بن محمد النعمان الشقيري

من علماء المنطقة في القرن الحادي عشر ، لم نقف على تاريخ مولده ولا تاريخ وفاته ، وهو شقيق علامة عصره الفقيه سراج الدين المطهر بن علي بن محمد النعمان العالم المحقق الفرضي النحوي الأصولي المفسر ، الذي نعته علامتنا في كتابه المعروف « العقيق اليماني » بـ (علامة الزمان ونادرة الأوان) . ومؤلفه هذا من أحفل تواريخ المخلاف السليماني وأشملهم وأحواهم لتاريخ ما يقارب من ثلاثمائة وخمسين سنة،فيه من المعلومات لتاريخ المنطقة مالا يوجد في مصدر غيره .

وبيت آل النعمان من أشهر البيوت العلمية في منطقتنا .

ومن مؤلفاته التي عرفناها :

– كتاب العقيق اليماني في نحو ٥٠٠ صفحة من القطع فوق المتوسط .

---

(١) المصـدر : نيل الوطر « مطبوع » .

الفصل التاسع

دراسة للحياة الأدبية والفكرية
في القرن الثاني عشر

إن القرن الثاني عشر كان منعطفاً لعودة الحياة الأدبية إلى الوجود، بعد خفوتها النسبي في القرن الحادي عشر، وإذا قلنا (خفوتها) فنعني به من ناحية الكيف لا الكم ، فعدد الأدباء والشعراء في القرن الحادي عشر وفير، وإنما تعدد أسماء حفظها لنا التاريخ بدون أن يورد لنا شيئاً من نتاجهم الفقهي والأدبي ، وبذلك لا يمكن للدارس أن يُقَوِّم شيئاً مفقوداً ، وأثراً معدوماً .

لقد عَدَتْ عَوَادي الأيام على أكثر - إن لم نقل جل - أدب القرن الحادي عشر من شعر ونثر ، فإن نحو خمسين قاضياً ونحوياً وشاعراً ومؤرخاً وجدوا في ذلك القرن ليسوا بالعدد اليسير ، وفيهم من الشخصيات العلمية والأدبية مثل : المؤرخ عبد الله بن علي النعمان ، وكالأديب الناثر سراج الدين عمر بن محمد مكي الجازاني ، وغيرهم وغيرهم، ممن ذكرنا أسماءهم ضمن رجال القرن الحادي عشر الهجري ، أو لم نذكرها لعدم وجود آثارهم مدونة .

لقد كان القرن الثاني عشر أوفر حظاً ، وإن كان أقل عدداً ، فقد حفظت لنا بعض المؤلفات آثاراً جيدة من الشعر والنثر، تدل على ما كان لأدباء هذا القرن من الآثار الأدبية الخالدة، والأقوال الرصينة الجادة ، وهنا ظاهرة كريمة لأدباء المخلاف السليماني – من أول ما دون من آثارهم إلى آخر ما وقفنا عليه في القرن الثالث عشر – بُعْدُهم عن الإسفاف وفحش القول ، وقذاعة الهجاء ، وإذا كان الشاعر ابن هتيمل، أو ابن سحبان، قد تناولا شيئاً من ذلك – أي من الهجاء – فانهما بالنسبة إلى غيرهما لم يبلغ هجاؤهما حد القذع والفحش أو تدنيس الأعراض ، وهي بادرة يحسدهما عليها غيرهم ، ويحمد لهما فيها نهجهما، وإذا كان من الناحيتين المذهبية والعقائدية قد جرى بين السنة والشيعة، أو بالأصح بين الزيدية والشافعية، ما جرى من التعصب المذهبي وذم كل طائفة للأخرى، فذلك قد

جرى في أكثر البلاد الإسلامية، مع إنه في المخلاف السليماني أقل هُجراً وأبعد عن الإسفاف .

ومن المعلوم والمعروف أنه لا يمكن للمؤرخ الأدبي أن يورد جميع المأثورات من شعر ونثر ، فذلك مكانه دواوين الشعراء وكتب الأدب ، وإنما مهمة المؤرخ الأدبي أن يورد مختارات من الفنين، تمثل أدب ذلك القرن، كدليل وشاهد على ما بلغه الأدب من السمو أو الانحطاط، أو من الجودة والردائة، أو القوة والضعف ، فأدب كل قرن هو صورة من الحياة الأدبية والثقافة الإنسانية لما بلغه مثقفيه من الحياة الفكرية . وعلماء الدين ورجال الأدب والمفكرين في كل جيل، هم مشاعل الرقي ومنائر دروب الفكر الإنساني .

وإذا كان البقاء للأصلح فخلود أسمائهم، وتداول آثارهم، وحفظ مأثوراتهم، دليل على أهمية ما ألّفوه من علم، وأنشأوه من أدب، تجد فيه الأجيال نمطاً من النتاج الأدبي والإضاءة الفكرية لمسيرة التقدم ودروب الرقي الحضاري ، ومتعة الفكر وإرضاء التطلعات الإنسانية، وإشباع الميول الكريمة ، إن في الكلام جواهر وعروضا وحصى ورغام فالجوهر من البيان هو ما يحرص الناس على حفظه وتدوينه وتداوله، وله جوانبه الجمالية ، والجمال في كل شيء له سلطانه على العقول وحكمه على النفوس، بإدراك أثره الجمالي بما يحدثه في النفوس من وهج في المشاعر، وإيقاظ في الأحاسيس، وهزة في الأرواح، ونشوة في الفكر ومتعة في النفس ، فالأدب على وجه العموم يتسامى بمتذوقيه ويهذب عارفيه ، ويميز أربابه بنوع من العرفان وقدر من التفهم الذكي، حتى ولو كانوا من أهل الجاهلية الذين عاشوا قبل الإسلام .

فنحن نعجب بأشعار أهل الجاهلية، وهم على ما يُعرف من الكفر والبعد عن الإيمان ، فمن منا لا يعجب بأشعار امرىء القيس على تهتكه ، وطرفة بن العبد على خلاعته ، والأعشى على تسوله بشعره ومعاقرته للشراب ، والحارث بن حلزة على برشه؟ وبخُطَبِ قس بن ساعدة ، وحِكَمِ أكثم بن صيفي ، وغيرهم من الجاهليين مثل : أمية بن الصلت ، وابن الزِّبعرى وهم جاهليو المسلك والدين .

كما نعجب بأشعار الحُطيئة على ما هومشهور به من ضعف تدينه وقذاعة هجائه، وما يتصف به من الطمع المزري وقرض الأعراض .

فما الذي يشد الناس إلى حفظ المأثور من القول، والجيد من الشعر، مما أوجب على الناس الطواعية بحفظه قبل التدوين ، وحرصهم على المغالاة في ذلك بعد التدوين ، وتخليد أسماء قائليه ورواته، وحُفَّاظه والعارفين بخصائصه الجمالية، ومجالاته البلاغية وفصاحته البيانية ، إن سر قوة تأثير الأشياء الجميلة في الأدب والفنون على اختلاف أشكالها وتباين أنواعها، تسلم به العقول السليمة، وتؤمن به الأفكار المستنيرة، وتُقِرُّ بتأثيره الفطن الذكية .

إن آثاراً أدبية في العربية مضى عليها ستة عشر قرناً أو أكثر وهي تحفظ وتروى، ترددها الألسن ويستشهد بها المستشهدون، ويتمثل بها المتمثلون .

إن هذه الظاهرة ليست في اللغة العربية ودنيا العرب - على وجه الخصوص - بل هي ظاهرة عالمية ، فالآداب الإغريقية تحفظ وتروى كسجل من أحقاب القرون البعيدة، وفي المثولوجيات والأشعار والأساطير الهندية التي منذ العصور الموغلة في القدم ، ولولا ما تحمله تلك المأثورات من الخصائص الجمالية، والأسرار البلاغية، وقوة أثرها على النفوس وسلطان أسرارها البياني على الأفكار، لما حفل غالبية أهل الهند - الذين يقاربون الخمسمائة مليون - على الحرص على تلك الكنوز، وأقدم من ذلك مأثورات الصين، الذي ينوف تعداد أهلها على الثمانمائة مليون .

وإذا كان المخلاف السليماني هو منطقة من مناطق شبه الجزيرة العربية، ومقاطعة من مقاطعات المملكة العربية السعودية، فإن إحياء مأثوراتها العلمية والأدبية يعد رافداً من روافد الآداب العربية في المملكة، والتي هي أوسع وأكبر دولة عربية في شبه الجزيرة، وتعد آدابها ومأثوراتها رافداً عظيماً من روافد الأدب العربي العام على وجه العموم .

فالأدب في القرن الثاني عشر كان له حضور ملموس ، ووجود مقروء ومحسوس يتمثل فيما سوف نورده من شعر ونثر، كنماذج أدبية في ذلك القرن .

وبالنسبة إلى النثر نقدم ثلاث قطع :

١ – المقامة الضمدية للقاضي الأديب الحسن بن علي بن حسن البهكلي ١٠٧٧ – ١١٥٥،وهذا النص من النثر الفني الرفيع يدل على مؤهلاته الأدبية واللغوية .

٢ – من مقدمة كتاب نزهة الظريف في دولة أبناء الشريف محمد بن أحمد،للعلامة الأديب القاضي عبد الرحمن بن الحسن البهكلي ١١٤٨ – ١٢٢٤ .

٣ – النص الثالث مناظرة بين النخل والكرم للقاضي الأديب عبد الرحمن بن الحسن البهكلي،وهذه المقامة في حكم المفقودة،لولا ما أشار إليه قاضينا الأديب في مؤلفه « خلاصة العسجد » في حوادث سنة ١١٧٧ .

أما الشعر وأبوابه في القرن الثاني عشر فسنأتي عليه بعد النصوص النثرية .

***

النثر

دراسة وتحليل للمقامة الضمدية

إن المقامة الضمدية تعد من ذخائر أدب المقامات في المخلاف السليماني ، فقد ترسم خطى البديع والحريري، فجاءت فريدة في بابها في فترة ركد الأدب وصوّح نباته ، وغيضت ينابيعه في العالم العربي ، فجاءت كالغرة الشادخة ، والطرة الشامخة ، جعلها على لسان كرمة حملها السيل من المرتفعات الجبلية إلى سهول تهامة وأغوارها البهية ، ومن الأجواء الباردة إلى الآفاق القايظة ، وراح يعبر عن لسانها بما يذيب الأكباد ، ويستمطر العبرات ، وزين طرازها ونمق جملها بأبيات شعرية مستشهداً بها على ما جرى من الأحداث على تلك النبتة الكريمة ، فجاءت تحفة من تحف البيان ، وآية من آيات البلاغة .

لقد خرج مع بعض الرفاق إلى أرض مطلولة بالندى، من رياض هجرة ضمد في مجرى الوادي ، فمر بكرمة في بعض تلك الجنان، قد أوقدها حر الهجير ولفح السمائم، فذبلت أوراقها ، وذوت أغصانها ، وتخيلها تستغيث، وكأنه يسمع زفرات أنينها ، وحشرجة أنفاسها ، وتلهب زفراتها ، وتقول : يا معاشر المسلمين ، هل من مستمع لشكيتي ، وراح يعبر عن لسانها بما يذيب الأكباد حزناً ، ويورث النفوس غما ، فوقف مستمعاً لما تجأر به من الشكوى، ليخفف عنها ما تقاسيه من البلوى ، فرجى من أصحابه الوقوف عندها ، والإصغاء لبثها ، والاستماع لقضيتها من ابتداها إلى انتهاها، لعل يكون في ذلك لطيفة من لطائف الأدب ، وومضة من ومضات الإبداع ، وتحفة من تحف القصص ، وراح يعبر عما أفضت به جواباً على سؤاله عن أسباب قدومها إلى بلد ليس هو للكرم موطناً ، فأجابت أنها من كرائم الكرم أصلاً ، وممن حوتها حدائق الملوك ، وغرست في جنائن الأشراف ، وأنها تنحدر من سلالة أنبل الكروم ، وأشرف الأعناب ، وأنها لا يُقطف ثمارها إلا للملوك والنبلاء ، ولا ينال ينعها الصعاليك والدهماء ، وأنه جاء سيل جارف فاقتلعها من منابت العز وقمة الشرف ، وانحدر بها إلى الحزون والسهول ، وألقاها حيث يرى ، فأخذ في مواساتها ، وتهوين ما أصابها .

وانتهت المحاورة ، وأجمع رأيه ورفاقه على إرجاعها إلى موطنها، فهيئوا لها محفة ، وأركبوها جملاً ، وأرفقوها بمن يحسن الصحبة ، ويجمل الرفقة . وهنا انتهى الحديث واستكملت المحاورة .

إن هذه المقامة ـ كما جاء في مخطوطة خلاصة العسجد الورقة ١٦، ١٧ـ كانت مشهورة في المخلاف السليماني، وعليها شرح واف للفقيه الأديب أحمد بن محمد النمازي[1].

* * *

(١) ورد اسم هذا الأديب في خلاصة العسجد في الورقتين ١٦ ، ١٧ في حوادث سنة ١٠٥٥، وعلق المؤلف بقوله : « وكم له – والضمير يعود إلى النمازي نفسه – غير ذلك مما يفتقر إلى كراريس وبلغني أن له تاريخاً منظوماً في حوادث أيامه، ولم أقف عليه، وقد أملى لي بعض الفضلاء شيئاً منه في سن الحداثة وعدم الاشتغال بهذا الفن، فلم أعرف من أين ابتداؤه ولا من أين انتهاؤه ، وبالجملة فلسان القلم كليل عن الإحاطة بجميع وصفه الجميل ، وكثير من أشعاره ورسائله مدونة بأيدي من يتعلق بالأدب من أهل الجهة .

المقامة الضــــمدية

للقاضي الحسن بن علي بن حسن البهكلي

استهل المنشيء – رحمه الله – مقامته بقوله : فإنه لما كان في شهر جمادى عام ١٣ – لعله يقصد عام ١١١٣ – خرجنا إلى أرض[١] ضحية من أعمال هجرة[٢] ضمد ، فوجدنا في بعض مسايله كرمة مورقة،وبلهب شمس القيظ محرقة ، فاشتاق ؟ لسان الحال بهذه المقامة ، وهي على جمود قريحة قائلها علامة،وأي علامة .

ومن عجائب الإتفاق ، وغرائب النوادر الحلوة المذاق ، أن ضمتنا بعض النزه مع بعض الرفاق ، بأرض ندية من رياض الهجرة الضمدية ، إذ مررنا بكرمة في بعض تلك الجنان ، ناحلة الجسم ذاوية الأغصان .

وهي تنادي بصوت حزين مشوب بزفرة وأنين ، وتقول يا معاشر المسلمين ، هل

---

(١) أرض ضحية : بارزة ، وضاحية كل شيء : ناحيته البارزة ، ومكان ضاح : بارز . قال تعالى:﴿ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾[١] – أي لا يؤذيك حر الشمس .

وقال عمر بن أبي ربيعة :

رأت رجلاً إما إذا الشمس عارضت فيضحى ، وإما بالعشي فيحصر

وضحيت الشمس : برزت . وفي الحديث عن عائشة : فلم يرعني إلا رسول الله ﷺ قد ضحى – أي ظهر .

(٢) هجرة ضمد : كلمة « هجرة » بالكسر لغة : مفارقة بلد إلى غيرها ، فإن كانت قربة لله فهي الهجرة الشرعية ، وأصل المهاجرة عند العرب خروج البدوي من باديته إلى المدن ، وكذا كل مخل بمسكنه منتقل إلى قوم آخرين بسكناه ، وسمي المهاجرون مهاجرين لأنهم تركوا ديارهم ومساكنهم التى نشأوا بها ، والهجرة في الأصل الاسم ضد الوصل ، وهجيرى الرجل : كلامه ودأبه وديدنه وشأنه وعاداته ، وقد ورد في تاريخ اليمن الأعلى القديم مدن أو قرى يطلق عليها اسم « هجرة بني فلان » وإلى هذا التاريخ يوجد بلدان باسم هجرة « كذا » ، مثل هجرة فلله في جهة صعدة .

وضمد : وادٍ من أودية المخلاف السليماني – منطقة جازان – ، ورد اسمه مع جازان في كتاب « الخراج ←

---

(١) سورة طـه الآية (١١٩)

من مستمع لشكيتي ، وواع لقضيتي ، وراث لمن ترامت به البلدان ، واعتورته نوائب الحدثان ، ثم تنفست الصعداء وأنشدت :

وماذات طوق في فروع اراكة ... لها رنة تحت الدجى وصدوح
ترامت بها أيدي النوى وتمكنت ... بها فرقة من أهلها ونزوح
فحلت بزوراء العراق وأهلها ... بعسفان ثاوٍ منهم وطليح
إذا ذكرتهم هيجت ذا بلابل ... وكادت بمكنون الغرام تبوح
تحن إليهم كلما ذرّ شارق ... وتسجح في جنح الدجى وتنوح
بأوجد من وجدي بذكرى أحبتي ... إذا لاح برق أو تنسم ريح

ثم شهقت شهقة عظيمة ، من أحشاء وجوانح سقيمة ، خالطنا الشك أنها قضت نحبها ، ولقيت ربَّها ، فتفطرت منا لعظم ما شاهدناه الأكباد ، ولبسنا من أجل ذلك غلائل[1] الأنكاد ، وعلمنا أن الإستماع لشكواها من بلواها والإصاخة لقضيتها من ابتداها[2] إلى انتهاها إن لم يكن فرضاً واجباً ، وحتماً لازباً ، وإلا كان من باب قول القائل :

ليحيى بن معين المتوفى سنة ٢٠٣ ص ٨١ : حديث أن رجلاً قال يا رسول الله إني أحب الجهاد والهجرة ، وأنا في حال لا يصلحه غيري، فقال ﷺ : لن يألتك الله من عملك شيئاً ، ولو كنت بضمد وجازان – راجع كتابنا المخلاف السليماني – القسم الأول جـ ١ الصفحة الأولى – الطبعة الأولى – بعنوان « ضمد » .

(١) الغلائل : جمع غلاله – بالكسر ، وهي الشعار – أي الثوب الداخلي الذي يلبس تحت القميص ، ولكل كلمة معنى حقيقي ، ومجاز ، فإذا أطلقت مجازاً على الدروع فذلك على سبيل المجاز لا الحقيقة، بشرط أن توجد القرينة التي تربط بين المشبه والمشبه به ، وهذا معروف في علم المعاني والبيان .

(٢) ابتداها وانتهاها : وردت في كلام العرب مخففة مسهلة .
جاء في لسان العرب « مادة رأى » أنشد ابن جني :

حتى يقول من راه إذ راه ... يا ويحه من جمل ما اشقاه

أراد كل من رآه إذ رآه ، فسكن الهاء وألغى حركة الهمزة ، انظر ص ٩٨ قبله .

قال سيبويه : كل شيء أوله زائدة من الزوائد الأربع نحو أرى ، فإن العرب لا تقول ذلك بالهمز .. الخ .

صاح هل ريت أو سمعت براع ... رد في الضرع ما قرى في الحلاب

ولا بد من شكوى إلى ذي مروءة يواسيك أو يسليك أو يتوجع

فقلت لصاحبي هلم إلى هذه الضعيفة ، فلابد عندها من نكتة لطيفة ، فإن صدور بعض الأعراب من خزائن الآداب ، فدنونا إليها راغبين ، ولما سمعنا منها شافعين ، فقلنا لها: أي صاحبة الزفرات،عليك السلام تحية الأموات .

قدر أحلك ذا المجاز وقد أرى وأبيك مالك ذو المجاز بدار

ما أقدمك البلاد من الحجاز ، وإنما هي موطن النعمة المباركة الفروع والأعجاز ، أضللتِ عن السبيل أم أردت سكون الأطراف،تبعاً لبعض الأشراف ، فهي مواضع الطراف ، لقد استسمنتِ ذا ورم ، وتبدلت ببرود النسمات النجدية بالضرم .

ما أنت أول سار غره قمر ورائدٍ أعجبته خضرة الدمن

فقالت:وعليكم السلامَ ما صدحت ورق الحمام ، على عذبات البشام ، وأهدت نسيمات الصبا روائح الخزام ، أيها القوم الأدباء ، والرفقة النجباء ، صهٍ ومهٍ،أصيخوا لما ألقيه ، واستمعوا لما أرويه ، وأعملوا بقول نبيكم صلوات الله عليه : « ارحموا عزيز قوم ذل ، وغني قوم افتقر ، واعلموا أن الأمر النافذ ليس له من دافع ولا مرد دون وقوعه حاجز ، وكما قال صلوات الله عليه : « لا حذر من قدر » .

والرأي ، والرواء ، والمرآة : المنظر ، وفي الحديث : حتى يتبين له رئيهما وهو بكسر الراء وسكون الهمزة – أي منظرهما ، وما يرى منهما .

وقوله تعالى : ﴿ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا ﴾[1] ، قرئت : رِئْياً بوزن رِعْيَا ، وقرأت رِيّاً قال الفراء في قوله تعالى : ﴿ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾[2] ، إذا تركت العرب الهمزة من الرؤيا قالوا : الرويا – طلباً للخفة ، وانشد جراح :

لعرض من الأعراض يمسي حمامه ويضحى على أفنانه الغين يهتف

أحب إلى قلبي من الديك رية وباب اذا ما مال للغلق يصرف

أراد : رؤية ، وزعم الكسائي أنه سمع أعرابياً يقرأ : إن كنتم للريا تعبرون .

المرآة : معروفة بكسر الميم ، وأصلها مراية على مفعلة تحركت الياء وانفتح ما قبلها ، قلبت ألفا وكسرت الميم لأنها آلة ، وجمعها « مراء » مثل جوار وغواش لأن ما بعد ألف الجمع لا يكون إلا مكسورا، وجمعت أيضاً على « مرايا » قال الأزهري : وهو خطأ .

وهو حسن المرأى والمرآة .

---

(١) سورة مريم من الآية الكريمة رقم ٧٤ . (٢) سورة يوسف من الآية الكريمة رقم ٤٣ .

وإني من صميم سادات الكرم أصلاً،وممن نال سهم القدح المعلى ، إذ لا أقطف إلا للملوك الأكابر،ولا ينالني الصعلوك المقامر ، وكنت غرسة في بعض حدائق الأشراف يخدمني من أنواع الكرم الحظر والأطراف ؟ ، وتاقت نفسي أن يخدمني غيرهما من الألفاف ، فحصل على أهل تلك الناحية جدب عظيم ، وقحط عميم،فالتجأوا إلى بعض أهل الصلاح ، مستشفعين[1] في سيل يملأ الشعاب والبطاح .

وكان قطباً من الأقطاب منقطعاً في طاعة رب الأرباب لا يعرف بوطن ، ولا يلوي على عطن[2]، وإنما دأبه السياحة ، وديدنه النياحة ، فمد يده إلى السماء في رفع تلك الدهماء ، فجاء سيل يشبه الطوفان،يقتلع الأعجاز والأغصان ، فمر بي وأنا بين أولئك الوصائف،مع رفقة شرائف ، فاعتصموا منه بجبل عال،لا تنال قلله الأوعال .

ولما كنت من أهل الترف لا أستطيع التحول عن موضعي ، فأقتلعني السيل ، وقال هيا معي ، فرمى بي بهذه الديرة ، وأنا بأحوال الوقت غريرة ، وصرت – كما ترون – مجاورة للأثل والأراك ، وزروع الذرة والتنباك ، وددت لو أني حللت رمسي ، ولا حبسي مع غير جنسي ، ثم أعرضت إعراض الكئيب المحزون ، وسحت بالدموع منها الجفون،وأنشدت شعراً يكتب بماء العيون :

ثلاث يعز الصبر عند وجودها ... ويذهل عنها عقل كل لبيب
خروج إضطرار من بلاد تحبها ... وفرقة إخوان وفقد حبيب

فقلنا لها : الأولى بك صبراً ، وتأسياً وإعراضاً وتسلياً ، فمهلاً مهلاً ، لقد أتيت أهلاً،ووطئت سهلاً ، فهل لك في مجاورة ذي البسر والرطب ، فهو كفء كريم من صميم العرب ، فلعل أن تنجلي عنك هذه الغُمَّة ، فقد جعل الله بين الزوجين مودة ورحمة ، ويقلَّ ما بك من لوعة الغربة والشطن ، فإن الزوجية على ما قيل وطن .

فقالت:أما علمتم أني في عصمة بعض ملوك الكرم ، فإمسكوا عما تم ، ثم أن محبة الوطن من خلال الشرف ومخائل الكَرَم ، بل من الإيمان كما ورد في الأثر الذي رواه

---

(١) هكذا في الأصل .
(٢) في الأصل « ولا يحن على حضن » .

السلف ، وما زادها ذلك إلا تلهفاً وتحسراً ، فتنهدت عند ذلك تنهداً منكراً ، فسمعت بلبلاً يترجم في بعض الغصون،وتجيبه قمرية يورث ترخيم صوتها الشجا والشجون فتمثلت بقول العباس بن الأحنف .

يا غـريب الدار عــن وطنـــه مفـــرداً يبـكي على شــجنه
كلمـا جـــد الرحيـــل بــــه دبــت الأســقام في بدنـــه
ولقـد زاد الفـــؤاد شــــجا طـائر يبـكي على فننـــه
شــفني مـا شـــفه فبـــكى كلنـا يبـكي على ســكنه

ثم استقبلت بوجهها ناحية الشرق ، فلاح لها من تلك الناحية وميض البرق ، فلم تتماسك ، و قالت منشدة ، وزفراتها في أحشائها مترددة :

ألا ياســنا بـرق عـلا قلل الحمـى لهنــك من بــرق علي كـــريم
لمعت اقتذاء[1] الطير والقوم هجـع فهيجــت أسـقاما وأنت ســليم
فهـل من معيري طرف عين جليـــة فإنســان طرف العـامري كلـــيم
رمـى قلبـه البرق الحجــازي رميـة بذكر الحمـى وهنـاً فظـل يهـيم

فحينئذ أضربنا عما أردناه من إقامتها صفحا ، وطوينا عنه كشحا ، وأجمع الرأي نحن وأولئك الأقوام أن نجمع ما تيسر لها من الورق رعاية لحق الجوار ، وفراراً من اللوم ، وعلمنا أن إرجاعها إلى موضعها من مجامع الإحسان،فمن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ، كما نص عليه القرآن ، فأرسلناها صحبة من يركن عليه ، وأركبناها هودجاً ، وقلنا : على اسم الله وتوكلاً عليه[2]. انتهى .

---

(١) اقتذاء الطير : اختفى . قال حميد بن ثور :

خفى كاقتـــذاء الطـــير والليـــل مدبـــر بجثمانـــه والصـــبح قـد عـــاد يصـــدع

(٢) مصدر المقامة : « من تراث الجزيرة » للدكتور أبو داهش .

من مقدمة كتاب
نزهة الظريف

وبعد فقد استخرت الله سبحانه وتعالى وهو المستخار المستعان،وعزمت على ذكر الحوادث الجارية في دولة أولاد الشريف من الوقائع الكبار قصد التنبيه للغافل ، وإرشاد للغريب الجاهل،متجنباً للإقذاع ضارباً صفحاً عما تنفر منه الطباع والأسماع ، غير متعرض لأحد بأذى من المخلوقين ، ولا متعنت لفرد من أفراد المؤمنين ، ومن الله أستمد الإعانة والتوفيق،والهداية إلى أوضح طريق .

❊ ❊ ❊

المناظرة بين النخل والكرم
للقاضي الأديب عبد الرحمن بن حسن البهكلي

في حوزتي عدد من نسخ « خلاصة العسجد »،أهديتُ ما أهديتُ منها أصولاً لمكتبة الجامعة،وبقى لدي نسخة أصلية بقلم شيخنا المرحوم عبد الله بن علي العمودي، تاريخ نسخها سنة ١٣٦١هـ ونسخة أخرى مصورة عن نسخة في باريس تاريخ نسخها سنة ١٢١٨هـ،وقد رمزنا إلى نسخة العمودي بـ (ع) ، كما رمزنا إلى نسخة باريس بـ (ب) ، وبما أن هناك اختلافاً بين النسختين،فأوردنا في المتن ما رأيناه صواباً كما ورد في ديوان الشاعر ابن هتيمل،وأوضحنا في الحاشية ما جاء في النسختين .

إن هذه المناظرة ـ أو ما يسميها منشؤها المقامة – هي كانت في حكم المفقودة،لولا ما أشار إليه القاضي الأديب في مؤلفه (خلاصة العسجد في دولة محمد بن أحمد) في حوادث سنة ١١٧٧هـ حيث قال :

(أحيا الشريف محمد بن أحمد الخيراتي شريج[1] البَيّض ، وعمر البيوت التي قبلي الشريج المذكور ، واختارها بدلاً عن أبي عريش ، وسمى تلك القرية « الزهراء » ، وكان أكثر إقامته بها يحرث شريجي البيض وخريم ، وأحدث بها بستاناً من النخيل والعنب[2]، يروق النظر ، ويجلو الكدر ، فصفيت له الأيام ، ورمقته السعادة بعيونها ونامت عنه عيون حوادث الأيام ، وأنشأتُ في ذلك البستان عند أن طلب مني ذلك ما هو في حكم[3] المقامة،يتضمن التعجب من ازدواج الكرم والنخل ، واجتماعهما بذلك

---

(١) الشـــــريج : الأرض الشجراء التي على جانب الوادي .

(٢) في النسخة (أ) : وأحدث بها بستاناً من النخل والكرم .
في النسخة (ب): وأحدث بها بستاناً من النخيل والعنب .

(٣) في النسخة (أ) : طلب مني ذلك ما هو في حكم المقامة .
في النسخة (ب): طلب مني ذلك ما هو في محكم المقامة .

البستان على أحسن الوجوه ، بلى فصل ، على أن أحدهما من ثمرات الجبل،والأخرى من ثمرات السهل[١]، فما أحق البسر والرطب ؟ أن ينشد لسان حاله في تلك الحال[٢] قول الأديب القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي، السائر شعره مسير الأمثال، إذ قال :

إذا جئت الغضا ولك السلامه — فطارح بالتحية ريم رامه
وقل للوائلية هل لروحي — وما أتلفت من جسدي غرامه[٣]
حللت تهامة وحللت نجدا — فأين وأين نجد من تهامه

على أن الكرمة قد منت عليه بالوصال،فيحسن منه أن ينشد[٤] قول الأديب المذكور حيث يقول :

وخفت من الكواشح أن تلمي — بنا فمري[٥] خيالك يا أمامه

والمقامة موجودة متداولة بأيدي الأصحاب بالجهة[٦] ،تحتوي على شواهد وأمثال ناطقة بحقيقة ما وقع بين الجنسين من الازدواج في تلك الحال) . انتهى .

---

(١) في النسخة (أ) : من ثمرات تهامة . وفي النسخة (ب) من ثمرات السهل .
(٢) في النسخة (أ) : أن ينشد لسان حاله في تلك الأحوال .
في النسخة (ب): أن ينشد لسان حاله في تلك الحال .
(٣) في النسخة (أ) :فقل للوائلية هل لسقمي — وما أتلفت من جسدي غرامه
في النسخة (ب): وقل للوائلية هل لروحي — وما أتلفت من خدي غرامه
(٤) في النسخة (أ) : فيحسن منه أن ينشد قول الأديب هذا حيث يقول .
في النسخة (ب): فيحسن منه أن نشد قول هذا الأديب المذكور حيث يقول .
(٥) في النسخة (أ) : وخفت من الكواشح أن تلمني — فيا قمري خيالك يا أمامه
وهذا خطأ والصواب ما ورد في النسخة (ب) :
وخفت من الكواشح أن تلمي — بنا فمري خيالك يا أمامه
(٦) في النسخة (أ) : والمقامة موجودة متداولة بأيدي الأصحاب في الجهة .
في النسخة (ب): والمقامة موجودة متداولة بأيدي الأصحاب بالجهة .

الشعر

الشعر في القرن الثاني عشر

أما الشعر في القرن الثاني عشر فكان له نصيبه،وإن كان لا يخرج عن الأبواب التقليدية من المديح والرثاء والعتاب وشكوى الزمان ، وبعد هذا نقدم النصوص المختارة كالآتي :

١ – مقطوعة في العتاب للقاضي الحسن بن علي بن حسن بن أحمد البهكلي .

٢ – مقطوعة في النسيب للقاضي الحسن بن علي بن حسن بن أحمد البهكلي .

٣ – مقطوعة في شكوى الزمان للقاضي الحسن بن علي بن حسن بن أحمد البهكلي .

٤ – مرثية القاضي عبد الرحمن بن حسن البهكلي في الأمير حيدر الخيراتي .

٥ – مرثية القاضي عبد الرحمن بن حسن البهكلي في قريبه عز الدين محمد بن علي بن عبد الرحمن البهكلي .

٦ – مقطوعة من مرثية في قريبه علي بن حسن البهكلي .

٧ – مرثيته في القاضي إبراهيم بن عبد العزيز النعمان .

٨ – مرثية القاضي أحمد بن حسن البهكلي في الأمير حيدر الحسني .

❊ ❊ ❊

شعر العتاب



من شعر العتاب
للقاضي الأديب الحسن بن علي بن الحسن
ابن أحمد البهكلي ١٠٧٧هـ - ١١١٥هـ[(١)]

صددت اعتماداً عن وصالي تجنيا ... علي وما مثلي بذاك خليق

ولو ترى ما عندي لمثلك لم تزل ... تسير على الأحداق وهو حقيق

وهذا وداري حول دارك ملصقا ... فكيف إذا كان المحل سحيق

ولو صد عني من أريد صدوده ... لقلت لرحلي حين مال رقيق ؟

« عدس مالعباد عليك إمارة ... نجوت وهذا تحملين طليق » ؟

(١) من مواليد هجرة ضمد سنة ١٠٧٧هـ - وبعد أن استظهر حفظ كتاب الله ، ألتحق بخاله العلامة علي بن عبد الرحمن البهكلي ولازمه سفراً وحضراً،وأخذ في الدراسة على يده حتى فاق أقرانه ، ومع توجه خاله إلى صنعاء استصحبه معه،وهناك أخذ في الاستزادة حتى برع في علوم العربية وأصول الفقه،وغير ذلك من فروع المعارف ، وبعد تخرجه عاد إلى وطنه هجرة ضمد،ثم أسند إليه وظيفة القضاء في مدينة جازان ثم في مدينة أبي عريش ، ومع ذلك كان يقوم بالتدريس والإفتاء ، كان رحمه الله آية في النظم والنثر وفي أشعاره[(١)].

(١) أنظر كتابنا « أضواء على أدب وأدباء منطقة جازان » ص ١١٣ .

المصدر : مخطوطة « خلاصة العسجد » الورقة ١٦ .

شعر النسيب

القاضي الأديب الحسن بن علي الحسن بن أحمد البهكلي

١٠٧٧ - ١١١٥

خليلي كم أخفي هوى لا أطيقه ... وأكتم حر البين بين ضلوعي

وحبكما فيما تجن جوانح ... من الوجد أو مما تفيض دموعي

مبيتي على شوك القتاد مسهداً ... وماء عيوني من دم ونجيع[1]

(١) مخطوطة خلاصة العسجد الورقة (١٥) .

شعر
شكوى الزمان والحال

من شعر

شكوى الزمان والحال

للقاضي الأديب الحسن بن علي بن الحسن
ابن أحمد البهكلي ١٠٧٧هـ - ١١١٥هـ[١]

من جرب الدهر الخؤون وأهله	أضحى لجيش الهمّ فيه مطردا
من لي بمن أشكو إليه جوانحي	لهباً فيرويه نقاخا باردا
ويرى الخلي بشاشتي وطلاقتي	فيظن أني للخطوب مساعدا[١]

---

(١) مخطوطة خلاصة العسجد الورقة ١٥

شعر الرامي

القاضي عبد الرحمن بن حسن بن علي البهكلي[1]
يرثي الأمير حيدر بن محمد الخيراتي الحسني

مالي أرى شمس الضحى لا تكسف ... والبدر في أنواره لا يخسف
والزُهر في أفلاكها مسرورةٌ ... والأرض ليست كالخلائق ترجف
والراسيات الشامخات مشيدة ... فيها ، فلا دكت ، ولا هي تنسف
والبحر لم يترك تزايد مده ... فلشأنه جزرٌ إذا هو ينصف
لا غرو أن هي لم تزل عن حالها ... ليست لقدر الرزء حقا تعرف
قد مات سلطان البسيطة حيدر ... حامي الحمى . والمشرفية ترعف
والبيض من أغمادها مسلولة ... أضحت لأبصار الأعادي تخطف
تنفي رؤوس القوم عن جثمانها ... فقويهم من خوفها متضعف
وعظيمهم أضحى حقيراً مشفقا ... وصحيحهم يدعى مريضا مدنف
فمصابه عم البرية عن يد ... يدريه كل سليم قلب منصف
ناحت عليه الصافنات بأسرها ... وغدت لفرقته معا تتأسف
والبيض والسمر الحداد تنكرت ... فكأنها لسواه ليست تألف
واليعملات تمنعت أكوارها ... ما إن يسير بمثله أو يوجف

* * *

إن كان غيب وجهه في لحده ... فجميل حسن صنيعه لا يحذف
ما مات من خلد الثنا من بعده ... عنه فذكر ثناه لا يتكيف

---

(١) عبد الرحمن بن حسن بن علي البهكلي
١١٤٨ - ١٢٢٤

واسطة سمط أهل بيته علماً وفضلاً،يجمع إلى رصانة الفكر بلاغة الكتابة،وظرف الأديب والمعية،وحصافة المؤرخ ، عالم المنطقة في عصره،وقاضيها ومفتيها ومدرس العلم لطلابه .
رحل لطلب العلم إلى مدينة زبيد ثم إلى مكة المكرمة وبعدها عاد إلى وطنه[1].

---

(١) ترجمته الموسعة في المصدر السابق ص ١٤ - ١١٧ .

من كان مسروراً بمهلك حيدر | دبت إليه يد المنية تزحف
فالموت كأس دائر لا يتقي | هو للأنام على الحقيقة يحتف

* * *

تبكي على الأسد الهصور ممالك | من بعده . كانت به تتشرف
وبكته من أبناء أبيه عصابة | مثل النجوم الساريات وأشرف
ما منهم إلا شجاع باسل | بجميع أوصاف المفاخر يوصف
حازوا المكارم كابراً عن كابر ؟ | شهد العداة لهم ولم يستنكفوا
ورقوا من العليا رأس سنامها | فلهم يطأطيء فرشها والرفرف
وبكته من أبناء يعرب معشر | شم الذرى للعهد ليست تخلف
من مذكر الحمدي ومن جشم الوغى | كم جحفل هزموا وكم غيظ شفوا[1]
حملوا البنادق كالصواعق أحرقت | جمع العدا لم تبق عين تطرف
وأنظر تراجمهم تجد أقوالهم | فيهم مصرحة يقال ويعرف
يا يومه هيجت أحزان الورى | وتركت أكباداً لنا تتلهف
رحم الإله ضريحه وسقاه من | صوب الحيا سحائب تتوكف

قال الشيخ عبد الرحمن بن الحسن البهكلي يرثي قريبه القاضي عز الدين محمد بن علي بن عبد الرحمن البهكلي .

رحمة الله على القاضي الذي | خص بالإحسان إذ طاب نجاره
وغدا في عصره يولي الورى | منحا فهي مدى الدهر شعاره
كل من لاقاه يهوى قربه | حسن أخلاق له تلك ادخاره
ولذا قال النبي المصطفى | صادق اللهجة من يأمن جاره
إنه أثقل ما يوضع في | كفة الميزان يا نعم اعْتِبَارُه
قد حوى علما وفضلا وتقى | وارتدى بالزهد والزهد دثاره
فلقد صار إلى خالقه | بيقين غير متروك غباره

(١) مذكر وجشم قبيلتان معروفتان من قبائل يام نجران وكان معظم جند هذا الأمير منهم .
المصدر : مخطوطة « نزهة الظريف » .

فحسبنا العام إذ مات به ... فأتى تاريخه الخلد قراره

وقال راثياً قريبه علي بن حسن بن علي البهكلي :

ألا رحم الإله فتى تولى ... إلى مولاه محمود المحاسنْ
تقياً فاضلاً براً زكياً ... على تقوى المهيمن أي راجن ؟
فعاش محببا وقضى شهيدا ... فَقِيدٌ في المجالس والمواطن
وقد شهد الأنام له بخير ... ومن يشهد له لا شك آمن
بهذا أخبر الرحمن حقا ... وتأريخ الوفاة بذاك ضامن
فخذ تجد الحساب له حكاه ... « علي » في جنان الخلد قاطن

وقال راثياً القاضي إبراهيم بن عبد العزيز النعمان سنة ١١٧٢هـ :

أيا دهر مهلا كم تروع وكم تسعى ... إلى كل جمع كي تبدده قطعا
وتخرب بنيانا وتعدم لذة ... وتنقص أطرافا فلا حبذا المسعى
لقد هدمت أيديك طوداً مثبتا ... رسى في الثرى أصلاً كما قد سمى فرعا
وذلك طود ، طود علمٍ وحكمةٍ ... نعمنا به دهراً ونلنا به نفعا
فدكيته حتى محوت رسومه ... فلم نستطع إذ كان رداً ولا دفعا
حوى لعلوم الفقه طراً بأسرها ... يُبَيِّنُ من أشكالها الأصل والفرعا
ومن لعلوم النحو في الناس متقن ... يوضح فيه الخفض والنصب والرفعا
ومن للمعاني والبيان ومنطق ... وإن أشكلت بين الأنام فمن يدعى
ومن قائم بالحق بين الورى فلا ؟ ... يخاف من اللُّوام فيه ولا يرعى
فيا صارم الإسلام يا ابن محمد ... ومن جمعت فيه خلال التقى جمعا
لقد كنت فينا حجة وابن حجة ... فذوا الاعتداء لا يستطيع لها دفعا
وكنت على الدنيا شجا كل ملحد[1] ... إلى أن دنت حقا إلى ربك الرجعى
فأجزاك رب العرش خير جزائه ... وأولاك ما أولى الذي أحسنوا صنعا
وأنزل منك الروح في قبرك الذي ... هو الروضة الغنا وأمطره همعا
ولا برحت تغشى ضريحك رحمة ... من الملك الأعلا الذي أخرج المرعى[2]

---

(١) في الأصل « شجا كالملحد » .

(٢) مخطوطة خلاصة العسجد الورقة ١١٣ .

القاضي أحمد بن الحسن بن علي البهكلي[1]
١١٥٣ - ١٢٣٠

قال راثياً الأمير حيدر بن محمد الحسني :

ألا هل يراعي الموت حيا يراقبه ... ويمنعه حجابه ومغالبه
وهل هو راث عند ازهاق نفسه ... إذا جزعت عند الفراق نوادبه
وهل يتراخى ساعة ريثما يكن ... يودعه أحبابه وأقاربه
وهل نافع منه الرق أو مدافع ... إذا انتشبت بالهالكين مخالبه
بلى أنه يسقي الورى مر كاسه ... وكل امرء في هذه الدار شاربه
فما الناس إلا هالك وابن هالك ... يروح ويغدو والرزايا تطالبه
فقد صح أن الموت لا بد بالغ ... إلى كل حي ذل أو عز جانبه
فلو ذاده مجد عن المرء أو حجى ... وجود نوال ما يكف مواهبه
لجانب سوح الملك من آل حيدر ... ودام مدى الأيام تزهو مواكبه
هو الليث في يوم الكريهة فاختبر ... مشاهده تنبيك عنها قواضبه
أبوه القنا والمشرفية أمه ... واخوانه ضمر الجياد شوازبه
وما شهد الهيجاء من كان حاضرا ... إذا لم يطاعن قرنه ويضاربه
رق[2] من سنام المجد أبلغ ذروة ... فكم شامخ في العز أصبح راكبه
فكم من عدو رام فينا مراده ... ومن حاسد دبت إلينا عقاربه
وكم ناقلميناً من القول مفترى ... وأخبت قول في العواقب كاذبه
رماهم بجيش لا برونق منطق ... طلائعه منصورة وكتائبه

---

(١) تلقى تعليمه على أخيه الشيخ عبد الرحمن،ثم رحل إلى مدينة زبيد لطلب العلم،ثم توجه إلى مدينة صنعا ودرس على علامة عصره محمد بن إسماعيل الأمير .

حياته العملية :

تولى وظيفة القضاء بصبيا ، لم نقف له على مؤلف كأسلافه،وكل ما بقى لنا من آثاره الأدبية عدد من القصائد والمقطوعات .

(٢) في الأصل « رقا » .

الفصل العاشر



النشاط الأدبي والحركة الفكرية
في القرن الثالث العشر

لقد كان القرن الثالث عشر الهجري - العشرين الميلادي - من أحفل القرون وأزخرها أدباً ونشاطاً فكرياً في منطقة المخلاف السليماني،لأنه ما استهل ذلك القرن الثالث عشر الهجري - العشرين الميلادي - إلا وقد ترسخت أسس الدعوة الإصلاحية وتابع نجاحها إنتصارات الدولة السعودية في وقعة « قذلة »، التي منيت فيها قبيلة العجمان بسبعين قتيلاً ومائتي أسير .

وتلاها فتح مدينة الرياض وفرار صاحبها دهام بن دواس سنة ١١٧٧هـ ، وأعقبه فشل هجوم النجرانيين،وانسحابهم من تحت أسوار الدرعية في تلك السنة نفسها .

وبعد فترة يسيرة كان فشل وهزيمة أمير الأحساء،بعد أن وصل إلى أسوار الدرعية .

وأخيراً لا آخراً هزيمة حملة أمير مكة غالب بن مساعد وتراجعها عن نجد تجر أذيال **الخذلان و الهزيمة** عام ١١٩٠هـ .

كل ذلك عزز موقف الدولة السعودية والدعوة الإصلاحية،فاشتد عضدها وقوى ساعدها ، فأخذت في الانتشار والتوسع نحو الجنوب،ابتداء من وادي الدواسر فبيشة ثم عسير ، وأخيراً نحو المخلاف السليماني ، فتم لتلك الدولة الإسلامية العربية الامتداد والتوسع شمالاً إلى مشارف سوريا والعراق وجنوباً إلى المرتفعات اليمنية وباب المندب وشرقاً إلى الخليج العربي وغرباً إلى البحر الأحمر .

فكانت أول دولة عربية بعد عهد الخلفاء الراشدين تمتد ظلالها وتسطع أنوارها على الجزيرة العربية،وتسري إشعاعاتها إلى الآفاق الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها .

ومن هنا ابتداء أدب الدعوة في المخلاف السليماني ويتمثل في :

(أ) رسالة الإمام عبد العزيز بن محمد آل سعود إلى أمراء ورؤساء ووجهاء المخلاف .

(ب) قصيدة محمد بن احمد الحفظي إلى رئيس القضاة عبد الرحمن بن حسن البهكلي ، التي يدعو فيها أهل المنطقة إلى الدخول في الدعوة .

فالرسالة كان لها الأثر السياسي والأدبي والاجتماعي ، فمن الناحية السياسية فقد أحدثت ارتجاجاً سياسياً ، فانشطر الناس بين مؤيد ومعارض ، ومبادر ومتريث ، ومحب ومبغض ، وهكذا كل دعوة خيرة ، ونهضة إصلاحية تحدث تقلصات وتحديات ، واستقطابات وتنافر ، تمهيداً ومقدماتلما سيتمخض عنه المستقبل ، وتفرزه الأحداث في مصلحة تلك الدعوة أو ضدها .

وأدبياً فإنها تحدث طروحات جديدة بالنسبة لمفاهيم سابقة،ثم تفاعلات وانفعالات في العواطف والمشاعر والمفاهيم والمعتقدات،تفرز فيما تفرزه من إيجابيات وسلبيات ، يكون لها آثارها في الإبداع الأدبي والنشاط الفكري .

واجتماعياً فقد كان المجتمع يعيش في حالة انفصام بين الواقع الذي يحياه والأفكار والمعتقدات التي يعيشها ، والإصلاح الديني الذي يستقبله ، فالسلطة الحاكمة في جانب ، والتفلت وعدم الانضباط في جانب آخر ، ناهيك عما كان سائداً لا في المخلاف السليماني بل في سائر أقطار الجزيرة العربية ، إن لم نقل في سائر البلاد العربية والإسلامية من رواج البدع ، والاعتقاد في القبور والترويج للخرافات والغلو في الصالحين ، يضاف إلى ذلك النزعات الطائفية والخلافات المذهبية والتعصبات القبلية ، وكل ذلك يرتد على سلوك الفرد والجماعة،ويجعلها تعيش في غير وحدة متجانسة ، طامحة إلى وحدة عربية وجامعة إسلامية لنهضة إصلاحية تعيد للعروبة وحدتها ومجدها وللإسلام دولته وللدين سلطانه ، فلا تفرق ولا تشرذم ، ولا تجزءات مذهبية وانتماءات طائفية .

فقد وصل حامل الرسالة أحمد بن حسين الفلقي وسلمها إلى أمير صبيا ، الذي بدوره بعثها للأمير العام للمنطقة علي بن حيدر ، ولما لم يلمس تجاوباً منه رحل إلى قرية الأثلة،وأخذ في استمالة قبائل الجعافرة ، ونشر الدعوة بينهم،فكان ذلك أول نجاح للدعوة في المنطقة بعد نشاط عرار بن شار في الدرب ، والتفَّتْ القرى التي حول الجعافرة على الفلقي ، وأخذ يعلم الناس قواعد الإسلام والإيمان والتوحيد وإقامة الشعائر،فتجاهر

الجعافرة وكثير من أهل القرى التي حولهم بالدعوة والخروج عن طاعة من خالفها ، فأثار ذلك أمير صبيا ، الذي بدوره رفع لأميره علي بن حيدر بخروجهم عن الطاعة ، فتقدم لقتالهم ، فانجلت المعركة عن هزيمة الفلقي والجعافرة ، فانسحب الفلقي إلى بيش ورفع للدرعية ، فوصلته سرية بقيادة حزام بن عامر ، فأعانت عرار بن شار في الدرب على المخالفين ، ثم تقدم حزام يرافقه الفلقي إلى قرب صبيا ، ومن هناك توجه الفلقي يحمل رسالة من حزام إلى أمير صبيا وعلماء الجهة يطالبهم بالطاعة ، وبوصول الفلقي إليهم بالرسالة أجمع رأيهم على الرفع إلى أميرهم في أبي عريش ، ولما تأخر الجواب بأسباب الفتنة والاختلاف الواقع بين الأمير وعمه حمود ، اجتمع الرأي العام على أن يتكون وفد من :

١ – يحيى بن محمد الخيراتي أمير المنطقة السابق .
٢ – أمير صبيا منصور بن ناصر .
٣ – شيخ الإسلام في المنطقة أحمد بن عبد الله الضمدي .

وسار الجميع إلى معسكر أمير السرية حزام ، في قرية الجديين ، وهناك تم الاتفاق بينهم وبين قائد السرية على ما يأتي :

١ – يقوم يحيى بن محمد بمبايعة حزام والقيام بالدعوة في أبي عريش .
٢ – منصور بن ناصر يقوم بالدعوة في جهة صبيا .
٣ – أحمد بن عبد الله الضمدي يكون المرشد لكليهما .

أما علي بن حيدرفكان في اشتغال بنزاعه مع عمه – كما أسلفنا – وأخيراً تنازل لعمه حمود عن الإمارة ، فقام حمود بالأمر في أبي عريش ، واستطاع أن يقاوم الدعوة ورجالها دعائياً وحربياً ، وبعد غزوات متبادلة ، أخذ هو بدوره يرفع لإمام صنعا يطلب النجدة والإمداد ، وأخذ يحيى بن محمد الخيراتي وأمير صبيا والفلقي وعرار وغيرهم في الرفع للدرعية عن حمود،وأنه العائق في انتشار الدعوة ويطلبون النجدة ، فوصلت النجدات فكانت وقعة ضمد المعروفة .

وبعد وقعة ضمد ، توحدت جهود رجال الدعوة في المنطقة ، منصور بن ناصر والفلقي وعرار ضد حمود .

وكأن الدرعية رأت أنه مادام قد استقر الأمر للدعوة في النصف الشمالي من المنطقة ، رأت أن يكون استقطاب النصف الجنوبي والأمير حمود بالدعاية والاستمالة ، وتوضيح حقيقة الدعوة عن طريق نشرها السلمي هو الأفضل والأحسن ، فكان إرسال قصيدة محمد بن أحمد الحفظي إلى قاضي أبي عريش عبد الرحمن بن حسن البهكلي ، تلك القصيدة التي كان لها الأثر والتأثير المطلوب ، والتجاوب الأدبي الملموس ، فتبارت الأقلام ، وتبادرت الأفهام ، وتصاولت الأفكار ، فكانت القصيدة الرافد الثاني بعد الرسالة لا ذكاء الحركة الفكرية والنشاط الأدبي ، وسنأتي على نتاج العقول في تلك الفترة بعد هذا في الفصل الخاص بـ (أدب الدعوة في المنطقة) .

٢ - هذه هي الفترة الأولى،أما الفترة الثانية فتكاد تكون من ابتداء أخذ حمود في محاولة التحلل من الطاعة السعودية ، ثم ما تلا ذلك من خروج حمود على الطاعة ، ومعركة بيش بينه وبين عبد الوهاب أبي نقطة،ثم توسط أمير صعدة بين الدرعية وحمود على عودته للطاعة ، ومنحه شبه استقلال في سنة ١٢٢٦هـ ، وبعد ذلك وفود الشاعر العراقي بندر بن شبيب الشيعي ، وما أحياه في أدب المنطقة من شعر التشيع - كما سنورد ذلك في الفصل الخاص بعد هذا - ، واستمر ذلك إلى سقوط الدرعية سنة ١٢٣٤هـ/١٨١٩م ، وسنجد في أدب النثر لذلك العهد في رسائل حمود إلى محمد علي وإلى غيره ، وإن كانت في نطاق المجال الرسمي ، إلا أنها تعد من نمط أدب الترسل في تلك الفترة .

٣ - جاء بعد ذلك غزو محمد علي لجنوب الجزيرة ، فركد الأدب وتجمدت الحركة الفكرية فترة يسيرة جداً،وبالأخص في أوائل عهد علي بن حيدر بغزو علي بن مجثل للمنطقة ، وما تلا ذلك من أحداث ، كوصول السيد أحمد بن إدريس إلى صبيا سنة ١٢٤٥هـ/١٨٢٩م ، فنشط الأدب الصوفي[1] المتمثل في مراسلات منه وإليه ، وما مدح

---

(١) انظر الفصل الأول بعنوان « الحالة العامة للمخلاف السليماني من سنة ٣٤٥ هـ/١٨٢٩ م إلى سنة ١٣٢٦ هـ/١٩٠٨ م ، من كتابي المخلاف السليماني ، وانظر رسالة وقصيدة الشيخ عبد الرحمن البهكلي في هذا الفصل من هذا الكتاب .

به من قصائد أشادت بصلاحه وتقواه ، حتى أن أحد أمراء اليمن الأعلى محسن بن عبد الكريم بعث إليه بقصيدة عامرة منها البيتان المعروفان :

شرفت صبيا بكم فغدت ... مورداً للعلم والنزل
ليت شعري ما الذي فعلت ... فعلت[1] قدراً على زحل

وسرعان ما أدركت ذلك الحبر الوفاة في سنة ١٢٥٣هـ/١٨٣٧م ، وتلاه وفاة الأمير علي بن حيدر سنة ١٢٥٤هـ/١٨٣٨م ، فتبوأ الإمارة الحسين بن علي بن حيدر ، وكان في ذلك التاريخ قد برز شأن علامة المنطقة وأديبها الحسن بن أحمد بن عبد الله الضمدي ، فاصطفاه الأمير الجديد ، وقربه وشجع الأدب في شخصه ، وللأمير ملكة من الأدب فيما سيجده القارىء في هذه الفترة من نشاط ملموس في الحركة الفكرية والنشاط الأدبي،متمثلة فيما مدح الأمير به من شعر ، وما أشار به من إنشاء المقامات الأدبية وغير ذلك طيلة عهد الأمير إلى سنة ١٢٨٦هـ - تقريباً - ، وصار زخم تلك الفترة إلى ما بعدها إلى نهاية القرن الثالث عشر .

وها نحن نورد أدب تلك الفترة فيما بعد هذا .

* * *

---

(١) فعلت من العلو،لا من الفعل .

الفترة الأولى

الفـترة الأولى وتشمل :

(أ) النـــــثر :

- رسالة عبد العزيز بن سعود إلى أهل المخلاف السليماني .

(ب) الشـــــعر :

١ - وصف فيضانات السيول في المخلاف السليماني سنة ١٢٠١هـ :

- دراسة وتحليل .
- نص قصيدة وصف فيضانات السيول .

٢ - من أدب الدعوة في الجنوب :

- تحليل ودراسة لقصيدة الحفظي .
- ترجمة الحسن بن خالد .
- نص قصيدة الحفظي .
- صدى قصيدة الحفظي .
- دراسة وتحليل لقصيدة الحازمي الجوابية .
- نص قصيدة الحازمي الجوابية .
- تعليق حول القصيدتين .

النثر

رسالة من عبد العزيز بن سعود
إلى أهل المخلاف السليماني

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن سعود إلى من يراه من أهل المخلاف السليماني،خصوصاً الأشراف أولاد محمد بن أحمد ، حمود وناصر ويحيى وسائر إخوانهم وبني إخوانهم،وكذلك الأشراف بني النعمي وكافة أهل تهامة ، وفقنا الله وإياهم إلى سبيل الحق والهداية ، وجنبنا وإياهم طريق الشرك والغواية .

أما بعد،فالموجب لهذه الرسالة ، ان الشريف أحمد بن حسين الفلقي قدم إلينا فرأى ما نحن عليه وتحقق صحة ذلك لديه ، فبعد التمس منا أن نكتب لكم ما يزول به الاشتباه فاعلموا رحمكم الله تعالى ان الله سبحانه وتعالى أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم ، على فترة من الرسل فهدى به الدين الكامل ، والشرع التام ، وأعظم ذلك وأكبره ، وزبدته إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، والنهي عن الشرك ، وذلك هو الذي خلق الله الخلق لأجله ، ودل الكتاب على فضله كما قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[1] وقال تعالى : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾[2] وإخلاص الدين هو إخلاص العبادة لله تعالى وحده لا شريك له ، وذلك بأن لا يدعى إلا الله تعالى ، ولا يستغاث إلا به،ولا يذبح إلا له،ولا يخشى ولا يرجى سواه ، ولا يرغب إلا فيما لديه ، ولا يتوكل في جميع الأمور إلا عليه ، وأن كل ما هنالك لله تعالى ، لا يصلح شيء منه لملك مقرب ولا لنبي مرسل ، ولا شيء غيرهما .

وهذا هو بعينه توحيد الألوهية الذي أسس الإسلام عليه ، وانفرد به المسلم عن الكافر ، وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله ، فلما من الله علينا بمعرفة ذلك،وعلمنا أنه دين الإسلام اتبعناه ، ودعونا الناس إليه،وإلا فنحن قبل ذلك كنا على ما عليه غالب الناس من الشرك بالله ، من عبادة القبور ، والاستعانة بهم ، والتقرب بالذبح لهم ، وطلب الحاجات منهم ، مع ما ينضم إلى ذلك من فعل الفواحش والمنكرات وإرتكاب

---

(١) سورة النحل من الآية ٣٦ .
(٢) سورة البينة من الآية ٥ .

المحرمات وترك الصلاة وترك شعائر الدين ، حتى أظهر الله الحق بعد خفائه،على يد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب أحسن الله له المآب ، فأبرز لنا ما هو الحق والصواب من كتاب الله المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فتبين لنا الذي نحن عليه،وهو دين غالب الناس اليوم ، من الاعتقاد في الصالحين وغيرهم ، ودعوتهم والتقرب بالذبح لهم ، والنذر لهم ، والاستعانة بهم في الشدائد ، وطلب الحاجات منهم ، إنه الشرك الأكبر الذي نهى الله عنه ، وتهدد بالوعيد الشديد عليه ، وأخبر في كتابه أنه لا يغفره إلا بالتوبة منه ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[2]وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾[3]. والآيات في أن دعوة غيره شرك أكبر كثيرة واضحة شهيرة ، فحين كشف الله لنا الأمر وعرفنا ما نحن عليه من الشرك والكفر، بالنصوص القاطعة والأدلة الساطعة ، من كتاب الله تعالى وسنة رسوله، وكلام الأئمة الأعلام الذي أجمعت الأمة على روايتهم ، عرفنا ما نحن عليه وما كنا ندين به ، أنه الشرك الأكبر الذي نهى الله عنه وحذر ، وأن الله أول ما أمرنا به أن ندعوه وحده وذلك كما قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾[4] وقال تعالى : ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ﴾[5] وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾[6].

إذا عرفتم هذا فاعلموا رحمكم الله أن الدين لله تعالى ، هو إخلاص العبادة لله وحده ، ونفي الشرك ، وإقامة الصلاة جماعة ، وغير

---

(١) سورة النساء من الآية الكريمة رقم ٤٨ .

(٢) سورة المائدة من الآية الكريمة رقم ٧٢ .

(٣) سورة فاطر من الآية ١٣ ، آية ١٤ .

(٤) سورة الجن آية ١٨ .

(٥) سورة الرعد من الآية الكريمة رقم ١٤ .

(٦) سورة الأحقاف الآية (٥ ، ٦) .

ذلك من أركان الإسلام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا يخفى على ذوي البصائر والأفهام والمتدبرين من الأنام أن هذا هو الدين الذي جاءنا به الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال جل جلاله : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾[2] فمن قبل هذا ولزم العمل به فهو حظه في الدنيا والآخرة ونعم الحظين الإسلام ، ومن أبى غيره واستكبر فلم يقبل هدى الله لما تبين نوره وسناه ، نحيناه عن ذلك وقاتلناه،قال تعالي : ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾[3] وقصدنا بهذه النصيحة لكم والقيام بواجب الدعوة . قال تبارك وتعالى : ﴿قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[4].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً . انتهى .

* * *

(١) سورة آل عمران من الآية ٨٥ .

(٢) سورة المائدة من الآية الكريمة رقم ٣ .

(٣) سورة الأنفال من الآية الكريمة رقم ٣٩ .

(٤) سورة يوسف آية ١٠٨ .

الشعر



دراســـة وتحليـــل
لقصيدة القاضي الأديب أحمد بن حسن البهكلي
في وصف فيضانات السيول في المخلاف السليماني
في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٠١هـ

إن دوي الرعود القاصفة ، وسنى تلألؤ البروق الخاطفة ، وانهمار الأمطار الغزيرة ، وتدفق السيول الجارفة ، تثير الدهشة الممزوجة بالغبطة ، وتهيج المشاعر والأحاسيس البهيجة المشعة بالإعجاب، والرهبة في النفس البشرية ، والطبيعة الإنسانية – على وجه العموم – ، وإنها في سهول تهامة يكون لها ذلك أقوى أثراً وأشد وقعاً ، فالأمطار تلطف جوها الحار ، وترطب أفقها الجاف ، والسيول لعدم وجود الأنهار في أرجائها والينابيع في أرضها ، هي مثار الرهبة الرائعة ، والروعة الصاخبة المقرونة بالألم اللذيذ ، والأمل النبيل، فالسيول رسل الخصب ، وسفراء النماء وطلائع بشائر الخير العميم ، فإن تهامة عامة ومنطقة المخلاف السليماني – على وجه الخصوص – لايصلح أراضيها الطينية ، ولا يروي تربتها الغرينية إلا مياه السيول المشبعة بالطمي الذي يخصب الأرض ، وينمي الزرع ... لذا تحدث الأمطار ومقدمتها ، والسيول وتدفقاتها في نفوسهم ، وتحرك من مشاعرهم ، وتنبه من أحاسيسهم مالا تحدثه العوامل الأخرى من الظواهر الطبيعية ، وتلمس ذلك واضحاً في أشعارهم الشعبية[1] ، وتعابيرهم العامية ، فضلاً عن علمائهم وأدبائهم ، ومن ذلك ما سجله المؤرخ الأديب والقاضي النحرير الشيخ عبد الرحمن بن الحسن البهكلي (١١٤٨ – ١٢٢٤) حيث قال في مؤلفه نزهة الظريف[2] : (وفيها – أي سنة ١٢٠١ – في شهر ربيع الآخرة .

---

(١) انظر ص ١٦٣ ، ١٦٩ ، ١٨٩ ، ١٩٩ ، جـ ١ ، وانظر ص ٣٢ ، ٥٢ ، ٩٩ ، ١١٦ ، ١٣٩ ، ١٥٥ ، ١٦٦ ، ١٩٩ جـ٢ من كتابي « الأدب الشعبي في الجنوب » .

(٢) من مخطوطات المكتبة العقيلية .

وقع بأودية جازان وضمد وصبيا وبيش سيول عظيمة لم يعهد وقوع مثلها،فأما وادي جازان فهلك به ثلاثة نفر فيما أحسب،وملأ أكثر البقاع ومشى في مواضع قل أن يسلكها في العادة ، ووصل إلى مدينة أبي عريش من جهة القبلة ، واستمر إلى المخاضرة والخرم ، حتى ورد البحر ، ثم استرسل إلى المدينة واختلط بشعب الأملح ، والذي سلك في معتاده ؟ فدخل قرية البيض وخريم ، حتى أخبر بعض من شاهده أنه كان من الشعب المسمى أبو الحوت،قبلي قرية البيض إلى يماني شريج خريم اطباقة واحدة ، واتصل - أيضاً - بالبحر في تلك الليلة ، وحمل من الأشجار والدواب وغير ذلك ما لا يحصى » .

« وأما وادي ضمد فطبق على جميع الشريج بلى عقوم - سدود - وكاد أن يحمل القرية ، ولكن الله سلم بعد أن أحاط من جميع الجهات ، وأخبر الثقات أنهم كانوا يشاهدونه أعلى من رؤوس البيوت كالبحر الطامي،وسلك في الخبت مسلكاً لا يصدق فيه إلا من شاهده بالعيان ، وحمل من الناس رجلاً واحداً من السادة الذرويين » .

« وأما وادي صبيا فهو أبو العجر والبجر،ووقع من العظائم فيه مالا يكاد أن يصدق فيه الخبر ، فإنه اجتاح قرية الغرا[1]،وهلك بسببه طائفة من الورى ، أخبر بعض الثقات أن الهالكين من أهله ستة وعشرون نفراً ، ومن الأعراب الساكنين فيه ستة نفراً ؟ ومن أهل المدينة صبيا رجل واحداً من الأشراف الخواجيين ، ثم دخل المدينة وأخرب كل ما دخل فيه من بيوت الحجر ، ومن أعظمها وأحصنها دار الشريف ناصر بن محمد وهي في وسط المدينة ، وأغرق أموالاً كثيرة من الحبوب والمواشي وغير ذلك ، وتفرق في المدينة ثلاثة شعوب ، وأخرب من البيوت القشاش جملةلاسيما قرية « منامة » ، وبالجملة فإنه هول مهول ، وحادثة تهول ، فسبحان القوي المتين القادر على كل شيء لا إله غيره فهـــو من العبر بل هو احدى الكبر :

---

(١) قرية الغرا - بالغين المعجمة - قرية غرب مدينة صبيا،ورد اسمها في كتاب « خلاصة العسجد » - مخطوط - كما ورد اسمهافي بيتين للامام محمد بن علي بن ادريس الإدريسي،حيث يقول فيهما :

ألا هل لقلبي سلوة عن معاهد ... بشرق « الغرا » حيث المكارم والنبل

بها القلب في ديـن الهـوى قد جعـلته ... شـعوباً ، ودمـع العيـن راوٍ لـه نقـل

وفـي كـل شـيء لـه آيـة تـدل عـلى أنـه واحـد) . انتهى

وقد صور هذا الحادث الجلل ، وسجل هذه الظاهرة الطبيعية المدمرة شعراً ، القاضي الأديب الشيخ أحمد بن حسن البهكلي المتوفى سنة ١١٣٣هـ :

لخالقنا في أمرنا الحل والعقد — وليس لما يقضيه منع ولا رد
وأفعاله محفوفة بمصالح — ولا شيء يعلوها وإن جهل العبد
تنزه عن جور وظلم على الورى — فما أنْ له في عدله أبداً ند
رضينا بما قدرته يا مهيمن — على كل حال يعترينا ، لك الحمد

هكذا مهد للموضوع بهذا التوحيد الخالص،والإيمان الصادق بالقضاء والقدر،والتسليم والرضا بقضاء الله وقدره،شأن العالم الرباني الموحد الخالص العقيدة ، مع ملاحظة أن كلمة (بمصالح) هنا كلمة غير شاعرية في هذا المكان .

ثم أخذ في عتاب الدهر في نبرة حزينة ، ونغمة رصينة :

فيا أيها الدهر الذي ليس مغضبا — صديقا له يوماً ، إذا انتقض العهد
مددت أياديك لتعبر قاصداً — إلى جامع في حشوه العلم والزهد
يضم مثاوي العبادة والتقى[1] — وموطن عُلَّام بهم ينتهي القصد
فيا طالما ضاقت صفوف بسوحه — طواع المنادي لا يقل لهم عدّ
وكم حلقة في دورها مثل هالة — وأستاذها بدر يعنّ له السعد
وتالٍ به يتلو لآيات ربنا — سحيراً ، وهذا في تهجده يغدو

وفي هذه المقطوعة الفنية حلّق عالمنا الأديب إلى ذروة الإلهام وقمة البيان ، وأنه لعتاب يذيب الحديد ، ويفلق الصخر ، وفي البيت الثاني نقل البعض الشطر الأول هكذا (مددت أياديك لقصره قاصداً) وهذا أورث زحاف في البيت ، والصواب حسب النسخة المخطوطة المصورة لدي هي :
(مددت أياديك لتعبر قاصداً) .

---

(١) جاء في لسان العرب مادة « ثوا » ، المثوى : الموضع الذي يقام به . وجمعه مثاوي ، ومثوى الرجل : منزله .

والبيت الثالث أورده البعض هكذا :

(بهـم مأوى العبـادة والتقـــى ومـوطـن أعـلام بهـم ينتهى القصد)

وكما يرى القارىء فإن في البيت خلل عروضي ، وكلمة « بهم » في أول البيت – هنا – الضمير لا يعرف لمن يعود ؟ لأنه لم يسبق قبله ما يسند إليه وكلمة « اعلام » موجودة في النسخة المخطوطة « عُلَّام » – بضم العين وتشديد وفتح اللام – وهو جمع « عالم » بصيغة المبالغة ، قال يزيد بن الحكم :

ومسترق القصـائد والمضـاهي سـواء عنـد عُـلَّام الرجـال

وعلام وعلامة – إذا بالغت في وصفه بالعلم – أي عالم جداً – والهاء للمبالغة .

أما العلم – بفتح العين واللام – فهو المنار ، قال ابن سيده : والعلامة والعلم الفصل بين أرضين ، والأعلام : الجبال ، قال تعالى : ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾[1] ، وفي الحديث : « ليـنزلـن إلى جـانب علم »، والجمع « أعلام » و « أعلام » ، وصواب البيت كما ورد في المخطوطة ص ١١٧ :

(يضـم مشـاوي العبـادة والتقـــى ومـوطـن عُـلّام بهم ينتهي القصـد)

وما أجمل قوله :

فيا طالما ضاقـت صفـوف بسوحـه طـواع المنـادي لا يقـل لهم عـد
وكـم حلقـة في دورها مثل هـالة وأستاذهـا بدر يعـن له السـعد

ويضاف على حسن البيتين جمال التصوير في البيت الذي يليهما :

وتال به يتلـو لآيـات ربنـا سحـيرا وهذا في تهجده يغـدو

وبعد ذلك العتاب الساخن يقول متأسفاً :

فـو أسفـا لو كان يجدي تأسـف عليـه ولكـن المقـام له ضـد[2]

---

(١) سورة الرحمن الآية ٢٤ .

(٢) كما ورد في المخطوط .

- أي - والله لكل مقام أو مقال حد ، ولكل حادثة نهاية .

ويتبع البيت ببيت آخر موجهاً الخطاب إلى « ضمد » ، الاسم الذي تشارك البلدة فيه الوادي من باب التغليب .

ويا ضمـد هل أعـين من منافـس　　أصـابتك . هـلا أصبحـت كلها رمد

وما أجمل في هذا المكان دعوته على المنافس أو المنافسين ، وجاري في ذلك لغة الجمع للإثنين[1] قبل المفرد . ومن بعد هذا يقول مخاطباً الوادي في عتاب لطيف،وتقريع من نمط عتاب المحب للحبيب،أو عتاب الأب أو تأنيبه للابن النجيب ، وهو مع ذلك لا يغمط ابنه لما يقوم به من بر ورعاية وعناية،وإن شاب ذلك بعض قسوة طارئة لمصلحة الأب نفسه اقتضتها مصلحة علاجية أوجبها الإشفاق،رغبة في العناية بصحته أو مصلحته في عملية جراحية أشار بها الطبيب أو أمرٍ اقتضته الضرورة .

فأخذ في لهجة وسط بين العتاب والإشادة ، يخاطب الوادي في لغة شاعرية ينوه بما لذلك الوادي - بعد الله سبحانه وتعالى - من أياد في اخصاب البلاد وازكائها ونماء زرعها وتدفق مياهه التي أمرعت جنباته واترعت أرضه واخضلت جنانه ، من الخير العميم والفضل الجزيل،مما كان له الأثر الحميد والصنيع الجميل في حياة أهله، فيقول مخاطباً :

فيا أيها الوادي المحـبب عندنـــا　　جنيـت علينـا حين كان لك المـــد

عدلـت عن المجـرى الذي فيه نفعنـا　　وأقبلـت للأوطان مسـتأكلا يعـدو

فكم ليـلة أمسـيت تسـقي صبابـة　　أراضينـا ، حتى غشانا لك الـــود

وكـم أخصـبت تلك المغــاني وأصبحـت

يهـش لهـا مـن كـل ناحيـة وفـــد

---

(١) من عادة العرب إذ ذكرت اثنين تجريهما مجرى الجمع مثل : العمرين والحسنين والقمرين للشمس والقمر . قال تعالى : ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ آية ٤ سورة التحريم ، ولم يقل « قلبكما » ، وقال تعالى في آية ٣٨ سورة المائدة : ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ - انظر فقه اللغة ص ٤٨٧ .

وما أجمل المناداة في هذا الموقف العتابي . وما تؤديه – مع ثقلها – كلمة « مستأكلا » من استيعاب – وفي نظري المتواضع لو قال « مستأسداً » لكان أفضل للمعنى في هذا المقام ، وفي البيت الثالث تجد كلمة غشانا التي هي هنا تعطى الشمولية والتغطية لجميع عواطفهم التي أفعمها بالود والمحبة ، وجاء في تنزيل الكريم : ﴿ فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾[1] وقول الشاعر :

« غطـــى هـــواك وما ألقـى عـلى بصـري »

وما أحسن في هذا الموقف قوله :

« يهـش لهـــا من كل ناحيـــة وفـــد »

والهشاشة – في اللغة – : – بالفتح – الارتياح والخفة للمعروف : هش يهش – بالفتح – : إذا خف إلى الشيء وارتاح إليه ، والبيت كله جميل بشطريه ، وختم هذا المقطع بهذا البيت المشتمل على الجملة الدعائية :

لك الله من واد جميـــــل مبـــارك ســقى نجـده صوب يحـن له رعـد

وكل ما تقدم تمهيد وارهاص لجدية العتاب الآتي :

ولمـــا وعـــى الوادي مقـــال تعتـبى تصعـد أنفاســا وأدركـه الجهـــد

مرحى مرحى أيها القاضي الأديب ، فجمال هذا البيت الذي ملؤه الإجادة يغمر القلب بالاستحسان ، والزيادة في حروف كلمة « تعتبي » تعتبر زيادة في المعنى كما يفهمه كل أديب . وبعده :

ونـادى بصـــوت مســمع لا خفي به ألا ربما حققت عذراً لكم يبـــدو
فشـأني لا يخفى على كل من لـــه من اللب ما يهـدى به من لـه رشـد

---

(١) سورة يس الآية ٩ .

لمـالكي التصـريف فيما علمتمــوا يســلطني مولاهموا الواحـد الفـرد(١)

لقد تقمص القاضي الأديب شخصية الوادي المعنوية،ومزج نفسه مع عناصر الطبيعة وصاغ ذلك بأحاسيسه الشفافة وفطنته الذكية،معبراً بلغة الشعر الشفيفه فما خانه المنطق ولا كبا به القلم،فجمع بين تصور الحادث وشرح المأساة بريشة الفن ونغمة الشعر وفصاحة البيان – رحم الله شيخنا البهكلي وأسكنه فسيح جناته - وبعد هذا التحليل المختصر نورد نص القصيدة .

---

(١) المصـــــدر :

١ – نزهة الظريف – مخطوط – الورقة ٥٣ ، ٥٤ .

٢ – حدائق الزهر – مخطوط – في الورقة ١٦ ، ١٧ .

قصيدة الشيخ القاضي أحمد بن الحسن البهكلي
١١٥٢ - ١٢٢٣هـ[1]

وصف حوادث فيضانات السيول الجارفة التي نكبت بها المنطقة عام ١٢٠١هـ :

لخالقنا في أمرنا الحل والعقد ... وليس لما يقضيه منع ولا رد
وأفعاله محفوفة بمصالح ... ولا شيء يعلوها وإن جهل العبد
تنزه عن جور وظلم على الورى ... فما أن له في عدله أبداً ند
رضينا بما قدرته يا مهيمن ... على كل حال يعترينا لك الحمد
فيا أيها الدهر الذي ليس مغضبا ... صديقا له يوما إذا انتقض العهد
مددت أياديك لتعبر قاصداً ... إلى جامع في حشوه العلم والزهد
يضم مشاوي العبادة والتقى ... ومواطن غُلَّام بهم ينتهي القصد
فيا طالما ضاقت صفوف بسوحه ... طواع المنادي لا يقل لهم عد
وكم حلقة في دورها مثل هالة ... وأستاذها بدر يعن له السعد
وتالٍ به يتلو لآيات ربنا ... سحيراً وهذا في تهجده يغدو
فو أسفا لو كان يجدي تأسفٍ ... عليه ولكن المقام له ضد
ويا ضمد هل أعين من منافسٍ ... أصابتك هَلَّا أصبحت كلها رمد
ويا أيها الوادي المحبب عندنا ... جنيت علينا حين كان لك المدُّ
عدلت عن المجرى الذي فيه نفعنا ... وأقبلت للأوطان مستأكلا يعدو
فكم ليلة أمسيت تسقي صبابة ... أراضينا حتى غشانا لك الود
وكم أخصبت تلك المغاني وأصبحت ... يهش لها من كل ناحية وفد
لك الله من واد جميل مبارك ... سقى نجده صوب يحن له رعد

---

(١) عقود الدرر ص ١١٧ - مخطوط .
نزهة الظريف الورقة ٥٣ ، ٥٤ - مخطوط .
حدائق الزهر الورقة ١٤ ، ١٦ - مخطوط .

ولما وعى (الوادي) مقـال تعتبـي … تصعـد أنفاسـا وأدركـه الجهـد

ونادى بصـوت مسـمع لا خفى بـه … الا ربما حققت عذراً لكم يبـدو

فشأني لا يخفـى على كل من لـه … من اللب ما يهـدى به من له رشـد

لمالكـي التصـريف فيما علمتمـوا … يسـلطني مولاهموا الواحـد الفـرد

من أدب الدعوة في الجنوب
تحليل لقصيدة الحفظي

مهَّد الشيخ حسن بن أحمد عبد الله الضمدي في كتابه الديباج الخسرواني لهذه المحاورة الشعرية بقوله : (ولما وصل أمراء نجد إلى هذه البلاد ، لم يسلم لهم أمير المنطقة القياد ، حتى وصلت قصيدة من الشيخ محمد بن أحمد الحفظي،صاحب « رجال ألمع » موجهة إلى الوالد القاضي العلامة عبد الرحمن بن حسن البهكلي،يستحث أهل الجهة للدخول في سلك طاعة النجدي) ؟ ، وقد أجاب عن هذا النظام الوالد القاضي وجماعة من علماء الجهة ، وقد رأيت إثبات جواب العلامة حسن بن خالد[1] لأنه أحسنها وأجمعها) . انتهى .

---

(١) (الحسن بن خالد الحازمي)

شخصية من الشخصيات العربية النبيلة جمعت بين مجد السيف والقلم ، وقرنت بين فضل العلم ومجد العمل ، من عشيرة الحوازمة الهاشميين من بيت سيادة وعلم ، أنجب عدداً من العلماء وتولى غير واحد منهم وظيفة القضاء وغيرها .

وبعد أن قرأ القرآن الكريم وتعلم مبادىء الكتابة،والتحق بحلقة الشيخ أحمد بن عبد الله الضمدي،الذي سرعان ما ظهر له أن بين يديه طالباً غير عادي يتميز بالذكاء،ويتسم بالألمعية،ويختص بحافظة وقادة،فأقبل عليه الشيخ يخصه بعنايته وبتعهده برعايته وتوجيهه،فاستفاد الطالب الذكي في الوقت القصير مالا يستفيده غيره في الأمد المديد ، فدرس الفقه والنحو والصرف والأصول حتى برز على رصفائه وجلى على أقرانه ، وأصبح بعد شيخه المرجع لدقائق تلك العلوم .

ويقول الشيخ الحسن بن أحمد بن عبد الله مؤلف حدائق الزهر : « ولا شيخ له غيره إلا أشياخ قليلون أو بالاجازة » .

ثم بعد ذلك انفصل عن شيخه واعتمد على الله ثم على نفسه،وأقبل على المطالعة والعناية بعلوم القرآن ودراسته دراسة عميقة مكنته من معرفة القراءات،والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول،وأقوال المفسرين وأحكامه ومتشابهه ، ومكنه الذكاء اللماح من الاحاطة والاستيعاب جل ما أشتملت عليه كتب ذلك العلم .

وفي عام ١٢١٥ هـ – تقريباً – وقد بلغ السادسة والعشرين من عمره ، اتصل بحمود أبي مسمار فاتخذه كاتباً لسره ، فعرف كيف يكتسب ثقة الأمير ويحظى بالمكانة الأولى لديه ، وفي رمضان عام ١٢١٧ هـ – بعد

وكأن الدرعية رأت أن طريق الاستمالة بالدعاية العلمية ، وتوضيح حقيقة الدعوة والهدف السامي لها من طريق نشرها السلمي هو الأفضل،فأرسلت تلك القصيدة إلى كبير قضاة المنطقة،التي نمهد لها بهذا التحليل المقتضب،ثم يليها النص :

تتألف قصيدة الشيخ الحفظي من :

١ - المقطع الأول : يتألف من ثمانية أبيات كتمهيد ونسيب رمزي أستهله بقوله :

هام الشجي وهاج شوق المبتلي   وبدت صبابات الغرام الأول

ثم أخذ يتذكر أيامه المشوقة أو الشائقة في بيش ، وأنه بدت له من دهره ابتسامة مشرقة تهللت لها الوجوه فرحاً ، وهشت لها أرواح قوم من ذوي الكمال ، وأنه سوف يهنىء نفسه بالنجاح إن كان مايقصده للإصلاح والصلاح ، وإن حالت الأقدار دون الأمنية فهذا من تقدير العلي القدير ، وأنه باسم الله جل وعلا ابتدأ متعرضاً لحسن النوال وجميل الثواب ... الخ .

انتهاء معركة أبي عريش - بعثه حمود كمندوب إلى الإمام ليطلعه على ما تم،وليشرح لإمام صنعا الواقع واستطلاع ما لديه،وظل مقيماً في صنعا ستة أشهر ، ولما لم يجد النتيجة المرجوة عاد إلى الأمير فاستوزره،فكان وزيره المقيم وسفيره المتجول ونائبه إذا غاب وقائده إن عصت قبيلة ورئيس ديوانه إذا حضر ، وظل على تلك المكانة وقد بعثه غير مرة إلى الدرعية،فكان السفير الموفق في مهامه ، وفي سنة ١٢٣٢ هـ بعثه حمود على رأس جيش إلى عسير فسار يقود ذلك الجيش وعلى طليعته حسن بن عطيف الحكمي ، فالتحم في معركة « الحمه » مع القائد - جمعه - أحد قواد محمد علي - فهزمه ووالى سيره إلى مرتفعات عسير ، وعندما تحرج عليه الموقف كتب يستنجد حمود الذي أسرع يقود جيشه وتمكن من ضم الجيشين،فتمكن حمود بالقوة والسياسة من الاستيلاء على عسير .

وبعد ذلك توفي حمود فعاد الجيش إلى تهامة،وظل الحسن بن خالد بعد ذلك برهة يسيرة في عسير،ثم انحدر إلى المخلاف السليماني فوصل إلى ضمد وكتب لأحمد بن حمود الذي خلف أباه على الإمارة ، وبعد مكاتبات ومراجعات تم الصلح بين الأمير ووزير أبيه ، وعندما علم بدنو جيش محمد علي من المخلاف السليماني بقيادة خليل باشا ، وكان الأمير أحمد غائباً جهة كحلان في اليمن فسارع حسن بن خالد باستدعاء الناس للجهاد،وسار إلى جهة عسير اعتقاداً منه أن الحملة ستسلك طريق عسير إلى المخلاف ، إلا أنه علم أن الحملة سلكت طريق الساحل،فأسرع بالنزول لاعتراض الحملة ، فعندما وصل وادي بيض علم أن الحملة سبقته الى ضمد فعاد إلى عسير فبايعه بعض زعمائها على الجهاد،إلا أن الكثير من العسيرين كانوا ضده،فقام بمن معه ببعض الغزوات فاصطدم بحملة تركية بقيادة سليمان سنجق ، وفي ليلة الخميس ٢٣ شعبان سنة ١٢٣٤هـ استشهد بطلق ناري - تغمده الله برحمته - .

٢ – المقطع الثاني : ويشتمل على ستة عشر بيتاً بدأه بقوله :

فإليـك يا قاضـي القضاة قصـيدةً حسـنت معـاني لفظهـا المتعـلل

وأن القصيدة سوف تفد إلى ذلك القاضي وفود ضيف يرتجي كرم الاستقبال وحسن القِرى ، ويرجو أن يستقبلها القاضي بكريم الترحاب ويتلقاهامع أعيان أهل البلاد ، ويطلب من المضيف أن يشرح لقومه معاني أبيات القصيدة ومحتوى كلماتها ، ويرجو أن يستشهد الأيام وأن ينظر بعين العقل لعواقب الأمور ، وأن الحق أولى أن يجاب ، وإذا كان هناك من يظن أن منهج الدعوة أو صاحب الدعوة مخالف فهو يبرأ إلى الله من الخلاف ، بل أن صاحب الدعوة قام بدعوة الناس إلى التوحيد والتجريد والتفريد للرب – سبحانه وتعالى – ، وأن قيامه للذود عن شرع النبي وذم من يدعو غير الله ، وأنه قد أزال بدعاً وشنائع مما أدخل على الدين ، وإذا كان هناك من يظن أن فيه غلاظة وفظاظة لا تحتمل ، فهذا غير صحيح ، بل أن فيه ليونة وهيونة لمن يقبل على هذه الدعوة السلفية ، ويحاشيه من قولهم أنه يطلب الأموال من خزانها ومالكيها ، بل أنه ينفل الأنفال للأبطال ، ولا ينزع من ملك أو رئيس ملكه أو رئاسته لأي غرض من الأغراض ، بل جل قصده التوحيد لله واتباع هدى رسوله صلى الله عليه وسلم .

٣ – المقطع الأخير : ويتألف من خمسة أبيات استهلها بقوله :

هـذان وليس سواهمـا مقصـوده فعـلام ينفـر كل نـدب أفضـل

فهو يتعجب كيف ينفر الناس ، أو بالأصح أفاضل الناس – من الاستجابة للدعوة السلفية ، وأن الواجب الشرعي إجابة من دعى بمثل دعوته ، والتفت إلى القاضي بأنه بعث هذه القصيدة مع أن القاضي صاحب الرأي الصائب والعلم الواسع ، وأنه ينتظر الإجابة ، وأن الخير فيما اختار الله ، ثم يختم المقطع بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

وبعد هذا التحليل الموجز نورد نص القصيدة نفسها :

هام الشجي وهاج شـوق المبتـلي وبـدت صبابـات الغـرام الأول

وتذكرت « بيش » المشوق عهودهـا وورودهـا بسـعودها في المنهـل

وبدت لـه في ثغر دهر نسمة   هشت له أرواح قوم كمل

ولئن ظفرت بمطلبي فلي الهنا   إن كان قصدي صالحا في أول

ولئن تعذر ما نظمت لأجله   فبقدرة الله العلي المعتلي

فهو الذي ما شا كان ولم يكن   ما لم يشا فاعلم بهذا واعمل

فبأسمك اللهم أبدأ أولاً   متعرضا لنوالك المتنزل

ومعرضاً لا معرضاً لنصيحة   ندبت لها آي الكتاب المنزل

فإليك يا قاضي البلاد قصيدة   حسنت معاني لفظها المتعلل

وفدت إليك وفود ضيف يرتجي   حسن القِرى المستحسن المتسهل

فابسط لها بسط القبول تكرما   واجمع لها أعيان أهل المنزل

فمن الظهور خفاء تنصيص هم   لا يحسن التنصيص في الأمر الجلي

واشرح لهم بيت القصيد وقصده   فإليك شرح مطول أو أطول

واستشهد الأيام وأنظر شأنها   وأرقب عواقب حالها المتحول

والحق أولى أن يجاب وإنما   لم أدر ما حيلولة المتحيل

إن كان ظنا ان ذاك مخالف   فهو البريء من الخلاف المبطل

بل قام يدعو الناس للتـ   ـوحيد والتجريد والتفريد للرب العلي

ويذب عن شرع النبي محمد   ويذم من يدعو النبي أو الولي

ولقد أصاب فكم أزال شنائعاً   وبدائعاً وصنائعاً لم تقبل

أو كان ظنا أن فيه غلاظة   وفظاظة وشكاسة لم تحمل

فأقول حاشا أن فيه ليونة   وهيونة للمقبل المستقبل

لا يطلب الأموال من خزانها   وينفل الأبطال إن لم تبطل

أو ينزع الملك المولى أوله   غرض بمذهب آخر عن أول

بل قصده التوحيد في أقوالنا   ثم اتباع للنبي المرسل

هذان ليس سواهما مقصوده   فعلام ينفر كل ندب أفضل

فالواجب الشرعي اجابة من دعا ... هما ولوعبد فكيف بمدول ؟[1]
وإليكم هذا النظام وعنكم ... تستخرج الأنظار في المستشكل
ولئن أجبتم فالجواب سجية ... والخير فيما اختاره الرب العلي
ثم الصلوة على النبي وآله ... ما لاح برق جنح ليل أليل

(١) هكذا في الأصل

صـدى قصيدة الحفـظي

قد أجاب الشيخ البهكلي[1] بقصيدة كما أجاب عليها غير واحد من علماء المنطقة سلباً وإيجاباً ، إلا ان صاحب كتاب الديباج الخسرواني لم يورد إلا القصيدة الجوابية التي أجاب بها العلامة حسن بن خالد الحازمي .

ونخال عند وصول القصيدة إلى القاضي البهكلي عرضها على الأمير ووزيره ، ثم على علماء الجهة .

لقد أجاب القاضي البهكلي وهو في تلك الفترة قاضي مدينة أبي عريش قاعدة الإمارة ، كما أجاب عليها عدد من علماء المخلاف السليماني،وكان في ذلك التاريخ من علماء المنطقة سنيون ، كآل الحكمي في أبي عريش ، وآل شافع النمازيين،والسباعية في صبيا ، وفيها شيعة ومتشيعون في جهات أخرى .

فكانت النتيجة أن الإجابات كانت متباينة بحسب الميول المذهبية سلباً وإيجاباً ، وإنما لم يورد الشيخ حسن بن أحمد الضمدي لا جواب القاضي البهكلي ، ولا غيره ، واكتفى بإيراد قصيدة العلامة حسن بن خالد وزير الأمير . وأمير المنطقة آنذاك في حرب مع الدولة السعودية،وهو يدين بالولاء الروحي والسياسي والمذهبي لإمام صنعا .

ومن ذلك المنطلق نخال أنه كان الرد في القصيدة ، وليس إمارة حمود هي التي وقفت من الدولة السعودية والدعوة الإصلاحية ذلك الموقف،بله الخلافة العثمانية وامبراطوريتها الواسعة في البلاد الإسلامية عامة ، والبلاد العربية خاصة .

بل أن أمراء شبه الجزيرة العربية كان يقض مضاجعهم ، ويهز حكمهم ، أزيز قوة

---

(١) هو الشيخ العلامة عبد الرحمن بن حسن البهكلي،ولّي وظيفة القضاء في مدينة أبي عريش قاعدة إمارة آل خيرات ، وكان من علماء عصره في جنوب الجزيرة العربية علماً وفضلاً ، وهو مؤلف كتاب (خلاصة العسجد في دولة محمد بن أحمد الخيراتي)،ولد سنة ١١٤٨ هـ وتوفى سنة ١٢٢٤ هـ – راجع كتابنا « أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جيزان – الجزء الأول » .

تلك الدعوة الإصلاحية ، فكانوا في طلائع مناوئيها،وحشد العلماء للنيل منها ، والغمز واللمز ، بله التجريح والتكفير لأصحابها .

كان النصف الشمالي الممتد من شمال درب بني شعبة إلى جنوب مدينة صبيا قد تقبل الدعوة سراً ، عن طريق الدعاة وأصبح مهيئاً لإعلان انتمائه ، إذا وصل من يرفع أو يقوم برفع لوائها ، وبعد ذلك ببرهة عاد عرار بن شار إلى وطنه الدرب وأعلن الدعوة ، كما وصل إلى وطنه صبيا الداعية أحمد بن حسين الفلقي،يحمل كتاب عبد العزيز بن محمد إلى أمير المخلاف ، ولما لم يستجاب له خرج إلى جهة الجعافرة وقام بواجب الدعوة . كما مرّ ذكره .

وعلى كل فالجديد من كل الدعوات الإصلاحية يلقى عادة كل مقاومة ، ولا يقبل عليه الناس إلا القليل منهم ، وسواء كان الإنسان عالماً أو مقلداً،فإنه يصعب عليه الانعتاق من ماضيه القريب،إلا بعد أن يتخلص من مناعة المقاومة،والانفلات من جاذبية قيود الاعتياد ، ويثبت الشيء الجديد صلاحه للبقاء وأهليته للهداية .

دراسة قصيدة الحازمي الجوابية

وبعد هذا التمهيد علينا دراسة القصيدة الجوابية للعلامة حسن بن خالد الحازمي ، والتي استهلها بهذا الاستهلال البارع :

الله أكبر كل هم ينجلي عن قلب كل مكبر ومهلل

دراسة موجزة لنستشف من ثناياها ما وراء معانيها المباشرة من دلالات .

والقصيدة تتألف من خمسة مقاطع ، يشيد في المقطع الأول بالدعوة وما تقوم عليه من التوحيد ومنها :

يا حبذا يا حبذا يا حبـــــذا	فالنصح مقبول على الوجه الجلي
فتبين الداعي وما يدعو لـه	في الآن والزمن الرحيب المقبل
أمر مهم وهو أمـر لازب	للعالم المتفطن المتعقـــل
أما الرسالات التي تأتي من	الداعي فأمر ما به من مدخـل
يدعو إلى التوحيد ثم لـوازم	ثبتت لها والحق منهجه جلي
ولزوم سنة أحمد بأصولها	وفروعها لم تخف عن متأمـل
قسماً لقد سر الفؤاد بما حوت	وشفى بنور منارها المتهلل

وهي أبيات من السهل الممتنع ، وضح لنا فيها حقيقة الدعوة وما تشتمل عليه، من حقيقة التوحيد لله سبحانه وتعالى، ولزوم سنة نبيه صلى الله عليه وسلم في أصولها وفروعها ، ويقسم أن الفؤاد لقد سر بما حوت وشفي بنور منارها الساطع مما اعتراه من الريب والشك .

أما المقطع الثاني فيبدئه مستثنياً بقوله :

لكنها جاءت بأيدي عصبـة	عملوا بضد مفصل مع مجمل
بل صرحوا بالشرك في كل الورى	في أمة الهادي بغير تأمـل

ومضى يورد معنى الآية : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[1]، ومعنى ما جاء في الأثر « أنه لا يخشى على أمة محمد شرك » . وأن تلك العصبة قد استباحوا النساء وأحلوهم ، وأنهم يتعاقبون على النساء في المحافل والبعض يكريهن،وأنهم كم قتلوا من صبي في سن اليفوعة ؟

أما المقطع الثالث فهو امتداد للمقطع الثاني ، فيذكر أنهم استباحوا شيوخاً ركعاً أتقياء ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يغز قرية يقام فيها الأذان للصلاة ، وإذا غزى الكفار قدم داعياً يدعوهم،فإن استجابوا وإلا قاتلهم ... إلخ .

أما المقطع الرابع فهو مختص بـ (المقادمة) ، والمقادمة يقصد بهم قادة السرايا وكبار

(١) سورة آل عمران من الآية ١١٠ .

الدعاة ، مثل:عبد الوهاب المتحمي الملقب بأبي نقطة[1]، وعرار بن شار الشعبي[2] داعية بني شعبة وأميرهم ، وأحمد بن حسين الفلقي[3] داعية الجعافرة ومن يليهم وينسب إليهم ، أنهم يجهلون الناس ، وأن داء الجهل أصبح فاشياً فيهم .

وعلى كل قد أفضى الجميع إلى رحاب الله – تغمدهم الله برحمته – وقد أفضوا إلى ما قدموا ، وعلينا الاستفادة من عبر التاريخ وعظات الزمن،أما المقطع السادس فيبدأه بقوله :

هــذا ولســنا قائلـين بأن ذا　　　بالأمـر من عبد العـزيز الأكمــل

فهو يبرىء عبد العزيز بن محمد إمام الدولة من فعل ما نسبه إلى أولئك القادة أمراء السرايا ودعاة الدعوة ، ولكنه يطلب تدارك الأمر بالنهي عن سفك الدماء،والقتل للأولاد والسبي للنساء،كما يقول ؟ ثم يختم هذا المقطع بقوله :

أو مرسـل يدعـو لسـنة أحمــد　　　في النـاس ينشـدها بغـير تبــدل

الله يعــلم أنــه لــو كــان ذا　　　كنـا نسـارع نحـوه بتعجــل

فخذ الجـواب لسـان حـال سـائل　　　عن كل أشـراف البـلاد الكمــل

وبعد هذا التمهيد نورد نص القصيدة الجوابية وهي :

---

(١) عبد الوهاب أبو نقطة : ممن تلقى الدعوة من الدعاة في وطنه،ثم هاجر إلى الدرعية هو وأخوه محمد ، ودرسا مبادىء الفقه والتوحيد وعادا لوطنهما – وقد أشرنا إلى ذلك في كتابنا المخلاف السليماني – وعلاوة على ذلك فإن عبد الوهاب أبا نقطة أثبت وجوده كقائد سعودي من الطراز الأول ، ومن أشهر القادة السعوديين في ذلك العهد،لا في أرجاء السعودية الأولى بل ولدى الأوربيين ، وبالأخص الرحالة منهم – راجع كتابنا محاضرات في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

(٢) عرار بن شار : تلقى الدعوة على أيدي الدعاة في بيشة،ثم هاجر إلى الدرعية وتلقى مبادىء التوحيد،ثم عاد داعية إلى وطنه فلم يعقه مركزه عن طلب العلم،فتتلمذ على يد العلامة علي بن داحش القبي،الذي كان على علم بأصول التوحيد ، ومن المناوئين لمخالفيه،ويقول صاحب نفح العود : (تناول ابن داحش من ثمار تلك الدعوة ما ينع وطاب ، وكان المذكور سيداً فاضلاً تعلق بطلب العلم،وحصل من فروع الفقه شيئاً ، وانتسب إلى طلبة العلم،ثم انحاز إلى مجاورة الشيخ الرئيس عرار بن شار،فتتلمذ له عرار وطلب على يديه العلم) وهذا هو عرار ، ويقول عنه:(كان عرار رئيساً جواداً مقصوداً يهب المال ويحمي الذمار،وله مقاصد حسنة ومعرفة بأمور الآخرة ، وفيه رئاسة ظاهرة).

(٣) أحمد بن حسين الفلقي : ولد بصبيا ثم رحل إلى الدرعية ودرس الفقه والتوحيد وعاد داعية – راجع ترجمته في تحقيقاتنا على كتاب نفح العود – ط ٢ .

قصيدة الحازمي الجوابية

الله أكــبر كـل هــم ينجـــــلي عن قلـب كـل مكـبر ومهـــلل

وموحـد لله جــل جـــلاله والشـرك عنه والضـلال بمعـــزل

وبدايـــتي اللهـــم فيما ابتغـــي من نظمــي العـذب الرحيق السلسل

ثم الصـلوة علي النـــبي محمــــد خــير الورى النبأ العظـيم المرســـل

والآل أربـــاب الهدايـــة والتقـى من ودهــم نـص الكتــاب المــــنزل[1]

ولقد عــثرت عـلى نظـام صاغـــه من رام نصحــا ، شــأنه لم يجهــــل

يا حبـــذا يا حبـذا يا حبــــذا فالنصـح مقبـول على الوجه الجـلي

فتبـين الداعــي وما يدعـــو لــه في الآن والزمــن الرحـيب المقبـل

أمـر مهـــم وهـو فـــرض لازب للعــالم المتفطــن المتعقــــــل

أما الرســالات التي تأتــي مـــن الداعــي فأمر ما بـه مـن مدخــل

يدعــو إلى التوحيـد ثم لـــوازم ثبتـت لهــا والحـق منهجـه جـــلي

ولــزوم ســنة أحمــد بأصولهـــــا وفروعهـــا لم تخـف عــن متأمـــل

قسـماً لقد ســر الفـؤاد بما حـوت وشــفى بنــور منارهــا المتهـــلل

* * *

لكنهـا جـاءت بأيـدي عصبـــة عملـوا بضــد مفصـل مع مجمـــل

بل صرحــوا بالشرك في كـل الورى في أمــة الهــادي لغـــير تأمـــل

أو ليس أمـــة أحمـــد فيهـــم أتـــى القــرآن كنـتم خـير أمــة مرســـل

وكذلك قــال الطهر لا أخشى لكـم شركـا يكـون فطالعـــن وتأمــــل

---

(١) انظر ص ٥٦٣ - ٥٧٦ من هذا الكتاب

وقد استباحوا للنساء وأعلنوا ... بالحل لم يخشوا معاقبة العلي
حتى تواتر عنهُم في غيهم ... يتعاقبون على النساء في المحفل
والبعض يكريهم إذا ما ملهم ... من غيره والأمر في هذا جلي
أيضاً وكم قتلوا صبيا يافعا ... في الكافرين فعالهم لم تحلل

* * *

وكم استباحوا ، من شيوخ ركع ... كم من تقي عابد متبتل
لم يدع غير الله جل جلاله ... لم يدع أصناما ولم يدع الولي
وكذاك أيضاً صح أن المصطفى ... لم يغز قرية ذي الأذان مهلل
وإذا غزى الكفار قدم داعيا ... يدعونهم نهج الهدى لم يعدل
فإذا استجابوا لم يرد عليهم ... إيمانهم بالله في المستقبل
وتثبت الوالي عنه محتم ... لا ينبغي التقصير في أمر الولي
هذا الوليد أتى فعالاً منكراً ... فأتت قوارع ربنا في المنزل
إن جاءكم فيما تلون فاسق ... فتبينوا بصراحة فيما تلي

* * *

أما المقادمة الذين تراهم ... ففعالهم نكر بغير تأول
لا يسمعون مقالة من عالم ... بل ينسبون الحبر أجهل أجهل
وإذا سمعت كلامهم بأدلة ... تجد الكلام عن الصواب بمعزل
لكن داء الجهل أصبح فاشياً ... فيهم فأنى ينصحون بمعدل
فالشيخ ، إن كان المراد هداية ... بعث الهداية كل شخص أفضل
ليكون سعيهم بحسن بصيرة ... وسياسة وسلوك نهج المنهل
لا كالعرار وشكله ونظيره ... ذو نقطة والكل عن علم خلي
أوليس قاتل سالم ومعوض ... والندب من نسل النبي ومن علي
من غير لا ذنب ولا بجناية ... بل هم على الدين القويم الأمثل

* * *

هـذا ولسـنا قائلـين بـأن ذا	بالأمر من عبد العزيز الأكمل
لكن تجاوب بالوجـوب تـدارك	والنهي عن سفك الدماء المنهل
والقتل للأولاد أمـر ظاهـر	وإذا جهلت فعالهم عنه سلي
والسبي للنسوان كل خريدة	تحت الحجاب بستر مولانا العلي

* * *

أو مرسل يدعو لسنة أحمد	في الناس ينشرها بغير تبدل
الله يعلم أنه لو كان ذا	كنا نسارع نحوه بتعجل
فخذ الجواب لسان حال سائل	عن كل أشراف البلاد الكمل

* * *

تعليق حول القصيدتين وعصرهما

إن الخصومة السياسية في ذلك العهد ما بين أمير المنطقة ورجال الدعوة كانت على أشدها ، ولم يكن في ذلك الوقت إذاعة تقوم بالدعاية للدعوة ، كما أن لم يكن لخصومها وسائل تقوم بالدعاية المضادة ، وإنما كانت الدعاية الفردية ورسائل العلماء ، وقصائدهم هي وسائل التعبير عن تلك المواقف ، وكما هو الشأن الآن فتسمع على موجات الأثير دعايات بمختلف الأنواع ، من نبذ الخصوم بالشيوعية أو الأمبريالية والرجعية ، بل وتتناول النواحي الدينية ، وهذا شيء صار الغالب على الدعايات الدولية لا يستثنى منه إلا القليل ، وعلى رأسهم حكومتنا السعودية ، التي هي بمسلكها الإسلامي بعيدة عن المهاترات والردح والخصومات الكلامية ، وبما أن الرجوع إلى الماضي مستحيل مادياً وأدبياً ، فعلينا أن نستقرىء مواد التاريخ وما سجله المؤرخون ، مع الحيطة بأن المؤرخ بشر ، فإذا كان في الجانب المهاجم فهو يمجد ويبرر ، وإذا كان هو من الجانب المدافع فهو بدوره ينبذ الخصوم بكل وسائل التجهيل ومخالفة الدين ، كأن ينبذهم بالخوارج والمعتزلة ، وإذا أضفنا إلى ذلك المواقف العدائية للدولة العثمانية من الدعوة الإصلاحية وشيوع التشيع في جنوب الجزيرة ، كان ذلك من أكبر ما يدفع المؤرخ بميوله وبحكم مجاراة التيارات ، ومع كل ذلك نجد أنه لا يخلو كل عصر من رجال قليلين يلتزمون جانب الاعتدال ، أو يظهر في مؤلفاتهم تلميحات مضيئة ، فيما يكتبون للأجيال ، وبين أيدينا مصدران تاريخيان لتلك الفترة وهما :

١ - كتاب نفح العود للقاضي العلامة عبد الرحمن بن أحمد البهكلي ، وهو من رجال المنطقة ورجال القضاء ، وهذا العالم عايش الأحداث وعاصر الحوادث مشاهدة ومعاينة سنة ١١٨٢ - ١٢٤٨هـ / ١٧٦٨ - ١٨٣٢م .

٢ - كتاب الديباج الخسرواني في ذكر ملوك المخلاف السليماني للشيخ حسن بن أحمد بن عبد الله الضمدي ، وهو ولد سنة ١٢٢١هـ/١٨٠٦م وتوفي سنة ١٢٩٠هـ / ١٨٧٢م [١] ، وعلامتنا يقول في مؤلفه الديباج الخسرواني ما نصه :

(١) كما أفادني بذلك الشيخ موسى بلخير المعافا .

(... أنه لما بلغني أن والدنا وشيخنا قاضي الجماعة عبد الرحمن بن أحمد البهكلي الف مؤلفاً بديعاً في أيام الشريف حمود، لم أزل أبحث عنه ممن أظن عنده ذلك الخبر ، ولم أقف له مع ذلك على أثر ، وان قد ألفت مجموعة في أخبار أعيان المخلاف السليماني، وسميته الديباج الخسرواني، وأثبت فيه ما بلغني من وقائعه الفخام ، كما تلقيته من الثقات لأن بعض أيامه وقعت قبل أن أبرز إلى عالم الوجود) ، وسجل فيه الأحداث إلى عام ١٢٧١هـ .

ويظهر أنه بعد ذلك التاريخ عثر على ذلك المؤلف المسمى نفح العود فيقول : (فلما تأملته وجدته قد استكمل مبتدى سيرته، لأن تلك الوقائع على عين منه ومسمع ، ولا ينبئك مثل خبير ، وبلغ فيه إلى سنة ١٢٢٥هـ ، وفي طي ذلك وقائع متتابعة وملاحم كثيرة رائعة ، وقد أردت أن أكمل ما فاته من سنين) ... الخ .

فعلامتنا الضمدي، توفى حمود أمير المنطقة وعمره اثنتا عشرة سنة تقريباً ، وأخذ بعد ذلك في طلب العلم والترحال إلى زبيد وصنعا وبيت الفقيه ، وغيرهم ، ويظهر أنه ألف كتابه الديباج الخسرواني في سرار العقد السابع، واستمر فيه إلى عام ٧١ ، فاستقى كل معلوماته كما يقول: « من الثقات »، وبعد ذلك عثر على كتاب نفح العود .

وفي خلال تلك الفترة من سنة ١٢٢٥هـ إلى سرار العقد السابع من ذلك القرن مضت نحو أربعين عاماً انقرض فيها جيل ونشأ جيل ، ولم يتبق من الجيل الأول إلا الأقل ، في عهد لم يزد متوسط الأعمار عن ٣٥ سنة ، وفي الوقت نفسه قد أنقضت على انهيار الدولة السعودية الأولى وسقوط الدرعية ٣٥ سنة ، وعاد لخصوم الدولة السعودية والدعوة السلفية نشاطها، ومكانتها الرسمية والحربية والاجتماعية، سواء في الحجاز أو في المخلاف السليماني، أو في تهامة اليمن أو اليمن الأعلى، وأصبح النفوذ الرئيسي لمحمد على خصم الدولة السعودية الأول ، ورجال حكومته أو من أقامهم هو في الإمارات ممن يجارون طريقته ويسيرون على هواه ، ثم أعقب ذلك رجوع الأتراك العثمانيين إلى جنوب الجزيرة، وأصبح لا يروج مؤلف إلا إذا تناول عهد الدولة السعودية بالتجريح والقذع، وقد قيل في المثل « ويل للمغلوب »[1] .

(١) فمثلاً : العهد الأموي أزهى عهود الفتوحات العظام التي خفقت راية الإسلام بفتوحاتهم على أغلب آسيا ←

....

وافريقيا وقسم من أوروبا ، ولم تشاهد عظمة الدولة الإسلامية إلا في مثل ذلك العهد .

ومع ذلك عندما أنهارت الدولة العظمى والامبراطورية الواسعة،على يد خصومها من العباسيين،كان لا يروج مؤلف إلا إذا تناول سيرة بني أمية بالقذف والتجريح ، ويتخذ من رجالهم الحازمين وعمالهم البارزين وقادتهم الفاتحين وسيلة إلى تجريحهم وتحميلهم وزر تجاوزاتهم،والاتخاذ من ذلك وسيلة إلى القدح والنيل من مكانتهم،مثل الحجاج بن يوسف وزياد بن أبيه،وغيرهم .

مصـادر البحث :

١ - نفح العود - مخطوط - للبهكلي .

٢ - الديباج الخسرواني - مخطوط - حسن بن أحمد الضمدي .

٣ - البدر الطالع - للشوكاني .

٤ - نيل الوطر - لمحمد زبارة .

الفترة الثانية

الفترة الثانية وتشمل :

(أ) النثر ، ويشمل :

١ - دراسة وتحليل .
٢ - رسالة من الحسن بن خالد إلى الأمير عبد الله بن سعود .
٣ - رسالة من حسن بن خالد إلى أحمد بن حمود .
٤ - رسالة من حسن بن خالد إلى قبيلة الدواسر .
٥ - رسالة من حمود أبي مسمار إلى أحمد طوسون .
٦ - رسالة من أحمد بن عبد الله الضمدي إلى الأمير سعود بن عبد العزيز .



دراســـة وتحليـــل

إن رسائل الوزير حسن بن خالد ، وهو العالم العامل من البلاغة بمكان وهي في أسلوب من السهل الممتنع لا يتكلف فيها ، بل يرسل نفسه على السجية ، فتأتي في غاية الوضوح ونصاعة البيان وتختلف بحسب المقام والمناسبة .

فمثلاً : في رسالته للأمير عبد الله بن سعود نجدها خالية من الزخرف الفني والسجعات ، ينتهج فيها النهج العملي وطريقة النثر المرسل والأسلوب الواضح ، ويفيد الفائدة التي يحسن السكوت عليها ، ويترسم طريقة السلف في الصدر الأول،فيرسل نفسه على سجيتها،وقلمه على طبيعته ونَفَسَه على مداه،فيقول مثلاً : (كان وصول الخطوط بعد أن أختار الله للشريف ما عنده،وانتقل من هذه الدار الفانية إلى الدار الباقية على أحسن حال ... وكان وفاته لعشر مضين من شهر ربيعي الأخرى،فالله المسئول أن يرحمه وأن يكرم نزله،فلقد مات مجاهداً في ذات الله) .

وقد يستمد من بعض الآيات الكريمة في تلك الرسالة فيقول : (وأخذ أعداء الله من الأروام،واستولى على كل ما جروه من المدافع والقنبره،وقتل باشتهم سنان أغا،وقتل منصور بن ناصر،ومن لا يحصى من أهل الفجور،وأخذهم الله كما ﴿ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[1]) .

وأما رسالته إلى أحمد بن حمود فهي من ذلك النمط وبنفس الأسلوب والطريقة ، وإن كان يكثر فيها من الاستشهاد بالآيات القرآنية،فيقول : (وأما جمعه ومن معه فقد انهزم ... بسماعه بهزيمة أصله،وقصتهم هذه أشبه بقصة الأحزاب ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾[2] أخذ الله الأصل وبقي الذين ظاهروهم،وهم الطائفة الشرقية فننظر ما ذكر الله لرسوله في قصة الأحزاب : ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ ﴾[3] إلى آخر الآية ...) .

---

(١) سورة هود من الآية الكريمة رقم ١٠٢ .

(٢) سورة الأحزاب من الآية الكريمة رقم ١٠ .

(٣) سورة الأحزاب الآية ٢٦ .

أو كما ورد في تلك الرسالة:(ومن بادر إلى الله جل وعلا في الإجابة،بادر الله إليه بالإتابة في الدنيا والآخرة،قال تعالى : ﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ ﴾)[1] إلى آخر ما ورد في الرسالة من الاستشهاد بالآيات القرآنية أو الاقتباس منها .

أما رسالته إلى قبيلة الدواسر، فقد استهلها بقوله : (فغير خافيكم ما خلق الله له الخلق ، وبعث به الرسل ، وأنزل به الكتب،من عبادة الله وحده لا شريك له ، وموالاة أوليائه ، ومعاداة أعدائه ، وقد قضى الله،وله الحمد على كل حال،خروج هذه الطائفة الباغية،عقوبة لعباده المؤمنين بما ارتكبوه من الذنوب،والإعراض عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ... والآن ندعوكم إلى ما دعتكم الرسل إليه،مما أمر الله به في كتابه امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾)[2].

وأكثر في تلك الرسالة من الاستدلال بالآيات القرآنية ، فالرسالة من نمط الرسائل السياسية،المشتملة على الترغيب والترهيب واستجلاب القلوب إليه ، وفي الرجوع إلى النص ما يغني عن الإسهاب .

أما رسالة حمود أبي مسمار إلى أحمد طوسون،فهو يستعمل فيها السجع غير المتكلف كقوله : (إن أحسن ما تزينت به الدفاتر،وتشرفت به الخطب والمنابر،حمد الله السلطان القاهر) ، وقوله : (أهدي السلام الزاهر ، والاكرام المتكاثر ، المعلن بالبشائر ، إلى ذي الهمة العالية في المفاخر) .

كما أنه يستعمل بعض المصطلحات التركية المعربة،الرائجة في ذلك الوقت في الخطابات الرسمية،كقوله : (سيف الدولة السلطانية،وعلم الصولة الخاقانية،الوزير المعظم والدستور المكرم) .

كما يستعمل المجاملات السائدة في ذلك الوقت في صدور الرسائل الرسمية،كقوله :

---

(١) سورة النحل من الآية ٤١ .

(٢) سورة النحل من الآية ١٢٥ .

(فصدور سطور،رفع الدعاء المأثور،والوداد المغمور) ، أو في قوله : (بعد وصول خطكم الكريم ، ولفظكم العالي القويم ، الجالب للأنس العظيم ... الخ) .

كما أنه يستشهد بالآية الكريمة ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾[1] .

ويختم رسالته بهذه العبارة التي هي إلى الغزل أقرب،والتي يظهر أنها مقتبسة من الأدب التركي،الذي قد يكون الكاتب ملماً ببعضه،إذ يقول : (وذكرت أنه لابد من تحقيق يصلنا ، فهو المأمول من تفضلاتكم،رفع أخباركم ، ونشر روائح أعطاركم،فإنا شيقون إلى ما تجدد من الأخبار،لاستنشاق روائح الأعطار ...) .

وإذا أجلنا النظر في رسالة الشيخ العلامة أحمد بن عبد الله الضمدي إلى الأمير سعود بن عبد العزيز ، نجده وهو رجل العلم والفضل يبتدأ رسالته على الطريقة السلفية بقوله : (من أحمد بن عبد الله الضمدي إلى من أقام الله به الحق في هذه الأعصار ، وانتشر العدل بحمى سعيه في جميع الأقطار ، وملأت هيبته قلوب أهل البوادي والأمصار ... الخ) .

وسار على هذه الطريقة المسجوعة ، فهي رسالة فقيه عالم ، وحبر عابد ، لا رسالة أديب محترف ، وحسبه أنه أظهر أو حاول إظهار مقدرته البيانية ومنهجه البلاغي .

ونختم هذه الدراسة والتحليل برسالة العالم الأديب الشيخ أحمد عبد الرحمن بن أحمد البهكلي مؤلف نفح العود،الذي جمع بين العلم والأدب والنثر والشعر وبرز في ميدانهما ، فرسالته نمط من النثر الفني والبيان العالي ، تظهر فيها الموهبة الفكرية والمقدرة البيانية ، وإذا نظرنا على أنه يراسل رجل هو من زعماء التصوف في عصره ، ورجال الوعظ في دهره ، وله الصيت الذائع ، والشهرة الساطعة ، عرفنا كيف توفق في رسالته وعرف مفتاح شخصية المخاطب - بفتح الخاء - فلينظر القائل إلى قوله : (وبعد فإنه وصل إلي كتاب كريم معنون بإسمي،ففتحته عملاً بظاهر العنوان،وسرحت طرفي في جنانه ذوات الأفنان،وأحيى الله به القلب الميت،وشرح به الصدر) ، وما أحسن قوله : « كتاب

(١) سورة آل عمران من الآية الكريمة رقم ١٢٦ .

كريم » ، واقتباسه هذا النعت للكتاب من الآية الكريمة : ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾[1] ثم راح يشرح المضمون الآتي :

إن الخطاب الجوابي الوارد إليه والمعنون باسمه واسم أبيه واسم الأسرة هو ليس له بل لابن أخته المقيم في أبي عريش ، لأنه لم يسبق أن تشرف بالكتابة إلى ذلك الحبر الجليل ، وراح يتأول لتلك المناسبة أكرم التأويل ، وان اتفاق الاسمين كان السبب لتشرفه باستلام الرسالة ، أو كما يقول : (لوصول هذه البشرى إلي،وحصولاً للذكرى لدي،وهو سر الأرواح جنود مجندة،وهذا من التقارب الروحاني،ولقد سمع الرسالة الواصلة منكم بعض الأصحاب،الذي هو لكم – للمرسل « بضم الميم » – من أخص الأحباب ... شاكراً لله) فأورد تلك القصيدة ، والتي هي في حقيقة الأمر معارضة لقصيدة صوفية مشهورة – لا يحضرني اسم قائلها – بهذا الاستهلال :

لمعت نارهم وقد عسعس الليل ....

وهي قصيدة مشهورة ، والقصيدة المعارضة هي من ذلك النمط الرفيع والشعر الراقي ، واستعمل فيها مصطلحات القوم وكنايتهم واستعاراتهم ، فهي من الشعر الرمزي الصوفي ، وإن كانت في محتواها ومضمونها من السهل الممتنع ، ويلوح لي أن القصيدة من شعر الشيخ نفسه ، وإنما تواضعا المح عنها أنها لغيره ، أو قد تكون لغيره وبعد الانتهاء من القصيدة أخذ في التعبير عن حسرته لعدم تعريج الإدريسي – في رحلته من زبيد إلى صبيا – على مدينة بيت الفقيه مثوى إقامة البهكلي ، وسلوكه طريق الساحل فيقول : (وقد كانت آمالنا طافحة،وأشواقنا غادية ورائحة أن يكون طريقكم من زبيد علينا ، وتوجيه خاطركم الشريف إلينا ، فما راعنا إلا أن قالوا ضرب الإمام طريق الساحل وخلفكم وراءه ، فخاب رجاء الأمل فقمنا نتمثل بما قد قاله من قبلنا في هذه القضية) وأورد أربع أبيات كشاهد للحال ، ثم عقب ذلك بقوله : (على أن هذه البلدة – يقصد

---

(١) سورة النمل آية ٢٩

صبيا - التي رحمها الله بك ، وجعلها مهاجراً لأهل الله بسببك هي :

بلاد بها عق الشباب تمائمي وأول أرض مس جلدي ترابها[1]

وما زلت أحن إليها لأن الرجل يحن إلى مسقط رأسه ، وما علمت أن الله خبأ لها هذا الفضل العظيم ، بطلوع بدر الأنوار المحمدية ، وتنزلات الرحمات السرمدية وحمدت الله لأهلها ، ورجوته أن لا يحرمني خصائص تلك الرحمة وفضلها ، وأدع لي بخير الدارين وأجعلني على ذكر منك ذكرك الله فيمن عنده) .

ان البهكلي رحمه الله علم من أعلام المنطقة وعالم من علمائها ، ومعروف المكانة ، تبوء مركز القضا ، وإذا كان قد ألم بمصطلحات الصوفية في خطابه الجوابي ، أو في القصيدة ، فلا يعني ذلك أنه تأثر بأحمد بن إدريس ، فإن الإدريسي - إذا قدرنا - وصل إلى زبيد في النصف الأخير من سنة ١٢٤٣ ، وأقام بها نحو عامين ، ثم رحل منها إلى صبيا فوصلها في شهر رمضان سنة ١٢٤٥ ، في حال أن علّامتنا البهكلي من مواليد سنة ١١٨٢ ، فيكون وصول أحمد بن إدريس إلى زبيد وعمر الشيخ البهكلي (٦١ عاماً) ومع ذلك لم يتفقا ولم يلتقيا ، فالبهكلي توفاه الله سنة ١٢٤٨ في بيت الفقيه ، والإدريسي توفى بصبيا في رجب سنة ١٢٥٣ ، ولا نخال أن البهكلي تأثر - وهو العالم المشهور المعروف - بالطريقة الأحمدية أو اعتنقها وإنما التصوف موجود في عسير وتهامة قبل وصول الإدريسي بمئات السنين[2] .



(١) وأُصَوِّب أن صحة الشطر الأول (بلاد بها نيطت على تمائمي)- وقد يكون هذا السهو وقع من الناسخ لا من الشيخ .

(٢) انظر كتابنا « التصوف في تهامة » الطبعة الثانية .

رسالة من حسن بن خالد
إلى الأمير عبد الله بن سعود

بســـم الله الرحمـــن الرحـــيم

من حسن بن خالد إلى الأمير عبد الله بن سعود بن عبد العزيز آل سعود (..) وإياه بالباقيات الصالحات سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته،وبعد فموجب الخط إبلاغك السلام والسؤال عن حالك،وأحال الله عن الجميع كل مكروه ، وحسن شداد وصل والخطوط التي صحبته وصلت،والحمد لله على عافيتكم،كان وصول الخطوط بعد أن اختار الله للشريف ما عنده،وانتقل من هذه الدار الفانية إلى الدار الباقية على أحسن حال (...)،وكان وفاته لعشر مضين من شهر ربيعي الأخرى،فالله المسئول أن يرحمه وأن يكرم نزله فلقد مات مجاهداً في ذات الله،وكان وفاته بعد أن جمع الله بيننا وبين أعداء الله من الترك وغيرهم لأربع وعشرين مضين من شهر ربيع الأولى،وأخذ أعداء الله من الأروام واستولى على كل ماجروه من المدافع والقنبره ، وقتل باشتهم سنان أغا،وقتل منصور بن ناصر،ومن لا يحصى من أهل الفجور وأخذهم الله كما أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد وقتل من الترك أكثر من ألف قتيل،فالحمد لله وحده صدق وعده ونصر جنده وهزم الأحزاب وحده ، وتوفاه الله بعد أن أخذ الله الجنود الفاجرة على يديه وبعد ذلك من كان من العساكر من الجنود الذي جمعهم من أهل الدينار والدرهم ، رجعوا إلى بلادهم وأخذهم الله كما أخذ الترك،ومن بعد نفوذهم أعاننا الله على جمع شمل المسلمين،وعاهد الجميع من عسير وغيرهم على العمل بكتاب الله وسنة رسول الله والموالاة والمعاداة والسمع والطاعة وموالاة المسلمين، ومعاداة عدوهم وعلى السمع والطاعة في العسر واليسر،ومن بعد ذلك وجهنا المسلمين إلى من تمتن من أهل وادي شهران من أهل « تندحة »،ودمر الله جملة قرى في وادي تندحة وشهران وبلاد عسير وحال نخط الخط والسجن ملآن من أشرار أهل الردة وباشات الترك،والخيل التي بأيدي

كل من والى الترك صارت بأيدينا،وأخذنا حلقة من رأينا أخذ حلقته ، وتاريخه وقد عاهدنا (عبيدة) و (رفيدة) اليمن،بعد أن أخذنا ديار من أراد الله ، وعاهد جميع شهران وبني شهر،وعاهد جميع بني بشر وبالأحمر والأسمر وصار حد المسلمين إلى شريف وسنحان وهم يكتبون إلينا،ورجال ألمع عاهد الجميع على العمل بكتاب الله وسنة رسوله كما قد ذكرنا لكم،وتاريخه والمناخ الذي نحن منه قد اجتمع فيه من المسلمين أكثر من عشرة آلاف،وصدرت ونحن مستعينون بالله ومستنصرون ومؤدون لجهاد أعداء الله نسأل الله الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد ونسأل الله أن ينصر دينه وكتابه وما النصر إلا من عند الله،وقد بلغنا استيلاء هذه الطائفة الكفرية على « الوشم » و « القصيم » و « سدير » ودخولهم واضطراب العارض،وهذه ثمرات الذنوب نسأل الله جل وعلا أن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ويثبت أقدامنا وينصرنا على القوم الكافرين،والعبد المسلم لا يستوحش في طريق الهدى لقلة سلّاكه والاعتصام بالله والتمسك بحبل الله هو رأس النجاة ولا ينبغي للمسلم أن يفتقر إلى غير ربه،نسأل الله الهداية إلى الصراط المستقيم جواباتك صحبة محمد الحويك وصلت بعد وفاة الشريف،وأرسلنا الخط الذي منكم إليه إلى الولد أحمد بن حمود وصدر إليكم جوابه،وهو معكم إن شاء الله وقائم على الهمة في جهاد أعداء الله،نسأل الله أن يثبته ويسدده وأن يأخذ بناصيته إلى ما فيه الخير،والولد شبيب وصل إلينا بعد الحرب،(....................................)[١]

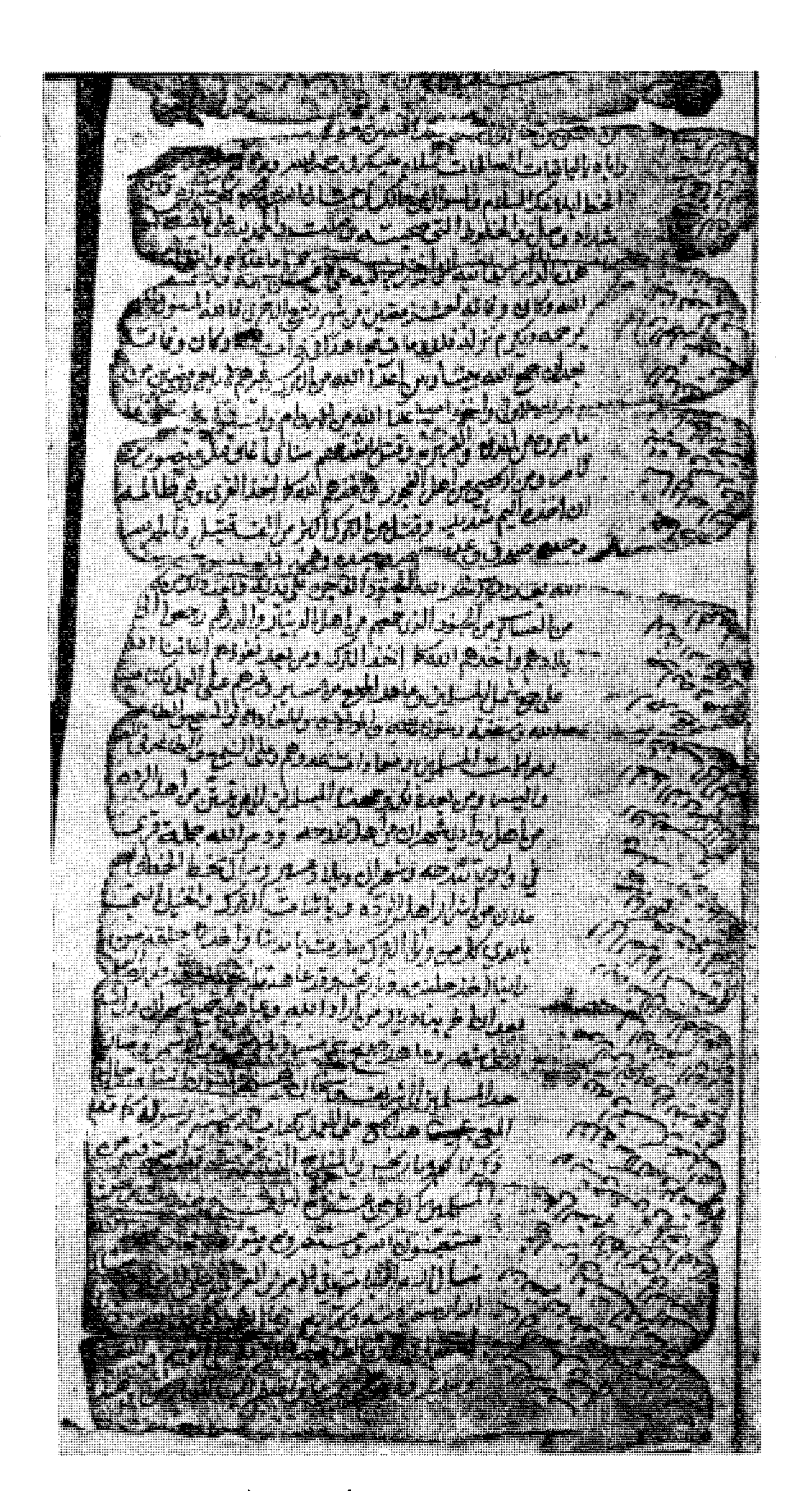
انتهى[٢]

---

(١) نحو عشر كلمات غير مفهومة لتاكّل الورقة .

(٢) من وثائق المكتبة العقيلية .





نص رسالة حسن بن خالد إلى الأمير عبد الله بن سعود

رسالة من حسن بن خالد
إلى أحمد بن حمود

سمع الله عنكم السار ووفقنا وإياكم ....
عافيتكم ووصول خطوطكم يوم الأحد ....
من تهامة واستيلاء المسلمين على جمع ....
....
.... وصلوا من تهامة كتبوا إلى ....
ويكن وجههم إلينا والطائفة ....
واصِلْه من مصر وكفى الله المسلمين ....

وأما جمعة ومن معه فقد انهزم .... بسماعه بهزيمة أصله،وقصتهم هذه أشبه بقصة الأحزاب،إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم،أخذ الله الأضل وبقى الذين ظاهروهم وهم الطائفة المشرقية،فننظر ماذكر الله لرسوله في قصة الأحزاب : ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ﴾[1] إلى آخر الآية،وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب الآن ... فنحن ننتظر ما رتب الله لرسوله من النصر علا ؟ قصة الأحزاب فإن سنة الله في السابقين واللاحقين واحدة،كما قال تعالى﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[2] ما ..في المستقبل إلا وجدت مثله في الماضي،وإنما أسأل الله الثبات في الأمر والعزيمة علا ؟ الرشد والهداية إلى الصراط المستقيم،فبذلك ينال ما رتب الله عليها من الصفات العاجلة والآجلة،وما حققتم من حال رجال حاشد،والقاعدة الواصلة منهم فنسأل الله الثبات لنا ولهم في الأمر الذي يرضاه والعزيمة على الرشد،وقد كتبنا إليهم خطوط صحبة الأخ أحمد الشرفي،وإلى كافة همدان وصدر تسويد خط حاشد،وكلية المراد الاستجابة لله ولرسوله،ففيها الفوز في الآخرة والعز في الدنيا،فإن العز في طاعة الله

---

(١) سورة الأحزاب من الآية الكريمة رقم ٢٦ .
(٢) سورة الفتح الآية ٢٣ .

والذل في معصيته،والدنيا إنما هي تبع لطاعة الله،وأمر الدنيا فأمرها هين،ونحن فإن فتح الله اليمن كما هو المأمول في الله جل وعلا،فمال الله البذل فيه ما هو إلا للمجاهدين منهم،ومن غيرهم،ولهم فضيلة السبق في هذا المقام،ومن بادر إلى الله جل وعلا في الإجابة بادر الله إليه بالإتابة في الدنيا والآخرة . قال تعالى : ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾(1) وصدورها وطوائف المسلمين في نشاط الله به عليم،نسأل الله جل وعلا أن يشرح صدورنا وصدورهم للحق،وأن يجعل رغبتنا فيما عند الله فإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم،وجعل الثمن في ذلك الجنة،وجعله وعداً عليه في التوراة والإنجيل والقرآن،فمن أوفي بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به،وذلك هو الفوز العظيم،نسأل الله الإخلاص في العمل،وقد وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثلاثا في هذه الدنيا،ولأجر الآخرة أكبر، فقال : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي﴾(2) ومحط الفائدة العبادة ولا تكبر في صدرك هذه الحوادث، فلابد لمدعي الدين من بلوى يتبين منها الصادق من الكاذب والمجاهد من القاعد،والقرآن مملوء من هذا،وتأمل قصص الأنبياء وقد أخرج الرسول ﷺ من مكة ثاني اثنين،واجتمع اليهود على قتل عيسى فرفعه الله،وخرج موسى من مصر خائفاً يترقب وقول قومه له من بعد أن بعثه الله ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾(3). واستحضر أسر بخت نصر المجوسي لدانيال النبي،وقد جعل الله العاقبة للمتقين وللتقوى وأخبر أنه مع الذين اتقوا،نسأل الله أن يرزقنا تقواه،وتأمل بقاء النبي ﷺ ثلاث عشر سنة يدعو الخلق إلى الله،وبالمدينة عشرا لم يفتح الله عليه مكة إلا في الثامنة منها لإحدى وعشرين سنة من بعثته وما جرا ؟ عليه بمكة والطايف، حتى كان سفهاء أهل الطايف يقيمونه ويرضخون رجله بالحجارة كما ذكر موسى بن عقبة

---

(1) سورة النحل من الآية الكريمة رقم ٤١ .

(2) سورة النور من الآية الكريمة رقم ٥٥ .

(3) سورة الأعراف الآية ١٢٩ .

وغيره،ولم يزل ربه يسليه ويذكر له قصص الأنبياء كما في قوله : ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ﴾[1] أي لا ناقض لحكمها وقد حكم بنصر أنبيائه ولقد جاءك نبأ المرسلين ونبأهم كما قال الله ﴿فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾[2] وقال في آخر هود : ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ﴾[3] ولاتباع الرسل من هذه الوراثة بقدر الاتباع من بلوى ونصر وعاقبة ونسأل الله جل وعلا أن يعافينا في الدنيا والآخرة،فإن عافيته أوسع لنا،وما ذكرتم من جهة أيام بقاءكم في أبي عريش،ووصول أحمد إليكم وما جرى في ضمد وغيره،فهذه أمور جفت بها الأقلام وطويت عليها الصحف،وأنت فما تركت جهداً ولا أبقيت وسعاً،ولا أنت عنده وعند كل من يعقل إلا محمود مشكور،ولا يلحقك لائمة في شيء من هذا،ولا كنت أظن أنه يدخل في نفسك أني أنقد عليه في أمر ضمد،والشرهة[4] على من كان فيه كونهم لم يتسببوا الأسباب التي أمر الله بها،وما قد أعد فيه من القوة لقتال العدو،ومع هذا فهم لا يدفعون قدراً،إنما سبقك الأقدار ليس فيها عذراً[5] للمكلفين،ولو كان سبق القدر عذراً لما بعث الله رسولاً ولا أنزل كتاباً ولا فرض جهاداً،ولو شاء لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض،وأنت فقد فعلت الذي يلزمك في أبو عريش حتى جاء من إليه الأمر فيه وكان ما كان،ومما يشرح صدري كونك هدمت بيت علي بن حيدر من غير إذن من أحد من الأشراف،وهذه الطائفة التركية فمن أسباب وصولها إلى مصر دفع أيدي الأشراف عن اليمن،ولعل الله يحدث بعد ذلك أمراً،وكذلك الأخ علي محمد فلا عليه

---

(١) سورة الأنعام من الآية الكريمة رقم ٣٤ .

(٢) سورة الأنبياء من الآية ٩ .

(٣) سورة هود الآية ١٢٠ .

(٤) شره : من باب طرب ، فهو شره ، والشره : غلبة الحرص ، وشدة النهم .
أما في مصطلح جهتنا : فالشرهة ، الملامة والعتب ، وفي مصطلح نجد الشرهة : العطية والهبة والصلة .
فَشَرَّه الأمير فلان : أي وصله بصلة .

(٥) هكذا بالأصل .

منقود،وبعد خروج جميع من في البيت والأمر قريب في جميع ذلك،والدنيا فما خلقها الله إلا ليخربها،وفي كل شيء عوض غير الله فليس فيه عوض،والمراد نصر هذا الدين،وقد تكفل الله بنصره على يد من شاء من خلقه،والحقيقة إليكم إنشاء الله بعد الوصول إلى بيشة راشه،ونرجو الله يأخذ من فيها من عداه،وصدر خط إلى حاشد كما تراه،وخط إلى الأخ يحيى إسماعيل،وخط إلى الأخ أحمد بن يحيى الأغطب،وخط إلى الأخ أحمد بن زيد كما تراها .

في أول رجب ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م أو ١٣٣٥هـ / ١٩١٦م

« ويظهر أنه كتبها قبل مقتله بشهر،لأنه قتل في شهر شعبان سنة ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م أو ١٣٣٥هـ / ١٩١٦م على اختلاف في تحديد العام » .

نص رسالة حسن بن خالد

رسالة من الوزير حسن بن خالد
إلى قبيلة الدواسر

(... فغير خافيكم ما خلق الله له الخلق ، وبعث به الرسل ، وأنزل به الكتب من عبادة الله وحده لا شريك له ، وموالاة أوليائه ، ومعاداة أعدائه ، وقد قضى الله وله الحمد على كل حال خروج هذه الطائفة الباغية عقوبة لعباده المؤمنين بما ارتكبوه من الذنوب والإعراض عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ...

والآن ندعوكم إلى ما دعتكم الرسل إليه مما أمر الله به في كتابه،امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾[1]، ولا يكبر في صدوركم نفوسكم كثرة أهل الباطل ، فإن الله عدوهم ، وقد ذم الله الأكثر في قوله:﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[2] وقوله : ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[3] ومدح الله القليل في قوله تعالى : ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾[4] وجعل العاقبة للتقوى وللمتقين،وحذر بطشه في قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[5]...

فيالها عظة لو صادفت في القلوب حياة ، وصدورها ونحن مستعينون الله متوجهون لجهاد أعدائه، ممتثلون لقوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾[6] والله المسئول أن يرزقنا الاعتصام بالله وبحبل الله،ونسأله الثبات في الأمر

---

(١) سورة النحل من الآية الكريمة رقم ١٢٥ .

(٢) سورة يوسف ١٠٣ .

(٣) سورة الأنعام من الآية الكريمة رقم ١١٦ .

(٤) سورة ص من الآية الكريمة رقم ٢٤ .

(٥) سورة القمر ٥١ .

(٦) سورة التوبة من الآية الكريمة رقم ١٢٣ .

والعزيمة على الرشد ، فهذه تذكرة إمتثالاً لقوله تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾[1] ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾[2] وأقول : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[3] ﴿ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ﴾[4] ... . انتهى[5] .

---

(١) سورة الأعلى ٩ .

(٢) سورة الأنعام من الآية ١٢٥ .

(٣) سورة يوسف ١٠٨ .

(٤) سورة الأحقاف من الآية الكريمة رقم ٣٢

(٥) كتاب الحياة الأدبية والفكرية في جنوب البلاد السعودية – للدكتور أبو داهش

رسالة من حمود أبي مسمار
إلى أحمد طوسون باشا
عـام ١٢٢٨هـ[١]

(... إن أحسن ما تزينت به الدفاتر،وتشرفت به الخطب والمنابر،حمد الله السلطان القاهر ، الواهب نعمته لكل شاكر ، والصارف نقمته عن كل صابر ، وأفضل صلاته وسلامه على نبيه المبعوث من خير العشائر ، إلى كل منجد وغائر، سيدنا محمد وآله البدور الزواهر ، ثم أهدي السلام الزاهر ، والإكرام المتكاثر ، المعلن بالبشائر ، إلى ذي الهمة العالية في المفاخر،والأيادي الواكفة على كل باد وحاضر، سيف الدولة السلطانية ، وعلم الصولة الخاقانية ، الوزير المعظم ، والدستور المكرم،المشار إليه أعلاه ، لازال محروس الفِنا من الغيّر ، مصفى النعماء من الكد ملحوظاً بالنصر والظفر،وبلوغ كل وطر ، وبعد :

فصدور السطور،ورفع الدعاء المأثور،والوداد المغمور ، والسؤال عن حالكم بالآصال والبكور ، أسمع الله عنكم ما يسر الودود ، ويغم الكاشح الحسود ، بعد وصول خطكم الكريم ، ولفظكم العالي القويم،الجالب للأنس العظيم ، فلقد تشرفنا بوصوله ، وتزينت حلاله بحلوله ، كيف وهو أعز واصل إلينا،وأشرف نازل علينا ، وذكرتم ما منّ الله به عليكم،وأسداه إليكم،من الفتح العظيم ، والنصر الحتيم ، فلقد تفضلتم وتطولتم بالتحقيق الشافي لكل سقيم ، وهذا من فضل الله الكريم ، ومنّه الجسيم ﴿ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾[٢] وذكرت وصول جانب المراكب السعيدة إلى بنادرنا اللحية والحديدة ، فالبنادر بنادركم،والطرف طرفكم ، وذكرت أنه لابد من تحقيق يصلنا ، فهو المأمول من تفضلاتكم،رفع أخباركم ، ونشر روائح أعطاركم،فإنا شيقون إلى ما تجدد من الأخبار،لاستنشاق روائح الأعطار ..) .

انتهـى

---

(١) الوثيقة ١٩٦٤٠ (مجموعة الوثائق التركية رقم ٢/٥-٣ دارة الملك عبد العزيز .

(٢) سورة آل عمران ١٢٦ .

رسالة من أحمد بن عبد الله الضمدي
إلى الأمير سعود بن عبد العزيز
١١٦٥ - ١٢٢٩هـ

(من أحمد بن عبد الله الضمدي إلى من أقام الله به الحق في هذه الأعصار ، وانتشر العدل بحمى سعيه في جميع الأقطار ، وملأت هيبته قلوب أهل البوادي والأمصار ، وقمع أهل البغي والفساد بسيفه البتار ، حتى استقام بقناة الشريعة اعوجاجها ، وخلص فراتها النمير من زعاق البدعة وأجاجها ، الأخ الأمير سعود بن عبد العزيز حفظه الله الملك العلام ، وتولى عونه في اقدامه والاحجام ، وأخذ بناصيته إلى خير القول والعمل ، وبلغه من إقامة دين الله غاية الأمل ، وألهمه السداد ، وبصره الرشاد ، وجعل قيامه خالصاً لرب العباد ، وفتح به الثغور ، وأصلح به أحوال الجمهور ، وأغاث به المستضعفين ، وجعله قرة عين الصالحين ، وتولاه بلطفه الخفي ...)[1] انتهى .

(١) مجلة المنهل ص ٤٢٣ جـ ٦ مج ٢١ - جمادى الثانية عام ١٣٨٠ هـ .

الفترة الثالثة

الفترة الثالثة وتشمل ما يأتي :

أولاً : النــثر ويشــمل :

(أ) الرســائل :

– رسالة الشيخ عبد الرحمن بن أحمد البهكلي إلى السيد / أحمد بن إدريس .

(ب) المقامــات :

١ – دراسة وتحليل للمقامة الخيمية .

٢ – نص المقامة الخيمية .

٣ – مقامات كتاب لهجة المستكن بالوطن وتقريض عقد الجمان :

(أ) تمهيد ودراسة لفن المقامات .

(ب) مقامة الشيخ محمد بن علي العمراني .

(جـ) مقامة الشيخ محمد بن علي العمراني .

(د) مقامة الأديب عبد الرحمن بن محمد العمراني .

(هـ) مقامة الأديب العلامة محمد المساوى الأهدل .

(و) مقامة الأديب علي بن عبد الرحمن البهكلي .

ثانياً : المناظرات والمساجلات والمباراة نثراً وشعراً :

١ – مناظرة بين الوزير حسن بن خالد والشيخ الحماطي .

٢ – مساجلة بين القاضي عبد الرحمن البهكلي واسحاق العبدي .

٣ – المباراة الشعرية حول قصيدة جواهر الآل .

٤ – المباراة الشعرية حول الصلاة على النبي للضمدي والشوكاني والحفظي .

٥ – المباراة الشعرية على قصيدة ذات الخال والقصيدة الرائية وقصيدة أخرى للحسن بن أحمد الضمدي .

٦ – المباراة الأدبية بين شاعر مكة الزرعة وشعراء المخلاف .

٧ – قصيدة حسن بن أحمد الضمدي في مدح الأمير حسين بن علي .

٨ – المساجلة بين القاضي إسماعيل ومحمد المساوى والبهكلي .

ثالثاً : الشــــعر :

(أ) شـعر المديــح :

١ – قصيدة حسن بن خالد في مدح الأمير حمود أبي مسمار .

٢ – قصيدة بندر بن شبيب العامري اللامية في مدح حمود .

٣ – قصيدة بندر بن شبيب العامري الرائية في مدح حمود .

٤ – قصيدة الحسن بن أحمد بن عبد الله الضمدي في مدح الأمير حسين ابن علي بن حيدر .

(ب) شـعر المــراثي :

١ – مرثية الشيخ عبد الرحمن البهكلي في الأمير منصور بن ناصر .

٢ – مرثية العلامة يحيى بن محمد الأمير القطبي في شيخه الشيخ أحمد بن عبد الله الضمدي .

٣ – مرثية الشيخ عبد الرحمن بن أحمد البهكلي في والده أحمد بن حسن البهكلي .

(جـ) شـعر الإخوانيــات :

١ – قال الشيخ أحمد بن حسن البهكلي جواباً على بعض أصحابه .

٢ – قال الشيخ الحسن بن أحمد الضمدي مهنئاً شيخه محمد بن علي الشوكاني بعيد الفطر .

٣ – قصيدة خيري الزمار الجيزاني إلى الشيخ عبد الرحمن صائم الدهر وجوابها .

٤ – قصيدة الشيخ أحمد بن محمد الضحوي إلى الشيخ أحمد بن عبد الرحمن صائم الدهر .

٥ – من قصيدة الشيخ أحمد بن محمد الضحوي إلى الشيخ الحسن بن أحمد الضمدي .

٦ – قصيدة إسماعيل فارس .

(د) شـعر الغــزل :

١ – قصيدة الشيخ الحسن بن أحمد بن عبد الله الضمدي .

٢ - أبيات من قصيدة علي بن أحمد بن محمد الضحوي .

(هـ) شعر شكوى الزمان والحال :

١ - قصيدة أحمد بن حسن البهكلي .

٢ - تحليل ودراسة لقصيدة في التشوق للوطن للبهكلي .

٣ - نص قصيدة البهكلي في التشوق لوطنه .

النثر

الرسائل



رسالة القاضي عبد الرحمن بن أحمد البهكلي
إلى أحمد بن ادريس الحسني

من عبد الرحمن بن أحمد البهكلي – إلى شيخ الطريقة وإمام الحقيقة المربي المرشد ترجمان الكتاب السيد / أحمد بن إدريس الحسني .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

وبعد:فإنه وصل إلي كتاب كريم معنون بإسمي،ففتحته عملاً بظاهر العنوان،وسرحت طرفي في جنانه ذوات الأفنان،وأحيى الله به القلب الميت وشرح به الصدر،فعثرت في أثناء قراءتي له على ما يدل انه جواب عن كتاب قد صدر ، مع علمي أنه لم يصدر مني كتاب،لقصوري عن مواجهتكم بشيء من الخطاب،واقتصاري على التقاط ما يرد من فوائدكم على ألسنة الواصلين إلينا من ذلك الجناب،ولعل الكتاب إليكم من ولدي[1] عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن صاحب أبي عريش،فهو ولد كبدي وكف عضدي،لأني خاله وأبوه ابن عمي، فجعل هذا الاجتماع والاسم سبباً لوصول هذه البشرى إلي وحصولاً للذكرى لدي،وهو سر الأرواح جنود مجندة،وهذا من التقارب الروحاني،ولقد سمع الرسالة الواصلة منكم بعض الأصحاب،الذي هو لكم من أخص الأحباب،فأنشد القصيدة شاكراً لله على هذا ... فقال :

علمـــت شوقنـــا إليهـــا فـــزارت	**وأشـــارت أن ثـــم ود صحيـــح**
راعهـــا اذ رأت جفـــاء فأغضـــت	**وكـذا يفعـل الحـبيب الصفـــوح**
نزلـت خـير مـــنزل في ربانــــا	**ولهـا عن كنايـــة تصــــــريح**
عـبرت في الهـوى على حـي ليـــلى	**ولها في الهـوى بهـــم تبريـــــح**
فاستعارت أنفاسهـــا وهـي تسـري	**فعـــلاها منهـــم أريـــج مريـــح**
عطـرت كـل مـــنزل نزلتـــــه	**فهـي تسـعى وكـل نـد يفـــوح**
علمتنـــا بلطفهـــا كيف نأتـــي	**دارهـا ، وهـي عن ربـانـا نزيـــح**
وأرتنـــا قـــرب المنـــازل لمــــا	**رقّـت الحجـب فالديـار تلـــوح**

---

(١) هكذا في الأصل

فتراءت ديــــار أهــل المصـــــلى	للمحبــين والدمـــوع سفــــوح
ســارعوا نحوهــا الخطــى وأناخـوا	فاســتراحوا بوصلهــــا وأريحــوا
شــاهدوا العفــو والرضـــا وتعافـا	قلــب صــب بهــم محــب جريــح ؟
عاينــوا حــين عاينـوا صفــوة الله	فيوضــاً فيهــا لهــم ترويـــــح
حضــرة القانت الإمام المفــدى من	عــلى كـل قانـت لـه الترجيـــــح
حضـــرة يحضــر الملائــك فيهــا	ولهــم في مجالهـــا تســــبيح
حلــق الذكــر والعبــادة فيهـــا	كل روح للمصطفـــين وروح ؟
فهنــاك الأرواح أفضـــل حمـــد	الله فيهــا وتغتـدي وتــــروح؟[1]

وقد كانت آمالنا طافحة،وأشواقنا غادية ورائحة ، أن يكون طريقكم من زبيد علينا وتوجيه خاطركم الشريف إلينا ، فما راعنا إلا أن قالوا : ضرب الإمام طريق الساحل وخلفكم وراءه، فخاب رجاء الأمل ، فقمنا نتمثل بما قد قاله من قبلنا في هذه القضية ، وعلمنا أن الفضل والخير بالخصية .

أيهــا الســائر ســر في دعــــةٍ	إينمــا ســرت فمــا منــك خلـــف
إنمــا أنــت ســحــاب ماطــــر	حيثمــا صرفــه الله أنصـــــرف
ليــت شــعري أي قــوم أجدبـــوا	فأغيثــوا بــك مــن بعـــد التـــلف
ســاقك الله إليهـــم رحمـــة	وحرمنـــاك لذنــب قـــد ســـلف

(١) إن هذه القصيدة لا تخلو من بعض شطحات الصوفية،ومغالاتهم في شيوخهم وايرادبعض مصطلحاتهم فإن الشعب السعودي بحمد الله سبحانه وتعالى قد رسخت العقيدة السلفية والدعوة الاصلاحية لديه وحصنته عن الصوفية وبدعها .

المصــدر :

– حدائق الزهر – مخطوط – لحسن بن أحمد الضمدي ، ورقة ١٠٥ وما بعدها .

على أن هذه البلدة التي رحمها الله بك ، وجعلها مهاجراً لأهل الله بسببك،هي :

بـلاد بهـا عق الشباب تمـائمي   وأول أرض مـس جـلدي ترابهـــا[1]

وما زلت أحن إليها ، لأن الرجل يحن إلى مسقط رأسه ، وما علمت أن الله خبأ لها هذا الفضل العظيم بطلوع بدر الأنوار المحمدية ، وتنزلات الرحمات السرمدية ، وحمدت الله لأهلها ، ورجوت الله ألا يحرمني خصائص الرحمة ، وأدع لي بخير الدارين ، واجعلني على ذكر منك ، ذكرك الله فيمن عنده ، والسلام عليكم .

انتهـــــى

---

(١) المعروف أن صواب البيت هو :

بـلاد بها نيطت عليّ تمـائمي   وأول أرض مـس جـلدي ترابـها

المقامات

دراسة وتحليل للمقامة الخيمية

لقد سجل أديبنا اللامع وفهامتنا الضليع انطباعاته عن تلك النزهة الشيقة في قطعة فنية رائعة ضمنها أحاسيسه الشخصية ومشاعره الأدبية ، وقد أطلق نفسه على سجيتها السمحة وقلمه الطيع على طبيعته فلم يتكلف السجع ، ولا الزخرفة اللفظية ، أو البهرج البياني ، فجاءت كلمته عفو الخاطر وفيض البديهة .

وقد سماها مقامة ، وإن كانت أقرب إلى باب الوصف منها إلى فن المقامة ، ولمثلها أشباه ونظائر في باب الوصف النثري مثل :

١ – وصف أبو الفضل الميكالي المتوفى سنة ٤٣٦ (للمطر)[١].

٢ – وصف جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ (لعاصفة شديدة)[٢]. وأمثال ذلك .

ويحتمل أن تنعت على سبيل المجاز بمقامة ، وسواء قلنا عنها مقامة كما قال عنها منشؤها ، أو قلنا – كما هو الواقع – أنها من باب الوصف ، وهي تتألف من مقدمة تمهيدية في تسعة أسطر ، استعمل فيها السجع العفوي كقوله : (القاضي العلامة الأوحد ، والنجم الأسعد ، إسماعيل بن أحمد) ، أو قوله : (وخضنا من بحر الخطاب كل عباب ، وفتحنا من مقفلات المسائل العلمية أبواب) .

وتلا التمهيد قطعة شعرية تتألف من ستة عشر بيتاً من السهل الممتنع،وعطاء الطبيعة السمحة ، وقد استهلها بقوله :

أنظـــر إلى الخيمـــــة منصوبـــة ‏ ‏ ‏ ‏ فـوق الريـــاض الخضـــر والـــوادي

والحقيقة أنه وصف عياني لتلك القرية في ابتداء تنشئتها،نعرف ذلك من الواقع المشاهد في تاريخنا هذا،بعد أن سميت بـ (القمري) فهي على مرتفع من الأرض تشرف على مزارع وادي ضمـــد .

---

(١) جواهر الأدب جـ ١ ص ٣٥٥ .

(٢) نفس المصدر جـ ١ ص ٣٤٥ .

وقوله : (أنظر إلى الخيمة) إشارة من المنشأ وإيماءة ذكية ، كأنه يشير للقارىء الذي يتخيله كأنه واقف إزاءه ، فيقول له بلهجة الأمر : أنظر إلى الخيمة فوق الرياض – أي مطلة على المزارع ومشرفة على مسيل وادي ضمد :

تهـدي هنـا العيـش لسـكانها ... يا نعـم ذاك السـفح والنـادي

أي لموقعها الممتاز المشرف على تلك المناظر الخلابة تهدي لسكانها الهناء وكريم العيش ، و « نعم » في الشطر الثاني فعل ماض جامد لإنشاء المدح ، قال تعالى : ﴿ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ « والنادي » منتدى القوم ومجتمعهم ، وتجمع على « أندية » ، و « نعم » ضد « بئس » ، فالأولى للمدح والثانية للذم ، واعراب « نعم » معروف ، وقال زهير بن أبي سلمى :

وفيهـم مقامـات حسـان وجوههـم ... وأنديـة ينتابهـا القـول والفعـل

والسفح من الجبل – حقيقة – حيث يسفح الماء ، وهو أيضاً حضيض الجبل – ومجازاً – أسفل كل مرتفع سواء كانت رابية أو تل أو ماشابههما –

ومضى يصف تغريد القمري على أغصان دوحها ، وأنه لا عيب فيها غير سلوانها للضيف عن أوطانه وهذا من تأكيد المدح بما يشبه الذم ، ويصفها برغادة العيش وطيب الهواء ... الخ .

إن ما يطلق عليه اسم المقامة الخيمية قد سجلت لنا ملامح من تواصل العلماء واجتماعهم ، ولا غرابة في ذلك ، وإلى عهد قريب كان علماؤنا الأخيار يتواعدون على زيارة الأكبر سناً ، ومما رواه لي الأخ علي بن عبد الرحمن الأمير وغيره ، أنه في حوالي سنة ١٢٦٥هـ – تقريباً – اجتمع جماعة من علماء المنطقة وقضاتها ، وتواعدوا على زيارة القاضي المعمر عبد الرحمن بن علي الأمير ، وهو من قضاة العهد الإدريسي – وورد ذكره في كتابي المخلاف السليماني ص ٩١٥ – وفعلاً في الموعد المحدد ساروا إليه في منزله بقرية « الواسط » فاحتفى بهم أحسن احتفاء وذبح لهم الذبائح ، وأخذوا في

(١) سورة ص من الآية ٣٠ .

مجاذبة أطراف الحديث والمذاكرة وتناولوا شتى الفنون والمعارف وتناشدوا غرر الشعر وانقضى يوم حافل إلى أن حال المساء فعادوا إلى قراهم ، ولا غرو فإن العلم رحم بين أهله .

وإذا كان – بمناسبة – تدشين قرية « الخيمة » التي تعرف الآن بقرية « القمري » ، ونقول « تدشين » على سبيل المجاز،وإلا لا يعدو الأمر أن القاضي الشيخ إسماعيل بن أحمد الضمدي استحسن ذلك الموقع الذي يشرف على بعض مزارع وادي ضمد ، وهو مرتفع على تل رملي ، فبنى له مساكن بها ودعى أصحابه ورصفاءه من العلماء والأدباء ، فكان يوم حافل نتج من حصاده هذه القطعة الفنية ، ومنهم صاحب الكلمة علي بن عبد الرحمن البهكلي،الذي هو من سكان أبي عريش ، والمسافة تقدر بين أبي عريش والخيمة بـ ٢٥ كيلو – على وجه التقريب – ، وكلتا البلدتين في الريف ، ولولا ما سجله القلم من وصف لتلك النزهة لطوتها الأيام في غياهب النسيان ، ويا حبذا لو ذكر لنا أسماء المشاركين فإننا لم نعرف منهم وهم جماعة إلا ثلاثة ، صاحب المقامة،وصاحب الدعوة،والمترجم لهما الحسن بن أحمد الضمدي .

ونلاحظ هنا أن ما يعرف الآن من الاستمتاع بجمال الطبيعة ومجال الكون،لم يكن يعرف بهذا الاسم في ذلك التاريخ،وإن كان الخروج للمتنزهات معروفاً في الحواضر العربية المتمدنة،كبغداد والشام ومصر والحجاز وغيرها،ممن يهيىء لهم الترف الحضاري الخروج للترويح عن النفس ، وعلينا أن نسمي الأشياء بأسمائها وأغراضها ، لا نطبق ما هو معروف الآن على ما قبل مائتي سنة أو مائة سنة ، وشتان بين التنزه بين الأشجار وترويح النفس وبين التأمل ومشاهدة مجال الطبيعة ، وجمال الكون ، فمثلاً : كانت جبال سويسرا مع تمتعها بما حباها الله من جمال الطبيعة يعتبر اجتياز الحجاج الإفرنج لها إلى بيت المقدس من الرحلات الشاقة،التي تهد الجسم وتعكر صفو الحياة ، وقس عليها غير ذلك ، في حال أن الآن النجعة والرحلة إليها من متع الحياة ، والإستغراق في جمال الكون وبدائع ما خلق الله في الطبيعة من جبال شاهقة وثلوج وأنهار وبحيرات وغابات ومهاوي ومنحدرات وغير ذلك .

وبعد هذه الدراسة والتحليل نورد نص المقامة :

المقامـــة الخيميـــة

جاء في مخطوط كتاب « عقود الدرر »[1] لحسن بن أحمد الضمدي ، في ترجمة « إسماعيل بن أحمد الضمدي » أخي المؤلف ، قوله : « ولما اختط المترجم له قرية الخيمة يماني وادي ضمد عام ستين ومائتين وألف في شهر ربيعي الأولى ، واقتضى الحال بعد تمام المنازل الخروج بجماعة من أفاضل الزمان ومن العلماء الأعيان ، منهم أديب العصر القاضي علي بن عبد الرحمن البهكلي ، وتعاطوا هناك كؤوس الأدب ، وأنشأوا قصائد عذاب ، وحرر القاضي المذكور مقامة بديعة في وصف تلك النزهة فقال : « نحمدك اللهم في الاخبار والإنشاء على شامل فضلك لأنك تأتي الفضل من تشاء ، ونصلي ونسلم على النبي الكريم صاحب الخُلق العظيم ، وعلى آله الأطهار وجميع أصحابه من المهاجرين والأنصار . وبعد: فلما نظمنا سلك الاجتماع نحن وجماعة من الاخوان الأعلام، الذين كل منهم في العلم طول الباع ؟ في نزهة القاضي العلامة الأوحد ، النجم الأسعد ، إسماعيل بن أحمد ، خلد الله مجده ، وجدده بقريته التي اختطها بالخيمة عذبة الماء ، طيبة الهواء ، التي اكتست أرضها حللاً خضراً من النبات نسجتها أيدي الانوا ، وخضنا من بحر الخطاب كل عباب ، وفتحنا من مقفلات المسائل العلمية أبواب . وأملى كل واحد من حفظه مالا يملى من كتاب ؟ وهز أعطافنا بديع المعاني هزّ النسيم لقدود الغواني ، فعند ذلك رأيت أن يكون في هذه النزهة مقامة، ليكون للذكر طيب وعلامة :

أنظـــر إلى الخيمـــة منصوبــــــة	فـوق الرياض الخضـــر والـــوادي
تهـــدي هنـــا العيـــش لسكانهــــا	يا نعـــم ذاك السـفح والنــــــادي
قـد غـــرد القمـري على غصنــــه	بـين ريـاض حسـنها بــــــــادي
كأنمــا البلبـل في شــــــدوه	قـام خطيبـا فـوق أعــــــواد
لا عيــب فيهــا غــير سلوانهــــا	للضــيف عـن أوطــان ميـــلاد

(١) من مقتنيات المكتبة العقيلية .

فالعيـش خصـب والهـوى طيـب ... والبشـر آت والشـجى عـادي
قريـة إسـماعيل بحـر النـدى ... طابـت لو فـاد وقصـاد
عالمنـا المحمـود عنـد الـورى ... في كـل إصـدار وإيـراد
يا ليتـني كنـت مقيمـا بهـا ... وما حـوى ملكـي وأولادي
اسـتغفر الله ولكـنني ... اسـتوطنت أرض الملك الهـادي
دار الإمـارات وأربابهـا ... أبا عريـش قامـع العـادي
معـرش دسـت الملك من سـابق ... دع ملك مصـر وابن عبـادي
ذاك الحسـين الملك المنتقـى ... خـالف آبـاء وأجـداد ؟
فانظـر لنجـران ولم تسـتطع ... حصـر مبانيـه بتعـداد
زهـا عـلى غمـدان في حسـنه ... وذاك يغـري قصـر شـداد ؟
وكـم قصـور زخرفـت حولـه ... تروي عـن الفخـر باسـناد

وتجاذب ... أدباء العصر أطراف القصائد المطولة في مدح هذه النزهة،ودونها المترجم له في مجلد .[1]

(١) مع الأسف الشديد أننا بحثنا عن هذا المجلد فلم نجد له أثر .

المصدر : عقود الدرر – مخطوط – للحسن بن أحمد الضمدي .

نموذج من مخطوطة

لهجة المستكن بالوطن

(١)

لهجة المستكن بالوطن، بإخبار من حل
في طلب المعالي وظعن، تعريض
على عقد الجمان، المتضمن لمدح
زينة العصر، مولانا مليك
الزمان، لا زال محفوفا
بعون مولاه ما كر
الجديدان
جعله
سيدنا ووالدنا وشيخنا القاضي العلامة الإمام
شيخ مشايخ الإسلام عز الإسلام وبدر
التمام محمد علي العمراني حفظه
منزل المثاني ووقاه
شر كل حاسد وشاني

نموذج من مخطوطة
لهجة المستكن بالوطن
(٢)

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي أودع خزاين امداره مالا تشرق
عليه شمس الحصر ولا يرشق بسهم الفكر واودع
مواطن اختياره ان يوجهه اماَلهم الى رياض الشكر
ويجتنبوا اعمالهم رياض الكفر وبشر من شا لما شا
وكان بتدبير الاعدام والانشا والصلوة والسلام
على نبيه المكمل بانواع المعارف والمأمل لامتياح
منتجاة العلوم وانتاج نجاة الطرايف وعلى اله
وصحبه الدين صلوا خلفه ولم يميلوا عن نهج طرفه
فامنوا المخاوف وبعد فانه حدثنا واصل
المشاة والركبان عن كامل الرواة عن حاضر
الكفاة عن حافل الاعيان ان الهمة التمية
العلية والعزمة السنية الملية من الرفيع
الرتبة على كافة البرية توجه وطاقتها مع
وتجرد من حواه نطاقها الى اسامة سوام الافكار

تمهيد

إن فن المقامات في النصف الثاني من القرن الثالث عشر قد أزدهى،وقدم لنا نماذج ترقى إلى ما يقارب المستوى الذي بلغه فن المقامات في أرقى عصورنا العربية ، وفي حوزتي مجلد يحتوي على خمسة تقاريظ ومقامات،ويظهر أن ما احتواه المجلد هو ليس كل ما أنتجته قرائح الأدباء في ذلك التاريخ ، بل اغتالت يد الضياع جزأ أو أجزاء من هذه المقامات،وأن ما ضمنه المجلد هو الباقي .

ويظهر من دراسة الموجود أن الأمير الحسين بن علي بن حيدر قام بنزهة إلى جهة المغرس من ضواحي زبيد ، ورأى أن تخلد تلك النزهة،فأقترح على أديب وعلامة المنطقة الحسن بن أحمد بن عبد الله الضمدي أن ينشيء مقامة تصف تلك الرحلة وتسجل تلك النزهة .

فأنشأ علّامتنا البليغ مقامة كان لها صداها بين أدباء تلك الفترة،ومعارضتها منهم وتقريضهم لها .

ومع الأسف أن المقامة الأصل،التي هي مقامة الشيخ الضمدي،غير موجودة في ذلك المجلد ، وبقدر ما حاولنا الحصول عليها فلم نجدها ، إلا أن المقامات المعارضة والمقرّضة تعطينا الفكرة الواضحة،والطريق اللاحب عن تلك المقامة .

وفي المجلد نجد ثلاث ورقات ونصف بعنوان : « تقريظ عقد الجمان المتضمن لمدح زينة العصر مولانا مليك الزمان حامي بيضة الإسلام الأسد الضرغام الشريف الحسين بن على بن حيدر الحسني- أفاض الله عليه بكل خير سني - لمولانا ووالدنا القاضي العلامة الإمام شيخ مشايخ الإسلام محمد بن علي العمراني » .

وخلف العنوان يبدأ بالبسملة ، ثم يقول : « وقفت على هذا المؤلف وقوف شحيح ، لما عكفت بين من تخلف عن الانتظام في سلك ذلك الجمع الصحيح ، وقنعت قنوع الكسلان بالأثر ، ونقعت غليل الظمآن في تلك الدرر » .

إلى أن يقول : « فأما صاحب تلك السبع الشوارد،فألفيته ساحب الذيل على تلك السبع القصائد المعلقات ... الخ » .

وفي الرجوع إلى ذلك التقريض ما يغني عن الإطالة هنا ، ويلي ذلك عنوان آخر : « لهجة المستكن بالوطن بأخبارِ من رحل في طلب المعالي وظعن ، تقريض على عقد الجمان المتضمن لمدح زينة العصر مولانا مليك الزمان لازال محفوفاً بعون مولاه ماكرّ الجديدان ، جعله سيدنا ومولانا القاضي العلامة الإمام شيخ مشايخ الإسلام بدر التمام محمد بن علي العمراني حفظه منزل المثاني ، ووقاه شر كل حاسدٍ وشاني » .

ويلي ذلك ما يأتي :

١ – مقامة للشيخ محمد العمراني عن تلك الرحلة أو النزهة،في تسع ورقات ونيف .

٢ – مقامة تقريضية لمقامة الشيخ أحمد بن عبد الله الضمدي، في ورقتين وثلثي ورقة للأديب عبد الرحمن محمد العمراني .

٣ – مقامة للعلاّمة البليغ محمد المساوى الأهدل،في ثمان ورقات ونصف .

٤ – تقريض للقاضي الأديب علي بن عبد الرحمن البهكلي .

وعلى كل فتلك المقامات والتقاريض نمط من الإنشاء العالي الرفيع،والنثر الفني الرائع الموشى بأنواع البيان والبديع والاستعارة والتشبيه ، والسجع والتصريع والترصيع ، تعطينا تصور واضح ورؤية صحيحة،عن ما بلغه فن النثر،في النصف الثاني من القرن الثالث عشر .

إن المقامات فن من فنون الأدب العربي لا يجهل مكانها أديب،وكان لها عشاقها وهواتها ، ومنهج معروف ، وكل مقامة تهدف إلى غرض وترمز إلى غاية وتعالج موضوع من مواضيع الحياة ، وإن كان يغلب على منهجها طريقة الإنشاء الرفيع،ولغة النثر الفني مع ما يتخلل ذلك من الأمثال والتلميح إلى بعض القضايا الهامة في التاريخ ، وطريف الأحداث في الأدب ، ولسنا بصدد تاريخ نشأتها ومنشؤها الأول ، فهذا له مجاله الآخر ، إلا أن وجودها كفن قائم بذاته ، يمكن أن يقال أن حق براءة الاختراع يستحقها بديع الزمان الهمداني ، الذي تفرد بلقبه الخالد « بديع الزمان » ، والذي يعجبني فيه قول

الزعيم المصري الخالد سعد زغلول في أحد معاصريه : « لو تقدم به الزمان لكان فيه بديعان ، ولم يتفرد بذلك اللقب علامة همدان » ، وأقتفاه الحريري فبلغ بذلك الفن أوج الإبداع .

ولا نخال إلا أن كل من جاء بعدهما – على كثرتهم – إلا سائر على آثارهما أو مقتفي أثرهما .

لقد كان الأمير الحسين بن علي بن حيدر باراً بالأدب ذواقاً لفنونه ، فكان يقتفي آثار الصاحب بن عباد في اقتراحه على أدباء حضرته بإنشاء محاورات ومساجلات ، فمرة يقترح عليهم نظم أشعار باسم البردونيات،وأخرى باسم الفيليات وأخرى في وصف القصور وغير ذلك .

ونجد الأمير الحسين بن علي بن حيدر يقترح على أدباء حضرته مثل ذلك في نزهته إلى جهة المغرس ، فيقوم مقدم أدباء الحضرة القاضي الأديب الحسن بن أحمد الضمدي فينشيء مقامة ، فتتبارى الأقلام وتتسابق الأفهام لتقريضها أو معارضتها ، فتبلغ سبع مقامات ومعارضات وتقريضات فيتكون من ذلك حصيلة أدبية وذخيرة فكرية تضاف إلى روائع أدبنا العربي، حفظت لنا صورة من أدب تلك الفترة ، وتصوراً لتلك البرهة ، فكان مردودها على الأمير ذكر خالد وللأدب إثراء فكري ، وبعد ذلك ترده قصيدة مديح من شاعر الحجاز في عصره « الزرعة »، فيشير أو يفهم أدباء الحضرة رغبته في معارضتها ، فتنبري الأقلام جادة في إنشاء قصائد على وزنها وقافيتها ، هكذا كان للأدب مجاله وللأقلام صولتها ، وللأفكار نشاطها .

وقد أشرنا في أول البحث إلى المقامة التي أنشأها في وصف خروج الأمير إلى منتزه المغرس بضواحي مدينة زبيد ، ونقول : ما أن برزت تلك المقامة حتى حازت الإعجاب ونالت الاستحسان ، فتبارت الأقلام لمجاراتها ومعارضة نهجها وتقريض بلاغتها ، ثم دارت مباريات شعرية أخرى، فاجتمع من المواد ما يمكن جمعه في كتاب ، فأمر الأمير العلّامة محمد بن علي العمراني بإخراجه تحت عنوان « تقريض عقد الجمان » .

والحق أن ذلك الكتاب الصغير يضم بين دفتيه آثاراً أدبية من النظم والنثر تجسد لنا

جانباً من حياة ذلك المجتمع ، في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري – عصر الركود الأدبي وشبه الجمود الفكري في أغلب أنحاء شبه الجزيرة – كما يتيح لنا الاطلاع على ما أنتجته تلك القرائح الخصبة،من كسب فكري ونشاط أدبي نجتلي من سطوره حركة فكرية أومضت ، وإشعاعاً فكرياً انطوى،وعهداً أبقى سماته الخاصة وطابعه المتألق ، وأنه لاطلالة للحياة ترة تواقة للقيم ، سخية بالعطاء ، ثرية بالتطلعات .

وبعد:فهذه آثار من النثر الفني والإنشاء الرفيع،كان عالمنا وأديبنا الحسن بن أحمد الضمدي قائد الرعيل في تلك الحلبة وحامل اللواء في تلك المسيرة ، كما كان في سابقتها ، وما هذه المقامات التي أوردنا مقتطفات منها إلا صدى لمقامته وتأثراً لمنهجه واقتفاءً لأثره وإشادة ببيانه،وإقراراً بفضله وسبقه ، واعترافاً بتحليقه .

والكلمة الأولى حسب ترتيب الكتاب هي للشيخ محمد بن علي العمراني،وكل ما نستنتجه أنها ضمت إلى الكتاب ضماً ، بعد أن طالع منشؤها كتاب (تقريظ عقد الجمان) فهو يستهل كلمته بقوله : « وقفت على هذا المؤلف وقوف شحيح ، لما عكفت بين من تخلف عن الانتظام في سلك ذلك الجمع الصحيح ، وقنعت قنوع الكسعي بالأثر ، ونقعت غليل الظمآن بالتفكير في تلك الدرر ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، ونلت من وابل تلك المقامات رشاش من ركب إليها ومشى »[1].

وعدا قيمتها الأدبية فقد أعطتنا فكرة واضحة – لا نجدها في سواها – عن المتبارين في تلك الحلبة البيانية،إذ يقول : (أما صاحب السبع الشوارد المعقلات ، فألفيته ساحباً الذيل على السبع المعلقات ، لم تدع مما يأخذ بالقلوب فنه ، ولم يرع بفوات شيء من جيد الأسلوب ولا ند عنه ، شأو صاحب العنوان فيما به أبدع ، وهو غير وانٍ عن الإقتدار على ذلك المنزع ، أتانا بأجناس البلاغة ، فرب كأس من خوابيه مترع ، فزاده الله مما أولاه ، وقاده إلى خير آخرته وأولاه ، وقد اقتدى به من أفرغ جهده ، وما قصر في دخول ذلك الميدان وأعمل فيه زنده ، وتمتع بدعد تلك المعية وجاذب هنده ، فأما

---

(١) أوردنا هذه المقامة كاملة في ص ٥٣٧ .

« السوادي » فقد خلف « البياضي » وراه ، وأتى بالمرتضى من القريض ، فلا تجد إلا الرضي بما نحاه ، وأما « الأمير » فقد حكى أبا فراس في إجادة الشعر وقيادة النفير ، ..... وأما القاضي « البهكلي » فقد أتى بما عليه ونضح مما أناؤه به مليء ، وأما ، وأما ، فقد أجاد كل لما (؟) ، وأحسن فيما قصد وأمَّا » .

ثم أخذ في الإشادة بالأمير .

ونستخلص من هذه المقامة أو بالأصح من هذه الكلمة أسماء من أشار إلى أسمائهم بصراحة ، سوى من كنّى عنهم بقوله و « أما » و « أما » :

١ - الحسن بن أحمد بن عبد الله الضمدي .

٢ - السـوادي .

٣ - عبد الرحمن بن أحمد البهكلي .

٤ - الأمير محمد بن الحسين بن علي بن حيدر .

ونضيف إليهم من لهم مقامات في الكتاب وهم :

١ - عبد الرحمن بن محمد العمراني .

٢ - محمد المســاوى .

٣ - علي بن عبد الرحمن البهكلي .

وبعد فقد يشتاق القارىء الكريم للإطلاع على تلك المقدمة،وما وجد من المقامات الأدبية ، في ما بقى من كتاب « عقود الجمان » فها نحن نورد الموجود منها .

❊ ❊ ❊



تقريض عقد الجمان المتضمن لمدح زينة العصر
مولانا مليك الزمان حامي بيضة الإسلام
الأسد الضرغام الحسين بن علي بن حيدر الحسني
أفاض الله عليه بكل خير سنّي
لمولانا ووالدنا القاضي العلّامة
الإمام شيخ مشايخ الإسلام
محمد علي العمراني
حفظه الله

بســـم الله الرحمـــن الرحـــيم

وقفت على هذا المؤلف وقوف شحيح ، لما عكفت بين من تخلف عن الانتظام في سلك ذلك الجمع الصحيح ، وقنعت قنوع الكسلان بالأثر ، ونقعت غليل الظمآن بالتفكر في تلك الدرر ، وقلت ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، ونلت من وابل تلك المقامات رشاش من ركب إليها ومن مشى ، وأقعدني ضعف الجواس ، وأبعدني ما فرّعني إلى إصغا تلك الحواس ، فالتقطت من تلك الجمان ما أنست به في الغربة ، وانتقلت إلى خزانة الجنان ما أدفع به الكربة ، فأما صاحب تلك السبع الشوارد المعقّلات ، فألفيته ساحب الذيل على تلك السبع القصايد المعلّقات ، لم يدع مما يأخذ بالقلوب فضله ، ولم يرع بفوات شيء من جيد الأسلوب ولا ند عنه خصله ، شارك صاحب العنوان فيما به أبدع ، وهو غير وانٍ عن الاقتدار على ذلك المنزع أتا[1] جناس البلاغة ، فرب كاس من خوابيه مترع ، وأحسن في وصف تلك المجالس المختلسة ، والخس[2] المخالس فيما أفترسه ، فزاده الله مما أولاه ، وقاده إلى خير أخراه وأولاه ، وقد اقتدا[3] به من أفرغ جهده ، وما قصر من دخل ذلك الميدان وأولج فيه نهده ، وتمتع بدعد تلك المعية وجاذب هنده فأما الشريف السوادي ، فقد خلف البياضي وراه ، وأتى بالمرتضى من القريض ، فلا تجد إلا الرضي بما نحاه ، وأمَّا الشريف الأمير ، فقد حكى أبا فراس في إجادة الشعر وقيادة النفير ، وشتان بين من جده ربيعة ومن جده البشير النذير ، وأما القاضي البهكلي فقد أتا[4] بما عليه ونضح بما إناؤه به مليء ، وأتا[5] من لطف المسلك بما يروق الناظر ، ويفوق في تربية السرور وترويح الخاطر ، فما أخفّ روحه وما أعفّ سوحه وأما وأما ، فقد أجاد كل لما ، وأحسن فيما قصد وأمَّا ، وشهد كل منهم بفضل رفيقه ، وما سهد عما يبلغه

---

(١) الصواب « أتى بجناس » .

(٢) هكذا في الأصل .

(٣) الصواب « اقتدى » .

(٤) ، (٥) هكذا في الأصل .

مقام الإحسان وصحبة فريقه ، وكيف لا وأولئك الملأ يتقلبون في حرم ، ويتفلتون على اصطياد المعاني في مغاني ذلك الطود الأشم يا من عينته معاليه فلا يُسمّى ، واغتبطت به أيامه ولياليه فهو الذي يعزى إليه كل فضل وينمى ، أدام الله على الأنام ظل عدله ، وأماد على كل جماد ونامٍ أفنان فضله ، وقاعدة مصد الحرم ؟ أن المشروف يتبع الأشرف ، فكل من ظفر فيه بشيء فقد تبالغ حسنه وجاوز الوجه الأعرف ، وقد كان الوقوف بتلك المشاعر والعكوف على ما نثره المنشيء ونظمه الشاعر ، حتى اكتحلت النواظر بميل الاستحسان من تلك الفرايد ، وانتحلت البصاير ميل الافتنان بتلك الخرائد ، من طريق من سلك طريقاً في المعالي عزت على غيره ، وقطع الأيام والليالي فيما ساد به من جد في سيره ، وتحلَّى إلى شرف محتده بكل طريف ، فهو الهزبر الصّوال إذا تنكر العريف ، والغيث الهطال إذا شحت أنواء الخريف ، والهزبر إن استنت الجذاع في ميدان الجدال واختفا[1] كل ظئيل[2] نحيف ، مولانا أبو المحامد والمآثر ، محمد بن أبي الأشبال ، الحسين منبع المخافر[3] ، أدام الله علاه وأمده بفنون العون على ما يرضاه ، وبالله الثقة ، وعليه التكلان في الصيانة عن الأمور الموبقة .

---

(١) هكذا في الأصل .

(٢) هكذا في الأصل ، والصواب « ضئيل » .

(٣) هكذا في الأصل ، و الصواب « المفاخر »

لهجة المستكن بالوطن ، بأخبار من رحل
في طلب المعالي وظعن ، تقريض
على عقد الجمان ، المتضمن لمدح
زينة العصر ، مولانا مليك
الزمان ، لا زال محفوفا
بعون مولاه ماكر
الجديدان
جعله
سيدنا ووالدنا وشيخنا القاضي العلامة الإمام
شيخ مشايخ الإسلام عز الإسلام وبدر
التمام محمد علي العمراني حفظه
منزل المثاني ووقاه
شر كل حاسد وشاني



بســم الله الرحمــن الرحـيم

الحمد لله الذي أودع خزاين اقتداره مالا تشرق عليه شمس الحصر ، ولا يرشق بسهم الفكر ، وأوزع مواطن اختياره أن يوجـه آمالهم إلى رياض الشكر ، ويجنبوا أعمالهم رياض الكفر ، ويسّر من شا لما شا،وكان بتدبيره الإعدام والانشا ، والصلوة والسلام على نبيه المكمل بأنواع المعارف ، والمأمل لا متناح منتجاة العلوم ، وافتتاح مرتجاة الطرايف ، وعلى آله وصحبه الذين صلوا خلفه ، ولم يميلوا عن نهج طرقه ، فأمنوا المخاوف وبعد فإنه حدّثنا واصل المشاة والركبان ، عن كامل الرواة ، عن حاضر الكفاه ، عن حافل الأعيان ، أن الهمّة السَّميّة العليّة ، والعزمة السنية المليّة ، من الرفيع الرتبه على كافة البرية ، توجّه وطاقها[1] ، وتجرد من حواه نطاقها ، إلى أسامة سوام الأفكار في مواس توحيد الخالق ، وادامة غمام الأنضار على بقاع أنواع بدايع الباسط الرازق ، فزحف راسخ وقارها ، بجماعته إلى نزهة المغرس ، وحلّ شامخ بدرها بين هالته في ذلك الوجه الأرغس ، وجليت غاداة الزهور ، على منصات الحبور في أشرف مجلس ، وألطف مأنس ، وجليت إلى أشواق الإنشراح ، ما يحس أشواق الإرتياح ، إلى بذل النفيس في اقتناص الأنفس ، وتمت فيه حصة اختلست من عابس الدهر ، ونمت ما بعث الأفراح ، بما نفخه في صور البشر ، ونفث في وجه الاتراح ، حتى شدخه بصادم الفهر ، وتناقلت صوالج الذكاكُرتا[2] من الآداب لا ينالها غير مسامر الزهر ، وتناولت أيدي نسايم الصبا عند جريان أحاديث قديم الصّبا ، مجامر الزّهر ، وتداولت أكف الفطن سلافات من أنواع العلوم ، مصونة عن الابتذال والعهر ، في يوم غاب نحسه ، وطاب حسّه ، وطار بخسه ، وثاب تحت نقاب الغيم شمسه ، واشتمل على ماتلتفت إليه الأنفس ، وتقتلت[3] عليه الأعين فكُمِل مستلذ الحواس وملك ما تطوف له الجواس وتُقْطَع

---

(١) لم نجد في معاجم اللغة شرح كلمة « وطاق والمعروف في اللغة التركية أن « الوطاق » هي « الخيمة » وما شابهها .

(٢) هكذا في الأصل .

(٣) (القَلَتُ) بفتحتين : الهلاك ؛ وبابه طرب ، بإسكان اللام : النُقرةُ في الجَبَل تُمسك الماء

فيه الأزمن ، ثم لما أنهزم جند الضيا ، وجد في الفرار ، وأقبل عسكر الظلام للاستيلا على ذلك القرار ، قوض الخيام وربطت أطنابه على أعمدة المسرة ، وفوض إلى كل من حاضر الخِتام ، ما يريده فيما أسره ، فمن عائد على أدراجه أمَّا المقام ، وراجع مقره ، ومن قاصد استمر في ذلك النظام ، وكان ممر القوم ممره ، ثم أن ذلك الجيش مضى وقد ملأ الفلا سروراً ، وهو يجر الذيل في مدينة تضمنت ما يحتاجه من فيها مركوباً ومأكولاً ومشروباً ونوراً ، فلم يلبث أن انتها[1] سيره إلى النخيل فتلقتهم الحدايق ، ورقّتهم إلى الحقايق ، بوجه جميل ، ومد إذ ذاك بساط السمر وهيأ ، ما يحتاج إليه في حصول السرور ، ويتم به نشاط السهر ، وأطلعت الشموس من أصناف الأضوا ، وصرفت أوجه العبوس وطابت الأهوا ، وحكى مجلس الليل موقف النهار في اعتقاب الأنوا ، وشمل الإنعام الخاص والعام ، وعم القوي والأقوا ، ولم يستغرق الليل بالسمر ، ولا تجاوز المشروع فيه إلى السحر ، وأعطيت الأعين حظها من النوم،وأريحت الجسوم من كلال الليلة واليوم ، وأريحت الرسوم في لباس جلابيب السحر إلى وقت الصوم ، إلى أن ذعر جيش الليل بهبوب الرياح،وابْذعرّ طلايع عسكر سلطان الصباح ، وأقشعر برماح الانفجار أديم سمير الغيد الصباح ، وآذن بالرحيل حين سمع الجزيل بحي على الفلاح ، وأغمد أسنة أنجمه ، وأدغم في كنانته منثور أسهمه ، وشام مناصل الصفاح ، وولى منهزماً ، لا يرا [2] في الانهزام ارتكاب العار ،وأعلن بطاعة منشيه، تالياً ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ ﴾[3]، فخلفه جند النهار ،وبسط على البسيطة زرابي الضيا ، وقال هذا ما أمرت به من مد مآيدة التقلب في الأظلة للأحيا ، ثم أني ممهد لمن جد في الاكتساب والتطلب بساط الاستراحة في الأفياء ، فحينئذ انتشر ذلك الجمع المطوي ، ونال كل مما يتمناه ما ينوي ، وجاسوا خلال ديار تلك الْعَمَّة ، ونظوا[4] أردية الاحتشام ، ورموا جلابيب الغُمَّة ، وساحوا في براري المنن ، وسبحوا في بحار النعمة ، وراحوا في تأمل تصاريف القدرة، يحثون مطيى الهمة ، وراجوا عن مرافقة الكسلان وباحوا بمفارقة بطيىء العزمه ، وتلوا ما قاله الباري ، تعالى في أصله

---

(١) الصواب « انتهى » . (٢) الصواب « يرى » . (٣) سورة يٓسٓ من الآية ٤٠ .

(٤) نضا – بالضاد لا بالظاء – ، ونضا الثوب : خلعه ، ونضا لخضاب : نصله ، قال عمر بن أبي ربيعة :

فجئت ، وقد نضت لنوم ثيابها لدى الستر إلا لبسة المتفضل

وريعه ﴿انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه﴾[1]، ورأوا من عجايب القوّام بهما أذهل، وشاهدوا غرايب في الترقي والتدلي، تستغرق فكر ما تمهل، ثم عقد المجلس كما عقد بالأمس ونالت ماتشاءه من لذات الحواس الخمس، في مقام ينزح عنه الجهر بالسوء، ولا يحزن الحاضر فيه بالهمس، لا تثنى عثراته، ولا تنثى من دفاين الصون، قواتم القبح وغيراته، ولا يستغرق بأفانين المزاح، ولا تدار فيه إلا كؤوس العلم في المغد أو المراح، ولا يتنقل فيه إلا بنقل حديث اجتذاب الأسنة واعتقال الرماح، ودام هذا أيام السرور، وهي قليلة، ورام بعد ذلك الأسد الهصور، أن يراجع غيله، فأزمع على قصد مدينة زبيد، وقد تزود كل من ذلك الرعيل ما ينشطه تذكرة إلى معاودة تلك البيد، فلا زالت تكرر أيام مسرته بما يفوت الإحصا، ونالت أفياء دوحة دولته الأدنا والأقصى، وقد تفنن في التعبير عما أحتوت عليه هذه النزهة، وتلاعب بأساليب الكلام نظماً ونثراً عما وقع في هذه البرهة، عين أعيان أهل تلك الحضرة، وزين تلك الوجوه ذوات النضرة، وجلا رين لا يزيله خرير الماء ولا مد هام الخضرة، من اشتغل في صباه بما غيره عنه لاه، واشتعل ما أضاء الآفاق من قبس ذكاه، الحسن ابن المرحوم أحمد بن عبد الله، فطابق تلك الحدايق بحدايق ذات بهجة، وسلك من رشيق الطرايق ما أعيا غيره أن يؤم نهجه، فحدث به الركبان، وتناقلته الرواه بكل مكان، وبلغت مهاب الجنوب ومساحب الصبا، وألتمس مسايرتها من ملاء الذكا، ومعاشر الأدبا، فأعرض دون تقريضها من اعترضه افكل، وقال من التمس منه ما بين طويل الأرض وعريضها: سلاحي كلّ، ولم يتصد للتأنيس في تلك المهامه غير من تقهقر وأعتل، وقد ذيل عليها بعض من شهد بما عهد، فحدث بما لم يغفل عنه ولا سهد عما وجد، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما أتاه الله، ومن نذر فليوف بنذره، كما يستطيع وتبلغه قواه، هذا مارمى به الخاطر الكال، ومرى به أخلاف العزوز[2] المآل، واجترا لما رءا تمام جمال قادمة العروس، أن تصحبها شوها وكمال صلاح خادمة الغروس أن يجاورها بصل يبلغها المنها، فليعذر من وقف، وليذعر من فتح باب التنديد على من اعترف[3].

---

(١) سورة الأنعام من الآية ٩٩ .

(٢) العزوز : العنز الغزيرة الدّر، وشاة عزوز : ضيقة الأحاليل لا تدر حتى تحلب بجهد « لسان العرب » .

(٣) نقلنا النص كما وجد ولو حاولنا اصلاح كل ما جاء به لضاق الوقت .

مقامة الأديب عبد الرحمن بن محمد العمراني

تقريضاً على

مقامة الشيخ أحمد بن عبد الله الضمدي

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً للمذلل جامحات الحكم لمن شا ، ومسخر سابحات الفكر لفرايد الإنشا،وصلوة وسلاماً على من زين به تاج النبوة ووشّى،وعلى آله المطهرين عن الفحشا،وصحبه الذين لا يبلغ أحد مُدّ أحدهم وإن أطال الرشا ، رتعت في هذا الروض الأنيق،وكرعت من هذا الحوض الرحيق ودهشت لما رأيت ما بهر ، وتحير العقل فكلما أقدم تقهقر ، فلم أدر الزُّهر أم الزَهر ، والدراري أم الدرر ، والبَدْرُ أم البِدَر ، والنهار أم النهر ، والشعر أم السحر ، والمقامة أم المُدامة ، والتسجيع أم الترجيع ، فلا أقسم بالبدر الطالع والنور الساطع،والبرق اللامع والغيث الهامع،وفصول البدايع وطوالع المطالع[1] ، لهذه المقامة أشهى في المسامع من ألحان السواجع ، وأبها من البدور السافرة ، وأشهر من الأمثال السائرة،وأرفع من مطالع البدور ، وأزهار درر نحور الحور ، وشكر من وهب أنها لذوب الذهب ، والفرائد التي يعجز دون إدراكها من جد في الطلب ، فلا يستفاد بالتعب ، ولا ينقضي منها العجب ، ما دمية القصر لديها إلا سويدا العروس ، ولا مطلع البدور إلا الطالع النحوس ولا سلافة العصر إلا مرة مهوغة[2] تدار في الكؤس ، ولا سمة الدهر إلا عجوزاً شمطا ، ولا يُتم بعد بلوغ ، فكيف وقد شبت الروس ، وهل حدايق الثمام وزهر الربا وشقايق النعمان إلا بعض ما اشتمل عليه هذا البستان من الغروس ، ونسمة السحر وطيب السمر وقصب السكر[3]، لقد جاء مؤلفها بكل معنى مبتكر ،

---

(١) لا يجوز القسم بغير الله .

(٢) الهوغ : الشيء الكثير ، وهو من الغريب .

(٣) البدر السافر – المثل السائر – مطالع البدور – أزهار درر نحورالحور – دمية القصر – سلافة العصر – سمة الدهر – نسمة السحر – طيب السمر ، كتب معروفة ، و « قصب السكر » : قصيدة لعمر بن أبي ربيعة أولها :

من آل نعمى غدا أنت غاد فمقصر   غداة غد أم رائح فمبكر

كيف لا وهو أديب العصر وشيخ البديع ، والمقتعد من فنون العلم بكل ريع ، من إذا أنشا وشّى ، وإذا حَبَّرْ حَبَّرْ ، وإذا وصف وضح عقد الجواهر بحسن ما رصف ، وإن قرر بتحريره المباحث فما ابن الهمّام بهمام ، ولا حارث بديع الزمان ، وسابق الأقران إلى أخذ الرِّهان ، الحسن بن أحمد بن عبد الله سلمه الله وسدد ، ولإن شاركه الحريري في تحبير العبارة وأوشك بديع الزمان أن شق غباره ، وقفا الريني على تقدمة آثاره ، لقد اختص بصدق مخبره،ومطابقة الواقع لمحرره ، فإنه وصف مجلساً هب فيه نسيم الروح ، وضربت خيام الأنس بذلك السوح ، وتمايلت أفنان أشجاره ، وتغنت مطربات أطياره ، ودارت به كؤوس الأدب ، وأدار كوكب المحاضرة كلما يستغرب ، تشرف ذلك المجلس ، وصار بالسعادة آهلاً مؤنس ، وافتخر على أبناء الجنس بحضور بدر الهالة وواسطة عقد سلاسلة الرسالة ، البحر الزخار لمبتغي العلوم،والغيث المدرار للسائل والمحروم من أحب الفضل وسلك سبيله ، وأبغض الباطل وفرك أهله ، مجالسه في السلم الرياض المستطابة ، ومقاماته في الحرب مقام أُسد الغابة ، محاضرته مرآة الفهوم ، وإحياء العلوم ، ومعيار العقول ، ومطارحته مرقاة الوصول إلى الفهم المعقول،وحفظ المنقول ، تبرز في مقامه أبكار الأفكار ، وتحرر من كلامه مستجادات الأخبار ، ويؤخذ عنه جواهر التحقيق، فلا يقف دون معرفة الأمر على ماهو عليه ، ولا ينسد عليه الطريق ، قالت الرعايا بدولته في ظل الأمان وخصيب المراعي ، وقالت لسان حاله لشياطين البغي لن تطاعي ، ولقلوب الرعايا كوني آمنة مطمئنة فلا تراعي، أموره مضبوطة ويده بالخير مبسوطة ، وهيبته بكل قلب منوطه، لا يمنع الصياصي العاصي ، وكالداني في إلقا النواصي القاصي ، مولانا الشريف الأعظم صاحب رسالة السيف والقلم الصارم المشهور على أهل الفجور، أسد الله وخليفة رسوله ، والشديد في ذاته ، والمجاهد في سبيله، مولانا الحسين بن علي بن حيدر أيده وأمده بجنود الظفر، وحفظه على الإسلام والمسلمين وشيد به قواعد الدين ، وكافأه عن المؤمنين بالإحسان ، وكفاه مهمات الدنيا والآخرة إنه هو الكريم المنان ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

مقامة الأديب العلامة
محمد المساوى الأهدل

حمداً لمن منَّ بِلَا مَنّ[1] على ذوي الأدب بالقرايح السليمة ، وحلا[2] عاطل أجياد بنات أفكارهم بلآلىء نثيره ونظيمه وأدار لهم كؤوس البراعة بلسان اليراعة في الطروس ، وأجرى أقلامهم في ميدان البلاغة منكسات على الرؤس ، فأثمر ذلك الإجراء ما صار روضاً أنيقاً مسكي الأريج ، ومعيناً لآداب اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مبرز المعدوم للوجود وهو الواجد ، وأنه في كل شيء له قدرة تدل على أنه واحد ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد البلغا إذا نطق ودقق ، والمهيمن على الفصحاء إذا أملا وحقق ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله أولي البيان السُّحري ، وعلى أصحابه ذوي اللطف المزري بالنسيم السَّحري ، أما بعد ، فإني وقفت على مقامة قامة[3] قيامة حاسدها ، وقد أقامت في سوق البضايع نافقها على كاسدها ، كأنها دمية من مرمر أو صورة من عاج،أو غادة لطرفها سيرة الحجاج ، تحقر ترصيع الألمعي المفيد،ولا تبقى في قوس البلاغة مترعاً لعبد الحميد،طامسة لحظ حظ الفاضل وابن العميد،ومن أدعا[4] أتقان الأدب من أزال[5] وزبيد فهي نمير يروى من سلسبيل زلاله ، وروض أنف يقطف من يانعه ، ويتفيا صافي ظله وضافي ظلاله أجاد منشيئها في الترصيع ، وشاد مبانيها بالتصريع،يعجز أبو القاسم[6] عن ذلك البديع ، ويبوء بالقصور عن بناء تلك القصور ويذيع،شعراً :

---

(١) في الأصل « بلى » والصواب « بلا » . جاء في « مغني اللبيب » ص ٢٤٥ ج ١ : جئت بلا راد وغضبت من لا شيء ، وعن الكوفيين أنها اسم وأن الجار دخل عليها نفسها وأن ما بعده خفض بالاضافة ، وغيرهم يراها حرفاً ويسميها زائدة .

(٢) هكذا في الأصل والصواب « حلى » ، حلى السيف بكذا : أي - زينه (لسان العرب . مادة حلى) .

(٣) هكذا في الأصل والصواب « قامت » جرى التنبيه .

(٤) هكذا في الأصل والصواب « أدعى » .

(٥) من أسماء صنعا .

(٦) أبو القاسم : عبد الله بن سليمان بن وهب من أكابر الكتاب ، أستوزر للمعتمد والمعتضد العباسيين ، وهو وزير ابن وزير توفى سنة ٢٨٨ هـ .

تقصر عن مداها الريح جريا وتعجز عن مواقعها السهام
تناهب حسنها حاد وشاد فحث بها المطايا والمدام

ما الروضة الغنا باكرها الغمام،وغنى في خمايلها الحمام ، وما الروض المطلول أروت ذآويه[1] السيول ، حَتَّى جنيَّة[2] السكر المحلول لدى هذه المقامة إلا مثال ، تضرب كما أن برق وابلها خُلب إذ هي لأهل الأنس فردوس الألسن ، وفيها ما تشتهيه الأنفس ، وتلذ الأعين ، زهرها نوار[3] لمن رام القطاف ، وغصنها ميال لطالب المعانقة والانعطاف،كأن مولفها على خبايا كنوز أطلع ، واستمع قول دقيق النكات ولا حسنه اتبع ، فأطاعته أساليب البلاغة بأنواعها ، وأنقادت بالرسن له ضروب الفصاحة بأتباعها ، فما ترك لشفرة لسان ابن أقوال بعده محزاً ، ولا لريح ذهن ذي فكر ثاقب مهزاً ، شعراً :

لا تقل لي أكثرت في الحال وصفا فالذي تحتوي المقامة أكثر
كل من طوَّل الثنا عليها قصُرت خطوة الثنا فقصَّر

فهي جنة ظلالها سابغة ، وشقايق النعمان من كامها نابغة ، والحجة بأن لا نظير لها بالغه ، من شبهها بالغيد فوجه الشبه على عقبيه ناكص ، ومن قال كأنها عاشقها لإدخاله الكاف في زعمه على ناقص ، بل هي في الجمال أصل في القياس ، وكل حسن يطأطىء عندها الراس ، شعراً :

خطرتْ فكاد الغصن يسجع فوقها إن الحمام لمولع بالبان

على أن هذه المقامة صادفت نزهة في أيام الربيع ، فما أبعدها عن لغو الماجري ، وما أحقها بقول الحاجري ، شعراً :

حلف الربيع بقدّه الفتان
وتحرش الأغصان بالأغصان

---

(١) الذواة : حقيقة:الشاة المهزولة ، وذوي الروض . ذبل .
(٢) هكذا في الأصل .
(٣) نوار : حسن .

وبهجة الزهر الأنيق إذا سرت
أنفاسه مسكية الأردان

وبصفو ريقة خمره وبحمرة الورد
الجني وخضرة الريحان

وترنم الأطيار تحسب أنها
أصوات شادٍ مطرب الألحان

وترقرق الماء القراح على حصى
كالدر والياقوت والمرجان

لأمتعن أخا النزاهة والصبا
مني بأطيب عيشة وزمان

أنا بهجة الأيام يعرف همتي
جذلان حاز خلايق الإحسان

الله أكبر ما ألذّ لنزهة
زمن الربيع وصحبة الاخوان

حديقة أحدقت بها الأحداق، وشقيقة شق بها عصى الشقاق ، فهي عروس زاهي المروج وزاهر الغروس ، وعقيلة أولي الأقمار والشموس ، يتنافس في جمعها الأزهار والزهور ، وكل يدعي أنه عليها مقصور ، مروج ذهب نثرت عليها قلايد العقيان،وصرر درر نظمت فيها محاسن الأعيان ، سبق في التقريض عليها ، وهو سباق غايات وصاحب آيات ، البهكلي العلامة الأوحد عبد الرحمن بن أحمد ، بما هو أطرف وأطرب من رقيق الخندريس ، وأعلا وأغلا من ياقوت النفيس ، وكفانا والسعيد من كُفي بغير ما جمعه من تشبيه شموع ذلك السمر في تامور ، فلم يترك في مدح هذه المقامة مقالاً لقايل،ولا رائينا عاشقاً ذاب كذوبه قط لذات الذبايل،ولو كنت معهم وليتني لترنمت بما يمثل ويعقل العقول،حين أصور تلك الصورة من لب المعقول،وشمعتنا شبيه سنان تبر تركب في قناة من لجين ، لكنني السايل المحروم،لأن الغايب في حكم المعدوم،ولو أن العلم اليقيني أفادني كالحاضر الساحب ذيله في مساحب رياض المغرس النواضر المقبل من ثغور أزهارها المباسم ، المتحرش لأغصانها نجديات النواسم ، وتلاه من الفضلا بما هو أبهى من اللؤلؤ،وأبهر وأشهى من حلب العنقود وأشهى ، وبمغناطيس الأرواح أجدى

وأجدر ، ومن لطيمة التاجر أعبق وأعطر ، فحدثتني ميعة النشاط إلى الإتسا بهم والإختلاط ، فشبهت نفسي للغواني بالصريع ، ورمت إدراكهم ولا يدرك الضالع شأو الضليع[1] ، لأن رتبتي تقصر عن من تربع في الأدب دارة الحَمَل ، ولكن الدر يعذر في القدر الذي حمل ، هزع مؤلفها إلى رياض البلاغة فأسرع ، وصحف بحور القلايد الخارجة من قعرها إلى نحور الحور فأبدع ، يراعه برسم البلاغة مصحف ، وقلمه لقلم جيش ديوان الفصاحة محرف ، ان قال سحب علي ذيل اللسان فاستقال،وإن غبر غير عليه ما شب وشيب فيه وبات ، وقال، قدوة المتأذنين بالإتفاق، ونادرته وبيت قصيده على الإطلاق، شرف الدين الفذ الأوحد الحسن بن أحمد ، فكيف لا تتجافى جنوب كلمات مقامته عن مضاجع معانيها، وتقصر القصور الشامخة عن قصور ألفاظها ومبانيها ، كلمات نثر كالقصور ولا قصور بها يعيق ، ومن العجايب لفظها حرّ ومعناها رقيق ، وهي إلى نحو ذي الشرفين يساق حديثها، وإلى محط الأخذ بالطرفين ينتهي بمطي الثنا حيثها[2]، الشريف الذي شرفت به الأيام والليالي ، والطريق[3] الذي تعلم صفته المادح كيف تنثر وتنظم الليالي ؟ ، خليفة العصر بلا مدافع، وأمير المؤمنين بلا منازع ، من ملأ ذكره بجميل الثنا المسامع ؟ ، وأصبح لجاره وللمقتدي بهديه الحد الجامع المانع ، المترددة عروق شجرته بين الرسول والولي، مولانا وسيدنا الحسين بن علي، الإمام الذي إلى الحق يقود، وعن الباطل يذود، هذا وله نفسه تحبير يزري بوشي الحبر، وتعبير يعبر عن عبير العنبر إن قيس به عمرو في الوغى فسد قياسك ولغا ، وإن شبهت به البلغا عجز نجيب تشبيهك ورغى ، بل تيقن أن كل فوق دونه، وأنه اجتمع فيه ما افترق في غيره ، فذلك الكون بصفاته مشحونة ، فلهذا زين النزهة في الربيع إلى النخيل ، لأنه الربيع المناسب لخلقه

---

(١) ضلع – بالضاد أخت الصاد – فهو ضليع ، والضليع : القوي العظيم الخلق الشديد القوى ، انتهى ، قال سويد ابن أبي كاهل اليشكري :

جعل الرحمن والحمد له ... سعة الأخلاق فينا والضلع

وظلع – بالظاء أخت الطاء – عرج وغمز في مشيه ، قال كثير :

وكنت كذات الظلع لما تحاملت ... على ظلعها يوم العثار استقلت

هذا وقد أوردنا النص كما هو وعقبنا عليه كما ترى .

(٢) نرجح أن الصواب « حثيثها » .

(٣) نرجح أن الصواب « الظريف الذي تعلم صفته المادح كيف تنثر وتنظم اللآليء » .

الجميل ، فاختاره واقتصر، عليه وشبه الشيء منجذب إليه،فلما ألقى عصى التسيار مولانا في المغرس الآهل طفق الجنوب يباهي الشمال ويباهل،ويناشده عند تنسمات رويحات الآصايل بقول القايل،شعراً :

أتفهـــم ما تقــول لك الجنـــوب　　وليــس لســانها إلا الهبــــــوب

تقــول أنا الرســـول إليك ســـراً　　بمــا قــد كان شـــافهني الحبيـــب

أتيـــــت ومنـــــه فـــي بـــردي حـــــــديث

لــــه أرج عـــلى عطفـــــــي وطيـــــــب

فمـلت وقـلت من طـربي وســكرى　　أتيــت بمـا تســر بــه القلـــوب

فأومأ له الشمال برغبة إلى وادي الشعبه بما أغراه بالتبكير قبل التهجير ، شعراً :

أقــول إذا تذكــره فـــــؤادي　　هــوى حيــث الأراكـة والكثيــب

فحدا إليه مطي العزم مولانا المشار إليه،فوثق بالله وتوكل عليه،فكان الرهط كلما حمحم جواد أحدهم على معهد مرّ عليه دارس يناشده خليفتنا الشرفي[1] الفارس بما يقتض به الليث العابس ، شعراً :

ليــس الوقـوف بنافــع في دمنـــة　　سخــت به بعد الدُمـــا[2] الأرام

قد كان ذلك منـــة لأولي الهـــوى　　فمحـــت بشـــاشة وجههـــا الأيام

إلى أن استقر به النوى واستولى على كثبان الشعبة واستوى،أنال المتنزهين من طرف النخيل ما ملأ العيون،ودرأ بذلك في نحر من شك في تقصيره وظن به الظنون ، لأنه قد أخذ من عبد مناف مصاصه،ومن هاشم الزبدة والخلاصة ، وقفا في الإيثار آثار من ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[3] ثم ان حريري زمانه رمز إلى أن ذلك البدر

---

(١) الشرفي : لقب لكل من كان اسمه حسن أو حسين في جهتنا ، وهو اختصار من شرف الإسلام .

(٢) هكذا في الأصل والصواب « الدمى » .

(٣) سورة الحشر من الآية الكريمة رقم ٩ .

عاد إلى منزله بالحصيب،بعد أن كان هو نفسه فاكهة لفواكه الأهواب والهويب،منشداً حاديه في ناديه ، شعراً :

لله أيــام الحصــيب ولا خلــــــت تلك المعــاهد عن صبــا وتصــابي
لا عيــش إلا ما أحــاط بسوحـــــه شــط الهــويب وشاطىء الأهــواب

لازال مقيماً للثنا سوقاً، و لأهل العرفان والعوارف معشوقاً ، ما غردت ساجعة البواكر والأصايل فجاوبها مطارحها بقول القايل ، شعراً :

عشــق المكــارم فهــو مشــتغل بهــا والمكرمــات قليــلة العشــــاق
وأقــام ســوقا للثنــا ولم يكـــــن ســـوق الثنــا يعــد في الأســـواق
بــث الصنــايع في البلاد فأصبحــت تجــبى إليه محــامد الآفـــــاق

ولو جرا[1] طرف اليراع باستقصا الثنا على خليفة العصر طغى فمه ولا جارية تحمله إلى البر فليقف من أقسم الله به عند حده المحتوم،وليتل على أهل الثناء وما منا إلا له مقام معلوم،وليكن ذكره ختام مسك هذا التقريض،وثنا عنان جواد البسط الطويل العريض وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

---

(١) هكذا في الأصل والصواب « جرى » ، ودائماً في الأصل رسم الكثير مثل هذا فأصلحنا ما أصلحناه والباقي ندعه لفطنة القاريء .

مقامة الأديب جمال الإسلام
القاضي علي بن عبد الرحمن البهكلي

الحمـــــد لله

حمداً لمن قسم الأفهام بين عباده ، وأوصل كل ذي فهم سليم إلى ماشا من مراده ، فمن رزقه الله ذلك فقد فاز بالحسنى وزياده ، وصلاته وسلامه على نبيه ورسوله محمد وآله السادة ، وبعد فقد أطلعت على نسخة وصلت من اليمن الميمون ، أودعت من بدائع الآداب السر المكنون، أهتزت لها الأعطاف طرباً ، وابتهجت بها النفوس ، ومشت لخدمتها الأقلام على الرؤوس ، وقال الناظر لها لا عطر بعد عروس ، اشتملت على قصايد ومقامات صارت على تقدم قائليها في الأدب من أوضح الأدلة وأقوى الدلالات ، وصار حال كل واحد منهم .

واني وإن كنت الأخير زمانه   لآت بما لم تستطعه الأوائل

فلقد أجلت فكري في تلك الرسائل ، فرأيتها لم تدع مقالا لقائل ، وبالجملة فتلك الألفاظ كلها رياض .

رأينا كل لفظ فيه معنى   يذكرنا بمعجزة المسيح

فعلمت إنما فخرت به تلك الرسايل حسن لطيفه بلا مين، وصليت وسلمت على محمد لطيفه وآله أحد الثقلين ؟[1] ، كيف وقد تجلا[2] جيدها بمديح مولانا الحسين ، وقد جعلت هذه اللفيظة ، تقريضاً ، لما حوته تلك النسخة الظريفة ، ورقمتها في ورقة مستقلة ، عن أوراق النسخة ، لتكون قايمة بخدمتها في حكم الوصيفة ، ومن أين للمسود أن يعارض السادة أو يماثلهم ، وفي الحديث أمرت أن أنزل الناس منازلهم ، فليسبل الناظر إلى هذه ثوب الستر ، فقايلها قد بان عذره ، والله تعالى يقول « على الموسع قدره وعلى المقتر قدره » .

---

(١) جملة غير مفهومة آثرنا نقلها على حالتها .

(٢) الصواب « تحلا » .

المناظرات والمساجلات



المناظـــرة التي جرت

بين الوزير حسن بن خالد الحازمي ومحمدبنأحمد الحماطي[1]

لقد دارت المحاورة الآتية بين العالمين الجليلين، كما أوردها علامتنا الحسن بن أحمد الضمدي، فقال : دارت المذاكرة بين الأول والثاني في كثير من العلوم، حتى انتهى البحث إلى مسألة البسملة، وكان قد ألف السيد الحسن بن خالد في تلك المدة رسالة اختار الإسرار، وعارضه المترجم له بكلام العلماء القائلين بأن لها حكم السور وما على ذلك من أدلة ، (وكان قد سبق من الحسن بن خالد الزام الناس بالإسرار، فأنكر في غضون المباحثة الشيخ الحماطي ذلك، ورأى أن ذلك من العمل المخير لا تثريب على من اختار أي المذهبين، لأن لكل مجتهد نصيباً في المسائل الظنية العملية) .

(وجرى من السيد الحازمي الحدة في ذلك الموقف، لأن الحماطي لم يسلس له القياد ولم يساعده على صواب ذلك الاجتهاد) .

ونلخص الآن ما تم في تلك المحاورة :

الحماطـــي : أكتب – يا سيد – ما عندك في المسألة – وأنا أكتب لأن في الحال لم يكن عندي من الكتب ما يعين على البحث .

الحـــازمـــي : أنا أوفر لك حمل جمل من الكتب وأوصلها إليك .

الحمـــاطي : لا بأس بذلك ولكن أن ترجع إلى حكم بيني وبينك في هذه المسألة .

الحـــازمي : علماء تهامة من زبيد إلى المخلاف السليماني – هم الحكم – .

الحمـــاطي : علماء تهامة قد أعوجت رقابهم لك ، إنما علماء صنعاء مشايخي ومشايخك .

---

(١) محمد بن مهدي بن أحمد الحماطي الضمدي

١١٩٣ – ١٢٦٩هـ / ١٧٧٩ – ١٨٥٣ م

علم من أعلام المخلاف السليماني في الفقه والحديث والتفسير والعربية والبيان والمنطق والعروض ونعته تلميذه حسن ابن أحمد الضمدي فوق كل ذلك « بأنه حجة في أهل زمانه ، وإمام يقتدي به القاصي والداني ، وأنه شهد له بالتحقيق ←

(عند ذلك ثارت الحفيظة من السيد الحسن بن خالدوانتهى الأمر أنه حَرّج على الحماطي عدم الإقامة في تهامة وأنه يرحل من حيث جاء ، وبالغ في الحث عليه وتوعده إن لم يمتثل أمره بالعقوبة،فارتحل من هذه البلاد على كره منه واستقر بصنعـاء) .

انتهـــى [1]

أشياخه ، ولحظوه بعين الجلال واعترفوا له بالسبق على أقرانه في جميع الأحوال » أخذ في الدرس على علامة المنطقة في عصره أحمد بن عبد الله الضمدي ورصفائه من علماء المخلاف السليماني ثم رحل إلى مدينة صنعا فدرس على علامتها إبراهيم بن عبد القادر وطبقته ، مثل عبد الله بن محمد بن إسماعيل الأمير وغيره ، ونال إجازتهم ، كما درس في مدينة زبيد على غير واحد من علمائها الأفذاذ ومنح اجازاتهم .

وبعد ذلك عاد إلى وطنه وقام بالتدريس والإرشاد ، فانثال عليه الطلاب وكان مبارك التدريس يحرص على تفهيم طلابه وترسيخ دروسه في عقولهم ، حتى قيل : إنه قل أن يدرس عليه أحد إلا استفاد « ونال من التحقيق المراد » .

الاختلاف بينه وبين الوزير حسن بن خالد الحازمي

كان الخلاف بين العالمين الجليلين حول الجهر والإسرار بالبسملة ، فالوزير حسن بن خالد يأخذ بالإسرار كما ترجح عنده وعند كثير من العلماء ، ولذلك وبصفته الرسمية كوزير للأمير حمود أبيمسمارأمر بالالزام بالاسرار في عموم المنطقة ، فعارضه الحماطي بقوله : « بأن لها حكم السورة ، وأنه مع من يرى غير ذلك،ولا تثريب على من اختار الجهر أو الإسرار » ، واحتدم النقاش الحاد بين الوزير الحازمي والعلامة الحماطي ، فجرت الحدة من الحازمي في مجلس النقاش ، وأمر على الحماطي بعدم الإقامة في المنطقة،وتوعده وتهدده إذا لم يرحل من البلاد . وإزاء صولة الأمر وقوة السلطان ارتحل العلامة الحماطي مكرهاً إلى صنعا ، وهو في حالة نفسية متوترة،وقد عز عليه أمر الابعاد ومفارقة الأهل والوطن،وقال شعراً يعرب عما ناله وما قاساه ، ومن ذلك ما أورده صاحب نيل الوطر ، فقال : رأيت قصيدة له أولها :

إلى متى الصبر لهفي طال مصطبري ... وخاب من كنت أرجوه من البشر
وضج من عظم حالي صبيتي وبكت ... أراملي في دجى الأسحار والبكر
ولازمتني قيودي كل آونة ... وليس ينفك حراسي من الحذر
فيا معاشر اخواني ويا خولي ... ويا عبيدي ويا جندي ويا زمري
ويا لقومي ويا أهل الرماح ... ويا بني «سويدان» هل فيكم بمنتصر

* * *

هل من مغيث للملهوفين طال بهم ... هذا الطويل أما للطول من قصر
فيا رحيم ويا رحمن يا حكم ... ويا مغيث ويا غوث لمفتقر
إنا دعوناك للضراء تكشفها ... من ذاك يكشف عنا شدة الضرر [1]

---

(١) نيل الوطر « زبارة » ص ٣٢١ ، وعقود الدرر لـ » حسن بن أحمد الضمدي – مخطوط – وحدائق الزهر .

....

ومن الأبيات السالفة نفهم أن الموقف لم يقف على ما ذكر الضمدي في عقود الدرر ، وزبارة في نيل الوطر، عند حدة المناقشة والأمر من الوزير الحازمي بالنفي والإبعاد ، بل تعدى ذلك إلى السجن وتكبيل الحماطي بالقيود وتشديد الحراسة، حيث نراه يقول :

ولازمتني قيودي كل آونة	وليس ينفك حراسي من الحذر

علاوة على ما نال أطفاله وأبكى نسوته على ما حاق بعائلهم من الخسف والسجن ، ومع ذلك القول الصريح من عالمنا بالسجن، لم نر تلميذه الشيخ حسن بن أحمد الضمدي ولا زبارة ذكراأمر السجن، فهل ذلك من باب صرف النظر أم من باب الاختصار .

وأورد علامتنا الحسن بن أحمد **ما معناه** : أن الشيخ الحماطي جمع في الرسائل التي بينه وبين علماء صنعا وغيرهم عن البسملة في مجلد وأطلعه عليها، وأنه أخبره أنه قد عفا عن السيد الحسن بن خالد، بعد أن بلغه وفاته، فيما جرى منه من جانبه، جنوحاً لرعاية حق الصحبة أيام الطلب والدرس، وختمها بقوله : « من سيدي الوالد رحمه الله تعالى ويتجاوز عنهم بحسن مقاصدهم فيما فعلوه، فإن لكل امريء ما نوى، والله سبحانه ينفعنا ببركاتهم ويوفقنا لحسن الظن بهم وبأمثالهم من أهل العلم وبيني وبين المترجم له مكاتبات أدبية نظماً ونثراً، فمما كتبه إليّ وأنا ببيت الفقيه أتلقى المعارف العلمية من شيخنا العلامة عبد الرحمن بن أحمد البهكلي يحثني على الجد في العلوم، ويرشدني إلى ترتيب الطلب فيها، وهو ممن رأس في بلاغة النظم والنثر .

سليل العلا والعلم والحلم والتقى	ونجل الأولى حازوا جميع المناصب
إذا رمت تحوى كل فخر ورتبة	فبادر إلى إحراز خير المطالب
هو العلم من أضحى له فيه مسكة	فقد ساد أرباب القنا والمقانب ؟
وما العلم إلا روضة قد تزخرفت	وجادت عليه مقدمات السحايب
وألبسها حوك الربيع مطارفا	وطرزها بالوشي من كل جانب
فسارع إلى حفظ الكتاب فإنه	هو النور والفرقان في كل جانب
وثن بعلم النحو فهو رأسها ؟	ويا حبذا فن النكات الغرائب
وعزز بعلم الصرف فهو الذي به يتم	به الاعراب ياخير كاسب
ومن بعد ذا علم الأصول فإنه	هو العلم قد أبلا جميع العجايب
فوجه جيوش العزم نحو اكتسابه	وخض التقاط الدر بحر الغياهب ؟
....	....
ولا تجاهلن علم الكلام ولا تزغ ؟	عن الحق في أقوال أهل المذاهب
فذلك بحر ماله قط ساحل	فكم غرقت في لجه من مراكب
ولا تقترع علم الفروع فإنه	هو الفقه محتاج له كل طالب
ولا تله عن علم البيان تجد به	لطائف تلهي عن لطيف الكواعب
يريك من الإعجاز أسراره التي	حواها كتاب الله جم الرغايب
ولا تنس تفسير الكتاب فإنه	هو الغاية القصوى وخير المآرب
وما أحسن الكشاف إن كنت قاصداً	تحل بهذا العلم أعلا المراتب
ولا تعد عن تحقيق سنة أحمد	ففيها نجاة من جميع المصائب

فعض عليها بالنواجد كلها ودع عنك أقوال الغوات الكواذب
ودونك منها كلما شئت إنها سيهديك نهج الحق عند التجاوب ؟

نهاية الأزمة

بالنسبة إلى عالمنا«الحماطي»فقد توجه إلى صنعا مبعداً،فحظى هناك بما يخفف مأساته ويعفى قروح إبعاده .

لقد تلقاه إمام صنعا عبد الله المهدي بالاجلال والاكرام،واتخذه جليساً قرأ عليه بعض المختصرات وقرر له مايقوم بكفايته،وأمن له كريم العيش ورحابة النزل ، وعندما استقر به الحال ونعم باله ، قدم سؤالاً إلى العلماء في المسألة التي حصلت بينه وبين الحازمي ، فأجاب على سؤاله برسائل كل من :

١ - القاضي العلامة محمد بن علي الشوكاني .

٢ - عبد الله محمد إسماعيل الأمير .

٣ - غيرهم من علماء صنعا .

قرروا فيها أن إلزام الناس بما رجحه المجتهد في مسائل فرعية خلاف ما استقر عليه الشرع ، هذا ما أورده الضمدي في عقود الدرر - مخطوط - .

وللشيخ الحماطي كما ذكر الضمدي (رسائل مفيدة مشتملة على أبحاث رائدة ومسائل فائقة،وله رسالة في حكم البسملة اختار فيها مذهب الجهر . وأن الحكم لها حكم السور في الجهر والاسرار في الصلاة،هذا مذهبه وطريقه .

وللشيخ الحماطي أشعار نورد منها ما كتبه إلى تلميذه الضمدي :

اني إلى ريقه المعسول ظمآن ولي فؤاد إلى لقياه ولهان
يا من تملك في قلبي محبته فليس لي عنه مهما عشت سلوان
جد لي بوصل فإني فيك ذو كلف واعطف علي فلي في الحب أزمان
كم ذا أقاسي من الهجران وأسفي تنام أنت وطرفي فيك وسنان
أطوي ضلوعي وأحشائي على كمد والدمع في الخد يجري وهو ألوان
لا آخذ الله من أهوى بجفوته ولا دهته مدى الأزمان أحزان
فأنتم خير من واف (أزال) ومن أضحى له فوق هام النجم إيوان
ومن توغل في كل العلوم ومن أعلى به السبق في التحقيق برهان
ويا ابن أحمد لا زالت فضائلكم ترى فأنتم لأصل العلم أركان
فكم أياد لكم في الفضل سابقة يضي لها في جبين الدهر عنوان
لا زال فضلكم في الناس منتشراً ما دام يتلى من الأيام فرقان
إليك وافت تثنى وهي باسمة وجفنها من صحيح السقم نعسان
تفتر عن أشنب لعس مراشفه لكن جناه لنا در ومرجان
فاستر عليها فقد وافت على وجل الا يقابلها بالعطف رضوان
عليك مني تحيات مضاعفة فأنت في العلم والتحقيق سلطان

وذلك الجواب مني عليه :

إن كان أحبابنا عن ربعهم بانوا فلي إليهم وحق الود أشجان

....

يساجل السحب دمعي في ربوعهم — فالسحب منهمل والدمع هتان؟
والقلب يخفق مثل البرق مذ برحت — عن المتيم أوطار وأوطان
اني حليف الهوى في الحب مذ أسرت — قلبي «قسرا» بذاك الوادي غزلان ؟
أفدي الذي مازجت قلبي محبتها — حوت من الحسن مالم يحو إنسان
فالشمس بهجتها والليل طرتها — والغصن قامتها والطرف نعسان

.... — ....

.... — ....

يا من لها في فؤادي أي منزلة — منّي بوصل فإني اليوم حيران
فقد كفى الصب مالاقاه من ضرر — والوصل منك في ذا اللهو إحسان ؟

.... — ....

كنا جميعاً في خير وفي دعة — واليوم قد بعدوا فالقلب ولهان
لا الدار بالدار فيما قد عهدت ولا — أهل العقيق بذاك السفح سكان
يا نسمة نفحت في جنح بارحة — ردي عليهم سلامي حيث ما كانوا
نعم لقد جدد الأنس القديم لنا — نظم يقصر أن يحكيه حسان
حوى بلاغة ألفاظ منمقة — يكاد ترشفها ياصاح آذان
أهداه لي عز دين الله من فخرت — بفضله بين أهل العصر عدنان
المفرد العلم المفضال من هو في — هذا الزمان لبيت العلم أركان
ليهنه إذ حوى مجداً ومرتبة — في العلم ما نالها في الناس إنسان
فما أقول وإن القول ذو سعة — في ماجد من خلال الفضل ملآن

وله إلى شيخه الشيخ الشوكاني قصيدة أولها :

متى يرتوي منك الفؤاد المتيم — فيكبت ان زرت العذول المذمم
أبيت سمير الشهب في حالك الدجى — اثني حديث العشق والناس نوم
وما العشق إلا في هواك يطيب لي — وكيف ودر الدمع في الخد ينظم

وقد توفي بصنعا سنة ١٢٦٩ عن ثمان وسبعين سنة - رحمه الله تعالى وإيانا والمؤمنين ، آمين .

المصـــادر :

١ - حدائق الزهر - مخطوط - لحسن بن أحمد الضمدي .
٢ - عقود الدرر - مخطوط - لحسن بن أحمد الضمدي .
٣ - نيل الوطر - مطبوع - لزبارة .

مساجلة بين القاضي عبد الرحمن البهكلي وبين إسحاق العبدي الصعدي[1]

بعد التمهيد ....

وبعد:إنه لما كان في الشهر الأعظم رمضان ، الذي هو أحد شهور سنة سبع وتسعين ومائة وألف ، وفد إلى المدينة العريشية الأخ الذي « هو » في جبهات الأدب ، سجل له مرفوع الرتب ، أنه نسيج وحده ، ووحيد عصره ، في تصريف أعنة البيان وجنده ، وسطة سلوك عقده ، وكيف وهو كما قيل أبو عذرة المعاني ... ، ومفتاح أبواب سمائها بقول يثلج الصدور ، ويورق الصخور ، ذلك سيدي الأفضل ، الذي احتوى من الأدب أعلى كل مورد ، واصفى كل منهل ، ضياء الدين ، ونجيب الأمجدين ، المعيد لما قد أندرس ، والمبدي .... إسحاق بن علي بن إسماعيل بن محمد الصعدي .... فاجتمعت به إذ ذاك مراراً ، وجاذبته أطراف الحديث ، فوجدته يذر السامعين سكارى وما هم بسكارى ، قد استعظمت الأخبار عنه ، فمذ شاهدت غرته استصغرت كل خبر ، وكان مما جرت به يد الأقضية والأقدار الإلهية في ذلك الشهر العظيم المقدار ، واختاره الرب الذي يخلق ما يشاء ويختار ، وكل شيء عنده بمقدار ، فانتقل الابن الذي لم يكتسب الأوزار ، ولم يجر عليه قلم الحفظة الكاتبين الأبرار ، فلا قر له بهذه الدار الفانية القرار ، ولا تدنس بشيء من أوطارها والأقذار ، ولا استكمل بها عاماً كاملاً في التعمير ، فأف لها من دار ، فحين ألتهبت لفراقه نيران الزفرات ، جرى القلم في ساح الطرس بهذه الأبيات :

آه لحــر لواعــج النــيران	وتــردد الزفــرات طــي جنــان
وخفــوق قلــب لا يــزال لهيبــه	متوقــد يوهــي قــوى الأركــان
لفــراق نجـم لاح في أفــق العــلا	ثم انطـوى عجـلا بغـير تــواني
آه عــلى حســنٍ وطلعــة غــرة	غــارت لحســن ضيائهــا القمــران

(١) دارت هذه المساجلة أيام وصول إسحاق العبدي إلى أبي عريش .

سكنت على رغمي الجنان وخلّفت — قلبي يعذب في لظى النيران
قد كنت آمل أن يعيش وأن يرى — يزهو على الأقران بالأقران
ويرى ومجمله إلى تفصيله — ويزاحم العلماء بهذا الشان
ويقيم بالسنن المنيرة حجة — كالشمس واصلة إلى الأذهان
ويلم بالأصلين بعد إحاطة — بالنحو كي يضحى عظيم الشان
لكن قضى الرحمن غير إرادتي — وهو الحكيم العدل ذو الإحسان
فأحله دار اليقين بفضله — يا حبذا ، ذات القطوف الدان
فله المحامد والثنا منّا بلا — عد ولا حصر مدى الأزمان
ولقد علمت وكل حي هالك — - غير الإله - وكل شيء فان
ولنا بخير الخلق أعظم أسوة — خير الورى المبعوث من عدنان

.... — ....

يارب صبراً للمصاب فإنني — أرجوك لا أرجوه من إنسان
وألطف بعبدك في الملم به وكن
في عونه يا دائم الإحسان
وتلافني بالجود منك تفضلا — وارحم وإن كنت المسيء الجاني
وألطف بوالدة تعاظم خطبها — من بعده للوجد والوهان
فلأنت أرحم راحم وأهل من — يوفي الجميل على مدى الأزمان

ثم بعثت إليه بهذه الأبيات « مولاي العلامة الأديب المصقع .... الأريب السميدع المفوه الألمعي ..... إسحاق بن علي ، أسعده الله في الدارين ، وسر به من المحبين كل قلب ، وجعله قرة لكل عين ، بلغ وصولكم البارحة إلى المحل ، وصنوكم قد دخل فغلبه النوم ، وقد وقع في صدر النهار ، وفاة الولد الشافع - إن شاء الله - لوالديه - في .... ذلك اليوم ، وحين تلهبت نيران الزفرات ، سمحت القريحة الخامدة بهذه الأبيات ، التي هي ... والمطلوب من تفضلاتكم إمرار النظر السعيد عليها ، والنظر بعين الرضا إليها ، وإن أمكن التسلية بشيء من كلامكم العذب القويم ... لمحب في هذا المقعد المقيم ، وستر ماترونه من الهذيان ، الذي لا يصلح أن يعرض على فرسان هذا الميدان ، ولرجل هذا الشأن ، والسلام .

فعاد منه الجواب نثراً :

الحمد لله ، وحرس الله ذات سيدي مولاي الفهامة المدره العلامة وجيه الإسلام وواسط عنصر النظام ، وحماه ، وأتحفه عن مملوكه أسنى السلام ، بجزيل رحمة الله . ومشرف مولاي وصل ، وبنياط قلبي أتصل ، ولما ذكر مولاى ، وشق والله عليّ الواقع لعلمي بمحل الو لد ، وما شعرت إلا بعد العصر ، وعذرت مولاي ، حال الوصول ، لما علمت من الاشتغال طول النهار مع الصيام ، فالنوم مظنه ... ذلك الوقت ، ولكن كان ... لهذا الدر المنثور ، فلله در مولاي ، فلقد أسعفته قريحة مساعدة ، وفصاحة يقصر عنها قيس بن ساعده ، ولعل قريحة المملوك أن تنجدني بشيء في ذلك الميدان أو تُقَصِّر فنطلب لها الأمان .

ولقد تركت تلك الأبيات لدي لالتذ بها ، (.....) نسجي على منوالها والله يحفظكم والسلام .

ثم لم أشعر في صبيحة تلك الليلة التي صدر فيها الجواب إلا بوصول هذه الأبيات .....

صبراً فديت فكل شيء فان ... وابشر ، كفيت نوائب الحدثان
أما فراق النجل فهو رزية ... ما مثلها يأتي على الإنسان
ولذاك كان جزاء عبد شاكر ... راض ، جزيل الأجر والرضوان
وبجنة الخلد الخلود وحبذا ... عوضا عن الأهلين والأوطان
ولانت بدر شهبه إن غيبت ... فضياه محروس عن النقصان
علما يعلمنا الثبات إذا دجى ... ليل الخطوب وموجب الحدثان
....
....
علامة جمع العلوم بهمة ... قعساء قد رفعت على كيوان
نور تظاهر فيك أو لاهوتية ... وعلو شأن من عظيم الشان
واسلم ودم في صحة وسلامة ... وسعادة تبقى مدى الأزمان
وحياطة من كل ما كدرٍ ولا ... ضجرٍ ولا ريب ولا حدثان
متمتعا بالأهل والأولاد ... والأحفاد والاخوان

تمت

المبـارات الشـعرية
حول قصـيدة جواهـر اللآل

من المباريات الشعرية التي تعاورتها الأقلام وجال في حومتها البيان ، وتناقشت حولها الأفكار ، وتصاولت في ميدانها الأفهام ، أرجوزة الشيخ العلامة الجليل أحمد بن عبد القادر الحفظي[1] الموسومة بـ (عقد جواهر اللآل في مدح الآل) .

جاء في كتاب « حدائق الزهر[2] في ذكر أشياخ أعيان الدهر » – مخطوط – ما نصه : (ولما شاعت أرجوزة الشيخ العلامة أحمد بن عبد القادر الحفظي المسماة (عقد جواهر اللآل في مدح الآل) ناقش الشيخ العلامة يحيى بن صديق الحكمي[3] في أطراف منها ، فأجاب عليه سيدي الوالد بأرجوزة معارضاً بها أرجوزته ، وهي مشهورة لا حاجة إلى إيرادها ، وقد شرح سيدي الوالد أيضاً أرجوزة الشيخ يحيى الحكمي وبين

---

(١) هو الشيخ أحمد بن عبد القادر الحفظي المتوفى سنة ١٢٢٨هـ ، ولد في بلدة رجال ، أخذ العلم عن والده الشيخ عبد القادر وعن عمه عبد الهادي بن بكري ، ورحل إلى زبيد لطلب العلم ولازم العلامة سليمان بن يحيى الأهدل وأخذ عن عبد القادر الكوكباني وعن عبد الخالق المزجاجي ، وترجم له الحسن بن أحمد الضمدي فقال « لما استقر بمحلة رجال ، تفرغ للتعليم والإرشاد،فانثالت عليه الطلبة من السهول والجبال،وانتشر صيته في جميع الأقطار ، لأنه كان إمام الزاهدين ورأس أهل التصوف الحقيقي من الأولياء الصالحين » إلى أن قال : « وكان إمام المنظوم والمنثور والمجيد الذي يقصر عنه أدباء العصر ، لأن جودة شعره يلحقه بالمتقدمين من أهل الطبقة العالية » إلى أن قال : « وله رسائل عديدة في فنون مختلفة تدل على طول باعه وسعة اطلاعه ولم يزل عاكفاً على العبادة والإشتغال إلى ما يقربه إلى الله ، وقد طال عمره حتى زاحم التسعين ، وكان وفاته تقريباً سنة ثمان وعشرين بعد المائتين والألف » . انتهى .

وعلى كل فبيت آل الحفظي من أشهر بيوت العلم في بلاد عسير ، أنجب علماءأجلاء كانوا منار هداية وإشعاع معارف ، وعندما وصلت تباشير الدعوة السلفية والنهضة الإصلاحية إلى ربوع عسير كانوا من دعاتها البارزين . انظر نيل الوطر ص ١٢٦ جـ ١ ، وعقود الدرر – مخطوط – .

(٢) من مخطوطات المكتبة العقيلية بخط المؤلف .

(٣) هو يحيى بن صديق الحكمي من علماء المنطقة الأجلاء،تفقه بزبيد واتقن فقه السنة وجود في مشاكل النحو،وقد أشاد بعلمه وفضله الشيخ الحسن بن أحمد الضمدي في عقود الدرر فقال : « كان بينه وبين علماء عصره مجادلات ومحاولات حتى اغروا به أمراء عصره،فكادوا أن يبطشوا به لولا عناية الله ، ومازال المترجم له معتكفاً في بيته حتى توفاه الله سنة ١٢٢٤هـ .

مقاصده ، لأنه قد تشعب كلامه في أرجوزته إلى مسائل ، وقد أجاب – أيضاً – على قصيدة الشيخ يحيى بن صديق الحكمي ، العلامة يحيى بن محمد القطبي ، وكلام الحفظي المعترض عليه بهذا الكلام وهو قوله عن الإرادة :

فلا يريد الله منهم غير أن ... يذهب عنهم كل رجس و درن

فقد عرفت أن محل النزاع بين هؤلاء الأفاضل هو في مدلول الإرادة[1]، في معنى الآية

---

(١) الإرادة لغة : أراد الشيء : شاءه ، قال ثعلب : الإرادة تكون محبة وغير محبه . قال الشاعر :

إذا ما المرء كان أبوه عبس ... فحسبك ما تريد إلى الكلام

فإنما عداه بإلى ، لأن فيه معنى الذي يحوجك إلى الكلام .

ومثله في قول كثير :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما ... تمثل لي ليلى بكل سبيل

قال ابن سيده : وأرى سيبويه قد حكى إرادتي بهذا لك ، أي قصدي بهذا لك ، وقوله عز وجل : ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ﴾ – أي الخضر – سورة **الكهف** آية (٧٧) . وقال يريد . والإرادة إنما تكون من الحيوان ، والجدار لا يريد إرادة حقيقية ، لأن تهيوأه قد ظهر كما تظهر أفعال المريدين ، فوصف الجدار بالإرادة إذ كانت الصورتان واحدة ، وقال الشاعر الراعي :

في مهمه قلقت به هاماتها ... قلق الفؤوس إذا أردن نضولا

وقال آخر :

يريد الرمح صدر أبي براء ... ويعدل عن دماء بني عقيل

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح العقيدة الطحاوية

والمحققون من أهل السنة يقولون : الإرادة في كتاب الله نوعان إرادة قدرية كونية خلقية ، وإرادة دينية أمرية شرعية ، فالإرادة الشرعية هي المتضمنة للمحبة والرضا ، والكونية هي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ سورة **الأنعام** آية (١٢٥) ، وقوله تعالى عن نوح عليه السلام : ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ ﴾ سورة **هود** آية (٣٤) ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ سورة **البقرة** آية (٢٥٣) .

وأما الإرادة الدينية الشرعية الأمرية فكقوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ سورة **البقرة** آية (١٨٥) ، وقوله تعالى ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ سورة **النساء** آية (٢٦) ، وقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟

الكريمة وهي قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[1].

(وكل فرّع كلامه على ما يعتقده من معنى الإرادة المحرر في علم الكلام ، فمن قال في معنى الإرادة أنها صيغة قديمة توجب تخصيص أحد المقدورين بالوقوع فلا شك أن هذا التفريع الذي ذكره الحفظي لازم له وهذا من نفس كلام ابن عربي ، فإنه يزعم أن الله أسقط عن أهل البيت وسامحهم جميع مايأتون ، قال : وما يصيبنا من ظلم ظالمهم فكما يصيبنا من القدر المطلق) ؟ هكذا . ، إلى أن قال : (ونظير هذا قوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾[2]، ولا تكون التوبة عليهم منه إلا إذا تابوا ، أو يتوب الله على من تاب .... وإذا تبين لنا ما ذكرناه،علمت أن مناقشة الشيخ يحيى بن صديق للشيخ الحفظي على ما فرَّعه من معنى الإرادة صحيح لا غبار عليه ، لأن المعلوم بطلان ما فرعه على معنى الإرادة من ضرورة الدين ومن المعلوم أنه لا يحل لهم نكاح أمهاتهم وبناتهم وقتل المسلمين،أو اخراب المساجد وسائر القبائح،وأنها تقبح منهم كغيرهم على أشد) .

وقد أشار إلى ماذكرنا الحفظي نفسه في أرجوزته حيث قال :

وكـل شـــخص منهـم مشـــرف لكنــه بشرعنـــــا مكلـــــف

← مَيْلًا عَظِيمًا ۞ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ سورة النساء آية (٢٧، ٢٨)وقوله تعالى : ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ سورة المائدة آية (٦) ، وقوله تعالى :﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ سورة الأحزاب آية (٢٢) فهذه الإرادة هي المذكورة في مثل قول الناس لمن يفعل القبائح : هذا يفعل مالا يريده الله – أي – لا يحبه ولا يرضاه ولا يأمر به .

وأما الإرادة الكونية فهي الإرادة المذكورة في قول المسلمين : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

والفرق ثابت بين إرادة المريد أن يفعل وبين إرادته من غيره أن يفعل . فإذا أراد الفاعل أن يفعل فعلاً فهذه الإرادة معلقة بفعله وإذا أراد من غيره أن يفعل فهذه الإرادة الثانية دون الأولى ، فالله تعالى إذا أمر العباد بأمر فقد يريد إعانة المأمور على ما أمر به ، وقد لا يريد ذلك وان كان مريداً منه فعله ، إلى آخر ما ذكره في شرح العقيدة الطحاوية ص ١١٧ وما بعدها .

(١) سورة الأحزاب آية (٣٣) .
(٢) سورة النساء آية (٢٧) .

(فناقض ما قد فرعه وغفل - رحمه الله - عن لازم ذلك التفريع المذكور في أرجوزته ، وأما اعتراض الوالد - رحمه الله - على الشيخ يحيى فلا يتمشى إلا على ما ذكرناه في المعنى الثاني من الإرادة،بدليل أنه قال في شرحه لأرجوزة الشيخ ما لفظه من المراد بأهل البيت في آية الكساء هم الخمسة لا غيرهم ، فلا يدخل غيرهم في اذهاب الرجس والتطهير إلا بدليل ، إلى أن قال : ولما كان الرجس بمعنى الأقذار غير المراد تعين أن المراد تطهيرهم عن الأرجاس المنافية للأمور الدينية،إلا أنه لما كان في ظاهر الحال بأن المعاصي والخطايا واقعة من أفراد أهل البيت على سبيل الجملة ، ولم يتنزه عنها كل فرد منهم،تعين أن يكون المراد تطهير جماعتهم عن تلك الأرجاس المنافية للديانات) .. الخ .

وبعد أن أوردنا ما قاله الشيخ الحسن بن أحمد بن عبد الله الضمدي حرفياً ، نورد ما أورده في كتابه « حدائق الزهر » من أرجوزة الشيخ الحفظي،ثم ما أورده من رد الشيخ الحكمي،ثم أرجوزة الشيخ أحمد بن عبد الله،ثم نعقب على ذلك بما ورد في بعض كتب كبار علماء السنة والجماعة وكتب التاريخ .

١ - ما أورده مؤلف كتاب حدائق الزهر من أرجوزة الحفظي :

فلا يريد الله منهم غير أن	**يذهب عنهم كل رجس ودرن**
ومن عصى منهم فلابد له	**من توبة صحيحة تغسله**
جرت به إرادة من القدم	**صار الوجود منها مثل العدم**
وظلمهم لغيرهم ينزل	**مثل القضا من السماء ينزل**
والولد المطيب المطهر	**ذنوبه من بعد هذا صور**
وكيف لا وهو السعيد أزلا	**وما أراد الله لن يبدلا**
وكل شخص منهم مشرف	**لكنه بشرعنا مكلف**

٢ - مستهل أرجوزة الشيخ يحيى بن صديق الحكمي المخلافي،التي رد بها على الشيخ الحفظي :

وبعد اني قد رأيت الطلبه	**يملو أراجيزاً أتت مجتلبه**
تتيح للجهال من آل النبي	**دوامهم على فجور مغضب**
وآية التطهير ليست منزله	**في شأن فساق ولا في الجهله**
بل نزلت في غيرهم مشورة	**صارت على أمثالهم مقصورة**

وصاحب العصيان لانجبه — من آل طه ، لا ، ولا نسبه

وهو كمنسوخ فلا يعمل به — وفسق هذا سالب لحبه

فالحب لله على الطاعات — والبغض لله على الزلات

٣ – اشترك في الموضوع علامة ضمد الشيخ أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز الضمدي بأرجوزة طويلة لم يورد منها صاحب حدائق الزهر إلا ما يأتي :

وآية التطهير قد أنزلها — في أحمد وفاطمة وبعلها

والحسنين هؤلاء الخمسة — أهل الكسى فاعرف واحكم حدسه

إلى أن قال :

كل الهواشم طيبون فاعتبر — وطاهرون بالأصالة قد ذكر

إن كان بالإسلام قد تملا — ولم يكن عن شرعه تولى

وقد اشترك في المباراة الأديب العلامة يحيى بن محمد القطبي بأرجوزة وغيره ، وإنما لم نعثر على غير ما أوردناه .

هذا ما جاء في كتاب حدائق الزهر نورده كصورة لمباراة أُولئك الأفاضل ، رحمهم الله تعالى . انتهى .

ورغبة في إتمام الفائدة نورد ما يأتي :

١ – ما جاء في كتاب المنتقى من منهاج السنة لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية حول آيتي التطهير والمودة .

٢ – فتوى الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار على ما أستفتاه أحد الحضارمة في سنغافورة .

٣ – ما جاء في كتاب سبل السلام شرح بلوغ المرام في باب الكفاءة والخيار لمحمد بن إسماعيل الكحلاني الصنعاني المعروف بالأمير .

١ – جاء في كتاب المنتقى من منهاج السنة لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية الذي اختصره الحافظ الذهبي المتوفى سنة ٦٧٣ – ٧٤٨ ، ص ١٦٨ حول آية التطهير ، قال تعالى في الأحزاب الآية ٣٢ – ٣٣ : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ۞ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا

﴿ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ليس فيه إخبار بذهاب الرجس أو الطهارة ، بل فيها الأمر لهم بما يوجبهما ، وكذا قوله تعالى في سورة المائدة آية ٦ : ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ وفي سورة النساء آية ٢٨ : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ﴾ ، فالإرادة هنا متضمنة للأمر والمحبة والرضا ، وليست هي الملتزمة لوقوع المراد ، ولو كان ذلك لتطهر كل من أراد الله طهارته .

(وهذا على قول شيعة زماننا أوجه ، فإنهم معتزلة يقولون : إن الله يريد مالا يكون ، فقوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ ﴾ إذا كان بفعل المأمور ، وترك المحظور كان ذلك متعلقاً بإرادتهم وبأفعالهم فإن فعلوا ما أمروا به طهروا ، ومما بين أن ذلك مما أمروا به لا مما أخبر بوقوعه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أدار الكساء على علي وفاطمة والحسن والحسين ثم قال : (اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا)، وفيه دليل على أنه تعالى قادر على إذهاب الرجس والتطهير . وأنه خالق أفعال العباد رداً على المعتزلة . وسياق الآيات من ٣٠ - ٣٤ من سورة الأحزاب يدل على أن ذلك أمر ونهي ، وأن الزوجات من أهل البيت ، فإن السياق إنما هو في مخاطبتهن ، ويدل الضمير المذكر أنه عم غير زوجاته كعلي وفاطمة والحسن والحسين ابنيهما ، وفي الصحيحين : اللهم صلي على محمد وعلى أزواجه وذريته . وأما عن المودة فثبت أن ابن عباس رضي الله عنه سئل عن الآية فقال : « أنه لم يكن بطن من قريش إلا فيه لرسول الله منهم قرابة » ، فقال تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ - سورة الشورى آية ٢٣ ، إلا (أن) تودوني في القرابة التي بيني وبينكم ، ويدل على ذلك أنه لم يقل : إلا المودة لذي القربى ، بل قال : (في القربى) ، ألا ترى أنه لما أراد ذوي قرابة قال تعالى في سورة الأنفال الآية ٤٠ : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ ، وليس موالاتنا لأهل البيت من أجر النبي صلى الله عليه وسلم في شيء ، وهو عليه السلام لا يسألنا أجراً ، وإنما أجره على الله تعالى : ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾ الفرقان آية ٥٧ ، وفي سورة الشعراء آية ١٢٧ ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، وفي سورة

الشعراء الآية ١٤٥ ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ ، والآية ١٠٩ من سورة الشعراء : ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ والآية ١٨٠ من سورة الشعراء : ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ ، والآية ٩٠ من سورة الأنعام : ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾ ، والآية ٥١ سورة هود : ﴿ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ ، ثم أن الآية مكية نزلت قبل أن يتزوج علي بفاطمة ، فضلاً عن أن يكون ولد لهما ولد فعلي تزوج بفاطمة رضي الله عنهما في السنة الثانية للهجرة ، ولم يدخل بها إلا بعد غزوة بدر في شهر رمضان سنة ٢هـ ، وولد الحسن في السنة الثانية أو الثالثة من الهجرة ، والحسين في السنة الرابعة) .

٣ - وجاء في كتاب تاريخ حضرموت تأليف صالح البكري الطبعة الأولى ص ٢٤٣ وما بعدها ما نورد موجزه :

(استفتى أحد الحضارمة بسنغافورة فضيلة العلامة الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار عن صحة زواج العلوية بغير العلوي . وكان قد أفتى الشيخ عمر العطاس بعدم جواز ذلك ، فأجاب الشيخ محمد رشيد رضا في مجلة المنار جـ ٨ في ١٣٣٣/٣/١٦هـ / ٢١ مايو سنة ١٩٠٥م بما يأتي :

(وسبق أن نشرنا في هذه المسألة سؤالاً لأحد القراء في سنغافورة في واقعة حال هناك ثم جائنا من سنغافورة رسالة بتوقيع أحد الحضارمة قال فيها : « بعد الثناء والإطراء أن ما نشرناه في الواقعة في ج ٦ م ٨ لم يكن السؤال فيه مطابقاً للواقع ، وأن الشريفة التي تزوجت بالسيد الهندي ، قد زوجها وليها الشرعي برضاه ورضاها » ... الخ .

(وطلب منا هذا الكاتب أن نذكر الحكم في الواقعة على ما قرره هو من تزويج ولي الشريفة برضاه ورضاها على أنه لا حاجة إلى ذلك ، فإن الجواب الأول ناطق بصحة العقد في هذه الحالة) .

(وقد فهمنا من الرسالة ومن مجموع ما كتب إلينا في معناه ، أن سبب الاهتمام بهذه المسألة هو أن بعض السادة الحضرميين الذين يوجد منهم طائفة هناك غالون في التفاخر بأنسابهم والإدلال بأحسابهم) .

(ولذلك ذهبوا في الغلو إلى ماتراه في فتوى الشيخ عمر بن سالم العطاس التي سألنا عنها أحد القراء في سنغافورة ، وقد أرسلت إلينا صورتها مطبوعة ، فعلمنا أنهم طبعوها ووزعوها لإثبات اعتقادهم في أنفسهم) .

(والذي رمى عنه الشيخ عمر بن سالم العطاس فهو غريب ، وأوغله في الغرابة جعل الكفاءة في الشرفاء حقاً للنبي صلى الله عليه وسلم ، ولجميع أبناء الحسنين بحيث لا يصح تزويج الشريفة ولو رضيت ورضي وليها إذ لا يتصور أن يرضى النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الشرفاء في مشارق الأرض ومغاربها) .

(واستدلاله على ذلك بكونه إيذاء للنبي بإيذاء أهل بيته ، قال : وإيذاؤهم من أكبر الكبائر يكفر مستحله ، ثم استدلاله أيضاً بحديث : (من كنت مولاه فعلي مولاه) على كون ذراري علي موالي على من سواهم من جميع الخلق بالنص ، وخروجه من ذلك إلى أن جميع الناس عبيد لهم،وأنه لا قائل بجواز تزويج العبد لمولاته ، نعوذ بالله من هذا الغلو والغرور) .

(يستدل الشيعة بحديث : (من كنت مولاه فعلي مولاه) على أن علياً أحق بالخلافة ممن سبقه فيها ، ولا أعرف عنهم أنهم بعدوا في الاستدلال إلى جعل جميع الناس عبيداً له ولذريته) .

(بل لم يقل مسلم بأن الناس عبيد للنبي صلى الله عليه وسلم ، بل الإسلام يمنع هذا ، فمن أين جاء به « العطاس » - رحمه الله ويصلح باله - ، وكيف يتفق استنباطه هذا مع ذكر السلطان عبد الحميد بلقب الخلافة) .

(وإذا كان غير الشريف العلوي الفاطمي لا يجوز أن يكون زوجاً للشريفة لأنه عبدها ، فكيف يكون العبد خليفة على ساداته ومواليه الذين لا يحصى عددهم ؟ ، والخليفة مولى لرعيته يجب عليهم طاعته في كل معروف ، وأما الزوج فليس مولى لامرأته بهذا المعنى ، بل يقول جماهير الفقهاء أنه لا يجب طاعته إلا في المكث في البيت ، والتمكين من الاستمتاع) .

(والحق أن لفظ المولى في الحديث معناه الناصر ، كما قال الجوهري في الصحاح « ويطلق في اللغة على الصاحب والقريب والجار والحليف والنزيل والشريك والعبد والعتيق والمعتق) .

(فكيف يسمح لنا الدين أن نتخطى هذا المعنى ونقول أن الحديث نص في أن الناس عبيد لذرية علي ؟) .

(هل كان أبو بكر وعمر والعباس وغيرهم من الصحابة وسائر المسلمين عبيداً لعلي في حياته وهل ملك أولاده من بعده الناس بالإرث ؟) .

(أم أن نص الحديث دال على أنهم يملكونهم بالاستقلال في كل زمان ، ظاهر قول العطاس الثاني ، وكل مسلم يبرأ إلى الله من الأول والثاني) .

(كان الشرفاء ومازالوا يزوجون بناتهم من غيرهم ، وجميع العلماء يستحلون هذا مع التراضي ، وسائر الناس تبع لهم فيه،فهل يقول العطاس أن جميع من استحل ذلك كافر ، حتى المزوجون والمتزوجات بالتراضي والاختيار فيكفر الشريف مبالغة في تعظيمهم) .

(ليس هذا المنزع بأغرب من منزعه الآخر في جعل النسبة إلى الحسن والحسين في معنى نبوة النبي عليه الصلاة والسلام ، من حيث أن شرفها ذاتي غير مدرك ، وأنها من اختيار الله تعالى وأنها منبع لكل نعت محمود وأن أكابر الأولياء لو جاهدوا أبد الآباد لا يلحقون لشريف أثراً ، لأن الله – كما يقول – بالغ في كمال آل البيت ، إذ قال : ﴿ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ، لا بعمل عملوه،ولا بصالح قدموه،بل بسابق عناية من الله لهم،ثم قال ولهذا السر قال الله تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ ، فانظروا أيها المنصفون كيف يلعب بكتاب الله،ويحرف كلمه عن معناه،بدعوى الإهتداء بهديه والعمل بأمره ونهيه ، وإنما هو اتباع الهوى،شرد بالغالين عن معهدي الهدى ، وأحمد الله تعالى أن جعلني شريفاً غير مفتون ، وجنبني وقومي مزال الغرور) .

(وقوله تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ فليس معناه أنه يطلب من الناس مودة قرابته أجرة لتبليغه أحكام ربه ، حاش لله ما كان النبي ليطلب أجراً كما نطق القرآن ونهض البرهان ، وإنما الاستثناء منفصل ، ومعناه : لا أسألكم أجراً على ما جئتكم به فتتوهموا أني أطالب بمنفعة لنفسي ، وإنما أسألكم ما هو نافع لكم ، وهو المودة في القرابة – أي أن تودوا ذوي القربى منكم – فهو معنى ما يؤثر عن الانجيل من الأمر بمحبة القريب ، أو أن تؤذوني في قرابتي منكم ، لا لأني بعثت لهدايتكم فعاملوني معاملة سائر الأقربين ولا تؤذوني ، وأما الدين ، فلكم دينكم ولي دين لست

عليه بجبار ، وإنما عليّ البلاغ وللناس الخيار) . وعقب هذا بقوله : (ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً) والآية من سورة الشورى مكية من أول القرآن نزولاً ، وأمثال هذا الخطاب في الدعوة والاستمالة إلى الحق كثيرة ، ولا يمكن أن يحمل لفظ « القربى » فيه على ذرية فاطمة رضي الله عنها ، لما تقدم ، ولأنها لم تكن قد تزوجت ، ولا قد ولدت في ذلك العهد).

(سبق للمنار قول في تفسير لآية المودة وفيه أن الشيعة هم الذين انتحلوا لها هذا المعنى ، غافلين عما وراءه من الطعن في الرسالة واحتجاج الكافرين على المؤمنين بأن رسول الله كان يطلب بدعوته الدنيا لذريته كالملوك والأمراء ، وان القرآن بجملته وتفصيله ، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم في نفسه وأهله ومعاملته للناس وتوليتهم الأعمال ، كل ذلك مما ينسف هذه الشبهة نسفاً) .

(وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ سورة الأحزاب الآية ٣٣ ، فقد ورد تعقيباً لآيات في خطاب نساء النبي عليه الصلاة والسلام يأمرهن الله تعالى بها ، وينهاهن ويعلمهن بأن جزاءهن على الخير والشر مضاعف لأنهن لسن كسائر النساء) .

(وهذا ظاهر معقول المعنى ، فإن بيت المرشد الكامل قدوة في الهدى والرشاد ولو ظهر العمل السيء من ذلك البيت الذي جعله الله منبعاً للهدى ومشرقاً للوحي لكان أعظم منفر عن الاهتداء والإيمان) .

(فقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ ﴾ الآية ؛ تعليل وبيان للحكمة في كون نساء النبي لسن كسائر النساء،وكونهن جديرات بمضاعفة العذاب على المعصية،والثواب على الطاعة لمكان القدوة،كقوله تعالى بعد ذكر أحكام الصيام وما فيها من الرخص : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ سورة البقرة آية١٨٥ ، وإنما قال عنكم لأن النبي صلى الله عليه وسلم في البيت وهو المقصود بالتطهير أولا وبالذات ، لأن كمال نسائه ينسب إلى هدايته صلى الله عليه وسلم) .

(أي غلو العطاس يرحمه الله ويصلح باله ليس بالغريب ؟ أإنكاره قول الإمام مالك أن المسلمين أكفاء ، واحتجاجه على ذلك بما كان من أدب هذا الإمام مع النبي ﷺ إذا كان لا يطأ أرض المدينة بالنعال واستنباط عدم إباحة افتراش البقعة النبوية ووطئها أيظن

أن الإمام مالكاً كان يحرم أن يمشي الناس في المدينة بالنعال أو أن تركب فيها الحمير والبغال) .

(أيظن أنه يقيس اتخاذ المرأة زوجاً وقرينة للرجل تشاركه في نعمته وتتحد معه في معيشته على وطيء الأرض بالنعل ،أو بغير النعل ما هذا الفقه المقلوب) .

(يسهل على من يسلك مسلك هذا المفتي في الاستنباط أن يستخرج من كلامه ما يعده الفقهاء من المكفرات،فيكفره كما كفر من يخالف فتواه،أو كاد يكفر بها جميع المسلمين) .

(والحق أنه لا يحكم بكفر أحد من أهل القبلة ، إلا بقول أو عمل يدل دلالة قطعية على أنه لا يؤمن بالله وبما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم مما هو متواتر مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة ، فمن آذى شريفاً من آل البيت لحظ من حظوظ الدنيا يكون عاصياً لله،كما لو آذى غيره من المسلمين) .

(لأن الإيذاء حرام – لكل مسلم – وأما من يؤذي الشرفاء لأنهم ينتمون إلى النبي صلى الله عليه وسلم فالأقرب أن يكون إيذاؤه إياهم بهذا القصد معلولاً لكفره به لا علة له إذ لا يعقل أن يقصد المؤمن ذلك،ولا يظهر هذا إلا فيمن يؤذي كل من قدر على إيذاءه منهم،فمتى خص فرداً أو أفراداً علم أنه لا يؤذيهم لأجل النسبة) .

(وجملة القول أن الشريعة الإسلامية شريعة عدل ومساواة لا شريعة تقسيم ومحاباة ، وأحكامها عامة على جميع الناس مدار العبادات فيها على تزكية النفس وتحليتهابالفضائل ، ومدار المعاملات على درء المفاسد والمضار وجلب المنافع وحفظ المصالح ، وليس لأحد أن يخص الشرفاء أو غيرهم بأحكام شرعية تؤخذ بالتسليم على أنها من التعبد ، فأبناء الحسنين وغيرهم من الناس سواء في أحكامها ، وماورد في تخصيص – آل النبي – ببعض الأحكام ، كتحريم الصدقة عليهم معقول المعنى ، ولا يجوز لأحد أن يزيد عليه لأن التخصيص خلاف القياس فلا يقاس عليه) .

(وفي الحديث الصحيح : أن الآل في باب تحريم الصدقة هم بنو هاشم ، وبنو المطلب لا ذرية فاطمة خاصة) .

(ولو كان ما ذكره العطاس من فضل أهل البيت يجعل استنباطه صحيحاً وداخلاً في الأحكام التعبدية ، لكان لنا أن نقول مثله في العلماء ، فإن ما ورد في الكتاب والسنة في

مدح العلم والعلماء ، أعظم وأظهر مما ورد في آل البيت ، فهل نقول لأنه لا يحل للعالم أن يزوج ابنته بمن ليس بعالم ، لأن ذلك إهانة للعالم الذي عظمه الله تعالى ، فالأمر فيه ليس إليه ، وإنما هو تعبد بذلك) .

(كلا إن الزواج من المعاملات التي تبنى على أساس المصلحة ، وكل قوم أعلم بمصلحتهم ، والشرع لم يحجر عليهم في اختيار الخير ،وإنما حرم عليهم الإيذاءوالله أعلم وأحكم) .

(هذا وانني لا أظن بالشيخ عمر العطاس إلا الخير ، وحسن النية ، وأشكر له حبه للشرفاء ، ولو أن فتواه طبعت لما رددت عليه في « المنار » واسأل الله أن يحفظنا وإياه من الغلو ويلهمنا رشدنا جميعاً) . انتهى .

٣ – وإكمالاً للبحث نورد ما جاء في باب الكفاءة والخيار من كتاب « سبل السلام شرح بلوغ المرام » لمحمد بن إسماعيل الكحلاني الصنعاني .

(عن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (العرب بعضهم أكفاء بعض والموالي أكفاء بعض إلا حائكاً أو حجاماً) رواه الحاكم وفي إسناده راو لم يسم ، واستنكره أبو حاتم ، رواه ابن عبد البر في التمهيد ، وقال الدار قطني في العلل « لا يصح اختلاف العلماء في المعتبر من الكفاءة اختلافاً كثيراً » والمعتبر الدين لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ سورة الحجرات آية ١٣ ، والحديث : (الناس كلهم ولد آدم وآدم من تراب) ، وحديث : (الناس كأسنان المشط لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى) .

وأشار البخاري إلى نصرة هذا القول حيث قال باب الكفاءة في الدين وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا ﴾ سورة الفرقان آية ٥٤ ، فاستنبط من الآية الكريمة المساواة من بني آدم ثم أردفه بإنكاح أبي حذيفة ابنة أخيه هند بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس لسالم ، وسالم مولى لامرأة من الأنصار .

ثم قال الشارح معلقاً بعده على خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة : وللناس في هذه المسألة عجائب لا تدور على دليل غير الكبرياء ، والترفع ولا إله إلا الله كم حرمت المؤمنات النكاح لكبرياء الأولياء واستعظام أنفسهم ، اللهم نبرأ إليك من شر ولّده الهوى وزيادة الكبرياء ، ولقد منعت الفاطميات في جهة اليمن ما أحله الله لهن من

النكاح لقول بعض الهدوية – من الزيدية – أنه يحرم نكاح الفاطميات إلا من فاطمي من غير دليل ذكروه ، وليس هذا مذهباً لإمام مذهبهم الهادي يحيى بن الحسين بل زوج بناته من الطبريين – وهم فرس – وإنما نشأ هذا القول من بعده في أيام أحمد بن سليمان ، وتبعهم بيت رياستها فقالوا – بلسان الحال – تحرم شرائفهم على غير الفاطميين إلا من مثلهم ... أخ .

وعن فاطمة بنت قيس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها:« أنكحي أسامة » رواه مسلم ، وفاطمة قرشية من بني فهر أخت الضحاك بن قيس .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يا بني بياضه أنكحوا أبا هند وأنكحوا إليه » ، وكان مولى لهم وكان حجاما ، رواه أبو داود .

كما جاء في الحديث : (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه) .

بيان ما ورد في التاريخ عن زواج الهاشميات :

١ – زوج الرسول صلى الله عليه وسلم ابن العاص على ابنته زينب .

٢ – زوج عثمان بن عفان على ابنته رقية وبعد وفاتها زوجه علي أختها .

٣ – زوج بنت عمته زينب بنت جحش على مولاه زيد بن حارثة .

٤ – زوج فاطمة بنت قيس الفهرية القرشية من ابن مولاه أسامة بن زيد .

٥ – أمر بني بياضه بتزويج أبي هند مولاهم .

٦ – زوج علي رضي الله عنه ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب .

٧ – زوج حفيدته بنت الحسن بن علي من الأشعث بن قيس[1].

٨ – تزوجت سكينة بنت الحسين بن علي بمصعب بن الزبير .

---

(١) جاء في حاشية كتاب « جبار ثقيف الحجاج بن يوسف » للدكتور محمود رويحه ، ص ١٦٧ ، كان الأشعث بن قيس الكندي من أشرف العرب ورئيس قبيلة كنده ، وفد على النبي ﷺ في عام الوفود وأسلم وحسن إسلامه وتزوج أم فروة أخت أبي بكر الصديق فأولدها ابنه محمد بن الأشعث .

اشترك الأشعث في معارك اليرموك ونهاوند والمدائن والقادسية ثم استقر في مدينة الكوفة ، واشترك مع الإمام علي رضي الله عنه في معركة صفين ، وتزوج من حفيدته ابنة الحسن بن علي توفى سنة ٤٢هـ .

٩ - تزوجت فاطمة بنت الحسين بـ (عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان .
١٠- زوج عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي أخته من بلال بن رباح الحبشي .
١١- عرض عمر بن الخطاب زواج بنته على سلمان الفارسي .
١٢- زوج الإمام يحيى بن الحسين الرسي العلوي بناته على الطبريين وهم فرس .

❊ ❊ ❊

مصـادر البحـث :

١ - حدائق الزهر في أعيان أشياخ العصر - مخطوط - للحسن بن أحمد .
٢ - الديباج الخسرواني - مخطوط - للحسن بن أحمد الضمدي .
٣ - نفح العود - مخطوط - تحقيق العقيلي .
٤ - منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية .
٥ - جبار ثقيف للدكتور محمود رونحه .
٦ - بلوغ المرام شرح سبل السلام - محمد بن علي الشوكاني .
٧ - تاريخ حضرموت - علي باكثير .
٨ - المنتقى من منهاج السنة - الحافظ الذهبي .
٩ - الأغاني للأصفهاني .

المباراة الشعرية
حول الصلاة على النبي ﷺ

من المباريات الشعرية المحاورة التي جرت حول الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، والتي بدأها علامة ضمد الشيخ أحمد بن عبد الله بأرجوزة إلى الشيخ محمد بن علي الشوكاني فأجابه عليها ثم دخل في الموضوع الشيخ الحفظي وقد يكون اشترك غيرهم مما لم نقف على ما جالت به أقلامهم .

ابتدأ الموضوع أحمد بن عبد الله الضمدي في صدر أسئلة إلى الشيخ محمد علي الشوكاني ، بقوله من بحر الرجز :

ماذا يقول سيدي	زينة أهل اليمن
في فعل أصحاب لنا	يروون بعض السنن
وعند ذكر المصطفى	الهاشمي المؤتمن
صلى عليه ربنا	والآل كل الزمن
لا يكملون حقَّه	في الخط يا ذا الفطن
من بعد تحرير له	فالرمز شأن المعتني
هل قد روى هذا لنا	أي إمام بين
غير الذي تعليله	نقص البياض البين
فبينوا الاذن لنا	في رمزه بالسنن
وترك رمزنا له	مع لفظه بالألسن
قد قاله ابن حنبل	حافظ قول المدني

فأجاب عليه الشوكاني برسالة مطولة سماها عقود الزبرجد في جيد مسائل علامة ضمد ، وصدّر جوابه بهذه الأبيات :

أقول بعد حمد من	طوقنا بالمنن
مصليا مسلما	على النبي المدني

وآلــــــه وصحبــــــه حُــلاّل عقـــــد المحـــــن
لــم يــأت في الرمـــز لنـــا عــلى مـــرور الزمـــن
كيفيـــــة نسلكهـــــا فــي واضحـــات الســنن
لأنـــــــه تواضـــــــع مــا بــين أهــل الفطـــن
مــا فيــه تكليـــف لنـــا ولا لـــزوم ســـــن
فـــأي نقـــش ناقـــش يعرفـــه مـــن يعتـــني
وكـــم منـــامات أتـــت تهـــز عطـــف الفطـــن
كــم ســـلكت مــن ســالك مثـــل أويـــس القـــرني
ولـــم يكـــن أغفلهـــا أحمـــد شـــيخ الســـنن
لعجــــل أوعـــــادة أو ســـأم أو وهـــــن
لكـــن يــرى التقييـــد فـــي روايـــــة المعنعـــن
والاتصــــال فــي جميـــع مـــن روى مـــن مـــون ؟
فعـــز ذاك عنــــده فقاهـــــا بالألســـن
وهـــي أتـــت مطلقـــة ومشـــرب عـــذب هـــني
ولا أتـــت روايـــــة فتتقـــــى وتُتْبـــني
وربمـــــا أهملهـــــا مـن لـم يكـــن منهـم أنـــي
مبيضـــــا محلهـــــا حـــتى يعـــود يعتـــني
والنقـــص فـــي حروفهـــا بصـــورة كالمجـــن
فلـــم يـــرد عــن حافـــظ حاشـــاهم عـــن شـــين
بـــل ذاك ســـوء أدب مــن أهـــل هـــذا الزمـــن
ثــم الجـــواب حامـــدا للـــه رب المُحســـن
مصليـــا مســـلما عـــلى ســـوي الســـنن
محمــــد وآلـــــه هداتنـــا فـــي الســـفن
يقـــوم بالمقصـــود مـــن بيـــان مالـــم يُـــبن
فذلك الرســـم الـــذي عليـــه ذا الأمـــر بُـــني

وفي الحديث قالوا كيف نصلي عليك ، قال صلى الله عليه وسلم قولوا : « صلى الله على محمد وعلى آل محمد وزوجاته وذريته » . الحديث ، وفاض في شرحه القاضي

الشيخ محمد بن علي الشوكاني في كتابه المعروف الموسوم بـ « نيل الأوطار » . واتفق علماء السنة والجماعة أن بني هاشم وبني الحارث بن عبد المطلب من ذوي القربى ، وأنهم من آل محمد الذين تحرم عليهم الصدقة . قال محب الدين الخطيب في تعليقه على كتاب « المنتقى » ومنهم أيضاً « بنو أبي لهب » و « بنو العباس » .

وفي حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى – أو يصلي علينا آل البيت – فليقل : اللهم صلي على محمد النبي ، وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته ، كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد » رواه أبو داود .

قال القاضي الشوكاني : « الحديث احتج به طائفة من العلماء على أن الآل هم الأزواج والذرية . ووجه أنه أقام الأزواج والذرية مقام آل محمد[1] .

وعند بعض المالكية والحنابلة آل محمد أمته[2]، وعند طائفة من الصوفية هم الأتقياء من أمته وعلى ذلك يقول نشوان الحميري :

آل النبي هم أتباع ملته ... من الأعاجم والسودان والعرب
لو لم يكن آله إلا قرابته ... صلى المصلي على الطاغي أبي لهب

والقاضي نشوان معروف بتطرفه :

ويقول صاحب كتاب « المنتقى » ص ٢٩٩ « ثم جمهور الفقهاء لا يوجبون الصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم – وآله في الصلاة ومن أوجب الصلاة على الآل عموماً لم يجوز الاقتصار على بعض الآل . وكذلك إبطاله الصلاة بالصلاة على خليفة من الخلفاء معيّن قول باطل ، فلو دعا لمعيّن أو عليه لم تبطل صلاته عند أكثر العلماء ، فقد قنت النبي – صلى الله عليه وسلم – يدعو لقوم ويلعن آخرين بأسمائهم[3].

وأطلع الشيخ العلامة أحمد بن عبد القادر بن بكري والحفظي رحمه الله على أرجوزة الضمدي فقال :

---

(١) البدر الطالع : الطبعة الثانية للحلبي ص ٣٠٠-٣٠١ .

(٢) ، (٣) المنتقى ص ٢٩٩ .

أهلاً بها من منن ... مستعذبات المزن

أهلاً بها من طُرف ... وتحف تتحفني

قرت به إذا قرأت ... عيني وقوت وهني

حسناء في أوصافها ... إذا تثنت تنثني

إلى الذي أنشأها ... وتلتوي كالغصن

تقول لا يحل لي ... ولا يحل مني

إلا الذي في حلة ... التعجيز قد نشأني

لا فض فوهُ قائلاً ... لكل قول حسن

سحبان بل حسان في ... سلاسة النظم السني

العالم العلامة الحبر ... الصفي المتقن

يسأل عن نجد وقد ... دار بأعلا القنن

وقد درى بما جرى ... وفضله حدثني

عن رمز قوم كتبوا ... صلعم تبديلا دني

عن الصلاة عندما ... يذكر اسم المدني

ولا أراه هكذا ... ... بالأدب المستحسن

ولا أتى عن أحد ... من الصحاب أو بني

ما أغفلوا أو سئموا ... عن خطها بالبين

مكررين كتبها ... كاملة بالديدن

لأنها فائدة ... قد عجلت للمعتني

غنيمة باردة ... وقنية للمقتني

لما روى الصديق عن ... رسولنا المؤتمن

بأن من صلى علي ... في كتاب لا يني

لم تزل الأملاك تس ... تغفر له بالعلن

وكم منامات أتت ... تهز عطف الفطن

كم سلكت من سالك ... مثل أويس القرني

... ... ألخ

المباراة الشعرية على
قصيدة « ذات الخال »

إن المخلاف السليماني في القرن الثالث عشر أسهم في الحلبات الأدبية التي تبارت فيها الأقلام في سوريا والعراق ونجد ، بل ومن أبنائه من قام برحلة إلى الهند والعراق والأحساء ونجد وعاد إلى وطنه يحمل مباراة شعرية جالت الأقلام في حلباتها في تلك الجهات وأهاب بأدباء المخلاف للمشاركة في ميدانها والإسهام في معطياتها ، ولنورد ماجاء في مخطوطة « حدائق الزهر » إذ يقول مؤلفها :

(وصل إلينا الفاضل المقرىء حسين إسماعيل الحازمي في شهر ربيع الأول ١٢٧١هـ بعد أن طاف كثيراً من بلاد الهند وأطراف (....) وديار نجد والأحساء والقطيف والبصرة وتلك النواحي ، ووصف لنا عجائب وحدث بغرائب ، ولاقى هناك علماً وأدباً ، وطلبنا منه نتائج الرحلة وفوائد السفر ، مما يكون فاكهة الحديث لنا ولمن حضر ، فحدثنا أن الصدر العالم داود باشا أرسل – وهو مستقر بدمشق الشام – قصيدة للأديب إبراهيم بن بطرس بن كرامة الحلبي ، إلى بغداد وهي قصيدة التزم قائلها إيراد معاني الخال فيها ، مستهلها :

أمن خدها الوردي أفتنك الخال ؟ فسح من الأجفان مدمعك الخـال[1]

وهي طويلة وأراد شعراء بغداد محاكاتها ، وهذا داود باشا من العلماء كان مدة مقيماً بالمدينة المنورة وعرف بعض علماء جهتنا وأخذ عنه وأجازه ، وبعد ذلك انتقل إلى الشام فأجاب عنها الأديب المصقع موسى بن عبد الله العاملي بقصيدة فريدة مطلعها :

سقى الخال من نجد وسكانه الخـال وأزهـر في أكنافـه الرند والخـال

فاتصلت تلك القصيدة ببعض الأدباء من سوق الشيوخ – بالعراق – فأرسلها إلى العلامة الأديب صالح بن عبد الله التميمي ، فأنشأ هذه القصيدة الرائية وحقق أن قصيدة ذات الخال منتحلة من ابن بطرس ومدح الباشا وعرض بالأول فقال :

عهدناك تعفـو عن مسـيء تعذرا ألا فاعفنـا عن رد شـعر تنصـرا

---

(١) انظر ص (٧٧٢) جـ ٣ من كتاب نزهة الأبصار بطرائف الأخبار .

فلما وقف عليها ابن بطرس قام ناصبا أقدامه ، وفوّق للرد سهامه بقصيدة أولها :

لكل أمرء شأن تبارك من برى　　　وخص بما قد شاء كلا من الورى

وهي قصيدة بليغة افتخر فيها بأدبه و (...)[1] ولما وقف على ذلك العلامة عبد الجليل ابن ياسين وجد قائليها كالمتشاجرين فأنشأ قصيدة يبرز فيها حكمه ، ويعطي لكل منهما سهمه ، والحق أحق بالإتباع فقال :

حكمت وحكم الحق ناء عن المِرا　　　بأن التيمي الأديب تعثرا

وهي قصيدة بالغة النهاية في الإبداع ، ولما وقفنا على تلك القصائد وحدثنا المذكور أن أدباء نجد من أهل الرياض وغيرهم من أهل (....)[2] إنما أصحبوه تلك القصائد لأجل أن يتحف بها علماء هذه الجهة ، ويطلب منهم المحاكاة لها،والحكم فيما وقع بين أدباء تلك الجهة ، وأن يرسل لهم على يدي السفر من الحجاج أو غيرهم ما يتيسر على يده ، وعول علينا بعض من لا يستطاع رد أمره،أنا نعارض قصيدة ذات الخال ونشيء أخرى رائية ، ففعلت وجعلت في صدر كل قصيدة خطبة،وهذه خطبة قصيدتي ذات الخال :

(وبعد فقد عثرت على هاتين القصيدتين اللتين هما في فنهما غريبتين التزم قائلهمالفظ الخال في كل قافية،لذلك ضاق مجال الكلام في هذه الناحية ، وقد انتحلها الأديب ابن بطرس ومدح بها داود،العالم الذي عقد على رأسه هذا التاج الغريب،فأجاب عليه العاملي بمعارضتها وهي لغيره بما أطرب[3] ، والقصيدتان كلاهما من شعر القدماء الذين زهت بأدبهم الأرض وهما في الطبقة العليا من الإجادة ، لا يستطيع أن يلحق بهما من جاء بعدهما ، وقد تجهم عليهما المبتدي والمجيب من غير محاذرة لوصمة عيب وعار ولم يعلما أنه قد شغل الحي أهله أن يعار ، وعند الحك يتبين البهرج من النضار ، وقد رأيت أن أجرب فكري القاصر في هذا الميدان ، وأن مثل هذا الشعر المصنوع تتعب فيه السليقة من الأذهان ، وهو من لزوم ما لا يلزم كما حققه علماء المعاني والبيان ، وقابلت بحصاي ذلك الدر ، ووزنت بالجزع الأنجم الزهر فقلت :

نسيم الصبا هبت وقد لمع الخالُ　　　فهزت غصون الروض إذ جادها الخال

---

(١) كلمة غير واضحة في الأصل .　(٢) كلمة غير واضحة في الأصل .　(٣) هكذا في الأصل

وغنى هزار الروض شجواً وصفقت أكف زهور الورد ، إذ رقص الخال
فهاج لمفتون الصبابة وجده بساكن (نجد) حيث حل به الخال
وأهيف معسول الثنية طرفه يغازله لطفاً بما يحكم الخال
يعير الظبا جيدا صقيلا ومقلة ويفعل بالألباب ما يذهب الخال
حوى خدها الوردي ماء وجنةً فيا فتنتي لما زهى ذلك الخال
عقيلة أتراب لها القلب منزل يرينا سناها في الضحى الوشي والخال
يمانية الأطراف شامية الهوى .. حجازية الألحاظ ، طاب بها الخال
حبت بوصال حيث ينفع مغرماً وحيت بلطف طالما فضح الخال

* * *

ومن قبل كانت والعذول مراقبي تواصلني حيناً وما أخلف الخال
فقرت بها عيني القريحة وانثنى فؤادي بها نشوان ما ثبت الخال
ذكرت بها عهد الصبابة والهوى وريعان عمر ما تجاذبه الخال
وعيشاً كأخلاق الكريم قطعته بروض الحمى إذ مال بي الزهو والخال
به من لجين الماء ينساب جدول ترقرق في أطرافه التبر والخال

* * *

بعيشك يا (ريا) أريا نسيمكم به يتهادى الحب إن فاته الخال
ففي شمأل الوعساء منك شمائل له بشمول الوجد قد يسكر الخال
سرت بحديث القلب والقلب أخرس يوسوس في صدري وما يسعد الخال
وقد آن إنطاق اليراع وفتحت إلى المجد أبواب بها أخلق الخال
وأهظبت [1] الشم العرانين في العلا ولكن عليها بالثنا يخفق الخال
ولا مثل نداخ عن الرعن شامخ يناط عليه (...) والخال
له شرف الإسلام صحت ظنونها وعن غيره في دهرنا كذب الخال

---

(١) هضَّبَ : بالضاد لا بالظاء وهي حقيقة : الجبل المنبسط على وجه الأرض ، والهضبة أيضاً الأكمة : ومجازاً هضبوا في الحديث : افاضوا فيه ،وهضبت السماء سحت بالمطر ، واصابتهم هَضْبَة : مطرة وهضبتهم السماء جادتهم . يظهر أن الناسخ للأصل وقع من السهو فأبدل الضاد ، ظاء .

همام إلى طرق المفاخر سابق — وفي طُرُق الفحشاء ما هزه الخال
هو الليث واللدن الذوابل في العدا — مخالبه ، أكرم به ان دهى الخال
جواد بعيد الصيت مجداً وهيبة — مناقبه لا يحتوي نظمها الخال
إليك مشت هذي العقيلة أنها — حديثة ميلاد بها أثمر الخال

وهذه القصيدة الرائية :

سبيل الهدى مثل المجرة نيِّرا — فدع دين كسرى في المقال وقيصرا
ولا تذكر المنهي فالحق أبلج — ومن ألف المعروف لم يرض منكرا

إلى أن يقول :

لكل مقام في المقالات مسلك — فساقط لنا من لؤلؤ النظم جوهرا
وجرد لنا ذكر العذيب وبارق — وأيام (نجد) حيث جاورت جؤذرا
وإني وإن كنت الأصيل حضارة — لأصبو إلى أهل الخيام تذكرا
منازل في سفحي (سدير) بدورها — إذا أبرزت تسبي الذي قد توقرا
ومن دون هاتيك الثنية مضرب — به ظبية فكري لها قد تحيرا
تقضّى زمان الوصل بيني وبينها — ولم ينقص الشوق الذي كان أكبرا
وإن سلب الألباب سحر جفونها — فلي غزل في حسنها صار مسكرا
لك الخير فانزل عندها متلطفا — لتحظ بما تهوى وكن متبصرا
هنالك قوم بالبديع تساجلوا — وصار لهم نظم القريض ميسرا
عصائب من نجد[1] أشادوا طرائقا — تضيء لهم والجو أقتر أغبرا
ألم تر ما قال (ابن بطرس) ذاكرا — عهودا أعادت للمسرة أعصرا
نحلتُ أخا التثليث نظماً مجنّسا — وذلك وشي مستعار بلا مِرا
وما شرف البنيان حسن طرازه — ولكن بسكان الحمى قد تنورا
وتلك فتاة الحي سرْتُ لسربها — وعند صباح القوم قد يحمدُ السرى
ولكنها من محصنات أبي البها — حنيفية لا ترتضي من تنصرا
إذا ما دعت أترابها ، شبها بها — تبين صبح الفرق في الليل أزهرا

---

(١) يظهر أن « نجد » اسهمت في هذه الحلبة ، ولم يشر صاحب « نزهة الأبصار » إلى هذا الاسهام فأين هو يا ترى ؟ .

وأما (التميمي) فهو لا شك مصقع ينافس قيساً في النظام وحميرا
بوادره غطت على حلم قومه يهجو على نظم وقد كان أجدرا
(ولا خير في حلم إذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا)
طغى ما كبا ، وهو الجواد عنانه وأرسل سهما بانتقاد مكسرا
أما لـ (امرىء القيس) المليك عقائل تفوح لدى الألباب مسكا وعنبرا
ونابغة الجعدي زهت كلماته وسارت على هام السماك تبخترا
وعمرو بن كلثوم فقد صاغ نظمه برقَّة لفظ كاد أن يتقطَّرا
وكلهم في الجاهلية قد نشوا وما أدركوا عهد النبي المطهرا
فهل ضاد (الكفر) القديم بلاغة حووها ، فقل لي كيف فيمن تنصرا (؟)
فسلم له فيما أتى من فصاحة وكن باعتقاد منك للكفر منكرا

* * *

ولله ما قال (ابن ياسين) قاطعا شجارا ، كما بالحُكم فيما تقررا
« ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا »
ولكنه أبقى مجالا لناقد يلوح ، كومض البرق في الليل إذ سرى
يفضل ذا التثليث في حسن نظمه وصالح سباق إلى غاية الذرا
وفي نظمه حسن انسجام لسامع قوافيه أبدت في البدائع مظهرا
وما عابه لحن كما عاب (بطرسا) وعادة رب الفخر أن يتعثرا

* * *

ليهنك يا (داود) قوماً تجاذبوا لعلياك ، أهداب النظام المحبرا
فأثمر ذاك الصنع منهم لطائفاً تهب لنا مسكاً على البعد أذفرا
وإن كان في (بغداد) والشام فتيةٌ تعاطوا كؤوس النظم حلوا مكررا
وفاضوا على (نجد) جداول لطفهم فأمطر في تلك الحدائق (كوثرا)
ففي قطرنا الميمون قوم دخولهم يكون – لذنب الدهر – حقاً مكفرا
فكم فيهم سامي المعارف مفرد يساوق في التحقيق شيخاً (زمخشرا) ؟
وكم بطلا من آل هاشم أروع ... ومن يعرب قد صار ليثا غضنفرا
إذا هيعة يوم الوغى سمعوا بها تنادوا إليها دارعين وحسرا

وكم من كريم الكف فيهم نواله ... يجود على العافين تبراً وجوهراً
وكم من أديب كاللآلىء لفظه ... يصوغ به التبر الذي كان أحمرا
جزالة نطق عن معانٍ بديعة ... يطل رقيق الشعر منه محررا
فإن سلكوا وادي الغرام تدلهوا ... وأجروا من الإبداع للغيد جوهرا
وإن همت للتشبيب هاموا صبابةً ... وصاغوا من التشبيب عقدا مجوهرا
يعيد تصابي ذي المشيب لطافةً ... فيبكي على عهد الشباب تحسرا
وإن هبطوا حزن الحماسة أوردوا ... أخا الحرب ما بين الأسود المعسكرا
وما من فنون العلم إلا وحظهم ... به – صار من فضل الإله – موفرا

* * *

ودونكها جوابة الخود قد رعت ... أزاهر فكري بالذي كان أثمرا
وحكمتها باتت بصدر (عطاردٍ) ... تجوس ، وقد فاقت قبيلا ومعشرا

ولما وقف على ذلك (الزميل) العلامة الأديب أحمد بن محمد الضَّحَّوي (العريشي) ، أنشأ قصيدة معارضة لذات الخال وأخرى رائية،وقدمهما بهذا التمهيد : وبعد ، فإني وقفت على قصائد عظيمة، بل دراري نظيمة، مما تجاوب بها أدباء نجد المصقعين ، وفصحاء الشام والعراق المبدعين ، فوجدت نظمهم في أعلى طبقات القريض ، قد ارتفع بهم هذا الزمن من الحضيض ، فجمعوا أنواع المكارم والمفاخر حتى قلنا : كم ترك الأول للآخر ، ووقفت على ما رقمه المولى القاضي العلامة ، المحقق الفهامة ، مفخرة الزمن ، وأديب المخلاف السليماني واليمن ، الحسن بن أحمد ، لازال ذكره باقياً مخلداً ، من الرسالة المسماة بـ (النسمات السحرية ، على النفثات النجدية) فوجدته يلاعب بأطراف الكلام ، وأبرز من الزوايا خبايا درر النظام ، فلقد حاز من الفصاحة النصيب الأوفر ومن البلاغة القامر (؟) وطلب إلى من لا أخالف أمره ولا أعدو خبره أن أكتب عليها شيئاً من النظم والنثر ، فلم تسمح .. القريحة إلا بهذا القدر النزر ، لأني قليل البضاعة ، متطفل على أهل هذه الصناعة ، كثير الأشغال ، مبلبل البال ، وبالله أعتصم ، مما يصم ، وهو حسبي ونعم الوكيل فأقول :

تبـدت فخلنـا أنه أومض الخـــال ‏ وماسـت فغار البان والرند والخـال
يرنحهـا سـكر الشبيبـة والصبـــا ‏ ويطفـو على أعطافهـا الزهو والخـال
ممنعــة بالســمهرية والظبـــا ‏ منعمــة إذ لبســها الوشــي والخال
على خدهاَ نار المحاســن أوقــدت ‏ وفيهـا ثوى من سـعده ذلك الخـال
إذا خطـرت تهتز كالغصـن في النقا ‏ فيصبـو إليهـا ذو الصبابـة والخـال
فريـدة حسـن ما لها من مماثـل ‏ كريمـة أصـل زانها العـم والخال
إذا عـنَّ لي في مجلس طيـبُ ذكرهـا ‏ يسـح لها دمعي كما همـع الخـال
واني لها في غيبهـا وحضورهـا ‏ لحافظهـا ، مـن عفة أنـني الخال
وليس فـؤادي عن هواهـا بنـازع ‏ وإن ضمـني مـن بعد مهلكي الخال
ويا ربـة الخلخـال والخـال أرفقـي ‏ بصـب صدوق في هـواك هو الخـال
يحب لجـراك العـذيب وثهمــد ‏ ورامـة ، لا حزوى ولا الجزع والخال
أحبتنـا بالسفح من أيمـن الحمـى ‏ ألموا بنا لا يكـذبن فيـكم الخـال
فلي فيكـم دأب المحـب تذلـل ‏ وإن خلقي (؟) للعـدو هو الخـال
صبـور على الضـراء لا يسـتفزني ‏ ملمٌّ عظـيم لا يقـوم لـه الخـال

وهي توازي سابقتها عدداً ، ونكتفي منها بما أوردناه ، ونورد قصيدته الرائية

وقفـت على روض من النظـم نوّرا ‏ فلـم تَرَ عَيْـني منه أبدع منظـرا
وسـرحت طرفي في سـطور طروسـه ‏ فشـاهدت دراً في الطـروس مسـطرا
فلو مكنـت منـه الغـواني تقـلدت ‏ فرائـده الحسـنى رضى وتخيـرا
وبالَغْـنَ في تحصيله كـل مبـلغ ‏ وعفـن لـه دراً نضيـدا وجوهـرا
رشـفت بـه ريق المُـدام معتقـاً ‏ ولكنـه حـل ، وإن كـان أسـكرا
نظام هو السحر الحـلال وكيف لا ‏ وصَيِّـبه من نحو (نجد) تحـدرا
تحـدر عن قومٍ غـدو بفصاحـة ‏ وفاتوا على أهل المدائـن والقـرى
هـم قصبـات السبق في كل حَلْبـةٍ ‏ ألـين هـم صعـب البيان ويسـرا
رأيت نظاماً لابن بطـرس أنـه ‏ نظـامٌ بديعٌ صـاغه من (تنصـرا)
فلو كـان منشـيه المفـوه (منصفا) ‏ لحـاز بـه عـزاً رفيعـاً ومفخـرا

وما كان أغناه بحسن بيانه عن الإدعا شعر الأنام تزورا
وأما التميمي المفوه (صالح) فأي امرء أبدى نظاماً محبرا
له الله شعر فاق شعر (عمارة) وإن كان في أعلى المراتب والذرا
ولكنه لم يحسن الرد إذ غدا يعيره بالكفر ، لو كان قصرا
وعاب عليه الانتحال فرده ذليلا حسيرا . كان أولى وأجدرا
ويا حبذا حكم ابن ياسين أنه لحكم أبان الحق أبلج نيرا
فلله نظم صاغه لقد اكتسى ... لباسا من الإحسان غضاً مجوهرا
ولكنه لم يوف في الحق صالحاً وقد حاز غايات الكمال بلا مرا
ولله ما أبداه فخر بلادنا (أبو أحمد) من ناف قدراً على الورى
ومن حاز أنواع المكارم كلها وصار به ذا العصر أبلج مزهرا
ومن وسع العافين مبسوط فضله فساحته مثوى القراءة والقِرى
فما ذلك النظم البعيد بممكن لمن رام يوماً للحاق أو انبرى
لقد ضارع الصهباء لطفاً ورقة كما فاق حسناً في البيان ومخبرا
يعز على أهل الزمان انتحاله فما مثله مما يصاغ ويفترى
لقد وافق الحق المبين بقوله وما جاوز الإنصاف فيه ولا امترا

- وهي في طول ضريعتها ، وحباً في الاختصار اكتفينا بما أوردناه - ونعود لإتمام ما سجله علّامتنا الحسن بن أحمد بن عبد الله الضمدي، قال: وبعد جمعت تلك القصائد وجعلت في صدر كل قصيدة خطبة،وضمت في كراريس وسميت « النفحات المسكية » لأن تلك سميت « النفثات النجدية »،وأرسلت إلى تلك الديار على أيدي بعض الثقات الألباء) .

❊ ❊ ❊

المبــارة الأدبيــة

بين شاعر مكة أبي بكــر الزرعة وشعراء المخلاف السليماني

وردت إلى الأمير الحسين بن علي بن حيدر قصيدة من شاعر مكة أبي بكر الزرعة فأرسل له جائزتها وأعطى القصيدة لأدباء حضرته لمعارضتها ، وها نحن نورد القصيدة ونكتفي بمعارضتين ، الأولى للشيخ حسن بن أحمد بن عبد الله الضمدي والأخرى للشيخ حسن بن أحمد البهكلي ، ونختم هذه المباراة بتحليل وشرح لقصيدة أخرى من نفس الوزن والقافية للشيخ حسن بن أحمد بن عبد الله الضمدي لقصيدته التي أنشأها في مدح الأمير .

قال شاعر مكة :

إلى مدحك الأسمى توجه بي ركبــي	فخيمــت من علياه بالمنزل الرحــب
ورحــت بنــادي الأنس مُنتشيا بــه	إذا ما انتشــى غيري بآنية الشــــرب
على مثـله يصبــو الخلي مفاكهــا	ويهــتز عطفاً منكـب المغـرم الصـب
فمـن درر منظومهــا عقــد جوهــر	ومنثورهـا يزهو على الأنجم الشــهب
ومن أرج يكســو الصَّبَا من شميمــه	ملابــس أعطــار ومن لؤلؤ رطـــب
على أنني ما نلـت ممــا أرومــه	ســوى لمحـة ضاقـت بها دارة الكتب
علوم وآداب ومجــد ومرتقى	لـه خطـرات تستفز بــذي اللــب
وسـيف وإقـدام وخيـل ضجيجهـا	بمعترك الهيجا كشنشــنة الســحب
علـيم بأســرار المعـالي إذا انتهـــى	إلى مطــلب ، والاه بالمطلب الصعب
نعمــا الحســين السيد الوفر بذلــه	إذا كف كف المزن عن غدق ســيب ؟
رحـــال رجـال الطالبـين نوالــــه	يؤمهــم المعروف منه على رحـــب
يباشــر أبكــار المكـارم دائمـــا	يقلبــه الإيناس جنباً إلى جنـــب
فيا للهنــا من دولــة عد شهمهـــا	إذا ابتدرت يوم الطعان إلى الضــرب
ويا للمــنى من حوزة ما ترى بهــا	سوى راغب للمجد بالصارم السرب ؟

حنيناً إلى ذاك المحيا مرددا ... وشوقا إلى المسرى القصي على القرب
تباعدت فخرا وأدّنيت مكارما ... فأنت على كل سماعك لي حسبي
سأستمنح النعما لديك لترتوي ... مسارح قلبي من ندا دائم الصب ؟
ودونك نظما رق لفظا كأنه ... بقية شكوى من مفاوضة العتب
ألذُّ من العذب الزلال على الظما ... وأطيب من وصل الحبيب على القلب
يقدمه مضنى الفؤاد بحبكم ... ولا لوم - يا طب الفؤاد على الحب
وإني لخفاق الجناحين ما سرت ... بوارق من ذكراك يلمحها قلبي
عليك سلام الله ما هبت الصبا ... وما جاد صوب المزن بالمطر العذب

* * *

فعارضه عالم المخلاف السليماني الشيخ الحسن بن أحمد الضمدي :

ركاب المعاني قد أناخت على خصب ... يحف بها عذب الموارد والعشب
وقد أنزلت بين السويدا كرامة ... ولا عجب فالشمس تنزل في القلب
جعلنا تراها إثمداً في محاجر ... لما قد حوت من منطق اللؤلؤ الرطب
وإن أحرمت من مكة عن جلالة ... هناك فقد حلت لدى كعبة الرحب
أهلت بنظم في مديح الذي حوى ... مفاخر قد فاقت على العجم والعرب
حليف الندى نجم العلا قاسم العدا ... إمام الهدى زين المحافل والكتب
فليس له في العالمين مشابه ... يماثله في السلم خلقاً وفي الحرب
فقل للذي يبغي لحاق فخاره ... ترفق فلم تبلغ إلى المرتقى الصعب
متى يبلغ المطري مناقب من له ... فضائل قد نافت على السبعة الشهب
وضافت على ذاك الجلال فنالها ... شذا طيبا أذكى من المندل الرطب
ولما سعت بين الصفا من رياضه ... ومروة مجد أتحفت غاية القرب
وفي عرفات الجود كان وقوفها ... فجاد عليها ذلك البحر بالسحب
ومرت بمن يحلو لديه حديثها ... أسير غرام لا يفيق من الحب
فأشجته إذ رقت فصبت دموعه ... وغير بعيد أن يلقب بالصب
عجبت لها وهي الفصيحة منطقا ... لسامعها تضني وإن صفحت تصبي

فما حور الأجفان إلا لفضلة | من الحسن أهدته إلى ذلك السرب
نسيم الصبا ما اعتل إلا لغيرة | لما قد حوت من منطق للنهى يسبي
أبا بكر هل تلك العقود نظمتها | لتخلب بالسحر الحلال ذوي اللب
أعدت (زيادا) عند نطقك أعجما | وبينت نقص الفاضل المفلق الندب
ولما بدت تختال في وشي طرسها | تعطرت الآفاق في الشرق والغرب
فما (ته دلالاً) ما (عيون المها) وما | (قفا نبك) أو (يا ظبية) أو (ألاهُبي)[1]
لقد كسرت شعر ابن (جابر) في الورى | وما المتنبي بعد عن معجز ينبي
فقل لي أهل أرسلتها خندريسة | تظل الحجى قسرا وتذهب بالكرب
فإن لم تكن هذي السلاف بعينها | فما بال إيجاب النهى خص بالسلب
لك الفضل إذ أبديت كل غريبة | وأمليت منها ما يزيد على العجب
ودونك مني ذا الجواب مقرضا | مديحك كي ألقى الدلاء مع الكرب
أهُز بها جدع العهاد لاجتني | بدائع آداب تروِّح للقلب
وأحيي به قلبا تعاوره الجوى | فعاد من الأشواق في معدن الترب

* * *

وقال العلّامة الأديب الشيخ حسن بن أحمد البهكلي معارضاً :

ألامع برق لاح من خلل السحب | بلى وجه (سلمى) ضاح من خلل الحجب

---

(١) « ته دلالاً » : مستهل قصيدة معروفة .

ته دلالاً فأنت أهل لذاك | وتحكم فالحسن قد أعطاك

و « عيون المها » مستهل قصيدة لعلي بن الجهم :

عيون المها بين الرصافة والجسر | جلبن الهوى من حيث أدري ولاأدري

و«قفانبك» مستهل معلقة امرىء القيس .

و «أياظبية» مستهل قصيدة وهو من شواهد النحو :

أياظبية الوعساء بين جلاجل | وبين النقا أأنت أم أم سالم

و« ألاهبي» مستهل مُعَلقة عمر بن كلثوم المشهورة .

لَهُ وَلَةٌ لكن تدلـه في الهوى | بذاك المحيا فهو في هوة الحب
شِفَاه التفاتٌ في جنان خدودها | وإن تلك في ظل السيوف ذوي الهدب
رميت بها إذ رجحت بحواجب | وقدّ علا ردف كغصن على كثب
يقول عذولي قد سلوت وقد نأت | فقلت نعم ، عن صحة الجسم واللب
فوا حربي من تيهها بجمالها | علي ومن ألحاظها الدعج واحربي
موردة الخدين أما وشاحها | فمنطقة الجوزا الموشح بالشهب
لذلك لا ترضى وكان سوارها | هلال السما ، لله ريانة (القلب)
يغار المها من لحظها والتفاتها | فصار أليفا للفلا خشية العتب
كفاها بأن الحسن فيها منوع | فعيني في روض ، وقلبي في لهب
أرادت لقلبي بانتهاب وفي النهى | بسلب ، فما جهدي مع السلب والنهب
عرفت الهوى طفلا فكيف فراقه | وقد صرت كهلا ، إن هذا من العجب

* * *

لي الله كم أرجو وصال ممنع | بسمر القنا قد شح بالرسل والكتب
حملت الهوى فيه ومالي مساعد | أبث إليه ما ألاقي من الكرب
سميري تراه والغضى من جوانحي | له مرتع ، ليس الغضى مرتع الشهب
يميل دلالا ، عن وصالي ولم يكن | عجيبا ، فإن الميل من عادة القضب
نعمت به بدراً تكامل حسنه | منازله في (الطرف) مني وفي (القلب)
بها ختم الله الجمال وإنها | لشمس ولكن لا تميل مع الغرب
بروحي إذا زارت فضائلها الدجى | وقد قلدت للحسن بالأنجم الشهب
بدت بين هاتيك الرياض عشية | تمايل ما بين الرعابيب والسرب
نمتها إلى الحسن العقائل قومها | كما ينتمي (المولى) إلى مجده الوهبي
أريد به الفرد (الحسين) أخا العلا | مبيد العدا بالسمهرية والقضب
حدى حادي الركبان في نشر فضله | على يمن والشام والشرق والغرب
دنت شرفات المجد منه فحازها | بأجمعها من غير شك ولا كذب
أجاد على العافين من سيب فضله | فهم من عطاه الجم في أرغد الخصب

حديث معاليه بإسناد فتكه	يوم الوغى يروي عن الصارم العضب
يروع الأعادي إذ علا فوق سابح	من الخيل ، بل صاروا ضباعا من الرعب
وعاد لنا النهج القويم الذي مشى	عليه خيار الخلق في زمن الصحب
هداني إلى علياه جم فضائل	فنظمتها في الشعر كاللؤلؤ الرطب
إليك مليك العصر مني قصيدة	مبرأة عن كل خرم وعن عصب
يساجل فيها كل راو وشاعر	بمدحك في شرق البلاد وفي الغرب

* * *

اكتفينا بالمعارضتين المذكورتان عن غيرهما .

قصيدة الشيخ الحسن بن أحمد الضمدي
في مدح الحسين بن علي وشرحها

براعة أم استهللت منعرج الشعب   فسر بي إليه إنَّ في سوحه سربي

قد جمع الناظم بين براعة الاستهلال وحسن الابتداء بالشروط المقررة في مواضعه كما لا يخفى على عارف بالفن ، وقد أبرز تسمية النوع البديعي في أحسن قوالب التورية ، وشنف بأقراط غزلها الأسماع حشمة الألفاظ وعذوبتها ، وعدم تجافي جنوبها عن مضاجع الرقة بين « سِرْ بي » و « سربي » جناس التركيب ، وفي حقيقة أن يكون احدى الركنين مع كلمة واحدة والأخرى مركبة من كلمتين فسربي الأولى مركب من كلمتين سر فعل أمر وبي جار ومجرور والثاني كلمة واحدة .

غزال غزى قلبي فحاز لفتحه   على عنوة والحتف في الفتح للقلب

بين غزال ، وغزى الجناس المذيل ، وهو مازاد أحد ركنيه على الآخر حرفاً في آخره فصار له كذيل ، فهنا اللام في غزال زائدة ، وقد شبه هذا الغزال الذي هو محبوب الناظم ببطل غزى قلبه وجا فتحه لأنه كان مغلقاً بعدم الهوى ، فلما غزاه وتمكن من أثبت فيه الجوى ، ولم يكن فتحه إلا عنوة أي عن قهر وغلبة بقوة سلطان الجمال والحسن ، وقوله : « والحتف إلى آخره » هذه جملة مكملة ، وبين حتف وفتح جناس القلب ، لأن مقلوب فتح حتف كما يشعر به التورية بلفظ القلب في البيت .

فتذكرتي في طب سقمي وصاله   فآه على تحصيل تذكرة الطب

التذكرة كتاب مشهور للشيخ داود الأنطاكي من أجلّ كتب الحكمة فيقول إن سقم الأبدان طبها موجود وصفه في نحو كتاب التذكرة ، وأما طب سقمه الناشيء من الغرام فما هو إلا وصال المحبوب ، فذاك تذكرته التي بها طبه . ثم التفت متلهفاً على تحصيل تذكرة طبه التي بها شفى غرامه زيادة في شكاية الصبابة ، وإشعاراً بأنه لم يبق فيه الهوى أدنى صبابه ، وفي البيت التوجيه .

وعقلي تراه من بني ذهل بدا   يقابله لحظ له من بني حرب

يعني أن عقله قد صار ذاهلاً إذ قابله هذا المحبوب باللحظ الفاتر الذي هو كالصارم المسلول القاطع ، وهو منسوب إلى حرب ، ولا لوم عليه إن ذهل عقله حتى قابل ذلك اللحظ الذي جمع مع الفتور السطوة حتى كأن بني حرب وهم فتاك العرب ، فقد حصلت المقابلة بين القبيلتين اللتين هما ، « ذهل » و « حرب » مع ملاحظته التورية ، وفي البيت من البديع التوجيه .

أشعبان عذال ترى السمع قد غدا لفي رجب لما عذلت على الحب

شعبان في عرف الأدباء يطلق على من يريد التفريق بين الحبيب ومحبوبته إذ هو مشتق من التشعيب الذي هو الفرقة ، ومنه أشعب الطماع لتشعيب ذهنه في أودية الطمع ، فقد جعل الناظم عادله شعبان ، أي كأشعب في الطمع أي يسمع عذله في حبيبه ، وذلك الطمع في التفريق مستحيل ، لأن سمع الناظم قد صار في رجب ، ومن أسماء « رجب » الأصم ، كما هو مشهور عن العرب فقد عبر بالرديف من اسم الشهرين على طريق الجناس المعنوي لأن عذل العاذل عن وصل الحبيب مما لا يلتفت إليه عاقل أريب .

ألست ترى الشمس المنيرة أكسفت لطلعته لما تبدى من الحجب

هذا الخطاب راجع إلى العاذل ببيان البرهان بأن المحبوب لا ينبغي فيه سماع عذل العاذل بملام ومن سمع والحالة هذه فهو معدود من جملة الأنعام وفي البيت من علم البديع المبالغة .

وجوهره الفردي في الثغر نظمه أقرّ به النظام في حسنه الوهبي

لفظ الجوهر الفرد من اصطلاح علماء الكلام ، وقد أنكره النظام من كبار أئمة المعتزلة ، واسمه إبراهيم بن سيار ، والخلاف معروف في محله يقول الناظم أن جوهر هذا الثغر الذي هو فرد في محاسنه وصفاته ، وغاية في حسن انتظامه ، لما شاهده « النظام » أقر بوجود الجوهر ، وكل الأدلة التي أقيمت له على إثباته أبطلها إلا لما رأى ثغر هذا الممدوح المتصور فيه الجوهر الفرد .

أقر وأعترف لأنه برهان لا يمكن جحوده . وفي البيت الإيهام البديعي :

عن ابن (رشيق) قد روى لقوامه مبرد ثغر عنه يسند للشرب

يقول إن قوامه في غاية الرشاقة لأنه قد رواه عن ابن رشيق وأراد بابن رشيق الْغُصْن ، مع ملاحظة ابن رشيق المشهور المؤلف كتاب العمدة فقد حصلت التورية في الاسم سيما مع مقابلته « بالمبرد » الذي هو محمد بن يزيد صاحب كتاب الكامل ، وأراد أن بارد ثغره هذا المتغزل فيه يسند عن الخمر الذي من أسماء الشرب . والخمر مسكِرٌ لا محالة . فثغره البارد رشفه يسكر ويذهب بالعقل وكما حصلت التورية بابن رشيق وقعت في لفظ مبرد فتأمل وفي البيت مراعاة النظير :

قرا نسخة من ورد خدٍ تنمقـــــت   حواشيه بالمسك الفتيت وبالخضــب

يعني الناظم قرأ نسخة من ورد خدود محبوبه ففيه الالتفات البديعي ولما جعل الوجوه الحسنة كالنسخ بجامع البياض على طرق الاستعارة أثبت للنسخة القراءة التي كنى بها عن التقبيل وجعل هذه النسخة التي اشتغل لقراءتها من أجود النسخ لأنها من الخدود الموردة المُتنمقة حواشي ذلك الخد المضمخ بالمسك الفتيت .

وحقق من تلك النهـــود مباحثـــا   يقررها بـ (السعد) في مسلك الكعبي

أراد أنه حقق مع وصاله لتلك النهود ، وعرف ما حفها بجمال الشهود مع تقرير ذلك الوصال الحاصل بالحبيب بساعد السعد ضد النحس ، ولم يزل في ذلك الطالع الميمون ، يتلذذ بطرائق كعاب تلك النهود ، وأن تلك المحبوبة كاعب مع التورية بتحقيق المباحث ، وأن تلك النهود كالأحقاق وذكر « السعد » العالم المشهور ، صاحب المطلول وذكر الكعبي العالم المشهور . من كبار المعتزلة ، وفي ذلك إشارة أن تحقيق مباحث تلك النهود لا يكون إلا مع الاعتزال :

وليس ترى ريحـــانة غير شمـــــه   وقد جربتهـا في الحدائـق للهـــدب

ريحانة الألباء كتاب أدبه غض للخفاجي ، يريد أنه إذا كان تلذذ الأدباء بشم ريحانة الأدب والتطلع على معانيها ، فما ريحاني أيها المغرم غير ذلك المحبوب ، فهو لذتي ، من الدنيا ، الذي ارتاح لشمه وما يلزم عنه الشم ، لا سيما وقد جر ساحباً لهدب ثيابه في حدائق الأزهار تيها وفي ذلك من التنويه به مالا يخفى ، لاستعارة أن شذا الحدائق لا أريج له عند ريحها ، هذا مع التورية باسم الحدائق الوردية الكتاب المشهور ، وفي البيت مراعاة النظير .

وما عود إسحق النديم سوى رقى حديث لها يشفي من الهم والكرب

اسحاق النديم مشهور بإحكام ضرب العود حتى صار يضرب به المثل والمعنى أنه يلتفت إلى صوت « عود » اسحاق كغيره ولا يطرب له ، لأنه لا يرى صوت عود إسحاق غير حديث محبوبه الذي هو رقية من الهم والكرب وشفا إذ ليس كل حديث كذلك وفيه إشعار أن جميع حديثها إنما هو رقية وشفا .

جعلت هواه بالعقيق ولم أفق فدمعي مخلوط به من جوى الحب

جعل هواه كالسلاف ، فلما شربه لم يفق ، استعارة ثم أنه أخبر مع شربه هواه أنه لم يزل يبكي على حبيبه لما اعتراه من لاعج الوجد حتى أن دمعه اختلط بالعقيق الأحمر الجوهر المعروف عبارة عن حمرة دمعه مع إعادة ضميرية إلى أحد معنيي العقيق لأنه لا يحتمل المكان والجوهر ، وهذا استخدام بديعي ، وهو أعز أنواع البديع .

وشام بريق الشام فالقلب خافق كقرط لها لا يستقر من العجب

يقول لما رأى بريق الشام فيها أوطانه فلم يزل قلبه خافقاً من شدة الشوق وفرط الغرام ، كما أن قرط هذا الحبيب لا يستقر من العجب بنفسه لما أعطيه من الحسن الذاتي والمعنوي ، فهو لا يزال خافقاً عجباً والناظم لا ينفك يخفق قلبه شوقاً مع اللطيفة بذكر القرط كما لا يخفى ، وبين شام وشام ، جناس تام ، وبريق تصغير برق لا على سبيل التحقير ، بل على سبيل التحنن والتعطف وفي البيت أيضاً تجنيس الإشارة :

وأذكى له بين الجوانح جمرة شفاء أوام الصب منها على قرب

معناها أنه ألهب ذلك البعد بين جوانحه جمرة نار من الغرام ، وأسند الإذكاء إلى الجمرة مجازاً على سبيل المبالغة ، ليس شفى أوام هذا الصب الذي أنحلته الصبابة غير قرب محبوبه ، فإن تلك الحرارة المعبر عنها بالأوام ولا شفى لها غير ذلك مع التورية .

حليف أسى مذ شط عنهم مزاره يبيت من التسهيد مرتقب الشهب

الأسى هو الفنى ؟ وقد جعله حليفاً له لا يفارقه ، ومبتدى ذلك الضنى هذا بعد مزار حبيبه ففيه استعارة لأنه أثبت على الأسى الخلف ، ويريد أنه لم يزل محالفاً للأسى منذ بعد

عنه – مزار الحبيب بل لا يزال يراقب النجوم من السهر ولا يسهر الليل إلا من به قلق ولا يكتحل عينه بالأرق إلا الغرام وحرقه .

إذا ابن حزام قد بكى رسم منـزل   بكيت على تلك الليـالي التي تصبي

ابن حزام : عروة ، وهو من شعراء الجاهلية ، ولم يزل يبكي الأطلال والمنازل فأنا أخالفه في ذلك ، إذ لا فائدة في بكاها ، بل لا أبكي إلا على تلك الليالي الماضية مع الحبائب لأنها أحدثت له صبوة وكانت في أيام صباه ، واللفظ يحمله السائله على المجهول ، وما أحدث له الصبوة ، وكان في الصبا الذي هو سلطان العمر فهو أولى بالبكى ولو ذهبت ببكائه أحداقه فقليل في جنب ذلك .

سقى تربة (نجران) فيهـا مبكـــر   من المزن يسقي سوحها نافع السحب

التفت الناظم والالتفات معدود من علم البديع ، وكان الالتفات لسقيا تلك التربة التي قد عزت ببناء « نجران » المشيد الأركان فيها حتى صار علماً يضرب به المثل في آحكام صنعته الباهرة وعجائب موضعاته التي تدع الفكر حَائِراً .

وفي ذلك من التنويه بهذا البناء ما لا يخفى على عارف بأساليب الكلام لأن تربة أبي عريش التي هي تخت المملكة ، ودست الإمارة لملوك الزمان التي شهرتهم سارت حيث سار الجديدان خلد الله إقبالهم وضاعف على كرور الدهور جلالهم .

فإذا كان الحال ما ذكر وصار هذا البيت الشامخ ، والغرة في جبين مباني الأرض باذخ لا تنسب هذه المدينة العظماء إلا بالإضافة إليه ، فلا تحتاج بعد ذلك إلى مدح مادح ولا وصف واصف .. ثم قال : إنه احترس بأن تلك السقيا لا تكون إلا نافعة ، لأن من السحب ما هو ضار والاحتراس نوع من أنواع البديع .

ففي سوح (نجران) الجديد مطـالع   من الأنس تنفي للهمـوم من القـلب

ثم بيَّن للبقاع تأثير في الطباع . فلما كانت هذه التربة التي فيها « نجران » محط من ذكرنا ، وهم درة صدف الوجود ، والغاية في المناقب وفي غيرهم ذلك مفقود فلم تزل مطالع الأنس في تلك البقاع تتجدد ، وطائر الفرح والطرب يتغرد ، لا سيما إذا عرج طالب الأنس في البقاع المحادية لنجران ، فكأنه دخل وهو في الدنى الجنان ، وفي وصفه

بالجديد إشعار بأن هذا الجديد لا يشاركه في الاسم من المباني في تلك البلدة ففي ذكر الصفة تكميل لأنها مقيدة .

لم يزل الناظم يتلطف متخلصاً من الغزل إلى التشبيب بذكر الأوطان مواضع الخلاف إلى مدح بانيه على قاعدة صيغ أهل الأدب ، ومعنى أربى : زاد ، بفضله على عربها وعجمها .

وأعني به المولى الحسين أخا العـلا مبيد ذوي البغضاء والجحد والنصب
امامالمعالي خـير ليث عـلا عـلى مطهمـة جرداء في معـرك الحـرب

المطهمة الجرداء من أوصاف جياد الخيل وفي البيت إشعار بأن الممدوح خير من ركب الصافنات الجياد في حال الحرب والسلم ، كذلك بطريق اللازم ، لأن هذه الصفة المادحة غيرها تبع لها ، وبين علا وعلى من البديع الجناس .

عواملـه في كـل يـوم عوامـــل فبـين عـداه صـار راغيـة السـقب

العوامل : الأول جمع عامل . وهو صدر الرمح ، وهو ما يلي السنان يعني أن رماحه محدثة في الأعداء النكاية ، كما أحدثت العوامل النحوية العمل على معمولها ففي ذلك الجناس مع التلميح البديعي بالإشارة إلى المثل لأن المراد براغية السقب ناقة ثمود ، وهو عبارة عن هلاك الأعداء .

لـه خلق كالـروض باكـره الحيـا وبأس غدت أسد الشرى منه في رعب
وجـود بنان يترك البحـر يابسـا ويذهل أنـواع الغيـوث عـن الصب

البيتان غنيان عن الشرح ، وبين خلق ويابس من البديع إيهام الطباق،لأن من لازم لطف الأخلاق اللين والبأس ، والشدة والشرى غابة للأسد ونسبة الذهول إلى أنواع الغيوث من مجاز الاستعارة .

وما (الزرعة) المكي وإن جاد مادحاً بمحص له مدحاً يسـطر في الكـتب

يعني أن أبا بكر الزرعة الشاعر المكي الذي امتدح الأمير بتلك القصيدة غير محص لتعداد مدائحه،لأن مدحه يستغرق الورق والمداد .

وإن حاك نظما في بدائع مدحــه　　　يقصّـر عنها ابن (الفريعة) والهـبي

لفظ حاك من مجاز الاستعارة كما لا يخفى ، وابن الفريعة هو حسان بن ثابت رضي الله عنه ، والفريعة أمه ، والهبي شاعر من فضلاء المائة التاسعة (في اليمن الشقيق) .

فما (بات ساهي) أو (عزيز أسى) وما (مغاني اللوى) أو ما (سقى) ثم أو (عُج بي) .

مثل هذا يعد من التلميح لأنه إشارة إلى قصائد مشهورة فـ « بات ساجي الطرف والشوق يلح » هي قصيدة ابن النحاس ، و « عزيز أسى » إشارة إلى مستهل قصيدة لأبي الطيب المتنبي و « مغاني اللوى » قصيدة معروفة لأبي العلا ، وما « سقى » قصيدة ابن التعاويذي « سقاك سار من الوسمي هتان » .

وقوله « عج » إشارة إلى قصيدة لبعض بلغاء صنعاء مطلعها « عج بي على رمل الغوير وكثبه » ، يريد أن قصيدة « الزرعة » لما تضمنت مدح هذا الخليفة ، فليس هذه القصائد المشار إلى أوائلها عندها شيء .

فيا راكبا يبغي لـ (نجران) قاصــداً　　　على ناقــة تفــلي لناصية الــترب

التفت الناظم إلى مخاطبة المرسول إلى أوطانه ، واستحثاثه بالمسير إلى مرتع أحبابه وخلانه ، والالتفات من علم البديع ، وجعل الناصية للتراب من باب الاستعارة واثبات « الفلي » ترشيح ، وفي ذلك إشعار بأن الناقة جيدة السير سابقة على أمثالها .

عمانيــة كالريــح في شـوط خطوهـا　　　عرندسة تنبي بمـا جاء عن كعـــب

عمانية نسبة إلى « عمان » بلد تجيء منه نجائب الركاب ، وهذه الناقة من ذلك المحل حقيقة ، وقد شبهها في جودتها بالريح ، يعني أن خطوها كالريح المرسلة ثم وصفها بالشدة بقوله « عرندسة » ، وأراد بكعب بن زهير صاحب « بانت سعاد » يريد أن ناقته الموصوفة في قصيدته المشهورة إذا .. قورنت بهذه الناقة فهي تنسى ولا تذكر .

فســر من زبيد غــير وانٍ مشـــمرا　　　ولا تتوقـف في المسـير مـع الركــب
وعـرج على سفح (الحديدة) ناشــرا　　　سلامي على حاوي العلا المفرد الندب
ضياء الهدى حلف المفاخر والنــدى　　　إذا جئتـه يلقـاك بالخـلق الرحـــب

أمر الرسول بأن يعرج إلى مدينة الحديدة[1] لقصد السلام على حاوي هذه الأوصاف « أبي طالب بن علي بن حيدر ، أخي الممدوح المناطة به إمارة « الحديدة » من قبل أخيه ، وفي لفظ « ضياء الهدى » « حليف المفاخر » من علم البديع السجع وهو معروف .

وشد إلى نحو (اللحية) مسرعـــا ففيها الشريف القـرم منقطع الترب

أمر الرسول أن يمر إلى مدينة « اللحية » لقصد جامع هذه الخلال .. « الحسن بن محمد بن علي بن حيدر » ، والقرم رئيس القوم ، ومنقطع التربُ ، المراد به النظير ، يعني لا نظير له من أقرانه وفي البيت من علم البديع الإشتقاق ، وحسن التعليل .

وبكر بها حتـى تبيـت عـلى أبي عريش محـط العز قطعـا بلى كـذب
ودونـك نظمـا أنتجتـه قريحـة من البين قرحى من مفارقة الصحـب
ولم أتـأنق في البديـع لمفخـر ولكن لغـير الضد في البعد والقـرب
وما الشعر لي فخراً إذا كنت عارفاً سـواه ولكني أطـارح ذا اللـب

---

(١) كانت – في ذلك التاريخ – تابعة لإمارة المخلاف السليماني – منطقة جازان –

مساجلة بين إسماعيل بن أحمد الضمدي ورفاقه[1]

بعث العلامة محمد ابن المساوى الأهدل بالأبيات المشجرة إلى العلامة إسماعيل :

إ — ألا إن السواري والغوادي ... قرى للحاضرات وللبوادي

س — سقى ضمد الخصيب ملثُ وبل ... بها ، وسقت هنالك كل وادي

م — مساحب كل منتهم دلوف ؟ ... وملعب كل منسجم العهاد

ا — أما لبست من الديباج ثوبا ... من المخضر من عشب البلاد

ع — عليه من معينة كل نوء ... معممة الهضاب مع الوهاد

ى — يعاهدها ضياء الدين صبحا ... وفي الآصال وهو على جواد

ل — لقد حاز الفخار بغير شك ... واضحى قدوة في كل ناد

فأجابه إسماعيل بقوله :

م — محبتكم منازلها فؤادي ... ورايق لفظكم أقصى مرادي

ح — حماك الله أنت إمام علم ... نعمت وطبت من زاد المعاد

م — مرامي أن أزورك كل يوم ... وأشفي القلب من قُبل الأيادي

د — دعاكم غاية السؤل ابذلوه ... لنا إذ أنت بالإحسان باد

فإن العبد يذكركم بخير ... وينشر فضلكم في كل ناد

فمن ضمد الخصيب أجل واد ... رماه الشوق من سيف الجهاد

بقيت بنعمة لا تنتهي ما ... شدا سحراً على الأغصان شاد

---

(١) القاضي إسماعيل بن أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز الضمدي ، ولد قبيل وفاة والده الشيخ أحمد بن عبد الله ، تلقى العلم عن أخيه حسن بن أحمد وعلى الشيخ بشير بن شبير الحسني ، وعلى القاضي العمراني بمدينة أبي عريش ، ويقول أخوه حسن بن أحمد: « إنه هو الذي اختط قرية الخيمة في سنة ١٢٦٠هـ جنوبي وادي ضمد » ، ويقال : « هي التي تعرف الآن بقرية القمري »[1] ، وإليه كتب العلّامة محمد بن المساوى هذه الأبيات المشجرة بعاليه .

وقد أولع في هذه الفترة بالتشجير كما هو في المقطوعتين أعلاه وسنجد ذلك في باب الشعرفي مدح حسن بن خالد الحازمي حمود أبي مسمار

---

(١) كما أفادني بذلك المرحوم القاضي الشيخ أحمد بن حسن الضمدي أحد أحفاد الممدوح .

المصدر : عقود الدرر .

وكتب إليه القاضي الجليل الشيخ عبد الرحمن بن أحمد البهكلي :

أبى الحب إلا أن يكون لكم رقا
وكاتبني المولى ولم أطلب العتقا

وأعظم خطب غربة الصب في الهوى
فلا راحم القي ولا منصف يلقى

واستعذب التعذيب إن كان عن رضا
واقنع إن كان المنى يورث الشقا

فأجاب بقوله :

نظام كمثل الدر في جيد بضة
تحلى به الصدر الموشح والعنقا

حوى كل لفظ راق معنى وأنه
بحسن بديع القول صيرني رقا

يقصر عنه البحتري وابن ثابت
فسار مسير الشمس إذ طبق الأفقا

يغني به الحادي فيبدي له الشجى
وتسجع عجبا فوق غصن به الورقا

أتاني من المولى « الوجيه » ومن حوى
علوما بها قد فاق عن ذهنه الخلقا

وأصبح في ذا العصر غرة أهله
وقد نال مجداً غيره فيه لن يرقى

يذكرني العهد القديم ولم أكن
بناس لعهد نلت فيه المنى حقا

وطارحت اخوان الصفا في محله
وجاريتهم في الأنس وقت اللقا سبقا ؟



الشعر

شعر المديح

قصيدة حسن بن خالد
في مدح حمود أبي مسمار(1)

هـل الـروض معمـور بأسـنى المطـالب ؟
وهـل زرت سلعـا فـي بـدورٍ صواحـب
وهـل آض روض الحـي مـن بعـد مـاذوى
فأصـبح مجتـاجـا سـليم المعـاطب
وهـل بـت تـرق فـي المعـارج مصعـدا
إلـى نحـو بـدر التـم محمي الجـوانب
فغرتهـا أبهـى مـن الشـمس إذ بـدت
بنـور مضـيء لا كشـمس المغـارب
وتبسـم عـن در نضيـد تخالـه
نجـوم سـماء أو عقـود الكواكـب
وطـرف مريـض صـادني بلحاظـه
ليغـرقني فـي بحـر تـلك الكواعـب
ولكـن جـاري فـي هواهـا غضنفـر
إلـى سـوحه قـد جـد سـير الركـائب
حـليم يفيـد الوافـدين نوالـه
ويكسـو جسـوم الوفـد بيـض الرغـائب
مضـاهي أسـود الغـاب من غـير رهبـة
إذا خـاف أسـد الغـاب من سـيف ضـارب
وأشـبه بالبحـر العظـيم هولـه
ولكنـه لا يعتـلى بالمراكـب

(1) انظر ترجمة « حسن بن خالد » في كتابنا « أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان » ص ٨٦-١٠٢ ، وانظر ص ٤٦٢ من هذا الكتاب .

دنـا مـن جميـل القـول في كل موطـن
بفعـل المواضـي وارتفـاع المكاسـب
أبو المجـد من عـزم وعـز ورفعـة
تـردى ثيـاب المجـد فـوق المناكـب
بعـزم ابن عمـرو في سماحـة حاتـم
بحـلم ابـن قيـس مـع وفـاء لحاجـب
نـأى عـن رذيـل الفعـل في كـل موقـف
لـه فـي رؤوس الغـدر جمـع المضـارب
مـؤدي فـروض الله فـي كـل وقتهـا
ومـردي رجـال مسـتحقي المناهـب
هبـاه إلـه العـرش من فضـل جـوده
وأعطـاه فخـراً بابتـذال المواهـب
مـرادي بمـن سـوى السـماء بقـوة
وأحكمهـا بدعـا باحكـام غـالب
دعـائي بـأن الله يقيـه دائمـا
فيبـني نجـوداً شامخـات المناصـب
وان مـا أردت الاسـم بالرمـز ظاهـرا
وتحقيقـه فيهـا لعـلم لطـالب
فمـن كـل بيـت بعـد بيـت تخلـص
خـذ الحـرف مـن أولاه يـا ذا المطـالب

قصيدة بندر بن شبيب العامري[1]

مادحاً حمود

تردت جديلا حالك اللون مرسلا
وقامت فهزت سمهريا معدلا

تبدت فلما آنستنا تقنعت
وسلّت من الأجفان سهما منبّلا

فما حجبت أحداقها تبتغي التقى
ولكن نقى سهمها لترصد مقتلا ؟

من اللائي لم ترخ خموراً حجبنه
خداعاً ، ويرخين الخمار المهلهلا

ليتركن ذو المجد المنمنع في العلا
رقيقا ويخلبن العليم المبجلا

تنورتُ ليلا في نهار بجفنها
وناراً على الخدين توري وجدولا

حواجبها حجابها وعيونها
عيون تقي ورد الخدود المعشكلا

وشعشع من خلف البراقع كوكب
بدا في جلاليب الجديل مسربلا

يمزق أثواب الدجى عن جبينه
سناه وهل تخفي الغياهب مشعلا

---

(١) وفد من العراق إلى حمود بن محمد أبي مسمار – أقدر أنه في سنة ١٢٢٥ أو في سنة ١٢٢٦هـ ، ومدحه بغرر القصائد ، وكان جيد الحفظ لأشعار الجاهلية والمولدين ، وله إلمام بعلم اللغة والنحو ، وكان على صلة بالقاضي الأديب أحمد بن حسن البهكلي وهو شيعي« أثنا عشري» لا يستغرب منه الغلو ومقالتهم معروفة في علي .

وتبسم عن در نضيد تشربت

ثناياه من ريق الكواعب معسلا

فما اسطعت عن ترشيفه من تصبر

فما صبر صاد ان تنور منهلا

فحالت من الأصداغ بيني وبينه

عقارب تحمي ثغره أن يقبّلا

فلاحظتها حتى تشبث بي الهوى

وأرخت على الخدين دمعا مسلسلا

فما زالت الألحاظ تحمل بيننا

رسائل يسلبن الفؤاد المغفلا

رعا الله أياما تقضت وأربعا

عهدت بها من ريم وجرة مسحلا

لطيف الحشا نهد الروادف أجيدا

شنيب اللمى ري الخلخل أكحلا

إذا نض عنه الدرع في حر لهوه

تسربل مظفورا وبعضا محللا

وإن كان في الأدنان خمراً محرماً

ففي فيه من خمر الجنان محللا

وكم ليلة بتنا ثمالا من الهوى

وخمر اللمى من بيننا مترسلا

فقمنا ولا نخشى على الستر واشيا

ولكن وشانا الدمع حتى تهللا

إذا رمت عنها فرقة سل صارما

من الشوق لا يعدو ولدى الضر مفصلا

وان خطرت أيام لهو لعهدها

غدا كلما ابرمتُ امرا تفللا

وليس لمخلوق يسهل ما يشا
بلى أن يشاء الله أمرا تسهلا
فعذرا أخا المعروف في موقف القضا
فلو كان مطلوقاً لهب وأعجلا
ولو عُرضت زرق الأسنة دونه
لما رام عن وطىء الأسنة معدلا
ولم يثنه عن حزنه لوم لائم
ولو ذات طفل تسكُب الدمع محولا
أغر من الفتيان من آل عامر
كأن محياه الصديع المعللا ؟
إذا ما بكا رنت فكاد بكاهما
تضل له صم الجنادل تهملا
ولكنه يضحى ويمسي كأنما
تجرع من فرق الأحبة حنظلا
ومن بين جنبيه فؤاد مولع
تحمل من ثقل الهوى ما تحملا
يحن إلى رؤيا ابن خيرات كلما
تسمع شاك أو تسمع معولا
حمود دعا للحق يصدع بالهدى
فلباه واجتت الهوى المضللا
فتى خلقت من تربة الجود ذاته
فحال سحابا واكف الجود مسبلا
يهل بأيام النزال صواعقا
وفي السلم يندى الوابل المتحفلا
بنى معقل الإيمان من محكم الهدى
ومجدا على الخطّي رفيعا مؤثلا

يـــرى المـــوت بأطـــراف القنـــا خــــير مطعــم
وأعــــذب مشــــروب فعـــلّ وانهــــــــــــلا
حريـــــص عـــلى أن لا يرى النـــاس ســـــبة
عليـــــه وأمـّــــا ما لديـــــــه مســــــــــبلا
وينقـــــاد للحــــق إنقيـــــاد ابــن ماجــــــــد
ويقتــــاد للهيجـــــا جيـــــادا وجحفـــــــــــلا
وقائلـــــة مــــات النـــــدا بعـــد أحمــــــــد
وحيـــدر والســــبطين قـــال النـــدا بـــــــلى
ولكـــن أحيـــــاني حمــــود بجـــــــــوده
حيـــاة تبلغـــــني المعــــاد المؤجـــــــــلا
وألبســــــني أثـــواب فخــــــر بســـــيبه
مــدى الدهـــــر لا تبـــلى ولا تتبـــــــدلا
فقالــت أحـــــر أنـــت أم تحــــت رقـــــــه
وهــــل حــــادث فـــي الــرق أو كنــــت أولا
فقـــلت بـــــلى رق وآدم فــــي الـــــــثرى
لأ شـــــباحهم مـــن يـــوم قــــال المـــلا بـــلى

وهل ترك المعروف منهم على الورى ... محرر إلا صــار عبـداً مــــذللا
ألستم بنو الزهراء ، أندا وأعلمــــا ... وأفضــل من في الله لبــا وهـــــلا
وأولــى بأمـــر الله من كل آمـــر ... وأصوب خلق الله حكمـــا وأعـدلا
ولـو سـأل التـنزيل عنكم وعنهـم ... لقال : أولو الأرحام أولى وأكمـــلا
ولـو حكموا نص « الغدير » وحققوا ... به لن تضلوا لم يـروا عنــه موئـــلا
وفي حجـة التوديع بلغتــم الهـدى ... بنـص من البــاري وأحمـد فصـــلا
بحصـر فلا عـنّي يـلغ بالــــورى ... سـوى رجـل مـني وغيرهـم فـلا
فصــبراً على الدنيــا فمــا مثلنا بها ... ومثلهـــم إلا كظــل تنقـــــلا
فمــن يعتبـر فيمــا لديه فإنهـــا ... كرقــراق آل تســتفذ المغفـــــلا

وأفخـــر أيــام الفــتى يوم نـــائل ويوم لـدى البـاري أغـر محجـــلا
ويـوم بـه لله نـــــاه وآمـــــر يحقـــق معروفـــاً وينكـر مدخـــلا

* * *

إن هذه المقطوعة الأخيرة تنبىء عن سوء معتقده وتشيعه الفاضح،وهي مقالة الشيعة بتفضيل علي (ض) على الثلاثة الخلفاء الذين سبقوه ، وهكذا الشيعة وما يلهج به عن نص الغدير،وهذه مقالة معروفة وقد أجاب عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية،وفند أقوالهم وإننا أوردنا القصيدة كاملة نقلا عن كتاب الديباج الخسرواني ليطلع القارىء الكريم على غلو ذلك الرافضي[1].



(١) انظر صفحة ٤٠٣ وما بعدها .

المصـــادر :

١ – الديباج الخسرواني .
٢ – عقود الدرر .
٣ – حدائق الزهر .

قصيدة بندر بن شبيب الرائية

هــو المجــد فاخــتره وإن يكــن الصــبر
فصــبر، فكــم صــبر تجرعــه الحــر
ومـا الدهــر إلا هكــذا فاصطــبر لــه
فيــوم يــرى حلــو ويــوم يــرى مــر
ومـا عــن طـلاب المجـد للحــر مذهــب
ولا عــن ســهام المــوت للمتقـي ســتر
ولا لــذوي المجـد المؤثـل تالــدا
إذا قصــروا عــن مجــد أســلافهم عــذر
وإن عــاش مـا عــاش الفــتى فــي مذلــة
فلا عيشــه عيــش ولا عمــره عمــر
فـإن شــيد المجــد الصــوارم والقنــا
تحــكم لا نهــي عليــه ولا أمــر
أرى المــوت خــيراً للعــزيز مــن البقــا
بــدار هــوان لا يعــز ولا يثــروا
شــموس المعــالي مهرهــا المــوت في الوغــى
ومـا دون حــوض المــوت قــط لهــا مهــر
وحــاذر ظبيــات الخــدور ولحظهــا
فـإن بالحــاظ الظبــا للعــلا جــزر
هـي اللحــظ لا تأمــن مخــائل ســحرها
إذا لـم تـك الألحــاظ ســحرا فمـا الســحر
فـإن بإرســال اللحــاظ رســائل
يهــش لهــا (ويــس) ويـصبـو لهــا الحــبر ؟
ظبـا اضمتهــا الخــدور ولا يــرى
ظبــاء الفــلا قبــلا أضمتهــا الخــدر

فمالي وألحاظ الظبا وهي إن رنت
محاجرها بيض وأحداقها سمر
حذار حذار لا يغرك أن ترى
لواحظ غزلان بأجفانها قبر ؟
فكم سلبت ألحاظها من متوج
فأمسى من العليا أنامله صفر
وكم من صليب العود في معقل الحجا
سلبن سويدا لبه الشعر والنحر
سوى أن ترى فجرا إذا النحر أسفرت
وليل مع فجر إذا انتشر الشعر
واضحى طريحا بين معترك الهوى
تنازعن في أسلابه الخضر والصفر
وأغصان كثبان تموج فروعها
كأمراس سفن قد يموج بها البحر
وأكفالها نهد وفحم قرونها
وأكبادها ملس وارياحها عطر
وحاجبها قوس وسهم جفونها
وأحداقها رام وأهدابها وتر
فضاجع رهيفات الظبا واهجر الظِبا
وإن كان في هجر الظبا المركب الوعر
فجد على العليا وصفطها[1] الردا
كجد حمود والمهند محمر
فتى جرد الأفكار عن كلكل الهوى
كما جرد الصمصام والنقع مغبر

---

(١) هكذا في الأصل .

وأورثـــه المجـــد المؤثـــل فـــي العــــلا
حجـــاه وجـــدواه وأيامــــــه الغـــــر

وحـــرب عـــوان مســـــتطير ضرامهـــــا
بهـــا البيـــض حمـــر والأنامـــل تصفــــر

تخـــال هـــوِي البيـــض في جـــوف نقعهـــا
كليـــل هـــوت في جوفـــه الأنجـــم الزهـــر

وإن بـــان للســـادات في المجـــد كوكـــب
لـــه بـــان فيـــه الشـــمس والنجـــم والبـــدر

إذا شـــاهدته الحـــرب ألقـــت وســـلمت
وقـــد صـــار في أكوانهـــا وهـــو النســـر

وإن صـــاح في الفرســـان أصمـــت وأبكمـــت
تخـــال الســـما هـــدت وقـــد قضـــي الأمـــر

وإن أضرمـــت نـــار الحـــروب وأشـــرقت
صوارمـــه أمســـت حرارتهـــا قـــر

وقـــد نفـــرت منـــه الفـــوارس خيفـــة
كمـــا نفـــرت خـــوف القســـاورة الحمـــر

وترجـــع في يـــوم الطعـــان خيولـــه
مســـلمة الأكفـــال مكلومهـــا الصـــدر

إذا شـــيت أن تخـــبر بشـــدّة بأســـه
فـــزره زمـــان الحـــرب حـــين يـرى الكـــر

ليـــوم بـــه الفرســـان تهفـــو جنانهـــم
لشـــد زحـــام الخيـــل قـــد عيـــل الصـــبر

يبـــارق فيهـــا البيـــض والنقـــع داجيـــا
فيشـــرق من إبراقهـــا في الدجـــى فجـــر

وســـمر القنـــا في الدارعـــين صريرهـــا
كصلصـــال رعـــد والدمـــاء لهـــا قطـــر

هنـــاك تـــرى علـم اليقـــين بباســــــه
علـى صفحـــات البيـــض خـــط لهـــا سطـــر
وطـــار عـلى الآفـــاق طائـــر نيلــــــه
كمـــا طـــار فـي أفـــق السـماء الطـــائر النسـر
ومفخـــــر عصـــر لـــو تقـــدم عصـــره
لما كـــان للاعصـــار فـي ختمهـــا فخـــر
وراحتـــــه في وابـــل الســـيف والنـــدا
جوانبهـــا حمـــر وأجوافهـــــا خضـــــر
ففـي بطنهـــا عـــذب المنـــاهل مــــترع
وفي ظهرهـــا مـن وابـل المشـــرفي نهـــر
عجـبت لأضـــداد بهـــا قـــد تجمعــــت
فللمـــرتجي بحـــــر وللمعتـــدي جمـــر
ســـنين أمضتنــــا كســـبعة يوســــــف
وكـــان لهـــا عصـــــر وأنـــت لهـا عصـر
وأعظـــم أســـباب الوفـــود لقاكـــــم
وإن كـنت للحســـنى وجـــودك مضطـــر
فهـــذي عـروس أقبـــلت فـــي لآلـــىء
مـن المـــدح لا نظـــم حكاهـــا ولا نـــثر
فمــا قالهـــا الكنـــدي ولا قـــال مثلهـــا
لبيـــد ولا الطـــائي وليـــس بهـــا نكـــر
فزفـــت إليـــكم رغبـــة فـي علاكـــم
ولا شاقهـــا زيـــد ســـواكم ولا عمـــر
فخذهـــا بتعظـــيم وعظـــم قدرهـــا
عـلى قـــدر التعظـيم يشـــتهر الشـــعر

قصيدة الشيخ حسن بن أحمد بن عبد الله الضمدي

التي مدح بها أميره الحسن بن علي بن حيدر

ما هز للسيف بين الخيل والخـــول ... مثل الحسين الشريف الفارس البطل

أنظر وقائعه في كل معركـــــة ... تحيـى المآثر من صفـــين والجمـــل

لا يرهب الجيش إن قلوا وإن كثروا ... ما مثله أبداً في الناس من رجـــل

ليث إذا صال في يوم الوغى ولــه ... كـف كـريم كمثـــل العارض الهطل

يلقى الحروب بوجه باسم طلـــق ... ولا يداخله شـيء من الوجـــــل

أروى القواضب من نحر العدا ولقد ... غذى بذلك للخطـية الذبـــــل

هذا هو النصر لا من بات مفترشـــا ... ذات الخمـار على التعطير والقبـــل

انا نهنيك بالنصر الذي افتخـــرت ... به الليـالي على ذي الأعصر الأول

وهو المبشر بالفتح المبـين لكـــم ... ونيـلك الملك في مســتقبل الأجـل

لاقيـت قومـا أخافوا الخـلق كلهـم ... فلم يلاقوا بغـير الـذل والفشـــل

حملت بالخيـــل فيهـم غـير منعطف ... ولوك أدبارهــم خوفـا من الأســل

فروا سراعاً ولم يلووا علـى أحـــد ... وما لهـم بك عند الحرب من قبـــل

وأصبحـوا عبرة بين الورى وهـــم ... قوم تعدوا بما جـــاءوا من الزلـــل

ودم معـاف على خـير وفي نعـــم ... في الملك في خصب عيش غير منفصل

فأنت ليث الوغـى في كـل نائبـــة ... نعـده لدفـاع الحــادث الجـــلل

وان أيامـك الغـراء لنـا غـــرر ... إذ صـرت زينة أهل العصر والدول

وهـاك نظـما يســيرا قد تضمنــه ... مـدح لعليـاك في وقـت على عجـل

شعر الطرائي



القاضي عبد الرحمن بن حسن بن علي البهكلي[1]
يرثي الأمير منصور بن ناصر الخيراتي الحسني

لقد أبى الضيم ماضي العزم والجلد … وحل من شرف العلياء في صعد
أشم يشمخ عزاً أن تلامسه … هوج الرياح فما ذا شأن كف يد
لا يمتطي غير سرج الأعوجي ولا … تراه معتقلا غير القنا الملد
يصبو إلى المجد والعلياء ناظره … حتى ينال ذراها غير مضطهد
يأتي غمار العلا قسرا وإن نكصت … عنه الجياد تراه وارد الثمد
مثلم سيفه عند الرهان فلا … تداس أعقابه في الرفع والوخد
يغشى المهم بقلب غير منفهق … عن الثبات وعقل كامل الرشد
يأبى الدنية حتى لا يصاحبها … ولا يغمض عينيه على ضمد
ولا يصعر خديه على أشر … ولا يبيت على الاقتار ذا حرد
طابت مساعي علاه إذ منابتها الـ … ـصريح من مضر الحمراء ومن ادد
أرومة من قصي عيصها أسل … في ركنها شرف العليا والسند
ثبت الجنان كريم الخيم مافعلت … بك العلى بعد أن وافتك طوع يد
ماذا الذي عملته فيك فانخزلت … ويحاً لها ، كيف تقضي عزها الأبدي
أنت الذي ضربت فسطاس نخوتها … عليك أيام عين الدهر في رمد
كانت تراك حرياً أن تقود لها … شم الجبال على بطحاء ذي وهد
وأنت والله أهل أن تبلغها … فوق الذي طلبت من منتهى الأمد
لك الأيادي عليها إذ بنيت لها … بيتاً على هامة الجوزاء ذا عمد
ما كنت أحسب أن المجد يقصده … صرف الزمان بطرف فيك منتقد
كنا نعد الليالي منك هائبة … كما يهابك ذلا زائر الأسد
وان أم الليالي عنك حائدة … عن أن يصيبك سهم البين بالقصد
لكن تنافس في علياك صاهلة … من الجياد وتخت الملك ، عن حسد
وزاحمت فيك غايات العلا شرفاً … فما رأتك محلا عن علا عدد ؟

---

(١) انظر ترجمة عبد الرحمن البهكلي ص (٧٦) ، وراجع ترجمة منصور بن ناصر ص ١٢٨ من كتاب « نفخ العود » ، دراسة وتحقيق العقيلي ـ الطبعة الثانية .

فأسلمتك يد العليا فائضة[1] خوف اشتراط وقد تسمو يد الحقد
وصيرتك صريعا حول جندلة تاهت بقربك منها فوق ذي حيد
ضنت بك الهضبات الشم حين غدت تحنو عليك وقد صانتك عن وهد
ما كنت تخفى على عاف ومنتجع بل كنت في كل حال ظاهرالجسد
فآلت الأرض أن لا زال ظاهرها مضمخا بك لا يلوي على لحد
ففي الحياة ظهور شامخ بذخ وفي الممات ظهور البدر في الكبد
كذا العلا حين لا ترضى مفارقة لماجد، وهو فيها بيضة البلد
وليعتبر بك يا ليث العرين فتى له إلى طلب العلياء فضل يد
تالله لو ملكت كفاك عاملها حين اعتلا بك نعب الصارخ الغرد[2]
لكنت تارك راميها بمصرعه طعم الجبارى وأشلاء لذي لبد
فلعيظم الأجر كفو الرزء لو قصمت به ظهور أولي اللامات والسرد
لو كان يملك يوم الروع ذو حدب عليك منه فداءً ، كنت خير فدي
لهان فيك الذي فوق الورى وسخا من ضن بالنفس أو (بالطرف) والتلد
لكن جرى حكم الباري وقدرته أن لا يقاوى صريع الحادث العتد
فليهنك الخلد في دار النعيم مع خير العباد أبيك السيد السند[3]
وفي جوار علي والبتول ومن حلت بهم في معاد ، رحمة الاحد[4]

---

(١) في نسخة نفح العود « فائضة » وفي نسخة الديباج الخسرواني « عائضة » . جرى التنبيه .

(٢) في احدى النسخ (الصارخ الغرد) وفي النسختين الأخريين (الصادح العتد) جرى التنبيه .

(٣) راجع كتابنا (محاضرات في الجامعات والمؤتمرات) ص ٣٤ وما أوردته عن صحة تاريخ معركة الملاحة وصحة تاريخ وفاة حمود والذي أوردنا فيه ما نصه (... تجمع مصادر تاريخ الجنوب بأن حمود توفاه الله بعد أيام من انتهاء تلك المعركة التي خاض غمارها ، وقد ابتدأت به علة المرض وأن وفاته كانت في يوم الاثنين الموافق ١٤ ربيع الأول سنة ١٢٢٣هـ - ١٨١٨م .

(٤) الشيعة شأنهم في مقالاتهم في علي وذريته معروف وهذا البيت والذي بعده من غلوهم في التشيع والشاعر يقصد بأبيه هنا « بالسيد السند » رسول الله ﷺ والآية القرآنية تنافي ذلك قال تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ سورة الاحزاب من الآية الكريمة رقم ٤٠ .

أما البيت الذي بعده والذي جعل المتوفى في جوار علي والبتول رضي الله عنهما فهو من التجاوزات والغلو بما لا يزيد عليه وإلا فكل من توفاه الله سبحانه ينتقل الى رحمة الله وجواره لا جوار علي والبتول لأنهما في جوار الله سبحانه وتعالى وهم بشر كغيرهم ليس لهم نفع ولا ضر .

العلامة الأديب يحيى بن محمد الأمير القطبي[1]
راثياً شيخه أحمد بن عبد الله الضمدي

ما لي أرى نشـــر العــلوم قــد انطـــــوى
تحــت الـتراب وقــد وهــت منــه القـــوى
لــو فـــات أحمــد نجــل عبـد الله مــــن
جـل العــلوم عـــلى فوايدهـــا احتـــوى
العــالم الحــبر المصـــين لعلمــــه
مــن غــير كــتم بــل أفـــاد ومــا طـــوى
لو قيــل ما يـأتـي الزمـــان بمثـــله
قلنـــا صحيـــح لا يمـــاري مـــن روى
قــد صــح نقــص الأرض مــن أطرافهـــا
فأقــول لِمـــا أن بباطنهـــا ثـــوى
يا قــبر أحمـــد كـــم حـــويت محاســـنا
طـــوبى لقـــبر مثــل ميتــك قــد حـــوى
مــا أنــت إلا روضـــة قـــد زخرفـــت
لقــدوم شــخص مخلــص فيمـــا نـــوى
وهـــو الصـــفي حبـيب كــل موحـــد
للـــه لا يصـــغي إلى داعـــي الهـــوى

---

(١) ترجم له الحسن بن أحمد الضمدي في الديباج الخسرواني ونعته بقوله : « هو من أدباء العصر وممن فاق الأقران في إجادة النظم والنثر مع ذهن حاضر ، وخاطر إلى إبراز اللطائف مبادر ، وله بالفروع وعلم الحديث إلمام ، وأما معرفة أيام الناس ، وشعر المتقدمين والمتأخرين من الأدباء فله الاطلاع التام ، أخذ عن علماء زمانه مثل الشيخ أحمد بن عبد الله الضمدي،والشيخ عبد الرحمن بن أحمد البهكلي ، وغيرهما كان نادرة زمانه ، وأصمعي أوانه ، وله قصيدة من بحر الرجز طويلة ردا على بعض معاصريه في اعتراضه على الشيخ العلامة أحمد بن عبد القادر الحفظي،على قصيدته التي أسماها«جواهر اللآل في مدح الآل » – راجع ص ٥٦٣ قبل هذا .

مـا كــان إلا عامــلا بعلومــه
مـا الديـن والدنيـا لديـه عـلى سـوى

لا والـذي بعـث النـبي محمـداً
وأقامـه للرشـد يهـدي مـن غـوى

وبـأن أحمـد تابـع لطريقـه
مـا راغ قـط ولا عـن الرشـد ألتـوى

بـل طلـق الدنيـا وصـرم حبلهـا
ولداعـي الأخـرى توقـع وارعـوى

مـا شـأنه إلا التفـرغ دائمـا
لعبـادة المـولى الـذي فلـق النـوى

أحيـا الليـالي بالقيـام وبالضحـى
أحيـا المـدارس بالقـراءة واسـتوى

ما همـه إلا الافـادة دائمـاً
للمسـتفيد قـرأ المـنزل أو روى

بحقـائق ودقـائق قـد حازهـا
صـدر عـلى صـدق الحديـث قـد احتـوى

حـتى دعـاه إلى الكرامـة ربـه
فأجابـه يسـعى إلى ظـل اللـوى

فرحـا يلاقـي ربـه بصحيفـة
بيضـا حاملهـا عـن الفحـش انـزوى

ناديـت لمـا أن رأيـت ديـاره
تحـكي لنـا عـن طيـف أحـلام الـرؤى

أيمـت أبنـاء المـدارس كلهـم
وطويـت أحشـا المريـد عـلى الطـوى

الله أكـبر كـم قلـوب أودعـت
خفقـا عليـك كمـن باهـلك من حـوى ؟

فالله يجبر كسر كل مخلف

من كل ذي قلب على الحزن انطوى

وحباك رب العرش منه برحمة

وسقى ظماك بشربة الحوض الروى ؟

وعساه يجمع شملنا بك في غد

وكلنا في جنة المأوى سوى

في زمرة فيها النبي محمد

صلى عليه الله ما نجم هوى

مع من أحب المرء يحشر قد حكى

هذا نبي لا يقول عن الهوى

المصادر :

١ - الديباج الخسرواني - مخطوط -

٢ - حدائق الزهر - مخطوط -

الشيخ عبد الرحمن بن أحمد البهكلي
يرثي والده القاضي الأديب أحمد بن حسن بن علي البهكلي

هل ينعم الرسم الخلي الداعيـــا ... أم هـل يجيب الدارسات مناديـا
يا دار أهل العلم أين تيممـــوا ... سكانك الشـم الكـرام مسـاعيا
ماذا الذي أقوى المنازل عنهـــم ... فضلت بعد الأنس قفـراً خاليـا ؟
أين الأولى عمـروك بالتقـوى أمـا ... كانت أياديهـم تنيـــل العافيـــا
كانوا النجـوم السـافرات وكان من ... هـو بدرهـا يهدي الضليل السـاريا
قد كـان ركنـا للعلـوم وبانيـا ... بيت العـلى أكرم بركـن بانيـــا
كـان الإمـام المقتدى بكلامـــه ... في البحـث ان صـار المقـدم تاليـا
كان المعد إذا الفهـوم تحـــيرت ... وإليـه تنهـى المشكلات كمـا هـي
كان الكريم إذا أنـاخ ببابـــه ... العـافي وكـان لذي العشـيرة كاليا
كـم عاش في الدنيـا وفـي أكنـافه ... عاش الحـويج عن المسـائل غانيـا
قد كـان يثـني كفـه أن تنثـــني ... عـن بذلهـا المعـروف بذلا جاريـا
فرداً غـدا في المكرمـات وقد ثنى ... فاعجب له إن صـار فرداً ثانيـا
حمـال أثقـال المغـارم ما عنـــت ... إلا وكـان بهـا يفـك العانيـــا
القـانت الأواه فـي محرابـــــه ... والعـابد السـجاد ليـلا وافيـــا
السـابق التـالي كتــاب إلهـــه ... فهـو الفـتى السباق فيهـا التاليـا
كنـا بعيشـته إلـى دعواتـــــه ... نأوي فلا نخشـى زمانـاً عاديـا
إنـا لنتـقي الخطـــوب برأيـــه ... ونـداه ان دهـم الملم الوافيـــا
حـتى دعـاه إلهـه فأجابـــــه ... يا حبـذا عبـدا أجاب الداعيـــا
فانهـد ركـن قواي لمـا أن قضـى ... نحبـا وفارقـت الامـام القاضيـا
وطفقـت أطلب أن أكـون فـداءه ... لو كـان ينفـع أن أكـون الفاديـا
نفسي الفداء لوالدي وبطـارفي ... أفدي وتـلدي والبنـين وماليـــا
أسـفا عليـك أبي أسلت مدامعـي ... وسـهرت من ألـم المصـاب لياليـا
وتقطعـت حزنا أواصـر مهجـــتي ... وفقـدت عقـلي عند ذاك وحاليـا

إذ كان عدتي التي أسطو بها أني اهتديت علمت زاد معاديا
أنشدت عند مصابه ما قالت الزّ هرا البتول لدى المصاب الداهيا
صُبت عليّ مصايب لو أنها صبت على الأيام عدن لياليا
ثم انثنيت مخاطبا لضريحه يا قبره الحاوي العليم الحاويا
أصبحت تهبط فيك أملاك السما لتخص بالبشر النزيل الثاويا
والروح والريحان فيك ونسمة تهدى من الرب الرحيم مراضيا
فلذاك أضحى قبر أحمد روضة وعراص تربته شميما ذاكيا
ماذا على من شم تربة أحمد ان لا يشم مدى الزمان غواليا
اني أعزي النفس عنه بذكرها موت النبي وكان ذلك كافيا
....الخ

المصـدر :
عقود الدرر .

شعر الإخوانيات

جواب الشيخ عبد الرحمن بن أحمد البهكلي
على بعض أصحابه

زلالا سقينـــا مـــن معانيـــك أم نـــــــدا
شـــممناه أم زهـــرا مـــن الروض أم رنـــــدا

بـلى ذاك نظـــم جـــاء من خـــير ناظـــــم
جنينـــا بـــه فاشـــكر لناظمـــه حمـــــدا

همـــام هـــو النظـــام في ســـرد نظمـــه
وأحمـــد منـــه فـــي الســـباق إذا عـــدا

حميـــد المســـاعي مـــن ســـما فـــرع جـــوده
وصـــار لـــه فـــي كـــل مكرمـــة اســـدا

فمـــا زال ســـباقا إلـــى كـــل غايـــة
ومعروفـــه النـــامي لوفـــد العـــلا رفـــدا

يقـــيم إذا ما أنهـــد ركنـــا مـــن العـــلا
ويبـــني أســـاسا للمعـــالي قـــد أنهـــدا

حكـــيت معـــان أيهـــا الحـــبر لـــم ينـــل[1]
ســـواك ذراهـــا .... أنـــت لنـــا فـــردا

وقلدتنـــا مـــن فضـــلك الـــدر أسمطـــا
زهونـــا بـــه فخـــرا وتهنـــا[2] بـــه مجـــدا

وقـــد حـــررت أقلامـــك الغـــر نحونـــا
معاهـــد أنفـــاس نعمنـــا بهـــا عهـــدا

أدرت كؤوســـا مـــن ودادك طالمـــا
رشـــفنا بـــه تأكيـــد ود عـــلا ودا

---

(١) كلمة غير معروفة في الأصل

(٢) في الأصل كلمة غير معروفة فأبدلناها بكلمة « تهنا » من التيه .

يحـــن إذا ما حـــن شـــوقا إليكـــــــم

ويســـــتوقف الركـــب المجـــد إذا شـــــــــدا

لـي اللـــه دهـــرا لـم يجـــد لـــي بوقفـــــة

وعصـــــر زمـــان لـــم يـــدع للنـــوى حـــــدا

فغـــرس ودادي في رياضـــــــك باســـــــق

ونشـــــر ثنـــائي يبعـــث الشـــوق والوجـــــدا

ودم رافـــلا في ثـــوب عـــز مكـــــللا

بتيجـــان أعـــــلام الكمـــال بـــلا نـــــدا

الشيخ حسن بن أحمد الضمدي
مهنئاً شيخه العلّامة المجتهد
الشيخ محمد بن علي الشوكاني
بعيد الفطر

أراك لدى ذكر الأحبة تطرب ... وقلبك في وادي الغرام يقلب
تعلل نفسا بالوصال تمنيا ... ودون الذي تهوى رمال وسبسب
يكلفه حمل الصبابة والهوى ... إلى فعل شيء دونه الروح تسلب
وبالرغم هذا البعد مني وانهم ... لما بين هاتيك (الاثيلات) طنبوا
إذا صدحت فوق الغصون حمامة ... فعن كل ما أخفيه باللحن تعرب
وقد مر دهرُ كم حلالي بقربهم ... ولا أشتكي هجرا ولا أتعتب
فما الأنس إلا بالتداني لأنه ... كمدح جمال العصر للناس يعذب
مفتق أبكار العلوم وحافظ الـ ... ـزمان ، ومن عنه المكارم تنسب
مجدد هذا القرن لولاه في الورى ... لطارت بكل العلم عنقاء مغرب
إمام له في كل فن مصنف ... يريك به الإنصاف لا يتعصب
لك الخير قد أحييت سنة أحمد ... وأظهرت منها ما على الناس يعزب
وكابدت فيها كل هول من العدا ... وناصر دين الله لا شك يغلب
ففضلك مثل الشمس يا بدر قد غدا ... مطالعه بين الورى ليس تغرب
وقور فلا داعي الهوى يستفزه ... ولا إن أتى ما يذهل الناس يرهب
وأقلامه للمشكلات كعضبه ... بيوم الوغى عند التزاحم تقضب
وأخلاقه منها النسيم تكسبت ... ومن نشرها زهر الربى يتطيب
لقد سارت الركبان حقا بذكره ... وراحت به الأمثال في الناس تضرب
ليهنك هذا العيد ، والعيد عندنا ... بقاؤك في أوج العلا تتقلب

المصدر : من مجموعة أشعار حسن بن أحمد الضمدي .

قصيدة خيرى الزمار الجيزاني[1]
إلى الشيخ أحمد بن عبد الرحمن صائم الدهر

يا صائم الدهر قلبي لا تفطره ... رفقاً فشعرك بالأعراض يشعره
فجد لمطلق دمع بعد عبرته ... بنفحة من وداد منك تؤسره
ولا تلم دمعي السفاح ابيضه ... اذا تمضر فالذكرى تحمره
قلب أحبك من بعد على صفة ... وقد نحاك جميعاً لا تشطره
قد خندق الحب فيه في المغيب ... وفي الأفكار شخصك قد أضحى يصوره
في صفقة الود لم يخسره بائعه ... وجذوة الوجد بالغالي تسعره
وإن اتاك بشر العذل ذو حسد ... ففي مودة (خيري) لا تخيره
كررت في قطرنا نظماً تتابعه ... وهو النبات فيحلو لي مكرره
مهلاً فانك كعب في فصاحته ... ولفظك الروض والمعنى يزهره
وهاك رق نظام أنت مالكه ... وفي ودادك أقلامي تحرره
وأن يلح يا جميل الحب في غزل ... قليله بالجوى عندي يكثره
ثم الصلاة على شمس الوجود ومن ... بالحب قد راح لب القلب يعمره
محمد المصطفى والآل ما لمعت ... بروق رامة للمضني تذكره

فأجاب الشيخ أحمد بقوله :

لا غرو ان صرت ما أخفيه أظهره ... فقد أتى ما لقلب الصب يسحره
وذاك نظم تعالى أن يشبه بالر ... وض الأنيق الذي قد راق منظره
نظم تودّ نحور الغانيات بأن ... تحل منها محل الحلي اسطره
فلو تجدد معناه ونظمٌ في ... سلك لأزرى اللئالي الرطب جوهره
وافى فأسكر عقلي عند رؤيته ... ما كنت أحسب أن اللفظ يسكره

---

(١) الشيخ العلامة الأديب خيري زمّار بفتح الزاي وتشديد الميم وآخره راء . التهامي الجيزاني . قال صاحب نشر الثناء الحسن :كان صاحب الترجمة من علماء وأدباء بندر جازان،وكان شاعراً أديباً فصيحاً مجيداً لم تكتحل عين الدهر في وقته بمثله في الأدب،وكان حسن المحاضرة مجالساً للشريف الحسين بن علي بن حيدر وكاتباً له،إلى أن مات في سنة ١٢٧٣،ثم لازم أولاده من بعده،وكانت بينه وبين السيد الأديب أحمد بن عبد الرحمن صائم الدهر مشاعرات ومكاتبات .

وكنت معدم دهـري قبله فأرى كنزاً نفيساً فإني اليوم مؤسره

وصرت سلطان في عصري ولا كذب فمـال (جـازان) وافاني معشـره

وزال شري ووافى ما اريد فيهنـا ني وقد جاء من (خيري) موفره

رب الفصـاحة والنظم الذي غرقت في بحـره فكر الكنـدي وابحره

فـاق الأوائل في فهـم وكيف وقد أتى بما لم يكن قدماً تأخـره

يـا من أشـاد بقلبي وصفه غرفاً والآن حل بما قد كان يعمـره

وافى النظـام الى الصـب العميد بكـم فأصبح الشـوق يطـويه وينشـره

اني (لصائم دهري) عن سواك وقد أسـحرت قلبي والذكرى تفطره

وقلت اني كعب في النظام فأنت الرأ س يا من سـما الجـوزاء مفخره

تالله معنـاك يا (زمّار) أطـربني وأظهـرت مقلتي ما كنت أضـمره

وما أشرت إلى قول العـذول نعم بحـر المـودة لا شيء يكـدره

ثم الصـلاة على أعـلا الورى حسـباً محمـد المجتـبى من طـاب عنصـره

وآلـه الغـر والأصـحاب يبلغهم أزكـى السـلام وأوفـاه وأعطره

ثم أجاب صاحب الترجمة بقوله :

مَعرَّف الوجـد لا شيء ينكـره فما تعظـم منـه لا تصـغره

يكفيـك اني فـرد في صـبابته فليس يثـنيه لـوم أو يغـيره

حوشـيت من ولـه في القلب أضـمره يا بـدر فيـك ودمع الطرف يظهره

يا عـادل القـد أخفـرت الذمام به والحـب لحظـك في قلبي يجوره

أحـين وجهـت أشـواقي اليـك بعصـ ـر الشـيب رحـت لمـن يهـواك تهجـره

فطـرت قلبي وما اسـأرت منه غـدا (لصـائم الدهر) بالألفـاظ يسحره

رب البيـان فريد الدهر من خضـعـت لفضـله حقـب المـاضي وأعصـره

فـرع من الدوحـة العظمى ترعرعـه لا غـرو ان فـاق كل الخلق مفخره

من آل طـاهر سـادات الأنام فهم في الفضـل والمجـد والعليـاء معشره

أحبـار علـم لو اسـتقصى فضـائلهم ذو منطـق ضـاق بالتحبير دفتره

يا من أدار كـؤوس النظـم مترعـة وهـكذا كل صـاح منه تسكره

نظـم سـبكت لآلىء نظمـه فغـدت عقـداً على أن معنـاه يشـذره

كـأنما اللفـظ رق أنت مالكــه	فيما تحـاول تنهــاه وتأمـره
ان يـزه لؤلـؤه طـي الرقـيم فقد	أهـدى لنـا طيب النفحـات عنبره
تعـرّف يســخط الراضـي ومعـرفة	تـروي زهـيراً وللنـامي تحقـره
أما تـكن أنت سلطان النظام فدع	غـيري فذلـك عـار لا توزره
وقلت كعـب فلا أني عـدلت بـه	لمـا نحـيت ولا قـولي يدوره
فـإن يكـن فاتك المعنى فلا عجـب	الـدر في البحـر لا يخشى تغيره
انى لســالم جمع الود أبســطه	حاشـاك تمـزج ودي أو تكسـره
وما قصـدت بتعريفي بلـوغ منى	إلا لأنـك قصـر الـود تعمـره
وهـاك من مال جازان (متاجرة)	عـد العقيدة اني اليـوم بنـدره؟
تجـار مـالي ترجـو ربح مكسـبها	منـكم فتـمو اذا وافى معشـره

وأجاب الشيخ أحمد بن عبد الرحمن ثانياً بقوله :

يتـيم حبـك لِمْ بالبيـن تقهـره	وسـائل الدمع في خـديه تنهره
متـيم فيـك أخفـاه الجوى سـقماً	لـولا الأنـين لمن يأتيـه يظهره
صـب يواصـل فيك السهد من شـغف	أمن يواصـل قل لي كيف تهجـره
جهـزت جيش غرامي علّ أملك ذا	ك الثغر من لي وذاك الجفن يكسره
من أجله راقني برق العذيب دجـى	لولاه ما راق للعينين منظـره
كـررت في ثغـره وصـفاً ولا عجب	فانـه في فمـي يحـلو مكـرره
وعـامل القـدّ عنـا مـال عـادله	جـوراً ونحـن على ذا اللين نشكره
ولـم يزل حـاملاً للحـرب آلته	فاللحـظ ابيضـه والقـد أسـمره
بديع حسـن أرانـا خـده عجبـاً	مـاء ترقـرق في نـار تسعره
والليـل من شـعره المسـود مظلمه	والصـبح من فرقه الوضـاح مسفره
وردفـه موسـر والخصـر في عـدم	لله معـدمه لطفـاً وموسـره
حـديث عشـقي صـحيح في محبـته	وعـاذلي بـان بالتزويـر منكره
حبي له لم يـزل طول المدى ولمن	كسـب العلا وطلاب المجد متجره
رشــيد أهل العـلا مأمونهم وبـه	الفضـل يحيى خضـم الجـود جعفره
إن شئت تعرف عن أهل الندى خبراً	فالمبتـدأ هو حقـاً وهو مصـدره

مـديد عـلم طـويل البـاع كامله ... خفيـف طبع بسـيط الجود أوفره

من جاء يلق بحـراً عـمّ طافحه ... جـوداً وطـيب ثناه فهو عنبـره

وفي الفصاحة ما قس بن سـاعدة ... الا بليـد ضـعيف الفكر أحقره

وفي بيـان المعاني ما البديع وان ... تاهـت به عند أهـل المجد أعصـره

لله من جهبـذ ان فـاه منطقـه ... أبـدى لـكل بليـغ ما يحيـره

يحكي نسيم الصبا لطفاً وقد عبرت ... على مدائـح روض راق مزهره

وفي الحماسـة ما نجل الحسين وان ... أربى على كل ذي قول تبحتره

فكري يقصـر عن احصا مناقبـه ... وان أطـال أتـاه ما يقصـره

ولو دعـيت بفكـري كل مكتتـب ... وصـرت أنظـمه مدحاً وأنثره

يا غـائباً بعـدت عـني مرابعـه ... وشـخصه لا يزال القلب ينظره

وافـت فريدتك الغـرا التي قصـرا ... عن درك عنصرها كسرى وقيصـره

حالى بها مثلما يعقوب حين رأى ... قميص يوسـف اذ وافى مبشره

وقـولكم فاتنى المعنى عجبت له ... ولفـظكم واجب عـندي تدبـره

كعـب هو ابن زهيـر من قصائده ... بانت سـعاد،فهل ذا القـول أنكره

وانما كان قـول الرأس أنـت نعم ... أردت هضـما لطبـع النفس أقهـره

يا أهل تلك الربى طال البعاد فقد ... أضـنى وجـار على ضـعفي تجبره

فهـل لصائم دهـر في ربوعـكم ... عيـد وفيـه لهذا البين تنحـره

ما زلـت أطلب من مولاي رؤيتكم ... اذ أنتم قـوم من أهوى ومعشـره

خيري لديكم فـلم لا لا أحـن الى ... ذاك المقـام وفي قـلبي تخطـره

ثم الصـلاة على من لاح كوكـبه ... وآدم قـط لم يوجـد تصـوره

محمـد المصـطفى والآل قاطبـة ... مع الســلام بـلا حـد نكرره

انتهى . وكانت وفاة صاحب الترجمة في بندر جازان تقريباً في آخر القرن الثالث عشر رحمه الله وإيانا والمؤمنين آمين .

قال الشيخ أحمد بن محمد الضحوي[1]
مراسلاً الشيخ أحمد بن عبد الرحمن
(صـــائم الدهـــر)

ظبي تملك للجمال بأسره ... ففدى الفؤاد موثقاً في أسره

واستعذب التعذيب لما أن رأى ... طول انقيادي في الهوى لأمره

أسر المنام وأطلق العبرات إذ ... عكس القضية لم يزل من مكره

ريم رمى قلبي بسهم جفونه ... فأصابه جرح ولما يبره

القلب منزله ويسعى جاهداً ... لخراب منزله وهدم مقره

صار الأنام جميعهم بوجوده ... مستبشرين وقائمين بشكره

عمت فواضله لهم فنهارهم ... من وجهه ودجاهم من شعره

وإذا رنى سل المهند لحظه ... فيخاف كل مدجج من غدره

وإذا تثنى قده من لينه ... فضحت رشاقته ذوابل سمره

والروض فيه جُمعت أفنانه ... منه بوجنته ومنه بثغره

---

(١) أحمد بن محمد الضحوي المعافا ولد سنة ١٢٣٣هـ في مدينة أبي عريش فاستظهر حفظ القرآن الكريم ، ثم درس على الشيخ العلامة محمد بن علي العمراني شتى الفنون والمعارف ، ولسرعة حفظه وقوة ذكائه تحصل على الكثير في الوقت القصير .

جمع بين الفقه والحديث والأدب شعراً ونثراً ، ونكتفي هنا بايراد كلمة الشيخ أحمد بن حسن الضمدي الذي نوه فيها بأدبه ومعارفه إذ يقول : (وأما الأدب فقد انتهت إليه رياسته في المنظوم والمنثور ، وعليه وقفت العناية بأسرها للمطوي والمنشور، وكتب المستجاد وفاق في جودة شعره أهل قطره الحاضر منهم والباد) وتوفي - تقريباً - في أواخر القرن الثالث عشر .

مؤلفاته :

١ - مؤلف في تراجم رجال صحيح البخاري - لم يكمل .

٢ - عقود اللاليء المنتقاة في شرح السبع المعلقات والثلاث الملحقات .

٣ - شرح قصيدة الشنفرى المسماة بلامية العرب .

٤ - ترسلات وقصائد أخوية لو جمعت كما يقول حسن بن أحمد الضمدي لجاءت في مجلد .

المصدر : عقود الدرر .

ولقد رأيت نهوده في قربها كالفرقدين تقاربا في صدره
أفعاله عندي الصواب مديحها وذميمها فأعجب لذي من سحره
صام الفؤاد لدى محبة غيره فأراد يجعل عيده في نحره
. . . . اِلخ .

ومن شعره الذي راسل به الشيخ حسن بن أحمد الضمدي قوله :

لعل زماناً بالوصال يعود فيورق من غرس المنى لي عود
وتطفى تباريح من الوجد لم تزل لها كل حين زفرة ووقود
فما عن ذكراه إلا تجددت مسائل نهر الدمع فيه خدود
وما ولعي بالبرق إلا لأنه يمر على أوطانهم فيجود
وان ناح بالأيك الهزار آثار لي شجوناً به الصخر الأصم يميد
وما حاله في الوجد حالي فالفه قريب ، ومحبوبي علي بعيد
وإن هب في جنح الدجى سجسج الصبا
وفاح به مسك عليّ وعود
تلفت نحو الشعب علّ قبابهم أطل لها نحو الديار وفود
فليت وهل يجدي المعنّى تلفت زماناً تقصى بالوصال يعود
فكم مرة لي فيه من العيش ما حلى وطابت بمغناه الخصيب عهود
ليالي كان الدهر طوع مشيئتي اصرفه في نعمتي واقود
سوابق لهوي في ميادين صبوتي لها صدر في مهجتي[1] وورود
فلا عاذل عما نروم من اللقى يعوق ولا واش هناك يكيد
ولم أنسها لما ألمت بمضجعي وقد نام عنها عاذل وحسود
وقد حان من بدر السماء أفوله وشهب الدجى في أفقهن ركود
فحيت بتسليم كأن كلامه جمان تلألأ في العقود نضيد
فما ملكت لما إلتقينا لعبرة ومال لها عقد علي وجيد
فبت قرير العين تحلو لمقلتي وقد راق منها مبسم ونهود

---

(١) في الأصل « في نفسي » .

فلما بـدا ضـوء الصـباح لعينها   وادبر جند الليـل وهو طـريد
بكـت لوداعي ثم ولـت وخلفـت   باحشـاي جمـراً مالهـن خمـود
وما زال في قلبي إليـم فراقها   لـه كل آنٍ مبـديء ومعيـد

ثم تخلص إلى المدح فقال :

هـو العـلم العـلامة الحـبر   من له أكابر أرباب العلوم شهود
إذا المصقع المنطيق قام لغيره   مناظـرة يومـاً فعنـه يحيـد
وكيف يبارى من لـه أذعـن الورى   وعـاش بهـذا العصـر وهو وحيـد
لـه سـؤدد ضـخم ومجـد مؤثـل   أنـالته آبـاء لـه وجـدود

.... الخ .

اسماعيل فارس(1)
المتوفى سنة ١٢٨٧هـ

من أشعاره: القصيدة الآتية يمدح ويعتذر من الشيخ حسن بن أحمد الضمدي:

ليتها إذ كلمتني بضجر ... أسعدت سعدي بتقبيل الدرر
إن قلبي بهواها مولع ... وبصدق الود يمتاز البشر
لست أنسى ليلة من وصلها ... هي عيد لو تحاماها القصر
أسكرتني برضاب بارد ... فعله فعل مدام معتصر
وبـ«رحبان» سقاه صيب الـ ... ـودق لا أنسى مقيلي والسمر
كم كرعنا من عقيق بالحمى ... وركعنا بوفيات السور(2)
يوم طرف البين عنا نائم ... لم تفرقنا يد البين شذر
وشدى الشادي على ألحانه ... وتعاطينا بألفاظ غرر
وغدا قول رقيق بيننا ... حاكياً عتباً لمولانا الأغر
شرف الدين الذي فاق الورى ... غوثنا عند مهمات الفكر
من قضاة القطر إن سال بهم ... فهم آل علي بن عمر
سيدي جاء عتاب منكم ... ابتداء لست أدري ما الخبر
ليت شعري ما الذي زخرفه ... عندك الواشي وما منه صدر
رجح القول ففي ترجيحه ... يظهر الكامن منا من سبر
ان عينا تسعى في عورتكم ... فرماها الله مني بالعور

---

(1) هو إسماعيل بن علي فارس بن محمد بن أحمد الخيراتي الحسني، ولد ونشأ في مدينة أبي عريش أخذ العلم عن علماء تلك المدينة الزاهرة وتتلمذ وقتاً على الشيخ حسن بن أحمد عبد الله، في النحو والحديث وقرأ على الشيخ أحمد الضحوي في النحو والبديع فبرع في فنون الأدب نظماً ونثراً، وكان من امراء وقته ورجال عهده وتبادل الأشعار والمطارحات والمكاتبات مع علماء عصره.

(2) إن في هذا البيت تجاوز وجنوح للشرك - غفر الله لقائله.

ليس هذا الظن عندي منكم — وسوى الخالق تعروه الغير
ولعل الحاسد أبدى غيظه — إن كتم الضر قد يبدي الضرر
أيكن هذا جزاكم سيدي — إنني أحمل شيئاً أو أذر
ولكم عندي أياد جمة — وبكم نلت مرادي والوطر
ان تأدبت فمنكم أدبي — أنت ثقفت أعوجاجا وخور
ولكم في الفقه قد لقنتني — نلت بالأزهار في الصدر زهر
جدت لي في مسند السنة ما — قد كفاني عنه نخبات الفكر
ولكم في النحو قد أعربت ما — وافقت فيه تميم ومضر
لم يكن ذاك افتخاراً إنما — صفته وضعاً لتمهيد الخبر
كل هذا حزته من فضلكم — من ضياء الشمس اشراق القمر
قسماً بالله فيما قلته — وهو العالم والرب الأبر
ما شفى صدري سوى صدركم — وإذا غبتم فما غاب الكدر
إن تطب نفساً بما صدرته — قبل الرحمن سعياً وشكر
أو تقل لا فانتظرني واصلا — وعسى في الوقت خصمي قد حضر
ودكم عندي التواتر حده — وقبلتم من أحادي الأثر
دونكم عذري وهذا بعده — تحفة أطيب من طيب السحر
وضياء الدين أبلغه كذا — ابنه عز الهدى نجل الأسر

المصدر : عقود الدرر . بتصرف واختصار .

شعر الغزل



الحسن بن أحمد بن عبد الله الضمدي

قال قصيدة غزلية رائقة نورد منها الأبيات الآتية :

حي العقيق فلا أنسى لياليه ... وكيف أنسى وجيران لنا فيه ؟
في ذمة الله قلبي يوم ظعنهم ... ساروا به ، وتلاف في تنائيه
قد أظهر الدمع مني كل خافية ... وكاتم الوجد يوم البين يبديه
أكرم لغان كخوط البان قامته ... لا عيب في قده إلا تثنيه
يلومني فيه أقوام وقد علموا ... ما زادني السقم إلا من تجافيه
كيف السلو ولي عين مسهده ... ومهجة قد أذيبت من تجنيه
لله وقت مضى والود قائده ... والأنس سائقه والشوق حاديه
أيام ما كان منه الهجر ممتنع ... والشمل مجتمع يا طيب صافيه

* * *

أصبوا إلى البان بانت عنه هاجرتي ... تعللا بليالي وصلنا فيه
دهر مضى وجلابيب الصبا قشب ... لم يبق من طيبه إلا تمنيه
فهل معين ، على ما حل بي وبرى ... جسمي ، فجل هيامي من تعنيه

* * *

لو أسعف الدهر ما فارقت منزلهم ... ولا تنحيت يوماً عن بواديه
أعلل النفس كي أسلو غرامكم ... وما لسقمي غير الوصل يشفيه
فان بعثتم نسيماً من حديثكم ... فليس يعجبني إلا تلقيه
فما ينادمني غير السهاد ، ولا ... أخفي لكم غير ما في القول يبديه

علي بن أحمد بن محمد الضحوي المعافا[1]

١٢٦٦هـ - ١٢٨٦هـ

من شعره: قصيدة في ٣٨ بيتاً استهلها بقوله :

أذا وجه سلمى مشرقاً أم بدا البدر	وذاك ابتسام البرق أم لاح لي ثغر
وهل ذاك غصن فوق أكثبـة النقى	أم القد في ردف به ضعف الخصر
وهذا الذي أهدى نسيم الصبا لنا	شذا المسك أم قد هّب من نشرها عطر

. . . . الخ .

(١) شاب اخترمته المنية مبكراً ولما يتجاوز العشرين عاماً ، تعهده والده الفقيه الأديب الشاعر أحمد بن محمد الضحوي بالدراسة والتهذيب والتثقيف من الصغر ، غرس في نفسه حب العلم والشغف بالمعارف فدرس النحو والفقه وأخذ قسط من الحديث ومصطلحه ، وطالع كتب الأدب ، ودواوين الشعر فكونت في روحه الملكة المنتجة والذوق المرهف والموهبة المعطاة توجه لأداء فريضة الحج وبعد اتمام حجه نزل الى جدة في طريقه إلى الوطن فوافاه الأجل ووري الثرى في جدة مأسوفاً عليه :

يا كوكباً ما كان أقصر عمره   وكـذاك عمر كواكب الأسحار

المصـــادر :

١ - عقود الدرر للحسن بن أحمد الضمدي .

٢ - نشر الثناء الحسن للوشلي .

شعر
شكوى الزمان والحال



القاضي الشيخ
أحمد بن حسن بن علي البهكلي(١)

من قوله يتشوق إلى وطنه المخلاف السليماني وهو في صنعا ويصف ما لاقاه من حسوده وخصومه أثناء توليه وظيفة القضاء في بلدة الزيدية .

نسيم الصبا كيف المنازل من نجد ... لعل بها من لاعج الشوق ما عندي
وكيف أثيلات الحمى وأراكه ... ذوائبه تهفو على عذب الرند
وكيف الكثيب الفرد من ذلك الحمى ... سقى سوحه صوبٌ ملِثُ من الرعد
وهل خطرت في ذلك السفح غادةٌ ... مكملة الأوصاف ممشوقة القد
ولاحت كبدر التم في ليل شعرها ... لها وجنة أبهى احمراراً من الورد
تصد بلحظيها نفوس ضراغم ... ومن عجب صيد الغزالة للأسد

* * *

(١) نادرة وقته وزينة عصره علماً وأدباً وفضلاً ، ولد بمدينة صبيا منبت رجال العلم والأدب وسماء نجوم الفضل والحسب ، وكان مولده في شهر ذي القعدة سنة ١١٥٣هـ - ١٧٤١م ، ونشأ وترعرع بين حقولها الخضراء وآفاقها البهيجة ، وبعد أن أخذ مبادىء العربية والفقه رحل إلى مدينة صنعا فأخذ في الدرس على يد علامة اليمن في عصره محمد بن اسماعيل الأمير ورصفائه الأجلاء ، وبعد أن استوعب جل مالديهم توجه إلى مدينة زبيد وأخذ على يد عالمها الجليل الشيخ عبد الله بن عمر الخليل المنطق والعربية وغير ذلك من فنون المعارف .

وكان على جانب كبير من الذكاء اللماح والفطنة الحادة فساعده على استيعاب القدر الوفير في الوقت القصير ، وبعد استكمال تحصيله وحصوله على اجازات شيوخه عاد إلى مسقط رأسه مدينة صبيا فتولى بها وظيفة القضاء وبعد اشغال أعمال تلك الوظيفة مدة تركها وآثر سكنى بلدة ضمد للتدريس والارشاد ، فاستفاد طلاب العلم من دروسه وانتفع بتوجيهه وارشاده ، وكان يتردد من ضمد إلى أبي عريش ، وعاش تلك الفترة محترم الجانب من أمراء زمانه خاصة وعامة معاصريه ، وله مواقف معروفة للإصلاح بين الناس ، وغالباً ما يحالفه التوفيق .

وكان على درجة رفيعة من البلاغة والبيان والشعر المجنّح البليغ ، وله رسائل كثيرة في فنون المعارف والمراجعات وغيرها من المسائل الفقهية والشرعية والأدبية ، ومراسلات عديدة بينه وبين علماء عصره نثراً ونظماً ومن أشعاره الفائقة قصيدته التي استهلها بقوله :

سرى البرق من أرض الحجاز وأتهما ... فهيج شوقاً في حشاي وتيما

وقد أدركته الوفاة في شهر صفر عام ١٢٣٣ في مدينة أبي عريش عن ٩٧ سنة - تغمده الله بهواطر رحمته وفيوض رضوانه - .

بوادٍ تهامٍ ينبت السدر صدره وأسفله فيه الخزامى لمستهد
مغاني الغواني والشبيبة والصبا ومرتع أيام الصبابة والوجد
ذكرت بِهَا عهداً وما كنت ناسياً فسيان عندي القرب والصد والبعد
فبعداً لأيام النوى ما أمرها فكم جرعتني علقم البين والصد

* * *

عفا الله عن هذا الزمان فإنه زمان خداع لا يدوم على عهد
فهل عاندت أيامه غير فاضل وما هي إلا عرضة لذوي المجد
جعلت شعار الصبر أجمل ملبسٍ وصيرته في جيش عزمي من الحد
فلله در النائبات فإنها صقالة ذي نبل وفي غيره يصدي

* * *

لقد جهد الأعداء في وزخرفوا أساطير إفكٍ حرفتها يد الرد ؟
وقالوا مقالاً يشهد الله أنه مقالة زورٍ أصلها عاهة الحسد
أذاعوا على رغم محاسن جمة على زعمهم ذماً وفي نشرها حمدي
فلولا اشتعال النار فيما تناله لما فاح نشراً طَيّبُ العود والند
وما نقموا مني سوى بغض ظالمٍ وانصاف مظلومٍ وهديا إلى الرشد
وتعظيم أمر الله في كل حالةٍ وإصلاح ذات البين سعياً على قصد
وعودت نفسي النصح في كل موطنٍ وجنبتها فعل الخداع الذي يردي
وألزمتها صدق الحديث وإن غدت قلوبٌ وأكبادٌ تلظى من الوقد
يوافقني في الناس من طاب فعله وجانبني من ليس بالحق يستهدي
لئن مسني من طارق الدهر حادث فما نالني غير الذي زاد في حدي

تحليل ودراسة لقصيدة البهكلي

إن هذه القطعة الفنية فيض من فيوض البيان ، ودفق من البلاغة وصورة من الصور الشعرية الراقية ، مزج الشاعر نفسه بعناصر الطبيعة وظواهرها ، فجعل من البرق طاقة هيجت فيه الشوق ، فجعلت الرعد زفيراً لتولهه ، وعاصفاً يرسله تنفسه المجهد ، وما المزن الذي سح من السماء إلا انهمال دموع جفونه ، وما لمع ذلك البرق غير زفرات صدره تتصعد من قلبه الشجي ناراً يشب ضرامها ، تسعره نار الفراق وأنه يخال الطبيعة تشاركه وجده وتقاسمه غرامه وتساوق أشواقه ، فما تغريد الحمائم إلا مشاركتها له في شجونه ، وأن نسمات السحر تهيّج أشجانه وتثير أشواقه .

ثم أخذ في المناداة لساكني ذلك الوطن – الذي كنى عنه بأطراف رامة – التي قضت الأيام بنزوحه عنه إلى صنعا لطلب العلم ، أو لبعض مشاغل الحياة ، ويناشدهم مستفهماً بـ « هل ؟ » الحرفية التي يستفهم بها مضمون الجملة ، فيكون الجواب بـ « نعم » في حال الإثبات ، وبـ « لا » في حال النفي ، وهل يتاح له رشفة من نهلة مائها العذب لتطفيء ظمأ الفراق .

وردد النداء بـ « هل » الاستفهامية – أيضاً – ، هل وطنه باق كما يعهده يظلله السحاب ؟ ، وهل ربعه يروق للناظرين إذا ما كسته أفاويف النبات المطرز بألوان الزهور وبسط الحشائش الخضراء ؟ ، وهل خيمت في جزع واديه ظعينة من ظعائن الحي ومدت بنانها الرخص ، ومعصمها الغض إلى أطناب الخيمة المنصوبة ، لتلك الظعينة أو الفتاة الجميلة المحروسة ببيض الصفاح كأنها الدمية المصورة في بيعة من البيع أو كنيسة من الكنائس تحرسها بيض الصفاح وسمر الرماح .

ثم يستسقي الغوادي لديار الأحبة وينادي الزمن مستفهماً منه هل آن أن يسعده بعد أن جرعه من البين علقماً وهل لأيام النوى من تصرم ولوقت التداني من تقرب يدنيه من ديار الأحبة ومراتع الصبا ، ولنحيل القاريء الكريم للقصيدة الذي قد يفسدها تحليلنا المبتسر وتغنيه قرائتها عن كل شرح وتحليل .

ونكتفي بهذا التحليل لهذه القصيدة من شعره ولندع بقية القطع الفنية من شعره لذوق القاريء وفهمه اللماح .

التشوق للوطن

للشيخ أحمد بن حسن بن علي البهكلي

سرى البرق من أرض الحجاز وأتهما ... فهيج شوقاً في حشاي وتيما
فما رعده إلا زفير توهلي ... وما المزن إلا ودق جفني إذا همى
وما لمع ذاك البرق غير تنفس ... يصعد من قلب الشجي تضرما
تسعره نار الفراق وطالما ... يعلل نفساً في عسى ولعلما
إذا ما شدت ورقاء تُطرب إلفها ... توهمتها تبكي لما بي ترحما
وإن عبرت في سحرة نسمة الصبا ... صبت بفؤادٍ جن شوقاً إلى الحمى
فيا ساكني أطراف رامة هل لنا ... إلى وردكم من نهلة تذهب الظما
ويا وطني هل أنت باق كعهدنا ... وقد ظل فيك السحب يوماً وغيماً
وهل ربعك المعمور راق لناظر ... إذا ما كساه النبت زهراً وأنجما
وهل طافه من زائر العرب رائد ... ليوطأه خفا هناك ومنسما
وهل خيمت في جزعه من ظعينة ... ومدت إلى الأطناب كفا ومعصما
من البيض لكن عندها البيض جردت ... وهن الدمى من دونها تسفك الدما
وحول خباها كل لدن مثقف ... بكف كُميّ للردى قد تلثما
جآذر أنس قد نصبن لعاشق ... – إذا رام رماها – نبالاً واسهما
سقتك الغوادي يا ديار أحبتي ... وجادك هطال الربيع وديما
فيا زمن التقريب هل أنت مسعدي ... الى كم تجرعني من البين علقما
أما للنوى من عدة قد تصرمت ... ووقت التداني قد دنى لي وخيما

كلمـــة المـــؤلـف

بسم الله الرحمن الرحيم

أمـا بعـــــد . . .

فقد انتهيت ـ بفضل الله وعونه ـ من الجزء الأول من كتابي (التاريخ الأدبي لمنطقة جازان) بتاريخ ١٤١١/٥/٣٠ هـ ـ ١٩٩٠/١٢/١٧ مـ .

وهو مجهود أربع سنوات ، فإن وفقت ، فهذا من فضل الله وهو المستعان به ، وإن قصرت ، فليس على مجتهد ملام .

وقد تناولت التأريخ الأدبي لمنطقتنا العزيزة ـ المخلاف السليماني ـ دراسة وإستنتاجاً ومقارنة مع مايليه من الأقطار المجاورة إلى القرن الخامس ، ثم دراسة ونصوص من القرن الخامس إلى سرار القرن الثالث عشر ، مع العلم أني لم أستحص جميع أدباء وعلماء المنطقة لأنهم من الكثـرة لما يفوق الحصر ، وإنما عنينابتواجد الرموز المضيئة والشخصيات المشهورة .

وسيليه ـ بحوله تعالى ـ الجزء الثاني ، وسوف يشتمل على دراسات للتأريخ الأدبي لمنطقتنا في أواخر العهد العثماني فى سرار القرن الثالث عشر ، والربع الأول من القرن الرابع عشر ، ثم الحياة الفكرية والأدبية فى العهد الإدريسي ، ويليه الحركة الأدبية والحياة الفكـرية في العهـد السعـودي الـزاهر ، الذي تفجر العطاء وازدهار الحياة الفكـرية وشيوع العلم والمعـارف ، التي افـرزتها تلك النهضة الأدبية في المملكة العربية السعودية في سائر أنحائها عامة ثم في هذه المنطقة خاصة ، وكيف ابتدأت النهضة الأدبية في هذه المنـطقـة ، ورواد تلك الحركة الفكرية في النصف الأخير من القرن الرابع عشر ، وما تلا ذلك إلى نهاية القرن الرابع عشر .

وقد شرعنا في مشروع الجزء الثاني من الكتاب بتاريخ ١٤١١/٦/١ هـ ، نسأل الله التوفيق والإعانة .

وقد طلب مني رئيس النادي بالنيابة الأستاذ / عمر طاهر زيلع ، رغبة النادي في تبني وإصدار الجزء الثاني ـ بحوله تعالى ـ كما صنع مع الجزء الأول ـ فشكراً للنادي وأعضاءه وأسرته وسوف أكون عند حسن ظنهم إنشاء الله .

جــازان

محمـد بن أحمـد العقيلي

استبيانات الكتاب



استبيان موضوعات التاريخ الأدبي



استبيان أسماء الرجال



أسماء الشعوب والقبائل

أسماء البلدان

استبيان أسماء

الكتب المخطوطة و الكتب المطبوعـة

تصويبات

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
أنه تاريخ النصف الجنوبي للجزيرة العربية	أنه تاريخ جنوب الجزيرة العربية	٣	١٢
مع فارس	مع فارس والروم	٢٨	١٧هـ
فصة	قصة	٢٩	١ هـ
وله شكل	له شكل	٣٠	٢٣هـ
هاشيا	هشيماً	٤٨	٢
طرف	ابن طرف	٥٠	١٨
نحالفة	مخالفة	٥١	١٩
روضه	روضة	٦٠	٨
فريق	فويق	٦٤	٧
الأسفار	الإسفار	٦٥	١٨
الأصدار	الإصدار	٦٦	١٢
مالأ	مالا	٩٥	٣ هـ
معتقد	معتقدي	١٠٢	٢ هـ
نواضيها	نواصيها	١٣٩	١٨هـ
يعبث	يبعث	١٥٧	١٢
شف	شتف	٢٠٨	٤
آل الذكري	آل الزكري	٢١٥	١٠
بارقة	بارقه	٢٤٣	٦
وحقائقه	وحقائق	٢٧٨	١٥
أخ	أخاء	٣٢٠	١٢
وبلُ	مسبل	٣٣٢	٧
بـ (ع)	بـ (أ)	٤٠٩	٦
ومواطن	وموطن	٤٦٠	١٠
تأسف	تأسف	٤٦٠	١٤
الحي	الحلي	٥٨٢	١٩
إسماعيل بن علي فارس بن محمد أحمد الخيراتي	إسماعيل بن علي فارس الأمير القطبي	٦٤٣	٢٠هـ
رام رماها	رامها رام	٦٥٤	١٦
نصوص	نصوصاً	٦٥٥	٩
العطاء	بالعطاء	٦٥٥	١٦



من أعمال المؤلف

م	عنوان الكتاب	موضـــوعه	تاريخ النشر	ملاحظـات
١	المخلاف السليماني جـ١	تاريخ منطقة جازان وجنوب الجزيرة	١٣٧٨هـ	ط٤ في ١٤٠٢
٢	المخلاف السليماني جـ٢	تاريخ منطقة جازان وجنوب الجزيرة	١٣٨٠هـ	ط٣ في ١٤٠٢
٣	الشاعر الجازاني « ابن هتيمل »	دراسة وتحليل وتحقيق	١٣٨٠هـ	ط٢ في ١٤٠٩
٤	الشاعر الجازاني « ابن شاجر »	دراسة وتحليل وتحقيق	١٣٨٥هـ	
٥	ديوان السلطانين	دراسة وتحليل وتحقيق	١٣٧٤هـ	ط٢ في ١٤٠٣
٦	التصوف في تهامة	دراسة عميقة عن الصوفية والمتصوفة	١٣٨٩هـ	ط٢ في ١٤٠٣
٧	الأنغام المضيئة	ديوان شـعر	١٣٩٢هـ	
٨	الأدب الشعبي في الجنوب جـ١	دراسة موسعة عن الشعر الشعبي	١٣٩٢هـ	ط٢
٩	الأدب الشعبي في الجنوب جـ٢	دراسة ونصوص	١٣٨٩هـ	ط٣ في ١٤٠٩
١٠	المعجم الجغرافي عن منطقة جازان	جغرافيا المنطقة	١٣٨٩هـ	
١١	المعجم الجغرافي عن منطقة جازان	طبعة ثانية موسعة	١٣٩٩هـ	
١٢	أضواء على الأدب والأدباء	دراسة وتراجم عن أدباء جازان	١٤٠٠هـ	
١٣	محاضرات في الجامعات والمؤتمرات	محاضرات في الجامعات السعودية	١٤٠٠هـ	
١٤	الآثار التاريخية في منطقة جازان	عن آثار المنطقة محلى بالصور	١٣٩٩هـ	
١٥	نفح العـود	تحقيق ودراسة	١٤٠٢هـ	ط٢ في ١٤٠٦
١٦	أفاويق الغمام	ديوان شـعر	١٤٠٢هـ	
١٧	سوق عكاظ في التاريخ	دراسة عن سوق عكاظ	١٤٠٤هـ	
١٨	الشيخ محمد بن عبد الوهاب	حياته العلمية والعملية	١٤٠٤هـ	
١٩	مذكرات سليمان شفيق باشا	دراسة وتحقيق	١٤٠٤هـ	
٢٠	من أدب جنوب الجزيرة جـ١	دراسة عن أدب وأدباء جنوب الجزيرة	١٤٠٤هـ	
٢١	نجران في أطوار التاريخ	دراسة وتحقيق	١٤٠٥هـ	
٢٢	معجم اللهجات المحلية	دراسة لغوية مقارنة	١٤٠٣هـ	ط٢ في ١٤١٠
٢٣	المعجم النباتي	عن النباتات في منطقة جازان	١٤٠٥هـ	
٢٤	ديوان شعراء الجنوب (مشترك)			
٢٥	العقد المفصل للبهكلي	دراسة وتحقيق	١٤٠٦هـ	
٢٦	عسير في أطوار التاريخ		١٤١١هـ	
٢٧	التاريخ الأدبي لمنطقة جازان جـ١	دراسة لتاريخ الأدب والأدباء في المخلاف السليماني	١٤١١هـ	
٢٨	العقد الثمين للحسن بن عبد الله	دراسة وتحقيق		تحت الطبع
٢٩	العقيق اليماني لـ عبد الله النعمان	دراسة وتحقيق		تحت الطبع
٣٠	نزهة الظريف	دراسة وتحقيق		تحت الطبع
٣١	رأد الضحـى	ديوان شعر		تحت الطبع
٣٢	جازان في العهد السعودي الزاهر	دراسة ومقارنة بين الماضي والحاضر		تحت الطبع
٣٣	من أدب جنوب الجزيرة جـ٢			تحت الطبع
٣٤	التاريخ الأدبي لمنطقة تهامة			تحت الطبع
٣٥	أضواء على أدب وأدباء جازان جـ٢			تحت الطبع



بيان مطبوعات النادي الأدبي بجازان منذ تأسيسه عام ١٣٩٦هـ

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف	تاريخ الطبع
١	التقرير السنوى للنادى	النادى	١٣٩٦هـ
٢	قصص من الجنوب	مجموعة من الشباب	١٣٩٧هـ
٣	مسابقة الشعر	======	١٣٩٧هـ
٤	ديوان الينابيع	الأستاذ/ محمد علي السنوسى	١٣٩٧هـ
٥	الأدب الشعبى	الأستاذ/ محمد أحمد العقيلي	١٣٩٧هـ
٦	أبوسفيان بن حرب	الأستاذ/ زاهر الحارثى	١٣٩٨هـ
٧	ديوان الأرض والحب	الأستاذ/ أحمد يحيى بهكلى	١٣٩٨هـ
٨	مع الشعراء	الأستاذ/ محمد علي السنوسي	١٣٩٨هـ
٩	المعجم الجغرافى	الأستاذ/ محمد أحمد العقيلى	١٣٩٩هـ
١٠	محاضرات النادى	مجموعة من الأساتذة	١٣٩٩هـ
١١	مع الشباب في تنمية القدرات	د/ زاهر عواض الألمعى	١٣٩٩هـ
١٢	الأثار التاريخية	الأستاذ/ محمد أحمد العقيلى	١٣٩٩هـ
١٣	طيفان على نقطة الصفر	الأستاذ/ أحمد يحيى بهكلى	١٣٩٩هـ
١٤	نفحات الجنوب	الأستاذ/ محمد علي السنوسى	١٤٠٠هـ
١٥	ليلة في الظلام	الأستاذ/ محمد زارع عقيل	١٤٠١هـ
١٦	الصندوق المدفون	الأستاذ/ طاهر عوض سلام	١٤٠١هـ
١٧	أمسية فلسطين	إعداد النادى	١٤٠١هـ
١٨	وجوه من الريف	الأستاذ/ حجاب يحيى الحازمى	١٤٠١هـ

م	اسـم الكتـاب	اسـم المؤلف	تاريخ الطبع
١٩	الملك أبو الفداء	الأستاذ / ياسر فتوى	١٤٠١هـ
٢٠	بين جيلين	الأستاذ / محمد زارع عقيل	١٤٠١هـ
٢١	مطولة على أحمد باكثير	الأستاذ / محمد حلمى قاعود	١٤٠١هـ
٢٢	الأديب وموقفه من الحدث	الأستاذ / علوى طه الصافى	١٤٠٢هـ
٢٣	الحلقة المفقودة	الأستاذ / عبدالرحمن الرفاعى	١٤٠٢هـ
٢٤	حبيبتى والبحر	الأستاذ / إبراهيم عمر صعابى	١٤٠٣هـ
٢٥	من ثمرات الكتب	الأستاذ / عبدالسلام هاشم حافظ	١٤٠٤هـ
٢٦	السنة ومعرفة علوم الحديث	د / عبد الحميد إبراهيم	١٤٠٤هـ
٢٧	العكوتان والجيولوجيا	الأستاذ / راشد قاسم الشيخ	١٤٠٤هـ
٢٨	دور الإعلام في بناء الإنسان المثالى	الأستاذ / محمد كامل الخجا	١٤٠٤هـ
٢٩	نظرات في العلم والأدب	مجموعة أعضاء النادى	١٤٠٥هـ
٣٠	عن الحب ومنى الحلم	الأستاذ / علي أحمد النعمى	١٤٠٥هـ
٣١	الوحى والقرآن	الدكتور / عبدالحميد إبراهيم	١٤٠٥هـ
٣٢	أبجديات في النقد والأدب	الأستاذ / حجاب يحيى الحازمى	١٤٠٥هـ
٣٣	في حكم الجهر بالبسملة والاسرار	للعلامة الحسن بن خالد الحازمي تحقيق الاستاذ ابو زيد	١٤٠٦هـ
٣٤	الرحيل إلى الأعماق	الأستاذ / على أحمد النعمى	١٤٠٦هـ
٣٥	إطلالة على الشعر السعودى	الأستاذ / فوزى خضر	١٤٠٦هـ
٣٦	الحفلـة	الأستاذ / عبدالله باخشوين	١٤٠٦هـ
٣٧	دموع الندم	الأستاذ / أحمد على حمود	١٤٠٦هـ
٣٨	ترانيم على الشاطىء	الأستاذ / علي محمد صيقل	١٤٠٦هـ
٣٩	تقرير الجمعية الخيرية	تقرير	١٤٠٦هـ

م	اسـم الكتـاب	اسـم المؤلف	تاريخ الطبع
٤٠	أحـــلامى	الفنان / خليل حسن خليل	١٤٠٦هـ
٤١	الحياة في ظل العقيدة الإسلامية	الشيخ زيد محمد هادى مدخلى	١٤٠٧هـ
٤٢	الكتابة خارج الأقواس	الأستاذ / سعيد السريحى	١٤٠٧هـ
٤٣	حوار على بوابة الأرض	الأستاذ عبده خال	١٤٠٧هـ
٤٤	حمدونه	الأستاذ عبدالله الشباط.	١٤٠٨هـ
٤٥	الزهور تبحث عن آنية	الأستاذ / عبدالعزيز مشرى	١٤٠٨هـ
٤٦	نبذة تاريخية عن التعليم بعسير وتهامة	الأستاذ / حجاب الحازمى	١٤٠٩هـ
٤٧	الأجوبة على المسائل التى الاختلاف فيها من الاختلاف المباح	تحقيق الأستاذ أبو زيد الحازمى	١٤٠٩هـ
٤٨	الأوانى الخشبية التقليدية عند عرب الجزيرة	تأليف الدكتور سليمان محمود حسن	١٤٠٩هـ
٤٩	الأعمال الكاملة	الأستاذ / محمد علي السنوسي	١٤٠٣هـ
٥٠	الأفنان الندية	للشيخ زيد بن هادى مدخلـي	١٤٠٩هـ
٥١	**جراح قلب**	**شعر/ علي احمد النعمي**	١٤٠٩هـ
٥٢	رواد علم الجغرافيا	د./ عبدالله الدفاع	١٤٠٩هـ
٥٣	طـائـر الليـل	الأستاذ/ عمرو العامري	١٤٠٩هـ
٥٤	أغنيـة للوطـن	علي محمد صيقل	١٤٠٩هـ

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف	تاريخ الطبع
٥٥	فرسان الناس والبحر	الأستاذ إبراهيم مفتاح	١٤١٠هـ
٥٦	السنة البحر	أحمد يوسف	١٤١٠هـ
٥٧	أمير الحب	محمد زارع عقيل	١٤١٠هـ
٥٨	أشرعة الصمت	حسين سهيل	١٤١١هـ
٥٩	عُرس القرية	محمد منصور ربيع المدخلي	١٤١١هـ
٦٠	من أحاديث السنوسي	عبد العزيز بن علي الهويدي	١٤١١هـ
٦١	دراسات في شعر محمد ابن علي السنوسى	مجموعة مؤلفين	١٤١١هـ
٦٢	التاريخ الأدبي ج ١	الأستاذ/ محمد أحمد العقيلى	١٤١١هـ

محمد بن أحمد العقيلي

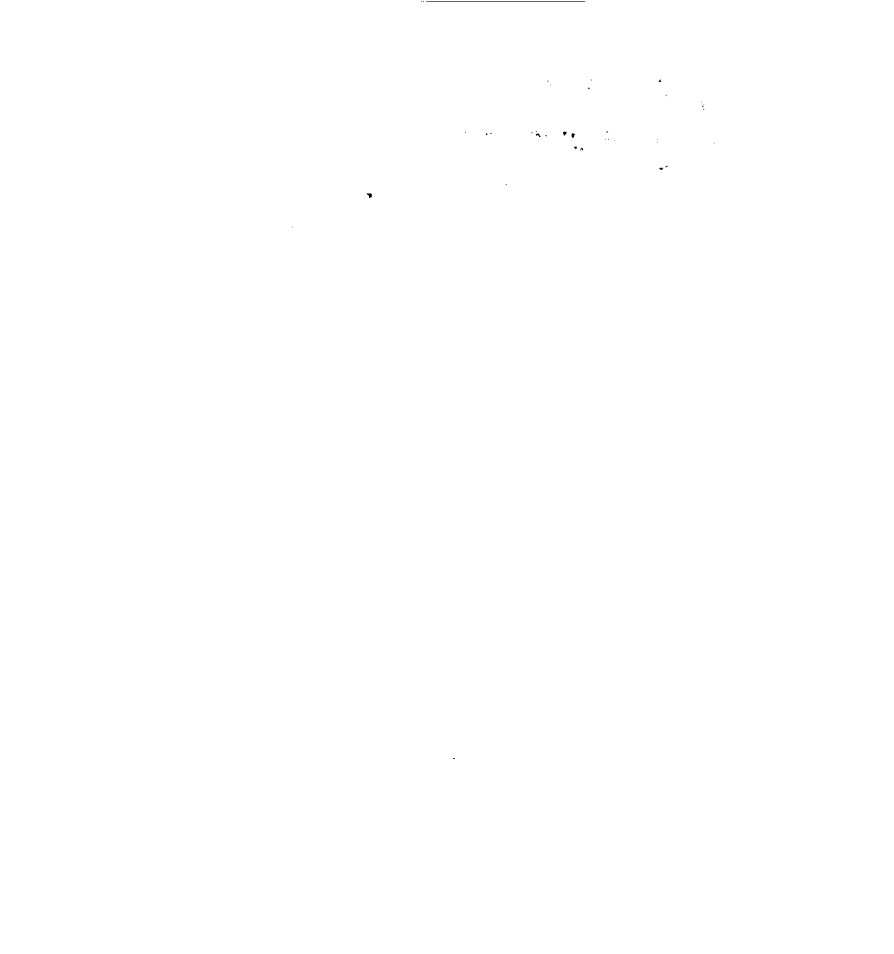
التاريخ الأدبي لمنطقة جازان

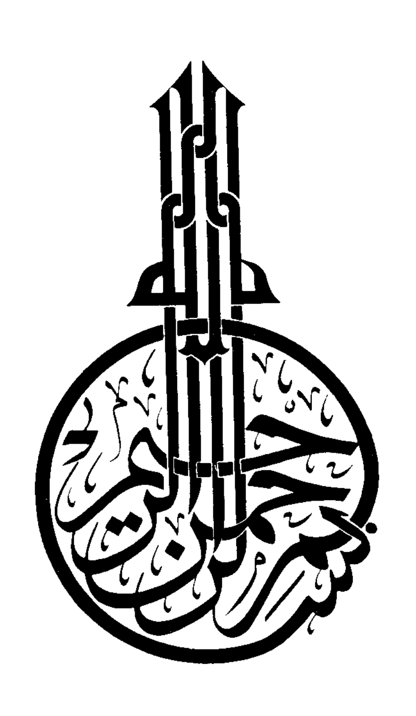
الجزء الثاني



منشورات نادي جازان الأدبي

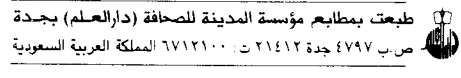
الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م





الطبعة الأولى
(منشورات نادي جازان الأدبي)
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

وزارة الإعلام - المديرية العامة للمطبوعات
ترخيص الطبع رقم ٦٤٢٨/م في ١٤١٢/٨/٣٠هـ


طبعت بمطابع مؤسسة المدينة للصحافة (دارالعلم) بجدة
ص.ب ٤٧٩٧ جدة ٢١٤١٢ ت: ٦٧١٢١٠٠ المملكة العربية السعودية

الإخراج الفني والتنفيذ: سيد حفني


خادم الحرمين الشريفين
الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود


صاحب السمو الملكي
الأمير عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود
ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني


صاحب السمو الملكي
الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود

محمّد بن أحمد العقيلي

التاريخ الأدبي لمنطقة جازان

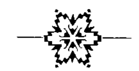
الجزء الثاني

تقديم الجزئين الثاني والثالث

هذان هما القسمان الثاني والثالث من كتاب «**التاريخ الأدبي لمنطقة جازان**» للأستاذ المؤرخ الأديب الشاعر الشيخ محمد بن أحمد عيسى العقيلي، نقدمهما إلى القارىء الكريم بعد أن قدّمنا له الجزء الأول منه، نقدم من كل ذلك شهادة بثراء المنطقة الثقافي، ورصيدها الهائل من الآداب القولية، على امتداد قرون من الزمان، وهي في الوقت نفسه دليل ناصع على جهد مؤلفه الذي أثرى المكتبة السعودية ببحوثه المتعددة، وتحقيقاته لنوادر المخطوطات الأدبية والتاريخية، وما اتسم به من مواهب خلاقةوإنجازات رائدة في مجال التأليف، الأمر الذي جعل من معطياته روافد غنية لطلاب المعرفة والباحثين في مجال التأليف التاريخي والأدبي في المنطقة، إلى جانب ما تحفل به حياته الخصبة من أعمال ومسئوليات ثقافية واجتماعية، كما يأتي هذا العمل في مجمله معبرا بوضوح عن جهود المؤلف في إبراز ما يبحث عنه المثقف هنا في المنطقة وسائر مناطق المملكة العربية السعودية الواسعة الأرجاء، والبلاد العربية وغيرها على وجه العموم لذلك، فقد سعدنا كثيرا ببذل ما نستطيعه من جهد، على المستوى الإداري والمستوى الشخصي بالمساعدة في التصحيحات والتصويبات والاتصالات ببعض الأدباء المعاصرين ممن شملهم الكتاب في أبوابه وفصوله الأخيرة الخاصة بالمرحلة المعاشة نظرا لما لمسناه من جدوى ثقافية في موضوعاته وطروحاته عبر تسلسله الزمني وهو ما نود أن يتيح لأبناء جيلنا والأجيال اللاحقة من القراء الفرصة لتلمس السياق التاريخي لنمو الآداب والفنون والثقافة عموما في هذا الجزء من بلادنا الكبيرة العامرة، ومن جهة أخرى فقد يجد القراء مؤشرات، من خلال النصوص على طبيعة المراحل الزمنية التي ولدت فيها فأثرت وتأثرت بها، والتطور النمطي للتفكير لدى الأجيال من مرحلة إلى أخرى وأساليبه وقوالبه الفنية، ولعل ما انتهجه المؤلف الكريم في كتابه هذا من جعل الترجمات والتحقيقات هوامش وحواشي يأتي تجسيدا لمرتكزات منهجية اعتمدها الرواد من المؤلفين وسار عليها الكثيرون من المعاصرين، لما فيها من تمكين القارىء من الانفراد بالنص وإعمال فكره في استخراج عناصره دون انشغال بما يمكن الرجوع إليه عند الحاجة.

إن هذه الأبـواب والفصـول قد جاءت تمثـل سفـرين كبيـرين ومـوسوعتين ضخمتين، بما اتسم به الكتاب من شمولية ضمت عدداً كبيراً من مثقفي المنطقة من شعراء وأدباء وكتاب وقصاص في مجالات كثيرة منذ القرون الأولى ومرورا بكل العصـور الإسـلاميـة حتى الآن ممـا يسهل آليات الإضافة والاستقصاء لدى الباحثين من أجيالنا ويمكن من تخصيص بحث مستقل محقق لكل شاعر أو كاتب ممَّن ضمَّهم الكتـاب على النحـو الذي أنجزه المؤلف الكريم من تحقيقات عن الجراح بن شاجر والخطابين وابن هتيمل والذروي وغيرهم، كما فعل غيره أيضا بالنسبة لشعراء وكتاب آخرين، ففيه (الكتاب) أضواء كاشفة لأسرار وكنوز تغري بالاستقصاء وترفد التخصص سواء.. للبحث الأكاديمي والأطروحات الجامعية، أو الجهود الذاتية في مجال التحقيق. (**ففوق كل ذي علم عليم**) والحمد لله في كل الأحوال.

نادي جازان الأدبي



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين: وبعد..

فقد أعان الله سبحانه وتعالى بمنه وكرمه وحوله وقوته على تأليف وإخراج وطبع الجزء الأول بعد عمل شاق ومعاناة مضنية، ونال بفضل الله إستحسان القراء واستقطاب رضاهم، مما دفعني إلى مواصلة الجهد لمتابعة المسيرة للشروع في الجزء الثاني والثالث ـ بحوله تعالى.

وهما يشتملان على التاريخ الأدبي للفترة الأخيرة من القرن الثالث عشر في آخر العهد العثماني وعهود علي بن حيدر وآل عائض والأدارسة، ثم العهد السعودي الزاهر الذي زخر فيه العطاء وتوالت فيه المكاسب الأدبية في هذه المنطقة العزيزة من وطننا السعودي الكبير، الذي يغطي أكبر مساحة من الجزيرة العربية، والتي في عهدها المشرق وصلت شبه الجزيرة العربية إلى عهد من التقدم الفكري والرقي الحضاري والتوسع العمراني والرخاء الاقتصادي والنهضة الثقافية، من تقدم لم تشهده على مدى تاريخها الطويل.

لا أقول هذا إدعاء أو مباهاة أو تزلفاً، فالواقع يشهد بذلك، «فمعرض المملكة بين الأمس واليوم» يجسد بعض تقدم المملكة لا كله، فيما يعرض في أرقى العواصم العالمية.

لقد مرت على الجزيرة عهود وعهود من غزو الإسكندر لبعض أطرافها الشرقية، وما تلى ذلك من حملة «أليوس غالوس» سنة ٢٤ ق.م التي شقت الجزيرة في اختراق من الميناء النبطي العربي «لويكة كومة» إلى نجران ثم انكفائها تجرجر أذيال الهزيمة والفشل، وما سبق، وما تلى ذلك من حضارات دثرت وطمرت تحت الثرى في الجنوب والشمال، وهي حضارات لم يبق لها أثر، وما نبش إلى الآن ليس فيه كبير غنى.

وعاشت بعد ذلك الجزيرة في جاهلية جهلاء وغزوات وقتال وضلالة عمياء حتى أراد الله سبحانه وتعالى بعث محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم برسالة الهدى ونور الإسلام، فكان أهل الجزيرة من جنوبها إلى شمالها في طلائع الفاتحين لأكبر مساحة من الدنيا القديمة، من جبال البرانس غرباً وأطراف فرنسا إلى أسوار الصين شرقاً.

وما هو إلا أن انطوت صفحات الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم حتى انتقلت الخلافة من المدينة المنورة في الجزيرة العربية إلى دمشق في سوريا، وبدأ انطواء الجزيرة على نفسها وانكماش أهميتها حتى كادت أن تعود ـ لولا نور الإسلام الذي قد غمرها ـ إلى جاهليتها الأولى.

وبَعُدَتْ سياسياً وإجتماعياً عن حركات التقدم، ومجالات الرقي الحضاري الذي سطع في دمشق ومصر وشمال افريقيا والأندلس وفارس وبغداد وخراسان وبلاد ما وراء النهر.

وتوزعت أقطارها إلى مقاطعات تابعة اسمياً لخلافة دمشق ثم لخلافة بغداد أو القاهرة اسمياً، تديرها حكومات مركزية بعدت بها عن مسيرات الحياة الراقية، فعاش بها أهلها على بعض جوانب من المعرفة والآداب في الجنوب والشمال، أو بالأصح في اليمن وتهامة والحجاز ونجد، تتعاورها جيوش خلافة بغداد ومصر(١) لمناصرة الأمراء المحليين، أو قمعهم، أو مساندتهم لمن يواليهم، أما البوادي فكان أهلها في صراع الحياة مع الجهل والقحط والفقر والفتن.

وتلا ذلك ما هدد الجزيرة من الغزو البرتغالي ثم التسلط الجركسي المصري، وإن كان أنقذها من عوادي الغزو الأجنبي البرتغالي المسيحي إلا أنه أثقلها بتسلطه، وجار عليها بإدارته، إلى أن غمر الحكم العثماني التركي الجزيرة والبلاد العربية ـ عامة ـ ما يوازي خمسمائة عاماً فجعلها تعيش في درجة من التأخر، وحالة من التردي والفقر والجهل، كما هو معروف في التاريخ.

وبعد إنسحاب الأتراك نتيجة لهزيمتهم في الحرب العظمى مع حلفائهم الألمان، توزعت البلاد العربية ـ عامة ـ إلى مستعمرات ومحميات ومناطق تحت الانتداب ومناطق نفوذ.

---

(١) أي بعد نقل الخلافة إسميا من بغداد إلى مصر تحت سلطة المماليك

أمـا الجزيرة العربية ـ خاصة ـ فقد توزعت إلى دويلات في الحجاز واليمن وتهامة والمخلاف السليماني وعسير وحائل ونجد وسواحل الخليج وحضرموت، وظلت على تلك الفـرقة والتقاطع والتشرذم حتى منَّ الله بفضله بقيام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعـــود بتوحيد أكثر أجزائها وأكبر مساحاتها في دولة إسلامية عربية سار بها في مدارج الرقي ومراقي الحضارة وسلم التطور، حتى أصبحت غرة في جبين العصر، تقدما ورقياً وعمرانياً وحضارياً وإقتصادياً وعلمياً.

فأصبح بها ثمان جامعات ونحو سبعين كلية ـ تقريباً ـ ومدارس من الإبتدائية إلى الثانوية، ومعاهد تستوعب أبناءها على سعة رقعتها.

أمـا العمـران والرخاء ـ فحدث ولا حرج ـ فالتعليم والعناية الصحية مجاناً والمواصلات وجميع الإتصالات الداخلية والخارجية موجودة وميسرة في كل رقعة وكل مكان، والأمن والرخاء هو مضرب المثل على صورة لا يوجد في غيرها من العالم.

فلا غرو أن سادت المعارف وشاع الأدب وازدهرت الثقافة وتفجر العطاء وتوالت المكاسب. فإذا كان أحد علماء هذه المنطقة(١) قد سجل ـ رحمه الله ـ أنه أحصى ما يزيد عن مائة عالم في جهة من جهات المخلاف السليماني، من القرن الأول إلى نهاية عهده في القرن الثالث عشر، فها نحن في هذا الجزء منه ـ أي الكتاب ـ نستعرض من الأدباء والشعراء والمؤرخين في خلال العهد السعودي فقط ـ الذي لا تزيد مدته على سبعين سنة ـ تقريباً ـ ما يفوق المائة أديب وشاعر ومؤرخ، هذا عدا خريجي الجـامعات من أمريكا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وايطاليا واستراليا ومصر في شتى أنواع المعارف والعلوم من أبناء هذه المنطقة فقط، والتي هي جزء من هذه المملكـة الواسعـة الأرجاء، وأصبح أبناء هذه المنطقة من حملة الدكتـوراة، الأطبـاء والصيـادلة والمهنـدسين والإداريين، والأسـاتـذة والعلماء والباحثين في الجامعات يعدون بالمئات في شتى فروع المعرفة والتخصصات العلمية، حمداً وشكراً لله تعالى على نعمه.

أما بعد.. وقـد وصلنا من المقدمة إلى هذا الحد، فنعتذر من القارىء الكريم عن تأخير هذه المقدمة عن موضعها في الجزء الأول.

---

(١) الحسن بن أحمد بن عبدالله الضمدي، الملقب «عاكش».

وبحوله تعالى تكون في الطبعة الثانية في مكانها الصحيح من الجزء الأول. مع إحاطة القارىء الكريم بأننا انتهجنا في ترتيب هذا الجزء ـ تحاشيا للحساسية في التقديم والتأخير للأدباء والشعراء ـ بتقديم الأسن على المسن، ففي الحديث: «**من لا يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا فليس منا**»، أو كما قال.

والآن، قد وضعنا لهذا الجزء من كتاب التاريخ الأدبي لمنطقة جازان، نفس المنهج المماثل للجزء الأول ـ تقريباً ـ مع تقسيم هذا الكتاب إلى أبواب وفصول لكل فترة من عهود القرن الرابع عشر، مع بعض التصرف الذي يستدعيه المقام والموضوعية، فإننا أضفنا ما سقط علينا من النتاج الأدبي لأواخر القرن الثالث عشر في الباب الأول في الفصل الثالث من هذا الجزء، كما سيأتي عليه القارىء الكريم.

كما أضفنا في هذا الجزء أبواباً جديدة لم تكن موجودة في الجزء الأول مثل:

أ ـ في النثر أضفنا ما يأتي:

١ ـ أدب المنشورات.
٢ ـ أدب المقالــة.
٣ ـ نماذج من أدب المحاضرات.
٤ ـ نماذج من أدب الوصف.
٥ ـ نماذج من أدب الخطابة.
٦ ـ أدب القصة والرواية.

ب ـ في الشعر، أضفنا ما يأتي:

١ ـ شعر الوطنيات.
٢ ـ شعر النهضة العربية والكفاح.
٣ ـ شعر الذكريات التاريخية.
٤ ـ شعر التحايا والتكريم.
٥ ـ شعر العيديات.
٦ ـ الفنون الجميلة في الشعر والرسم.
٧ ـ شعر الطبيعيات ـ وصف جمال الطبيعة.
٨ ـ شعر الوصف.
٩ ـ شعر الغربيات.
١٠ـ المتنوعات من الشعر.

١١ـ شعر المعارضات.

١٢ـ الشعر المسرحي.

١٣ـ الشعر والحداثة.

١٤ـ الأناشيد.

وعسى ولعل أن أكون بعملي هذا المتواضع، ومجهودي البسيط، قمت ببعض الواجب الذي يمليه عليّ حق وطني الحبيب ومواطنيّ الكرام من أبناء منطقتنا العزيزة، التي هي جزء لا يتجزأ من وطننا الكبير المملكة العربية السعودية وهي بدورها جزء من وطننا الأكبر الوطن العربي.

وللأوطان في دم كل حر يد سلفت ودين مستحق

ولعل وعسى ـ للمرة الثانية ـ أن أكون قدمت ما ترتاح له أرواح من سبقونا إلى رحمة الله ورضوانه من تخليد أسمائهم وتسجيل نتاجهم تاريخياً والإشادة بآثارهم الأدبية، وقمت بالواجب عليّ نحو الشيوخ والشباب من الأحياء بنشر نتاجهم المشرف، وقدمت الشباب الموهوب، ونتاجهم الجيد وأدبهم الغض الجميل، إلى دنيا الذيوع وعالم النشر، فهم عدة المستقبل وحملة لواء النهضة الثقافية السعودية في هذه المنطقة الغالية من وطننا السعودي العزيز.

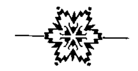
وأسأل الله التوفيق،،،

جازان

١٤١٢/٥/١٥ هـ

المؤلف

محمد بن أحمد العقيلي



البَـابُ الأوَّلـــ

الفَصْلُ الأوَّل

التاريخ الأدبي والنشاط الفكري
في أواخر العهد العثماني الأخير

أشرنا في الفصل العاشر ص ٤٣٥ ج ١ من هذا الكتاب - إلى النشاط الأدبي والحركة الفكرية في القرن الثالث عشر، وبعد الانتهاء من الجزء الأول وطبعه، ومباشرة العمل في الجزء الثاني والثالث، رغبت في وضع دراسة تكميلية لما جد بعده في النصف الأخير من ذلك القرن.

لقد طرأت متغيرات في الحياة الإجتماعية والفكرية والأدبية في تلك الفترة كانت لها منعطفاتها ومردوداتها وإفرازاتها التاريخية والأدبية والسياسية المتمثلة في:

١ - إنطواء تلك الصفحة المضيئة للدولة السعودية الأولى ونهضتها الإصلاحية السلفية.

٢ - عودة نفوذ الدولة العثمانية إلى الجزيرة العربية في حملة (محمد علي) المعروفة[١]، والتي جندها خليط من عناصر شتى من المصريين والألبان والجراكسة وغيرهم، وتحت قيادة ضباط أجانب من الفرنسيين وغيرهم، وما تحدثه تلك العناصر من أثر نتيجة للمخالطة والاحتكاك.

٣ - تغير الإمارة في المنطقة من أحمد بن حمود أبي مسمار[٢] - الذي كان يترسم طريقة والده المتشرب ببعض مبادىء الدعوة السلفية وتكتيكها وإدارتها - إلى علي ابن حيدر - الذي كان قد لجأ إلى حملة محمد علي وأصبح يرى أنه من مصلحة المنطقة وغيرها الإلتزام بالولاء لمحمد علي والدولة العثمانية.

٤ - ما طرأ من خروج محمد علي والي مصر وقائد الحملة عن طاعة العثمانيين وإعلان الحرب عليهم، وتقدم جيوشه إلى تركيا نفسها، وإرسال حملة بقيادة خليل باشا لإدارة جنوب الجزيرة لحساب دولته الجديدة.

٥ - النشاط العسيري وغزواته للمخلاف السليماني وتهامة اليمن.

٦ - إن الجيل الثاني من أمراء آل خيرات أصبحت لهم تعلقات بالأدب، وبعض المشاركات الفعلية مما ينبغي على الدارس الإشارة إليها، والإلمام ببعضها.

---

(١) ، (٢) (الديباج الخسرواني) - مخطوط - الورقة رقم ١٣٧.

وإذا قلنا الجيل الثاني من أمراء تلك الأسرة، فإن الجيل الأول ـ في نظري ـ يختتم بحمود أبي مسمار، الذي هو عم علي بن حيدر والأكبر منه سناً.

ومن المعروف أن الجيل الأول من أسرة كل امارة ـ أي امارة ـ تنصب اهتماماته على روح النضال وتوطيد دعائم الحكم والفروسية والكر والفر أكثر من اهتماماته بالحياة الأدبية والنشاط الثقافي، بخلاف الجيل الثاني ـ الذي نشأ في عهد من الاستقرار ورفاهية الحياة، والشغف بالنشاط الفكري والتطلع إلى الآداب والفنون الجميلة.

وكان الأمير علي بن حيدر(١)، وهو في قائمة رأس الجيل الثاني من تلك الأسرة لديه مكتبة عامرة من المخطوطات رشف من معينها وقطف من يانع ثمارها واستنشق من عبير أزهار رياضها، وأرضع من حافل أخلافها ابنه وولي عهده الحسين بن علي، الذي ورث تلك المكتبة عن والده وأضاف عليها الشيء الكثير حتى بلغت ثلاثمائة مجلد(٢)، الذي أوردنا في الجزء الأول جدوى تحصيله ثم تشجيعه للأدب والأدباء، بل ومشاركته الفعلية مع نجله محمد بن الحسين في ذلك. وقبلهم الأمير ناصر بن محمد الخيراتي أمير صبيا(٣).

ويليهم في التحلي بالثقافة والمعرفة والأدب، الحسن بن محمد بن علي بن حيدر، والعلامة الحسن بن شبير بن مبارك.

لم تدم هذه الحالة أكثر من ستة عشر عاماً، لأنه في عام ١٢٥٠ هـ ـ ١٨٣٤م وهو العام الذي زاد فيه النشاط الحربي للعسيريين على المخلاف السليماني وتهامة اليمن، استنجد علي بن حيدر بوالي الحجاز لمناجزة القوات العسيرية، في الوقت نفسه كان محمد علي قد خرج عن طاعة الدولة واستقل بأمر الحجاز وجنوب الجزيرة، وأرسل حملة من الحجاز بقيادة قائد يسمى محمد أمين(٤) لنجدة علي بن حيدر، وإرغام العسيريين على الإنسحاب من تهامة اليمن، وبوصول القائد إلى المخلاف السليماني استصحب الحسين بن علي بن حيدر وأنابه على وادي مور وما يليه، وتقدم لقتال العسيريين وأرغمهم على الإنسحاب إلى عسير، ثم وصل من

---

(١) أنظر كتابنا «نفح العود»، الذي حققناه ط ٢ ص ١٣٤.

(٢) أنظر ما أوردناه عن مكتبة الحسين بن علي في كتابنا «المخلاف السليماني» جـ ٢ ص ٥١٢، وأيضاً في ص ٥١٤ عن المكتبة الحافلة التي أهداها إمام صنعاء محمد بن يحيى إلى حليفه الحسين بن علي بن حيدر، وأن تلك المكتبة المهداة تشتمل على مخطوطات كانت في حوزة أئمة اليمن.

(٣) أنظر ص ١١٥ من كتابنا المحقق «نفح العود».

(٤) أنظر ص ٥٠٩ جـ ١ من كتابنا المخلاف السليماني.

قبل محمد علي قائد آخر يسمى إبراهيم باشا على رأس حملة بحرية فاستلم الإدارة من محمد أمين سلفه، فجعل مدينة الحديدة مركزاً لولايته الجديدة، واستمر على ولاية المخلاف السليماني وتهامة اليمن إلى أن صدرت الأوامر بتسليمه الإدارة إلى الأمير الحسين بن علي بن حيدر، كنتيجة لتنفيذ مقررات مؤتمر «لندرة» القاضية بإرغام محمد علي، على الإنسحاب وعودته للطاعة العثمانية وتسليم ما تحت يده من الحجاز والمخلاف السليماني وتهامة اليمن للوالي التركي في الحجاز، وللحسين بن علي بن حيدر في المخلاف السليماني وتهامة اليمن.

فقد بقى الحسين بن علي بن حيدر، على الإمارة نيابة عن الدولة العثمانية فترة، إلا أن تصرفاته السياسية وطموحاته المبتسرة طوحت به لغزو منطقة عدن - المستعمرة الانجليزية آنذاك - مما دفع الإنجليز للعمل ضده لدى الباب العالي من جهة، ومن الجهة الأخرى تشجيع إمام صنعاء محمد بن يحيى، على غزو تهامة، مما نتج عنه هزيمة الحسين بن علي بن حيدر، ثم أسره في جهة زبيد، وبقيت الحديدة وبعض الجهات تحت إدارة ابنه وابن عمه إلى أن تمكنا من فك أسره وعودته إلى الإدارة.

إلا أن مساعي الإنجليز الحثيثة ونفوذهم القوي عجل بإرسال توفيق باشا للإستلام منه وترحيله للأستانة(١).

وبذلك انطفأت جذوة الحركة الثقافية والنشاط الأدبي في المنطقة، وانحصرت في أفراد معدودين فقدوا الروح المشجعة التي تمدهم بحوافز التشجيع ودوافع الإستمرار، وعلى رأس أولئك الأفراد الشيخ الحسن بن أحمد الضمدي، الذي انحصر نشاطه الملموس في تأليف رسالة موجزة في تاريخ الأمير عائض وابنه وتكملة بعض مؤلفاته وبعض قصائد المديح في الأمير.

وبما أن لكل فترة خصوصيتها، فنرى أنه أصبح لمدة علي بن حيدر والعلويين خلفيتها وطروحاتها على الشعر في تلك الفترة.

إن الشعر في المنطقة في آخر عهد علي بن حيدر والعهد العائضي، كان له دوره المتواضع وحركته الوئيدة، وهو في حقيقة الأمر جزء أو بالأصح امتداد للحركة الأدبية والنشاط الفكري في النصف الثاني من القرن الثالث عشر.

وإنما لكل فترة خصوصيتها، ولو كان الشاعر نفسه عاش في عهد إمارتين

(١) أنظر ص ٥٢١ من كتابنا «المخلاف السليماني».

متقاربتين متعاقبتين، للمس الدارس المختص في نتاجه ما يتواءم وخصوصية كل عهد عاشه الشاعر أو الشعراء، لأن الشاعر ـ أي شاعر ـ يجاري الأوضاع وتبرز في ملامح نتاجه رغبة العهد الجديد وتفاعلاته واتجاهاته، وإذا لم يدرك ذلك ـ على وجه العموم ـ فإن بعض المتخصصين يدركون الفوارق البسيطة والملامح الباهتة أو المتألقة التي تميز كل فترة.

فالشاعر الذي يمدح علي بن حيدر تجده يشايع أو يتشيع لما يرغبه الممدوح علي بن حيدر أو ابنه، في حال أن في شعره للأمير عائض وابنه يظهر أو يتظاهر وينوه ويشيد بما عليه ذلك الأمير وابنه من سيرة وتقليدهما لمهيع النهضة السلفية ونهجها، فلنأتي على نتاج هذه الفترة في الفصول المتتالية.. بعد هذا.



الفصل الثاني



تعريف ودراسة

في أثنـاء طبـع الجـزء الأول من هذا الكتاب سقطت أثناء الطبع الرسائل التاريخية المتبادلة بين الخليفة العباسي المنصور، ومحمد بن عبدالله بن الحسن ابن الحسين بن علي بن أبي طالب والتي كانت من مواد الفصل العاشر من مادة (المبـاراة الشعرية) حول قصيدة جواهر الـلآل في مدح الآل، وما أوردناه من الردود والتعليقات على تلك القصيدة، وما جال حولها من النقاش.

وبمـا أن تلك الرسـائـل التـاريخيـة لها علاقة بالشيعة والتشيع، والدعاوى الأساسية لما تدعيه الشيعة، أو بالأصح ما يدعيه محمد بن عبدالله بن الحسن ابن الحسين، ويفتخر به على المنصور، وما يشجبه المنصور في رسالته التاريخية الجوابية.

وحيث قد سقط في أثناء الطبع شروحات قصيدة (ذات الخال) وأوردناها في هذا الجزء الذي هو الثاني من التاريخ الأدبي لمنطقة جازان، فإننا للفائدة نورد تلك الرسائل التاريخية، لأنه قد يكون الكثير من الناشئة والشباب لم يطلع على مضامينها، ولأن في إيرادها شجب دعاوى المتشيعين وتأييد مذهب أهل السنة والجماعة، وها نحن نورد ما يأتي:

١ ـ رسالة المنصور إلى محمد بن عبدالله بن الحسن.
٢ ـ جواب محمد بن عبدالله إلى المنصور.
٣ ـ جواب المنصور الأخير على محمد بن عبدالله.

١ ـ لما خرج محمد بن عبدالله، على المنصور(١)، كتب إليه المنصور:

---

(١) المنصور العباسي: هو عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس الملقب بالمنصور، ثاني خلفاء بني العباس وأول من عني بعلوم المتقدمين من ملوك العرب، كان عارفاً بالفقه والأدب، محباً للعلماء، وليَّ الخلافة بعد أخيه العباس عام ١٣٦ هـ/ ٧٥٣ م وهو مؤسس مدينة بغداد، وكان له تواقيع في غاية البلاغة، مدة خلافته ٢٢ عام، ولد عام ٩٥ هـ/ ٧١٤ م، توفي في ١٥٨ هـ/ ٧٧٥ م(١).

---

(١) الأعلام للزركلي ص ٢٥٩ جـ ٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله/ عبدالله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبدالله [1]، أما بعد

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [2]

ولك عهد الله وذمته وميثاقه وحق نبيه محمد إن تبت من قبل أن أقدر عليك أن أؤمنك على نفسك وولدك واخوتك ومن بايعك وتابعك وجميع شيعتك، وأن أعطيك ألف ألف درهم وأنزلك من البلاد حيث شئت وأقضي لك ما شئت من الحاجات وأن أطلق ما في سجني من أهل بيتك وشيعتك وأنصارك، ثم لا أتتبع أحداً منكم بمكروه. فإن شئت أن تتوثق لنفسك فوجه إليَّ من يأخذ لك مني الميثاق والعهد والأمان ما أحببت والسلام.

٢ - فكتب إليه محمد بن عبدالله:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبـدالله/ محمد المهدي أمير المؤمنين إلى عبدالله بن محمد. أما بعد

﴿ طسٓمٓ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ﴾ [3] .

(١) محمد بن عبدالله، هو محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الملقب بالأرقب وبالمهدي، وبالنفس الزكية، ولد عام ٩٣ هـ/ ٧١٢ م، وقتل عام ١٤٥ هـ/ ٧٦٢ م، ثار على المنصور طالباً للخلافة وصف بالتدين والشجاعة (١).

(٢) سورة المائدة الآية رقم ٣٣. (٣) من أول سورة القصص إلى الآية رقم ٦

(١) الأعلام للزركلي ص ٩٠ جـ ٧.

وأنا أعرض عليك من الأمان مثل الذي أعطيتني، وقد تعلم أن الحق حقنا، وأنكم إنما طلبتموه بنا ونهضتم فيه بشيعتنا، وخطبتموه بفضلنا، وأن أبانا علياً عليه السلام كان الوصي والإمام، فكيف ورثتموه دوننا ونحن أحياء، وقد علمت أنه ليس أحد من بني هاشم يمت بمثل فضلنا ولا يفخر بمثل قديمنا وحديثنا ونسبنا وسببنا، وأنا بنو أم رسول الله فاطمة بنت عمرو في الجاهلية دونكم، وبنو ابنته فاطمة في الإسلام من بينكم فأنا أوسط بني هاشم نسباً، وخيرهم أما وأبا، لم تلدني العجم ولم تعرق في أمهات الأولاد، وأن الله تبارك وتعالى لم يزل يختار لنا فولدني من النبيين أفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم ومن أصحابه أقدمهم إسلاماً وأوسعهم علماً وأكثرهم جهاداً علي بن أبي طالب، ومن نسائه أفضلهن خديجة بنت خويلد أول من آمن بالله وصلى إلى القبلة، ومن بناته فاطمة أفضلهن وسيدة نساء أهل الجنة، ومن المولودين في الإسلام الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، ثم قد علمت أن هاشماً ولد علياً مرتين، وأن عبدالمطلب ولد الحسن مرتين، وأن رسول الله ولدني مرتين من قبل جدي الحسن والحسين، فما زال الله يختار لي حتى اختار لي في النار، فولدني أرفع الناس درجة في الجنة وأهون أهل النار عذاباً، فأنا ابن خير الأخيار وابن خير الأشرار وابن خير أهل الجنة وابن خير أهل النار. ولك عهد الله أن أؤمنك على نفسك وولدك. وكل ما أصبته إلا حداً من حدود الله، أو حقاً لمسلم أو معاهد. فقد علمت ما يلزمك في ذلك، فأنا أوفى بالعهد منك وأحرى لقبول الأمان. فأما أمانك الذي عرضت عليِّ فأي الأمانات هو، أأمان ابن هبيرة أم أمان عمك عبدالله بن علي، أم أمان أبي مسلم؟، والسلام.

٣ ـ فكتب إليه المنصور:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله/ عبدالله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبدالله. أما بعد فقد أتاني كتابك وبلغني كلامك، فإذا جل فخرك بالنساء لتضل به الجفاة والغوغاء. ولم يجعل الله النساء كالعمومة ولا الآباء كالعصبة والأولياء، ولقد جعل العم أبا وبدأ به على الوالد الأدنى فقال جل ثناؤه عن نبيه عليه السلام:

﴿ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ ﴾(١).

---

(١) سورة يوسف الآية ٣٨.

ولقد علمت أن الله تبارك وتعالى بعث محمداً وعمومته أربعة فأجابه اثنان أحدهما أبي. وكفر إثنان أحدهما أبوك. فأما ما ذكرت من النساء وقرابتهن فلو أعطين على قرب الأنساب وحق الأحساب لكان الخير كله لآمنة بنت وهب. ولكن الله يختار لدينه من يشاء من خلقه. فأما ما ذكرت من فاطمة أم أبي طالب فإن الله لم يهد أحداً من ولدها للإسلام. ولو فعل لكان عبدالله بن عبدالمطلب أولاهم بكل خير في الآخرة والأولى. وأسعدهم بدخول الجنة غداً. ولكن الله أبى ذلك فقال: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾(١).

فأما ما ذكرت من فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب، وفاطمة أم الحسن، وأن هاشماً ولد علياً مرتين، وأن عبدالمطلب ولد الحسن مرتين، فخير الأولين والآخرين محمد رسول الله، لم يلده هاشم إلا مرة واحدة، ولم يلده عبدالمطلب إلا مرة واحدة. وأما ما ذكرت من أنك ابن رسول الله فإن الله عز وجل أبى ذلك فقال:

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾(٢).

ولكنكم بنو ابنته وأنها لقرابة قريبة غير أنها إمرأة لا تحوز الميراث. ولا يجوز أن تؤم فكيف تورث الإمامة من قبلها. ولقد طلب بها أبوك بكل وجه فأخرجها تخاصم ومرضها سراً ودفنها ليلاً، فأبى الناس إلا تقديم الشيخين. ولقد حضر أبوك وفاة رسول الله فأمر بالصلاة غيره. ثم أخذ الناس رجلاً رجلاً فلم يأخذوا أباك فيهم، ثم كان في أصحاب الشورى فكلٌ دفعه عنها. بايع عبدالرحمن عثمان وقبلها عثمان وحارب أباك طلحة والزبير ودعا سعداً إلى بيعته فأغلق بابه دونه، ثم بايع معاوية بعده وأفضى أمر جدك إلى أبيك الحسن فسلمه إلى معاوية بخرق ودراهم، وأسلم في يديه شيعته وخرج إلى المدينة فدفع الأمر إلى غير أهله وأخذ مالاً من غير حله، فإن كان لكم فيها شيء فقد بعتموه. فأما قولك: أن الله اختار لك في الكفر فجعل أباك أهون أهل النار عذاباً. فليس في الشر خيار ولا من عذاب الله هين، ولا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يفخر بالنار وسترد فتعلم

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾(٣)

(١) سورة القصص الآية ٥٦

(٢) سورة الأحزاب الآية ٤٠.

(٣) سورة الشعراء الآية ٢٢٧.

وأما قولك: أنك لم تلدك العجم ولم تعرق فيك أمهات الأولاد وأنك أوسط بني هاشم نسباً وخيرهم أما وأبا. فقد رأيتك فخرت على بني هاشم طراً وقدمت نفسك على من هو خير منك أولاً وآخراً وأصلاً وفصلاً. فخرت على إبراهيم ابن رسول الله، وعلى والد ولده، فانظر ويحك أين تكون من الله غدا، وما ولد فيكم مولود بعد وفاة رسول الله أفضل من علي بن الحسين، وهو لأم ولد كان خيراً من جدك حسن ابن حسن، ثم ابنه محمد بن علي خير من أبيك، وجدته أم ولد، ثم ابنه جعفر وهو خير منك. ولقد علمت أن جدك علياً حكّم حكمين وأعطاهما عهده وميثاقه على الرضى بما حكما به، فاجتمعا على خلعه، ثم خرج عمك الحسين بن علي، على، ابن مرجانة فكان الناس الذين معه عليه حتى قتلوه ثم أتوا بكم على الأقتاب بغير أوطية كالسبي المجلوب إلى الشام ثم خرج منكم غير واحد فقتلتكم بنو أمية وحرقوكم بالنار وصلبوكم على جذوع النخل. حتى خرجنا عليهم فأدركنا بثأركم إذ لم تدركوه ورفعنا أقداركم وأورثناكم أرضهم وديارهم بعد أن كانوا يلعنون أباك في أدبار الصلاة المكتوبة كما تلعن الكفرة فعنفناهم وكفرناهم وبيّنا فضله وأشدنا بذكره، فاتخذت ذلك علينا حجة وظننت أنا لما ذكرنا من فضل علي أنا قدمناه على حمزة والعباس وجعفر، كل أولئك مضوا سالمين مسلماً منهم وابتلى أبوك بالدماء، ولقد علمت أن مآثرنا في الجاهلية سقاية الحجيج الأعظم وولاية زمزم وكانت للعباس دون اخوته فنازعنا فيها أبوك إلى عمر فقضى لنا عمر عليه، وتوفي رسول الله وليس من عمومته أحد حياً إلا العباس فكان وارثه دون بني عبدالمطلب.

وطلب الخلافة غير واحد من بني هاشم فلم ينالها إلا ولده، فاجتمع للعباس أنــه أبو رسول الله خاتم الأنبياء وبنوه القادة الخلفاء فقد ذهب بفضل القديم والحديث، ولولا أن العباس أخرج إلى بدر كرهاً لمات عمك طالب وعقيل جوعاً أو يلحسا جفان عتبة وشيبة، فأذهب عنهما العار والشنار ولقد جاء الإسلام والعباس يمون أبا طالب للأزمة التي أصابتهم، ثم فدى عقيلاً يوم بدر فقدمناكم في الكفر وفديناكم من الأسر، ورثنا دونكم خاتم الأنبياء وحُزنا شرف الآباء وأدركنا من ثأركم ما عجزتم عنه، ووضعناكم بحيث لم تضعوا أنفسكم والسلام[1] انتهى.

أوردنا ما أوردناه للحقيقة والتاريخ، وإلا فنحن إن شاء الله على المذهب السلفي نشجب الغلو والتشيع ونتولى ونترضى عن أصحاب رسول الله ونترضى عنهم وعن الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم.

---

(١) الكامل لـ «المبرد» ص ٣٠٦ جـ ٢.

قصيدة ذات الخال للعاملي(١)

أمن خدها الوردي افْتَنك الخالُ ... فسحَّ من الأجفان مدمعك الخال

السحاب

وأومض برق من محيّـا جمالها ... لعينيـك أم من ثغرها أومض الخال

البرق

رعى الله ذياك القوام وإن يكن ... تلاعب في أعطافهِ التيه والخال

الكبر

ولله هاتيـك الجـفـون فإنهـا ... على الفتكَ يهْواها أخو العشق والخال

الخلي من العشق

مهـاةٌ بأمي افتـديهـا ووالدي ... وان لام عمي الطيب الأصـل والخـال

أخو الأُم

ولمـا تولى طرفهـا كل مهجـة ... على قدرهـا من فرعها عُقد الخال

اللواء

إذا افتكتْ أهـلَ الجمـال فإنما ... لهن على أهـل الهـوى المُلْكُ والخـال

الخلافة

وليس الهـوى إلا المروءة والوفا ... وليس له إلا امرؤ ماجـد، خال

السمح الكريم

وكـم يدَّعِي بالحب من ليس أهله ... وهيهـات أين الحب والأحمق الخـال

الضعيف القلب والجسم

معـذبـتـي لا تجحـدي الحب بيننـا ... لمـا أتْهِم الواشي فإني الفتى الخـال

البريء من التهمة

ولي شيمـة طابت ثنـاء وعفـةً ... تصـاحبني حتى يصـاحبني الخـال

الكفن

سلي عن غرامي كل من يعـرف الهوى ... ترى أنـنـي رب الصـبـابـة والخـال

الصاحب

---

(١) العاملي، هو موسى بن عبدالله العاملي، من أدباء سوريا في القرن الثالث عشر الهجري، ولم نجد له ترجمة، فلم يترجم له العلامة الزركلي ولا غيره فيما تحت يدي من المصادر.

ولا تسـمـعـي قول الحسـودِ فإنـه لقـد ساء فينـا ظنـه السـوء والخـال
التوهم

سعـى بيننـا سعي الحسـود فليتـه أشـل وفـي رجـليـه أوثـقـه الخـال
الظلع من الدابة والعرج

وظبيـة حسـن مذ رأيتُ ابتسـامهـا عشقت ولم تخـط الفـراسـة والخـال
المخيلة

توسم طرفي في محاسن وجهها فلاحَ له في بدر سيمائها الخال
التوسم بالخير

إلى مثلهـا يرنو الحليم صبابةً ويعشقها سامي النباهة والخال
الرجل حسن المخيلة والفراسة

أيـا راكبا يفري الفَلاةَ بجسرة يباع بها النهد المطهم والخال
البعير الضخم

بعيشـك إن جئت الشـآم فَعُـجْ إلى مهب الصبـا الغـربي يعنُ لك الخـال
جبل بعينه

فإنَ نَاشـدْتَـك الغيـد عني فقل على عهـود الهـوى فهـو المحـافظ والخال
الملازم

فسلم بأشواقي على مربع عفا كأن ربـاه بعـدنا الأفقر الخال
موضع لا أنيس فيه

فإن قيل هل سام التصبر بعدنا فقـل صبـرهُ ولّى وفـرط الجـوى خال
ثابت

لكـل جمـاح إن تمادى شكيمة ولكـنْ جمـاح الدهـر ليس له خال[1]
اللجام

انتهى كلام العاملي وهذا تذييل السيد[2] رحمه الله تعالى بقوله:

نعم خاله تقـوى الإله فإنهـا ستكسـوك ثوب العـز إن أعوز الخال
الثوب الناعم

وقـل لعفاة ساءهم سوءُ حالهم وأمـطرهـم غُنَ واكِف السحب الخـال
السراب

---

(١) انظر ص ٥٨١ جـ ١ من هذا الكتاب بعنوان «المباريات الشعرية» وما أوردناه هناك من التمهيد والإيضاح عن تلك المباراة وكيف وصلت إلى منطقة المخلاف السليماني.

(٢) هكذا ورد في الأصل، ويقصد بـ «السيد»: الشاعر عبدالجليل البصري.

هلموا سراعاً وأهرعوا نحو ماجد سَرِيّ فما كل الفحول هو الخال
الرجل السمح

ولا تركنوا إلا لمن كسبُه الثنا ولم يك في حسن السجايا الفتى الخال
المتكبر

إذا استبق الأقران في حلبة العلى فلكل كريم رام سبقاً هو الخال
الحرون

فليس لداود الهمام مُزاحم بعلمٍ وحلم لا يوازنه خال
جبل

وفياض جود عاض عن صيب الحيا وعم به حتى ارتوى الوهد والخال
الأكم

ومن مثله والعلم والفهم حليه وهل يتسامى شامخ الطود والخال
المنخفض

له زاخر الفهم الذي فاض حكمة ومن علمه للناس في فضله خال
ترسم الخير

مليك كسى القطر العراقي بهجة بعدل وأمْن شاد ركنيهما الخال
السيف

غدا عصمة اللاجيء إذا راعه العِدا وكعبة جود طال ما أمَّهُ الخال
المحتاج

إليك أمير المكرمات فريدة أتتك من الفيحاء يعنو لها الخال
نبت مزهر

تجوب من البيداء كل تنوفة بها للوجى تدمي النجائب والخال
الفحل الأسود من الإبل

معارضة للعاملي بنسخة وعند رواة العصر إتيانها خال
وهم

لقد زانها مدح الوزير وقد أتى تغزلها قلب الذي في الهوى خال
فارغ القلب

ولا زلتَ يا عين الزمان ممتعا بعز وذكر عنده يقدم الخال
الجبان

معانا سعيد الجد متصل الهنا أخـا نعمـة تزهـو وأنتَ بهـا الخال[1] المختال



(١) نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار ص ٧٢٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦ جـ٣.

الفصل الثالث



دراسة وتحليل

لرسالة من الأمير الحسن بن محمد بن علي بن حيدر(١)
إلى القاضي حسن بن أحمد بن عبدالله الضمدي

الرسالة بها بعض التآكل، ولكن نستطيع أن نحلل من الموجود ما يدل على المطموس، وهي تدل على رسائل متبادلة قبلها، ونرى الأمير يتواضع لصديقه القاضي، فهو ـ مثلاً ـ يقول: (ولقد أفدت جزاك الله خير الجزاء وكفاك كل ضير) ثم يضيف: (وأخيك ـ جملة متآكلة) إلا أنه على العرض (عن التعرض على مثل هذا ـ كلمة متآكلة)، ثم يستمر بقوله: (التي هي الترياق داء الجهل وما لمحت إليه) ـ جملة متآكلة.. ثم يقول: (لم نطلب منك انجاز الوعد على الوجه الذي افترقنا عليه، فأنا والله حاذرت أموراً(٢) عظمى في جانبك فإن... لسهام الألسن وعسى الله أن يقدر الإتفاق على أحسن وفاق.. وإن كنت ما تحتاج.. نعم أدام الله النعم وأزال النقم، وهذا بيد الأخ أحمد علي عواجي(٣) وبيده النصف الأخير من القاموس أو هو أقل من النصف دخل علينا قاموس جزئي الأول إلى باب

---

(١) الحسن بن محمد تولى إمارة أبي عريش وكانت المنافسة بينه وبين ابن عمه محمد بن الحسين بن علي ابن حيدر الأمير الشرعي على أشدها، وأخيراً تمكن من اغتيال ابن عمه وتوحد بالسلطة إلى أن تغلب عليه ابن عائض ـ أنظر كتابنا «المخلاف السليماني» ص ٥٢٣، ٥٢٤ جـ ١ وقد ورد اسمه بطريق الخطأ المطبعي فبدلاً من «الحسن» كتب «الحسين». وللمذكور مشاركة أدبية نستنتجها من رسالته الموجهة إلى الشيخ الحسن ابن أحمد الضمدي ومن أبيات أوردها في ترجمته «زبارة» في كتاب «نيل الوطر» ص ٣٣٥، ٣٥٦ جـ١، كما أورد له الأبيات الآتية:

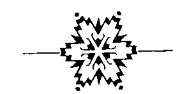
دوين التلاقي مهمه ممحل قفر	يحول على من رام يقطعه الذعر
بنى بيته فيه النوى فكأنما	لأفراخه من كل محضرة وكر؟
ينازعني حرصاً على السر سابقي	به ولصحبي دون مدّي به جزر
ولم تثنني عنه مقالة مشفق	علي ولما لم يكن دونه صبر
تجشمت في سيري له كل فادح	إلى أن تبدت لي الرميلة والقصر

(٢) في الأصل أمور ـ بالضم ـ وقد أصلحناه بالفتح لأنه مفعول به.

(٣) هذا يدلنا أن بعض آل العواجي مثل عبدالقادر العواجي المتوفى ١٢٣٦هـ/ ١٨١٩ م منفيا بمصر، وأحمد ابن أحمد العواجي المتوفى ١٣٢٦/ ١٩٠٨ م، لا يزال لهم أقارب موجودين في أبي عريش، انظر صـ٧٥٧ في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر.

العين.. في الباب بفصل السين لآخر تمامه وفيه أكل أرضه في أول تمام الباب ومن آخره كما تروا[1] وأرجو أن يصادف وصوله وأنتم..... كما تراه يليق. وكل الفضل في احتمال المشقة وتفضلوا عجلوا . بد المتطوع به أن سيد الجميع أدام الله علاه لا عذر..... القاموس..... عرفته النسخة وما تحتاج من تصليح وهو ما منعه وساعد المذكور كونه لم يحضر النسخة حقنا لأجل المقابلة وتفضلوا عجلوا لنا ذلك..... الحسنى وصدرت ربع شدة بياض من الموجود والبياض قليل وعلى كل حال.. هذا وسلم لنا على من حواه مقامكم الشريف سيما الأخ الجمالي والأخ المغربي وشريف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته)

والرسالة وسط في أسلوبها فهي فوق الأسلوب العامي ودون الأسلوب البلاغي، وبها بعض اللحن ولا نجزم هل الرسالة بخط الأمير أو أنه أملاها على الكاتب، وعلى كل فهي مصدرة باسمه الواضح ومختومة بختمه المعروف، وفي نفس الوقت تعطينا الدلالة على أن للأمير اهتمامات أدبية بإقتنا نفائس الكتب، فالقاموس لا يقتنيه أو يهتم به رجل عادي، كما أن للأمير مشاركات أدبية أوردناها متمثلة في قطعة شعرية.



(١) تروا: في الأصل بدون الألف لأن الواو للجماعة

من رسالة الحسن بن محمد بن علي
إلى الشيخ حسن بن أحمد (عاكش)

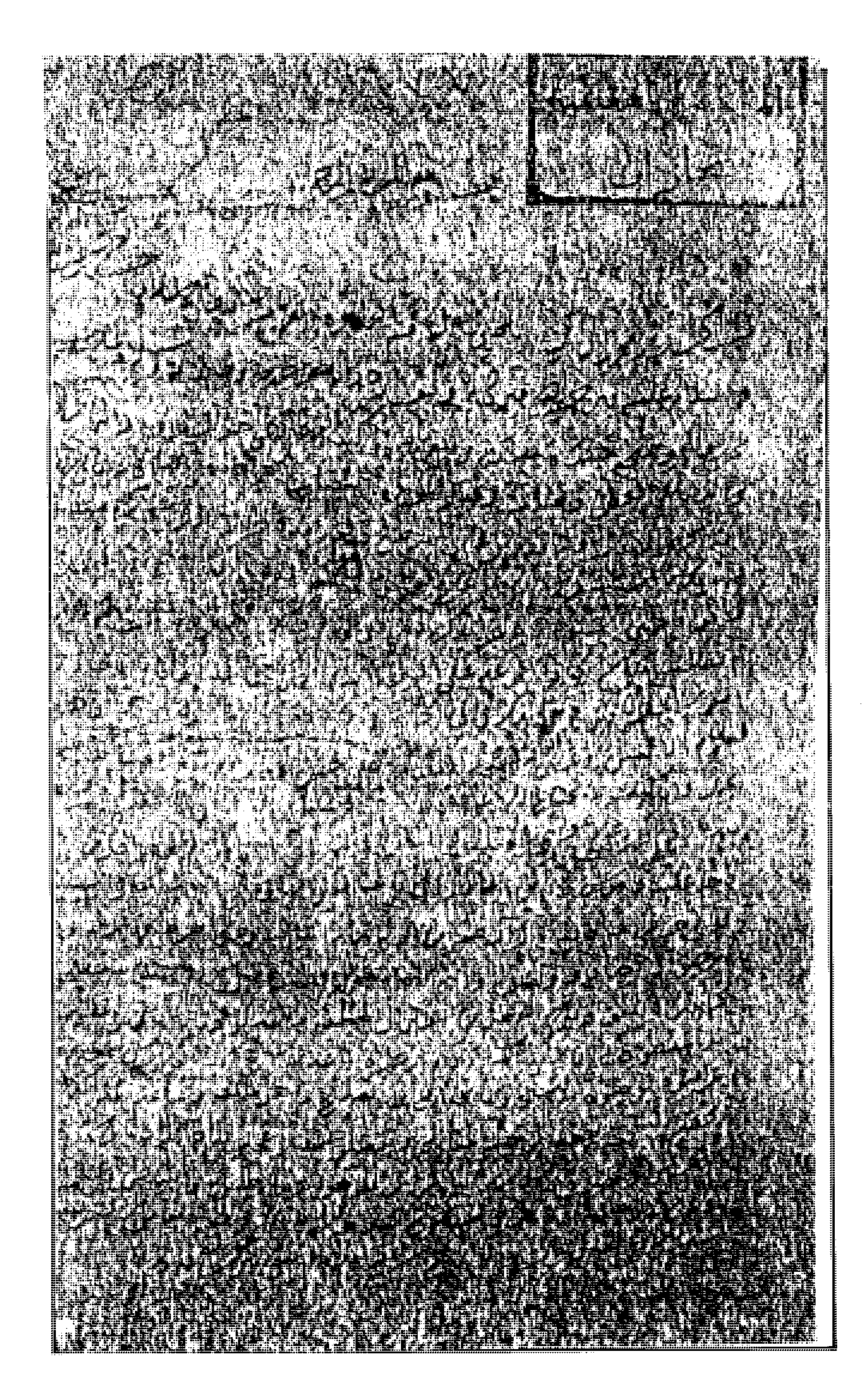
بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسن بن محمد.. إلى القاضي العلامة.. الفهامة شرف الإسلام حسن ابن أحمد بن عبدالله سلمه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد حمد الله حق حمده، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه. صدرت للسلام والتهاني وتأكيد الوداد عن أحوال.. والرسالة العظمى وصلت وبحبل المودة اتصلت ... أن الخط الأول وما فيه فهو على الغرض ولقد أفدت جزاك الله خير الجزاء وكفاكم كل ضير.. وأخيك.. إلا أنه على الغرض.. عن تعرض على مثل هذا.. التي هي الترياق داء الجهل وما لمحت إليه.. لم نطلب منكم إنجاز الوعد على الوجه الذي افترقنا عليه، فأنا والله حاذرت أمور عظمى في جانبك فإني.. لسهام الألسن وعسى الله يقدر الاتفاق على أحسن وفاق.. وإن كنت ما تحتاج.. نعم أدام الله النعم وأزال النقم وهذا بيد الأخ أحمد على عواجي وبيده النصف الأخير من القاموس أو هو أقل من النصف دخل علينا قاموس جزئي الأول إلى باب العين.. في الباب بفصل السين لآخر تمامه وفيه أكل أرضه في أوله تمام الباب ومن آخره كما ترو وأرجو أن يصادف وصوله وأنتم.. كما تراه يليق وكل الفضل في احتمال المشقة وتفضلوا عجلوا.. بد المتطوع به أن سيد الجميع أدام الله علاه لا عذر.. القاموس.. عرفتوه النسخة وما تحتاج من تصليح وهو مانعه وساعد المذكور كونه لم يحضر النسخة حقنا لأجل المقابلة وتفضلوا عجلوا لنا ذلك.. الحسنى وصدرت ربع شدة بياض من الموجود.. والبياض قليل وعلى كل حال.. هذا وسلم لنا على من حواه مقامكم الشريف سيما الأخ الجمالي والأخ المغربي وشريف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الختم



صورة رسالة الحسن بن محمد بن علي إلى الشيخ حسن بن أحمد (عاكش)

تحليل رسالة الأمير علي بن مجثل

بدأها بالبسملة ثم سلام الله الأتم يخص ويعم، حضرة الجناب العالي أخينا العزيز السيد محمد عقيل العلوي، سلمه الله تعالى. آمين. ثم ينبئه بوصول رسائله ويكني عنها باسم «الخطوط» ـ وإلى الآن لا يزال في جهتنا يسمون الرسالة «خطا» وكذلك في عسير ـ وهنا قال: خطوطك، بلغة الجمع، في حال أنه وضح بعد ذلك أنهما خطان، بقوله: الأول والأخير، وفهمنا مضمون الجميع ولم يقل فهمنا مضمونهما، وأنه صار لديه معلوم ما شرحه في الرسالتين.

ومضى بعد ذلك بشرح أسباب ثورته التي يسميها «قومته» فيقول: «وتعلم أن القومة لله لا لغرض من الأغراض»، وأنه قد أجاب عليه على رسالته الأولى شارحاً له ما في خاطره بمحضر كبار عسير وشهران ورفيدة وبني الأسمر وبني الأحمر وبني شهر وبلقرن وبني عمر ومن حضر من أكابر عبيدة وسنحان ومن حضر من دارعية ورجال همدان، وأنه بعث له الرسالة ليتلقاها في القنفذة ، وكتبها هكذا «فالقنفدة»[1]، ثم استأنف بقوله: «وأما الباشا فلا نرى للخط عنده وجه» وكأنه يقصد بالوجه القبول ـ «لأن ما نعلم له عندنا من المطالب شيء» ثم استأنف بقوله: «فإن أراد العافية والسكون فيخلنا [2] ـ أي يخلينا ـ ويخلي سبيلنا وأن يدور الفتن ومراءة يوازينا عند طوارفنا» ـ هكذا ـ، وكأنه يقصد أنه إذا كان يتآمر أو يتحرش بطوارفه ـ والطوارف هنا في مصطلحات المملكة هم عمال البلدان والمدن، وبالمصطلحات المصرية مأموري ومديري النواحي ـ فإن لم يكف، «فنستعين عليه بقاسم الجبابر» ـ القاسم الجبار الذي هو الله قاسم الجبابرة ـ وفي هذه الجملة ما فيها من الإنذار والتهديد ثم يقول: «فهو يكفي من توكل عليه، ونرجوا، أن دربه درب مقادمته» ـ أي يكون مصيره مصير مقادمته الذين قد هزموا ـ ثم يفيده أنه قد بين له في الجواب الأول طرفاً من أفعال رتبته ومقادمته ـ أي أفعال حامياته وقادته ـ وختم الرسالة بقوله: «يكون هذا لديك معلوم والسلام ختام» وذيلها بتوقيعه «المملوك الداعي» علي بن مجثل.

---

(١) في القنفذة، بدلا أن يأتي بـ «في» الجارة جاء بـ «فا» العاطفة
(٢) يخلنا : يتركنا.

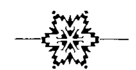
ثم أضاف في آخر الرسالة ما يأتي:

«كذلك كم جهة جوابه؟ الملحق فالله سبحانه قد أمر بالتعاون على البر والتقوى ونهى عن التعاف عن الإثم والعدوان» ـ وكأنه يقصد ونهى عن التعاون على الإثم والعدوان ـ «وهدولا الناس» ـ يقصد هؤلاء الناس ـ «من يعينهم وينفعهم بشيء على باطلهم فهو ممن يعين على الإثم والعدوان».

ثم يشير في رسالته للمرسل بأن الصحبة السابقة بينهما يعرفها المرسل إليه، وأن «الأخلاء بعضهم لبعض عدو» ـ الآية «إلا المتقين» وأن «الدنيا العز والذل فيها بيد مالك الملوك»، ويحمد الله بأن الصلح قد ساد بين المسلمين، وقد عزموا على حرب الترك ومن والاهم، وأن ما سلطهم الله على العرب إلا بغض بعضهم لبعض، وأن المرسل إليه يعرف الانتصارات عليهم في مواطن عديدة وأنه إذا كان ـ المرسل إليه ـ له غرض فيما ذكره فهو متوافق معه على كتاب الله وسنة رسوله ونوالي من حكمت السنة بولايته ونعادي من حكمت السنة بمعاداته، ويطلب من المرسل إليه إعادة الجواب.

انتهى

إن الرسالة إلى العامية أقرب من الفصحى، ومع نهجها ذلك المنهج فهي مليئة بالثقة والاعتداد، مشحونة بالتهديد والوعيد، والموقف الحازم، وهي تؤدي غرضها، وتوفي بالمطلوب، والإفهام الواضح يؤدي غرضه سواء كان بالفصحى أم بالعامية، لاسيما إذا كان من يقصد إفهامه ليس من أرباب الفصاحة والبيان، مثل قادة وحكام الأتراك في الجزيرة العربية، ـ آنذاك ـ كما نلاحظ أنه وضع فوق توقيعه «المملوك الداعي» بينما هو يكتب كتابة رسمية لواسطة بينه وبين الأتراك، هو محمد عقيل المكي.



رسالة الزعيم العسيري علي بن مجثل إلى السيد/ محمد عقيل حول الموقف من عمليات قوات محمد علي في عسير[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

(سـلام الله الأتم يخص ويعم، حضرة الجناب العالي، المكرم، أخينا العزيز السيد، محمد عقيل العلوي، سلمه الله تعالى آمين.

وبعد وصلت خطوطك، الأول والأخير، وفهمنا مضمون الجميع، وما ذكرت، صار لدينا معلوم، إلى آخر ما شرحت، وتعلم أن القومة، لله، لا لغرض من الأغراض. ولا يخفاك مع وصول خطك الأول، أنا قد جوبنا عليك، بما في خواطرنا بمحضر كبار عسير، وشهران، ورفيدة وبني الأسمر، وبني شهر وبلقرن، وبني عمر، ومن حضر من أكابر عبيدة، وسنحان، ومن حضر من دارعية ورجال همدان، وصدرنا الخط، يواجهك فالقنفذة، وأما الباشا فلا نرى الخط عنده، وجه، لأنا ما نعلم له عندنا من المطالب شيء، فإن أراد العافية والسكون فيخلنا ويخلي سبيلنا، وأن يدور الفتن، ومراءة يوازينا عند طوارفنا، فنستعين عليه بقاسم الجبابر، فهو يكفي من توكل عليه، ونرجو، أن دربه درب مقادمته، والجواب الأول، فقد بينا لكم فيه طرف من أفعال رتبه ومقادمته، يكون هذا لديك معلوم والسلام ختام.

المملوك الداعي
علي بن مجثل

---

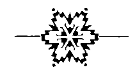
(١) مصدر الوثيقة: دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة «٨» بحر بر تاريخها ٤ ربيع الثاني ١٢٣٨هـ/١٩ ديسمبر ١٨٢٢م. (من وثائق تاريخ شبه الجزيرة العربية في العصر الحديث) للدكتور عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم.

كذلك كم جهة جوابه الملحق، فالله سبحانه قد أمر بالتعاون، على البر والتقوى ونهى عن التعاف عن الإثم والعدوان، وهدولا الناس من يعينهم وينفعهم بشيء، على باطلهم فهو ممن يعين على الإثم والعدوان، والصحبة المتقدمة بيننا وبينك، أنت عارفها سابق، فلا يخفاك ما قد ذكر الله سبحانه يومئذ، الأخلاء بعضهم لبعض عدو، إلا المتقين، ومن باب الدنيا فالعز والذل بيد مالك الملوك، فالحمد لله قد أصلح الله، ذات بين المسلمين، وأعزموا على حرب الترك، ومن والاهم، ولا جرهم علينا إلا بعضنا في بعض، وإلا أنتم تعرفون مجازهم في مواطن عديدة حتى دخلت العداوة بيننا، فإن لك غرض، فيما ذكره، أنا متوافق نحن وإياك على كتاب الله وسنة رسوله، ونوالي من حكمت السنة بولايته، ونعادي من حكمت السنة بمعاداته، فجوابك يعود علينا، وجواب الخط الأول تشرف عليه، والسلام.

علي بن مجثل

ملحوظة: في ظهر الوثيقة مكتوب العبارة الآتية:

بمنه تعالى. يصل الأكرم المكرم المحترم، الجناب العالي، أخينا العزيز السيد عقيل سلمه الله تعالى آمين.



دراسة وتمهيد لرسالة الأمير محمد بن عائض
إلى الأمير حيدر بن علي بن حيدر أمير أبي عريش

بعد تصدير الرسالة بالسلام والصلاة على النبي الكريم، يفهم المرسل إليه بوصول رسالته، وأن الأمانة الذي [1] لشخص اسمه حسن بن عز الدين وصل [2] وأرسلناه [3] إليه، وأنه كتب عليها رسالة وبعثها صحبة مكتبك [4] وفي كلمة «مكتبك» على ضعفها - فيها إيجاز وإختصار، وأنه بعث مع الرسالة الأمانة - أي عهداً مكتوباً إن رضي - أي حسن بن عز الدين - الرجوع إلى أبي عريش، وإن اختار الغربة فالمشقة عليه.

ثم يوجه الخطاب إلى حيدر بن علي: (وأما أنت فأوفيت بواجبنا عليك) ثم يلومه على مكاتبته للباشا، وأنه كان يجب عليه رفع الشكوى إلى ابن عائض نفسه، كما يلومه بقوله: (وثانيا فما بين الرعية أهم من دراهم علي عقيلي) .. ولم نعلم شيئا أخذ على رعية الباشا أو شكا علينا أحد ذلك، ثم يقول: (وحال رقم الخط وصلنا كتاب من أهل الملحا يذكرون أهل ضمد اعتدوا عليهم ولزموا منهم رجلاً وأهل الملحا غزوا بعد ذلك ولزموا منهم رجلاً وأنت عارف أن منهم محابيس في صبيا في قتيل قتل)، ثم يقول: (فنطلبكم حكم الشرع ومن منع الشرع فيلزم ولي الأمر المانع إكراهه، وما حدث بين الرعية يكفي ولا يجب عليكم الرضا بذلك. وأما الباشا فنحن نرد عليه حيث والمكتب استعجل، وأن وجدنا ثقة أرسلناه به، وسلام على من لديكم ومن لدى الإخوان المسلمون عليكم والأخبار بيننا غير منقطعة إن شاء الله تعالى والسلام جواب الباشا صدر إليكم) وهذا التحليل مع ما فيها من لحن.

أما الرسالة الثانية فهي من ابن عائض إلى خديوي مصر يبتدؤها بالدعاء والابتهال والضراعة لخديوي مصر، والرسالة بعيدة عن الإنشاء العربي، ويظهر أن الكاتب ممن تشبعوا باللغة التركية وأساليبها البيانية، وطريق ترسلها، فالسبعة أسطر الأولى كلها دعاء وابتهال ومجاملات واشتياق وما بعدها تطرق إلى الموضوع، الذي بعثت الرسالة بشأنه.

---

(١) الصواب «التي».
(٢) الصواب «وصلت».
(٣) **الصواب**: وأرسلناها
(٤) حامل الكتاب.

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عائض إلى جناب الأخ المحترم المكرم حيدر علي سلمه الله تعالى..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. وصل كتابك المكرم وتحققناه وصل الله الجميع رضاه والأمانة الذي لحسن بن عز الدين وصل وأرسلناه إليه وكتبنا عليه خط صحبة مكتبك وما قصرت وهذا حسب الأمل فيك والأمان في طيه أن رضى المـراح ورجـوعـه إلى أبي عريش فهو له أحسن وإن اختار الغربة فالمشقـة عليه وأما أنت فأوفيت بواجبنا عليك وعن شأن كتاب الباشا فلا كان الواجب عليكم رفع الشكية إليه في شيء قد أبطأ وثانياً فما بين الرعية أهم من دراهم علي عقيلي ولم نعلم شيء أخذ على رعية الباشا أو شكا علينا أحداً ذلك الوقت وحال رقم الخط وصلنا كتاب في أهل الملحا يذكرون أهل ضمد اعتدوا عليهم ولزموا منهم رجل في غير وجه وأهل الملحا غزوا بعد ذلك ولزموا منهم رجل وأنت عارف أن منهم محابيس في صبيا لهم سنة في قتيل قتل من أهل صبيا قتلوه في غير وجه فنطلبكم حكم الشرع فيهم ومن منع في الشرع فيلزم ولي أمر المانع إكراهه منا ومنكم وأيضاً أهل أبو عريش وأهل صبيا يأخذون بينهم وجهه وما حدث بين الرعية فالأمر يكفي ولا يجب عليكم الرضا بذلك وأما الباشا فنحن مجوبين عليه حيث والمكتب استعجـل والآن نرسل جوابه إليكم إن شاء الله وإن وجدنا ثقة أرسلناه به وسلام منا على من لديكم ومن لدى الإخوان المسلمون عليكم والأخبار بيننا غير منقطعة إن شاء الله تعالى والسلام جواب الباشا صدر إليكم.

(صورة للأصل المحفوظ لدينا)

رجب الحرام

١٢٨٣ هـ / ١٨٦٦م

الختم

خطاب محمد بن عائض أمير عسير
إلى خديوي مصر إسماعيل[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم إنا نرفع إليك أكف الضراعة والإبتهال ونتوسل إليك بأسمائك الحسنى وصفاتك العليـا أن تديم عزك السرمدي ونصرك الأبدي إلى حضرة حامي حمى الأقطار المصرية بفرمانه الصادق ومشيد بنيان الممالك اليوسفية بآرائه الثاقبة حضرة فخامة دولة الخديوي الأعظم لا زالت شمس إقباله في بروج السعد شارقة ونحور أعدائه في دمائهم غارقة وبعد ـ فلينهي إلى الحضرة التي هي محط رحال الآمال أن الداعي المخلص لم يزل مشتاق إلى مكاتبتكم وسائلاً عن عافيتكم التي هي غاية المقصود من الرب المعبود وقد صدر كتابان قبل هذا ونرسلهما عن طريق وكيل القومبانية (بجده) ولم ندر هل عاقها عائق ـ فاخترنا من حمل خطابنا هذا من اتباعنا ليكون ردا لجواب بيده إن شاء الله تعالى. وقد أوصيناه بثلاث خصال يخبر بها من تنتدبونه (أحمد بك اليمني) أو غيره ولم نشرح شيئاً في الكتاب لأجل الخـطر من كثرة الحساد لنا بمحبتكم والتقرب منكم، وإذا رأى حضرة أفندينا إرسال واحد سباك لفك المدافع خاصة وتوضيب جميع ما يتعلق بها فهو لدينا من جزيل الإحسان وقوتنا لأفندينا.

والله يعلم أنا صادقون في ذلك.

والدهر مجرب ـ ولا خير في قول بلا عمل ودمتم والسلام.

الداعي المخلص محسوبكم

محمد بن عائض

---

(١) وثيقة رقم ١٢٥ محفظة ١٩ بحر بر في غرة جمادى الأولى سنة ١٢٨٧ هـ دار الوثائق القومية بالقاهرة. «المصدر السابق».

مقدمة كتاب الدر الثمين
في ذكر المناقب والوقائع لأمير المسلمين

تأليف أحمد بن عبدالله الضمدي

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله ذي الملك والملكوت والعز والجبروت يؤتي الملك من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير وصلى الله وسلم على من اصطفاه من أشرف العالم وفضله على ولد آدم وأنزل عليه في كتابه المبين

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾(١).

صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الأنصار والمهاجرين صلاة أبلغ بها الغايات من رضوانه والمزيد من احسانه.. وبعد.

فإن علم التاريخ فضله جم يشترك في الإقرار بفضله وحسن وضعه من خص وعم ولله در الشاعر حيث قال:

ليس بإنسان ولا عالم　　من لم يع(٢)الأخبار في صدره
ومن درى أخبار مَن قبله　　أضاف أعماراً إلى عُمره

هذا مع أن كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مشحون بأخبار الأمم السالفة الماضية والقرون الذاهبة الخالية وقد قيل في تفسير قوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾(٣)

---

(١) سورة يوسف الآية ٣.

(٢) كلمة «يع» في الأصل كتبت «يعي» فأصلحناها كما هو أعلاه.

(٣) سورة فاطر من الآية (٤٤)، وفي الأصل كتبت كلمة «فينظروا» بالواو والنون فأصلحناها كما وردت في الآية «فينظروا كيف»، والكلمة من الأفعال الخمسة وقد جزمت عطفاً.

إن المراد بسير الأرض هو العلم بالتاريخ وقال عز من قائل كريم:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾[1]

وقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴾[2]

ثم إن أولى ما يعتمده أولوا الأمر وأصحاب الزمان ومن بأيديهم مقاليد الملك والسلطان وأوجب ما يتشاغل به من إليهم أزمة الأمور وعليهم سياسة الجمهور إدمان النظر في كتب السير والتتبع للأخبار والآثار والتفكير في أحوال من مضى من الأخيار والأشرار، ليعلم ما أبقاه المحسن من الصيت الحميد، الذي صار له حياة خالدة بالأجر الذي اكتسبه وللمسيء من الذكر القبيح الذي جعل صحيفته مسودة بالوزر الذي احتقبه، وتصفحوا حال الحازم في حزمه وعقله والمضيع في تفريطه وجهله فيسلكوا من الطريق أوضحها وأمثلها، ويتبعوا من الخلائق أشرفها وأفضلها، ويردوا من المشارب أصفاها وأعذبها، ويرتعوا من المراعي أطيبها ويأخذوا من الأمور بأحزمها ومن التجارب بأحكمها فمهما يكن من حسنة اقتبسوا منها ومهما يكن من سيئة ارتدوا عنها، فالسعيد من انتفع بالأدب فيما دأب فيه غيره من التجارب، والرابح من حظي بالراحة فيما تعب فيه سواه من المطالب، لأن العقل غريزة الإنسان والتجارب مكسبه في الزمان، والرأي لقاح العقل، والتجربة نتاجه، والخير مقصد الحجا[3] والإجتهاد منهاجه، فإذا تأمل المرء سِيَر الماضين من الأقوام، حتى مع تقارب الشهور والأيام، ثمرة ما غرسوه من تطاول الدهور والأعوام، وعرف علل الأحوال وفوائدها، وحِيَل الرجال ومكائدهم، وتسلى بمن تذرع الجَلَد عند حدوث النوائب، وتأسى بمن توقع الفرج حين ظهور العجائب، وما في أثناء ذلك من حسن المفاوضة والمذاكرة، وأنس المحادثة والمسامرة، حتى قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: من علم التاريخ زاد عقله.

وقد سبق إلى الإعتناء بعلم التاريخ أكابر الأئمة وأفاضل علماء الأمة، وثنوا على من سلك ذلك النهج بما لا يزيد عليه، وصرحوا بأنه من المهمات النافعة في الدين والدنيا، وعولوا على من حرص على ذلك.

---

(١) سورة يس الآية ١٢ .

(٢) سورة طه الآية ٩٩.

(٣) الحجا: ولكنها تكتب بالألف اللينة لأنها وقعت رابعة.



الفصل الرابع

شعر المديح

دراسة وتحليل للقصائد الواردة في شعر المديح

إن نتاج الأفكار هو نتيجة مجهود أدبي، لا يمكن لناقد التعسف في أحكامه، ومهما ضعف الدافع فإنه يبقى في الأثر ملمح من ملامح الإبداع، فإن لم يلمس فيها الإجتهاد والإحتفال والعناية، فقد يفرز الإهمال شيئاً من عدم التألق والخصيصة الجمالية، ويبقى في النتاج شيء من الإبداع الباهت والضياء الشاحب، وأي شاعر لا تجد نتاجه في مستوى واحد قد يكون عاجله الوقت أو ضعف لديه عامل الخلق والإبداع الأدبي وإنما الشعراء الموهوبون مثل: أبي تمام والبحتري والمتنبي في العربية، وشكسبير وملتون وبيرون وشيلي، ودانتي الإيطالي في الأدب الغربي، هؤلاء بما منحهم الله من الموهبة المبدعة يكون الضعف في نتاجهم متواجد على قلة، وإنما الضعف في نتاجهم يساوي القوة في نتاج غيرهم ممن لا يرقى إلى مستواهم ولا يبلغ أوج عبقريتهم.

إن الشعر الجيد يفرض نفسه ويحوز إعجابك ويبقى أثره في نفسك، وذلك هو سر الخلود لآثارهم الخالدة، فمثلا: من منا يقرأ معلقات زهير بن أبي سُلمى، أو قبله معلقة امرىء القيس، أو القصيدة المنسوبة إلى الفرزدق في مدح زين العابدين، والتي مستهلها:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

والتي رواها الفاسي في كتابه «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين»(1)، أنها لداود بن سلم في مدح قثم بن العباس، فإن صح ذلك فيكون قد انتحلها الشيعة وزيد في أبياتها ونسجت لها قصة أشبه بالخيال: أن هشام بن عبدالملك حج وأراد الطواف فلم يستطع لزحام الناس، فنصب له منبر جلس عليه وحوله خاصته ووجوه أهل الشام وفي تلك اللحظة أقبل زين العابدين للطواف، فأوسع له الناس في المطاف، فاسترعى ذلك انتباه أحد وجوه أهل الشام المقربين من هشام، فسأل

---

(1) إن تاريخ العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين للفاسي هو ليس تحت يدي الآن لأنني أهديته ضمن مكتبتي لجامعة الملك سعود، والكتاب موجود متداول بأيدي الناس. وأنظر الأغاني ص ٢٦٢، ٢٦٣، ففيهما جانب من القصة، مما يؤكد ما أشرنا إليه.

من هذا؟ الذي أوسعت له النـاس المـطاف؟ فأجابه هشام: لا أدري؟ فارتجل الفرزدق القصيدة وقالها.

واعتقد أن القارىء الكريم يلمس التلفيق ودس الشيعة أو إصطناع القصة أو الزيادة في القصيدة وإحالتها من مدح «قتم» إلى مدح «زين العابدين» وأرجح أنه ليس من المعقول أن الخليفة الأموي، الذي شمل سلطانه من حدود فرنسا في الغرب إلى أسوار الصين في الشرق، يعجز جنده وجلاوزته أن يفسحوا له الطريق للطواف، فنصب له منبر يمتص فشله وينظر بحسرة إلى زين العابدين والناس تفسح له المطاف، ويسأل ويغالط في الإجابة، بل ويكذب مع عزة السلطان وجلال الملك ومهابة الدولة، فيتجرأ الفرزدق ـ الذي يسترزق بشعره ـ ويرتجل القصيدة في تلك اللحـظة، وينشدها جهارا نهارا في الموقف، ويصمت الخليفة وأنصاره ورجاله، ويبتلع الخليفة الهزيمة الأدبية في صمت وذل معنوي ويحكم الشيعة حبكة القصة، ولولا ما ورد في العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين لما خامرني الشك في صدق القصة، والقصيدة من غرر الشعر المحفوظ، بل لا أغالي إذا قلت أنها من أشهر الشعر:

وإذا أمعن النـظر الدارس المتعمق للجمال الفني والإبداع البياني لقصائد الشعـراء، وبالأخص نوابغهم ـ مثل من سبق أن ذكرنا ـ لوجد ـ مثلا ـ أشهر قصائد البحتري التي تغطي عالم الأدب في الشعر العربي، قصيدته التي يصف فيها موكب الخليفة المتوكل العباسي، والتي ضمنها:

بالبـر صمـت وأنـت أفـضـل صائـم
وبـسـنـة الله الرضـيـة تفـطر

والتي سنوردها فيما بعد.

ومع عبقرية أبي تمام، فمن من الأدباء أو المتأدبين لا يحفظ أو على الأقل يعجب بقصيدته في فتح عمورية:

السـيـف أصـدق أنـبـاء من الكـتـب
في حده الحـد بيـن الجـد واللعـب

أو لا يملك الإعجاب نفسه أي شخص بقصيدة أبي العلاء المعري التي مستهلها:

غيـر مجـد في ملتـي واعـتـقـادي
نوح باك ولا ترنـم شادي

ومن منا ينكر عبقرية شكسبير العرب[1]، أو لا يملك عليه الإعجاب أمره بسيفياته

إن معنى كل ما أشرنا إليه ليس أنه لا يوجد شعراء إلا الأربعة المذكورين، في حال أن الشعر العربي يزخر بمئات الدواوين، وفيها من غرر القصائد وفرائد الإبداع ما يملك الإعجاب ويغمر النفس، وإنما في رأي المتواضع، أن مواهب أولئك الشعراء الأربعة من السطوع والتألق ما جعل لها من الضياء الخالد ما هو ألمع وأبهى من غيرها.

وها هي النجوم في السماء نشاهدها وكلها تزهوا بالأنوار وتتألق بالضياء، وإنما فيها ما هو أشد لمعانا، وفيها المتوسط، وفيها ما لا يراه إلا حديد النظر، وفيها ما لا يُرى إلا بالمراصد والمكبرات، ومن النجوم كواكب سيارة، والشمس والقمر كلها دائرة في عالم الأفلاك بقدرة الخالق العظيم.

وسنجد الشعر في النصف الثاني من القرن الثالث عشر قد بهت لمعانه وأخذ في الإنحدار، فالدولة العثمانية مع عظمتها الإسلامية وما قدمته من خدمات للإسلام ذوى الشعر بالتدريج في عهدها، والخير كل الخير إن وجد شعر في صحراء تلك العهود، أشبه شيء بالواحات المتناثرة في الصحراء الكبرى بالنسبة إلى الجزيرة العربية خاصة، وإلى البلاد العربية عامة، ثم بالنسبة إلى المخلاف السليماني - بصورة أخص - فإن إنهيار إمارة الحسين بن علي بن حيدر، واستلام الدولة العثمانية إمارته الممتدة من شمال المخلاف السليماني إلى المخا، أحدث فراغاً في الأدب والمعارف، ففقد الأدباء في المنطقة المشجع والمعين، إلا أفراداً أبت عليهم أصالتهم العربية ومواهبهم الأدبية إلا أن يعيشوا الشعر والأدب والتأليف، ومنهم شعراؤنا الذين سنورد قصائدهم في المديح مثل:

١ - المفتي الإبي في قصيدته في مدح الأمير الحسن بن محمد بن علي بن حيدر.
٢ - الحسن بن أحمد بن عبدالله الضمدي في مدح ابن عائض.
٣ - عبدالكريم العتمي في قصائده في مدح أحمد بن ادريس.
٤ - العواجي في قصيدته في شكوى الزمان أو الرثاء.

---

(١) هو أبو الطيب أحمد بن الحسين الملقب بـ «المتنبي».

وأرجح أن القارىء الكريم سيشاركني الإعجاب ببعض تلك القصائد مع ما كان في ذلك العهد من القحط الأدبي والمحل الإبداعي ويتجاوز في نفس الوقت عن بعض الهنات والضعف في الأقل القليل الذي أعتور بعض نتاجهم.

وسيجد القارىء الكريم بعده دراسة وتحليل لقصائد الشيخ الحسن بن أحمد الضمدي في مدح الأمير ابن عائض، وغيره.



تحليل ودراسة
لقصائد الشيخ الحسن بن أحمد الضمدي في مدح
الأمير محمد بن عائض

أشرنا في الفصل الخاص بالأمير علي بن حيدر، أن الشعر في المنطقة في آخر عهده نحى المنحى المعروف لشعراء الشيعة، والحقيقة أنه ليس فقط في آخر عهد علي بن حيدر بل في عهد أمراء آل خيرات(١).

وسنجد في شعر الشيخ الضمدي نفسه، في مدح آل عائض، ما أشرنا إليه في أول الفصل الثاني من التغيير والتحول في قصيدته التي مستهلها:

(تبسم ثغر المجد عن شنب الفخر)

فنجده في المستهل يذكر المجد والفخر، وإشراق نجوم السعد بالظفر والفتح، وأن الآفـاق أشرقت، والبغي تلاشى واضمحل، وأن محمداً بن عائض هو فخر زمانه، وأن اسمه باسم الرسول صلى الله عليه وسلم.

ويكـرر نعت أهل (رجال ألمع) بالبغي ثلاث مرات في الصفحة الأولى، وأنه أذاقهم كأس المنايا، ولم تغن عنهم حصونهم لأنهم تعدوا حدود الله ـ كما يقول ـ في السر والجهر، وأنه سيف الله الذي سله للجهاد على أهل البغي، وهذه المرة الرابعـة وهو ينعتهم بالبغاة، وأن عسير تفاخر به مصر، وأن الله أذهب ببأسه المعاندين، وختمها بالصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم.

وفي قصيدته التي بعدها والتي مستهلها:

ليهن العـلا نصـرا به ابتسم الدهـر   وقـد كان لا يفتـر قدما له ثغر

---

(١) أنظر ص ٦١١ من الفصل العاشر من كتابنا «التاريخ الأدبي لمنطقة جازان» جـ١ شعر المديح ـ وما جاء في شعر الشاعر بندر بن شبيب وغيره، وفي ص (٦٢٠) قصيدة الحسن بن أحمد بن عبدالله الضمدي في مدح الحسين بن علي بن حيدر وأنظر الحاشية ص (٢٨) من كتابنا «التاريخ الأدبي» جـ١ أيضاً على الفصل الثالث، وقد قيل في المثل (السلطان سوق يجلب إليه ما ينفق فيه).

وليس فيها جديد عن المدح التقليدي، ويتلوها قصيدته التي مستهلها:

بسمر العوالي والسيوف الصوارم — يقوم شعار الدين بين العوالم

فهو ـ هنا ومن المستهل ـ ينوه بما يقوله العسيريون، لأن شعارهم هو الدين، ويلوح بعد ذلك بثورة رجال ألمع، وأنهم أمرضوا الدين الحنيف، ويكرر كما قد سبق في البيت الثاني، الذي فيه ينعتهم بالبغي، وهنا للمرة الثانية بأنه ببغيهم أخربوا ما شيده الممدوح من معالم الدين، وأن فضائله ظاهرة في كل أرض في نجد والتهائم، وأنه أرغم أعداءه فألجأهم إلى طلب السلم، وأنه استجاب لذلك رحمة تعودها على المخالفين، ويدعو إلى إعمال حدود الله في كل حائد عن الحق، وأنه لم يعاقب إلا على إهمال الشريعة، ونلاحظ الإجادة في هذه القصيدة.

أما القصيدة الرابعة فاستهلها بوصفه للسير من أبي عريش إلى عسير، وقطعه المسافة في حنادس الظلماء وفي هواجر النهار، كل ذلك في طلب الوصول إلى ساحة وافي القول والفعل، الذي يحاكي بكرمه الفرات، وأنه الخائض للأهوال إذا ما غدا بين الرماح والسيوف، وعلى طريقة المدح في قصائده السابقة، ومع تقديرنا لشيخنا الجليل، فإنه في ذلك كله لم يخرج عن المدح التقليدي الخالي عن الإبتكار والتجديد(١).

ونأتي بعد ذلك إلى قصيدته في مدح شيخه عبدالرحمن بن أحمد البهكلي، وهي قصيدة جميلة تبلغ أبياتها تسعا وثلاثين بيتاً وقد أجاب عليها الشيخ البهكلي بقصيدة من نفس الروي والقافية تبلغ اثنين وأربعين بيتاً، مستهلها:

سقاها وحياها الحيا من مرابع
وباكرها إن لم تجدها مدامعي
ديار اللواتي باللوى كن مؤلفي؟
وطوع يدي والدهر أيضا مطاوعي
نعمت بنعمى بعد عزي بعزها ؟
وسعدي بسعدى واجتنبن الموانع؟
فعادت عوادي البين
....

(١) إن علامتنا الجليل بمؤلفاته القيمة في التفسير والحديث والتأريخ والأدب هو أكبر من شاعر وأرفع من أديب.

فأيـه على عيش تقـضـى حمـيـده
بذات الغـضـى والمـنـحـنـى والأجـارع
وددت زمـانـا بالحـمـى عائـد لنـا
(وليـسـت عشـيـات الحـمـى برواجع)

إلى أن قال:

ومـا زال يهـدي للجـليـل ابـن أحـمـد
عروضـاً فيـقـفـو أثـره كالمـتـابـع
هو القـطب السـامـي إلى الشـمس نسـبـة
إذا طلعـت يومـا شمـوس المـطالع
ومـجـلي المـعـانـي والبـيـان حقيقـة
بديـع زمـان كم له من بدايـع[1]
لمـنـظومـه الطائـي يطأطأ رأسـه؟
ومـنـشـوره القـاضـي له خيـر خاضـع[2]

وهي طويلة وجميلة نكتفي منها بهذا القدر[3].



(١) بديع الزمان الهمذاني صاحب المقامات المشهورة.
(٢) يقصد القاضي الفاضل عبدالرحيم البيساني الكاتب المشهور.
(٣) المصدر: «عقود الدرر» ـ مخطوط ـ للحسن بن أحمد بن عبدالله الضمدي.

قصيدة الحسن بن أحمد الضمدي(1)
يمدح ويهنىء الأمير محمد بن عائض

تبسم ثغر المجد عن شنب الفخر
ولاحت نجوم السعد بالفتح والنصر
وأشرقت الآفاق في كل موضع
وأضحى شعار البغي في غاية القهر
ونال أبو الهيجا بذلك رفعة
علت في تساميها على هامة البدر
سَمِيُّ نبي الله فخر زماننا
وقائد جيش الحرب في الموقف الوعر
ومن صار ليثاً في المعارك كلها
وخير فتى قد صال بالسمر والبُتْر
لقد خفقت أعلامه وبنوده
على رأس أهل البغي بالقتل والأسر
وحامت على أشلائهم في بلادهم
حوائم أطيار الحداة مع النسر
وقد عاندوا فيما أتوا من شقاقهم
فقاتلهم فصلا بقاصمة الظهر
لوى العسكر المنصور بالقوم فاغتدت
نفوسهم نهب المثقفة السمرِ

---

(1) الحسن بن أحمد بن عبدالله الضمدي، عالم المخلاف السليماني وشاعره ويعد شخصية من أبرز الشخصيات العلمية في عهده، ينتمي إلى أسرة معروفة بالفضل والعلم والأدب والفقه، وأنيط بغير واحد من أبنائها وظيفة القضاء الشرعي من القرن العاشر إلى أواخر القرن الرابع عشر، وآخر شخصية معروفة بارزة من هذه الأسرة، هو القاضي الأديب أحمد بن حسن بن محمد عاكش المتوفى سنة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م

ولد سنة ١٢٢١ هـ ببلدة ضمد، أما وفاته، ففي بعض مؤلفاته ما يفيد بوجوده على قيد الحياة في سنة ١٢٩٢ هـ ونقدر أنه إن لم تكن وفاته في تلك السنة، فلم تطل مدته بعدها بكثير.

أنظر ترجمته الموسعة في كتابنا «أضواء على أدب وأدباء منطقة جازان» ص ٣٦ إلى ص ٥٢.

أذقْتَ الْمُنَاوِىء منك كأس منية
أحاق به في البغي عاقبة المكر
كفى عِبرة للمعتدين فعاله
به صار يدري كيف عاقبة الغدر
يظن الشقي أن المعاقل جُنَّة
وكيف يُنَجِّي القصر من هادم العمر
وما قدروا أن القصور وإن علت
مع القدَر المحتوم جالبة الشر
فأبرزهم نحو الردى حاتم القضا
مع رصده فعل النجوم ولم يدر
كذا عادة الخلّاق في كل ظالم
تعدى حدود الله في السر والجهر
نُهَنِّيك يا مولى الفضائل عن يد
بما نِلتَ بعد الصبر والنصر بالصبر
فأنت عديم الشبه في موقف الوغا(١)
وتصرع الأبطال من غير لا ذعر
وقد نلْتَ ما قد نلته بسعادة
قضت أنك المقدام بين بني الدهر
وأنك سيف للجهاد مجرد
تجرع أهل البغي من كأسه المر
وقد صرت شمساً في البلاد منيرة
تضيء على أهل البداوة والحضر
وقد لاحظتك المكرمات وإنما
بأفلاكها في كل ما تبتغي تجري
بسعيكم الميمون قد أصبح الورى
على حالهم يسعون في البر والبحر
وأمَّنت فيهم خائفا متظلماً
ونال الذي يهوى بأيامك الغر

---

(١) هكذا في الأصل والصواب «الوغى»

وان بك القطر العسيري قد زَها

وفاخر من فيه على ساكني مصر

فدم في مباني عزك الشامخ الذرى

تمد حبال العدل في ذلك القطر

وكن شاكرا لله في كل حالة

ترى النعم الغرا تقيد بالشكر

وإنا على الحالات نحمد ربنا

على نعم عُظمى جلَّتْ عن الحصر

وأعظمها إذهاب كل معاند

ومغداه من بعد الترفع بالخسر

وان الذي قد سركم فهو سرنا

ونحن على الأنس المعظم والبشر

ولا زلت منصور اللوى في سعادة تجود

على العافين من سيبك الوفر

وصلى إله العرش ما لاح بارق

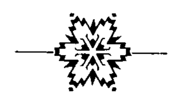
على الشافع المختار في موقع الحشر

كذا آله أهل المعارف والنهى

ومن فضلهم قد فاق للأنجم الزهر

وأصحابه الغر الكرام ومن لهم

وقائع صدق في حُنينٍ وفي بَدْر(١)



(١) المصدر: الدر الثمين في مناقب أمير المسلمين للحسن بن أحمد الضمدي - مخطوط.

قصيدة الحسن بن أحمد الضمدي
مهنئاً الأمير محمد بن عائض

ليهن العلا نصرا به ابتسم الدهر
وقد كان لا يفتر - قدماً - له ثغر
وأشرق وجه المجد بعد عبوسه
وقرت عيون الملك وابتهج العصر
ألا هكذا من رام فخراً ورفعة
وإلا فلا كان السمو ولا الفخر
على مثل هذا النصر يستحسن الهنا
وإلا فلا كان المديح ولا الشعر
وذاك بنصر للإمام إمامنا
لإمداحه يستحسن النظم والنثر
هو الفارس الكرار في كل وقعة
شجاع له في كل معترك ذكر
هو الليث ما الليث في حومة الوغى
وما عنتر يوم الطراد ولا عمرو
كريم سوى ترك الندى لا يسوءه
لديه الردى عيد ولكنه النحر
أعز الهدى لله عزم سللته
حساما وجيشا أنت عيناه والصدر[1]
شننت به الغارات حتى كأنها
أطاف بها الطوفان أو حشر الحشر
أسود قتال من مغيد وعلكم
يسايرهم نحو العدا الذئب والنسر

(١) عز الهدى: لقب تشريفي يُنعت به في جهتنا، وكذا في جنوب الجزيرة على من كان اسمه «محمد» وقد اختصروه فيقال «العزِّي» وقد يتوسع فيه، ويقال «عز الإسلام»، وقد أشرنا إلى ذلك في صفحة من صفحات الجزء الأول من هذا الكتاب.

يهـابـهـم حتـى الجـمـاد ولو هم
مع الليـل أعـوان لمـا طلع الفـجـر
وليس لديـهـم بعض هيـبـتـك التـي
تذوب لهـا خوفـاً باغـمـادهـا البتـر[1]



(١) العقد الثمين للحسن بن أحمد الضمدي.

قصيدة الحسن بن أحمد الضمدي
في مدح الأمير محمد بن عائض

بسمر العوالي والسيوف الصوارم
يقوم شعار الدين بين العوالم

ومن قد درى ما قد جرى في زماننا
من البغي لا يصغى للاحٍ ولائم

هُمُ أمرضوا الدين الحنيف ببغيهم
وهمْ خربوا ما شُيِّدْتَ من معالم

فقام بتصليح الرعاء بنفسه
أبو المجد حَاوٍ للعلا والمكارم

محمد السباق في كل غاية
لهيبته تعنو طباع الضراغم

أعز الورى قَدْراً وأنداهُمُ يدا
وأقواهُمُ جأشاً لدفع العظائم

ومن ركب الأخطار في طلب العلا
ولم يأل حتى قادها بالخراطم

ومن ظهرت في كل أرض على الورى
فضائله في نجدها والتهائم

ومن ألقت الغلب الجحَاجح أمرها
إليه فأمسى وهو مولَى الأكارم

أقر له كل الأنام وأذعنوا
بسبق علاه في حديث وقادم

فلا غرو أن جَلَّى على كل طالب
لنيل العلا من كل أصيد قائم

وما زال من سن الطفولة مولعا
بشيد المعالي واكتساب المكارم

فذل له الباغون في كل بلدة
أصارهم في مثل حلقة خاتم
وألجأهم أن يطلبوا السلم ذلة
فأخرجهم منها بذل الهزائم
ولو شئت لم تفعل ولكنَّ رحمة
تعودتها من فعلك المتقادم
بنيت الذي هدموا وأخربت ما بنوا
من الكيد فارتدت كأضغاث حالم
فكنت عصى موسى تلقفت سحرهم
برأيٍ متين منك للداء حاسم
وأرغمت أنفاً منهمُ وتركتهم
يعضون من غيظ رؤوس الأباهم
فشكراً لرب العرش حيث أثابكم
بما نالكم نصراً على كل ظالم
فما ذاك إلا فعله وهي سنة
له قد خلت في أخذ أهل الجرائم
فدم ساعياً لله في نصر دينه
وجرد له بالجد ماضي العزائم
واعمل حدود الله في كل حائد
عن الحق لا يثنيك لومة لائم
فما عُوقِبت إلا بإهمال شرعه
ملوك مضوا بالحادثات القواصم
فأَصْلِح أمورَ الخلق واكشف مصابهم
بإنصاف مظلوم وإبعاد ظالم
وسر في الرعايا سيرة مستقيمة
تسير لكم أخبارها في المواسم(١)

(١) العقد الثمين للحسن بن أحمد الضمدي.

قصيدة الشاعر الحسن بن أحمد بن عبدالله الضمدي
في مدح الأمير محمد بن عائض

يقول لي الحادي وقد جد بي السرى
وللعِيس وخدٌ بين تلك الغياهب
وقد خالط القوم النعاس من السرى
وهم بين ماشٍ في القفار وراكب
إلى م التمادي في السرى يا أخا السرى
وحتى م قطع للربا والسباسب
أما حان للعيس المناخ فقلت لا،
مناخ سوى في سوح عالي المراتب
فجِد إلى سوحٍ من المجد أخضرٍ
به تنظر الوُفاد من كل جانب
إلى سوح وافي القول والفعل والندا[1]
حكى الخضرم العذب الفرات لشارب
إلى ملكٍ يملا القلوب مهابة
ويملا الأيادي بالعطا والرغائب
إلى ملك ساد الملوك بأسرها
فرتبتهُ فوق السُّهى والكواكب
حمدت السُرى لما أنخت بسوحه
وشيدت أمالي بنيل المطالب
هو الفارس المشهور في كل معرك
ومُردي العدى[2] فيه وليث الكتائب
له الحملات الصادقيات في الوغى
إذا كَلَّت الأبطالُ عن كل ضارب
يحدثُ عنها كل غادٍ ورائحٍ
ويخبر عنها حاضر كل غائب
هو الخائضُ الأهوال يوم لقائها
إذا ما غدى بين القنا والقواضب

(١) هكذا في الأصل. والصواب «الندى»

(٢) الصواب: العداء، مختار الصحاح.

وفـارسهـا الصنـديـد في حومـة الردى
إذا اضـطرم الجـيشـان بين المضـارب
إذا جُردت يوم الجـلادِ صفـاحـه
فأغـمـادهـا هامـات كل محـارب
مفـارق هام الدارعـيـن إذا امـتـطى
جواداً وتـيـاراً أمـام المـواكـب
له خضـعـت غُلب الرقـاب وقـد غدت
بأبـوابـه آسـادُهـا كالثـعـالب
حمـى كل قطرٍ من حمـاه فأصـبـحـت
به الأرضُ في زهـو لآتٍ وذاهـب
همـام يعـانـي كل هول وحـادث
وقـد جرّع الأعـداء صرف النـوائـب
بعـزم إذا أودعـتـه البـيض لم يدع
على الأرض من باغٍ بهـا ومـحـارب
وكـم لك من نصـرٍ من الله ظاهـرٍ
وكـم لك من رأي هنـالك ثاقـب
لك الخيـر إذ أحييت للشـرع والهُـدى
ونـلت مقـامـاً في العُـلا غيـر غائـب
وأمـنت من في البـر والبحـر بعـد أنْ
غدوا من عظيـم الخـوف في كف لاعـب
وآسـيـت أخـبـار الملوك ومـا مضـى
لهـم من أحـاديـث جرت ومـنـاقـب
فكـم لك من بأس يذوب لهـوله الـ
جمـادُ وفـعـلٌ صادقٌ غيـر كاذب
بقـيـت بقـاء الدهـر يا خيـر ماجـدٍ
لتـشـيـيـد عزٍ أو لَبـذْلِ مواهـب[1]

---

(١) العقد الثمين ـ مخطوط ـ للحسن بن أحمد بن عبدالله الضمدي.

قصيدة الحسن بن أحمد الضمدي الجوابية
الموجهة إلى شيخه عبدالرحمن بن أحمد البهكلي[1]

هل العهد من ليْلَى بذات الأجارع
يعود فَطَرْفي بعدها غير هاجع

وما أنا بالنَّاس فأذكر عهدها
ولكن ذكراها يلذُّ لِسَامع

لإن قضت الأيام بالبعد بيننا
فلستُ أرى ذا البعد أحد الموانع

أهيمُ بها في كل وقت لأنني
طوَيتُ على حر الغرام أضالِعي

فإن لاح برقٌ بِالحمى يستفزني
وأذْرِ من الأجفان صوب المدامع

وإن نَفَحتْ من جانب الشَّعْب نَسْمةٌ
أثارت لِمَكْنُون الجَوىَ المتتابع

وكيفَ سُلُوِّي عن هواها وقد غدى[2]
لديها فؤادي من أعز الودايع

هي الشمس حسناً وارتفاعاً وبهجةً
ولكنها قد حُجبت بالبراقع

إذا خطرت فالرُّمح يحكي قوامها
وفي لحظها السَّاجِي رهاف القواطع

وإن سَحبَتْ بين الرُّبوع ذُيولَها
يُعطِّر ريَّاها لتلك المرابع

أُعلل نفسي أن أفوز بوصلها
وذو الشوق تعروه فنون المطامِع

لعمري لقد أصبحتُ حلف صبابة
ولكنما دهري عن الوصل رَادِعي

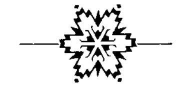
---

(١) انظر ص ٧٨٠، ٧٨١ قبله.

(٢) الصواب: غدا، مختار الصحاح.

خليلّي عُوجَا بي على سفح وجرةٍ
لنقضي حقوقاً للديار البلاقِع
وأمَّا لركب نحو رامة يممَّوا
فكم من حبيب في الركاب مطاوع
وهات أحاديث العذُيبَ وشنِّفا
بذكر إمام المكرمات مسامع[1]

وجيه الهدى علاَّمة العصر من غدت
مفاخره تُتْلى بكل المواقع
تبحر في كل العلوم فما له
إذا خاض في أبحاثها من منازع
فقد سار في علم التفاسير قدوة
فما ابن جرير عنده وابن شافع
وقد فات في فن الحديث ابن ماجة
وطال بحفظ المُسنَداتِ الجوامع
وساوق في نقد الرجال ابن حنبلِ
ولابن معين صار خير مضارع
وفي الفقه والأصلين قل نظيرهُ
القشيري ومن يرقى لمنع الموانع؟[2]



(١) هكذا في الأصل والصواب «مسامعي».

(٢) المصدر: عقود الدرر ـ مخطوط ـ للحسن بن أحمد بن عبدالله الضمدي.

تحليل ودراسة لقصيدة

أحمد بن حسين المفتي الإبي

هي من القصائد الذائعة والمشهورة في جنوب الجزيرة، ومن الشعر الذي يفرض نفسه ويوجب لأبياته الإستحسان، وبغض النظر عن المديح، وإن كان للمديح في الشعر العربي مجاله فإن الشاعر توفق في غزله ونسيبه ووصفه لتشوقه لوطنه، فهو كما يقول:

فبكى وغنى بالديار مشببا　　　وبأهلها شغفا، ومن يعشق يغن

والفقرة الأخيرة من البيت (ومن يعشق يغن) مثلاً سائراً له براءة الإختراع والإجادة في المعنى والاختصار في اللفظ، ومضى منادياً دار أترابه وأحبابه وسربه وأختانه، ويصفها بمنزل الأقمار والأنهار والأزهار والغناء الفاتن، وأنها مربع الغزلان، ورياض الأغصان، ودوح الأفنان والغيد الفاتنات، وأنها دار معترك الشبيبة والصبا ـ بالنسبة إليه ـ وتلك المعركة تدور رحاها، لا بمرهفات السيوف وسمر الرماح، بل بالبيض الحسان والقدود اللدان لصاحبات الوجنات الموردات.

ومضى يستسقيها الغيث ويستمطر لها الحيا، لأنها مراتع الظباء ومرابع الحسان، وأنه يعهدها والظباء سوانح ترعى في خمائلها على ضفاف العيون المطردة، ويقول لصاحبه: لا يعجب إذا شاهد انتحابه وفارقه اصطباره، وطار الوسن عن أجفانه شوقاً إلى ذلك الوطن وهياماً بتلك المرابع، وراح يتعجب لتلك الحمامة أو الحمام وقد طوقت رقابها وتخضبت أقدامها وغدت تشكي غرامها وأحزانها وأنه ناداها متعجباًوقد رقصت على غصن وغنت على الآخر وغدا يناجيها في همس محبب وشعر مُرقص فيقول:

أحمام مالك والبكى لم تفقدي　　　ألفا ولم تتشوقي خلا ظعن

الماء تحتك سائح والظل فو　　　قك وارف والدار معمور بمن

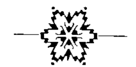
وإن صويحباتها سانحات سابحات ساحبات قوادم ريشها،وفضل أذيالها، وعلى يمينها الصاحب المتودد وعلى شمالها الخل الوفي، في حال أنه الغريب النائي

الدار بعد أن كانت له فيها الأحبة والوطن، وأنه ما ترك إقامته فيها عن قِلي أو اجتواء، ولكن عزة النفس، وطلب المعالي، وطلب العيش الكريم دفعته إلى الرحيل وطلب العز، وكأنما عناه قول الطغرائي بقوله:

أريد بسطة كف أستعين بها   على قضاء حقوق للعلا قبلي

ثم تخلص بعد ذلك إلى المدح، الذي سيطلع عليه القارىء في مدح الأمير الحسن بن محمد بن علي بن حيدر، الذي كان يتنازع الإمارة مع ابن عمه محمد ابن الحسين بن علي بن حيدر، وهي منحصرة في أضيق نطاق بين مطامع العسيريين من الشمال، والأتراك من الجنوب، وقد أشرنا في الفصل الثاني إلى ملامح بعض عهده.

ونكتفي هنا بإلقاء الضوء على بعض الملامح الفنية والمؤشرات الجمالية في القصيدة، وفي ذوق القارىء الكريم ما يغني عن الإطالة.



الشاعر أحمد بن حسين المفتي الابي يمدح الأمير الحسين بن محمد بن علي بن حيدر

لشذا تحرك من هواه ما سكن
فصبا لعهد صبا وَحَنَّ إلى سكن

وبدا له ذكر المعاهد من ربا[1]
أرض الحصيب[2] وملعب الظبي الأغن

فبكى وغنى بالديار مشبباً
وبأهلها شغفاً «ومن يعشق يغن»

يا دار إطرابي وأحبابي وأصـ
حابي وأترابي وسربي والختن

يا منزل الأقمار والأنهار والـ
أزهار والأوتار والصوت الحسن

يا مربع الغزلان والأغصان والأ
فنان والألحان والغيد الفتن

يا دار معترك الشبيبة والصبا
بالبيض والسمر المورّدة الوجن

يا شعب ذاك الشعب باكرك الحيا
وسقاك يا زمن التلاقي من زمن

سقيا لعهدك مربعاً وظبائك
الأتراب لي وطر وقربك لي وطن

ولقد عهدتك والظباء سوانح
ترعى خمائلها وماؤك ما أجن

---

(١) هكذا في الأصل والصواب (ربُى)

(٢) الحصيب: إسم من أسماء مدينة زبيد، قال الملك جياش:

لله أيام الحصيب ولا خلت ... تلك المعاهد من صبا وتصابي
لا عيش إلّا ما أحاط بسوحه ... شط الأهيب وشاطىء الأهواب

وقال الشاعر ابن هتيمل الضمدي:

إن في روضة الحصيب من النعمة ... ما ليس في سواد العراق
بلد طيب حوى لذة العيش ... وروح المشوق والمشتاق

لا تعجبن إذا بكيت وشاقني
برق وفارقني اصطباري والوسن
واعجب لِخَافقة الجناح تطوقت
وتخضبت وشكت غرامي والحَزَن
ناديتها متعجباً منها وقد
رقصت على فنن وغنت في فنن
أحمام مالك والبكا لم تفقدي
إلفاً ولم تتشوقي خِلًّا ظعن
الماء تحتك سائح والظل فو
قك وارف والدار معمور بمن
وصويحباتك سانحات سابحا
ت ساحبات فضل ذيل أو ردن
وعلى يمينك صاحب متودد
وعلى شمالك خير خِلٍّ أو سكن
أما أنا فغريب دار بعدما
كانت له فيها الأحبة والوطن
ما إن تركت إقامتي فيها قلى
استغفر الله العظيم وهل يظن
لكنها نفس أبت مِنْ عزها
من أن تقيم بها بعيش مُمتهَن
فرضيت منها بالرحيل وأنه
من لم يكرّم نفسه كُرها يُهن
ولرب ليل بت فيه مضاجعاً
من سربها في هضبها ظبياً أغن
نَازعتَه كأس الطلا من ريقه
ورحيقه وعقيقه لا كأس دن
كانت أحب إلي من حلوى ومن
عسل ومن خمر ومن سلوى ومَن
أخذ العهود عليَّ ليلة زُرتَه
أن أنظم الدر النضيد وانظمن

وأصيغ منه فرائداً غَزَلاً به
وأصوغ منه قلائداً من كل فن

في جيد مدح أبي المكارم والندى
حسن أعز ملوك أبناء الحسن

ابن الجحاجح من ذؤابة حيدر
وأجل مَنْ حَمل القنا وبه طَعن

ملك أعاد على الزمان شبابه
وبهاءه بعد الزمانة والددن

ومحا سواد الجور أبيض عدله
حتى تخوف كل طرف منه أن

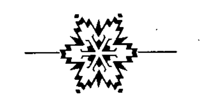
لاعيب فيه غير أن جريحه
لا يَرْتَجي غير المنية والكفن

يا بن الذي فض الصفوف بسيفه
وبقوله فرض الفرائض والسنن

لا زالت الأعلام تخفق منك من
حَلْي ابن يعقوب إلى أقصى عدن

وبحق نصر الله تفتح ثغرها
وتود مصر أن تكون لك اليمن

ثم السلام عليك يا نجل العلا
بعد الصلاة على النبي المؤتمن(١)



(١) كتاب «نيل الوطر لزبارة» ص ٩٥، ٩٦، ٩٧ جـ١.

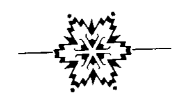
تحليل موجز لقصيدة عبدالكريم العتمي(١)
(سرى وله فوق المجرة إجلال)

قصيدة من عيون الشعر، جزيلة الألفاظ، وكأنما الشاعر قصد بالإغراب والإجادة لأن القصيدة مرسلة إلى الشيخ القاضي عبدالرحمن بن أحمد البهكلي، وهو من هو في علمه وفضله وبلاغته، فاحتفل بمبنى تلك القصيدة.

ومع ما تقدم من التنويه عن تلك القصيدة وبلاغتها، فإن فيها معانياً مطروقة سبق إليها مثل قوله:

عيون عن لا، حين يطرق سائل ....

فإنه مسبوق إليه في الجاهلية والإسلام ومنها القصيدة المنسوبة للفرزدق.



(١) هو عبدالكريم بن الحسن العتمي الزبيدي، نعته مؤلف حدائق الزهر بقوله: «شيخنا أديب الزمان ومن يقوده باللين من كلم البنان، الفصاحة أصغر صفاته والبلاغة عفو خطواته، وُلد - تقريباً - عام ١١٩٤ هـ في مدينة زبيد، وأخذ العلم على يد علماء تلك المدينة، ولازم الشيخ الحافظ عبدالرحمن بن سليمان الأنباري، وغيره ومدح ملوك زمانه، كأحمد بن حمود أبي مسمار، أيام عمالته بزبيد في آخر مدته، وتولى عمالة زبيد نيابة عن بعض المتولين من جهة إمام صنعاء، وعقب ذلك توالت عليه المحن وسجن فشفع فيه القاضي عبدالرحمن ابن أحمد البهكلي، فأخرج من السجن، وللشاعر غرر القصائد، ومنها قصيدة يمدح بها من تسبب في إطلاقه من السجن الشيخ عبدالرحمن البهكلي (أنظر القصيدة بعدها).
وبعد خروجه من السجن زهد في المناصب، وعكف على العلم والتدريس حتى توفي عام ١٢٤٦ هـ. انتهى.

قصيدة الشاعر عبدالكريم العتمي
في مدح القاضي عبد الرحمن بن أحمد البهكلي

سـرى وله فوق المجـرة إجـلال[١]
ملث حيـا، هامـي الوديـقـة هطال[٢]

يؤم الربـى مسـتـهـديـا ومض بارق
ويـخـطو إليـهـا مسرعـاً وهـو يخـتـال

ومـا برحـت تحـدوا ألـنـعـامـا قلائص[٣]
إلى أن تروى منـه بالمـنـحـنـى الضـال[٤]

وبـاشـر أرضـا باشـرتـهـا قبـيـله
مطارف وشـي للحـسـان وأذيـال[٥]

وأجـوف يعـوي فيـه سيـد عمـلس[٦]
ويـزأر فيـه ألبـد الوحش ريـبـال[٧]

برى السيـر فيـه ناقـتـي فكـأنـهـا
لمـا لقـيـت فيـه من الأيـن تمـثـال[٨]

---

(١) المجرة: مجموعة نجوم معروفة، إجلال: جل الشيء: معظمه، وجلال الله: عظمته، وناقة تجل عن الإعياء: قوية. قال الشاعر:

(تجل عن الكلال)

والتجلة: العظمة، قالت الشاعرة ليلى الأخيلية:

يشـبـهـون ملوكـاً في تجـلتـهـم
وطول أنـضـيـة الأعـنـاق واللمـم

(٢) ملث: ألث السحاب: دام، وسحاب ملث العزالى: شديد المطر، وقد أضاف «المطر» إلى «الحيا» - الذي هو المطر، و «هامي»: منسكب، و «الوديقة»: حبات المطر.

(٣) النعامى - بالضم - ريح الجنوب، لأنها بهمزة فوق الألف، وهي أبل الرياح وأرطبها.

(٤) قلائص: القلوص: الناقة الشابة، وهي بمنزلة الجارية من النساء، وتجمع على «قلص» و «قلائص»، وهنا أوردها الشاعر إستعارة للسحب المثقلة، و(الضال) شجر معروف.

(٥) الوشي: ضرب من الحرير.

(٦) الأجـوف: الخَبْتُ، وهـو نعت لمنعـوت محذوف، و «سيد عملس» «السيد: الذئب»، و «عملس» نعت له، و «العملّس» - بفتح العين والميم واللام المشددة - القوى السريع.

(٧) الألبد: الأسد، ريبال: نعت للأسد.

(٨) الأين: التعب.

ترامـت بهـا الأشـواق فهـي لمـا بهـا
تحـن، ولي نحـو الأحـبـة إعـوال

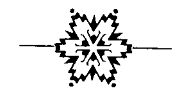
إلى أن أنـاخـت في منـازل معـشـر
نزيـلـهـم فوق المـجـرة نزال

عيـيـون عن لا، حيـن يطرق سائل
مقـاول أن أعيـى على اللسـن القـال

وقـطب الرحـا فيـهـم وواسـط عقـدهـم
وجـيـه الهـدى من للرغـيـبـة بذال

من العـلم والعـليـاء في الرتـبـة التـي
تعـز على قوم سواه وإن طال

فدم في مبـانـي عزك الشـامـخ الذرا[1]
فقـد حازهـا قدمـا لك العـم والخـال[2]



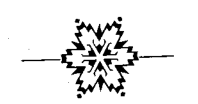
(١) الذرا: ذرا الشيء ـ بالضم ـ أعاليه، الواحدة «ذروة» ـ بكسر الدال وضمها.

(٢) المصدر: تاريخ الوشلي الموسوم باسم «نشر الثناء الحسن» الورقة ٧٦٣.

شعر الغزل

الشاعر سالم بن محمد الجيزاني
في الغزل[1]

ياساكنين[2]؟ حمى قلبي على الحمم
حميتموا النوم عن طرفي فلم أنم؟
سكنتم القلب مني فهو مسكنكم
عن الخيام فما قصدي إلى الخيم



(١) كتاب الضوء السافر ـ مخطوط ـ، عاش الشاعر في القرن العاشر الهجري وله أشعار في مدح الشيخ العارف معروف بن عبدالله الحضرمي بعدد من القصائد.
(٢) هكذا في الأصل، وقد وضعنا عليه علامة إستفهام للفت نظر القارىء.

قال الشاعر عبدالكريم العتمي متغزلا

نووا بالنوى فاستمطروا عبراتي
وأهل الغَضا شبوه في المُهَجَات
بحق الفريق الذي مُذْ هَوَيْتَهُم؟
وما كنت قد أخطأت في حسبات
وإن كان غيري صار فيهم منعماً
فإني جنيت المر من سمرات ؟
وإن كان من ماء العقيق أَسَلْتُمُ
بوادره سفحاً على وجناتي
وإن لاح في فودي وَشَبَّ بمفرقي
بياضٌ أساء عندكم حسناتي
رويدكُمُ حَادِي الرِّكَاب فإنما
حملتم على كوم المطي حياتي
جزيتكم شكر الصنيع ولم أقل
كما قالت الخنساءُ للشجرات
وإني وإن كنت العريق حضارة
لأشْرَق حباً في ظبى الفَلوات
بدور خدور ما القصور منازل
ولا طلعت في هالة الحجرات
ولا خطرت والمرط يمحو رسومها[1]
تمايل في ترب وبين لدات
على أنني أنسى الهوى ان
تخطرت نسيم الصبا مسكية النفحات
يذكرني صحبي الأولى ورفاقتي
وأهل ودادي عمدتي وثقاتي

(١) المرط: المئزر، وكانت تسحبه الفتاة على أثرها في الأرض إذا اجتمعت بمن تحب ليخفي أثرهما.

تدار علينـــا أكـؤســاً من فكـاهــة
ألذ وأشــهــى من جنــى الوجــنــات
رعــى الله أيــامــاً نعــمــت بقــربــهــا
نعــمــتُ بهــا والدهــر في غفــلات[1]

إن هذه القصيدة ـ في نظري المتواضع ـ من السحر الحلال، وفي عذوبة الماء الزلال، وأرجح أنها معارضة لقصيدة النميري الثقفي في زينب أخت الحجاج[2] وهي من الشهرة في الأدب العربي بمكان، وقد توفق المُعَارِض ـ بكسر الراء ـ كل التوفيق، وإن

(١) المصدر: الديباج الخسرواني ورقة ١٦١، إن العلم أمانة والمخطوطات كما فهمت من أستاذنا الشيخ حمد الجاسر، يكتفى في التوثيق بكلمة «مخطوط» كذا، وقول الشيخ عمدة، ويؤيد ذلك أن المخطوطات تختلف نسخها، فمثلاً: في نسخة من نسخ الديباج الخسرواني، توجد القصيدة في الصفحة التي أشرت إليها، وفي نسخة أخرى في رقم ١٩٦، وفي ثالثة في رقم ٢٠٥. جرى التنبيه. وإنما هوس بعض الناس يفوق الحد، وذلك يدل على عدم وثوق بالذات.

(٢) أنظر قصيدة النميري بعده للمقارنة، وقد قال الشاعر: (وبضدها تتبين الأشياء).

هذه المقطوعة للنميري الثقفي التي يتغزل فيها بـ «زينب» أخت الحجاج بن يوسف الثقفي، والتي ـ كما سبق ـ عارضها الشاعر عبدالكريم العتمي بأبياته، هي من الشهرة بمكان، ومن الشعر الرفيع بمحل.
وقد مر سعيد بن المسيب التابعي المعروف ـ بدار ومُنشد ينشد القصيدة، فاستوقفه سحر بيانها إلى أن أتى المُنشد على آخرها، فقال: لمثل هذا فليُحسن الاستماع.

أبيات النميري الثقفي
يتغزل في زينب أخت الحجاج

تضــوع مســكـا بطن نعــمــان إذ مشــت
بـه زيــنــب في نســوة خفِـرات[1]

(١) خفرات: مستحيات، قال الشاعر:
من الخــفــرات البــيض ودَّ جليــســهــا إذا ما انـقـضـت أحـدوثــة لو تعـيـدهــا
وأرجح أن البيت لذي الرمة، وقال ابن زيدون وأحسن وأجاد وزاد في المعنى:
إن الســيــادة بالاغــضــاء لابــســة بهــاءهــا وجــمــال الحــســن في الخــفــر

كان بقى للنميري فضل السبق وحق التقدم ولقصيدته حرارة العاطفة وجمال الأسلوب الرفيع.

أعان الذي فوق السماوات عرشه ... موائس في البطحاء معتجرات[1]

مررن بفخٍ ثم رحن عشية[2] ... يلبين للرحمن مؤتجرات

فلم تر عيني مثل سرب رأيته ... خرجن من التنعيم معتمرات

ولما رأت ركب النميري أعرضت ... وكن من أن يلقينه حذرات

دعت نسوة شم العرانين بدناً ... نواعم لا شُعثاً ولا غبرات

فأدنين لما قمن يحجبن دونها ... حجاباً من القسِّيّ والحبرات[3]

يخضبن أطراف البنان من التقى ... ويخرجن نصف الليل معتجرات

وليست كأخرى أوسعت جيب درعها ... وأبدت بنان الكف للجمرات

وحفت بنان المسك وحفاً مرجلاً ... على مثل بدرٍ لاح في الظُلمات[4]

ولما تراءت يوم جمع فأفتنت ... برؤيتها من راح من عرفات

(١) معتجرات: ما تشده المرأة على رأسها من ثوب أو قناع فهو غطاء الرأس واعتجر الرجل: لف العمامة على رأسه.

(٢) فخ: وادٍ بمكة.

(٣) الحبرات: نوع من الثياب، و«القسِّيّ» نوع من البرود.

(٤) الوحف: الشعر الكثيف.

قصيدة الشاعر
عبدالقادر العواجي[1]

أذكرتني بزورة في الخيال
غادة جيدها كجيد الغزال

غادة كالذكا[2] سناءً
وكالبدر جمالاً عن ودها لست سالي

لحظها والعيون منها وقد
الظبى والمها وسمر العوالي

أذكرتني وأضرمت في فؤادي
نار وجد وهيجت بلبالي

طار حتى ما كنت أعتاد منها
من عتاب زيادة في الدلال

أذكرتني بوصلها في خيال
ما مضى يقظة بتلك الليالي

طالما قد نعمت بالوصل منها
وعيون العذول في اشتغال

وقطفت الزهور في روضة الخد
برغم الوشاة غير مبالي[3]

ولكم قد خمشت منها نهودا
نهدت، قد غدا لها البرد قالي[4]

---

(١) هو عبدالقادر بن علي بن حسن العواجي المتوفى سنة ١٢٣٥ هـ، أخذ العلم عن والده حتى برع في فنون الفكر والأدب والنحو، وأستقر بمدينة أبي عريش يدرس بجامعها، ثم ولي وظيفة القضاء بمدينة «اللحية» من قبل حمود أبي مسمار، ثم في عهد ابنه، وظل على ذلك حتى وصل الأتراك بقيادة خليل باشا وقبض عليه وأبعد إلى مصر.

(٢) كالذكا: كأنه يقصد ذكاء وهو من أسماء الشمس.

(٣) نورد هذا الشعر كما هو في الأصل، وفي نفس الوقت نشير إلى ذلك بأن من يقصدها هي زوجته.

(٤) لدي ثلاث نسخ من الديباج الخسرواني، إحداهما مدونة بخط المؤلف والثانية منسوخة من نسخة أخرى بالآلة الكاتبة والثالثة بخط نسخ جميل، وقد درست قصيدتي العتمي والعواجي في الثلاث النسخ فإذا فيهما إختلاف وتباين يخل بالمعنى والمبنى، فأصلحنا، ما أستطعنا إصلاحه من خلل وأخذنا بالأكمل وبالأقرب من =

لم يكن عن رضا فراقي ولكن
نسجت بيننا يد العذال

(لم أكن من جُناتها علم الله
وإني بحرها اليوم صالي[1]

أتراني أنسى التي عرف القلب
هواها وكان إذ ذاك خالي

لست أنسى والله ذاك المحيا
في نعيم أو في جحيم أصالي

كيف أنسى وظلمة الليل عندي
ان دجى شعرها لدى الاسبال

وضياء الصباح ما هو إلا
من سنا وجهها شبيه الهلال[2]

واضطرام البروق ما هو إلا
خشية أن تصيبه بالنبال

وانصباب السحاب ما هو إلا
من عيوني أرخصته لا أبالي

يا زمانا فيه قضينا اشتياقاً
أترى عائداً زمان الوصال

كاد قلبي يذوب شوقاً وحزنا
أن تذكرت ما مضى من ليال

= النص، فمثلا قول الشاعر ـ كما ورد في إحدى النسخ:

ولكم خمشت منها نهوداً حققت لها البرد قالي

نلاحظ أن كلمة «حققت» ـ هنا ـ يريد الشاعر كما يتراءى لنا ـ كأنها الحقق ـ جمع حق ـ فجعلنا بدل «حققت» الذي فيها شيء من الإبهام، كلمة «نهدت» أي إرتفعت، بحيث رفعت البرُد الذي هو الثوب عن الصدر، فجمعنا بين أمانة النقل وواجب التصحيح، وأشرنا إلى ذلك، وقالٍ بمعنى هاجر. وفي قوله تعالى:

(مَاوَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَىٰ) سورة الضحى آية ٣.

(١) هذا البيت تضمين ليس من شعر الشاعر، وهو من قصيدة للحارث الذي اعتزل الحرب بين تغلب وبكر، ومطلع القصيدة:

قربا مربط النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيال

(٢) في الأصل:

وضياء الصباح ما هو إلّا من سنا وجهها مفيد الهلال

فأبدلنا كلمة «مفيد» بكلمة «شبيه» جرى التنبيه.

إن يكــن ما بقــى سوى الذكــر منــهــا
أذهــبــت مهــجــتــي وزاد وبــالـي

يا فؤادي هون عليــك قليــلاً
كل شيء مصــيــره للزوال

لاســعــاد تبــقــى ولا دمــيــة القــصــر
ومــا في الوجــود حتــى الرمــال[1]

كل شيء تفــنــيــه هذي الليــالي
غيــر ربّــي وصــالح الأعــمــال

فالتــفــتْ مقــبــلا إلى الله تحــظى
ببــلــوغ المــراد والآمــال

واســأل الاجــتــمــاع منــه بمــن
تهــواه من حبــة ومــن أطفــال[2]

(١) سعاد: اسم علم، وأرجح ـ هنا ـ أنه قصد الجناس والجمع بين «ستعاد» الأسم والقصيدة المشهورة «بانت سعاد»، بدليل إثباته بعده بـ «دمية القصر» الكتاب المعروف.
(٢) المصدر: النسخة رقم (١) الورقة ١٣٩ من الديباج الخسرواني.

شعر المراثي

تحليل ودراسة
لقصائد الحسن بن أحمد الضمدي

في هذا الباب ثلاث قصائد للقاضي الشاعر الحسن بن أحمد الضمدي الأولى في رثاء الأمير علي بن حيدر، وهي طويلة عامرة الأبيات، استهلها بقوله:

(حتى متى لعظيم الذنب تحتقر
تسعى للهو شديد ليس تنزجر)

ومضى على هذا النهج الذي فيه كثير من الاعتبار والعظة لحال هذه الدنيا الفانية، وكيف تحلو للغافلين، وأنها مشوبة بالأكدار، فإذا ومضت في دياجيها لامعة من السرور وبارقة من الحبور، سرعان ما يعقب عليها الكدر والضرر.

وكم طوت المنايا من الأحياء على ظهرها، فلم يبق لهم أثر، وأن العبرة ماثلة في مصير من سبق إلى دار الفناء، ويتساءل: أين الملوك وما كانت تحفهم من العظمة؟ وما كان يحوطهم من الأبهة والجلال؟ وأنهم توسدوا الثرى، ومساكنهم الحفر يغشاهم الدود، بعد الوشي والحبر.

ونجد في القصيدة سقطاً ظاهراً للأبيات التي تربط ما بين الموعظة ورثاء الممدوح، فإنه بعد أن قال إشارة إلى الملوك السابقين:

من بعد أن دوخوا الدنيا بسطوتهم
وما يفاضلهم في ملكهم نفر
فإنه الأسد المقدام يوم وغى
فسل عداه إذا في الحرب قد حضروا

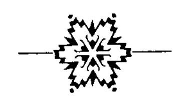
وذلك ليس من الشاعر، بل بتآكل ثلاثة أبيات مطموسة لم نستطيع قراءتها، لا في نسخة واحدة بل في الثلاث النسخ التي في حوزتي، وقد أشرت إلى ذلك في الحاشية.

ومضى بعد ذلك في نعوت الممدوح وشجاعته وبسالته، وإنه لا يغمض عينه على ضيم، وإنه لا ينصهر للأحداث، وإنه يخلف الغيث، وظل ظليل على رعيته،

وإنه عاش سعيداً ومات حميداً.. الخ.

وبعـد ذلك يجد القارىء الكريم مرثيتيه في الشيخ أحمد بن إدريس، وفيها الكثير من النمط الوعظي والعبرة والإعتبار والمصطلحات الصوفية، وإظهار التلهف والأسف، وأن المرثي مشى على سنن المختار في السر والعلن وأنه نال الحظ الأوفر في العلم والإيمان، وأنه كانت له سطوة الحق، وأن كل من عاداه يؤول إلى الخسران، إلى آخر ما ورد في تلك القصيدة المطولة.

والقصيدة الثانية وإن كانت أقصر من الأولى في مرثية ذلك الحبر، فهي ضليعة في المعاني والبيان.



قصيدة الحسن بن أحمد الضمدي
راثيا الأمير علي بن حيدر

حتى متى لعظيم الذنب تحتقر
تسعى للهو شديد ليس تنزجر
وما سعيت لطاعات الإله لكي
تجزى الجنان وتكفى دائما سقر
عسى تظن بأن الدار دار بقا؟
لقد ظننت الذي ما ظنه بشر
وكيف تحلو لنا الدنيا وقد عبدت
لذاتها فهي لا سمع ولا بصر
ترى[1] السرور بها في غبه جزع
والخير يتبعه من حينه الضرر
كم من أناس على ظهر البسيطة قد
كانوا فزالوا فلا عين ولا أثر
أين الملوك التي كانت تحفهم
لعظم ما قد أتوه الشمس والقمر
فأصبحوا ليس يُخْشَى اليومُ سطوتهم
بيوتهم بعد ملك طائل حُفَر
والدود[2] يغشى وجوها طالما انتعمت
بالمترفات عليها الوَشي والحبر
من بعد أن دوخوا الدنيا بسطوتهم
وما يناضلهم في ملكهم نفر

(١) ترى: في الأصل «ترا».
(٢) يغشى: في الأصل: يغشا.

شادوا المـبـانـي.............................. [1]
تكـفـي اللبـيـب الذي بالوعـظ يعـتـبـر
....[2]
ومـا لكـل امـرء من حكـمـهـا وزر
....[3]
تروي الذي صار في اللذات يزدهـر
يا ابـن البتـول الذي.....عمـت مصـيـبـتـه
وكـان حقـا هو الصـمـصـامـة الذكـر
البـيـت................................. [5] صاقـبـه
على مصـيـبـتـه الأكـبـاد تنـفـطر
.................................[6] يشـاكـلـه
ببـعض علياه أهـل العـصـر قد فخـروا
...........................[7] أبـطال الرجـال ولا
لوم عليـه إذا من فتـكـه ذعـروا
فإنـه الأسـد المـقـدام يوم وغـى[8]
فسـل عداه إذا في الحـرب قد حضـروا
وسـل وقـائـعـه في كل ناحـيـة
فعـنـدهـا يـنـفـصـح للمـنـطق الخـبـر؟
في كل حرب له بالفـتـك قد شهـدت
بيض الصـفـائـح والخـطيـة السـمـر
ففـتـكـه بالعـدا في كل معـركـة
أنـسـا بأخـبـار من يأتـي ومـن عبـروا
شجـاعـة من أمـيـر المـؤمـنـيـن له
إرث ومـن طيـب أصـل المـجـتـنـى[9] الثـمـر
فلا يغض على ضيـم لنـاظره
ولا تراه لدى [10] البأسـاء يـنـصـهـر

(١)، (٢)، (٣)، (٤)، (٥)، (٦)، (٧) كلمات متآكلة في الأصل وضعنا محلها نقط.
(٨) في الأصل «وغا» فأصلحناه كما هو بعاليه.
(٩) في الأصل «المجتنا».
(١٠) في الأصل «لدا».

ذاك المليك الذي في الأرض قد طلعت
له على ملكه من سعده غرر

قد عاش حقاً حميداً لم يشب زمنا
في المكرمات له في حاله كدر

وكانت الناس في أمن وفي دعة
في ظله ما أعتراهم بالعدا ضرر

كم قدَّ جيشاً لمن ناواه في عجل
فعاد جيش الأعادي وهو منكسر

أروى القواضب منهم فهي ناهلة
من الدماء فلا تبقي ولا تذر

وكان غيثاً عطاياه مضاعفة
كم نيل بالجود منها التبر والدرر

إن أخلف الغيث من عاف له وأتى[1]
إليه فالسيب من كفيه ينهمر

يجود بالوفر لكن من مكارمه
وحسن أخلاقه يعطي ويعتذر

وكان ظلا ظليلا للأنام فلا
يسام بالخسف من يأتيه ينتصر

لو كان يفدى فقيدا بعد مصرعه
اذن..............................[2] الشرر

ما الناس في حزن من خطبه وهم
في كل ....[3]

ما خص ذووه مصابا في كريمهم؟
بالرغم كل ....[4]

لتبكه الناس في شام وفي يمن
فإنه بفعال المجد........................[5]

---

(١) في الأصل «أتا».

(٢)، (٣)، (٤)، (٥) الكلمات متآكلة وغير واضحة في الأصل.

وتبكه الخيل في أيام معركة
فذاك فارسها.........................[1]

ويبكه الرمح إذ قد صار في يده
يردي الأعادي في.........................[2]

كذا السيوف عليه فهي باكية
دم الدعاوى[3] له من فعلها ضرر؟

والسابغات فكم أود بها حزن
بلبسه في مدى الأزمان تفتخر

فالله يرحمه فضلا ويسكنه
أعلا الجنان، وللزلات يغتفر

ولا يزال يوافي قبره كرما
من الإله صنوف الخير والمطر

يا ليتني للتأسي في مصيبته
لدى الأسى، وفي هذا لنا الظفر؟

صلى الإله عليه كل آونة
ما صال بالورق في روضاته الشجر

وآله الغر والأصحاب أنهم
لكل من رام رشدا أنجم زهر

القصيدة في الثلاث نسخ أ، ح، د يعتورها الأخطاء الإملائية والنحوية، أصلحنا ما أصلحناه، وأشرنا إلى بعض ما أصلحناه في الحواشي، كما أن القصيدة يوجد فيها ثلاثة عشر بيتاً متآكلة، بعضها لم يبق إلا الشطر الأول أو الشطر الآخر، وبعضها متآكل من وسط الشطرين، فأوردناها كما هي ووضعنا محل الكلمات المتآكلة نقط ـ كما أشرنا إلى ذلك في الحواشي ـ ولا يحق لنا التصرف في أبيات فقد معظمها. جرى التنويه.

---

(١)، (٢) الكلمات متآكلة في الأصل وغير واضحة فوضعنا محلها نقط.
(٣) هكذا في الأصل. ونرجح أن الصواب «دم الأعادي».

قصيدة الحسن بن أحمد بن عبدالله الضمدي راثيا الشيخ أحمد بن إدريس

من ذا الذي صرفت عنّا وقايته
ووجه ربك باق ماله ثان
إن الملوك الأولى شادوا القصور على
سامي الصخور وأين القصر والباني
وأين من سكنوا الدنيا ومن عمروا
من عهد آدم أو من بعد ساسان
فكم قرون مضت تحت التراب فما
على البسيطة إلا قبر إنسان
يمر يوم ويأتي ليله تبعا
ويحدث الله يوما بعده ثان
فَيَبْليان على طول اختلافهما
ما فيهما وهُما فيه جديدان

فما التنافس في أهل ولا ولد
وما التكاثر في مال وبنيان
ليعلم المرء أن الدار دار فنا
ونستعد لما يُمْنَ له المان
ولا يرى هذه الدنيا له نزلا
فإنها دار أكدار وأحزان
وليستعد لترحال لخالقه
حتى يُلاقى بإحسان وغفران
ويجعل الصبر زاداً والتقى عتداً
للحشرِ فَهُمَا نعم القرينان
لولا التآسي لسالت بالأسى مهج
على الإمام عظيم القدر والشان

أعنـي به شيـخـنـا الراقـي على رتـب
سمتْ على هام برجـيس[١] وكـيـوان

مهـدي الـنـفـيس ابـن إدريس الذي وضـحـت
فيـنـا مكـارمـه من غيـر نكـران

شيـخ الشـيـوخ وسـلطان الرسـوخ ومـن
من بحـره العـذب يُروى كل ظمـآن

السـيـد العَـلـمُ المـفـضـال من شهـدت
فيـنـا فضـائـلـه حقـاً، بإحـسـان

بحـر المـعـارف، كشـاف اللطائـف منـهـال
الطرائـف، من در ومـرجـان

فخـر الأنـام ونـبـراس الظلام وعـبـاد
السـلام، وهـادي كل حيـران

نور الحـقـائـق برهـان الدقـائـق
مفـتـاح الرقـائـق مَجْـلَى الفـان والران[٢]

يرعـى الكـتـاب بتـحـقـيـق ومـعـرفـة
فبـان تأويـله، حسـنـاً، بتـبـيـان

تفـجـرت من معـانـي الوحـي أبـحـره
لمـا أتـانـا بتـفـسـيـر لقـرآن

وذا نتـيـجـة تقـوى الله فانـشـرحـت
به الصـدور بإفـصـاح وغـفـران

إذا سـمـعـت لتـفـسـيـر يفـوه به
فَذَاك صدقـاً بفَـيْض منـه ريـان

وجـاء بالعـلـم من نص الكـتـاب وقـد
راقـت فوائـده للقـاطف الجـان؟

أبـدى لنـا حكمـاً غراء واضـحـة
منـه فمـا حكـمـةُ جاءت للقـمـان

....
....

---

(١) برجيس: المريخ، و «كيوان»: زحل.
(٢) هكذا في الأصل.

نتلـــوه بالشـــوق في حل ومـرتـحـل
ينـيـر للمـهـتـدي منـه بأشـجـان؟
وفـي تصـوفـه القـرآن غايـتـه
ومـنـه شاد بلا شك لبـنـيـان
فمـا طريـقـتـه غيـر الكـتـاب ولا
يمـشـي على نوره إلا ببـرهـان
يهـدى به كل من تمـت عنـايـتـه
وقـد تنـكـب عن زور وبـهـتـان
لذا كرامـتـه كالشـمس واضـحـة
وذاك سر اتـبـاعِ نهـج قرآن
فمـا بقـى عنـده قول لمـعـتـرض
إلا عنـاداً بلفـظ الحـاسـد الشـان
وسـنـة أشـرقـت تعـلو معـارفـهـا[1]
بحـسـن حافـظة منـه واتـقـان
أقـام فيـهـا صراط العـدل فابـتـهـجـت
منـهـا حدائـق علم ذات أفـنـان
ورد مشـتـبـه فيـهـا لمـحـكـمـه
وزال بالحـق عنـهـا كل طغـيـان
مشـى على قدم المـخـتـار متـبـعـا
لنـهـجـه الصـدق في سر وإعـلان
ونـال حظ إتـبـاع منـه فهـو له؟
نعـم الوراثـة في علم وإيـمـان
وفـاض أنـوار حب الله فاعـتـكـفـت
به القـلوب فنـالت نور عرفـان
وأظهـر السـنـة الغـراء لمـتـبـع
طُرق الرشـاد ولا يرضـى بنـكـران
ما ديـنـه غيـر ديـن المـصـطفـى ولا
يلوي على مذهـب يُعـزى لإنـسـان

(١) أصل الشطر «وسنة أبدى معارفها» فأصلحناه بما تراه.

يرد كيد أمرءٍ ناواه منخذلا
ولا يلوذ بأعوان وجيران

بل سطوة الحق في ذات له انتشرت
فعاد كل امرءٍ عادى بخزيان

وَفُلِّذَتْ أكبد من بعده حَزنا
وفي الضلوع اشتعال، مثل نيران

لو كان يفدى فديناه وحَق له
بما على الأرض من إنس ومن جان

ولتبكه كل وقت كان يعمره
بالطيبات وتسبيح وقرآن

ليبكه الوفد في حل ٍ ومرتحل ٍ
وليبكه كل أحباب واخوان

وليبكه الناس من شام وفي يمن
فهو الذي يُسلي كل ولهان؟

قد كان يضحكني[1] دهرا برؤيته
واليوم من فقده يا صاح أبكاني

لهفي عليه لقد أصبحت ذا حزن
وضعضع الحزن أركاني وأوهاني

كُنَّا نؤمل أن يبقى لينظمنا
عقد اجتماع على يمن وإيمان

فما شعرت فليت الموت عاجلني
إلا «بخط»[2] بهذا الخطب فاجاني

فرحمة الله تغشاه وتنزله
لموضع القرب في روح ٍ وريحان

فليهنه ذلك الفوز العظيم فقد
مضى نحو إفضال وإحسان[3]

---

(١) كلمة «يضحكني» هنا: مضحكة، فعالم وقور زاهد لا ينطبق عليه ولا يتناسب مع المقام أن يضحك تلميذه وإنما رغبة الشاعر في المطابقة والجناس بين يضحكني ويبكيني جعلته يضحي بالمعنى وبما هو أكبر منه.

(٢) الخط: الرسالة التي وصلته بخبر الوفاة.

(٣) الشطر الأخير أثبتناه كما ورد في الأصل.

والله يعظم أجر المسلمين به
فخطبه عم عالي الناس والداني

والله يجبر كسر الفاقدين له
بالصبر من كل أصحاب وخلان

والصبر أحسن ما ينحو اللبيب له
إن نابه الخطب في سر وإعلان

وما البكاء لذي حزن بنافعه
وإن بكى بدمٍ كالوبل هتان

وليس في الحزن إن حققت فائدة
فسلم الأمر للمولى بإذعان

كفى لنا أسوة بالمصطفى سلفا
لمن تحقق فيه وصف إيمان

وهكذا حالة الدنيا مفرقة
فاختم إلهي لنا فضلا بغفران

واجعل لنا الفوز في الأخرى ولا ترنا
نقصا يخل بأديان وأبدان

ثم الصلاة على المختار ما صدحت
ورق الحمى جنح ليل فوق أغصان

والآل والصحب أهل الفَضل قاطبة
وكُلٍّ تابعهم حقا بإحسان

وقال الشيخ حسن بن أحمد بن عبدالله الضمدي راثياً الشيخ الجليل أحمد بن محمد بن إدريس الحسني:

جهد المتيم بعد البين أن يقفا
مستعطفا مربعا بالرقمتين عفى

أكرم بها بقعة حَلَّ الحبيب بها
فنحوها القلب لا ينفك منعطفا

كيف السلو ولي عين مسهدة
ومدمع عنده والجفن قد وكف(١)

---

(١) وكف: سال وانهمر.

فلا تلمني إذا ذاب الفؤاد أسى
لا يشتكي الوجد إلا من له عرفا[1]

أريد قربهم والحظ يحرمني
يا ليت حظي بوصلي نحوهم سعفا

زاد الغرام مع تذكار وصلهم
فالشوق والسقم للعاني قد اكتنفا

هل نظرة منك تشفي الصب من ألم
ما زال دعواه بعد الهجر وا أسفا

واستوجف الحب قلبا قد أراب به
ركبٌ إلى سوحك الميمون قد وجفا[2]

إن كنت أذنبت في ذكري لغيركم
قصرت ذكري لكم لا ابتغي خلفا

إني وحبكم لا أرتضي بدلا
سواكم وبكم قلبي لقد كُلفا

فإن سرى البرق ليلا في دجى سَحَرٍ
ألفى الفؤاد على ذكراك منعكفا

سَأَلتُ ريح الصَبا ان مر طالعه
عنكم فأبدى بنشرٍ ما عليه خفى

فظلت أنشق من رَيَّاهُ ما نفست؟
مني رَمِيم فؤادٍ بالنوى ضعفا

لولا اشتياقي له ما نلت مكرمة
بلَثْم كف امرءٍ بالفيض قد وصفا

يبدي لنا من معاني قول خالقنا
ما فيه للمهتدي الأوّاه آي شِفا

فذاك فيض من الخلاق اعطيه
فلا تُفَتِّشُ فيما نابه الصحفا

---

(١) الشطر الثاني من البيت يكاد أن يصير مثلا سائراً.

(٢) الوجف: ضرب من السير.

أَحْـيَـى لنـــا سنـــة المختـــار من مضـــر
وحسبنـــا ما يقـــول المصـــطفى وكفى[1]

إلى آخرها....

---

(١) الديباج الخسرواني - مخطوط -، عقود الدرر - مخطوط.

دراسة وتحليل لقصيدة أحمد بن أحمد العواجي

قصيدة الشيخ العواجي جميلة عليها طلاوة من الفن وملامح من الجمال، وألفاظها تأتت للشاعر بدون تكلف، مع أنها ألفاظ قوية، والاستهلال بارع، وفي نظري أنه أجود من مستهل أبي تمام، ولفظة (مارت) جميلة في موقعها، والبيت الثاني لا يقل جمالاً عن سابقه، وهكذا مضى الشاعر ينظم فرائد درره.

وفي نظري أن البيت التاسع فيه شيء من الحُسن، مع ما يمازجه من الغموض، ورب غموض ينطوي على جمال معقد، وهو الجمال الذي يعنيه الشاعر بقوله:

يزيدك وجهه حسناً إذا ما زدته نظراً

أما المقطع الأخير - في نظري المتواضع - فإنه يشرق بالجمال، ويتألق بالحسن، هذه الملامح النيرة في القصيدة تجعلها من الشعر المتألق في باب المراثي.

والقصد من هذه الدراسة وضع شارات وبصيص من الأضواء تضيء للناشئة مواقع الجمال في هذه القصيدة وغيرها، لتجمع الدراسة بين الإفهام والإهتداء للمواقع الجمالية، والمظان الإبداعية والصور الشعرية.

استهل العواجي مرثيته بهذا الاستهلال البارع:

دجى الأفق لا شمس تضيء ولا بدر
ومارت سماء العلم وانفلق الصخر

وهي كما يظهر معارضة لقصيدة أبي تمام المشهورة:

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر
وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

وأرى أن الشاعر العواجي وفق كثيراً في معارضته، وإن أسرف في المبالغة، أنظر لقوله بعد الاستهلال:

وزلزل طود الأرض حزنا ومثله
توارى به وانقضت الأنجم الزهر

ومضى الشاعر في إبداعه المتتابع كل بيت يفوق ما قبله إلى أن وصل إلى المرثي، إذ يقول:

هو السيـد المحبـوب والجـوهـر الذي
يحـار يقـيـنـا أن يكـيـفـه الفـكـر

وفي هذا البيت تجاوز وغلو غير مستساغ في قوله: «أن يكيفه الفكر».

وفي قوله:

طوت لفَّ نشـر الكـائـنـات فُهُـومَـهُ
أليس عجـيـبـاً أن يضـم له قبـر

أنـظر لقـوله (لف نشـر الكائنات) وما يحتمل من معاني التجسيم في كلمة «الكائنات» التي طوى نشرها فَهم المرثي، والتعجب أن يضم ذلك قبره، مع ما في ذلك من المبالغة غير المستساغة، والترشيح بعد ذلك أو التأكيد لجسامة المصاب:

وقـد ضاق من معقـوله واسـع الفضـا
فكيف طوى محسـوس جثمـانـه شبـر

وهذا التصرف البارع بين المعقول والمحسوس، فإذا كان الإستفهام بالألف المهموز في الشطر الثاني من البيت الذي قبله، فإن في الشطر الثاني من البيت الذي بعده بـ «كيف» وهي التي يستفهم بها لتعيين الحال.

فإذا كان يتعجب في البيت الذي قبله من أن يضم القبر فهومه ـ جمع فهم، الذي هو هنا بمعنى علومه ـ فهو يستفهم بـ «كيف» وقد ضاق من علومه العقلية واسع الفضا، فكيف طوى جثمانه شبر من الأرض.

وبعد ذلك يتخيل الشاعر أنه لم يكن بكته جلسائه فقط، بل وبكته علوم الفقه على جلال قدرهـا، والشعـر والنثـر، وانّ ضاحك الحيا ـ الذي هو السحاب أو الغيث ـ افتقد الرضا، وغام عليه الحزن، فأعرب بالرعد عن نياحته وبصيب الحيا عن مدامعه، ويتمادى الشاعر الأسدي ويرى أن الكون بأسره مشاركا له، فكل نفس قد ذابت حسرة، ولا أحشاء إلا وقد التهب بها الجمر، وأن الأيام كلها بعده ليل، وأن الليل تمادى فغمر الكون ظلامه ـ حتى كأن ليس لذلك الظلام إنجلاء بفجر يبدده، ثم يسمي المرثي له، الذي اسمه إبراهيم، وأنه من أرباب الكمال في العلم ولا فخر، وبعده يأتي لنا بمصطلحاته الصوفية عن الطريقة والحقيقة

للذكـر، إلى أن يقول: «مطهر» ـ بصيغة المفعول ـ كالملائكة، بادرت به لجنان الخلد ناشرة أجنحتها الخضراء، وهي مبالغة لا تستساغ إلا في الشعر، وانظر للبيت الذي بعده:

وحـفـت به من ربـه في جواره
حدائـق غفـران نوافـجـهـا العـطر

وما أجمل قوله: (نـوافجها العطر) مع ما في كلمة «نوافجها» من الثقل.

وانظر وصفه لجنان الخلد التي أعدها الله للمتقين:

فأنـهـارهـا شهـد وكـافـور تربـهـا
به المـسـك مفتـوت وحيـطانهـا تبـر
وأخـدانـهـا الولدان والحـور عنـدهـا
ورضـوان ساقـيـهـا وأكـوابـهـا الدر

إن الشـاعر ـ في نظري ـ قد وفق كل التوفيق في التصوير الفني، وإبداع الصورة البيانية، ولو لم يكن له إلا هذه القصيدة لكفاه أن اللوحات الخالدة في البيان المتألق والصور الشعرية الرائعة لا تكون من الكثرة في نتاج كل شاعر أو كاتب إلا في أنـدر من النـادر، وحتى نتاج العباقرة من الشعراء والأدباء تجد للشاعر قصائد تؤهله للخلود في عالم المعنويات، فمثلا: قصيدتا البحتري في وصفي إيـوان كسـرى ومـوكب المتوكل، هما المؤهلتان في دنيا الإبداع وعالم البيان، وكذلك ينسحب الوضع على مؤلفات المشاهير، فمثلا: نجد كتاب «أدب الكاتب» للمبرد هو أحسن وأشهر مؤلفاته، وكذا البيان والتبيين للجاحظ، والنوادر لأبي علي القالي، ومع ان لكل واحد أعداداً من المؤلفات.

ومقدمة ابن خلدون طغت على «تاريخ العبر» التي هي مقدمة له، بل تكاد أن تكون فريدة في بابها في المؤلفات العربية جميعها.

أمـا بعد فقد انتهينا من الدراسة والتقييم لمرثية العواجي الأسدي، فلنأتي بنص القصيدة الكامل:



مرثية في صديق كريم
للشيخ أحمد بن أحمد العواجي الأسدي

دجى الأفق لا شمس تضيء ولا بدرُ
ومارت سماءُ العلم وانفلق الصخر
وزُلزِلَ طودُ الأرض حزنا ومثله
توارى به وانقضت الأنجم الزهر
ودكت قلوبٌ بالحلوم رواسخٌ
وضاقت أسى مما ألمَّ به الصدر
لفقد عظيم دك ركن مقامه[1]
معاني مبانيه الذي اخترم الدهر
هو السيد المحبوب والجوهر الذي
يحار يقيننا أَنْ يكيّفَه الفكر
طوت لف نشر الكائنات فهومه
أليس عجيبا أن يضم له قبر
وقد ضاق من معقوله واسع الفضا
فكيف طوى محسوس جثمانه شبر
بكته لتحليل الأسى جلساؤه
نعم وبكاه الفقه والنظم والنثر
وَغِيبَ الرضى حتى على ضاحك الحـ
ـيا، فنائحه رَعد ومدمعه قطر
«وليس لعين لم يَفِضْ» دمعها هَنا
وليس لقلب لم يبت خَافِقا عذر[2]
وليس لنفس لم تذب حسرة بقى
وليس لأحشاء سوى حزنها جمر

---

(١) الشطر الأول من البيت متآكلة كلمتان، فأصلحناه بما يراه القارىء الكريم.

(٢) صحة الشطر الأول في قصيدة أبي تمام:
(فليس لعين لم يفض ماؤها عذر)
وقد وضعنا ما هو لأبي تمام بين قوسين، أما بقية الشطر الأول والشطر الثاني فهو للمعارض.

وليس ليوم بعد غيبته ضحى
وليس لليل بعد نومته فجر
رزئنا برزء ما ثبير يقله
ولا بَعضه، لا في العراق ولا مصرُ
وما كنت أدري قبله أنَّ حظنا
دنِيٌّ، وحظ الكائنات له قدر
إلى أن دعت أُم المنايا وَرَوَعت
ومُد علينا من مكائدها ستر
دعت بحليف الفضل والحلم والتقى

....

هو الفذ إبراهيم مَنْ ساد في التقى
وفي العلم أرباب الكمال ولا فخر
واخلت بيعسوب الطريقة معدن الـ
حقيقة، تبيانا، له انتشر الذكر(١)

إلى أن يقول:

مطهرَ روحٍ كالملائك بادرت
به لجنان الخلد أجنحة خضر(٢)
وحفت به من ربه في جواره
حدائق غفران نوافجها العطر
فأنهارها شهد وكافور تُربها
به المسك مفتوت وحيطانها تبر
وأخدانها الولدان والحور عندها
ورضوان ساقيها وأكوابها الدر(٣)

---

(١) هذا البيت رصف ألفاظ جميلة بدون طلاوة.

(٢) الشطر الأخير مأخوذ معناه من بيت أبي تمام:

تردى ثياب الموت حمراً فما أتى
لها الليل إلا وهي من سندس خضر

(٣) المصدر: نشر الثناء الحسن للوشلي، مخطوط.

تحليل ودراسة لقصيدة الشاعر
أحمد بن أحمد العواجي الأسدي

من القصائد التي يدل مستهلها على مضمونها حيث يقول:

لاحت لداجي هموم الصب أنوار
بها انجلت عن حجاب القلب أكدار

فالشاعر الذي ركبته الديون لأحد التجار، فلم يراع التاجر رقة حاله وقاضاه في المحكمة الشرعية، فصدر الحكم بمصادرة داره لصالح الدائن، ولم يجد وسيلة إلا الالتجاء إلى منصب(١) أو بالأصح رجل الجاه والتصوف في عهده، صاحب بلدة المنيرة، في تهامة اليمن، فرحل إليه وأنشده القصيدة مستشفعاً به في تخفيف ما ركبه من الهم، وما اشتد به من الضيق، مؤملاً وساطته لدى صاحب الدين في مراعاة ظروفه وتأخير تنفيذ الحكم، أو حث المحسنين على الإكتتاب بمبلغ يقوم ببعض ذلك الدين والبعض الآخر إما يؤجل أو يُقسط ـ هذا ما عرفته من الأستاذ محمد صالح باقديم، المعمر، والذي كان موظفاً عثمانياً في تلك الجهة في ذلك التاريخ ـ وفعلا كان لاستشفاعه بتلك الشخصية أثرها في تخفيف بلواه وتهوين بليته، وإنهاء الموضوع في صالحه.

والقصيدة عامرة الأبيات قوية الأسر، تنبي عن شاعرية خصبة ومقدرة بيانية، أنظر لقوله بعد المستهل متفائلا مسبقا وبقدرة بيانية بنجاح استشفاعه إذ يقول:

وفاح نشر قبول طيب أرج
للروح منه انتعاش وهو معطار

ومضى يقول لحادي ركبه: قف بيمنى الكثيب الذي حول بلدة المنيرة فله هناك أوطار ومقصد آمال، وأن فيها بدراً نيراً وأنه كوكب سيار في سماء المجد.
ويبالغ فيقول:

شمس على ظلمات الكون مشرقة
ضاءت نجودٌ بمرآها وأغوار

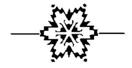
---

(١) أنظر الفصل العاشر من كتابنا «التصوف في تهامة».

وأنه غوث اللهيف لمن يقصده في المهمات، وغَيث لمن يستجير به، وأنه يحيا به الفضل، وتساعده الأقدار في قضاء الحاجات.

ثم يمضي في القصيدة يشكو سوء الحال وقلة المال، وأنه حليف الفقر وخدين الإقتار، وأن خصومه من الذين إذا استحكموا في قضية جاروا واستكبروا وأنهم استضعفـوه لفقـره، في حالة أنهم من أصحاب الدثار والمال، وياليتهم اكتفوا بالغنى وترفعوا عن الظلم واتَّبعوا سبيل الأخيار، بل هم صم عن سمع صرخات الضعيف، وبكم عن النطق بفعل الخير، وحذاق في ضرر الناس، وأنهم لا يلتفتون إلى شفاعة شفيع ولا رجاء مترج، إلا إذا كان له من الصولة والجاه ما يخشونه على مصالحهم، وأنه عقد أمله على الممدوح بما يخفف من محنته ويعيد إليه كرامته.

وبعد هذا التحليل المقتضب نأتي على نص القصيدة:



قصيدة الشاعر أحمد بن أحمد العواجي الأسدي(١)

لاحت لداجي هموم الصب أنوار
بها انجلت عن حجاب القلب أكدار

وفاح نشر قبول طيب أرج
للروح منه انتعاش وهو معطار

وأومضت لي من قرب بروق رضا
سحابها بصنوف الخير مطّار

يا حادي العيس قف يمنى الكثيب فَلِي
هناك في سفحه القِبلي أوطار

ومل قليلًا لكي تلقى منازلهم
وانزل بها ثَمَّ ها هي الدار

واخفض جناحك مهما استقبلتك بها
كواكب مستنيرات وأقمار

وفي (المنيرة)(٢) بدر نيّر بهرت
آياته، في سماء المجد سيّار

شمس على ظلمات الكون مشرقة
ضاءت نجود «بمرآها» وأغوار

وأسفرت بسنا أنوار طلعتها
لنا جهات وأقطار وأمصار

---

(١) القاضي الأديب أحمد بن أحمد العواجي الأسدي الملقب (حباجر· بحاء مهملة وباء موحدة ـ ترجم له صاحب «نشر الثناء الحسن فقال: «كان فائقاً في الأدب على أبناء العصر، وغرة في جبين الدهر، وكان مشاركاً في جميع الفنون ذا فطنة وذكاء حسن المحاضرة، جيد التعبير في كتابة الوثائق. وتولى القضاء في مدينة الزهرة وبندر اللحية، وله شعر حسن لو جمع لبلغ مجلداً حافلاً، ومنه هذه القصيدة التي أمتدح بها العلامة الجليل محمد بن يحيى الأهدل لما وصل إليه ـ إلى المنيرة ـ زائراً ومستشفعاً به في النصرة على من آذاه.
وجاء في نفس المصدر: «وبين أهل الجهة ـ يقصد المخلاف السليماني ـ القضاة بنو العواجي، وأن جدهم الكبير الشيخ عبدالله الأسدي. والأسديون أصلهم من مدينة أبي عريش. إنتهى. وقد توفي بمخلاف اللحية سنة ١٣٢٦ هـ.

(٢) بلدة معروفة قرب الزيدية في تهامة اليمن.

إلى أن يقول:

إن ضامــك الدهــر يومــاً واستجــرت به
فمــا سواه عزيــز عنــده الجــار

غوث اللهــيــف إذا ناداه ملتــهــف
وغـيــث جود إذا أمـلْت مدرار

وسـيــد كله عِلمٌ ومــعــرفــة
وبــحــر منــفــعــة بالفــيض زخــار

يحـيى به الفضــل والإسعــاد يخــدمــه
وســاعــدتــه على ما شاء أقــدار

يا أيــهــا.. [1] جئــت وفــي
نفــســي همــوم شديــدات وأفــكــار

وفــي كروب إذا ما رمــتُ اكــشــفــهــا
ترد عنــي ذنــوبــي وهــي أوزار..

وســوء حال واقــلال، ولازمــنــي
من سوء حظي إعــدام وإقــتــار

وأشــتــكي من أُنــاس محنتي قصــدوا
واستحكمــوا، ومــع استحكــامهم جاروا

واســتــضعفــوني لفقــري مجبــرين على
أذيــتــي، وهــمُ في الحــال تجــار

وليــتــهــم بالغــنــى والمــال قد قنــعــوا
وليــتــهــم في خطاب النــاس أخــيــار

صم وبــكــم لدى فعــل الجــمــيــل وفــي
فعــل القــبــائــح حُذاق وشُــطار

تظن أقــوالهــم صدقــاً إذا نطقــوا
وكــلــهــا حيَــلٌ منــهــم وأعــذار

تعــجــبــك أجــســامــهــم مهمــا رأيــتهم
كأنــهــم عنــدمــا يبــدون أحــبــار

---

(١) كلمة غير مفهومة في الأصل وضعنا محلها نقط.

لا يرحـمـون ضعـيـفـاً في مواطنـهـم
ولا يقـال لديـهـم قط معثـار
وإن أتـاهـم شفـيـع، لا التـفـات له
إلا إذا كان بالبـرهـان قهـار

* * *

لكـنـنـي يا أُهـيـل الفـضـل معـتـقـد
فيـكـم وأرجـو بكـم أن ترجـع (الدار)
حاشـا أضَـامُ وقـد يَمْـمـتُ ساحـتـكـم
أليس هذا على أمـثـالكـم عار
أيـن الحـمـيـة منـكـم بالحـمـايـة لي
وأي وقـت لأجـلي يؤخـذ الثـار
تداركـوا وأعِـيـنُـوا (عـبـدكـم)! فَلَكم
بكـم أزيـحـت عن المـكـروب أخـطار(١)

* * *

(١) نشر الثناء الحسن للوشلي.

البَابُ الثَّاني

الفَصْلُ الأَوَّلُ

دراسة عن الحياة الأدبية والحركة السياسية والنشاط الفكري قبل وأثناء عهد أحمد الادريسي

في سنة ١١٨٥ هـ - ١٧٧١م تولى إمارة صبيا ناصر بن محمد بن أحمد الخيراتي من قِبل أخيه الأمير أحمد بن محمد، وبوصوله إليها اصطدم بالنفوذ الموروث للأمراء الخواجيين، فطفق في محاولة جادة لتفريغ مكانتهم من نفوس مواطنيهم أهل صبيا - وتقليص بقية نفوذهم من قلوب أهل الجهة.

واستطاع بمرونته ودهائه التغلب على كل المعوقات الأدبية والمادية والمعنوية، وتـزوج في صبيا لدى أسرة آل الشاذلي المعروفة بالغنى والمكانة في صبيا، ورزق منها بابنه منصور ورشحه لخلافته، وفي حوالي سنة ١٢٠٥ هـ - ١٧٩٠م جعل ابنه الشاب نائباً له، وظل عن كثب يشرف على توجيهه، وفي حوالي سنة ١٢١٣ هـ - ١٧٩٨ م وصل زخم الدعوة السلفية ونفوذ الدولة السعودية الأولى إلى مشـارف المنطقة، فأشار على ابنه باتخاذ سياسة مرنة أزاء تقبلها، وبعد الخطوة الأولى تحالف مع الداعيتين عرار بن شار، وأحمد بن حسين الفلقي وأعلن دخوله في الدعوة وأقام شعائرها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتنبيه على أوقـات الصلاة ومنع تعاطي «التتن» وهدم المزارات، وبقدر ما حاول عمه حمود بن محمد ثنيه عن الإرتباط بالدعوة السعودية فلم يتوفق(١).

لقد رسخت الدعوة السلفية في صبيا فكان أهل صبيا وأميرهم منصور بن ناصر في طليعة المستجيبين لدعوتها والمتبعيـن لهديها إلى سنة ١٢٢٢ هـ - ١٨٠٧م، وعندما اشتد الخلاف بين حمود أبي مسمار وعبدالوهاب أبي نقطه(٢)، وهناك رأى حمود أن يستميل ابن أخيه أمير صبيا إلى جانبه، ويقول صاحب نفح العود: (... عند ذلك أقبل الشريف - يقصد حمود - يفتل في الذروة والغارب من منصور واستمالة قلبه حتى مال منصور وراجت عنده الأوهام)(٣) واتفق مع عمه على أن يقوما يدا واحدة ضد الدولة السعودية.

(١) أنظر ص ١١٥ وما بعدها في حواشي كتاب «نفح العود» تحقيق العقيلي.
(٢) «نفح العود»، تحقيق العقيلي ص ١٦٣.
(٣) «نفح العود» تحقيق العقيلي، ص ٢٧٣ وما بعدها.

وبعد وقعة بيش وتقدم القوات السعودية على صبيا، ساء ظن القيادة السعودية بمنصور وعدم وفائه، فانسحب إلى قرية الحسينية، ومنها اتجه إلى أبي عريش مع عائلته لدى عمه حمود، ففقد بذلك إمارة صبيا.

وقد نال أهل صبيا بسبب مخالفة منصور ما نالهم من الترويع ومعرة الجيش، في حال أنهم قد رشفوا من معين الدعوة السلفية، ويباينون منصوراً في موقفه المخالف على السعوديين كما أن حموداً لم ينظر إلى إنسحابه بدون قتال من صبيا بعين الرضا، وبقى منصور في أبي عريش يلح على عمه بإسترداد إمارته على صبيا، ومن دون ذلك الحامية السعودية المتحصنة في قلعة المدينة بقيادة محمد بن أحمد المتحمي.

وفي أواخر سنة ١٢٢٤ هـ ـ ١٨٠٩م سير حمود حَمْلَةً إلى صبيا وسير مع الحملة منصور بن ناصر مرافقا لها لا قائداً عليها، فضربت معسكرها في قرية الباحر وأخذ منصور في مكاتبة أهل صبيا ليقوموا بثورة من الداخل، فاعتذروا بمن معهم من الأطفال والنساء، فأشار عليهم منصور بأن يؤمنوا نساءهم وأطفالهم في جامع صبيا، وأن يخرج الرجال من أهل صبيا معسكر الحملة في الباحر، فلم يستجيبوا لطلبه، لأنهم في ذات أنفسهم من أنصار الدعوة، وعندما هوجمت المدينة اضطر أهل صبيا إلى إدخال العوائل والأطفال إلى الجامع[1] لحمايتهم من القتال الدائر، وكانت قوات حمود المهاجمة متقدمة في اتجاهين، الأولى من الشمال والأخرى من الغرب، فالفرقة الشمالية التحمت مع العسيريين وأنصارهم من أهل صبيا إلى قرب الجامع وهاجمته بإطلاق النار من النوافذ والكوى، فوقع القتل في النساء والأطفال والمدنيين، وخرج الناجون فارين إلى معسكر جيش حمود، أما الفرقة الغربية فهاجمت بيت حسين بن محمد بن عسيمنة وهو من أنصار الدعوة السلفية، فقام حتى تسلقوا عليه الدار في آخر الليل وأسروه وجماعته.

وأخيراً وصلت الأخبار بوصول نجدة من عسير بقيادة طامي بن شعيب، فانسحبت الحملة عائدة إلى أبي عريش، ومعهم الأسرى، وفي طليعتهم حسين ابن محمد بن عسيمنة ووزيره عبده أبو القصب.

ويقول مؤلف نفح العود ما نصه حرفياً: (.. ولما وصلا إلى أبي عريش أفتى

---

(١) «نفح العود» تحقيق العقيلي ص ٢٩٥ ط ٢

العلامة الحسن بن خالد بضرب عنقيهما. ولم يتأول في ذلك بجهلهما فضرب عنقيهما ولقيا ربهما)(١)، ثم بعد فترة استولى جيش حمود على مدينة صبيا، فظلت في قبضته، حتى وصل خليل باشا وسلم المنطقة لعلي بن حيدر، ومن ضمنها ـ بالطبع ـ مدينة صبيا، فلم يكن حظ المدينة في عهده خير مما كان قبل عهده، بعد أن ثار عليه في وادي صبيا محمد بن منصور بن ناصر، فجهز علي بن حيدر حملة وأخضعه بعد قتال، ولا شك أنه نال المدينة من الترويع ما نالها.

وفي سنة ١٢٣٦ هـ ـ ١٨٢١ م أسند علي بن حيدر إمارة صبيا إلى ابن عمه زيد بن ناصر بن محمد، الذي ـ بعد فترة ـ أراد الإستقلال بصبيا ومخلافها فتقدم علي بن حيدر وهاجم مدينة صبيا وأحرق قسماً منها، وضرب نطاق الحصار حتى استسلم الثائر، بعد ما نال المدينة ما نالها من القتل والتحريق، على شرط ابقائه على إمارة صبيا(٢).

وفي عام ١٢٣٨ هـ ـ ١٨٢٣ م استأنف زيد بن ناصر الثورة في صبيا فتقدم علي بن حيدر وحاصر المدينة أياماً حتى أرغم الثائر على الإستسلام، وبطبيعة الحال، أنه نال المدينة من الحصار مَا نالها، وأسند إمارة المدينة ومخلافها إلى ابنه وولي عهده الحسين بن علي بن حيدر(٣)

وفي سنة ١٢٤٠ هـ ـ ١٨٢٤ م وقع النزاع وثارت الفتنة بين أهل صبيا وعاملِهم الحسين بن علي، ودار القتال حتى أرغموه على اللجوء لقلعة المدينة، فضربوا عليها نطاق الحصار، فوصل الأمير علي بن حيدر، فخرج أهل المدينة للدفاع، فبعث إليهم مندوبه مستفهما عن سبب العصيان وموجباته، فتقدموا للمندوب بقائمة من الشكاوى والشروط، وفي رأسها عزل أميرهم عاملِهم.

فرأى الأمير أن السياسة تقتضي الإستجابة لمطالبهم، فنقل عنهم ابنه وفي النفس ما فيها، وأرسل إلى أهل نجران بالنزول لمهاجمة صبيا ومخلافها عقابا على ما صدر منهم.

وفي سنة ١٢٤١ هـ ـ ١٨٢٦ م تقدم النجرانيون نحو صبيا ومخلافها، فاستعد أهلها للدفاع اعتقاداً أن النجرانيين سيهاجمونهم من الناحية الجنوبية، فإذا المفاجأة تأتيهم من الشمال، وأن النجرانين قد وصلوا قريةَ أم الخشب، فكانت

---

(١) «نفح العود» تحقيق العقيلي ط ٢ ص ٢٩٧.
(٢) الديباج الخسرواني ص ٦٧.
(٣) الديباج الخسرواني ص ١٦٧.

مباغتة أفقدتهم روح المقاومة، وهوجمت المدينة وقتل من رؤساء أهل صبيا ومخلافها أعدادٌ وفيرة ، وأسر منهم الكثير.

ويقول صاحب «الديباج الخسرواني»: (وكانت الوقعة يوم ٢٢ صفر سنة ١٢٤١ هـ - ١٨٢٦ م وحينئذ طاب للشريف علي بن حيدر ما وقع من قبائل يام وإن كان بوصولهم مشقة عليه كبيرة لكثرة مطالبهم العظام، لكن لشدة ما قد عاناه من المخالفين من أولئك الأقوام - يقصد أهل صبيا ومخلافها - أنها لا تقمع رؤوسهم غير تلك السيوف، ولا يقوِّم إعوجاجهم إلا إذا أذاقتهم كؤوس الحتوف)(١).

وهكذا كانت صبيا تتعاورها النكبات وتتلقفها الصدمات والهجمات.

وعلاوة على ذلك كانت مدينة صبيا كالكرة في الملعب بين علي بن حيدر، وعلي ابن مُجَثِّل، فتارة يتغلب عليها هذا، وأخرى يتغلب عليها ذاك.

وفي سنة ١٢٤٦ هـ - ١٨٣٠ م تقدم علي بن مُجثل واحتل مدينة أبي عريش فصالحه علي بن حيدر، على أن يقوم عنه في أبي عريش كنائب، وبوفاة علي بن مجثل، خلفه عائض بن مرعي وأرسل رسله لأخذ البيعة لنفسه من علي بن حيدر، فامتنع الأخير، فتقدم عائض لمهاجمة أبي عريش، فلم يتوفق فعاد إلى عسير، وظلت الحال في صبيا - خاصة - وفي المنطقة - عامة - بين الحكم التركي والمصري، وبين علي بن حيدر والعسيريين، في مد وجزر وأخذ ورد وأهل مدينة صبيا ومخلافها قبل وفي أثناء ذلك يتلمسون الخلاص بين تلك الأمور المختلطة المضطربة والأحوال المتقلبة، قد غمرهم اليأس وساد بينهم القنوط، فإذا الأخبار توافيهم مع الحجيج بالدعاية لصاحب الطريقة الأحمدية في مكة وما يقوم به من نشر طريقته.

ويظهر أن جماعة من حجاج صبيا شهدوا مواقف وعظه ومقامات إرشاده، فخلب ألبابهم واستهوى أفئدتهم، فرغبوا في الدخول في طريقته، وتلقوا منه التوجيه والإرشاد، والطريقة العملية للأوراد والتسابيح والأدعية والتراتيل، فانقلبوا إلى أهلهم كمبشرين ودعاة لتلك الطريقة.

وبعودتهم إلى صبيا أذاعوا فضله وأطروا صلاحه وتقواه، فوجدوا من عوامل اليأس واضطراب الأحوال ما جعل أهل مدينتهم ومنطقتها يتلمسون أي منهج يلهيهم عن الواقع المرير واليأس المطبق، ولو كان ذلك على حساب التصوف

---

(١) الديباج الخسرواني - مخطوط - الورقة ٧٥، ٧٩.

وسلبياته، والتقشف واعتزالياته، والإنسياق وراء التأملات الحالمة، وذهول المواجد والشطحات الغير العاملة والمغيبات النائمة.

وعندما حان الحج كان حجاج صبيا ومخلافها أكثر عددا وأوفر استعداداً بعد ما غمرتهم الدعاية واستقطبتهم الطريقة، وبعد الحج بايعوا الإدريسي على الدخول في طريقته، وطلبوا منه القدوم إليهم والمقام بينهم، فبعث معهم أحد نجباء تلاميذه المسمى (... الرشيد)[١] ومعه ما ينوف على الثلاثين من المريدين والدعاة والفقراء[٢].

وكان بنفس الطريقة قد اتصلت به شخصيات من أهل تهامة اليمن ودخلوا في طريقته وأجازهم، فرأى أن نجاحاته تتالى والإقبالات عليه تتوالى.

وفي الحج التالي وفد إليه الرشيد مع بعض تلاميذه مع حجاج صبيا ومخلافها وأطللعوه على ما حازوا من نجاح وإقبال الناس على الدخول في طريقته، وسلموه ما توفر لديهم من الفتوح والهبات والنذور، وأنهم قد قاموا ببناء مسجد وأسسوا له منازل حوله وزاويةً.

وكان بناء المسجد والزاوية والمساكن التي أعدت له شرق بئر المنسكي، وبعد وصول الشيخ أحمد بن إدريس إلى صبيا سكن في تلك الدور المعدة له بقرب الزاوية والمسجد إلى أن توفاه الله، وفي عهد ابنه محمد بن أحمد أو في عهد حفيده انحرف مجرى الوادي عن مجراه من جنوب العروج إلى شمالها، فجرف المساكن والزاوية وجانب من المسجد، فتنازل لهم القوادرة[٣] عن مساكنهم، وقد بقي قسم من المسجد وقبة واحدة من قببه إلى سنة ١٣٤٧ هـ/ ١٩٢٨ م، ثم أتى عليها السيل مرة أخرى.

أما الشيخ أحمد الإدريسي بالرغم مما بلغه من نجاح دعوته وطريقته في صبيا

---

(١) من رواية أحمد طامي وعبدالله بشيري وعلي بن زيد شار وكلهم من خاصة الأدارسة، والذين تلقوا مثل تلك الروايات عن آبائهم أو من المحيط الإدريسي.

(٢) الفقراء هم دراويش المتصوفة.

(٣) من رواية محسن محمد مشاري، وأحمد طامي: القوادرة: هم أبناء أحد تلاميذ أحمد بن إدريس الواصلين معه من المغرب إلى مكة، واستوطنوا صبيا، وتحسنت حالتهم المادية، وبنوا بيوت من الحجر، وعندما جرفت السيول مساكن الأدارسة، التي كانت في مجرى الوادي اليماني الآن شرق بئر المنسكي - تنازل القوادرة عن بيوتهم للأدارسة، وبنوا لهم مساكن من القش غرب المساكن الأولى، وشرق مسجد المجلبة، ومن أحفاد القادري الوافد، علي قادري، وإبراهيم قادري الملقب «صهلولي» وأخ لهم ثالث توفي وخلف ولداً اسمه «الجداوي»، ولا أعلم هل خلف أم لا.

أما علي قادري فقد خلف إبنا اسمه أحمد علي قادري، وإبراهيم قادري خلف إبنا سماه محمد، ولا أعلم بعد انتقالنا إلى جازان هل لهم بقية.

ومخلافها، إلا أنه كان متعشما في مد نفوذه على منطقة تهامة في جنوب المخلاف السليماني ووصلته دعوات من محبيه ومريديه من زبيد، فشد الرحال إلى تلك الجهة، فوصل الحديدة وبنى بها مسجده المعروف، وقد استقبل في الحديدة بالحفاوة والتكريم، والقصائد الترحيبية، فأقبل عليه الناس، لأن للصوفية في تلك الجهات نفوذها، وتعلق أهل تلك الجهات بأقطابها وشيوخها.

وبعد ذلك، شد الرحال إلى زبيد، ونزل ضيفاً على تلميذه العلامة الشيخ عبدالرحمن بن سليمان الأنباري، وبعد أن مكث برهة في زبيد، رغب في نشر طريقته في البوادي والبلدان التي حول زبيد، مثل: موزع، والمخا وغيرها، وجال في تلك الجهات واعظا ومرشداً وداعياً، ومن هناك كتب إلى مضيفيه، وأرباب العلم في زبيد، الأبيات التي سنوردها بعده.

وبعد تبادل القصائد والرسائل، عاد الشيخ الإدريسي إلى مدينة زبيد، فأقبل عليه الخاص والعام، ولم تزل الأيام والليالي زاهرة بلطائف العلوم معمورة أوقاتها بالعبادات والأقلام تكتب من إملائه الفرائض والشوارد ما ملئت منه الدفاتر(١).

وبعد مكوثه فترة في زبيد وصله من رئيس بعثته في صبيا الرشيد ما يفيده بنجاح مهمتهم واستقطاب الجماهير لطريقته وشيوع دعوته الصوفية في صبيا ومخلافها بما يفوق التقدير، عند ذلك أعلن عزمه على الرحيل إلى صبيا، وتسامع محبوه وتلاميذه، فغصت المدينة بأفواجهم من المخا وموزع وما صاقب تلك الجهات، فضلا عن جماهير مدينة زبيد وعلمائها وأدبائها، وأقيم حفل توديع رائع وأنشد الشاعر حسين عبدالكريم العتمى قصيدة في توديعه كان لها الوقع الحسن والتأثير البليغ، وشيعه الكثير إلى نصف الطريق بين زبيد والحديدة.

وبوصوله إلى الحديدة قصد مسجده في جنوب المدينة، وانثالت عليه الجماهير وتقدم شعراؤها بإلقاء القصائد في مدحه وتوديعه، وبعد أن استجم واصل السير إلى جازان، فوجد الجموع المتكاثرة من صبيا ومخلافها في انتظاره، ثم والى سيره والجماهير تحف به، وتسامع من حول الطريق، ومن تأخر انضم إلى الموكب، وسار الركب إلى أن وصل صبيا في تلك الجموع الحاشدة في شهر رمضان من سنة ١٢٤٥ هـ/ ١٨٣٠م واتخذها دار إقامة إلى أن أدركته الوفاة، فأصبحت صبيا محط الرحال ومنتدى الآمال ومثابة الوفود إليه من اليمن الأعلى وتهامة وعسير والمخلاف السليماني وجهاتها.

(١) أنظر «عقود الدرر»، الورقة ٧ ـ مخطوط.

فانتعشت مدينـة صبيـا، وكان لمواقف وعظه ومقامات إرشاداته ثمراتها في تسكين الأمور وردع المعتدين وتأمين السبل، فانصرف الناس تحت مظلة الأمن والأمان في التوسع في الزراعة والنشاط التجاري وعمارة المساجد للعبادات، وإن كان يشوبها التهليل والتكبير وإقامة حلقات الذكر وطلب الإستشفاء منه والتبرك به، وغير ذلك من البدع الصوفية، وعاش بها تسع سنين حتى وافته المنية ـ كما أشرنا قبله ـ وذلك ليلة السبت الحادي والعشرين من شهر رجب ١٢٥٤ هـ ويقول صاحب كتاب حدائق الزهر: (ولقد أظلمت لموته البقاع وفقدنا تلك المعارف التي تشنف الأسماع ولم يخلق مثله ولا من يدانيه في معارفه وبعد موته تفرق أصحابه في الجهات، وكان عقبى ذلك الجمع المبارك الشتات وقيلت فيه مراثي عديدة. ولم يحضرني في الحال غير ما قلته أنا)(١)، وقد أوردنا تلك المراثي قبل هذا.

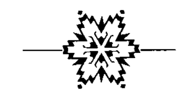
(١) عقود الدرر ـ مخطوط ـ للحسن بن أحمد بن عبدالله الضمدي.

الفصل الثاني

الشعر وحفاوته
بأحمد بن إدريس في زبيد

عنـد قدوم الشيـخ أحمد بن ادريس إلى زبيد، وفي أثناء إقامته فيها وفي نواحيها، حفل الشعر والأدب بشيء من النشاط، ضاع الكثير وبقى القليل منه، وكان الفضل في ذلك لعلامة المنطقة في القرن الرابع عشر الشيخ الحسن بن أحمـد عاكش في مؤلفاته مثل: حدائق الزهر وعقود الدرر، وفيما ترجمه للشيخ الإدريسي صاحب «النفس اليماني» عبدالرحمن الأهدل، وفيما أورده الوشلي في تاريخه «نشر الثناء الحسن»، ومن كل ما سبق نورد المقطوعات والقصائد الآتية:

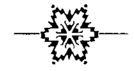
١ ـ المقطوعة التي بعثها الإدريسي إلى أهل زبيد.
٢ ـ القصيدة الجوابية من أهل زبيد على أبيات الإدريسي السالفة.
٣ ـ قصيدة الشاعر عبدالكريم العتمي الثانية الجوابية على الشيخ الإدريسي.
٤ ـ أبيات لمحسن عبدالكريم إلى الإدريسي.
٥ ـ القصيدة الوداعية التي أنشدها الشاعر عبدالكريم العتمي في حفل توديع الشيخ الإدريسي.



أبيات للشيخ أحمد بن إدريس

الأبيات التي وردت منه إلى أهل زبيد، وهو في مدينة «المخا..... مع رسالة نثرية أشار لها صاحب حدائق الزهر ولم يورد نصها:

فيـا أهـل (زبـيـد) حبـكـم ووداكـم
عظيـم وإنـي لا أزال على العـهـد
لقـد حال فيَّ القـلب شوقـا إليـكـم
وفـيـه أمـور زائـدات على الحـد
ونسـأل من المـولى الكـريـم عنـايـة
تقـربـنـا قربـا يزيـد على البـعـد
ويـجـمـع مني الشـمـل بيـني وبينكم
على بُسـط الأنس المـنـزع عن ضد



دراسة وتحليل على قصيدة
(أما آن أن يستوقف الركب منشد)

قصيدة جميلة في نظري المتواضع، إنها من عيون الشعر، ومن المستهل يعطينا الشاعر موضع القصيدة في لهجة تلهفية واستفتاح شجي، وتساؤل ذكي، أنظر لقوله:

أمـا آن أن يسـتـوقـف الركـب منـشـد
ويـنـجـد ملهـوف الشـكـايـة منـجـد

ثم يستأنف في البيت الثاني مناشدته لركب الشيخ أحمد بن إدريس بقوله:

على رسـلكـم لا تعـمـلوهـا فإنـمـا
مواطئـهـا أحـشـاء قوم وأكـبـد

أي لا تسيروا بها أو لا تسيروها، والضمير راجع للمطايا، قال الشاعر القطامي.

نعـم الفـتـى عمـلت إليـه مطيـتـي
لا نشـتـكـي جهـد السـفـار كلانـا

وأعملت الناقة فعملت، وفي الحديث «لا تعمل المطي إلا لثلاث مساجد» أي لا تحث ولا تساق، ثم يستأنف القول ويعلل نهيه بقوله: أن إخفاف تلك المطايا تطيء على أحشاء وأكباد المودعين، والبيت من الطرافة والجمال بمحل، ثم يقول: للركب أن يأخذوا من آثار تلك المطايا قبضة فإنها شفاء للعيون كالإثمد الذي يتداوى به.

ثم يوجه لهم الخطاب في إستفهام إنكاري فيقول: أما لديكم خبر عن دموعنا تشعبت مجاريها تخدد أديم الخدود، وأنه منذ مدة يدخر هذه الدموع ويوفرها لساعة الفراق لعلها تسعده على إطفاء نار البين، وفي البيت الذي يليه يسائل الإدريسي بأن يذكره ويجعله على باله، والبيت مأخوذ من معنى بيت مهيار الديلمي:

أذكـرونـا مثـل ذكـرانـا لكـم
رب ذكـرى قربـت من نزح

ومخدوم الصبا (في البيت) هو النبي سليمان عليه السلام، الذي قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ ﴾ [سورة ص الآية ٣٦]. والبيت الذي يلي ما قبل البيت الأول، والقصور في البيت بمعنى (التقصير) ومجاز بمعنى (القصور البنايات الشامخات)، ولملم: هو ميقات أهل اليمن، فيه مسجد معاذ بن جبل، والذي يقول فيه الشاعر أبو دهبل:

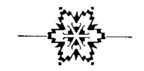
فما نام من راع ولا ارتد سامر
من الحي حتى جاوزت بي يلملما

ويقال له: يلملم، و (ألملم) و (الململه)، والململة: المجموع.

ولما قال: «قصور شامخات بلملم»، واللفظ يحتمل حقيقة جمع التقصير، ومجازا القصور الشامخات، وعندما جاء بلفظة القصور من التقصير، رشح في الشطر الثاني كلمة العجز، وأن شاهد الحال يشهد على ما بلغه الفراق منه، ومضى على ذلك النسق الجميل في القصيدة إلى أن يقول: وأنهم وإن كانوا شيوخاً فإنهم قد رضعوا من حافل فيض معلوماته لبن الهدى الذي يروي الغليل ويرشد الضال، وأن رضاعة الطفل لها مدة عامان ولم تستكمل مدة الرضاعة، ويرجو أن تستكمل المدة ليسعد الشاعر وربعه إلى أن يقول ما معناه.

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا
نحن الضيوف وأنت رب المنزل

وأن أهل زبيد، بل علماء زبيد، والذين منهم الشاعر، وردوا حياضاً وعبوا زلالا من علم ذلك الحبر، ويشبهه كأنه حوض المزن - أي السحاب المثقل بالمطر يتدانى إليهم من الأفق ليرشفوا ويعبوا من زلاله، ثم يبالغ الشاعر، وهذا مما هو معروف في الشعر، ويشبهه بركن البيت وقد أعطى الله ذلك الركن قدرة فسار إلينا والناس تسير إلى البيت، وهذه مبالغة غير حميدة، انتهى.



القصيدة التوديعية التي أنشدها الشاعر
عبدالكريم بن حسين العتمي
في زبيد في حفل توديع الشيخ أحمد بن إدريس ١٢٤٥ هـ

أَمــا آن أن يســتــوقف الركبَ منشــدُ
ويــنجــد ملهــوف الشكــايــة منجــد

على رســلكــم لا تعــمــلوهــا فإنــمــا
مواطئــهــا أحــشــاء قوم وأكــبــد

خذوا من ثرا[1] آثــارهــا قبــضــة لنــا
فطيــب ثراهــا للنــواظر إثــمــد

ألم تعــلمــوا أن العــقــيــق تشــعــبت
مجــاريــه في خدِّ الحــزيــن تُخــدد

ذَخَــرْتُ دمــوعَ العــيــن قبــل فراقكم
لمــا بعــده فاليــوم للأمس مســعــد

ألا فاذكــرونــا طول الله عمــركــم
فقــد قال مخــدوم الصَّبَــا غاب هدهــد

على أنــنــا لا نعــرف الخــبء إنــمــا
بنــا ما بنــا ممــا يقــيــم.. ويــقــعــد

قصــور تدانــت شامــخــات بلمــلم
وعجــز عليــه شاهــد الحــال يشهــد

ونــحــن وإن كنــا شيــوخــاً فإنــمــا
لأحــلامــنــا مهــد الأصــاغــر تمــهــد

وقــد رَضعتْ من حافــل الفيض عنكم
لبــان هُدىً يروي الغليــل ويــرشــد

وقــد تعــلمــوا أن الرضــاع لمــدة
ومــا كمــلت فاستكملوهــا وأسْعــدوا

---

(١) هكذا في الأصل والصواب (ثرى)

أَبَـى الله أن ينـأى بنـا طلب العـلا
على كيـف ما كنـا وأحـمـد أحـمـد
نزلتـم بنـا لا بل نزلنـا لأننـا
وردنـا حيـاضـاً لم تكـن قبـل تورد
كأنـك حوض المـزن طأطأ رأسـه
فيـا حبـذا منـكـم شهـود ومـشـهـد
كأنـك ركـن البـيـت أُعـطى قدرة
فسـار إلى من عنـه مَسْـراه يبـعـد
وأنـك ظل الله مد رواقـه
تفـيـأه منـا قريـب ومـبـعـد
وأنـي لا النـائـي فغـارة مشـفـق
عليـه لئـلا يشـبهن يومـه الغـد[1]

(١) حدائق الزهر في ذكر أشياخ أعيان الدهر ورقة ٦٩ ـ مخطوط.

القصيدة الجوابية من أهل زبيد

على أبيات الإدريسي للشاعر عبدالكريم العتمي

نسيم سحيق المسك أم عاتق النـدِ
أم الروضُ فاحت منه رائحة الورد
نظام أتى في غاية اللطف ناشراً
لطي الثنا من حضرة العلم الفرد
صفي الهدى شيخ الطريقة شيخنا
حليف الرضا في القرب منا وفي البعد
يقول وقد زادت به مدة البقا
بأرض «المخا» قولا يصرح بالوعد
فيا أهل زبيد حبكم ووِدادكم؟
عظيم وإني في الوصال على الوعد
لعمرك أن الشوق منا لزائد
يهيج إذا مرت عليه صبا نجد
وأبهمت ما في القلب إذ قلت سيدي
(وفيه أمور زائداتُ على الحد)
وما أحسن الإبهام هذا وإنما
سررنا به إذ كان من خالص الود

عندما وصلت رسالة من الإدريسي إلى أهل زبيد، طُلب من الشاعر عبدالكريم ابن حسين العتمي الإجابة، فأجاب بما يأتي:

من المخا يا نفحة المندلي[1]
سريت من منزلنا الأولِ

(١) المندل: عود الطيب المعروف نسبة لموضع الطيب في الهند، ومشهور اسمه في أشعار العرب، وقال الشاعر كثير عزة:

وما روضة بالحزن طيبة الثرى — يمج الندى جثجاثها وعرارها
بأطيب من أردان عزة موهنا — إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها

عبــرت فاســتـعــبــرت طرفــا جرى
فســاجــل الوسمي منــه الولي

أذكــرتــنــي الشــعــب وجــيرانه
وطيــب عيش بهــم مرَّ لي

أضرمــتِ نار الشــوق في مهــجــتــي[٢]
شتــان ما بين الشــجــيِ والخــلي

يا غائــبــا عن ناظري لا سوى
غيركــم في القــلب لم يحــلل

شجــونــه فيــكــم وبــرهــانــه
إنــا شجــونــا صاحــب المــنــزل

نزلت من مهــجــتــنــا سابــقــا
مثــل نزول الســفــح من جرول[٣]

ألســتــم يومــاً ألســت الأولى
عرفــتــكــم ثم بنصٍ جلي

وافى إليــنــا وهــو عين الوفــا
كتــابــكــم والفــضــل للمُــفــضِــل

خبــرنــا أنــا على بالكــم
فالشــكــر لله الكــريــم العــلي

فلاحــظوا من أنــتــم أهــلــه
بلحــظة واســتــنــهــضــوا من يلي

قولكــم الطائــر مع ريــشــه
حرك أعــطــاف أولى المــحــفــل

إشــارة أرســلــتــمــوهــا لنــا
شاهــدة بالفــضــل للمــرســل

(١) الوسمي: مطر الربيع الأول، لأنه يسم الأرض بالنبات، والولي: هو المطر الذي يلي الوسمي وقد وليت الأرض فهي مولية.

(٢) الشجي والخلي: الذي أشجاه الحب، والخلي ضده، وفي المثل (ويل للشجي من الخلي).

(٣) جرول: موضع معروف بمكة.

عسى بكم يبلغ ما رامه
راجٍ ويحظو بمقام علي

بقيت يا مولاي لنا منهلا[1]
وشربنا من راكد المنهل

صلاة من أنزل فرقانه
على نبيٍ فائقٍ مرسل

والآل والأصحاب مع تابع
ومن تلاهم تابعا من يلي[2]

ومن قصيدة لمحسن عبدالكريم بعثها إلى الإدريسي بصبيا:

شرفت صبيا بكم فغدت
مورداً للعلم والنزل

ليت شعري ما الذي فعلت
فعلت قدراً على زحل



(١) منهلا: موردا.

(٢) «نشر الثناء الحسن» للمؤرخ الوشلي ورقة ٧٦٤.

الفصل الثالث



الطريقة الأحمدية وأثرها وتأثيرها

أشرنا قبله إلى الحالة في صبيا قبل وصول الإدريسي ومقابلة بعض رؤساء حجـاج أهل صبيا، وحضورهم مواقف مواعظه، ومجالس الذكر وترتيل أوراده، وتلاوة أحزابه، وتهاليل وأناشيد حلقات ذكره، فشدهم إليه، وزاد تعلقهم به، مما نتج عنه ما أشرنا إليه من إرسال أحد كبار تلاميذه لنشر طريقته الأحمدية في صبيا وجهاتها.

وكان قد سبقت تلك الدعاية وهيأت النفوس لاستقدام بعثته، فأقبل الناس على الإنخـراط في زمـرة فقرائه ومريديه، والإنتظام في سلك المنتسبين على نهجه الصوفي، وكان يأخذ البيعة على كل منتسب، ويلقن السلوك والأوراد والتراتيل والأحزاب والأذكار الأحمدية للمنتسب.

وسرعان ما انتشرت في صبيا وجهاتها، ووجد الناس في الإنصراف إليها ما ألهـاهم عن واقعهم المـرير وحاضرهم المضطرب بالفتن العالقة بينهم، والقتال الناشب بين أطرافهم، والتعصبات القبلية والتحزبات العشائرية، والتلبب للغارات، والتحشد للثارات، والتربص لبعضهم بعض.

فكـان أول اهتمامات البعثة ترسيخ النفوذ الروحي ونشر كراماته المزعومة، وإرهـاصـاته الموهومة(١)، فانهالت عليهم ـ كما سبق الإشارة ـ النذور والهبات والفتـوح، وضـاقت الزاويـة الجديدة بروادها لاستماع الأذكار وتلاوة الأحزاب، والمشاركة في حلقات الطريقة، والإشتراك في تراتيل الأناشيد والأوراد، فتوسع المجـال وزادت المهـام فتفـرق أفراد البعثة في مساجد صبيا وقراها للإئتمام

---

(١) أخبرني الشيخ عبده بن أحمد حربي المتوفى سنة ١٣٩٨ هـ رواية عن الشيخ صالح إبراهيم زيدان، قال: مرض فلان، فحملوه إلى صبيا للإستشفاء لدى الشيخ أحمد الإدريسي، فنفث عليه بالريق وبخ عليه الماء وتلا عليه، فلما جن الليل، قال أخرجوه إلى صحن الدار المكشوف ـ وكان الوقت شتاءً ـ فحمل سرير الرجل إلى المحل المشار إليه، وقال: لا تدخلوه الغرفة إلا في الصباح، وعندما أشتد البرد بعد نصف الليل، طلب المريض إدخال سريره إلى الغرفة فاعترضهم ضيق الباب، فأبقوه في مكانه، وفي الصباح جاء خدم الإدريسي، وحملوا السرير وأدخلوه إلى الغرفة، فاعتبر ذلك كرامة من كرامات الإدريسي.

والتعليل المعقول أن البناء في ذلك الوقت وبالأخص الأبواب والنوافذ لم تكن على المسطرة والخيط، فالباب ضيق من أسفل متسع قليلاً من أعلى، وخدام الإدريسي يعرفون ذلك من إدخال وإخراج السرر، فتم رفع السرير عن المحل الضيق إلى أرفع منه قليلا، فدخل السرير بسهولة، وإنما في ذلك الوقت كل شيء يعتبر من كرامات الإدريسي، ولا تستطيع العقول ألبسيطة التعليل فيريحون أنفسهم بالتسليم للكرامات.

بالنـاس وإقـامـة مراسم الطريقة عقب كل فريضة، فغصت المساجد بروادها، ونشطت العبادات في أوقاتها من الناحية الإيجابية، أما من الناحية السلبية، فقد انتهج الناس نهج التصوف، والتعلق بشيخ الطريقة، والإرتباط بنهجه، والمغالاة في صلاحه وتقواه وقدرته وكرامته، بزعمهم ومكاشفاته الغيبية في عرفهم والإستشفاء به على الطريقـة الشـركيـة وطلب البـركـات منه، شأن الحالة في أكثر البلاد الإسلامية من الإعتقادات الباطلة في رجال التصوف، وما يطلق عليهم «الأولياء» وما يروج لهم من المزاعم والدعاوى الباطلة.

وبعد وصول الإدريسي أصبحت تشد إليه الرحال وتتقاطر عليه الوفود، لا في صبيا ونواحيها بل من الجبال اليمنية وتهامة اليمن وتهامة عسير، وعسير نفسها والحجاز.

وعـاد كل ذلك بصـورة غير مباشرة على الأمن والحالة الإقتصادية والحالة الإجتماعية والسلوك الجماعي والفردي.

فمن الناحية الأمنية أصبح السلوك الصوفي وما يتسم به من روح المسالمة يحول دون تجدد الفتن والصراعات والخصومات إلى أقل من سابقه بنحو ٥٠٪، وإذا وقع شيء ففي وسع الإدريسي ووساطته في المصالحة ما يحل الكثير من المشاكل، والنفوس مهيأة لقبول وساطته لما أصبح له من المكانة والاحترام، ومن مثل ذلك مؤخراً: عندما نشب قتال في جهة الوَشّبةِ[١] بين أهل صبيا والجعافرة، طُلِبَ من الشيخ علي بن محمد بن أحمد الإدريسي التدخل، فخرج في حاشيته وفرق بين المتقاتلين فاحترموا شخصيته وتفرق القوم.

ومن الناحية الإقتصادية، فالأمن النسبي سهل سلوك الطرق وجلب الحاجيات ورواج البيع والشراء، في حال كانت الحالة غير ذلك قبله.

وأما الحالة الإجتماعية، فقد انصرف الناس إلى التبتل والتزهد والتسامح نوعا والتخفيف من غلواء الجهل والحميَّة الجاهلية.

وفـوق ذلك تهـذب السلوك الجماعي والفردي، فالتآخي والتزامل في الطريقة الصوفية ربط برابط الزمالة الصوفية بين الكثير، فقارب نوعاً ما بين الجماعات خوفاً من القوى الروحية للإدريسي ـ بزعمهم ـ وإثباتاً في عرفهم في تأثير مواعظه ومواقفه.

---

(١) الوشبة: موضع فيه حلول من الناس، وهي أشبه بقرية صغيرة في غرب مدينة صبيا.

وفوق كل ذلك أن جميع الطرق الصوفية لها أثرها في أتباعها وتأثيرها في منتسبيها، وطبعهم بطابع نهج التصوف ببدعه المعروفة وسمته المتعارف عليه، سلوكاً ومعايشة ومعاملة.

فتجد في أتباع التصوف الإتكال لا التواكل، والتزهد لا الزهد، ونهجاً سلوكياً في المخاطبة، والتأدب لا الأدب، وهو تأدب مفرط في الجلوس والقيام والمشي والقعود أمام وبين شيوخهم، ومناداة شيخهم أو بعضهم بكلمة «يا سيدي» ـ بكسر السين وسكون الياء وكسر الدال ـ وهذه الكلمة ـ خاصة ـ أرجح أنها مستوردة من المغرب العربي، فهناك يطلق على أصحاب الأضرحة سيدي فلان، بل على بعض حكامهم «سيدي فلان»، وهذا ما أخاله أنه أُستعمل بعد وصول الإدريسي، ولا يزال إلى الآن وبالأخص في البادية، إذا خاطبك المرء فيقول: «يا سيدي عَلَى كذا» أو «يا سيدي حصل كذا». فهذه الكلمة تطلق مخففة بمعنى، «سَيِّدي» المثقلة في الفصحى، ونرى الإمام محمد بن علي الإدريسي يستعمل هذه الكلمة على الطريقة الفصحى في مخاطبة شيخه وأستاذه سالم بن عبدالرحمن باصهي، إذ يقول:

يا سيدي «سالم» المولى الذي ابتهجت
به المعارف تكبيراً وتقديراً

فهو هناك لم يكتف بـ «سيدي» حتى نعته إضافة على ذلك ـ بكلمة «المولى» بل كانت من الآداب السائدة قبل وبعد تولي محمد بن علي الإدريسي الإمارة، فكان إذا ذكر أحمد بن إدريس ـ المؤسس ـ قال المتكلم: «سيدي أحمد»، وظل ذلك متبعاً في مدة الإمام الإدريسي، فإذا ذكره شخص قال: «سيدي محمد»، وإذا تكلم أحد بحضرته فيوجه إليه الخطاب: يا سيدي، وكذا أخوه الحسن وأبناؤهم، وانسحبت بعد ذلك حتى في الآداب العامة، فتوسع الناس في مدلولها وشيوعها حتى صارت من آداب المجاملة.

أما لغة: فالسيد: الذئب، وتطلق كذلك على الأسد. قال الشاعر:

(كالسَّيدِ ذي اللبدة المستأسد الضاري)

والسيد ـ بتثقيل السين والياء المكسورة ـ هو المسن من الماعز وفي الحديث: «ثني الضأن خير من السيد».

أما كلمة «السيد» بالتثقيل والفتح، هو «الرئيس والكبير».

قال تعالى ﴿ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا ﴾[1]

وقال تعالى ليحيى ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾[2].

أي أنه فاق غيره عفة ونزاهة عن الذنوب، قال الفراء: «السيد والسخي والرئيس وسيد العبد: مولاه، وقد عرفت ممن عاصر الإمارة الإدريسية أنه كان يضع الرداء على رأسه ويرفع أطرافه على الكتف أو الكتفين أو يطلقه، وذلك ـ كما أرجح ـ من بقايا العادات المغربية[3] التي وصلت مع الشيخ أحمد بن إدريس وأتباعه.

لقد استطاع الإدريسي ألجَد، ترسيخ مكانته في نفسية الشعب وتمكين نفوذه الروحي في النفوس، علاوة على ما كان من التبرك والتوسل والإستشفاء ـ على الطريقة الشركية والبدع المتعارف عليها في ذلك التاريخ ـ كما كان سائداً ولا يزال إلى الآن في بعض البلاد العربية ـ بل زاد ذلك إلى الإستشهاد بكلامه والإستغناء به عن المأثورات عند الكثير، وإن كان في ذلك الوقت نفسه بعض الأفراد الصرحاء لم تهضم عقولهم أو تتقبل مفاهيمهم بمثل ذلك التوجه الأعمى والتسليم البليد والإنقياد الذليل، وإنما كانوا يَغلِّفون إستنكارهم لمثل تلك الإستشهادات بشيء من الدعابة الذكية، والنكتة الفطينة، ومما يروى من ذلك: أن رجلا شب حريق في داره وأتى على محتوياتها، فأقام لنفسه في فناء الدار «صبل» ـ سقيفة ـ فأقبل أهل «الحي» لزيارته ومواساته وتخفيف مصابه، فتكلم أحد الزائرين ليخفف من هول مصابه، ويهون من فداحة مصيبته، فلم يوفق إلى تلاوة شيء من كتاب الله أو حديث رسوله، بل تفوه بما أصبح رائجاً في مثل تلك المواقف من الإستشهاد بأقوال الشيخ الإدريسي، وبعد أن تنحنح نَصَّ بعنقه ومسح الحاضرين بنظرة سريعة، فأشرأبت أعناق القوم للتطلع إلى وجهه، وأنصت الحضور فأنبرى قائلاً: قال سيدي أحمد: لو علم المرء بما في الحريق من الفوائد والأجر والثواب لحمد الله سبحانه، ففي ذلك إحتساب الأجر وتطهير للمكان من النفايات، والقضاء على الأفاعي والحيات والعقارب والهوام، وعند ذلك الحد عيل صبر صاحب الدار المنكوب وقال في ضيق وحرج: ماله ما سلم بيتي وغدا طول

---

(١) سورة الأحزاب من الآية ٦٧.

(٢) سورة آل عمران من الآية ٣٩.

(٣) رأيت في بعض المؤلفات صورة عمر المختار وعليه الرداء ـ كما يفعل القذافي في العصر الحاضر.

الحنش كالرشا وناب الحية كسنان الرمح وشوكة العقرب كقرن الثور . فارتسمت الإبتسامة الساخرة على الشفاة، وكُظِمت الضحكات في الأفواه لتلك النكتة البارعة، وإن كان هناك من أبدى الامتعاض وأظهر الإستنكار المقتضب، محذراً القائل مما سيناله من الويل والثبور وجلائل الأمور، وبالرغم من هذا وذاك حفظت النكتة لتتناقلها الأفواه وتتردد همساً على الآذان.

وإنما العبرة ليس بالقلة القليلة المُنكِرة، بل بالكثرة المتكاثرة الذين تعمقت تأثيرات تلك الشخصية وقدرتها الروحية بزعمهم وترسخت في وجدانهم وضمائرهم(١).

لم يكن ذلك التأثير والنفوذ لأحمد بن إدريس وطريقته الأحمدية والفتوح والنذور والهبات مقتصرة على حياته، بل استمرت حتى بعد وفاته، فكان ضريحه مزاراً تشد إليه الرحال وتتقاطر عليه الزوار من اليمن إلى عسير، وهذا هو الشرك وتلك هي الفتنة، وقد ظل ذلك المزار فتنة وغواية إلى سنة ١٣٣٨ هـ ـ ١٩٢٠ م وبعد أن اكتسحت القوات السعودية عسير وتوجه منها وفد إلى الإدريسي بصبيا برياسة عبدالله بن راشد وأشاروا عليه بهدم القباب والأضرحة وفي مقدمتها قبر وضريح جده وباشر ذلك ليلا ولم تشرق الشمس إلا وقد سويت بالأرض(٢).

لقد وقفت أثناء اشتغالي بوظيفة مدير الواردات في مالية جازان على سجل ما آل من إمارة الأدارسة إلى الدولة السعودية، وعلى بعض تسجيلات بهبات ونذور تشتمل على حقول زراعية وعدد من أشجار السدر، ولا شك أن ذلك بعض من كل.

أقوال علماء عصره

قال عنه صاحب كتاب «الديباج الخسرواني «: (.. والسيد الإمام أحمد بن إدريس المغربي نسبا من ذرية إدريس بن عبدالله المحض، هو شيخنا إمام المفسرين، ومقدم المحدثين، جعل الكتاب والسنة إماميه، وتقيد بهما حالا وقالا ومشى على قدم سنن السيرة المحمدية طريقة وفعالا، له قوة فكر في أخذ الدليل من الكتاب والسنة استنباطا وانتزاعاً.

---

(١) الراوي: محسن بن محمد مشاري.

(٢) أنظر ص ٧٥٧، ٧٥٨ من كتابنا «المخلاف السليماني» جـ ٢.

وهـو لا مذهب له غيـر ما دل عليه الدليل من كتاب وسنة، وكان يكافح أولئك بتزييف[1] هذه المذاهب، والعكوف على ما مضى عليه الناس من التقليد، ويعلن لهم بأن قصر الحق على هذه المذاهب المعروفة من البدع، وأن الجزم بتعذر الحكم من دليل لا مستند له، وأنه من تَحَجُّر الواسعَ لأن فضل الله غير مقصور على شخص دون شخص، والفهم الذي هو شرط التكليف قد منحه الله تعالى كل أحد ولو كان مختصا به أحد دون أحد، وزماناً دون زمان لمَا قامت الحجة على العباد بكتاب الله العزيز والسنة البيضاء، وهذا لا يرتضيه أحد. وهذا الصنيع من كفران النعمة، وقد تكلم في هذه المسألة جماعة من أهل العلم، وأفردها الشيخ صالح الفلاتي[2] بمؤلف وأجاد في الكلام على هذه المسألة الإمام الحافظ محمد ابن إبراهيم الوزير في عواصمه، نعم انحرف عنه علماء مكة بهذا السبب ولله در القائل:

ألا قل لمـن بات لي حاسـدا — أتـدري على من أسـأت الأدب
أسـأت إلى الله في صنـعـه — لأنـك لم ترض لي ما وهـب

إلى أن قال: (.. وقد نشر له من الصيت وحسن الذكر ما ملأ الآفاق).

وقال صاحب كتاب «النفس اليماني»[3] ـ مخطوط ـ : (.. شيخنا السيد الإمام ذو المعـارف الربـانيـة، والمـواهب الرحمـانية، صفي الإسلام أحمد المغربي الحسني، وفد إلى مدينة زبيد ناشراً ما منحه الله من علوم أسرار الكتاب والسنة، كاشفاً عن إشارتهما الباهرة ولطائفهما الزاهرة، بعباراته الجلية المشرقة عليها نور الإذن الرباني ولائح عليها إثر القبول الرحماني).

إلى أن قال: (.. ولقد أملى عافاه الله من تلك الدقائق والحقائق ما استنارت به قلوب سليمة، وتداوت من جراحات غفلاتها أفئدة أليمة، وازدحم الخاص والعام على الإستفادة من تلك العلوم والإقتباس من نور مشكاة تلك الفهوم وإنَّ جميع العلوم في القرآن؟ لكن تقاصرت عنه أفهام الرجال، وتلقى كل أحد من تلك المعاني واللطايف على قدر الاستعداد، وعلى ما قدر الله من سوق فيض الإمداد:

---

(١) هكذا في الأصل.

(٢) لم يتبين لنا من الأصل هل هو «الفلاتي» أو «الفلاني».

(٣) صاحب كتـاب «النفس اليمـاني» هو: عبـدالرحمن بن سليمان بن يحيى الأهدل الأنباري وكان ينعت بـ «الحافظ»، ولد في شهر القعدة عام ١٢٧٧ هـ بمدينة زبيد، أنظر الورقة ٥٩ وما بعدها من «عقود الدرر» ـ مخطوط ـ.

على قدرك الصـهبـاء تعـطيـك نشـوة
وليـسـت على قدر السـلاف تصـاب)

قال ابن القيم ـ رحمـه الله ـ في شرح «منـازل السائرين»: (القوم يسمون أخبـارهم عن المعارف، والمطلوب إشارات لأن المعروف والمطلوب أجل من أن يفصح عنه بعبارات تطابقه.. الخ).

إلى أن قال: (.. ولقد ذكر لي عافاه الله أنه مكث عدة سنين لا شغل له إلا تلاوة كتاب الله والتعرض لنفحات أسرار علومه ولطائف رقائقه وفهومه حتى منح الله بما منح، وفتح بما فتح).. الخ.

إلى أن قال: (.. ولم تزل الأيـام والليالي به زاهرة رياضـها بلطائف العلوم المعمورة أوقاتها بالعبادات، والأقلام تكتب من إملاء هذا السيد الفوائد العوائد النوادر والشوارد ما ملئت منه الدفاتر[1]، وفي هذه المدة وقعت إجازات منه لكل من طلب ذلك).

إلى أن قال: (.. وامتدحه أهل تلك الجهات بقصائد فرائد ثم توجه إلى بندر الحديدة وتلقاه أهلها بالإعزاز والإكرام وامتدحه علماء البندر بعدة قصائد ثم سار إلى صبيا سنة ١٢٤٥ هـ ـ ١٨٢٩ م وقد وقفت بين يديه سنوات ارتضع من أخلاف المعارف، وأقتطف من أزهار علومه اللطائف، وأخذت عنه ما له من الأوراد والأحـزاب والمواعظ والرقائق، وأمليت عليه الحكم العطائية، وبعضا من رسالة القشيري وشطراً صالحاً من التفسير للحافظ الدَيْبَع وغيره، وقرأت عليه كثيراً من سور القرآن ففسرها على طريقة العبارة والإشارة بما يبهر العقول).

(وقد كتبت عنه كثيراً من العلوم الشرعية ولم تر عيني في نُسكه وعبادته من يستكمل القرآن في ركعتين، وأوقاته مستغرقة بالذكر بنشر المعارف، ولم أسمعه يتكلم بمباح وفي الحقيقة يقصر التعبير عن شرح فضائله قلمي ولساني ويضيق صدر الأوراق عن إظهار ما أضمره جناني، وقد أخذت عنه علم الطريقة وأجازني فيها بسنده المتصل عن أشياخه عن طريق القوم المعروفة بأسانيدها وألبسني الخرقة المعروفة عين أهل التصوف ويتبرك بها العلماء والصالحون قصداً للدخول في طريقة التصوف[2].. الخ).

---

(١) هكذا في الأصل.
(٢) هكذا في الأصل والخرقة والتبرك بهما من خرافات الصوفية وبدعهم المنافية لروح الدين، أنظر ص ٣٧ من كتابنا «التصوف في تهامة» بعنوان الخرقة وأسانيدها وما أوردناه من أقاويلهم عن تلك الخرقة، من الأقوال التي تبعد عن روح الدين وحقيقة اليقين.

وجاء في كتاب التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول تأليف صديق ابن حسن خان ملك بهربال في الهند ـ باختصار.

(وهو السيد الشهير الصوفي أحمد بن محمد بن علي الإدريسي المغربي ثُم التهامي، ولد في ميسور من قرى فاس بالمغرب سنة ١١٧٣ هـ ـ ١٧٦٠م ونشأ هناك وأخذ في علم الشريعة عند علماء وقته بالمغرب، وفي علم الطريقة عند شيخه العارف عبدالوهاب التازي، وقدم إلى مكة المكرمة سنة ١٢١٤ هـ فأقام بها نحو ثلاثين سنة، وانتقل إلى اليمن واستقر في آخر أمره بمدينة صبيا ـ من المخلاف السليماني ـ منطقة جازان ـ إلى أن مات فيها، وقد جمع أحد أتباعه طريقته من آرائه ومروياته «كتاب العقد النفيس»، ومجموعة الأحزاب والأوراد).

أما طريقته المسماة «الطريقة الأحمدية» نسبة إليه، فكما قال أمين الريحاني في كتابه «ملوك العرب» أما عنوانها فعنوان «الطريقة الشاذلية»، لأن أتباعها يسلكون بالتهليل والأدعية مسلك الشاذليين).

هذا بعض ما قاله عنه بعض ممن ترجم له، والشيخ الإدريسي من الزهد والورع والعلم والتقوى بمكان، يشهد له من عاصره وخالطه وتتلمذ عليه، وهو من كبار رجال التصوف في عصره، وللتصوف في ذلك العصر وقبله ما تحصل به الفتنة بمثله حيا وتزداد الفتنة بعد موته، ويزيد عليه ويبالغ عنه وفيه، وزاد ذلك بانتشار طريقته، وإنما بعد موته تفرق جل أصحابه ومريديه، ولم يكن ابنه محمد ابن أحمد الذي خلفه في قوة شخصية والده، فعاش على حساب ذلك التراث الصوفي الموروث الذي تأصلت جذوره في المنطقة.



البَابُ الثَّالث

الفصل الأول

النشاط الأدبي والحركة الفكرية
قبل العهد الادريسي الثاني

إن النشاط الأدبي والحركة الفكرية في العهد الإدريسي قد بدأ بعد ركود نسبي كاد أن يشمل المنطقة في أواخر العهد التركي - الذي سبق الإشارة إليه قبله -.

ومع كل ذلك فقد بقيت نقط مضيئة في حنادس تلك الفترة أشبه ما تكون بالواحات النضرة في الصحراء الشاسعة تتمثل في بقايا بعض بيوت العلم كمدرسة آل الضمدي في أبي عريش التي أحياها عالم وأديب المنطقة الحسن ابن أحمد بن عبدالله، ثم خلفه عليها أخوه إسماعيل بن أحمد، ثم خلفه ابن الأول إسماعيل بن حسن بن أحمد المتوفى سنة ١٣٢٢ هـ[(١)] - ١٩٠٤م.

كما أن هناك مدرسة أخرى في أبي عريش هي مدرسة الشيخ يوسف بن مبارك العريشي المتوفى سنة ١٣١٠ هـ - ١٨٩٢م، فخلفه عليها ابنه الشيخ محمد بن يوسف ومدرسة أحمد بن إسماعيل الزكري المتوفى سنة ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤م بقرية القُمري، وممن تخرج بتلك المدرسة الشيخ القاضي محمد حيدر القبي وغيره.

ثم مدرسة الشيخ عبدالرحمن بن محمد الأساس الضمدي في بلدة ضمد نفسها، ثم مدرسة الشيخ سالم بن عبدالرحمن باصهي بصبيا وممن درس فيها محمد بن علي الإدريسي ومحمد يحيى باصهي وعبدالقادر باصهي، ومحمد حيدر القبي.

ومن رجال ذلك الرعيل غير ما ذكرنا.

١ - الشيخ محسن السبعي الشافعي المذهب من قرية الحسيني وتولى قضاء الحديدة من قبل الأتراك.

٢ - محمد محسن السبعي، خلف والده في قضاء الحديدة.

٣ - أحمد بن يحيى الزكري، من أهل القمري.

---

(١) درس على يد والده ثم على يد عمه إسماعيل بن أحمد، ترجم له صاحب نشر الثناء الحسن - مخطوط - كما ترجم له صاحب «نزهة النظر، ص ١٨٧، وفهمت من الشيخ الأديب موس أبي الخير المعافا أن إسماعيل بن حسن هو أول من لقُب «بعاكش» كما أخبرني شيخنا عبدالله بن علي العمودي - مشافهة - أن الإمام محمد ابن علي الإدريسي درس في تلك المدرسة قبل سفره إلى مصر.

٤ ـ محمد حيدر القبي من أهالي الملحا.
٥ ـ أحمد بن علي بن حسن البهكلي من أهالي أبي عريش.
٦ ـ حسن بن محمد بن علي البهكلي.
٧ ـ حسن بن أحمد عاكش الضمدي.
٨ ـ عبدالله بن علي العمودي من أهالي أبي عريش المعمر المتوفى سنة ١٣٩٤ هـ.
٩ ـ حسن بن أحمد بن علي الضمدي المتوفى في الثلث الأول من القرن الرابع عشر الهجري.
١٠ ـ علي بن حسن بن أحمد الضمدي.

ومع كل ذلك فكان للفتن والحروب القبلية التي حدثت:

١ ـ بين بني حُمَّدْ وبني شبيل وبني مروان.
٢ ـ بين المسارحة وبين الحُرَّث والعبادل وسفيان وأهل أبي عريش.
٣ ـ بين الحكامية والخرم.
٤ ـ بين الحسيني وعبس.
٥ ـ بين أهل صبيا والجعافرة.
٦ ـ بين السادة وأهل بيش.
٧ ـ بين قبائل بني شعبة وقبائل عبس.
٨ ـ بين أهالي الشقيق وبين ربيعة والمنجحة(١).
٩ ـ بين أهالي أبي عريش وأهل ضمد.

إن تلك الحروب القبلية جعلت للشعر العامي سوقاً رائجة وأصداء داوية أخفتت الشعر الفصيح، فطغى الشعر الشعبي على كل صوت، وكان هو المعبر عن روح الكفاح والفتوة والتلبب للحرب، والمعبر عن الغارات والحث على روح الفروسية والنزال والصراع، والمشيد بالمثاليات القبلية والعصبية العشائرية والبطولة الفردية، والحث على الأخذ بالثأر، والحض على الذود عن المال والأعراض، وحماية الجار والتباهي بالرفقة والمجورة، والمنوه بحفلات الختان وغير ذلك من المأثورات الشعبية كالسماية واسترداد المنهوب والمسلوب(٢).

---

(١) أنظر كتابنا الأدب الشعبي بجزئيه.
(٢) أنظر كتابنا الأدب الشعبي بجزئيه.

وبما أن الحرب بين القبائل تحتاج إلى وقود لإشعال روح الحماس والحض على الثارات والتفاخر بالمواقف والتنويه بالبطولة وبالأخص بما يصاحب الشعر الشعبي من الرقصات على قرع الطبول وإشهار السلاح وإطلاق الأعيرة النارية لقربه من المفاهيم العامة.

كل ذلك جعل له الرواج على الشعر الفصيح وشعبية من الجماهير وإن كان لا تخلو تلك الفترة من بعض المثقفين وأشهرهم:

١ ـ عرار بن ناصر وكان يحفظ كثيراً من الأشعار الفصحى.
٢ ـ محمد بن يحيى باصهي وكان لديه مكتبة عامرة تملأ رفوف مكتبة من الكتب المطبوعة.
٣ ـ أحمد شريف الخواجي وكان من مقتنياته دواوين أبي تمام والبحتري وأبي العلاء والمتنبي.
٤ ـ محمد عيس القاضي النعمي.
٥ ـ القاضي أحمد بن علي البهكلي.

كما أن هناك غيرهم في ضمد من الحوازمة وآل المعافا[٢] وآل عمر والبهاكلة ممن لم تحضرني أسماؤهم.

وما عثرنا عليه من نهاية القرن الثالث عشر أوردناه قبله، وإنما في الربع الأول من القرن الرابع عشر لم نعثر على شيء يستحق النشر، والرجاء ممن يعثر على شيء، إما أن يتفضل بإطلاعنا عليه شخصياً أو كتابياً أو ينشره بإسمه لنستفيد منه.

---

(١) من رواية حسن بن ظافر النعمي.

(٢) جاء في «المصباح» مادة «عفا» ـ بالألف ـ وفي «مختار الصحاح» وكذا في «أساس البلاغة» وفي «لسان العرب».

وفي المخطوطات في كتاب «العقيق اليماني» ورد على النحو التالي:

١ ـ في صـ ٤٨٩ «حسين بن عيسى المعافا».
٢ ـ في صـ ٣٨٠ «أحمد بن علي المعافى».
٣ ـ في صـ ٢٥٨، ٢٥٩ في مقطوعة الشيخ محمد بن عمر، وردت مرتين «المعافا».

الحمد لله

استلمنا من الشريف الهمام ضياء الاسلام

ما عره حيدر المحسن ثمانمائة وثلاثة

وثمانين ريال ٨٨٣ مرفوت

المعاملة التي على بني شبيل وتحرر هذا

ببلد الاسلام عمر سنة ظفر احمد ١٣٢٩

نقص من كشف ... ما تين وثمانية

دار نفقت ريال ٢٤٨

نقص ... داخل

... ود ... محمد زكي ... عوض ...

حيدر ... ذاتيه


الفصل الثاني



النثر في العهد الإدريسي

إن فن الترسل من فنون الأدب الرفيعة، والرسائل على وجه العموم صورة من أفكار الرجل وصفحة من صفحات فكره ونمط من أنماط سلوكه ونهج من طريقته في الحياة، وتصرفاته الشخصية وأفكاره البسيطة والمركبة، هذا بالرجل كأديب وكاتب.

أمـا الشخصيـات التي لها دور في التاريخ وأثرها في مصائر أمور عهدها ومقـدرات عصرها وسياسة شعبها فتلك الرسائل لها أهميتها التاريخية والأدبية والاجتماعية والسياسية.

يضاف إلى ذلك أنها من أوثق المصادر وأصدق الوثائق التاريخية، ومن أثبت الشواهد على الأحداث والوقائع.

ويكون لها أكبر الأهمية ـ إذا كانت بأقلام منشئيها وخطوط كاتبيها، وأغلب رسائل الإدريسي ـ إن لم نقل كلها ـ بخط يده، وبالأخص في أول عهده الذي كان لا يوجد لديه ديوان ولا سجلات، وما عثرنا عليه من هذا النمط هو عند ورثة المرسل إليهم تلك الرسائل.

إنني لم أثبت في هذا التاريخ الأدبي كل رسائل الإدريسي لدي، بل لم أورد هنا إلا ما له علاقة بموضوعنا في التاريخ الأدبي.

مع العلم أن هذه الرسـائـل التي أكثرها أصول وبعضها مصور عن الأصول والتي هي موجودة في حافظة خاصة أهديتها مع ما أهديته من كتبي ومكتبتي والوثائق التي لدي، أهديتها إلى مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض بموجب بيانات وصك شرعي بوقفها لله سبحانه وتعالى في سبيل العلم.

وبعد هذا التمهيد الموجز نورد أسماء من أرسلت لهم تلك الرسائل، ثم دراسة مختصرة وتحليل عن كل رسالة أو منشور إدريسي، وهي:

١ ـ رسالة من الإدريسي لقاضيه بجبل النضير[1].

٢ ـ منشور إدريسي في تبرير ثورته. ٣ ـ رسالة من الإدريسي لوالد المؤلف.

---

(١) من الناس من يكتب «النضير» من النضارة ومنهم من يكتبها «النظير» من النظر. جرى التنبيه.

(دراسة وتحليل لرسالة الادريسي إلى قاضيه بجبل النضير)

بدأ الإدريسي رسالته لقاضيه بجبل النضير بقوله:

«من محمد بن علي بن إدريس إلى القاضي العلامة قدوة أهل الفضل والإستقامة نور الظلام السيد مطهر بن عبدالله حفظه الله».

وبعد البسملة والحمدلة والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، ثم يشيد بالرسائل الواصلة من ذلك القاضي، إذ يقول: (فقد وصلت كتبكم الكريمة وتعطرت الأرجاء من معانيها الرائقة الفخيمة، وآخرها وصل بمعية السيد عبدالله نجم الدين، وتحقق لنا ما أشار إليه سيف الإسلام ونور حدقة الكرام).

وهنا نراه قد استعمل المجاز والمبالغة في نعوت تلك الرسالة كما استعمل بعد ذلك السجع في الفقرة التي بعدها بقوله: (وتحقق لنا ما أشار إليه سيف الإسلام ونور حدقة الكرام). ثم أطلق نفسه على سجيتها وتحرر من السجع إلى الإنشاء المرسل العملي، وغدا يجيب السائل عما يطلب من الشرح والتوضيح عن العلاقات بينه وبين الأتراك الذين نعتهم بـ «الأعاجم» وهي صفة تطلق على غير العرب، وراح يوضح أن ما حملهم ـ والضمير راجع على الأتراك ـ على عداوته إلا ما قام به من إحياء معالم الدين وإلا لما رأوا في البلاد من إقامة الدين، الذين كان سعيهم من وراء الأستار لإطفائه! وأن ﴿ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[(١)].

، ثم مضى يشرح سلوكهم وسيرتهم بقوله: «فما زالوا هم وأعوانهم يكتبون فيما هو ضد سعينا إلى أن وصل ما يسمونه «القوة» إلى بندر جازان ـ يقصد وصول محمد توفيق الأرناؤطي شيخ الطريقة الإدريسية بالأستانة وسعيد باشا قومندان القوة السيارة، وأنه تقابل معهم وأخبرهم أنه يقول: «ربنا الله فماذا ينقمون منه على أن المنطقة كانت خالية منهم»، ولم يتعرض لهم في بحارهم وبَنادرهم التي في الشواطىء أو مراكزهم التي في عسير، وأن تلك الموانىء والمراكز ليست في حاجة في الزيادة لإستيراد قوات تركية، لأن الزيادة في نظره تؤذن بالإستعداد للقتال، وأنه ان لزم عساكرهم البحر وقنعوا بما قد قنعوا به تلك المدة الطويلة فنعم

(١) [سورة الصف آية ٨]

ذاك، وإن أبـوا إلا ازدياد العساكر وتحركاتهم في البلاد فالجهاد بينه وبينهم، فأَصغُوا لكلامه ثم توجهوا إلى جزيرة كمران للإتصال البرقي بالأستانة ثم عادوا إلى جازان يذيعون الأكاذيب كعادتهم بقصد إرهاب الناس.

فلمَ ير بُداً من إعلان الجهاد، وأن أهل المنطقة في شوق إلى لقائهم، وأن لديه أبطالَ الرجال والمعاقل الحصينة والجبال الشامخة المنيعة، وإنَّ ساقَ الغراب ـ وهو اسم يطلق في الجهة على السلسلة الجبلية من بلاد القاضي ـ أي رازح ـ إلى الطائف ثم أشار إلى حرارة تهامة وجوها القائظ التي لا تطيقها الأعاجم وأنه واثق بنصر الله وأن ثورته لم تقم بالنفس ولا بالهوى بل لإقامة الحق ليرحم الله بها العامة والخاصة وأن الأتراك لَمَّا لمسوا قوة موقفه وأن خطابه لهم لا عن ذل بل عن حسن السياسة فعادوا إليه للمرة الثانية وأخلاقهم بلطائف الكلام جارية، وقنعوا بما كانوا قنعوا به قبل وأنهم سيسحبون جنودهم من المنطقة ورضخوا لطلبه ببقاء إقامة دعوته وتخويله حق النظر في أمور الناس وطلبوا منه مد سلك التلغـراف على شاطىء البحـر الأحمـر (من اللحية) إلى مكة المشرفة وتأمين حمايته، وأنه يرى أن موافقته على ذلك تجعل له بعد إكمال مد سلك التلغراف وسيلة ضغط ومادة نفوذ ترغم الأتراك على مصانعته ومداراته وتجعلهم في حاجة دائما إلى مداهنته ومسالمته، وإلا قام بالإيعاز إلى القبائل بقطع أسلاك التلغراف وتكسير أعمدته، ويشير إلى القاضي أو يشعره بأن الأتراك لديهم من الفتن ما يشغلهم عن أمر هذه المنطقة ـ وهذا ما يدلنا على دراية الإدريسي التامة بسياسة العصـر وبأحوال تركيا على الأخص وما يكتنفها من مشاكل دولية واضطرابات الأمـور في تركيا نفسها، لصعوبة المواصلات البرية بين تركيا وجنوب الجزيرة وتحكم الانجليـز في قنـاة السويس مدخل البحر الأحمر، وفوق ذلك الأسطول الإيطالي وسيطرته على البحر الأحمر والذي قد تعهد للإدريسي بحماية موانيه، يُلَمِّح إلى إتفاقه مع الإمام يحيى ضد الأتراك وأن يكون وإياه عدوهم واحد وهم الأتراك، وأنه يخبر القاضي بأنه عازم على الصعود إلى جبل النضير الذي أصبح تحت طاعته لتفقد الأمور.

وعلى وجه العموم فالرسالة على شيء من إشراقة البيان، ومع علم الإدريسي وتمكنه من البلاغة فهو يجري في إنشائه وترسله على السجية غير المتكلفة إلا في بعض الجوانب اليسيرة، وبعد ذلك فينهج النهج العملي والمهيع السياسي ويحرص على التوضيح والإيضاح ونصاعة الأسلوب العربي الواضح.

ويتحـرى إرضـاء المخاطب والأخذ بخاطره والسير في الطريقة التي ترضيه ويحاول إشعاره بالتقدير ولو كان من التابعين لإدارته ويخلع عليه بعض النعوت وصفـات التشـريف والرفعـة مثـل قوله: (القـاضـي العـلامة قدوة أهل الفضل والإستقامة نور الظلام) وهذه عادة الإدريسي في مخاطبته لأتباعه وقضاته، ومثل قوله في مخاطبة قائده مصطفى النعمي بقوله: (بركة الأنام أو ضياء الإسلام)، أو قوله لقائده في الجنوب محمد طاهر رضوان: (الشيخ الهمام عز الإسلام)، أو في خطابه لعامله على بني حمد بقوله: (إكليل المفاخر العلوية)، فهو كما قال الشاعر:

إن ملكـت القـلوب فابـغ رضـاهـا
فلهـا عزمـة وفـيـهـا مضـاء

وهي سياسة رفيعة يقتدي فيها بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الذي لقب خالد بن الوليد (بسيف الله) ولقب أبا بكر بالصديق ونعت كثيرا من الصحابة بنعوت التكريم والرفعة.

ونلاحظ أن الإدريسي يحتفل في الرسائل للقاضي بشيء من الأسلوب البلاغي لأن القاضي نفسه على جانب من المعارف والبلاغة وأنه من أهل القسم الجبلي الذي هو حريص على استجلاب قلوبهم.



نص خطاب من الادريسي إلى قاضيه في جبل النضير

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن علي بن إدريس إلى القاضي العلامة قدوة أهل الفضل والإستقامة، نور الظلام السيد مطهر بن عبدالله حفظه الله وتولاه وبعين رعايته رعاه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد حمده تعالى والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله ومن والاه فقد وصلت إلينا كتبكم الكريمة وتعطرت الأرجاء من معانيها الرائقة الفخيمة، وآخرها وصل بمعية السيد عبدالله بن حسين نجم الدين(1) وتحقق لنا ما أشار إليه سيف الإسلام ونور حدقة الكرام، ومع ذلك طلب الشرح عما بيننا وبين أولئك الأعجام، وحامل ذلك أي هؤلاء الناس لما رأوا في بلادنا من إقامة الدين كان سعيهم من وراء الأستار لإطفائه، وإن ﴿ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (2).

فما زالوا هم وأعوانهم يكتبون فيما هو بضد سعينا، إلى أن وصل ما يسمونه القوة إلى بندر جيزان لإزالة نفوذنا كما يزعمون وفي أثناء وصولهم وصل إلينا محمد توفيق كما رأيتم وسعيد باشا قومندان القوة السيارة وصلوا أولًا وتقابلنا نحن وهم وأخبرناهم إنا نقول ربنا الله فماذا ينقمون منا وهم بحمد الله أرضنا خالية منهم ولا نتعرض لهم في بحارهم وبنادرهم التي في الشواطىء والمراكز التي في عسير لا تقبل الزيادة عليه لأن الزيادة تؤذن بإستعداد القتال فإن مسك البحر عنا عساكرهم وقنعوا بما قد قنعوا به هذه المدة الطويلة فنعما ذلك وان أبوا إلا أن تخرج العساكر وتتنقل في بلادنا فالجهاد بيننا وبينهم فاعجب أولئك الحاضرون وتوجهوا لمخابرة اسطنبول وفي كمران بالتلغراف ومكثوا أياماً وحضروا يذيعون أكاذيب ويزعمون أنهم سيخرجون لأن من عادتهم إرهاب الناس وإن وجدوا المسلك أهلكوا العباد فلم نَرَ بدّاً من إعلان الجهاد والناس بحمد الله في شوق إلى لقائهم ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ﴾(3).

---

(1) هذه الرسالة أهداها إليّ الأستاذ الجليل محسن بن أحمد أبو طالب القاسمي، وهي رسالة جوابية من الإدريسي إلى «قاضيه» في جبل «النضير».

(2) سورة الصف من الآية رقم ٨.

(3) سورة التوبة الآية رقم ٥٢.

ونحن بحمد الله لدينا أبطال الرجال الذي كل واحد منهم بقبيلته على انفرادهم قد طردهم من بلاده ولدينا المعاقل الحصينة والجبال الشامخة إذ ساق الغراب من بلدكم هذا (رازح) إلى (الطائف) والأغر على الأعاجم؟ مع أن تهامة تكويهم بالحرارة التي تناقض الأعاجم وسيقفون موقفاً عظيماً إن شاء الله تعالى، وبالله الإستعانة ولا شك بنصر الله تعالى وهذه دعوة لم تقم بالنفس ولا بالهوى ولا كانت فجـة طائشة وثبور بل لإقامة الحق ليرحم به العامة والخاصة من الخلق، فلله الحمد والمنة فلما رأى أولئك الأعجام الحماسة وأن خطابنا الأول لا عن ذل، بل من حسن السياسة فرجعوا إلينا مرة ثانية وأخلاقهم بلطائف الكلام جارية، وقنعوا بما كان قد قنعوا به فيما سبق وأن عساكرهم سترفع إلى الأستانة، وهي اسطنبول وفي الخطاب الآخر طلبوا منا مد السلك على شاطىء البحر من اللحية إلى مكة المشرفة أعزها الله فأجبناهم إلى ذلك وتأمينه من العرب لأنهم كانوا يقطعونه كلما مدوه وهذا لا ضرر به علينا بل به نفع لأنهم إذا مدوه لأجل المنفعة بقوا يداروننا إلى غاية لأنهم يخافون عند أدنا[1] تشويش تجعله القبائل قطعاً قطعاً فهو بمنزلة الرهينة لدينا فهذا حاصل ما اتفق وهو شيء أوجبه عليكم حكم الوقت وما أشغلهم عنا الله به من الفتن في بلادهم التي يسوقون بها العساكر من كل جانب ولو وجدوا الفرصة وثبوا وها هم يتلونون (كما تتلون الحرباء) وبحسب الباطن لا يمكن الإتفـاق أبـداً لتناقض الدعوتين وأما الإمام[2] حفظه الله، فالإتفاق بيننا وبينه حاصل بإتحاد الدعوة ويكون عدونا واحد ولا سيما في مقاتلة هؤلاء الأعجام وقد وجب أن يكون رأينا واحد إن سلماً أو حرباً ولا أضر عليهم من هذا وما قدرهم بإذن الله في نار عربية تتلظى عليهم من قرب «صنعا» إلى «مكة» والخطابات فيما بيننا وبين الإمام دائرة بهذا وسينعقد الإتفاق قريباً إن شاء الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَا ﴾[3] .

وبحمد الله نحب المدافعة عن الإمام كما نحب لأنفسنا لأن الإمام عربي أدخل عليهم الرعب من السطوة العربية وأقر بذلك عيون إخوانه في الدين ولا عبرة بأهل

---

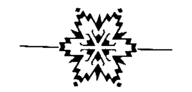
(١) هكذا في الأصل. والصواب (أدنى)

(٢) هذه الرسالة حررت قبل الخلاف ونشوب القتال بين الإدريسي والإمام يحيى.

(٣) سورة آل عمران الآية ١٠٣.

النفاق، فإنهم في غرة وشقاق ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾(١).

وقد هالنا الحرب القائمة بين «سحار» وبين ابن الإمام شرف الدين محمد بن الهادي أبقاه الله لا سيما في مثل هذا الوقت الذي يخشى فيه وثبات الأعداء وها هم يدبرون الحيل علمنا أم لم نعلم ولا شك أنهم يريدون هذه الحرب من ظفرهم الذي لم يوجفوا عليه بخيل ولا ركاب، ولا بذلوا المال للإمام السيد الحسن يحيى القاسمي إلا من أجل هذا الغرض ولولا الحيلولة بنا لبذل لهم الأعجام بطلبهم أم بغير طلبهم لكن بقينا في العين قذى وفي القلب شَجَى، ومع الحوادث المهولة استخرنا الله تعالى وعزمنا على الطلوع لننظر في الأحوال ولعل الله بذلك يجمع الشمل فإنه أكرم مسؤول وحرر شهر ربيع أول سنة ١٣٢٩ هـ/١٩١١ م.



(١) سورة البقرة الآية ١٣٧.

دراسة وتحليل لمنشور إدريسي

يشتمل المنشور على مبررات وأسباب ثورته على الأتراك ويتكون ذلك المنشور من مقاطع تتفاوت طولا وقصراً حسب ما يستدعيه الحال ويقتضيه المقام ولغة المنشـور من الإنشاء المرسل وباللغة الفصحى سهلة المفهوم واضحة الدلالة محدودة المعاني ذات براهين دينية قرآنية وأحاديثية ومنطقية لزيادة قوة التأثير وإثبـات الحجـة وتـرسيـخ الإقنـاع يبـرر بهـا موجبات ثورته ومسببات قيامه ومستدعيات نهضته ودوافع ثورته.

تنفي تشنيعـات خصـومـه وتخـرسـات أعـدائه وأقوالهم، شأن المنشورات السياسية ويتكون من مقاطع:

١ ـ المقطع الأول: ابتدأه بالبسملة والحمدلة والصلاة على النبي الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم الذي اصطفاه من خيرة العرب وأرسله للناس بشيراً ونذيراً وأنـزل عليـه الكتاب العزيز ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ . . . . ﴾[١].ثم أورد الآية الكريمة:

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾[٢].

ثم ابتدأ بفصل الخطاب وأورد الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾[٣].

ثم أورد حديث آيـة المنـافق ثلاث.. ثم مضى يوجه الخطاب إلى العالمين العـربي والإسلامي، يرد على إتهامات الحكومة التركية لشخصه وثورته، ويفند

(١) سورة آل عمران آية ١١٠.
(٢) سورة المائدة آية ٧٨.
(٣) سورة الحجرات آية ٦.

أقوالها ويندد بعمل عمالها وسير موظفيها، يشير ويلمح ويصرح لبعض رجال العرب الممالئين للأتراك قائلاً: «وقد علمنا أن بعضاً ممن نطلب لهم الهداية من الله ولا نزيد أنهم قد نقلوا عني ما الله يعلم أني براء منه»، وينسبون إليه ما لا يصدر إلا عن المفسدين وأنهم يروون عنه رواية زائفة يقصدون بها التمويه والتغرير للبسطاء، وأنه يقصد من منشوره توضيح الحقيقة للمسلمين عما يكيد له الأتراك ومـؤيـدوهم، وأنه مؤمن من أهل السنة والجماعة يعمل بالشريعة المطهرة يأمر بالمعـروف وينهي عن المنكـر ويجتهد في إزالة البدع، وأنه ليس ما يقوله عنه خصومه ويذيعونه من الأكاذيب وينشرونه أعداءه بما ينسبون إليه من الشعوذة وإدعاء علم الغيب، ولا يريد خلافة ولا ملكاً ولا يطلب جاهاً ولا مالاً إلا ما يكون بلاغاً إلى الدار الآخرة أو وسيلة لمصلحة المسلمين، وأن له أسوة بسلفه الكريم وتربيته الرفيعة.

ثم يشـرح للسائلين ويوضح للمستفسرين سبب ثورته التي أحدثت الضجة الصاخبة في الآفاق من الخروج على الدولة العثمانية في الوقت الذي تقاسي فيه من الضعف والإنهيار ما تقاسيه، ويمضي شارحاً الأسباب التي هي ما أوجدته الدولة من المـظالم والإستبـداد وإهمال البلاد، وما أحدثه رجال حزب الإتحاد والترقي الضباط الأغرار وموظفيهم الذين تسنموا مناصب الوزارات وأنيطت بهم مهام الأمور وجلائل الأعمال مع أنهم من المتجاهرين بالمعاصي التاركين فروض الإسـلام والمعـطلين لشريعة الله، ومن المحتقرين للأمة العربية ولغتها الكريمة المتسببين في إثارة الفتن والقلاقل للدولة لتفتح أمامهم أبواب المصالح والإبتزاز والإرتشـاء والمتواطئين مع المتعهدين والشركات للحصول على الأموال الحرام والمكاسب الآثمة.

ثم يشرح الظلم الذي عم البادية والحاضرة من الجزيرة العربية بله والبلاد العربية ويشير إلى بعض ما نشرت الجرائد المصرية وغيرها بإيعاز من الدولة التركية ويفند كل ذلك بقوله: «إنه عند عودته من طلب العلم بمصر في جامعة الأزهر مسقط رأسه ومثوى أسرته صبيا وجد الناس على أسوأ مما فارقهم من شدة النفرة من جانب الحكومة والإمتناع عن الأعشار (الزكوات) والمحاكمة إلى الطاغوت مع إضطراب حبل الأمن وانصراف الحكومة عن أمر الناس مما تسبب في توقف الأعمال التجارية والزراعية وأنه لا يمكن للشخص الخروج من محله إلا بنفر من عشيرته المسلحة فالفروض مهملة والمساجد خالية والشريعة معطلة والسلب والنهب واقـع في طول البـلاد وعرضها والأرواح تزهق والأموال تنهب

والقتال بين القبائل والعشائر قائم على قدم وساق.

كل ذلك على مسمع ومرأى من الحكومة ورجالها حتى بلغ الحال بالحكومة نفسها في جازان لا تستطيع حماية عَطَن الماء في مدينة جازان وأنه لتلك الأسباب مجتمعة ومتفرقة جعل الله للبلاد فرجا ومخرجاً فوفقه للتوسط بين القبائل للصلح فتمكن من إسقاط الدماء بتسليم الديات لأربابها من لديه أو استوهابها من أهلها واسترجاع المنهوبات وإرجاعها إلى أصحابها وإقامة المحاكم الشرعية وإقامة الحدود ونصب ميزان العدل فاستأمن الناس بحقن الدماء وباشر الناس أعمالهم التجارية والزراعية وعمرتّ المساجد بأداء الشعائر ونفذت أحكام الله على القوي والضعيف فأقبلت عليه القبائل وانتظمت في سلك الطاعة وحقنت الدماء، فلم يَرُق لرجال الدولة ومأموريها وشركائهم فأخذوا يكيدون المكائد ويختلقون الذرائع الكاذبة ويخترعون الأباطيل ويثيرون المشاكل، ويؤرثون الفتن ويرفعون الرَّفْعِيات المغرضة للدولة ويجسمون لها خطر خطواته الإصلاحية مما جعل الدولة أن تجهز عليه الجيوش وتسوق عليه القوات فلما شاهد الناس ذلك بعد ما نعموا به من الأمن والأمان دخلهم الريب وخامرهم الشك في نوايا الحكومة ورجالها بأنها لا تريد لهم الخير.

إن القبائل لا تقنع بضد ما يشاهده العيان ويثبته الواقع، وظنوا أن تلك الجيوش الجرارة أرسلت لمقاتلتهم وصدهم عن دينهم والعبث بأمنهم فتأهبوا للدفاع عن أنفسهم والذود عن أعراضهم وراحتهم وأمنهم وأن قائد تلك الجيوش سعيد باشا بعد أن ظهرت له حقيقة ما يقوم به من إصلاح وإقامة معالم الدين وإحياء شريعة الإسلام، اتفق معه أن يستمر في الإصلاح ويقوم بالدعوة والإرشاد إلى الله وعلى ذلك الإتفاق استمر على نهجه الإصلاحي تحت طاعة الدولة، ونعم الناس واستقرت الأمور ولم يروق ذلك لموظفي الدولة فأخذوا في نبذ ذلك الصلح بحجة أن الباب العالي لم يوافق على ما أبرقه سعيد باشا وأن المدنية والدستور لا يوافق على إقامة الحدود وتطبيق الشريعة الإسلامية التي تحول دون إرتكاب الجرائم فنتج من أقوالهم وما يذيعونه من عدم موافقته على الصلح تفشَي الفساد وإضطراب حبل الأمن وارتكاب الجرائم حتى في رحاب بيت الله الحرام الذي جعله الله حرماً آمناً.

ومضى شارحاً الأحوال لا في المنطقة خاصة بل في البلاد العربية عامة والإمبراطورية العثمانية على وجه العموم وما يسود أرجاءها ويغشى آفاقها من

المظالم والمفاسد، وإنما تحاول الدولة من إقناع الناس به من تطبيق الأنظمة المدنية وعدم العمل بالشريعة الإسلامية وتعطيل الحدود والمناداة بالحرية زاد غضبهم عليها ونفورهم منها فجندت الدولة الجنود وجيشت الجيوش وساقت عليهم الجحافل وأباحت لهم التمثيل والتنكيل وإحراق البلدان وتشريد السكان.

ثم انهم أعادوا الكرة وقرروا عليه حملتين في آن واحد إحداهما من الشمال مجهـزة بأحدث التجهيزات والمعدات الحربية وبثوا الدعايات المغرضة ونشروا المنشورات ليسمموا الأفكار ويبرروا اعتداءاتهم.

أما الحملتين فكانت الأولى تحت قيادة شريف مكة الحسين بن علي ونجليه فيصل وعبدالله، وتقدمت من مكة إلى القنفذة في طريقها لقتاله.

والحملة الثـانية من الجنوب من الجيش العامل المدرب بقيادة أحد قوادهم وأخذوا في التطبيل والتزمير بأن هاتين الحملتين سوف تقضي عليه قضاء مبرما وتسحقه السحق الماحق.

فاعتمـد على الله وفـوض الأمـر إليه وأمر القبائل بالتهيؤ أو كما يقول هو: (وتهيأت القبائل واستعدت للدفاع المشروع عن النفس والعرض والمال).

حتى إذا وقعت الواقعة ودارت رحى المعركة مع كل من الجيشين فظهر أنها شنشنـة وجلبـة صاخبة وجعجعة بلا طحن ورعود بلا مطر، وبروق خُلَّبَ، وأن الجيش الذي بقيادة أمير مكة قد ناله الخزيان وحاق به الفشل ووقع الكثير من ذخائره ومؤنه بأيدي العرب وعاد مخذولا إلى الحجاز.

وأما جيش الجنوب فقد انتهى أمره وقطع دابره بموقعة الحفائر تلك المعركة التي قال عنها الإدريسي في منشوره - ووصفه أبلغ وصف.

وقفت العرب - يقصد القبائل - موقف المدافعين على مورد الحفائر على بعد ثلاث أرباع ساعة من جازان وقد تمركز جيش الحكومة المنظمة بجازان وتمكنوا من قلاعهم وطوابيهم، وثبتوا مدافعهم القائمة على الجبال والآكام المجاورة للبحر وأمدتهم مراكبهم الحربية بالمساعدة وأخذوا يزعجون العرب بإطلاق المدافع من البر والبحر حتى كان يوم الاثنين منتصف جمادى الثانية ١٣٢٩ هـ خرجت قوات الجيش النظامي هاجمة ومعها مدافع سريعة الطلقات تحت حماية المدافع التي فوق الأكمات والتي في المراكب البحرية وفي القلاع.

وعملوا من حيلهم العسكـرية ما شاء الله أن يعملوا ودارت الحرب على ذلك الجيش العرمرم حتى هلك كله إلا النزر اليسير الذي نجاه الفرار ولم تَعْدُه الجراح

وقد وقع في يد العرب من البنادق والذخائر والمهمات والمدافع سريعة الطلقات ما جعل لهم قوة فوق قوتهم ويقدره قدره من يعرف الحالة ثم عادت البقية الباقية من ذلك الجيش إلى جازان فسلط الله عليهم ومن جاء من المدد إليها ريحاً وجنوداً جوية وأمراضاً وبائية ذهبت بالباقي والمدد إلا نزراً يسيراً فاضطروا أخيراً إلى الجلاء عن جازان فاستراح وأراح الله منهم والله من ورائهم محيط).

ثم يشير الإدريسي إلى أنه لما أعلنت إيطاليا الحرب على الأتراك بعد غزوها ليبيا وصله خطاب من متصرف عسير يدعو إلى الإتفاق والتعاون فاستجاب لداعيه رغبة في التعاون وتناسياً للماضي القريب، وبعث مندوبه إلى متصرف عسير لإبرام الإتفاقية المطلوبة.

فما كان من ذلك المتصرف إلا أن أرسل إلى مندوبه خطاباً (طويل الذيول مملوءاً بالعظمة والكبرياء) وورد للإدريسي منه في الخطاب (قد أخذت كتاباً من حسين أفندي ويذكر فيه أنكم سألتموه عن بيان الشروط مع الحكومة وكيفيتها فعجبت من هذا الطلب هذه الحالة تثير الشبهة الممكنة أن الحادث الذي هو واقع الآن مع الكفار مناسب لأفكارهم، فلا حاجة للشروط وهل تسير شروط بين الحكومة والرعية؟ فما وظائف الرعية إلا الطاعة للحكومة وأوامرها.

(فقد عزمنا متوكلين على الله أن نرسل حملة عسكرية لتربية العاصين المخالفين بشدة، والعفو عن المطيعين وإعطائهم الأمان ولم يكن طلبنا اتحاد عسير عن عجز منا والإستعانة بكم، وأن القوة التي تزيد عن الخمسين طابور[1] محتشدة في الزيدية والزهرة واللحية والتي مقدارها سبعة عشر طابوراً هي كافية لكل عدو في اليمن وعسير في الداخل وفي الخارج وأنتم تعلمون بذلك وأيضاً تقدرون عاقبة البغي والفساد).

وعلق الإدريسي على ذلك بما يلي: (وصلنا هذا المكتوب ووصلتنا مكاتيب أخرى أرسلت من بعض عمال الحكومة إلى العرب والقبائل وفي أكثر من ذلك، فما أظن من قارىء يخفى عليه شدة أسفنا على أن رجال الدولة الآن على هذا النمط وأنهم هم الذين يخلقون الفتن ويثيرونها كلما قربت من الانتهاء).

وبعد هذا التحليل الموجز نورد نص المنشور كدلالة على لغة النثر الفني والسياسي في تلك الفترة الإدريسية في المنشورات كما سبق أن أوردنا نمطاً من الترسل الإنشائي، كما سيلي هذا المنشور رسالة من الإدريسي خاصة.

---

(١) هكذا في الأصل، والصواب: طابوراً

منشور إدريسي[1].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴾[2]

والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبدالله الصادق الأمين الذي اصطفاه الله من خيرة العرب فأرسله إلى الناس كافة:

﴿ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[3].

وأنزل عليه في كتابه العزيز.

كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[4].

وأبان له من أحوال الأمم السابقة ما فيه مزدجر لقوم يعقلون فقال:

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾[5].

وحدد له الحدود وبيَّن له الأحكام وقال: ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾[6]

---

(١) تلقيت الأصل هدية من الصديق الكريم الأستاذ محسن بن أحمد أبي طالب القاسمي الحسني وهو منشور سبقه عدد من منشورات كما يفهم من السياق ونرجح أن هذا المنشور نشر تبريراً لقيامه.

(٢) سورة الكهف آية ١.

(٣) (سورة الأحزاب آية ٤٥).

(٤) سورة آل عمران آية ١١٠

(٥) سورة المائدة آية ٧٨.

(٦) سورة الطلاق آية ١.

وقال: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ - فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[1]

أما بعد فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾[2]

وقال صلى الله عليه وسلم «**آية المنافق ثلاث إذا حدَّث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان**» وقد علمت أن بعضاً ممن نطلب لهم الهداية من الله ولا أزيد قد نقلوا عني ما الله يعلم أنني منه براء ونسبوا لي ما لا يصدر إلا عن المفسدين وشوهوا كثيراً من الروايات التي يروونها عني بإلباسها لباس التغرير والتمويه وكذبوا على أولئك العرب المخلصين الذي قد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمرهم ما يفتخرون به فقد روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**إني لأشتُّم ريحَ الإيمان في جهة اليمن**» أو كما قال وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**العلم يمان والحكمة يمانية**» وفي رواية «**الإيمان يمان والحكمة يمانية**» وإذا كان ذلك كذلك حقاً عليّ أن أذكر مجملاً الحقيقة لتطمئن به نفوس إخواني المسلمين في غير جزيرة العرب والله على ما أقول وكيل نحن بحمد الله مؤمنون من أهل السنة والجماعة نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ونعمل على ما يوافق الشريعة المطهرة مبلغ علمنا وطاقتنا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ونجتهد في إزالة البدع الضارة بالدين وأهل الدين غير مراثين ولا مداجين ولا ماكرين ولا مخادعين لاندعي شيئاً من الدعاوي العريضة التي يموه بها ذو الأوهام على عقول العوام فلا ننتحل المهدية كما يزعمون ولا نشعوذ كما يفترون، ولا نزعم كشفاً ولا شيئاً من علم الغيب كما يشيعون

﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾[3].

بل لا نتصور شيئاً يحاوله ذو البطالة العاجزون ولا نريد خلافة ولا ملكاً كما يتوهمون ولا نطلب جاهاً ولا مالاً ولا شيئاً من الأغراض الدنيوية الفانية التي يتهالك عليها الطامعون، اللهم إلا ما يكون بلاغاً إلى الدار الآخرة ووسيلة لمصلحة

---

(١) سورة المائدة آية ٤٥، ٤٦، ٤٧.

(٢) سورة الحجرات آية ٦.

(٣) سورة البقرة آية ٣٢.

الإسلام والمسلمين من طريق شرعي نتحرى فيه ما استطعنا وسواء علينا في طلب الخير ظهرت النتيجة على يدينا أو على أيدي واحد من العاملين المسلمين فإنا ـ عَلِمَ الله ـ نطلب الخير للخير ونتباعد ما استطعنا عن الشر وكل ما نهتم به هو الصلاح والإصلاح

﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[1].

ولقد كان لي من سلفي الطاهر أسوة حسنة وفي طريق تربيتي وما يعرف العارفون بي من الأخلاق التي أنا عليها وسيري وسريرتي ومنذ نشأتي أكبر برهان على ما ذكرته بحمد الله سيقول القراء إذاً فما تلك الضجة التي شغلت كثيراً من الآفاق وما هو السبب في هذا الذي يزعمون من البغي والخروج والتشويش على الدولة في الوقت الذي أصبحت فيه على شفا جرف هار من الإنهيار بسبب إختلاف أحزابها وتغير أطوارها وعدم تماسك رجالاتها وإلقاء زمامها بيد أغرارها وتغلب أشرارها على أخيارها مع ما انتابها من إعتداء المعتدين وما تخشاه من أيدي الطامعين فقد خلق هذا للدولة موظفوها وبعض ضباطها المارقون أولئك الذين ملأت الدولة الآن بهم جوف المناصب وتركتهم على غلوائهم وصلفهم وكبريائهم يعيثون في الأرض بلا خشية ولا حياء فنراهم يستبيحون الحرام وينتهكون الأعراض ويتجاهرون بالمعاصي والخروج عن الحدود التي حد الله ورسوله غير مبالين ولا متأدبين فلا الصلاة يؤدون ولا الشهر يصومون ولا هم في حكمهم يعدلون ولا لأصاغرهم بله أنفسهم عن الإيغال في أرزاق الرعية يزجرون، وناهيك بالرشوة وعكوفهم عليها مع عبثهم في أموال الرعية واحتقارهم للأمة العربية واللغة العربية وإهمال جميع المصالح العامة وإهانة رجال الدين إلى غير ذلك مما لا يصدر إلا عن القوم الظالمين الغادرين، كل هذا مع رغبة أولئك العجم الذين لا خلاق لهم في إيجاد القلاقل وإثارة الفتن ليتمكنوا من حمل الدولة فوق ما تتحمله من الأثقال التي تنوء بها الدولة ذات القوة على جمع الجنود وتجييش الجيوش حتى تكون لهم مندوحة للإشتراك مع المتعهدين سراً في تلك التعهدات الكبيرة التي تكال فيها أموال الدولة جزافاً فيملؤون من هذه النار بطونهم وبطون شركائهم ولا يهمهم بعد ذلك عمرت الدولة أم خربت صلحت أحوال الناس أو فسدت، ليت شعري إذا كان هذا عمل الحاكمين في جزيرة العرب منبع النبوة

---

(١) سورة هود آية ٨٨.

ومهبط الوحي بين ظهراني عرب البادية السذج الخلص وعلى مرأى ومسمع منهم بل قد ينال أهل البادية أنفسهم ما تئن منه أهل الحاضرة أترى أنه مع هذا يمكن للعربي أن يصدق أن حكامه مسلمون مهما حاولت إقناعه ومهما أطلت في إيراد الحجج عليه بالطرق المختلفة في حين أن بلاغة العمل فوق كل بلاغة، وبيانه فوق كل بيان كلا لا جرم أنه قد أصبح من البدء يسيطر على أعمال الدولة الأحداث الأغرار الذين يثيرون عليها الفتن ويقيمون عليها القلاقل وسواء علينا كان ذلك بعلم المراجع العليا كما يعبرون بحيث يكون سكوتهم عن ذلك لأي مقصد من المقاصد أو بغير علم منهم ولقد نمى إلينا في المدة الأخيرة أن أمثال هؤلاء الشبان قد أصبحوا يبيعون البلدان ولا سيما العربية بأبخس الأثمان وبعد فقد عرف القراء مما نشر قبل الآن في بعض الجرائد المصرية أننا لما عدنا من طلب العلم بالديار المصرية وغيرها إلى بلاد اليمن حيث المهد الأول لنا وجدنا الناس على أسوأ مما تركناهم عليه من شدة النفرة بينهم وبين رجال الحكومة كما وصفناها آنفاً وجدناهم كذلك على ما هم عليه في الامتناع عن دفع الأعشار، والمحاكمة إلى الطواغيت واختلال الأمن في جميع الأنحاء بسبب المطالبات بالثأر وترك الحكومة حبل الناس على غاربهم ذلك الأمر الذي أوقف جميع الأعمال والحركات سواء التجارية أو الزراعية وغيرها إلى حد كان الرجل معه لا يمكنه أن يخرج من محله قيد شبر إلا إذا كان معه من عشيرته من يجيرونه ومن الأسلحة ما يدفع به الغائلة وما أكثرها ولو رأيت إذ ذاك لرأيت ما يفتت الأكباد ويمنع الرقاد ويطيل السهاد، نعم لو رأيت لرأيت المساجد معطلة والشرعية مهملة والأرض قاحلة والمصائب متواصلة فلا يمكن لرجل أن يخرج إلى بلده إلا حاملاً لسلاحه مصاحباً رفقته لتتولى حراسته بل لو رأيت لرأيت من السلب والنهب وقتل الأرواح البريئة ما تزعج منه النفوس الثابتة وتلين له القلوب القاسية، بل رأيت من الحروب الأهلية الدائمة بين القبائل والعشائر والأفخاذ ما يذهب بالأموال ويؤيم النساء وييتم الأطفال ويقطع النسل ويقلل الذرية كل ذلك تراه إذ ذاك حاصلاً على مرأى وسمع من الحكومة ورجالها دون أن تحرك ساكناً أو تعمل عملاً لإيقاف سبيل هذا البلاء الجارف وقد لا تجد لأحد من الحكام والموظفين اهتماماً بأمر من هذه الأمور إلا ما يكون من ورائه ربح له على انفراده أو بالإشتراك مع بعض أعوانه ولقد وصلت الحال بالحكومة نفسها إلى أنها لا يمكنها أن تستقي من مواقع الماء حتى تعد العدة وتجيش الجيوش وتحتمي بالجار فكيف هذا العار لا ريب مع هذا أن اشتد الضيق بالكافة وصار العقلاء يبحثون عن مخرج من هذه الحالة:

﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾(١).

لما اشتدت الأزمة وأراد الله أن يفرجها جعل لنا من ذلك مخرجاً إذ وفّقني للدخول بين قبيلتين عظيمتين للصلح والصلح خَيْر فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه وما كان ليتم ذلك. ولولا إرادة الله وقوته الآلهية على إسقاط الدماء السابقة واحتلال التحاكم إلى الشريعة المطهّرة محل التحاكم إلى الطواغيت وإقامة الحدود الشرعية على حسب ما أنزل الله في كتابه وما بينته سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وما أرشد إليه هدى السلف الصالح والأئمة المجتهدون رضوان الله عليهم أجمعين بذلك استتب الأمن في أرض هاتين القبيلتين وسارت التجارة وصلحت الزراعة وأمن الناس على الأنفس والأموال وهدوء البال وحفظت الذراري والأطفال وأقيمت الصلاة بين الأفراد والجماعات وحوفظ على حدود الله تعالى ومن يتعدَّ حدود الله فقد ظلم نفسه هناك اشرأبت أعناق القبايل الأخرى للإنتظام في هذا السلك ومالت نفوسهم إلى الراحة النفسية وترك المعنى الحاصل بسبب التنافر والتخاصم والتخاذل ومن المعلوم أن أنفة العرب وشهامتهم تمنعان كل قبيلة من البدء بطلب الصلح فتتابعت إليَّ رسلهم سراً فوفق الله هذا الضعيف إلى الدخول بين عدة قبائل فتم الصلح بينهم ببركة الإخلاص ففازوا بمثل ما فاز به إخوانهم السابقون فكان ذلك قذى في أعين بعض المأمورين ولو أخلصوا لحكومتهم وأمتهم لكان ذلك من أكبر أمانيهم لعموم الأمن وسهولة أدائهم لمأموريتهم. نعم كان ذلك قذى في أعين البعض وفرصة للبعض الآخر إذ جعلوا هذا الأمر متكأ يتكئون عليه لحمل الدولة على إنفاق النفقات الباهظة فيما لا طائل تحته وبذلك يكون لهم ولشركائهم من المتعهدين ما يشاءون من الأرباح لهذا أخذ الذين في قلوبهم مرض يشيعون الإشاعات ويخلقون التُّرهات ويذيعون الأباطل والمفتريات ويلهبون نيران الثورة من الجانبين فاجتهدت في إطفاء تلك الجذوة في أول اشتعالها بالحكمة والموعظة الحسنة مع حسن المعاملة وكثرة المجاملة وطلب التفاهم حتى يزول ما علق بالنفوس من سيئة فلم أفلح إذ غلبت غواية الغاوين على رشد الراشدين، ووجدت عبارات الظالمين أذناً صاغية عند ذوي الحل والعقد من رجال الدولة البعيدين عن مشاهدة الحالة والإملاء عليها بالقسط فصدرت الأوامر بتجهيز الجيوش وإرسالها لمقاتلة هذا الضعيف الذي لا حول له ولا قوة

(١) الآية ٥٧ من سورة التوبة

إلا بالله العلي العظيم وذلك بسبب ما ظهر على يديه من الإصلاح الذي لم يرق في أعين الحكام مع ظهور فائدته فلما رأى العرب ذلك داخلهم في حكامهم الريب وأخذت نفوسهم تفكر حتى ثبت لديهم ـ وبعيد أن تقنع البدوي بضد ما يظهره له العيان ـ أن هؤلاء العمال إنما هم على غير الملة الإسلامية وظنوا وبعض الظن إثم أن هذه الجيوش إنما أرسلت لمقاتلتهم حتى يردوهم عن دينهم إن استطاعوا فتأهبوا للدفاع عن أنفسهم وعن دينهم وعن راحتهم وأمنهم ودبت فيهم الحمية العربية والغيرة الإسلامية فأخذت ألطف من حدتهم لأعيدهم إلى الحكمة والسكون حتى أقنعتهم بأن يقفوا موقف المدافعين عن أنفسهم وأموالهم وأعراضهم مع القيام بواجب الدين فوقفوا هذا الموقف حتى حضر سعيد باشا إلى اليمن بجيشه الجرار والرجل على ما يظهر من العقلاء المتبصرين عندئذ لم يرد سعادته أن يقتحم ذلك الصعب حتى يراود الأمر بنفسه فعمد وعمدت إلى التلاقي فلما خبرنا وعرف الحق وظهر له كذب تلك الإشاعات ظهور الشمس لذي عينين اتفق معنا على أن نبقى على ما نحن عليه وأن الحكومة تقبل أن تكون الأحكام في هذه القطعة العربية على حسب الشريعة الإسلامية فلما تم هذا الإتفاق بيننا أجهدت نفسي في مساعدة الدولة حسبة لله تعالى وساعدتها على مد (التلغراف) ولم تكن قد تمكنت في عهد وجودها باليمن من ذلك على ما كان فيها من كثرة النفقات التي كانت تذهب أدراج الرياح وقد أعنتها بعشرة آلاف عود من القوائم اللازمة لذلك وكانت قبل ذلك تدفع في العود الواحد ليرة ثم لا تكاد تضع ما تبتاعه من الأعواد حتى تتخطفه أيدي البدو الذي لا تصل إليهم أيدي الحكومة كل ذلك عملته وأقنعت العرب بدفع ما تيسر من الأعشار باسم الزكاة ولم يكونوا يدفعون للحكومة شيئاً وعملت غير ذلك من المساعدات التي لا أرى سعة في الوقت لشرحها كنت أظن أني بهذا العمل قد خدمت الحكومة أجل خدمة وأن رجالها سيحفظون لي ذلك ويعرفون لي إخلاصي لدولتي وملتي وديني وقومي فيصادقون على هذا الإتفاق ويدعون هذه البقعة التي لم تختلط بالأجنبي تقام فيها حدود الله ويتركونني آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر مرتاح الضمير من غير تشويش ولا تكدير ولكن ساء مثل القوم فأظهروا من الحوادث ما أظهر أن ذلك الإتفاق لم يكن إلا خدعة يراد بها تخدير أعصاب العرب إلى أن يدخل أولئك الماكرون في أحشاء الأمة فيقطعون أوصالها ويبطلون أعمالها وما الله بغافل عما يعمل الظالمون.

لم يرع العرب بعد ذلك إلا ما فاجأهم الموظفون من أن المراجع العالية ـ كما يعبرون ـ لم تصدق على الصلح بهذه الطريقة ثم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في الدين وأظهروا الرضا بعدم إقامة الحدود وأخذوا يشنعون على إقامة الحدود وترك الحق لولي الدم وقالوا: إن المدنية تأبى ذلك ثم أظهروا لنا منشورات نشرتها الدولة حرروا فيها بأنهم تفضلوا على المسلمين في هذه البلاد أو منحوهم من عند أنفسهم منحة العمل بالشريعة في المدنيات دون الجنائيات وشنعوا بمن يتشدد في طلب ذلك في الجنائيات إلى غير ذلك مما يخالف مقاصدهم وتأباه أغراضهم ودستورهم الحديث علمنا بذلك فقلنا لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ويا لهذا الخذلان متى كانت الشريعة تقام دون أن تقام حدودها وما الذي يمنع ذلك، فبلاد العرب خلو من كل الأجانب عن الدين فإذا فرضنا أن الدولة تجد صعوبة في تنفيذ الشريعة كما هي في غير بلاد العرب فما هي الصعوبة في تنفيذها هنا مع رضا الأهالي بذلك وسرورهم به وظهور نتائجه لهم وتشددهم في طلبه ثم ما هي تلك المدنيات التي منحونا الحكم منها على مقتضى الشريعة ولا ثروة عندنا ولا تجارة ولا تزاحم في البلاد ليقتضي منازعات مدنية لا يحصل التراضي بحكم المحكمين أتراهم توهموا أنهم عملوا إصلاحاً في البلاد فأوجدوا فيها تجارة لن تبور وصناعات رائجة وزراعات مثمرات إلى غير ذلك فظنوا أن المنازعات المدنية شيء كبير يعد من المحنة لهؤلاء المتمسكين بدينهم أن يتفضل عليهم بأن يكون الحكم فيها على حسب الشريعة الإسلامية أعوذ بالله من محاربة الله والعمل على سخط الله لقد كنت أسمع قبل الآن أن تلك المفاسد التي رأيتها ورآها كل من وطئت قدمه الحرمين الشريفين تلك المفاسد التي تقشعر منها أبدان الشريعة المطهرة وتنهار بها أبنيتها وذلك الخوف الذي يلازم حجاج بيت الله الحرام الذي جعله الله حرماً آمنا مع فشو السلبة وقطاع الطريق وقتلة الأنفس الطاهرة البريئة كل ذلك كنت أسمع أن بعض رجال الدولة القائمين بالأمر يقصدون إلى وجوده ويساعدون عليه لمآرب يريدونها وحاجات في أنفسهم يقضونها وأنه لولا هذه المآرب وتلك الحاجات لعملت الدولة وما هي بالضعيفة العاجزة عن إيجاد الأمن في هذه القطعة الطاهرة على محوه تأميناً للمسلمين الذين تدفعهم الحمية الإسلامية والقصد لتأدية الواجب الشرعي أن يتركوا آباءهم وإخوانهم وأزواجهم وعشيرتهم وأوطانهم وكافة مصالحهم الدنيوية

﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا

﴿...ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾[1]

كنت أسمع فلا آلو جهداً في الدفاع عن الدولة ورجالها. أما الآن وقد رأيت ورأى العرب وقوف أولئك العمال في سبيل إقامة الحدود الشرعية وتجهيز الجيوش لمحاربتنا على ذلك مع صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وحبس الذاهبين من اليمن لأداء الفريضة فقد كان يداخلني الريب ولا أخطىء إذا قلت أن ذوي الرأي من العرب أصبحوا بحيث لا يمكن إقناعهم بغير ذلك ومع ما أنا عليه من الإرشاد إلى السلم والعمل عليه ودعوة العرب إليه وإلى أن يقفوا في موقف المدافع ولم تلبث الحكومة أن أشاعت أنها جيَّشت لرجال اليمن جيوشاً لا قبل لهم بها وأنها أغدقت عليهم من وفير المؤن والذخائر ما يكفي لاستئصالنا وأباحت لهم تحريق المنازل كما هي عادتها في العرب المسلمين من رعاياها دون غيرهم، كما أباحت لهم التمثيل والتنكيل والضرب على أيدي رعيتها بما لا قبل لهم به ذلك الأمر الذي حظرته على نفسها قبل أعدائها الخُلَّص ونشرت المنشورات في شأنه حاضة على حسن المعاملة وإظهار المجاملة في بدء حربها معهم، لما سمعنا بذلك تأهبنا مكرهين للدفاع عن أنفسنا وانتظرنا قضاء الله وإذا بهم قد صرفهم صارف من الحوادث الأخرى ففضلوا العودة إلى تلك الخديعة الأولى خديعة الكلام في الصلح ريثما تزول الموانع وتتوفر لديهم الأسباب لإتمام مقاصدهم عندئذ أرسلوا لنا رسولهم الشيخ توفيق ليخاطبنا في ذلك فعرضنا إليه المقابلة مع سعيد باشا فأخبرونا بأنه مفوض إليه في الأمر وأن فيه الكفاية فقلنا: مرحباً بحقن الدماء على أساسنا الأول ألا وهو أن تكون الأحكام في ديارنا على حسب الشريعة الإسلامية لا فرق بين مدنيها وجنائيها وغير ذلك وأن يعرف لنا بصفة رسمية ذلك الحق الطبيعي الإسلامي ألا وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لا يكون لأحد من المأمورين الفضوليين ذوي الغايات سبيل علينا إذا نحن قمنا بما علينا من واجب أودعت الحال لأن نقوم بالتوفيق بين القبائل ذلك مع بقاء الحال على ما هي عليه للدولة فتركنا وانتظرنا إجابة الدولة فأهملونا ساخرين منَّا سخر الله منهم وجهزوا لنا الجيوش ثانياً وأعدوا لنا حملتين عظيمتين ذاتي بأس شديد كما أشاعوا والله أشد بأساً وأشد تنكيلا حملتان هما في آن واحد إحداها من الشمال وهي مؤلفة من عدد عظيم من الجيش العامل بعدده المستوفاة والآلة النارية ومدافعه السريعة وغيرها والبعيدة المرمى وعدد كبير جداً

---

(١) سورة الحج آية (٢٧).

كما أذاعوا بتشهير في الجرائد السيارة من أتباع الشريف حسين بن علي تحت قيادته وقيادة صاحبي السعادة ولديه المحروسين وقد لا يخفى على أحد ما نشر في ذلك الحين من أن هذا الجيش المشترك قد زودته الدولة بالمؤن والذخائر الكافية لتدمير جميع البلاد العربية وثانيها من الجنوب في جيزان وهذه الحملة القوية كلها من الجيش العامل ذي الحول والطول وأذاعوا أن هاتين الحملتين ستقضيان على جميع العباد والبلاد التي في طريقها فاعتمدنا على الله الذي لا حول لنا ولا قوة إلا به وفوضنا أمرنا إليه سبحانه وقلنا

﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(١).

ولقد ساعدتنا والحق يقال معونة الله وله الشكر بشهامة العرب وعدم وصول شيء من هذه الأخبار الكبيرة والتهويلات الكثيرة التي لا يعرف أمثالها أعراب البادية ما المقصد منها لما أعيتنا الحيل ولم نتمكن من الوصول إلى حل سلمي تحفظ معه حدود الله وشريعته اضطررنا إلى الدفاع عن أنفسنا ووقفت العرب موقف المدافع حتى إذا وقعت الواقعة مع كل من الجيش جيش الشمال وجيش الجنوب ظهر أن تلك الوعود والبرق جعجعة بلا طحن وأن تلك الإشاعات ليست إلا كفارغ البندق إذ زلزل ذلك الجيشان عند النزال زلزالا شديداً ونصرنا الله عليهم وأعد لهم عذاباً عظيماً ذلك أن جيش الشمال المشترك قد ناله من الخذلان ما أوقع كثيراً من أدواته ومؤنه وذخائره ومهماته في أيدي العرب فاضطر جناب الشريف هداه الله إلى أن يتبع خطة أخرى هي خطة توسيط الرحم وبعض المؤثرات التي لا تخفى تارة أخرى حتى تمكن من أن يسير إلى جهة أبها من طريق وعرة غير مسلوكة تبتعد عن الطريق المعتادة الموصلة بينها وبين القنفذة تلك الطريق التي مرابطة عرب اليمن فيها وقد فضله على طوله ووعورته لكي لا يعود مخذولا إلا بعد أن يدخل أبها كأنما مأموريته إنما كانت دخول أبها فكان ذلك من غير أن يلتقي بالعرب اليمنية مرة أخرى ولم يلبث أن خرج منها مع البازي عليه سواد وسار في طريقه الثالث الذي هو أشد منه وعورة مما جاء خائفا منه يترقب وقد فضل هذا الطريق الثالث الشديد الوعورة الطويل المسافات المشتمل على أصعب العقبات القليل المياه طريق بيشة ذلك الطريق الذي يسير إلى شرقي الطائف جهة نجد لأنه طريق القرادين المخذولين المشردين. وقد بلغني

---

(١) سورة البقرة آية ٢٤٩.

أنهم زوروا الحقائق وأخذوا يزعمون أن دخولهم أبها كان بما لهم من الغلبة ولكننا نحن العرب العارفين لا يهمنا كلام المتكلمين إذا ما خلوا بأرض بعيدة فنحن رجال الأعمال لا اعتماد لنا إلا على الله وهو حسبنا ونعم الوكيل أما جيش الجنوب فقد انتهى أمره بواقعة الحفائر تلك الواقعة التي وقف فيها العرب موقف المدافعين على مياه الحفائر على بعد ثلاثة أرباع الساعة من جيزان وقد تمركز جيش الحكومة المنظم بجيزان وجبالها وتمكنوا في قلاعهم وطوابيهم وثبتوا مدافعهم الضخمة على الجبال والأكام المجاورة للبحر وأمدتهم مراكبهم الحربية بالمساعدة وأخذوا يزعجون العرب بإطلاق المدافع من البر والبحر والعرب صابرون مستسلمون لقضاء الله وقدره حتى إذا كان يوم الاثنين منتصف جمادى الثانية سنة ١٣٢٩ هـ/ ١٩١١ م خرجت قوة الجيش المنظم هاجمة ومعها المدافع سريعة الطلقات تحت حماية المدافع التي فوق الأكمات والتي في المراكب البحرية والتي في القلاع وعملوا من حيلهم العسكرية ما شاء الله أن يعملوا كل ذلك ولا حول للعرب ولا قوة إلا بالله العلي العظيم الذي ألقى عليهم الصبر فثبتوا وذكروا الله كثيراً فصدقهم الله وعده للصابرين

﴿ وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾ [1]

نعم صبر العرب ودافعوا عن إقامة حدود الدين فدارت رحى الحرب على ذلك الجيش العرمرم حتى هلك كله إلا النزر اليسير الذين نجاه الفرار ولم تعده الجراح وقد وقع في أيدي العرب من البنادق والذخائر والمهمات والمدافع السريعة الطلقات والمكنات ما جعل لهم قوة فوق قوتهم ونشطهم نشاطاً يقدره قدره من يعرف الحالة ثم عادت البقية الباقية من الجيش إلى جيزان فسلط الله عليها ومن جاءوا من المدد إليها ريحاً وجنوداً جوية وأمراضاً وبائية ذهبت بالباقي وبالمدد إلا نزراً يسيراً اضطر أخيراً إلى الجلاء عن جيزان فاستراح وراح والله من ورائهم محيط وهو على كل شيء قدير. بعد هذا كله لم يلبث أن جاءنا من والي عسير كتاب يجنح فيه للسلم تاريخه يرجع إلى ما بعد الحوادث الأخيرة مع الطليان فصدعنا بأمر الله وجنحنا معه متوكلين على الله وأرسلنا إلى سعادته رسولا من كبار العرب ليخاطبه في ذلك حسبما طلب وزودنا ذلك الرسول في طريقه وهو على مقربة من (أبها) أن سعادة الوالي إنما يريد بنا خدعة وأنه قد نصب لنا شراك

---

(١) سورة الشعراء آية ٢٢٧.

حباله فوقف خارج المدينة حيث مأمنه وأرسل إليه الكتاب وأعلمه بأنه قد جاء ملبيـاً داعي السلم وأنه يريد المخابرة في ذلك ليعلم ما ينتهي إليه الأمر والله الموفق. فما كان جوابه إلا أن أرسل إليه مكتوباً طويل الذيول مملوءاً بالعظمة والعلو والكبرياء لا تخلو كلمة من التهديد والوعيد ورفض الاتفاق:

وهاكم شيئاً مما جاء فيه بالحرف الواحد: «قد أخذت كتاباً من حسين أفندي، وفيه يذكر أنكم سألتموه عن بيان الشرط ومع الحكومة وكيفيتها فعجبت في هذا الطلب فهـذه الحالة تصير الشبهة ممكنة وأن الحادث الذي هو الآن واقع مع الكفار مناسب لأفكاركم فلا حاجة للشروط فهل تسير شروط بين الحكومة والرعية فما وظائف الرعية إلا الطاعة للحكومة ولأوامرها وقد عزمنا متوكلين على الله أن نرسـل حملة عسكـريـة لتربية العاصين المخالفين بشدة والعفو عن المطيعين وإعطائهم الأمان ولم يكن طلبنا اتحاد عسير عن عجز منا واستعانة بهم وأن القوة التي تزيد عن الخمسين طابور المنحشدة في الزيدية والزهرة واللحية والتي عندنا مقدار سبعة عشر طابوراً هي كافية لكل عدو في اليمن وعسير في الداخل وفي الخارج وأنتم تعلمون بذلك وأيضاً تقدرون عاقبة البغي والفساد».. الخ وصلنا هذا المكتوب ووصلتنا مكاتيب أخرى أرسلت من بعض عمال الحكومة إلى العرب وفيها أكثر من ذلك فما أظن القارىء يخفى عليه شدة أسفنا على أن رجال الدولة الآن على هذا النمط وأنهم هم الذين يخلقون الفتن ويثيرونها كلما قربت من الانتهاء إنهم دائماً واقفون حجر عثرة في سبيل إطفاء الفتن على نحو ما سبق بيانه ولا سيما في سبيل هذه الظروف والأوقات الحرجة. هداهم الله.



دراسة وتحليل لرسالة الادريسي لوالد المؤلف

الإدريسي عالم حائز على شهادة الأزهر العالمية، وشخصية من الشخصيات العربية التاريخية ونحن هنا في موقف المؤرخ المحلل لرسالة من رسائله من الوجهة البيانية والعلمية والسياسية، وإذا طبقنا ما قيل (المرء صورة مما يكتب) هذا عن أي امرىء عادي، فكيف بالشخصيات التاريخية.

والرسائل أو فن الترسل من فنون الأدب الرفيعة والفنون الجميلة، ومع قيمتها البيانية وأهميتها التاريخية، يستشف الإنسان منها أفكار أصحابها، وطباع أربابها، وطريقة منشئيها، وميول كتابها، وأسلوب قائليها، وطريقة فن الإنشاء في عصرها، وفوق كل ذلك فخط المرء بيده له أهميته، فهو صورة منه، فهو كالبصمة لا يشتبه مع غيره، وله طريقته الفريدة في رسم الأحرف يدل على نهج تفكيره ومهيع مشاعره ونمط حركته، وشاهد من شواهد تصرفاته.

وخطوط أقلام الشخصيات التاريخية، وعظماء الرجال يُغالى في الحصول عليها، والإهتمام بها، والحرص على اقتنائها، كأمنية كريمة وهواية رفيعة، وكما يعرف المرء بملامحه ويتميز بسمته وينفرد بقسماته عن سواه، يعرف خط المرء برسمه المنفرد حتى إنك بمجرد أن تنظر إلى مظروف مختوم بلمحة عابرة ونظرة خاطفة تعرف أنه بخط زيد أو عمرو.

وقد نشرت في كتابي «المخلاف السليماني» عددا من رسائل الإدريسي، ولدي مخطوطات منها ما نسخه بقلمه أثناء طلبه للعلم ومنها شروح على كتب بملكيته لها، والمعروف لمن عاصر ذلك العهد أن الإدريسي كان يكتب رسائله الخاصة بيده.

والرسالة المشار إليها تبدأ باسم المرسِل منه ثم المرسَل إليه حسب الطريقة السلفية.

إن الرسالة من أحفل الرسائل الخاصة بأسلوبها البياني، ونهجها البلاغي، وإنشائها الترسلي، وشفافيتها الصوفية، التي نشأ وترعرع في جوها واستنشق نسيمها في جوه الأسري، ونسيمها البيئي، فجد أبيه الشيخ أحمد بن إدريس من كبار زعماء التصوف في عصره.

والطريقة الأحمدية ـ نسبة إليه ـ هي الإرث الروحي للأسرة الإدريسية عامة وله خاصة فهي الدعامة التي استقام عليها أمره، والأساس الذي شيد عليه دولته، وأقام عليه صرح ثورته على الأتراك.

فلا غرو أن أشاد بها وعظم شأنها فهي إرثه الروحي وتراثه الأدبي.

ومع علمه وفضله وحصوله على الشهادة الأزهرية العلمية وثقافته العصرية فإن للوراثة عاملها النفسي، وللتلقين والممارسة تأثيرهما وخلفياتهما الخلقية والسلوكية، بحيث لا يمكن إغفال ذلك أو تناسيه، أو إسقاطه من الحساب، وإنما استطاع لإتساع معارفه وثقافته، وتعالي تفكيره وتسامي طموحاته وتحليق آماله عالياً عن دائرة محيط أسرته إلى أجواء النهضة وآفاق القومية العربية والإصلاح الديني كزعيم عربي يتمسك بإسلامه ويعتز بعروبته، ويَنُدُّ عن الطائفية والمذهبية، ويحاول أن يجتهد أن يكون زعيماً مسلماً عربيا، قبل أي شيء آخر.



نص رسالة الإدريسي إلى والد المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن إدريس لطف الله بهم إلى من هو بمكـارم الأخـلاق متخلق، وبكل وصف جميل متحقق الفاضل أحمد بن عيسى العقيلي لا زال محفوظاً ملحوظاً بعناية الملك العلي.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

صدرت للســلام والتحية والإكرام كتابكم الكريم وصل، وما شرحتوه اتصل، وكتاب الفاضل الإمام النوري أحمد بن أبي طالب الغبيري لما فتحنا طياته لاحت لنا صالح طوياته، ولله الحمد حيث كان ممن شملته طريقة سيدي الجد فإن سيدي ومولاي إمام أهل التقديس الأستاذ الأعظم سيدي أحمد بن إدريس يقول بشرني جدي يعني النبي صلى الله عليه وسلم أن من انتمى إليك لا آكله إلى ولاية غيري ولا إلى كفالته أنا وليه وكفيله، فقد تكفل صلى الله عليه وسلم بأهل طريقه وهذه بشرى عظيمة وقد عمت جميع الأقطار بحكم الفيض الإلهي المدرار، ولا زالت أوراده تنشرها الأفاضل وتعتني بضبطها واتحافها للمريدين لا سيما بدار السعادة على يد الأكمـل الممنـوح بالأسرار الحاج مختار بك الآخذ عن الشيخ الإمام إسماعيل النواب رحمه الله وما أظهره الله الآن من الأمن والإيمان فهو لا شك أنه من بركات سيدي أحمد وما بقى أكثر وكم دعا رضي الله عنه في حياته إلى العمل بقوله تعالى ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴾(١).

ولا زلنا بحمد الله ندعو إلى ذلك وفي الحقيقة أن الناس في تفرقهم إلى جمعية أحـرار وإتحـاد وعلمية ومحمدية وغير ذلك لو علموا الحقيقة لرأوا أن الشريعة متكفلة بكل مكارم الأخلاق التي يحاولونها

---

(١) سورة الشورى آية ١٣

﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾[1].

﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[2].

فالاتحاد ليس روح الدين سواه. قال عز وجل ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[3].

والحرية التي هي عصمة الدم والمال والعرض إلا بحق جاء به القانون الإلهي هي من النواميس التي جاء هذا الدين بها للبرية قال عليه السلام: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق**». والعلمية هي الدائرة التي بها رفع الرتب

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[4].

والمحمدية هي الجامعة للكل مع جملة مكارم الأخلاق كما قال صلى الله عليه وسلم «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» فما أدري ما هذا الإختلاف ومن أين جاء إلا أن يكون الهوى والتكالب على الدنيا قد استولى حكمها على القلب فإنه حينئذ تأتي السبل التي قال فيها تعالى:

﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾[5].

وما كنا نريد لأهل الملة ونحب لهم لا سيما لأولى الدولة الذين هم القدوة لنا في المكارم والفلاح إلا التمسك بالسبيل الأقوى الذي قال فيه المولى ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾[6].

وقال تحذيراً مما يصد عنه ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [7]

---

(١) سورة الأنعام آية ٣٨

(٢) (سورة يوسف آية ١١١).

(٣) سورة آل عمران آية ١٠٣

(٤) سورة المجادلة آية ١١.

(٥) سورة الأنعام آية ١٥٣.

(٦) سورة الأنعام آية ١٥٣.

(٧) سورة ص آية ٢٦.

وواشوقاه إلى لم شمل أهل الإسلام لا سيما فيما بين الدولة والرعية فإنه طال بينهم النزاع وذاع مالا يحمد وشاع، وقد رضينا لأنفسنا بشماتة الأورباوين المخالفين لديننا ومكناهم الفرص منا فما لهذه العقول لا تتفكر وما بال هذه القلوب لا تتدبر والله لن نكون بالعقل على إلمام حتى تجلى مرآة أفكارنا بإتباع سيد الأنام، فإن ما نحن فيه من أول يوم مربوط بأنوار النبوة فلا يمكن من غير مقصود فما أحسن ولا أكمل من الدعوة إلى هذا السبيل حتى يرجع الإسلام بتحكيم قوانينه وإتحاد الدولة والرعية بأحسن حال

﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾(1).

نعم الملك الجليل والسلام التام لكم ولمن حواه المقام ورحمة الله وبركاته.

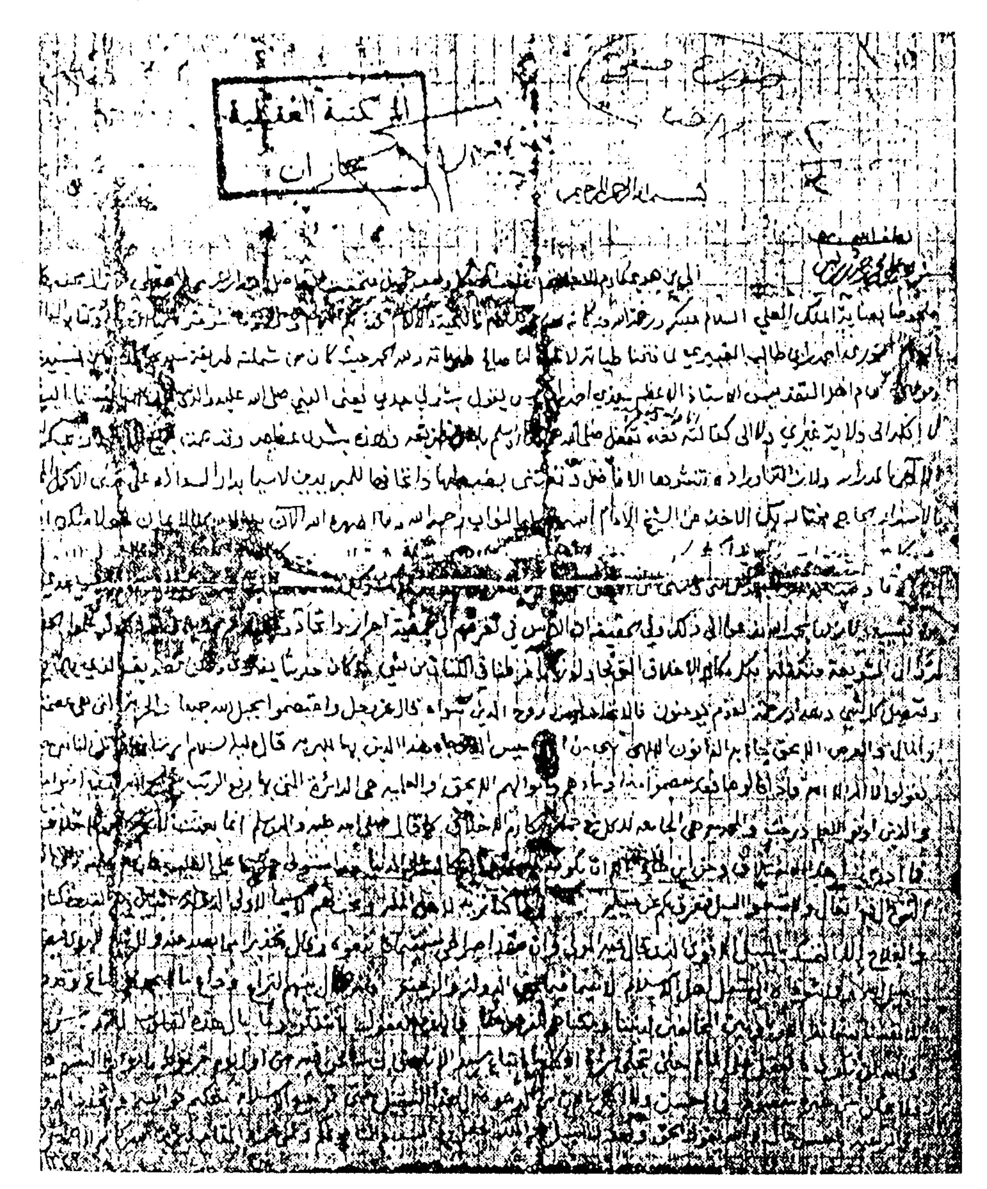
١١ جمادى الأولى ١٣٢٧ هـ

ومن شأن الشريف أحمد الخواجي فهو لا زال يعقد نار الفتن بين القبائل ويرتكب في الهوى إلى فساد ذات البين وقد طالت فتنته بين قبائله أهل صبيا وبين قبيلة مجاورة لهم تسمى الجعافرة واستمرت نحو ست سنوات بسببه ولا يزداد إلا عتوا وصداً عن سبيل الله فلما حصلت الدعوة إلى اجتماع المسلمين وتخاويهم في الدين كبر عليه الأمر وعزم بزيادة على سفك الدماء بحيث لا يتخلص من شره إلا بإحدى خصلتين، إما إعدامه أو قطع يديه لتأمن الناس من شره إذ كان لا فرق بينه وبين الجوارح المؤذية، ولما كان الضرر ينتفي بقطع يديه أستغنى بها عن إعدامه، وفي الحقيقة أن ضرره عام للرعية وللدولة إذ هو يأخذ أموال رعايا الدول الأجنبية وهم لا يغادرون في رعاياهم فيحصل الضرر على الدولة من مطالبة الأجانب، وهو لما رأى الدولة لم تساعده قد انخلع منها زمانا وخرج من الحديدة شارداً حيث طولب بالحقوق ولا يدخل البنادر، وكم له من مفاسد كالإستيلاء على إسترقاق الأحرار جهاراً والآن قد أظهر التوبة بعد أن قطعت يداه وتعب، نرجو الله له ولنا خيراً وما زلنا نرشد إلى مواساته كما هو اللائق بمحاسن الشريعة والسلام.

انتهى

---

(1) سورة الأحزاب الآية (٤).


بسم الله الرحمن الرحيم

صورة رسالة الإدريسي إلى والد المؤلف

الفصل الثالث

الشعر في العهد الإدريسي الثاني

بعد ما كان الشعر في مستواه الرفيع في القرن الثالث عشر وما قبله بالمنطقة فبعودة الأتراك للمرة الثالثة إلى المخلاف السليماني وعسير في الثلث الأخير من القرن الثالث عشر وانسحاب ذلك إلى الربع الأول من القرن الرابع عشر، وما أحدثه إهمال الأتراك لجنوب الجزيرة عامة ومنطقة جازان خاصة مما نتج عنه ركود الشعر وخفوت شعاعه وتأخره عن تقدمه السابق، وعندما قام الإدريسي بدأ الشعر في الإنتعاش نوعاً، وإن لم يكن في مستواه السابق والابلال من المرض لا يكون طفرة وإنما يكون تدرجاً حتى يستعيد قواه.

إن الإمام الإدريسي عالم ديني يحمل شهادة الأزهر العالمية وإجازات من كبار علماء عصره ـ وهذا أمر معروف لا يحتاج إلى توضيح، علاوة على أنه من رجالات العرب البارزين في السياسة والقيادة والحرب والنهضة التحررية ضد الأتراك ـ ومن في مثل مركزه العلمي والإجتماعي والقيادي لا يزيده أن يكون شاعراً ولا ينقصه إن لم يكنه، وللإدريسي شعر جيد قاله في أيام الصبا وأرسل جله من مصر أيام طلبه للعلم في الأزهر، وهو يعد في نظري من الشعر الحسن أو الوسط وإن كان يغلب عليه النمط التصوفي والفقهي وتتخلله مصطلحاتهما، وهو ينضح بالعاطفة والشوق المتأجج إلى مرابع الوطن والحنين إلى مغانيه ومدارج طفولته ومراتع صباه، فمثلاً في قصيدة (ولى الزمان ومالي نحوكم سبب) نرى أنها موشاة بالمصطلحات الصوفية كقوله:

مستنشقاً نفحة لو أن حظيت بها
قدماً، لما مسني لغو ولا نصب

وقوله:

وللدقائق من آي الحقائق أقـ
ـمار فما لفؤادي بعدها حجب

وقوله :

بدر تجلى على أهل الكمال كما
بدر تجلى وفي أرجائه الشهب

وكقوله:

منـــي إليــه تحــيـات فواتــحــهـا
كمــا خواتــمــهــا الأنــوار والقــرب

وفي قصيدته التي بعثها إلى شيخه سالم بن عبدالرحمن باصهي، وهي قصيدة وقع في نسخها بعض الإضطراب، يحتمل أن نحيل تبعتها على الناسخ الأول وفي القصيدة كثير من مصطلحات الصوفية ككلمة (لمتجلي) في البيت الثالث، وكلمة (الزوايا) في البيت التاسع، وكلمة (حضرة القدس) في البيت الرابع عشر.

وفي القصيدة الثالثة من مصطلحات علم الحديث كقوله: (راو له نقل) ومن مصطلحات التصوف والتبرك.

فأصــبـحت مصــروع الغــرام وليس لي
من الوجــد راق أرتــجــيــه اذن يتــل

هذه إلمامة مستعجلة أوردناها للتنويه وإلا فالأمر يحتاج إلى دراسة مسهبة توضح الملامح المشار إليها في شعره والمسار الأدبي لمنحاه وسيكون ذلك بحوله تعالى في المستقبل القريب.

وبعد هذا نورد أشعار العهد الإدريسي مبتدئين بأشعار الإمام الإدريسي نفسه التي أرسلها من مصر إلى والده أثناء دراسته بالأزهر.



قصيدته التي بعثها من (مصر)

إلى والده في (صبيا)

ولى الزمان ومالي نحوكم سبب ... وليس لي في سواكم سادتي أرب

وإن يعقني الهوى عن أن أسير إلى ... حيٍّ إليه بديع الحسن ينتسب

مستنشقاً نفحة لو أن حظيت بها ... قدماً لما مسني لغو ولا نصب

فلن يزال جميل الظن يمنحني ... بروضة يجتني من روضها الطلب

وللدقائق من آي الحقائق أقمـ ... ـار فما لفؤادي بعدها حجب

حُييتَ سارٍ قضى الرحمن، لا برحت ... نفسي اشتياقاً إلى مرآه تضطرب

ولا يزال بقلبي ما بقيتُ من الذ ... كرى مراسم ممدود لها طنب

فما لأهل الحمى أن يرفقوا بفتى ... روح له بذلت في الوصل لا نشب

وفي التخلف عنهم قد أقاموا له! ... العتبى عليه.. فهل لا تنفع العتب

ولم يكن في الورى من غيرهم أبداً ... له بديل ولا مجد ولا حسب

يهوى أحاديثه وهي الشفاء بل الـ ... راح الذي لا بها غول ولا عطَب

تهدي وحسبك، في روض مناظره ... زبرجد وحصاه الدر والذهب

قد فاق حسناً فناجتنا بلابله ... على منابر أغصان لها خُطبُ

كأنما تدري ماذا في حديث جما ... ل الدين. فهي لها التغريد والطرب

بدر تجلى على أهل الكمال كما ... بدر تجلى وفي أرجائه الشهب

كأنه القطر عم الناس مرحمة ... فهام سيان فيه العجم والعرب

أستغفر الله. إذ قد جاد مبتسما ... وبالصواعق دوماً تُقرن السحب

منِّي إليه تحيات فواتحها ... كما خواتمها الأنوار والقُرب

تهدى إليك بألوان منزهة ... فالدر عند محياها لمُخشلب



القصيدة التي بعثها من مصر إلى شيخه «سالم بن عبدالرحمن باصهي» بـ «صبيا»

ربـع عهـدنـاه بالأحـبـاب معمـورا ... قلبـي جعـلت على مغنـاه مقصـورا
فمـا لقـلبـي وللسـلوان عادله ... وفي طريق الهـوى قد راح مسحـورا
يا ساكني السفح من (صبيا) على أكم ... بكـم غدا لِتَـجَـلِّيَ الهـدى طورا
إنـي بغـربـيـه صدقـاً أحـدثـكـم ... يوم الوداع جعـلت القـلب منخـورا
وقـلت للنـفس أنـي بعـد بعـدهـم ... ما طاب عيشي ولمـا ألفي[1] بعـد مسـرورا
لا بارك الله في الدنـيـا وزهـرتـهـا ... إن لم أنـادم من صبـيـاي مشكـورا
وإن سلوت هواه لا أعـيش ومـن ... يسـلوه أمسى يضـل الحق مثبـورا
يا شيخنـا[2] العلم المولى الذي اجتمعت ... فيـه الفضـائـل حقـاً ليس تقـديـرا
يا بهجـة الديـن يامحيي معـالمـه ... وعـامـراً من (زوايـا) العلم مدثـورا
بمـن براك إمـامـاً لا اعـوجـاج به ... حبـرا تلألأ من أكـوانـه نورا
لأنـت حجـتـه العـظمـى وآيـتـه ... بالعصـر ترشـد من قد كان مغـرورا
منـذ تدفق عيـونـاً سيـدي انبجست ... فطاب للنـاس شربـاً كان مبـرورا
وأشـرقـت شمس أفـق أنـت مطلعهـا ... للعـلم قد لاح نور جل تنـويـرا
سبـحـان منـشـيـك بدراً للكمـال له ... في حضـرة القـدس ذكـر كان مشهورا
يا سيدي (سالم) المولى الذي ابتهجت ... به المـعـارف تكـبـيـرا وتـقـديـرا
جُد لي إمـام التـقـى منكـم بنـاظرة ... تجـلي فؤاد امـرئ بالغي مسعـورا
وهـاك أزكـى سلامـاً من جوانـبـه ... مسك يفـوح غدا في الكـون منثـورا

* * *

وبعث بالقصيدة الآتية إلى والده من مصر:

ألا إن قلبـي لا ينـهـنـه العـذل ... ونـفـسي غدت عمـن تحب فلا تسلو
فكـفًّـا عذولي بالمـلام فإنـنـي ... أصـم ولي فيـمـا عنـيت به شغـل
ولا ترمـيـانـي بالجـنـون فليس بي ... جنون ولكن في الهوى يؤسر العقل[3]

---

(١) هكذا في الأصل.

(٢) في الأصل. «ياسيدي»

(٣) راجع الحاشية التي أشرنا فيها إلى محاولته القيام بحركة في صعيد مصر فإن راوي القصة الأولى أفاد أن من المبررات التي استعطف بها أقاربه مدير المنطقة أنه مصاب بالجنون أو مرض عقلي.

ألا ما لقـلبـي سلوة عن معـاهـد بشـرق (الغـرا) حيث المكـارم والنبل

بهـا القلب في دين الهـوى قد جعلته شعـوبـاً ودمـع العين راو له نقـل

فأصبحت مصـروع الغـرام وليس لي من الوجـد راق أرتـجـيـه إذن يتـلو

أنـوح إذا البـرق اليـمـاني لَمَحتَـه كمـا أن سرت ريـح الجنـوب لها رسل

نداماي في تلك المعـاهـد هل لنـا دنـو وهـل يصفـو الزمـان وهل يحلو

وهـل لي رجـوع للحـمى وريـاضـه ومـشـربـه العـذب الزُّلَالُ له نهـل

* * *

وله أيضاً:

أتـلك بروق ما أراهـا لوامـعـاً تضـيء بدوراً أم شمـوسـاً طوالعـا

أم النـور من (صبيـا) سرى متـألقـاً فحـيـا فؤاداً كان بالحـب والعـا

ونـفـحـة ود ما بدت بأريـجـهـا تفـوح عبـيـراً نوَّر الكـون ساطعـا

فَهِـمْـنـا بهـا شوقـاً نؤم رحـابـهـا لعـل بهـا ....

ونَـنـعش أرواحـاً كمـا بحـديـثـكـم تشـنـف من أهـل الوداد مسـامـعـا

أحـبـتـنـا من ساكـني السفـح إنني على حبـكـم ألفـيـت قلبـي مطاوعـا

وعـن عهـدكم ما قط أصبحت ساليـا وتـبـاً لمـن يسلو اللوى والمـرابعـا



الشاعر محمد حيدر القبي النعمي(١)

مادحًا القاضي علي بن حسن بن أحمد علي الضمدي

ما غردت وَرقاء على الأغصان
إلا وقلبي دائم الخفقان
شوقاً إلى وادي العقيق وضَالِه
وبشامه وخُزامه والبان

---

(١) الشيخ محمد بن حيدر القبي من رجال القضاء الشرعي في العهد الإدريسي، درس أولًا على يد الشيخ حسن ابن‌أحمد بن علي الضمدي في قرية القُمِرْي وعلى ابنه علي بن حسن، وعلى الشيخ عبدالرحمن الأساس الكناني، وعلى الشيخ محمد بن علي بن يحيى بن عبدالكريم الزكري، وجميعهم في قريتي القُمِرْي وضمد ثم على الشيخ اسماعيل بن حسن الضمدي في متن الرحبية في الفرائض، وبعدها رحل لتلقي العلم إلى جهة صعدة في سنة ١٣١٥ هـ ـ ١٨٩٧م، فحط الرحال في هجرة ضحيان فأخذ عنهم في متن الأزهار، والأساس وغيره من كتب القوم وعاد إلى وطنه فقرأ على الإمام محمد بن علي الإدريسي المصطلح من شرح العسقلاني على البخاري، ووريقات من القطر لابن هشام، وعلى الشيخ سالم بن عبدالرحمن باصهي وعندما قام الإدريسي بثورته المعروفة ضد الأتراك في المنطقة أنخرط في سلكها وأنتظم في سِمْطها فولاه عضوية رئاسة المحكمة الشرعية في صبيا ثم رئاسته القضاء، وبعد وفاة الإدريسي المؤسس للإمارة طاله الإبعاد مع رجال الإمارة الذين أبعدهم الإدريسي الإبن إلى عدن، وبعد خلع الإدريسي الإبن وعاد المنفيون إلى المنطقة أرتأى هو وبعض زملائه اللجوء إلى الإمام يحيى فمكث هناك مدة وأسند إليه في أثنائها بعض الوظائف القضائية فزار المنطقة خلسة ورجع منها خلسة إلى اليمن وأخيراً أصيب بالكآبة النفسية أو ما يشبه ذلك، فعاد إلى وطنه، ومع ثورة الحسن الإدريسي أشترك فيها وفي مرور الجيش الذي أخمد تلك الثورة قتل في قريته الملحا. له رسائل عديدة منها:

١ ـ رسالة تحفة المفاخر وبغية المناظر، ذكر فيها أغلب مشايخه وإجازاته.

٢ ـ رسالة في تعداد مشائخه باسم عقود الجمان.

٣ ـ رسالة في سيرة شيخه الإمام الإدريسي وأحواله.

حياته العلمية

ترجم له الوشلي في تاريخه الموسوم بـ «نشر الثناء الحسن» ترجمة فضفاضة فقال: (هو السيد العلامة الشهير والبارع المحقق النحرير القاضي محمد بن حيدر القبي النعمي. ولد بقرية الملحا من أعمال بيش سنة..) بدون ذكر السنة، ثم قال ما ملخصه (شرع في طلب العلم قبل سن الحلم على عدد من علماء المخلاف السليماني فقرأ على يد العلامة حسن بن أحمد ثم على ابنه علي بن حسن بن أحمد في قرية القُمري ثم على يد العلامة عبدالرحمن بن محمد الأساس الكناني وعلى العلامة القاضي محمد بن يحيى بن عبدالكريم الزكري وفي أبي عريش على العلامة القاضي إسماعيل بن حسن عاكش في علم الفرائض وسمع في الأحياء للغزالي، ثم رحل إلى جهة صعدة في هجرة ضحيان سنة ١٣١٥ هـ ـ ١٨٩٧ م وأخذ في تلقي العلم على فطاحل علمائها إحدى عشر سنة كان في خلالها يزور وطنه لزيارة أهله، وصادف إحدى فترات زيارته عودة العلامة الحجة إمام العصر محمد بن علي الإدريسي من مصر إلى وطنه صبيا، فقرأ عليه المصطلح من شرح العسقلاني من أول الجزء الأول منه من البداية إلى النهاية وحديث إنما الأعمال بالنيات من أول البخاري، ووريقات من القطر لإبن هشام في النحو، وأجازه في جميع العلوم، كما قرأ في صبيا أيضاً على العلامة سالم بن عبدالرحمن باصهي الشافعي = المذهب).

ومـطارح للأنس حول كنـاسـه
ومـلاعـب الغـادات والغـزلان
أيـام لا واشـي يَنـمُّ بوصـلنـا
وحـديـثـنـا من حاسـد أو شان
والشـمـل مجـتـمـع بمـعسـول اللمـا
حَالي الرضـاب معـقـرب الصـدغـان

= ثم استطرد بعد ذلك فيما للمترجم له من مؤلفات، وختم بقوله: (وهو - أي المترجم له موجود - أي في وقت ترجمة الوشلي له[1] في نحو الثلاثين من العمر. ملازما للتدريس والإفادة والاستفادة في تلك البلاد الشامية - يقصد المخلاف السليماني - مع القيام بوظيفة القضاء الشرعي من طرف الإمام محمد بن علي الإدريسي. انتهى.

حياته العملية

عندما قام الإمام محمد بن علي الإدريسي بحركته ضد الأتراك، كان محمد حيدر من رجال الرعيل الأول في تلك الحركة فولاه وظيفة القضاء في صبيا وبنجاح تلك الحركة أصبح من رجالها البارزين وتوطد مركزه أدبيا ومادياً وأكتسب أراضي زراعية واسعة وقد تعرض غير مرة لسخط الإمام الإدريسي ثم يشمله رضاه وعفوه لمركزه القضائي، إن الإمام الإدريسي هو صانع تلك الثورة ومدرب رجالها فهم تلاميذ مدرسته وصنائع دولته، ومحمد حيدر واحد من أولئك الرجال بل هو تتلمذ على يده علمياً قبل أن يتتلمذ على يده عملياً فعاش كغيره مسيراً بقوة تلك الشخصية القوية حتى توفاها الله وحل في محله ابنه علي الإدريسي فكان من الذين يودون لو حَلَّ الحسن الإدريسي مكان أخيه، وإنما الشعبية التي مع الإبن لم تدع لهم الإختيار، فساير التيار حتى قام أحد أفراد الأسرة الإدريسية مصطفى الإدريسي بثورته المعروفة ضد الإمام الجديد فكان من ضمن رجال الدولة الذين مالؤه في الخفاء وعند التغلب على ثورة مصطفى شمله الإبعاد مع أغلب رجال الدولة الذين أبعدوا إلى خارج المملكة.

في المنفى

استقر رجال الدولة المبعدون في المحمية البريطانية - آنذاك - عدن - وظل مع صديق حياته محمد يحيى باصهي يعيشان سوية ويعملان متحدين ويتنقلان معا بين عدن ومصوَّع وأسمرة وكذا بقية رفاقهم.

الصديقان

إن صداقة محمد يحيى باصهي ومحمد حيدر القبي صداقة قديمة تمتد من عهد الصبا الباكر فقرية الملحا - ضاحية من ضواحي صبيا - فكان محمد حيدر إذا دخل صبيا نزل ضيفاً على صديقه وبعد قيام الحركة الإدريسية كانت إقامة محمد حيدر في بيت صديقه وساعدتهما تلك الصداقة على التعاون ومساعدة بعضهما في غير موقف من المواقف وضد غير واحد من خصومهم السياسيين وبطبيعة الحال كان التعاطف بينهما في المنفى أمتن وأقوى إلى أن حصل بينهما حدث بسيط (٢) فرق بينهما واستقل كل واحد منهما عن الآخر في الفكر والسكن والمعيشة والسياسة. =

---

(١) يفهم من تاريخ الوشلي أنه زار الإدريسي في صبيا سنة ١٣٢٩ هـ - ١٩١١م، ونقدر أنه كتب هذه الترجمة هناك.

(٢) أخبرني أحد كتاب باصهي المرافق له في المنفى قال: (كانت سعة أحوال باصهي المادية تمكنه من الإفضال وكان يعتبر نفسه وصديقه في المنفى شيئاً واحداً حتى أتطلع صدفة - عفوا - على خطاب ورد لصديقه من أخيه في الملحا يفيده بغلة مزارعه في تلك السنة، فإذا هو مقدار وافر يغطي مصاريفه في بلده وفي المنفى ويزيد على الكفاية فأخذ في خاطره[1]. وكأن محمد حيدر شعر ببعض الانقباض من صديقه ففهم الأسباب وإنفرد عن صديقه سكنياً وفكريا وكان محمد يحيى باصهي ويحيى زكرى وحمود سرداب بحسب مذهبهم السني وميولهم السياسية يرجحون الجانب السعودي وكان محمد حيدر وجماعة معه بحكم تعليمهم في اليمن أو ميولهم أو مصلحتهم الشخصية يرجحون الجانب اليمني فتوجه باصهي ورفقاه إلى ميناء البرك السعودي ومنه إلى وطنهم وتوجه محمد حيدر وبعض الرفاق إلى اليمن كما سلف أن أشرنا إليه.

---

(١) كأن لسان حاله يقول كيف أن صديقاً من سعة الحال بمكان ويحملني بنفسه.

محمد حيدر في اليمن

= وصل محمد حيدر القبي ومحمد طاهر رضوان وعلي بن محمد الشبيلي الحازمي ومحمد عبدالله بن إبراهيم بن عطيف النعمي وغيرهم ـ بعد إتصالات بينهم وبين الإمام إلى اليمن ونزلوا في ميناء الحديدة ومنها توجهوا إلى صنعاء فاشتغل محمد حيدر بالسياسة أو بالأصح سخر ليعمل في جذب المنطقة إلى حظيرة الإمام، أما محمد طاهر رضوان فرجا الإمام بأن يسمح له في الإقامة على أراضيه الزراعية التي اكتسبها في وادي مور متخلياً عن كل نشاط سياسي، وأما علي بن محمد شبيلي فقد رافق الجيش المتوكلي الذي أرسله الإمام لأخذ صامطة أملا في أن يزحف به إلى بلدة ضمد فهُزم الجيش بعد أن قُتل جانباً كبيراً منه والباقي انسحب عائداً إلى بلدة حرض وقُتل علي بن محمد شبيلي بعد هزيمة الجيش قرب قرية الجرادية، وأما محمد عبدالله بن عطيف فعاد من اليمن إلى صبيا ـ ظل محمد حيدر مدة يسيرة في صنعاء ثم أرسل إلى ميدي فأقام بها وفي عام ١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٧م وصل بصورة مفاجئة إلى صبيا ووصلها ليلا ونزل في بيت صديقه محمد يحيى باصهي وفي الصباح وصل محمد يحيى من صبيا الجديدة فرحب به وأخذه للسلام على الإمام الحسن ويقال أنه أعتذر من الحسن عن قدومه المفاجيء بأنه وصل لزيارة أهله والإستقرار في بلدته إن سمح له فأمره الحسن بالتوجه إلى جازان إلى مندوب جلالة الملك فقال أرجو السماح لي بزيارة أهلي ثم بعدها أستعد بالتوجه إلى جازان فسُمح له وبعد أن مكث يومين وصله الطلب من المندوب صالح بن عبدالواحد فتوجه إلى جازان وهناك نوقش ثم طلب منه العهد جلالة الملك والتوجه إلى الحجاز ويقال أنه قال أنه وصل لزيارة الأهل وأنه بعد أن يمكث أياماً مستعداً بالتوجه إلى الحجاز لمقابلة جلالة الملك والمبايعة هناك أو ما هو قريب من هذا المعنى وعاد إلى قرية الملحا ومنها توجه سراً بطريق البحر من مرسى قوز الجعافرة إلى اليمن.

عودته إلى اليمن

بعد عودته إلى اليمن أسند إليه وظيفة حاكم مدينة اللحية وكانت إدارة المنطقة بأسرها تحت شيخ مشايخ قبيلة الواعظات هادي هيج فوقع إختلاف بينهما واستمر وقتاً ليس بالقليل وأخيراً طلب ذووه من الإدريسي والمندوب السعودي السماح له فسمح له بالعودة إلى وطنه فعاد فعلا وتقرر إيقافه في جازان تحت المراقبة ثم صدر الأمر بترحيله إلى الحجاز، فتوجه به أخوه ومكث هناك إلى أن سمح له بالعودة إلى جازان، وأخيراً سمح له بالتوجه إلى بلده قرية الملحا بحجة مرضه السابق فبقى هناك إلى أن قامت الحركة الفاشلة في رجب سنة ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م.

النهاية

روى غير واحد من كتاب محمد يحيى باصهي أنه بعد إطلاق محمد يحيى باصهي لابن زعير ورفقاه من معتقلهم بعد فرار الإدريسي من صبيا وصل محمد حيدر من قريته إلى بيت باصهي للمقابلة وطلب الأمان وأنه عند دخوله إلى البيت لقى صديقه القديم محمد يحيى باصهي الذي استقبله ببشاشة واحتفاء فقال محمد حيدر لصديقه «اليوم» كما قال رسول الله في يوم الفتح: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» وفهم الصديق ما وراء المعنى فعانقه ودخل به إلى فهد بن زعير فعاهد وأعطى له أماناً خطياً. وأنصرف عائداً إلى قريته، ظل في قريته وكأنه أستريب من موقفه فمرت سرية من الجيش وعرج جماعة على قرية الملحا فقضت عليه ـ رحمه الله ـ إن تلك الحركة الفاشلة كان حصادها عدد من كبار الرجال بعضهم قضى عليه الحسن الإدريسي صبراً كـ «محمد يحيى باصهي» وعبدالله العتمي، وبعضهم قضى عليه الغوغاء كـ «حسن فاسخ» من رجال صبيا المعروفين وبعضهم كان حصاد تلك الفتنة كـ «محمد حيدر القبي» و «علي بن أحمد حكمي» شيخ مشايخ الحكامية والكلاس، ويحيى مقبول حكمي، ومحمد بن أحمد عقيل من رؤساء أبي عريش المعروفين وأحمد طاهر زيلع وغيرهم تغمدهم الله بواسع رحمته ورضوانه.

جاء في مذكرات الشيخ تركي بن ماضي المخطوطة ص ٣٧، ٣٨ ما يأتي:

(... السيد/ محمد حيدر النعمي من علماء تهامة، وقد تلقى علومه في صنعاء وتأثر بالمذهب الزيدي ونشأت بينه وبين الإمام يحيى علاقة) إلى أن قال: (وفي يوم من الأيام قدم لنا قصيدة من نظمه يحث الوفد السعودي على إزالة سوء التفاهم بين الحكومتين والعمل على إبرام معاهدة صلح بين الفريقين وقد وصف الإدريسي بالناقة الجرباء التي تحاول أن تعدي الصحاح فقال:

أيـهـا الوفـد أنـعـم صبـاحـا
فعـسـى من سعـيـكـمـوا نرجـو النـجـاحـا =

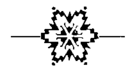
لله مسمرنا بِمُنعَرج اللوى
حيث التقينا طلعة النسران[1]؟
والليل قد نشر الظلام مطارفا
سترت على الصب العميد الحان
والكل منا قد قضى أوطاره
بتعانق يشفى به الولهان[2]
وسَدْتها زِندي اليسار مُقَبِّلاً
ثغراً حوى ما حل في الأدنان
خمر ولا خمر وشُهد بارد
ومُعَتَّقٌ دارت به الأزمان؟
ويدي اليمين تعبث بسوالف
مرت على رمانة الثديان[3]
إن رُمْتَ تسأل ما جرى ما بيننا
كمحاسب لمواهب الرحمن
والنفس قد شغفت بضم حبيبها
ومدامع المحبوب كالغدران
حتى تبدى الصبح طالعَ نُوره
من نور عز الدين ذي العرفان

= ذكركم قد جاوز الشرق معا
وله في الغرب سر لن يباحا
فأدأبوا لا تسأموا في طلب
أن من يضجر لا يجدي فلاحا؟
واقصدوا بالسعي وجه الله
لاهذه الدنيا فما فيها صلاحا؟
واعلموا علما يقينا أنني
أرتضي الصلح عشيا وصباحا
وزنوا الأفكار في عاقبة
واتركوا الجرباء لا تعدي الصحاحا
صحبة الحمقى تجني دائما
لرفيقي القوم بعدا وانتزاحا
وسلام الله يغشى دائما
ملك الإسلام بدأ وافتتاحا

(١)، (٢) هكذا في الأصل.

(٣) هكذا في الأصل.

عز الهـدى بدر الدجـى من أنـجـبـت
أمٌّ لـه. والعـالـم الربـان؟
محـي المـدارس بعـد طول خمـولهـا
ومـجـدد لمـعـالـم الأديـان
.... إلخ



من قصيدة العلامة القاضي عبدالعزيز بن محمد الغامدي[1] في الإمام محمد بن علي الإدريسي

يا حادي الركب بتهجير وتغليس؟	رفقاً هواك الذي مَشّاك بالعيس
وراعها وارعها واحدُ الركاب وسل	لمشية بين إرحال وتعريس
من كل عيرانة تسبق محاذيها	من هجنة يعتليها كل عتريس؟
إن رِيَضُوها على ذكر الحبيب لها	تكاد تستل من تحت الكرابيس
وشَوَّقوها وقالوا قد رَحَلت إلى	مجدد الدين مولانا ابن إدريس
محمد بن علي من سما شرفاً	بنصرة الدين من أبناء إدريس
دانت له الخلق من شام إلى يمن	لدعوة شرفت عن كل تدنيس

---

(١) هو عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله المنصوري الغامدي ولد سنة ١٢٧٨ هـ في بلاد غامد، ودرس على يد والده ثم في مكة المكرمة ورحل بعد ذلك إلى مكة لإستيفاء الدراسة، ثم عاد إلى وطنه وتولى القضاء الشرعي في قبيلتي غامد وزهران، وكان له علاقة بالإدريسي عندما أمتد نفوذه إلى تلك الجهات، وله مدائح في شريف مكة وفي الملك عبدالعزيز عندما أمتد حكمه على الحجاز، وظل في وطنه إلى أن أدركته الوفاة سنة ١٣٥٦ هـ.

قصيدة للعلامة محمد إبراهيم الحشيبري
في مدح الإمام محمد الإدريسي

من منصفي من بديع الحُسن مَذَّاق جانٍ جنى وجنات بين أحداق
أضنى فؤادي بسهم من لواحظه فصيَّر الجسم مضنا ما له راق
أضحى كليماً لموسى هَجره جنفا وصار بالبأس داود وإسحاق؟
وهذه غرة بدرية شرقت والشمس قد سرقت عنها لإشراق
علت على غصن بانٍ بانَ منبته فوق الكثيب الصفي الأبيض الناق
للدر نظم بذي ظلْم ظَلِمْت به عنق الظليم ظلوم كل عشاق
قد صار ذو الصد صباً في صبابته يا ليته ذاق بعدي بعض ما لاقي؟
من جاء باليمن والإيمان بعد خَفي هادي العباد وَمَهديهم بإطلاق
محمد فرع إدريس ونجل علي به ادراس دجا شك .... [1]
أحيا به الدين بعد الموت وانتشرت آياته الغر إذ قامت بآفاق
تبارك الله ما أزكاه من بشر لذروة العز والعلياء سباق؟
لله يغضب أو يَرضَى وليس له للنفس شيء وفي الأقوال مصداق؟
وهيبة الملك قد ذلت لهيبته ذو جودة ووفا عهد وميثاق
يعفو ويصفح والعافون يكرمهم علو شمائله من حسن أخلاق
وهاب أعناق أقوام يجود بها وفي حمى الدين فتَّاك بأعناق
وواعظ بكتاب الله منطقه وبالحديث بألطاف وإشفاق
أوجزت للفخر عن إحصا مكارمه إذ ليس تحصى بأقلام وأوراق
مستغنياً عن تفاصيل بأيسره أنموذج مجمل في بعض أنساق
مولاي إني لوَّاذ بجودكم فانفح لقلبي بمرضيات إخلاقي
وجد عليه بما يغنيه عن طمع وانظر بعين صفاء نحو إملاقي

وقال الحشيبري - أيضاً:[2]

---

(١) هكذا في الأصل.

(٢) تعليق:
إن أشعار الشاعر الحشيبري في قصيدتيه فيهما من الضعف والإبهام واللحنّ وما طرأ على الأصول من محو وتآكل، علاوة على ضعف خط الكاتب ما أعيانا فهمه مع ما بذلناه من الجهد والإصلاح، فعسى أن نعثر في المستقبل على ما يصحح الأصول السقيمة فنتمكن من نشر ذلك على الوجه الصحيح.

أبــدر أفــق بدا في الليــل إذ بهــمــا
أم المــحــيــا بدا في مرسـل فحــمــا
وذا هلال ببــدر زاد جوهــره
أم ابــتــســامــة ذي ظلم به ابــتــســمــا
أم بارق قد سرى من نحــو بارقــة
ومــاء عيــنــي به قد صار منــســجــمــا
وقــد تنــســمــت نشــرا للحــمــى فحــمى
عيــنــي كراهــا إذكــاري للذي صرمــا
قد شق جســمــي وأضــنــاه وطال جفــا
بوصــلــه وجــوى قلبــي وقــد كلمــا
يسبــي العقــول بسحــر المقلتين فمــا
جازت رمــيــتــه إلا وقــد هضــمــا
يرمــي بهــا غرة ظلمــا فيــأســرهــا
كأســر ذي العــدل فتــكــا بالذي ظلمــا
محــمــد القــائــم بشــرعــة من
كانــت له أُمــة قد فاقــت الأُمــمــا
من جاء باليُــمــن والإيــمــان وانــتــشــرت
آيــاتــه لم تفــت عربــا ولا عجــمــا
هذا الذي في صلاح الخــلــق مجــتــهــد
في أمــره ما ونــى عنــه ولا سئــمــا
هذا الذي جاءنــا والأرض قد ملئــت
جوراً وقــد صار ليــل الظلم منــبــهــمــا
فعــاد يمــلأهــا عدلا كمــا ملئــت
جوراً فحــمــداً لمــن أولى به النــعــمــا
هذا الذي عم جوداً فضــلــه فســرى
كالبــحــر حين طمــا والغيث حين همــا
هذا الذي من يزره خالصــاً فكــمــا
سعــى وطاف ومس الركــن واســتــلمــا[1]

---

(١) غلو وتجاوز.

هذا معـاليـه لا تحـصـى ظواهـرهـا
كيف الخفـايـا وذكـرى بعض ما بهمـا

عليـك بالمـيـم يا ذا اللب فابـتـغـه
فإن بالمـيـم للشـيـطان قد رجـمـا

يا سيـدي يا صفـي الديـن خذ بيـدي
وأولنـي منـك ما أمـلتـه كرمـا

محـمـد نجـل إبـراهـيـم خادمـكـم
يرجـو ....

إنـي عليـكـم لمـحـسـوب فأحسبـكـم
لا تهـمـلونـي فأنـتم خيـر من رحمـا[١]

(١) الرحيم الرحمن هو الله سبحانه وتعالى.

وقال العلامة المؤرخ إسماعيل الوشلي
في مدح الإمام محمد الإدريسي

ألا قل لحادي العيس جدت، رواحله
فرفقاً بمضنى لم تفده زوامله

كليم بطور القلب أمسى مكلما
وآنس منه نار وجد تقابله

وقد شاقه نشر النسيم ولطفه
إلى نفحات للصبا ومناهله

حداه إلى تلك المعاهد والربى
حمامات بان المنحنى وبلابله

فيا أيها الحادي المجد ترفقاً
بصب له جسم من البين ناحله

يبيت سمير النجم سهران منشدا
وقد بليت بالزمهرير غلائله

تذكرت عهداً بالحمى ومواقفاً
فهل عودة هيهات حالت فواصله

فيا ليت شعري هل بذنب قرفته
أم اختار عهداً للقطيعة فاعله

ترى تسعف الأيام بالوصل واللقا
فإني على قطع المودة آمله

فإن لم أنل وصلا فإني معرج
إلى بحر علم ليس يعرف ساحله

ولو لم يكن إلا معرج ساعة
قليلا فإني نافع لي قلائله

هو السيد البدر المنير محمد
سليل علي من لإدريس واصله

خضم علوم إن طما متموجا
(فلجته العرفان والجود نائله)

له كرم يزري بمعن وحاتم
ويخجل وبل المزن إن جاد وابله
(فلو لم يكن في كفه غير نفسه
لجاد بها فليتق الله سائله)
بيمناه قد طالت يد المجد والعلا
وقامت قناة الدين واشتد كاهله
وذر عمود الحق بعد أفوله
فها هو في بُرد من العز رافله
إمام لشرع الله قد جاء ناصرا
وقد طلعت أحكامه ودلائله
وكان ظلام الجهل أسود حالكا
ومن غربة الإسلام يبكيه ثاكله
وحكم طاغوت وإبليس والهوى
ومدت لهم أشراكه وحبائله
فأهزمها واستأصل البغي والردى
وجرد سيف العزل من ذا يقابله
فأصبح وجه الشرع أبيض مشرقا
معالمه قد وطدت ومعالمه
فطوبى لمن أضحى له الشرع منهجا
يقاتل عنه من بغى ويناضله
وإن تكن الأخرى فتأتيه عاجلا
(دويهية تصفر منها أنامله
هنيئاً لأقوام تولوا لنصره
وإني على بعد المسافة سائله
متى تجمع الأيام بيني وبينه
فمدمع عيني فوق خدي سائله
ونروي أحاديث الوصال لجمعنا
وتطوى أحاديث النوى ورسائله

وقال العلامة الأستاذ عبدالرحمن العتمي مهنئاً الإدريسي باحتلال مدينة اللحية

باب الفتوح باسم القاهر انفتحا ... وطائر النصر في دوح العلا صدحا
وكوكب السعد في برج الفلاح بدا ... فلاح نور كنور البدر متضحا
وأصبح الدين مسروراً بغرته ... لما غدا قلبه نشوان منشرحا
قد قلت للأرض تيهي نشوة ولقد ... بفوزك اهتزت السبع العلا مرحا
هذي «اللحية» لحييها قد قبضت ... فثق بنصر وخالف من نهى ولحا
إن الفتوح إذا ما كان أولها ... تتابعت مثلما قد ينظم السُّبحا
بشراك فالله قد أعلا يديك على ... أيدي العباد وقد أعطى وقد منحا
فالحق أرفع من أن يعتلي فأدم ... نشر الجهاد فإن الله قد سمحا
واستخلص المخلصين التابعين لأنـ ... ـصار واطرد كذوبا خاف وافتضحا
دع «حاشداً»[1] إنهم خانوا ولو جهدوا ... فإنهم (سَمَكٌ) في (مائه) نزحا
أما «بكيل»[2] فلولا أنهم مكروا ... قاموا بعزم ولكن قل من نصحا
وإن ربي عنهم حاز نصرته ... إذ ليس يوجد فيهم غير من طلحا
وكيف يبذل كل الجد رافضة ... لا تحسب الحق إلا كلما قبحا
لكن في جذبهم لا شك مصلحة ... وأخذ أبنائهم حزما قد اتضحا
يا أيها الناس هذا بين أظهركم ... مقدم الكون بدر التم شمس ضحى
يدعو إلى الله إخلاصاً بملته ... بل امتثال لأمر الحق إذ نفحا
موهتم الزور في تكذيب دعوته ... تبت يدا كل من في شأنه قدحا
لما رأيتم كنوز الأرض قد منحت ... له تأول قوم في الذي فتحا
قلتم أعانته أحزاب الضلال نعم ... نعم أعانوه خوفاً منه إذ سنحا
الله أنزل رعباً في قلوبهم ... إذ شاهدوا أسداً كالبدر قد وضحا
فأصبحوا يبذلون المال لا طمعاً ... يدري بذا كل من نحو الهدى جنحا
وكيف يطمعهم بيض الأنوق وهم ... مميزون ولكن جل من منحا
هذا الإمام الذي فاضت أنامله ... جوداً عميماً كموج البحر ما برحا
هذا هو الكف والناس الجميع عصى ... هذا هو القطب والكون البديع رحا

---

(١) ، (٢) «حاشد» و «بكيل» القبيلتان المعروفتان في اليمن جند الإدريسي مرتزقة منهم في محاربته للأتراك.

أقامه الله روحاً للعباد كما ... قلوبهم ردها المولى له شبحا
وقد نطقت بحق سوف ينكره ... قوم يقولون هذا المعتدي شطحا
والله يعلم أني لم أقل كذباً ... فقبح الله من في كذبه سبحا
هذا جواب عليهم قبل قولهم ... لا فاز كذابنا قولا ولا برحا



قصيدة عبدالرحمن العتمي المعلمي[1]

إذا كان الضعف، والفجاجة ظاهرة في قصيدة الشيخ العتمي الأولى التي هنأ فيها الإدريسي بفتح مدينة (اللحية).

فإن الأصالة والإجادة قد ظهرت في القصيدة الآتية التي هي في رأيٍ وثبة من وثبات الخيال، وصورة من صور الجمال الشعري.

لطلى الرمل مقلتاه وجيده
وإلى الجُلّنار تعزى خدوده
ذو قَوام كأنه غصن البان
تثنى مع الصبا أملوده
وجبين كأنه القمر الزاهر
في الصحو قارنته سعوده
طيب الثغر تحسب الخمر قد
شُجت بثلج عذب الرضاب بروده
فاتر الطرف وافر الظرف أقنى
الأنف ألمىَ الشفاة طلع نضيده
زان تلك العقود حسناً إذا
زان سواه من الحسان عقوده
وتنزهت أن أقول وإن أطربني
الشعر، خصره ونهوده

---

(١) عبدالرحمن، كاتب وأديب وفد من بلدته عتمة في اليمن الأسفل إلى الإدريسي فاتخذه كاتباً خاصاً، وعندما توفى الإدريس وتولى ابنه علي نفاه مع من نفاهم من الوزراء ورجال الدولة، فتوجه إلى الهند، وهناك تعرف على يماني مغترب، ممن اقتنى ضيعة في الهند فتزوج بنته واستولد منها أولاداً، وظل في الهند إلى سنة ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٨م ـ تقريباً ـ ثم رفع استعطافاً للملك عبدالعزيز في رغبته الحج والمجاورة في رحاب بيت الله، وبوصوله قرر له راتباً وأسند إليه وظيفة مدير مكتبة الحرم المكي وظل في مكة إلى أن توفاه الله آخر سنة ١٣٨٠ هـ ـ تقريباً(١).

---

(١) هذا ما فهمته من الشيخ عقيل بن أحمد، الذي حج ونزل ضيفاً عليه وأفادني بذلك بتاريخ ١٠/١٠/١٣٦٥ هـ.

لَامــنــي عُذَّلي عليــه ولكــن لوم
من قال حامض عنـقــوده
حســدونــي فخــاب حاســدي اللا
ئم فيــه وقــد أطيــع حســوده
فعــرفــت الصــدود والمــيــل منــه
فبــرى الجــســم، ميــله وصـدوده
وكــأيٍ من ليــلة فُزتُ فيــهـا
منــه بالوصــل، والتــجــنــي يذوده
حيــن بُرْد الشــبــاب منــي قشــيــب
ذو طرازٍ لم يبــل بعــد جديــده
لســت أنــســى وقــد أتــت تتــهــادى
سحــراً حولهــا من الحــي غيــده
كشمـوس على غصـونٍ على أحقاف رمل
لم يَمْسُ غيــث يجــوده
فتــمــتــعــت ساعــة وحــيــائــي ثم
والديــن لم تُحَــلَّ عقــوده
غيــر ضَمٍ ورشــف ثغــر وتــقــبــيــل
لخــدٍ يروقــنــي توريــده
فنــعــى الديــك ليــلنــا وســروري
ناعــقــاً والصــبــاح لاح عمــوده؟
ثم كان الفــراق فالأمــر لله.
وزاد الجــوى وأَجّ وقــوده
من يكــن سالم الغــرام فقــلبــي
ذو عَواد من الهــمــوم تعــيــده
من ينــل قلبــه الســرور فقــلبــي
بســهــام من اللحــاظ عمــيــده
من ينــم ليــله فليــلي لا
ينــفــك عنــه من الهــوى تســهــيــده
فســقــى الله ذلك الحــي من فضــل
إبــن ادريس وابــلاً تســتــعــيــده

الإمـــام الذي لنـــا جَدد الديـــن
وقـــد كانـــت اســـتـمـلـت بروده[1]

وله قصيدة أخرى في مدح الإدريسي مستهلها:

دعـنـي من الغـيـد قرت أعـيـن الغيـد
وقـم نهـنـي إمـام الحـق بالعـيـد[2]
مولاي يهـنـؤك العـيـد السـعـيـد فدم
في خيـر عيد بتـوفـيـق وتـسـديـد
ودام سعـدك طول الدهـر يرفـل في
نصـر وفـتـح وتـمـكـيـن وتـأيـيـد

وهي طويلة أكتفينا منها بهذا القدر.

---

(١) من محفوظات صالح عمر هاشم.

(٢) جاء في كتـاب «الأدب في جنوب البلاد العربية السعودية» للدكتور أبي داهش ص٢٧٦ مانصه: (..وظل الشعراء) بعد ذلك في المخلاف السليماني إلى النصف الأول من القرن الرابع عشر يزاوجون في إنتاجهم الشعري بين التقاليد القديمة لبناء القصيدة وبين النظم الشعرية المستحدثة، ولكن شيئاً من التجديد في بناء القصيدة قد ظهر في شعر بعض الشعراء المقلدين، مثل عقيل بن أحمد الذي يقول في مطلع إحدى قصائده:

دعـنـي من الغـيـد قرت أعـيـن الغـيـد
وقـم نهـنـي إمـــام الحـق بالعـيـد

في حال أن ما أورده في بيتين هو مستهل القصيدة وهو بيت واحد ـ كما رسمناه بأعلى الصفحة في المتن ـ ووثقه في الهامش بقوله: (روى هذه القصيدة محمد عقيل بن أحمد، جازان في جمادى الأولى ١٣٩٩هـ)، وبما أن شيخنا عقيل بن أحمد لم يقل الشعر وهو أكبر من شاعر بعلمه وفضله، فقد أتفقت بمحمد عقيل ابن أحمد مستفسراً عن ذلك، وبسؤاله أجابني ينفي أن يكون نسب البيت أو القصيدة لوالده، وأن المستهل والقصيدة لعبدالرحمن العتمي(١).

وعلى قول الشيخ محمد عقيل يكون أبو داهش روى غير الحقيقة، وسجل غير الواقع، ووثق مالا يصح، وسبق في نفس المصـدر ص ٨٥ أورد اسم عبـدالرحمن العتمي في آخـر الصفحة بقوله: (وعبدالرحمن العتمي.... ١٣٥١ هـ بأبي عريش)، في حال أن الذي كان عاملاً في أبي عريش هو عبدالله العتمي(٢)، لا ابن عمه عبدالرحمن العتمي.

ووثق الرواية تحت رقم ٣ مقابلة شخصية مع إبراهيم محمد المشافع، وأرجح أن صحة الإسم «إبراهيم محمد المشافى»، وإبراهيم محمد المشافى ثقة من طلبة العلم، وإنما أبو داهش يدهش كثيراً ويستعجل ويسجل بخلاف ما يقوله الراوي، كما صنع مع الشيخ محمد عقيل.

---

(١) وذلك بتاريخ ١٤٠٨هـ تقريبا.

(٢) عبدالله العتمي وفد على الإدريسي بعد وفادة ابن عمه عبدالرحمن وتوظف مع الأدارسة، فكان في مدة علي الإدريسي عاملاً في بلاد رجال ألمع وفهمت من القاضي العسيري عبدالله بن جعفر العتمي، الذي كان قاضياً في جازان قبل مدة عندما سألته: من أين دخل عليك لقب العتمي؟ فقال: سميت بـ «عبدالله العتمي» عامل الإدريسي في رجال ألمع.

وبعد عمالته في رجال ألمع، عيّنه الحسن الإدريسي عاملاً في «قنا والبحر» وفي حوالي عام ١٣٤٨ هـ/ ١٩٢٩م كان ـ تقـريبـاً ـ نقـل إلى عمالة أبي عريش ـ انظر المخلاف السليماني ص٩٠٤ جـ٢ وفي مدته ثار أهل أبي عريش عليه وجهز الإدريسي جيشاً عليهم وأعاده على عمالته في أبي عريش، ومكث على ذلك حتى قامت الثورة، وتوجه من أبي عريش إلى جازان، وفي أثناء الثورة توجه إلى أبي عريش ـ أنظر المخلاف السليماني ص ١١٥ وص ١١٨ أيضاً تحت عنوان «حياة القاضي عبدالله العتمي ومأساة قتله»، جـ ٢ تأليف العقيلي.

وقال الشيخ محمد حيدر راثياً أخاه
ناصر بن حيدر

لقد فت جسمي من رزيات لم تدع
حقوقاً لأهل الفضل بل فرقت جمعا
أخي وشقيقي وابن أمي ووالدي
ودرعي إذا ضاقت بأهل الدنا ذرعا؟
نشا في طلاب العلم في خير هجرة
بضحيان حي ربعهم حيه ربعا
وثنى إلى الأهنوم عزماً وهمة
وخالف قول العادل المبتغي طبعا
أناصر يا ابن الطهر من آل هاشم
فقدناك يا مولاي هل نرتجي رجعا



الفصل الرابع

الاحتفالات في العهد الإدريسي

كانت هناك إحتفالات رئيسية تقام:

١ ـ في عيد الفطر المبارك وهي تقتصر على الخطابة وإنشاد الشعر في القصر الرسمي بصبيا أو جازان حسب إقامة الإدريسي.

٢ ـ في عيد الأضحى المبارك وهي تقتصر على الخطابة وإنشاد الشعر في القصر الرسمي بصبيا أو جازان حسب إقامة الإدريسي.

٣ ـ الحول السنوي أو بالتعبير العصري «الذكرى السنوية» لوفاة الشيخ أحمد ابن إدريس.

وها نحن نورد وصف تلك الإحتفالات عمن شاهدوها واشتركوا فيها مثل محمد ابن أحمد بن علي البهكلي الكاتب الخاص للإمام الحسن الإدريسي المتوفى سنة ١٣٦٥هـ ـ ١٩٤٦م ـ تقريبا ـ وعن حسن أبو طالب بهكلي المتوفى سنة ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠م ـ تقريباً، وهو الذي وصف لي حفلة الحول وصفا مشاهدا بالعيان، وبطبيعة الحال نورد لكم الوصف للحفل بالتعبير المناسب للمقام.

أولًا: حفل العيدين، الفطر والأضحى:

يخرج الإدريسي صباحاً إلى مصلى العيد في مدينة صبيا القديمة في الوادي اليماني وبعد ذلك في صبيا الإدريسية الجديدة في جنوب غرب المدينة وفي الغالب يمتَطي بغلة فارهة يحف به الوزراء والمشايخ والقادة والحاشية وتدق الطبول ويرفع العلم الإدريسي على رأسه، وكان لون العلم الإدريسي اللون الأخضر مكتوباً عليه **(لا إله إلا الله محمد رسول الله في كل لمحة ونفس ما وسعه علم الله)** وفي الغالب ينشد الحرس والجنود زفة كلماتها:

(تحت بيرق سيدي سمعا وطاعة) وكل ما مر الموكب على جماعة هتفت.. واهدياه، فإذا أقبل الموكب على المصلى المحتشد بالناس هب من في المصلى وقوفاً هاتفين: واهدياه واهادياه..فيتجاوب معهم كل من في الموكب بنفس الشعار، ويترجل الإدريسي ماشيا يحف به الوزراء إلى أن يقف وراء الإمام، فتقام الصلاة وبعدها الخطبة، وينصرف الإدريسي في موكبه إلى القصر ويستقبل في مجلسه والوزراء حوله ورؤساء الحاشية والمشايخ وقوفاً وعندما يغص المجلس بالجمع

يتنـاوب الخـطباء والشعراء، ففي حفل صبيا يقف الفقيه أحمد الزبيدي ويلقي خطبته وغالباً تكون دينية، ثم الشاعر محمد بن إبراهيم الحشيبري يلقي قصيدته الحولية ثم بعد ذلك من يحضر من الوفود ثم كاتب الإدريسي الخاص الشاعر عبدالرحمن العتمي يلقي قصيدته وينتهي بذلك الحفل.

أما في جازان الذي كان الإدريسي في آخر عهده يفضل الإقامة بها كثيرا وكانت الإمارة قد توسعت وكثر الوافدون من الشعراء وكذا من قضاة المنطقة، وكانت تقام صلاة العيد في الفضاء الشرقي الملاصق لقصر الإدريسي والذي موقعه في الوقت الحاضر هو المسجد الجامع المعروف باسم مسجد الملك سعود.

وفي نفس الموكب وعلى الهيئة السابقة وبعد انتهاء الصلاة يعود إلى القصر، وهناك يتبارى الشعراء ومنهم عبدالرحمن العتمي والشيخ عبدالله العمودي والشيخ صالح الصيلمي وعلي بن محمـد السنـوسي وغيـرهم، وبعـد الانتهاء يتناقش الحضور حول ما يلاحظ على القصائد نقاشاً أدبياً إن حصل ما يوجب ذلك، ثم ينصرف الناس جميعا.

ثانياً: أما حفل الحول فيتقاطر الوافدون إليه من رجال ألمع في الشمال إلى جبال ريمه وعبال وبني سعد في المرتفعات الجنوبية ومن جنوب مدينة الحديدة إلى بلدة البرك في الشمال. وفي اليوم المخصص للحول في رجب في صبيا تفرش مساحة القصر بالحصر والفرش ويبدأ حضور الناس بعد صلاة العشاء ولا يزالون في الانتظار واكتمال الحضور، وفي نصف الليل يحضر الإدريسي ويتصدر الحفل وحوله الوزراء والأمراء والقادة وكبار شيوخ المنطقة وكبار الضيوف الوافدين من أنحاء المملكة ويفتتح الحفل بتلاوة آيات من الكتاب الكريم بصوت الفقيه أحمد الزبيـدي مقـرىء الإدريسي ويليـه المنشدان إبراهيم بن يحيى قلم، وإبراهيم حسين عذيق ويتغنيان بقصيدة البردة أو الهمزية، وبعد ذلك تقرأ مناقب الشيخ أحمد بن إدريس ومآثره، ثم تمد الموائد ويتناول القوم طعام الحفل وقد ذهب من الليل أكثره، وتنصرف الجموع، ويعتبر هذا الحفل من أهم الاحتفالات الرسمية في العهد الإدريسي وقد استمرت في عهد على الإدريسي الإبن، وبعده في عهد الحسن الإدريسي شقيق الإمام الأول وعم الأخير.

الأدب والشعر في عهدي
علي الإدريسي وعمه الحسن الإدريسي
والحالة الاقتصادية والإدارية والاجتماعية

بطبيعـة الحـال أن أميـراً جديداً يتولى خلفاً لوالده أن يعزى بوالده ويُهنَّى بإرتقائه عرش الإمارة وبالأخص أن الشعراء الذين مدحوا والده وَرثوه هم على قيد الحياة، وإنما لم نعثر على شيء بقدر ما حاولنا ذلك وقد يكون لديهم شيء فأخفوه نظراً لتغير الظروف(١).

وهنـاك ديـوان للشيـخ العمـودي قد يكون فيه شيء من المراثي والمدائح وسنحاول جاهدين الحصول ولو على نقولات من ورثته، وقد أوعدني ورثة يحيى ابن خميس الصوري - وهو من أدباء ذلك الرعيل - موافاتي بما لديهم وتأخروا.

تولى الحسـن الإدريـسي الإمـارة(٢) في حوالي النصف الأخيـر من عام ١٣٤٤هـ - ١٩٢٥ م ولم تكن الحالة تشجع على القول، لا شعراً ولا نثراً. وإن كان وجد مثل ذلك فلم نعثر عليه.

وفي منتصف سنة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨م - تقريباً - وصل أول مندوب سعودي هو صالح بن عبدالواحد - من أهل الدرعية - وكان الأمر قد تردى والطرق مَخُوفة في المنطقة، والأعمال شبه متوقفة والتجارة شبه كاسدة ما عدا تجارة محمد يحيى باصهي، الذي بعد وصوله من المنفى مع زملائه من الوزراء بدأ نشاطه التجاري نسبياً، يَرفِدُه في ذلك تجاربه العملية ومكانته الإجتماعية، وهناك أفراد على عدد الأصابع يمتهنون التجارة، وبالأخص بين عدن وصبيا، وأبي عريش في المواسم كالعيدين وغيرهم، مع قلة في الإمكانيات.

وليس في البلاد صناعة ولا تجارة - بمعروفها الحاضر - ولا وظائف ولا جيش ولا قوة أمن ولا محاكم شرعية، ما عدا محكمة واحدة في العاصمة صبيا، يتولى القضاء بها محمد عبدالله مبجر السمان ومقرها في عريش من القش وهو القاضي والكاتب ولا موظفين لديه إلا مُحضراً واحداً، ونفس الحالة في محكمة جازان.

---

(١) انظر الفصل الرابع عشر من كتابنا المخلاف السليماني جـ٢ ص ٩٠٠.

(٢) المخلاف السلمياني جـ٢ ص ٩٠٤.

أمـا الزراعـة فهي قائمـة على ري السيـول متى ما انهمـرت الأمطار على المرتفعات وتتكون المساحات الزراعية من ملكيات صغيرة ـ في الغالب ـ بحيث لا يعـدم فرد من الأفراد من قطعة صغيرة بالتملك في الأكثر وبالإستئجار في الأقل، وهناك أسر في المنطقة ـ عموماً ـ تَمْلِك مساحات متوسطة أكثرها بالتوارث وأقلها بالكسب الشخصي ما عدا أملاك واسعة، الأكثرية لمحمد يحيى باصهي، وفي الدرجة الثانية يحيى زكري وكان لشبه الصناعة حركة ورواج في صبيا، وفي الدرجـة الثـانية للصباغة التي تعمل من أوراق نبتة تسمى «الحِوَر» تزرع في المنـطقـة، ويضاف إليها صبغة خارجية تسمى «الجرملية»، أما الأقمشة التي تصبغ فهي من الأقمشة البيضاء المستوردة، وبعد صبغها تصدر إلى المرتفعات الجبلية وإلى عسير وشهران وبني شهر.

وعمـاد الأقـوات المـزروعة محلياً من الذرة الرفيعة الحمراء والبيضاء والدخن والسمسم الذي يعصر محلياً ويستخرج منه الزيت، ومن الدهون الحيوانية والعسل المستورد من عسير في الأقل والمحصولات الزراعية تستهلك محلياً ويصدر الأقل إلى الحجاز ومصوَّع، وتأتي بعد ذلك تجارة الأدم ـ الجلود ـ ويكاد أن يحتكر تجارتها محمد يحيى باصهي، وهي من جلود الضأن والماعز، أما جلود الأبقار فأقل، وتصدر إلى مصوع، وكيفية عملية صناعة الجلود: فبعد سلخها مباشرة تملح وتجفف في الشمس على حبال أو على الأرض أو أسطح المنازل وبعد أن تجف تعبى وتغلف في طرود وتصدر على الجمال إلى جازان، ومنها تشحن في السفن، وتأتي بعد ذلك تجارة المواشي من الإبل والحمير والضأن والماعز ومع ذلك فهذه الحيوانات هي الوسيلة الوحيدة للمواصلات والنقل والمحلات المتقاربة في البادية تقطع مشياً على الأقدام، أما السيارات فكان لا توجد إلا سيارة واحدة أو سيـارتين للإدريسي، وفي آخـر الخمسينـات استورد باصهي سيارة واحدة لإستعماله الخاص.

وتستورد البضائع للإستهلاك والكماليات مثل الأقمشة بكافة أنواعها والسكر والدقيق والأرز والأفاوية الهندية والعود والعطور وكل المستلزمات من الكماليات تستورد من عدن على السفن الشراعية ما عدا باخرة واحدة في الشهر تصل من عدن، ويلي عدن في الإستيراد ميناء مصوع ـ ميناء المستعمرة الإيطالية آنذاك ـ والأسواق الدائمة متواجدة أكبرها في:

١ ـ صبيا
٢ ـ أبو عريش
٣ ـ بيش
٤ ـ أم الخشب
٥ ـ صامطة.

وهناك أسواق أسبوعية أكبرها سوق صبيا الثلاثاء، ويليه سوق الأحد بالمسارحة يوم الأحد، وسوق أبي عريش يوم الأربعاء، وسوق صامطة يوم الاثنين، فسوق عيبان الخميس، سوق الحُرَّث الخميس، سوق العارضة يوم الجمعة ويليه سوق هروب أما سوق بيش ـ أم الخشب ـ الأسبوعي فإنه لم يتأسس إلا في عام ١٣٥٢ هـ.

وبوصول المندوب السعودي ومعه نحو ثلاثين خويا ـ جندي ـ جعل إقامته في صبيا نحو شهر ثم اتخذ جازان مركزاً لإقامته وشرع في توظيف بعض الأهالي، فانتعشت الحالة الإقتصادية نوعا ما، فإن سيولة رواتب نحو خمسين أو ستين موظفاً كان لها بعض المردود اليسير يضاف على ذلك إستقرار الأمن بوصول المندوب السعودي، وتأمين المواصلات بين البلدان كان له دوره في الإنعاش الاقتصادي.

وفي سنة ١٣٤٨ هـ ـ ١٩٢٠ م طلب الإدريسي من ابن سعود الإشراف على الإدارة المالية في المنطقة، فبعثت وزارة المالية السعودية أحد موظفيها المسمى «حمد العبدلي» كمندوب مالي، فنظم الجمارك في جازان والمضايا والشقيق والقحمة وإدارات جباية في البلدان، واستعان بموظفين وطنيين لإشغال تلك الوظائف وتعيين حراس لكل إدارة، فعادت الرواتب التي لم تكن من قبل مما وفرته الحاصلات، يضاف إلى ذلك الإعانة التي خصصتها الحكومة السعودية لسد العجز في الواردات فأصبح ما يصرف من الرواتب معينا من السيولة يحرك السوق نسبياً وكان قبل ذلك لا وظائف ولا موظفين، ما عدا كاتباً واحداً لدى الحسن هو القاضي محمد بن أحمد بن علي بهكلي وثلاثة موظفين في جمرك جازان، وموظف جمرك المضايا، وموظف في جمرك الشقيق، فأين هذا من ذلك الذي طرأ، فالرواتب التي تصرف تتحول إلى مشتروات من السوق، وتجلب بها البضائع تُرسَّم وتعود بحاصلات للدولة تصرف منها رواتب ثم تأخذ دورتها في السوق مرة أخرى.

كل ذلك عاد بالمردود الإقتصادي، وكان هناك بالأسواق الأسبوعية حركة تجددت ببعض المنتوجات من عسير وبيشة وبارق إلى سوق صبيا، وأكثر نواحي تلك الجهات من التمور والسمن والعسل والأدم، كما يورد من الحزون الشرقية الشقار والسلَب، وهي مواد نباتية من الأشجار المحلية تستعمل للحبال وحُجز الجمال وخياطة المواعين منها ومن الطفي[1]: وهو خوص الدوم الذي كان لمشغولاته رواج، في المنطقة، فمنه تصنع الزنابيل والمراوح والحصر والمهاجين والمصارف والعجار وأشياء أخرى كثيرة، ويصدر كثير منه ومن السلب والشقار إلى تهامة اليمن وإلى الخارج، فازدادت الحركة الإقتصادية وتبادل الأخذ والعطاء.

وفي سنة ١٣٤٩ هـ ـ ١٩٣٠م احتاجت الإدارة المالية للتنظيم وموظفين متمرنين على طريقة إدارات المالية الحديثة فأرسلت الحكومة السعودية رئيس مالية هو الشيخ عبدالله قاضي مع نحو خمسة وثلاثين موظفاً استوعبتهم الوظائف المحلية مع الموظفين السابقين كما نظمت إدارة مالية للحسن في صبيا لصرف مقرراته والعوائد والمقررات للمشايخ والوجهاء، تصرف شهرياً بدون تأخير، وكانت إلى عام ١٣٤٧ هـ ـ ١٩٢٨م، تصرف بالصدفة متى توفرت الحاصلات وكان يمضي شهران أو ثلاثة بدون صرف فأصبحت عام ١٣٤٨ هـ ـ ١٩٢٩ م تصرف شهرياً بدون تأخير من الحاصلات المحلية وما نَقص تُغَطيه الإعانة الشهرية من الحجاز، وبذلك تأمنت المعيشة للكثير واستقرت الحالة النفسية مما أتاح وقتا من الفراغ للموظف وغير الموظف للتطلع من وراء ذلك الفراغ النسبي إلى المطالعة وتوسيع المدارك فقام بعض شباب جازان ـ آنذاك ـ مثل عبد القادر علاقي وعمر صالح[2] وعيسى فتح الدين عقيلي وأبو بكر ياسين وعبده سويد وعلي بن أحمد الفقيه وعلي محمد صالح عبدالحق ومحمد زارع عقيل وطاهر أحمد طاهر زيلع وغيره[3].

كما أمر الإدريسي بتسجيل عدد من الطلبة من ضمد وبعض قرى المخلاف للإنتظام في الدراسة في شبه مدرسة يقوم في التدريس بها بعض القضاة من أهل المنطقة، وقرر لكل طالب أسبوعياً نصف صاع من الطعام وريالين[4] كما

---

(١) الخوص من سعف النخيل.

(٢) عرفت منه أن له كتاب صغير بعنوان (فتح الكادي في أخبار جيزان الوادي).

(٣) من رواية الأستاذ عبدالقادر علاقي.

(٤) كما أخبرني بذلك الشيخ أحمد بن حسن العاكشي وكان هو من جملة الطلبة.

انتظم بعض طلبة أبو عريش لدى الشيخ عبدالله العمودي بأبي عريش وكان لمكي ابن يحيى زكري ميول أدبية دفعته إلى اقتناء بعض الكتب الأدبية والروايات المصرية والمترجمة، وبعض المؤلفات لزكي مبارك والمنفلوطي، وكان يتيح للإعارة والمطالعة في نطاق ضيق، كما أن مكتبة محمد يحيى باصهي - التي أشرنا إليها قبله - كانت متاحة للمطالعين على قلتهم، وجاء انتقال محمد أمين الشنقيطي من جازان إلى صبيا كمستشار للحسن ثم وصول شخص يسمى «محمد بن محمد الشنقيطي» باسم مدرس لأبناء الإدريسي، وكذلك وصول الشيخ أحمد الأهدل - الذي كان قاضياً في البرك - إلى صبيا، وذلك في عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠ م، وهو على جانب من الأدب والمحفوظات، وقد درست على يده أنا - المؤلف - ويحيى باصهي، علاوة على دراستنا لدى الأستاذ محمد خميس باجبير المدرس الخاص لأولاد باصهي.

وقبل ذلك توجه من شباب المنطقة عدد إلى صنعا لطلب العلم منهم من قرية الظبية حسن أبو شريفة الحازمي، ومن ضمد يحيى بن موسى بن عباس الحازمي ومن الحسيني إدريس الحازمي، ومن قرية الواسط سلطان الحفاف، وغيرهم وعادوا إلى الوطن بعد ذلك، وتلاهم في عام ١٣٥٢ هـ جماعة أخرى منهم: أحمد عبدالفتاح الحازمي من قرية العريش، ومحمد عثمان الجوحلي وغيرهم.

(النشاط الأدبي لتلك الفترة من عهد الحسن الإدريسي)

كان في الأعياد يتقدم الشيخ عبدالله العمودي لإلقاء قصيدة في كل من عيدي الفطر والأضحى في صبيا.

وكان الأديب يحيى بن خميس الصوري بدوره يلقي قصيدة في أحد العيدين وكذا علي بن محمد السنوسي، وإنما الآخران كانا يتوجهان من جازان ثالث يوم العيد أو رابعه لأن علي بن محمد السنوسي في أول يوم من كل عيد يلقي في جازان قصيدة بين يدي المندوب السعودي، وأخرى بين يدي محمد العربي الإدريسي، وثالثة بين يدي العابد الإدريسي، وكلهم في جازان.

---

(٣) أنظر كتابنا المخلاف السليماني ص ٩١٥ جـ٢.

هذا هو ما استقيناه عن النشاط الأدبي والحركة الفكرية، وفي آخر عام ١٣٤٨ هـ انتقل محمد أمين الشنقيطي من جازان إلى صبيا[١] وأسكنه الحسن الإدريسي ببيت محمد موسى الصم في المركز الشامي، وكان له مجلس تدور فيه المذاكرة الأدبية واللغوية.

وفي تلك الأثناء نشطت دعاية الحزب الدباغي[٢] وأخذ محمد أمين في إنشاء القصائد التحريضية يغلفها بالأسلوب الهزلي الرمزي، فقد أنشأ قصيدة معارضة لقصيدة ابن النحاس التي مستهلها:

بات ساجي الطرف والشوق يلح
والدجى إن غاب جنح يأتي جنح

ومن القصيدة المعارضة لم يحفظ الراوي إلا هذا البيت:

ليت ماضي دهرنا مستقبل
وسحاب الكرب من ذا الغيم يصحو

كما أنشأ قصيدة أخرى هزلية يعرض فيها بالأمير محمد العربي الإدريسي الذي قد منحه الحسن رسوم الصيدية ـ رسوم السمك ـ ومنها هذه الأبيات التي حفظت:

من كان همته تشييد مملكة
فإن همتنا في الفول والروتي[٣]
أو كان مطمحه مجد يشيده
فنحن قوم نبيع المجد بالحوت
أبطالنا كل سماك[٤] ومحتسب
يخاف في الليل أن يسري على البوت[٥]

وهذا ما حفظ من القصيدة[٦].

---

(١) كما سبق قبله في ص ٩٤٣

(٢) أنظر المخلاف السليماني ص ٩٣٦ جـ٢ وما بعده عن تلك الحركة الفاشلة والتي كانت تسمى بـ «حركة الحزب الدباغي» وأخرى باسم الحزب الشريفي».

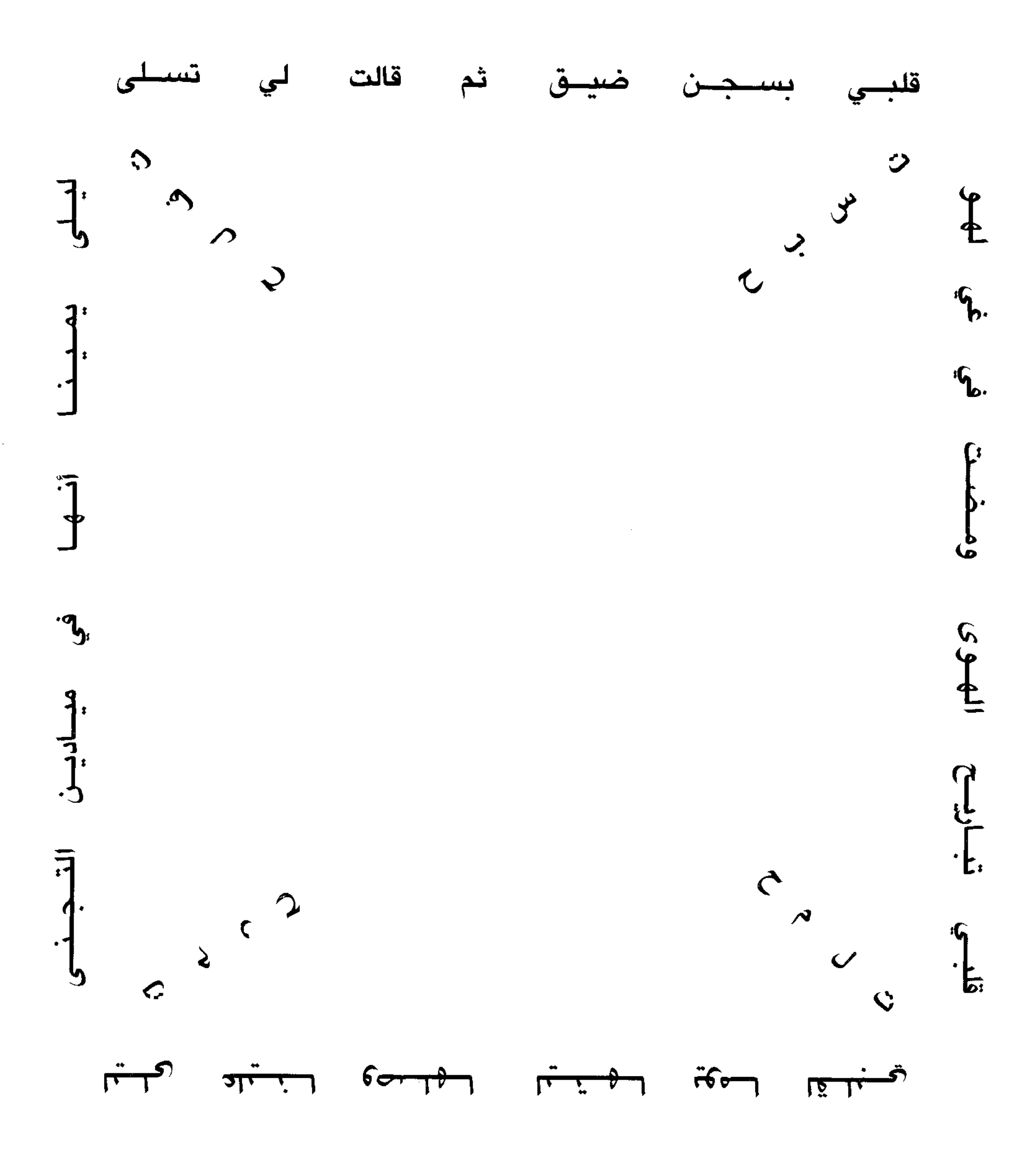
(٣) الخبز: وأرجح أن الكلمة تركية.

(٤) الصياد

(٥) الزورق.

(٦) من رواية الشيخ عمر صالح هاشم ـ رحمه الله.

وفي تلك الأثنــاء كان على إمارة صبيا محمد الحجازي العتيبي، وكان على فظاظته وتغطرسه يلم ببعض الآداب، فبعث إلى محمد أمين الشنقيطي بن محمد زيدان بالأبيات المربعة التي تقرأ طرداً وعكسا، وهي:



فأجاب عليه محمد أمين الشنقيطي بالمربع الآتي:

المجد من العرب فتى ساد سادات الورى فينا

نجح للمنى في قومه وحسام في يد العليا

تحنو لها هام العلى ضمن التاريخ منهن ال[1]

ملك عبدالعزيز خادم البيت وكأسه

---

(١) من رواية الشيخ حسن بن عبدالرحمن بن ظافر النعمي، والأستاذ محمد صالح باقديم.

عادات المجتمع في المخلاف السليماني
قبل العهد الادريسي وأثناءه

أوردنا في كتابنا الأدب الشعبي ما يأتي:

١ ـ العادات وتقاليد الرقص[١] واللعب من صـ ٢٤ إلى صـ ٢٧.

٢ ـ حفلات الختان من صـ ٢٨ إلى صـ ٣٢.

٣ ـ تقاليد الزواج من صـ ٣٣ إلى صـ ٣٥.

٤ ـ تقاليد السماية صـ ٣٦.

٥ ـ اللباس صـ ٣٧، صـ ٣٨.

٦ ـ الطعام وطبخه وأنواعه صـ ٣٩ إلى صـ ٤٠

٧ ـ الألعاب الشعبية من صـ ٤١ إلى صـ ٤٧.

٨ ـ ألعاب التسلية صـ ٤٨[٢].

وحفظنا بذلك للأجيال صورة من عادات وتقاليد المجتمع في المخلاف السليماني من قبل العهد الإدريسي وأثناء العهد الإدريسي.

أما كيفية التحية والسلام، فقد أشرنا إلى ذلك إشارة عابرة، ونوضحها هنا على الوجه الآتي:

كلمة «السلام عليكم» هي تحية الإسلام في عموم البلاد الإسلامية والعربية وإنما لكل منطقة بعد التحية الإسلامية خصوصيات للتحية تتميز بها.

في الصباح يقول القادم: «السلام عليكم» ثم «صبحكم الله بالخير» أو يختصرها بقوله: «أصبحتم»، والإختصار من عادات العرب.

وفي القيلولة يقول: «ما قيلتم» وهي إختصار لجملة محذوفة.

وفي المساء «أمسيتم» وهي اختصار لكلمة «مساكم الله بالخير».

أما كيفية آداب المقابلة فالشائع الأعم:

١ ـ أن يقبل الصغير رأس الكبير.

٢ ـ الندان يتصافحان ثم يقبل أحدهم يد الآخر إذا كان أكبر منه سنا أو مكانة،

---

(١) أنظر شكل رقم (١) عن أحد الرقصات الشعبية.

(٢) كتاب «الأدب الشعبي في الجنوب جـ١ للمؤلف.

وبدور الثاني يقبل يد الآخر.

٣ - في العهد الإدريسي وما كان يشوبه من أدب التصوف والتبرك أصبحت تقبيل اليد أو الركبة للأسر الحاكمة ومن انتمى إليهم، من آداب تلك الأسر أما الأكثرية مع بعضها على ما وضحنا بعاليه.

المنزل

العشة: هو الاسم المعروف للمنزل الشعبي(١).

تبنى المنازل الشعبية من الأدوات المحلية - فروع الأشجار والحشيش والحبال من الطفي والمشل والمرخ - ويتكون المنزل من عشة بحسب مكانة رب الأسرة وحالته الإقتصادية، وتلاط العشة من الداخل بالطين المختلط بروث الأبقار ويسمى «الضفاع»، بعد أن تحشى ويسوى ما بين العيدان بحشو حزمات صغيرة من قصب الذرة أو أي مادة أخرى، فتصبح جوانب العشة من أعلاها إلى أسفلها صفحة متساوية لا نتوء فيها ولا بروز، ثم تبيض بالنوره - الجير - وبعضهم يضيف إلي تحسينها نقوش بسيطة بالبويات(٢) - الأصبغة - وتوضع في داخل العشة رفوف يوضع فيها أواني الزينة من الصيني وغيره، كما توضع مسامير تعلق فيها صحون من التنك المنقوش تستورد من الهند، فإذا هبت الريح تحركت الصحون التنك الصغيرة فتسمع لها زجلا موسيقياً وبطبيعة الحال تلاط أرضية العشة بالطين.

ومساحة العشة دائرة تتسع لعشر سرر متوسطة وتحتها عشر سرر صغيرة وتصغر أو تكبر مساحتها حسب حالة الشخص ومقدرته، فقد تكون العشة من سعة العشر سرر أو أقل من ذلك حتى أربع سرر.

ويكون للعشة - في الغالب - بابان، أحدهما جنوبي أو شمالي والآخر غربي بصورة مستمرة، وعلى يمين الداخل من الباب الجنوبي توضع «دكة» لها ثلاث درجات بإرتفاع متر وطول متر، وفي الدرج الأول ثلاث مواقد، وفي الدرج الثاني صف من الجبان، وهي أباريق القهوة المتوسطة، وفي الدرج الثالث صف من الجبان من النوع الكبير، وهي توضع للزينة، ولا تستعمل إلا في مناسبات طارئة، وتسمى الدكة - على وجه العموم - «مركب» وتجمع على «مراكبه».

---

(١) أنظر شكل رقم (٢) للعشة.

(٢) انظر شكل رقم ١٥، ١٦ عن فن النقش داخل وخارج المنازل.

أثاث العشة:

صف من السرر المتوسطة المصنعة محلياً من خشب السدر وتعمل لها شبكة من الحبال المصنوعة من سعف الدوم وتسمى «حبله» ـ بكسر الحاء ـ ويتفنن في صناعة الشبكة حرفيون متخصصون، بحيث تغطي السرر وكأنها مفرشة.

وتصبغ قوائم السرر بالقطران وتزين رؤوس القوائم وأطرافها بصبغة المغراة الحمراء وتسمى تلك السرر «قعايد»(١) جمع قعادة، وتحتها صف آخر من القعايد التي هي دونهـا تسمى «شباري» واحدتها «شبرية»، وهي نفسها تعامل بشبكة الحبلة وصبغة القطران والمغراة.

ونوع آخر من السرر تسمى «كراسي» تتميز عن القعايد بمسند للظهر.

كما أن بابي العشة تطلى بالقطران والمغراة أو البوية، وتوضع أمام الصف الثاني ـ التي هي الشبارى ـ مناضد صغيرة تسمى «تخته» وتجمع على تخوت لوضع فناجين القهوة عليها، وقد تفرش السرر بفرش قطنية تغطى بالألحفة ـ جمع لحاف ـ وعليها الوسائد.

أما فناء العشة فيكون أمام بابي العشة مصطبتين في إرتفاع من ربع متر إلى نصف متر، وبقية الفناء يغطى بالرمل الناعم، وتغرس حول السور أشجار الفل والرمان والتين(٢)، هذا في المدن، أما في القرى فالحالة أقل، كما أن في المدن بيـوت من حجـر بحـوائطها الحجرية(٣)، ويتألف البيت من غرفة واسعة تسمى «مجلس» ويليها غرفة أصغر منها تسمى «بايكه»، والبابان سواء في العشة أو في المجلس ضرورية مع وجود نافذتين أو ثلاث في كل غرفة، والأثاث في البيوت الحجر نفس ما في العشة.

أما في البادية فغالباً ما يكون باب العشة الأول جنوبي أو شمالي يطل على الفضـاء ويسمى «قبـل» ـ بفتـح القـاف ـ والبـاب الغربي يسيج عليه ويسمى «العقاب» وتغرس الشجر حول السياج، ويكون السياج في المدن والقرى والبادية من الشوك ـ شوك شجر السلم ـ.

---

(١) أنظر شكل رقم (٣).
(٢) أنظر شكل رقم (٤).
(٣) أنظر شكل رقم (٥).

المطبخ:

المطبخ يسمى «حيـه» ـ بكسر الحاء وتثقيل الياء وآخره هاء ـ ويتألف المـطبـخ في البيـوت الحجرية من غرفة صغيرة، وفي البيت المكون من العشش من عشة صغيرة تلاط بالطين، ويوضع في الحالتين دكة مبنية على ثلاث تنانير وتسمى «موافيه» واحدتها «ميفا» ـ بكسر الياء ـ وحول الموافيه موقدين أو ثلاثة بحسب حالة الشخص، وتغطى الميفا بإناء خزفي بعد خبيز العيش فيه، أو وضع اللحم بإناء خزفي توضع حوله خرقة مبلولة لكتم الحرارة. وتتألف أدوات المطبخ من ما يأتي:

١ ـ مطحنة حجرية وعليها فهرها[١].

٢ ـ مهجان: خسفة مدورة توضع تحت المطحنة لحفظ الحب المنثور.

٣ ـ مفتة يقرب عليها الطعام وهي من نوع المهجان مدوره وإنما أصغر منه.

٤ ـ **مصرفه**: مروحه مدوره بدون عود يهف بها على النار.

٥ ـ **عدد من البرم**: قدور حجرية متنوعة للطعام، وعدد من «الزنابيل»[٢].
تعمل لمرافق البيت «بعض الصحون والفناجين المستوردة».

٦ ـ **مهرس**: خشبة لفت العيش.

٧ ـ **حيسية**: إناء خزفي لفتيت الذرة مع الحليب ومثلها لوضع معصوب الدقيق فيها والمرسة[٣].

٨ ـ مكانس يدوية لتنظيف الدار وأخرى تسمى «منفلة» لتنظيف المهجان والتنور.

٩ ـ **المنسف**: وهو أداة لتذرية الطعام[٤].

القهوة:

وتتألف من مطبوخ قشر البن مضافاً إليه قليل من الزنجبيل والهيل، ونوع من القهـوة يسمى «مـردوم» وهـذا يضـاف على القشـر كميـة من البن المحمص المطحون، وتصب في إناء فيه فناجيل واحدها فنجان[٥].

والنوعان يستعملان محلا وغير محلا.

---

(١) أنظر الشكل رقم (٧).

(٢) أنظر شكل رقم (٦) ورقم (٩) ورقم (١٣).

(٣) أنظر كتابنا «الأدب الشعبي في الجنوب» جـ ١ صـ ٤٠.

(٤) أنظر شكل رقم (١٠). (٥) أنظر شكل رقم (١١).

الطبخ:

في الغالب الأعم كان الطعام من خبز الذرة المخمر بالبصل والثوم وبعض الملح، أما الإفطار فيتألف من «مغش» وهو إناء حجري يوضع فيه اللحم بعد أن يقطع إلى قطع، ويوضع عليه الملح ويدلى في التنور، ويوضع مع ذلك اللبن الرائب، أو إدام زيت السمسم(١).

أما الغداء فيكون في الغالب بعد صلاة العصر ويسمى «العشى» ويتألف من فتيت الخبز والأرز والمغش أو سمك ـ إن وجد ـ.

آنية الشرب

آنية الشرب: تتألف من «بلبلة»(٢) بضم الباء وسكون اللام وضم الباء الثاني فلام فهاء ـ وهو ما يعرف في الفصحى بـ «الحب» و «الزير» و «الجرار» واحدتها «جرة» وتسمى «كـد»(٣)، وهو إناء بيضاوي الشكل له رقبة قصيرة، وكوز، يجمع على «أكوان» وهو أقل من الشربة الآتية ذكرها الشربة(٤) وتسمى «رجبيه» وتجمع على «رجابى» وتستعمل لتبريد الماء هي والأكواز.

الصحفة: تجمع على «صحاف» وهي إناء خشبي يطلى بالقطران يستعمل لشرب الماء.

---

(١) أنظر شكل رقم(١٢).

(٢) و (٣) أنظر شكل رقم (١٤).

(٤) انظر شكل رقم (٨).

مياه الشرب

جازان:

كان مورد ماء جازان (الحفائر)، وهي على بعد خمس كيلو مترات من قلب المدينة، تحفر «حاسي» فيها على عمق مترين أو متر ونصف، ويمتح منها ماء قليل الحلاوة أقرب إلى الملوحة.

وعندما زادت ملوحتها في أول العهد السعودي حفرت بئر قرب الخرادلة وسميت «العميرية» نسبة إلى الشخص الذي حفرها، فكانت تستقي جازان منها، وعمرت حولها قرية وسميت «العميرية»، ويجلب الماء إلى المدينة على جمال في صفائح الغاز، وإذا وقع مطر سبب زلق في السبخة تعيق الجمال في السير فتصبح المدينة في شبه حصار، فيتحولون إلى سد شرق مركز خفر السواحل الحالي، وسد آخر كان يتجمع خلفه الماء، وهو غرب فندق الشيخ محمد السديري الحالي[١].

وظلت الحالة على ذلك إلى عهد الملك سعود، فتقدم محمد سعيد بامهير بطلب امتياز لجلب الماء في مواسير من قرية «منسية» ثم عدل عنها وحفر في قرية «الريان»، وتم ذلك ومدت المواسير إلى المدينة، ودخل الماء كل بيت.

وعندما وصل الملك سعود في ١٧/٢/١٣٧٤ هـ إلى جازان عوض بامهير عن مجهوده وجعلها وقفا لله وشكل لها إدارة باسم إدارة العين تتولى صيانتها والأمر جاري إلى هذا التاريخ.

صبيـــا:

كانت تستقي مدينة صبيا من أربع آبار رئيسية أهمها بئر «المنسكى» في الوادي اليمـاني أمام مسجد العقالية، والأخرى قرب طريق صبيا/ أبي عريش القديمة واسمها «بئر الشاذلي»، وثالثة في الوادي الشامي شرق شمال المدينة اسمها «الشريفية» والرابعة في الزاوية الشمالية الغربية للمدينة وتسمى «بئر الموابلة». وعندما وصل الملك سعود في ١٥/٢/١٣٧٤ هـ أمر بحفر بئر إرتوازية وعمل خزانات وتستقي منها المدينة إلى الآن ودخل الماء إلى كل بيت.

أبو عريش:

أما أبو عريش فقد تأخر الأمر، وفي حوالي سنة ١٣٨٠ هـ أمرت الحكومة بحفر

---

(١) أشرنا إلى ذلك في كتابنا «المخلاف السليماني».

بئر إرتوازية وعمل خزانات ومد مواسير، ودخل الماء إلى كل بيت.

ومن بعد ذلك أخذت الحكومة في حفر الآبار الإرتوازية وإقامة الخزانات وتمديد المواسير في بلدان وقرى عموم المنطقة، ولم يبق حاجة إلى الآبار التقليدية.

العمران في المدن:

كما سبق الإشارة أنه كانت العشاس في عموم القرى في أكثر المنطقة ففي مدينة جازان كان ثلث مباني المدينة من الحجر وثلثان من العشش، وقد لمح إلى ذلك الرحالة العربي أمين الريحاني، الذي زار المنطقة عام ١٣٤١ هـ ـ تقريبا ـ، وإلى عام ١٣٧٠ هـ كان لا يوجد في المدينة بيت مؤلف من طابقين، وإن كان العشاش أخذت في الإنقراض، والمباني الحجر من طابق واحد ـ كما وصفناها قبله ـ والمنزل الوحيد في جازان قصر صغير عند مسجد الخضير من مخلفات الأتراك.

وبعد ذلك بنى البنك الأهلي في أرض للأوقاف عمارة من طابقين، كما بنت الحكومة دائرة صغيرة للشرطة مؤلفة من طابقين.

ولا نطيل على القارىء الكريم، فجازان التي كانت مساحة عمرانها ٦٠٠ × ٦٠٠ متر، أصبحت من التاريخ السابق تتقدم في العمران في السبخة بعد أن ضاقت المنطقة التي داخل الجبال بالسكان، وأصبحت الآن ٧٠٠٠ × ١٠٠٠٠ متراً ـ تقريباً ـ، والسبخة أصبحت مزروعة بالعمائر ذات الطابقين والثلاثة الطوابق على الطراز الحديث تتخللها الشوارع الفسيحة التي تتراوح في عرضها ما بين ٢٥، ٣٠ متر، والشوارع مشجرة ويغمر المدينة أضواء الكهرباء ليلا.

وبدلا من الأسرة القديمة أصبحت العمائر مفروشةمنضدة بالكنبات[(١)] الحديثة، وغرف وأسرة النوم، والمرافق والأدوات الصحية والهاتف في كل دار، حتى في المدن وبعض البلدان والقرى، فأصبحت الطرق المسفلتة تمتد من جازان إلى بني مالك شرقاً وجنوباً من الموسم إلى القحمة شمالا.

وهذه ملامح وخطوط للعمران ليقارن القارىء بين الماضي والحاضر.

---

(١) كنب : كنبت يداه: غلظتا من العمل: قال دريد بن الصمة:

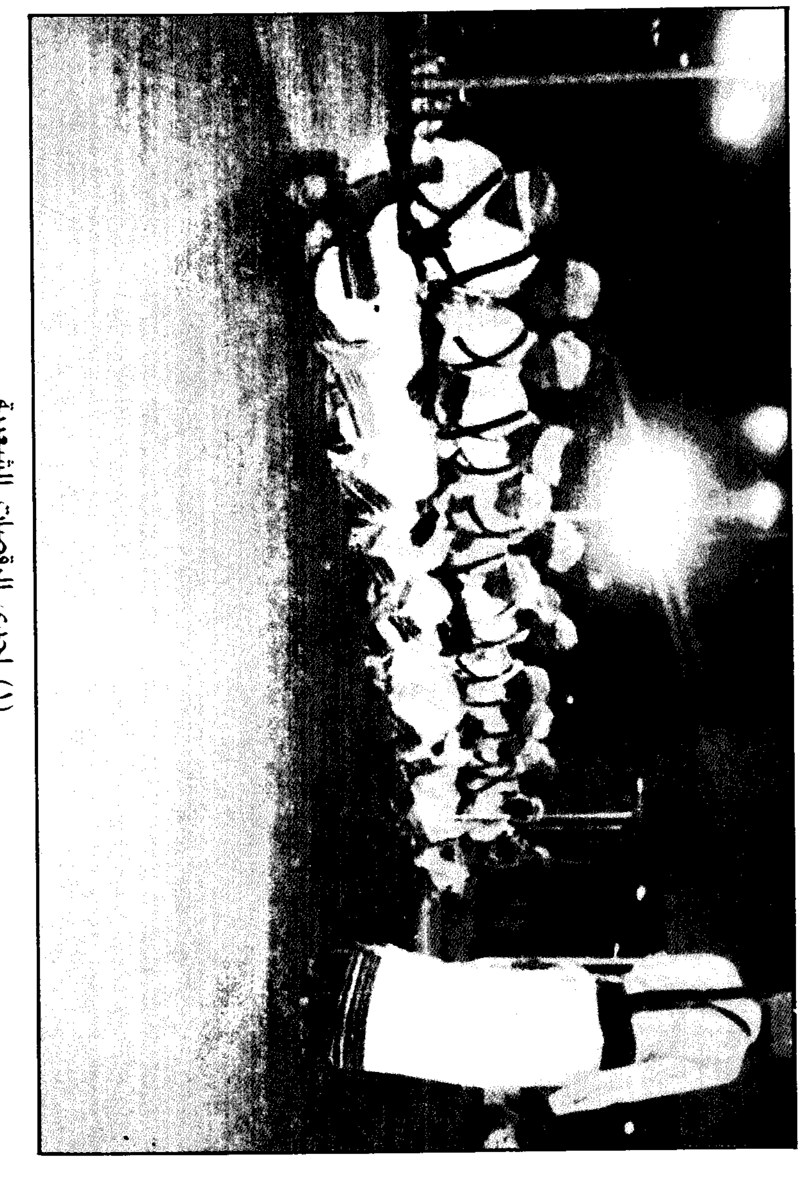
(وأنـــت امــرؤ جعــد القفــا متعكس   مـن الأقـط الحـولى شبعـان كانــب)

وفي الصحاح : كنبت وأكنبت : غلظت اليد. وأنشد :

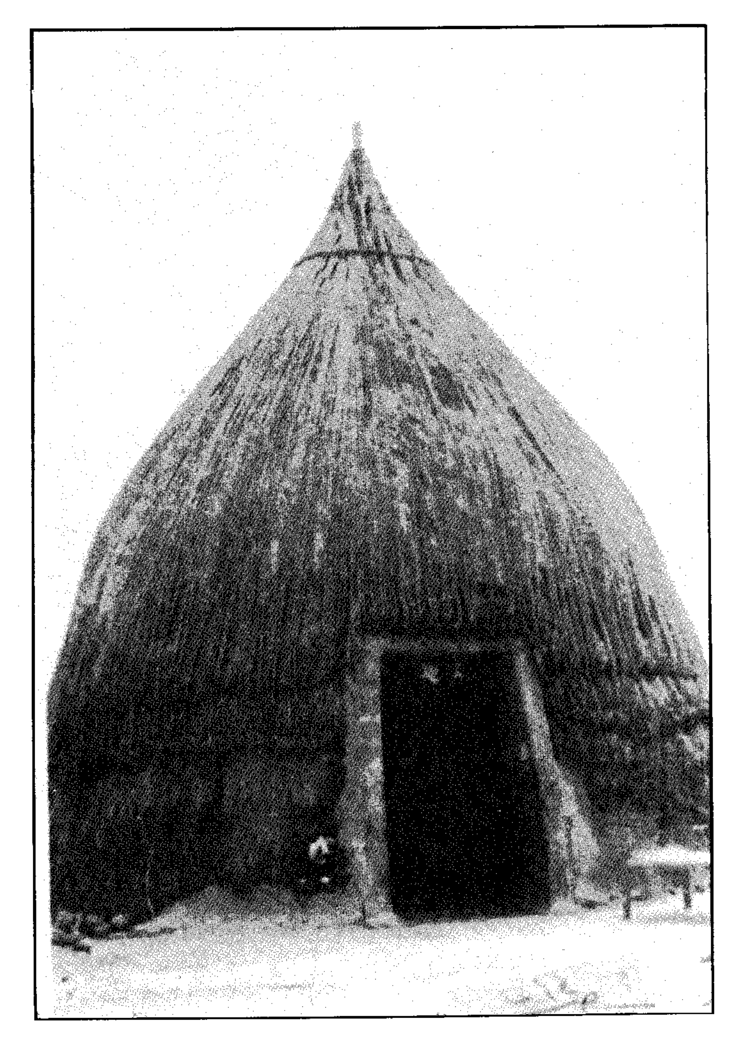
(قد أكنبت يداه بعـد لـيـن   وبعـد دهـن البـان والمضمـون)

(وهمتـا بالصبــر والمـــرون)

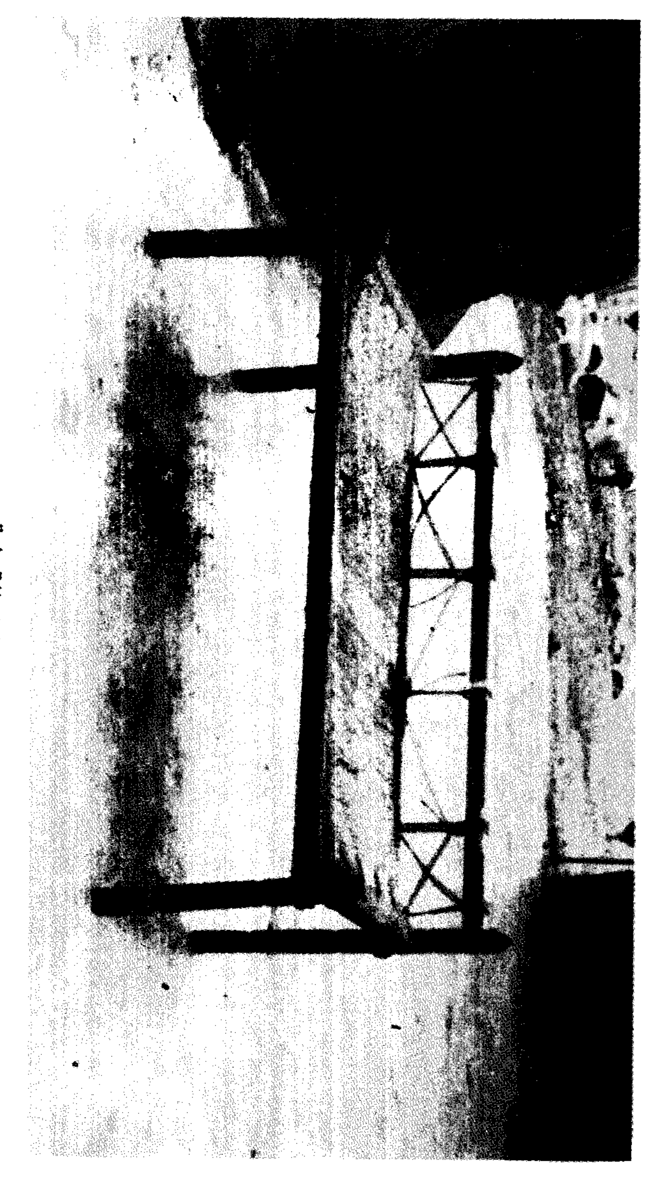
أما بالمصطلح العصري في ملحق لسان العرب «المصطلحات العلمية والفنية» شرح فوق صورة (الكنبة) الكرسي الحديث «كنبة معربة مقابل (F) Canape .



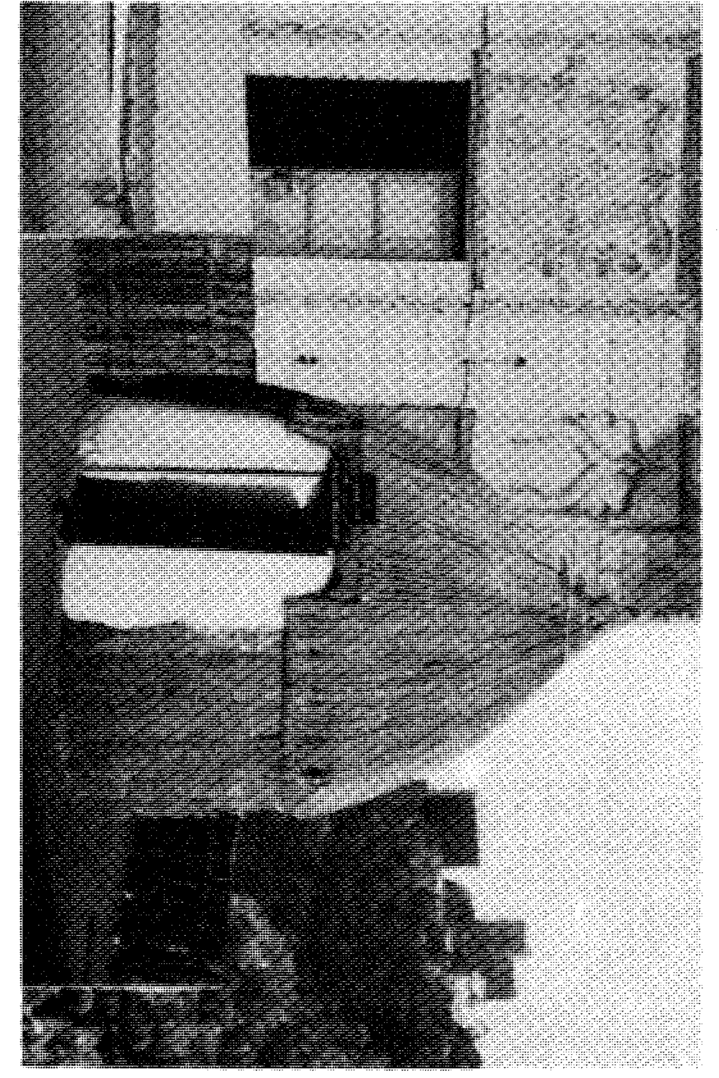
(١) احدى الرقصات الشعبية



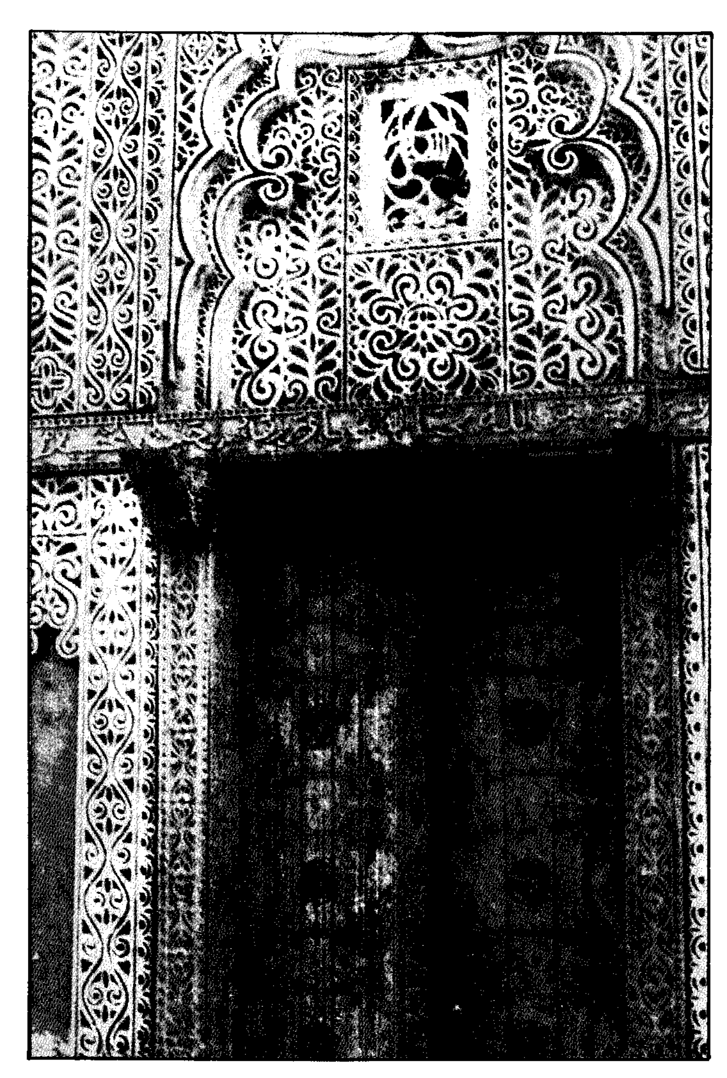
(٢) العشة



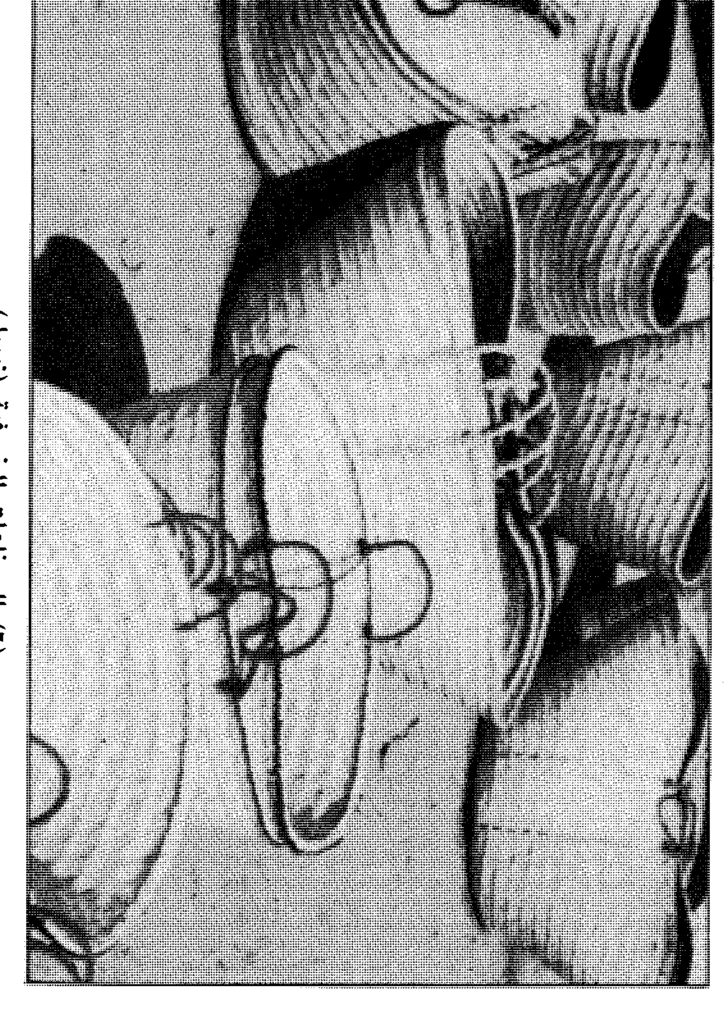
القعادة (٣)



(٤) نموذج آخر



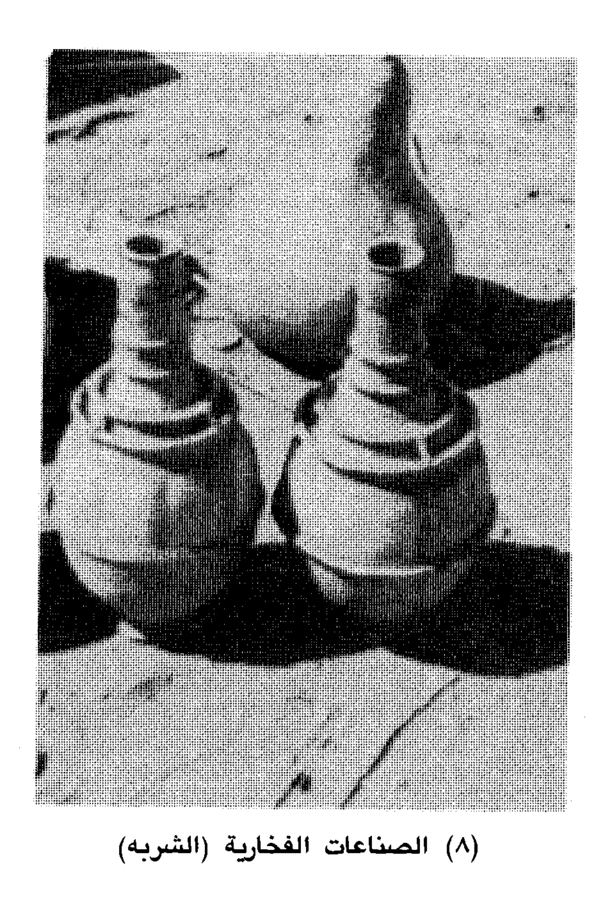
(٥) منزل الرفاعي بفرسان



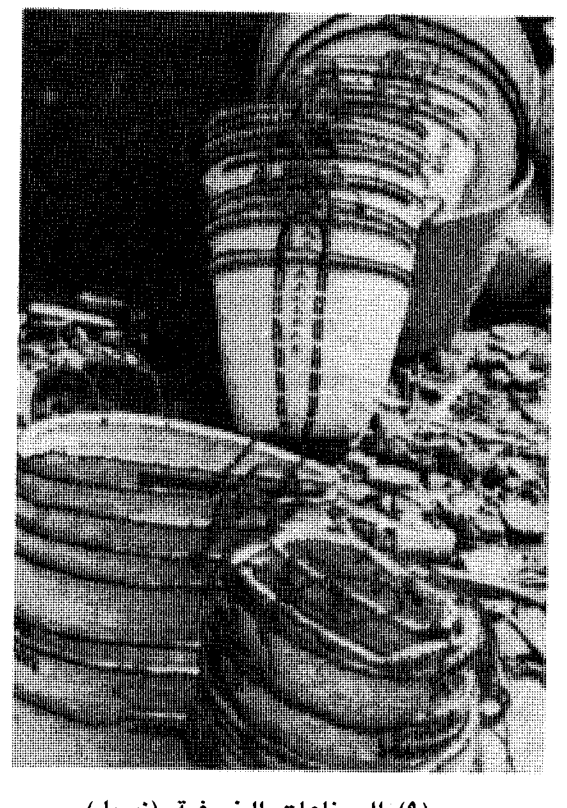
(٦) الصناعات الخسفية (زمبيل)



المطحنة (٧)



(٨) الصناعات الفخارية (الشربه)




(٩) الصناعات الخسفية (زمبيل)



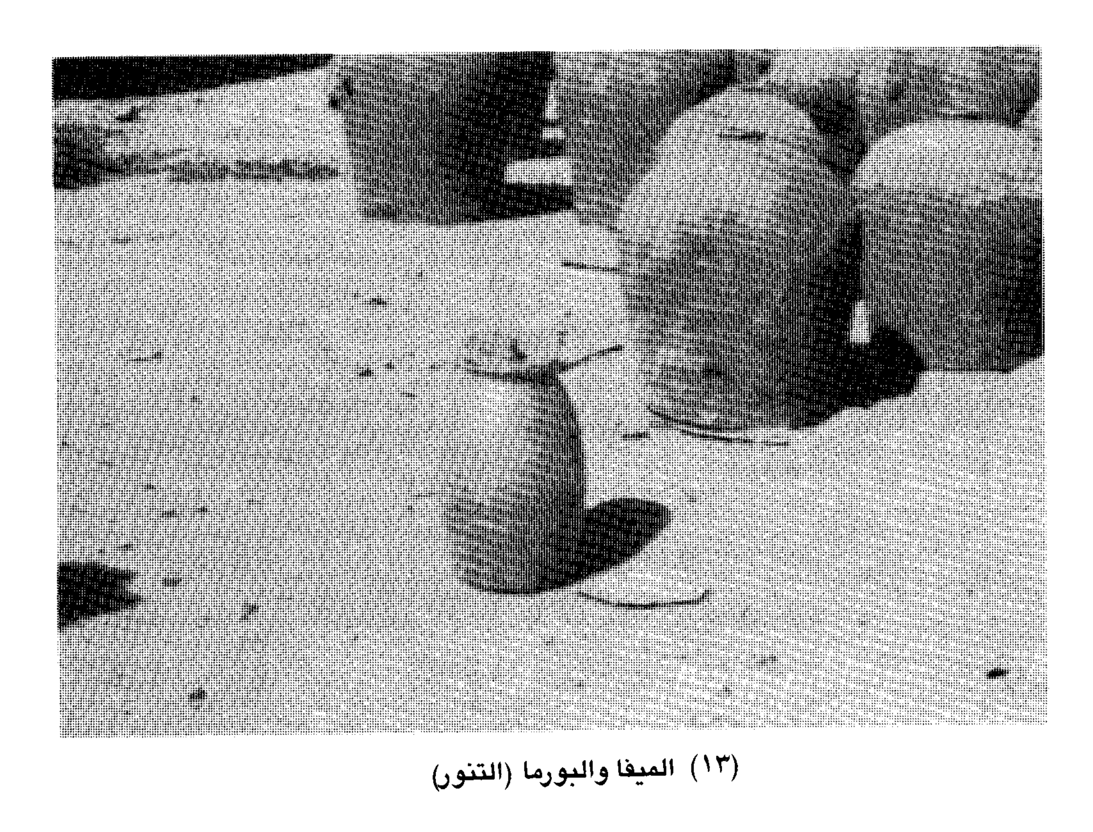
(١٠) المنسف



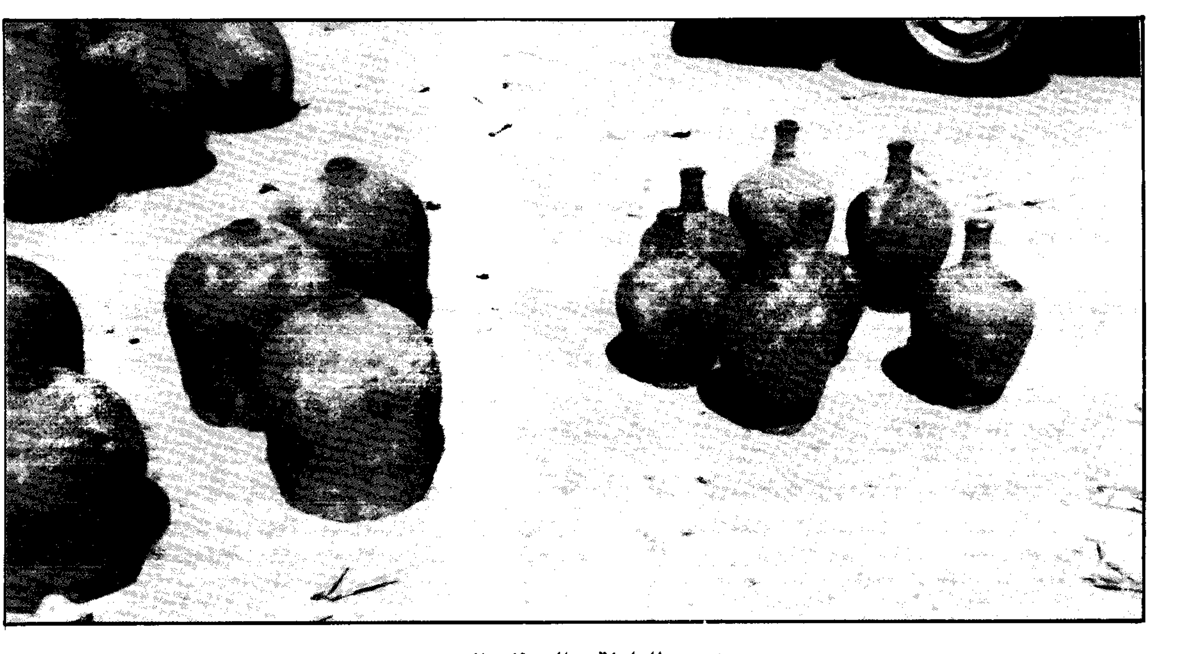
(١) فناجين القهوة



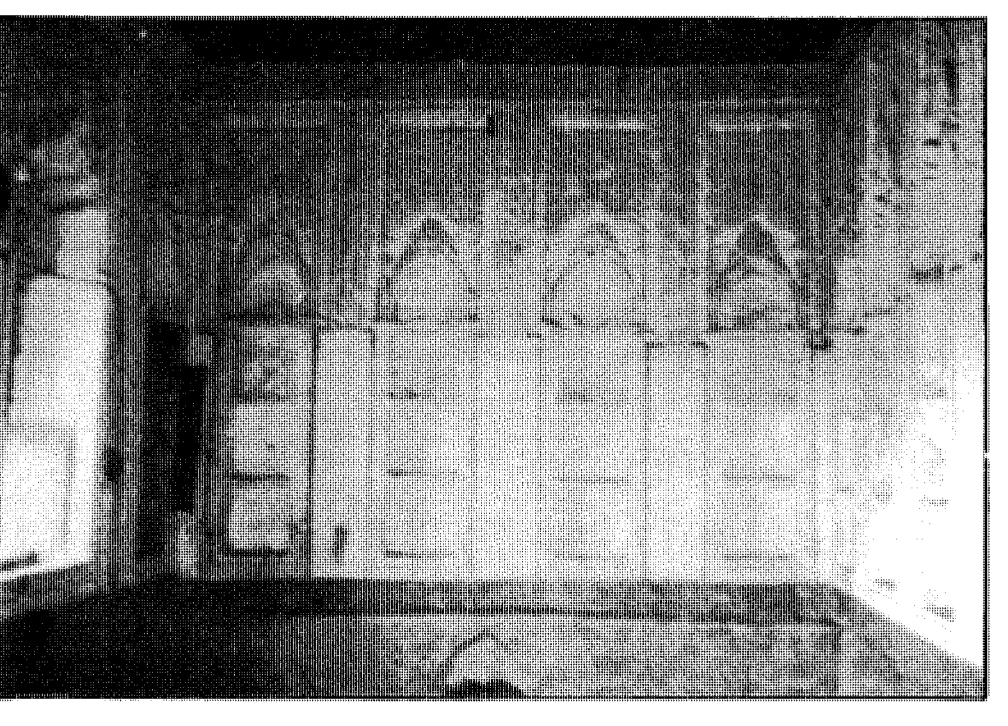
(١٢) المعصرة



(١٣) الميفا والبورما (التنور)



(١٤) البلبلة والميفا والكد



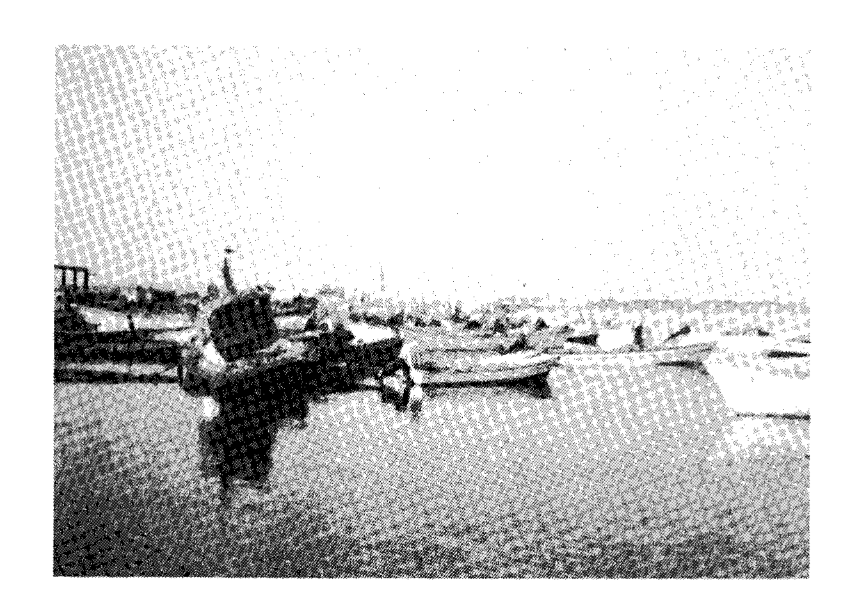
(١٥) النقش من الداخل في منزل قديم بفراسان

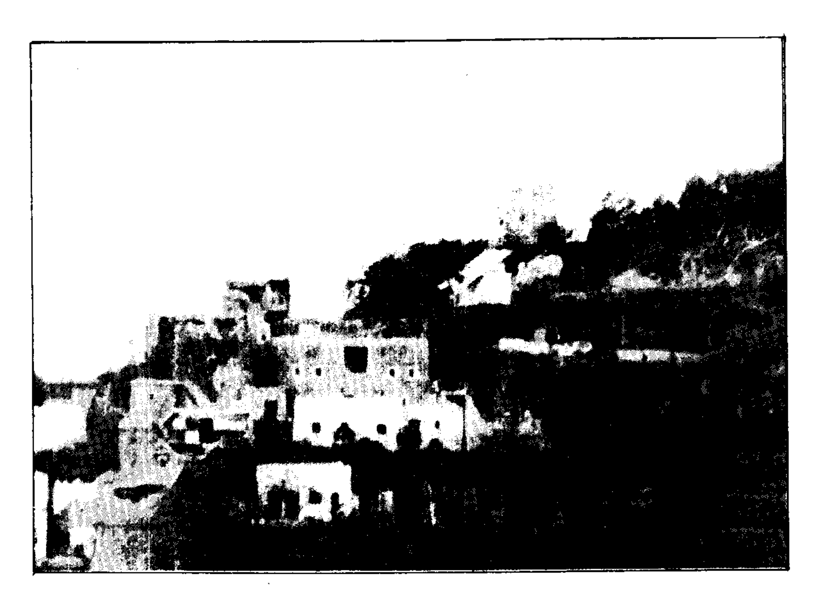


(١٦) فن النقش في واجهة المنازل



(١٧) القوارب البحرية في جيزان





(١٨) المنازل في فيفاء (١)



(١) جميع هذه الصور أخذت من كتيب (معرض جازان للتراث) لعام ١٤١٠هـ الذي أعده الأستاذ/ محمد أحمد هادي والمهندس/ عصام بريك

البَابُ الرَّابِـع



الفصل الأول

الحياة الأدبية والنشاط الفكري والحالة الاجتماعية
في العهد السعودي الزاهر

بعد ثورة العصيان الفاشلة في ٦ رجب عام ١٣٥١ هـ ـ ١٩٣٢م[١]، واستقرار الأمور، ساد العهد السعودي، ودخلت المنطقة في عهد جديد، فأناب ابن مساعد على المنطقة ـ مؤقتاً ـ منصور الشقحاء، وذلك في شهر القعدة سنة ١٣٥١ هـ ـ ١٩٣٣م، وفي ٢٥/٦/١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٣م صدر الأمر الملكي بتعيين حمد الشويعر أميراً على المنطقة، فأخذ في توطيد الأمن وتهدئة الأمور واستجذاب القلوب، ثم تقدم شيوخ ووجهاء المنطقة إلى حمد الشويعر يعرضون عليه ـ وكدليل على الطاعة والإخلاص ـ أن يأخذ منهم رهائن وشوكات كغيرهم من مناطق المملكة، فرفع حمد الشويعر بطلبهم، فوصل الجواب من الملك عبدالعزيز بشكرهم وتقديرهم وأنه متى استدعى الحال فسوف يستدعون لذلك.

إلا أن توتر العلاقات بين المملكة واليمن[٢] وما استدعاه الأمر ـ من باب الإحتياط ـ من إرسال السرايا والجنود، مما عاد على المنطقة بالإنتعاش الإقتصادي، فإن توارد وصول تلك السرايا كان له أثر كبير في ذلك الإنتعاش، لأن عائدات رواتبهم ومصاريف إعاشتهم كانت تتحول إلى سيولة في السوق تطلب بها بضائع وأرزاق وأقمشة، تعود على خزينة الدولة برسومات تغذي الاقتصاد، وتتحول إلى طاقة بصفة غير مابشرة تنعش وتنمي الحركة التجارية.

ومن الصدف أن تلك السنة والتي قبلها من أحسن السنين خصوبة وزراعة ونماء، فقد جادت الأراضي الزراعية بمحصولات خيالية من الذرة والدخن والسمسم، وأكثرها تم حتومها والناس متشتتون، وبالرغم عن ضياع الكثير من الثمار عاد الناس ووجدوا الكثير من المحصولات، ونتيجة لذلك نشطت حركة التصدير إلى الحجاز ومصوع وعدن.

في ذلك الوقت ـ وقبله ـ كان لجنوب الجزيرة علاقاتها التجارية وارتباطاتها

---

(١) أنظر الفصل الثاني عشر ص ٩٧٦ ـ ١٠٣٤ من كتابنا «المخلاف السليماني» جـ ٢ ط ٣.

(٢) انظر الفصل التاسع عشر بعنوان «الحالة مع الإمام يحيى» من كتابنا «المخلاف السليماني» ص ١٠٣٤ ـ ١١٤٠، جـ٢ ط ٣.

الإقتصادية بميناء عدن العالمي ـ المستعمرة البريطانية آنذاك ـ وهو مركز تجاري ونقطة إلتقاء تجارة الشرق والغرب، وزاد من أهميته إرتباط إدارتها بدرة تاج المستعمرة البريطانية «الهند»، وكانت تنحصر صادرات المنطقة من الأدم وغيرها.

ومع ضم المنطقة إلى ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها، اتسع المجال الحيوي، وأصبحت البضائع التي تستورد من عدن تصدر إلى عسير وجهاتها مما عاد بالنشاط التجاري على الجهة زمنا.

يضاف إلى ذلك الإعانات المالية التي خصصتها الحكومة السعودية لإنعاش المنطقة وتغطية العجز والمنصرفات.

ومع كل ذلك أصبح للمنطقة عمق أمني واقتصادي له أهميته الإستراتيجية والإقتصادية، وبعد أن كانت المنطقة محصورة في رقعة محدودة الإتساع بين عسير والحجاز من الشمال واليمن من الجنوب والشرق وبالأخص بعد أن اقتطع منها الإمام يحيى النصف الجنوبي الممتد من ريمة وعبال إلى ميدي، وفقدت بذلك نصف مساحتها الزراعية ونصف مجالها الإقتصادي، إلا أن الإرتباط الجديد الذي أصبحت بموجبه جزءاً من مجال يمتد من حدود العراق وسوريا والأردن شمالا والخليج العربي شرقاً إلي اليمن جنوباً، مع ما نعمت به من الأمن والإستقرار وتنظيم إداري، والتوسع ـ مع الأمن ـ في الرقعة الزراعية وانتظام المواصلات وفتح أسواق أسبوعية جديدة، مثل سوق بيش وغيره(١).

وإن إفتتاح مؤسسات وإمارات ودوائر مالية ومحاكم شرعية تطلب إحداث وظائف وإشغال أيدي كانت عاطلة، ترتب على ذلك تنظيم مالي وتقرير رواتب ومخصصات وفتح إدارات، فاستفادت الحركة الإقتصادية من سيولة جديدة وهي حالات لم تكن موجودة في المنطقة من قبل.

إن نشاط الحركة الإقتصادية تقدم تقدماً ملموساً في المنطقة في العهد السعودي الزاهر، وكان قبل ذلك الحالة الإقتصادية وبالأخص في العهد الإدريسي الأخير بلغت درجة من التواضع يرثى لها، فالنشاط التجاري محصور في محلات الشيخ محمد يحيى باصهي، وأفراد في الدرجة الثالثة أو الرابعة بالنسبة إليه، وإني لأتذكر أن الجمال التي هي وسيلة النقل الوحيدة بين جازان وصبيا، لا تعدو

---

(١) لم يكن يوجد سوق أسبوعي في بيش ـ أم الخشب ـ وإنما أُفتتح ذلك السوق في منتصف عام ١٣٥٢ هـ، وبعدها افتتح سوق في بلدة مسلية، وإنما بعد عام أو حوله أُقفل وأُكتفي بسوق أم الخشب.

العشرون جملاً من جازان إلى صبيا، عشرة جمال منها لتجارة باصهي، وعشرة للغير، وقس نصف ذلك إلى أبي عريش أو سوق الأحد المسارحة وصامطة، فأصبحت الحال غير ذلك في العهد السعودي، وبالأخص في أخريات العقد الخامس من القرن الرابع عشر، وقد كانت قوافل الجمال من بعد صلاة العصر إلى المغرب تسير في قطارات من أحواش التجار إلى المطلع تباعاً لا تنقطع، محملة بالبضائع والعروض إلى سائر أنحاء المنطقة، ويقدر أن ما يخرج من الجمال المحملة يومياً بمائة جمل، تجيء محملة من صبيا بالجلود و«الطفي»(١) والطعام والذرة والسمسم والسمن والعسل وغير ذلك.

ومن الناحية الجنوبية بالحبوب والسمن والسلب و«الشقار»(٢) والمنتوجات الوطنية، يُصرف منها ما يصرف في مدينة جازان ويصدر الأكثر إلى مصوع وعدن والحجاز.

هذا عدا ما يصدر من البضائع براً إلى عسير وشهران وبني شهر وغيرها، وعدا ما يصدر إلى الجبال الشرقية من الجبال السعودية والجبال اليمنية.

إن تلك الحركة الإقتصادية كانت رافداً للرخاء المعيشي والمادي، أتاح الفراغ النسبي للمطالعة والإقبال على كتب الأدب والتاريخ وقراءة الصحف السعودية التي ترد من الحجاز متأخرة لصعوبة المواصلات وكذلك الصحف المصرية والعدنية التي ترد عن طريق البحر متأخرة - أيضاً - وإنما يقبل الناس على مطالعتها في شغف ونهم أدبي.

كل ذلك كان مادة نشاط أدبي وحركة فكرية بدأ رسيسها يدب وئيداً في تنشيط بعض الشباب والدراسة على يد الشيخ عقيل بن أحمد في الفقه واللغة والنحو والصرف وعلوم البلاغة - مما سنأتي إلى توضيحه بعد هذا - فكانوا رافداً جديداً للأدب في المنطقة.

وفي مدة ابن ماضي وصلت إلى جازان بعثة حكومية لتأسيس أول مدارس إبتدائية في المنطقة يرافقهم جماعة من المدرسين تنفيذاً للأمر السامي رقم ١٩٨٨ في ١٣٥٥/٥/١٣ هـ وعلى رأسهم محمد الهادي بن عقيل - من أهل مكة - وضمت إليهم البعثة عدداً من رجال العلم ومنهم محمد عقيل بن أحمد وعلي ابن أحمد عيسى الفقيه، وغيرهم.

---

(١) الطفي: سعف الدوم.
(٢) الشُقار: نوع من الشجر يسمى «السلب» يستخدم في صنع الحبال وقد يطلق على أوراق القرنية اسم السلب.

فتأسست لأول مرة المدارس النظامية الإبتدائية في كل من جازان وصبيا وأبي عريش، ثم تلا ذلك إفتتاح مدارس في بقية البلدان.

وفي مدة محمد عبدالعزيز الماضي تأسست أول إدارة شرطة، بوصول أول كتيبة من الحجاز برئاسة الضابط محمد قدسي، وباشرت أعمالها في جازان وبعض البلدان بالمنطقة.

وأخذت المنطقة في إستعادتها لوعيها الثقافي وإحياء ذاكرتها التاريخية والتطلع إلى أحداث العالم من الصحف والمجلات الوطنية، مثل جريدة أم القرى، التي كانت من الخصوبة بمكان، ويليها صوت الحجاز ومجلة المنهل، كما ترد إلى جازان عن طريق عدن الصحف والمجلات المصرية فتوسعت المدارك وازداد النشاط الفكري، يضاف إلى ذلك وجود مكتبات خصوصية، ويحيى باصهي ـ الذي فقدت مكتبة والده أثناء الثورة، كما أشرنا قبله ـ استعاض كتباً قديمة وحديثة وكان لا يبخل بإعارتها للأدباء، كما أن مكتبة والدي ـ الشيخ أحمد عيسى العقيلي ـ التي سلمت من الثورة وفيها ما ينوف على ثلاثمائة كتاب قديمة وحديثة، فمن الكتب القديمة: المعارف لابن قتيبة، وأدب الكاتب، والبيان والتبيين للجاحظ، والمحاضرات للسيوطي،. ومن الكتب الحديثة: حاضر العالم الإسلامي، ومؤلفات الأدباء المصريين ـ آنذاك ـ ودائرة المعارف للبستاني، وكتاب لأحد اليوسعيين يضم أشعار الجاهليين، ودواوين أقانيم الشعر الثلاثة «البحتري وأبي تمام والمتنبي»، وعدد من كتب الفقه واللغة وهي الأكثر في محتوياتها.

كذلك لدى الأخ محمد السنوسي مكتبة والده، ومن محتوياتها أمهات الكتب وبعض دواوين الشعراء ومختارات البارودي وكثير من كتب الفقه والحديث.

كما أن لدى علي محمد صالح عبدالحق مكتبة لا بأس بها، منها الموروث عن والده، ومنها ما اقتناه هو شخصياً، وأغلبها كتب الفقه والتشريع الإسلامي.

وفي آخر سنة ١٣٥٨ هـ/ ١٩٣٩م ـ تقريباً ـ نقل محمد بن عبدالعزيز الماضي من إمارة جازان إلى المنطقة الشرقية، وبعده بفترة قصيرة استلم مركز الإمارة خالد بن أحمد السديري، وهو على جانب من الثقافة والأدب فكان وصوله للمنطقة نقلة ثقافية وإدارية، وطبق نظام الإمارات تطبيقاً عملياً وشكل مجلساً إدارياً من العابد الإدريسي ورئيس المحاكم الشرعية ووكيل آل باصهي، أحمد عبدالرحمن البهكلي وعلى محمد صالح ورئيس البلدية عيسى فتح الدين ومدير الأعشار عبدالقادر علاقي، وعمر صالح هاشم، وكانت تعقد جلسات أسبوعية كما قرر

مجلساً أدبياً خاصاً يعقده في الصباح الباكر يحضره العابد الإدريسي والشيخ عقيل بن أحمد ورئيس المحكمة ومساعده علي محمد صالح عبدالحق وبعض الشخصيات، تدار فيه المذاكرة والمحاورة والمناقشات العلمية والأدبية، يتناول في أثنائها القهوة والتمر، وكان ذواقاً للشعر حافظاً للكثير منه حتى أن الشيخ علي السنوسي كان يزوره آخر الليل ليعرض عليه قصيدته العيدية التي سيلقيها.

كل ذلك أو بعضه حفز الشباب على الشغف العلمي والتطلع الأدبي وقد مرّ ليلة بسيارته من عند مجلس عبدالقادر علاقي، وقد بلغه مسبقاً ما يدور في ذلك المجلس من الحوار والمناقشة، فأوقف سيارته خمس دقائق وهو يستمع وينصت لما يدور، وكانت المجالس في جازان ـ آنذاك ـ كالصالونات الأدبية في فرنسا وبالأخص مجلس العلاقي الذي رواده يتعشقون الكلمة المشرقة، والجملة النيرة، والبيت النادر والقصيدة الأنيقة ولا أغالي إذا قلت إن من أكثر الناس تأثراً وفعالية في ذلك المجلس عبدالقادر علاقي ومحمد العقيلي ومحمد السنوسي، والأخيران كما يعرف محيطهما تربطهما صداقة وزمالة في غاية الصفاء والمودة، يجمعهما الفهم العلمي والشغف الأدبي، ولم يكن لقاؤهما يقتصر على مجلس العلاقي بل يجتمعان بعد صلاة المغرب مباشرة في منزل العقيلي إلى وقت صلاة العشاء، فيصليانه في جماعة ثم يستأنفان السهر حول كتاب جديد أو حديث يتعلق بالأدب أو التاريخ أو مجلة من المجلات الراقية مثل الهلال أو المقتطف أو ديوان شعر لشعراء المهجر أو الملاح التائه أو قصيدة لشكري أو العقاد، فنحن أشبه بالنحل الذي يرتشف رحيق الأزهار وورود الرياض.

لقد ولدت بصبيا في ٣٠ القعدة عام ١٣٣٦ هـ/١٩١٨م، كما ولد زميلي في شهر شعبان عام ١٣٤١ هـ/ ١٩٢٣م، وفي نفس اليوم الذي ولد فيه ولدت بنت أخت لي، وكان ذلك اليوم يوم مشهور في المنطقة، هو يوم موت الإمام الإدريسي ـ كما فهمت ذلك من والدتي ووالدته ووالده.

إن العقيلي والسنوسي لا يذكر أحدهما إلا مع الآخر، ربطتنا صداقة العمر وزمالة العلم والأدب، وقرب البيتين، والميول والتعلق بالمبادىء الفاضلة والأخلاق الكريمة، وأتذكر أنه في ليلة من الليالي طالت السهرة بنا في المناقشة والحوار إلى حوالي الساعة الثانية عشرة، وصادف رجوعه إلى البيت ووالده قد نام واستيقظ فسأله: أين إلى هذه الساعة المتأخرة؟ فقال له: ألهتني المذاكرة

والنقاش إلى هذا الوقت. فقال له: في أي محل؟ فأجاب: لدى الزميل العقيلي، فقال له: بورك فيكما، فزميلك ممن يستفاد منه، فهو الجليس الصالح.

إن قصة الأدب في جازان في العهد السعودي الزاهر هي بدون مغالاة ولا مبالغة ولا ادعاء ولا تطاول هي قصة العقيلي والسنوسي، على ترتيب ونسق ما عشناه، لقد كان مصابه عظيماً عليّ، وإني كنت أخط كلمة تأبين ـ كما طلبت مني جريدة عكاظ ـ والدموع تسح مدرارا، ولقد نظمت مرثية لم أستطع السير فيها أكثر من خمسة أبيات أو ستة أبيات، وحالت الدموع بيني وبين ذلك وبعد أمد طويل أضفت إلى الأبيات تكملة وعيناي شكرى بالدموع.

إن حياتنا ليست ملكاً لأحدنا، وإنما هي ملك لتاريخ جازان، فلأكتبها بصدق وإخلاص للأجيال، ولا يسعني هنا إلا أن أنشر كلمة التأبين الساخنة[1] كحاشية في آخر هذه الصفحة.

* * *

---

(١) تأبين المؤلف للشاعر الأستاذ محمد بن على السنوسي:

دمعة سخينة علي صديق العمر

محمد بن علي السنوسي

علم شامخ من الأدب العا
لي وصرح - من البيان - رفيع
وخيال مجنح الظل يسمو
أين للنجم ضوءه والسطوع
رشف الفجر قطرة من ضياء
فاحتواها فؤاده والضلوع
عج من ضوء (قلبه) الأفق الوهـ
ـاج، شعراً يغار منه الربيع
كسنا الصبح بهجة وشذا الرو
ض عبيراً جناسه والبديع
وهمى بـ (البيان) فيضاً من النو
ر. توارت - على سناه - الشموع

تغمدك الله بواسع رحمته وفيوض رضوانه، ياصديق العمر ورفيق الدرب، وأقل ما يجب أن أكتب عنك هذه الكلمة المختصرة والدمعة السخينة وأسطر في إيجاز من الإشادة بك والثناء عليك ما كان أحب أن تكتب عني لوسبقتك وعلى كل فإنا على آثاركم لاحقون (كل نفس ذائقة الموت) وإنا لله وإنا إليه راجعون.

إن حياة السنوسي وحياة العقيلي هما جزءان من التاريخ الأدبي الحديث لمنطقة جازان. والسنوسي علم من أعلام الأدب، سيحفظ التاريخ أسمه والزمان أشعاره.

السنوسي الإنسان

نشأ نشأة كريمة، وتلقى حفظ كتاب الله على يد الشيخ علي بن أحمد عيسى، وبعدها أخذ مبادىء العربية وشيئاً من الفقه على يد والده القاضي الشيخ علي بن محمد السنوسي، ثم التحق بحلقة الشيخ عقيل بن أحمد عالم جازان في عصره، ودرسنا سوياً ومعنا عدد من الإخوان منهم من صار إلى رحمة الله «ومنهم من ينتظر». =

كان ذكياً تواقاً إلى المعرفة بشتى فروعها وفنونها، فحصل في الوقت القصير على الشيء الكثير وبدأ في قرض الشعر، فكان بيتانا قريبان من بعض، وروحانا أشد إرتباطاً وتقارباً، وتوثقت أواصر الصداقة والإخاء، فإذا خرجنا من الدوائر، كان هو في جمرك جازان، وأنا في ماليتها فنتفق عصراً في كل ليلة في مجلس الشيخ عبده علاقي رئيس بلدية جازان(١) مع نخبة من الإخوان والأصدقاء، أخص بالذكر منهم الأستاذ محمد زارع فإذا صلينا المغرب أنصرف كل منا إلى داره، وبعد نصف ساعة يكون الإجتماع له ولي في بيتي، ونمضي الوقت في المذاكرة والمحادثة في شتى فروع العلم ودروب المعرفة، حتى إذا حان وقت صلاة العشاء صلينا جماعة، فإذا بقى لنا نشاط استأنفنا الجلسة وإلا فودعنا بعضنا على موعد آخر على نفس الطريقة.

سرنا على هذه الوتيرة في غبطة وهناء نتساجل عهود الوفاء حتى عام ١٣٦٠ هـ/ ١٩٤١م. رغبنا هو وأنا في البروز وقول الشعر، وفي تلك الفترة لم يكن مجال للقول إلا حفلي العيدين، الفطر والأضحى، وكان والده هو شاعر الحفل، وقد أتبع تقليداً عربياً حميدا، طالما وقفت فيه الشعراء في الأعياد بين يدي أولي الأمر، فكانت قصيدة الأب «العيدية» موضع تقدير وإستحسان، فتم الرأي مع أخي السنوسي على أن نقوم في حفل عيد الفطر عام ١٣٦٠ هـ بالإنشاد.

وطلبت من أخي عرض الرأي على والده فقال سأفعل، ثم وافاني في جلسة تلك الليلة وأفهمني بإستحسان والده ومباركته لنا بالقيام، وكانت تلك المباركة إجازة لنا منه.

كان على رأس إمارة المنطقة الشيخ خالد بن أحمد السديري، شخصية أدبية متفهمة ذواقة للشعر مولعة بالأدب الرفيع والبيان العالي، فكدينا فكرينا لنحوز على إعجابه وإستقطاب الجمهور، وفي مساء ليلة العيد وصلني صديق العمر للجلسة المعتادة ومعه أول قصيدة عيدية، وبدوري قد حضرت أول قصيدة، فعرض كل منا قصيدته على الآخر، واتفقنا على اللقاء مبكراً في موضع بين بيتينا، وأن من وصل قبل ينتظر الآخر، ومن هناك نروح سوياً إلى المصلى، وتم ذلك. وكانت عادة متبعة إلى أمد مديد، أعتقد إلى عام ١٣٧٨ هـ أو قبل ذلك أو بعده بفترة.

ومن المصلى سرنا إلى دار الإمارة، وهي لأول مرة نحضر الحفل، وعندما أكتمل الجمع في دار الإمارة، قام والده ـ رحمه الله ـ وألقى قصيدته وكان حلو الإنشاد يتغنى بالشعر في نغم شجي وصوت عذب، وعندما أكمل قصيدته التي حازت إعجاب وتصفيق الحاضرين قمت بدوري بإلقاء قصيدتي. ثم عدت إلى مجلسي عند صديق العمر، وقام بدوره بإلقاء قصيدته الجميلة، ودخل المضايفي ليشعر الأمير باستكمال مائدة العيد فنهض الأمير ونهض الحضور، وأخذنا زميلي وأنا بيد بعضنا وأنصرفنا إلى بيتينا.

وعلى مائدة الطعام دار الحديث حول القصائد بوجه عام، وعلى قصيدتينا بوجه خاص، هذا يفضل قصيدة السنوسي الإبن، وآخر يفضل قصيدة العقيلي، وأنقضت أيام العيد الأربعة والمجالس في جازان ليس لها حديث إلا القصيدتان أما قصيدة السنوسي الوالد فهي فوق مستوى النقاش.

وطيلة الأربعة الأيام والطلبات من المستحسنين تتوارد إلينا لطلب صور من قصيدة كل منا ونحن عكوف على النسخ بكل همة ونشاط، لا ننصرف عن النسخ والكتابة إلا للطعام، ولا أقل كل منا أن ينسخ في اليوم عشر نسخ إن لم يكن أكثر.

واستمر الحال على ذلك إلى عام ١٣٦٢ هـ، وهنا طرأ ظرف ـ لا أحب الإشارة إليه الآن ـ رأيت أن أتفاهم مع صديقي على التوقف عن قول الشعر في الحفل إلى أجل آخر، فصادف ذلك رغبة عند الأخ الكريم، وتوقفنا سوياً، وكان والده الكريم يقوم في الحفل كالعادة.

وبعد فترة زمنية أشتد المرض بوالده، فألتقيت والأخ في الجلسة المعتادة، وقال: إن هذه الليلة ليلة العيد ووالدي طلب مني أن ألقي قصيدته في حفل العيد، وكنا قد تفاهمنا على إستئناف الإلقاء في الحفل فإذا هذا العارض، وبالطبع أن قصيدتك جاهزة مثلي وإنما سوف أؤخر إلقاء قصيدتي وسألقي قصيدة والدي، فما رأيك؟

وكأنه ـ رحمه الله ـ يستطلع رأي في أدب مهذب وحياء كما طبع عليه من خلق كريم، فأجبته: يا صديقي لا أحد يتقدم على والدك ما دام على قيد الحياة، وما أنا إلا تلميذ والدك وزميل لك، فتقدم بإلقاء قصيدة والدك وسأقوم بعد إلقائك لأن لوالدك حقاً ألا يتقدم عليه أحد، فبدا لي الرضا والإرتياح في وجه صديقي، وذهبنا كالمعتاد إلى صلاة العيد فالحفل على ما أتفقنا عليه.

(١) الاسم المتداول والمعروف به «عبده علاقي» والضمير هو أعرف المعارف أما اسم عبدالقادر علاقي فهو لا يعرف به إلا عند الخاصة.

لقد ورد في كلمة التأبين قولي: «واستمر الحال على ذلك إلى عام ١٣٦٢ هـ وهنا طرأ ظرف طارىء ـ لا أحب الإشارة إليه الآن ـ رأيت أن أتفاهم مع الصديق على التوقف عن قول الشعر إلى أجل آخر، فصادف ذلك رغبة عند الأخ الكريم، وتوقفنا سويا، وظل والده يقوم في الحفل كالعادة».

وقد يتساءل المرء، ما هو الظرف الذي طرأ؟ ـ آنذاك ـ وللحقيقة والتاريخ أذكره الآن، لأنه قد تكرر مرة أخرى في عيد الأضحى عام ١٣٦٦هـ:

محمد السنوسي ـ تغمده الله بفيوض رحمته ـ شاعر ملىء برديه، حساساً أكثر من اللزوم، يتأثر بالكلمة ويتحسس مواقع الجمال في الجملة، فهو كالجواد الكريم الذي لا يحب أن يسبقه ظله، ويظلم نفسه بأكثر ممالا ينبغي ويحب دائماً أن تكون

وشاء الله أن يتوفى والده بعد ذلك بشهر أو شهرين، ففضل الموقف في كل حفل ومناسبة علينا الاثنين.

وفي كل مناسبة أو حفل يطلع كل منا الآخر على قصيدته متبعين نفس الترتيب الذي قد سرنا عليه في حياة والده.

وقد قمنا هو وأنا بطبع مختارات من شعر والده وشعري وشعره والأستاذ أحمد عبدالفتاح الحازمي باسم شعراء الجنوب. ـ أرجح أنه صدر في عام ٧٣ أو ١٣٧٤ هـ.

وفي حوالي سنة ١٣٧٤ هـ انتقلنا هو وأنا من حارة المسطح. هو إلى حارة الميدان، وأنا إلى حارة الجبل، وبعدت الشقة، وإنما بقيت تمشية العصر سوياً حتى شغلت مشاغل الحياة كلا منا عن تلك اللقاءات.

حياته العملية

تقلد عدة من الوظائف في جمرك جازان آخرها في ذلك السلك وظيفة أمين جمارك جازان.

ثم أسندت إليه رئاسة بلدية جازان مدة وبعدها شغل وظيفة مدير كهرباء جازان، ثم تقاعد متفرغاً للأدب إلى أن أنتخب رئيساً لنادي جازان الأدبي حتى توفاه الله.

السنوسي الشاعر

السنوسي شاعر ـ كما يقال ـ ملىء برديه، وهو كالجواد السبوق لا يرضى من القول بأهونه، وكثيراً ما يهذب شعره إذا استدعى الأمر ولو بعد أن يطلعني عليه وأطلعه على قصيدتي، رغبة في الإجادة وتحرياً للإتقان، وعنده أن الشعر كلام خالد وأدب رفيع لا يمكن التساهل في إنشائه.

أما رأيي في شعره فهو مسجل في قصيدة أهديتها إليه منشورة في ديواني «أفاويق الغمام» بعنوان «تحية ديوان الينابيع»(١).

وكان ـ رحمه الله قد سبقني ـ مشكورا مقدراً ـ بتحية عاطرة في ديوانه «الينابيع».

فالذي قمت به بعد ذلك ما هو إلا رد جميل وإعتراف بالفضل.

إنني أكتب هذه الكلمة وعيناي مغرورقتان بالدموع وأنفاسي تتقطع حسرة.

إن للسنوسي دواوين شعرية عدة وحدَّها في مجموعته المعروفة «الأعمال الكاملة للسنوسي» بحيث احتوت على شعر رصين.

وهو شاعر جمع فأوعى وقال وأفضل، وهو من أشهر شعراء المملكة العربية السعودية، بل شاعراً على مستوى الأمة العربية، لا يماري في ذلك إلا المكابر.

فرحم الله السنوسي الشاعر والأديب والكاتب وألهمنا وذويه وأبنائه الصبر والسلوان وإنا لله وإنا إليه راجعون(٢).

---

(١) قد أوردنا القصيدتين بعد هذا ضمن (شعر الإخوانيات).

(٢) نشرت في جريدة عكاظ العدد ٧٦٤٦ بتاريخ ١٤٠٧/١٠/١٤ هـ.

قصيدته الغاية في الكمال والجودة، فإذا مرت على سمعه قصيدة ونالت منه الإستحسان كان لها أثر في نفسه.

لقد كان أول موقف لنا ـ هو وأنا ـ في عيد الفطر عام ١٣٦٠ هـ/١٩٤١م وكان في وقتها شغفاً بفتاة أحلامه وخطبها، فلم يوافق الوصي عليها(١). وفي تلك الفتاة أنشأ مقدمة غزل في عيديته، وأفرغ في أبياتها أحاسيسه ومشاعره(٢)، ووصلني ليلة العيد واقترح أن اسمعه قصيدتي، فطلبت منه أن يقرأ قصيدته أولًا عليّ ثم بدوري أقرأ عليه قصيدتي، على شريطة ألا يزيد أحدنا أي بيت أو كلمة بعد ذلك.

فأجابني ـ رحمه الله ـ في حياء ثري أنه كثير المراجعة لشعره وأنه لا يبيضها إلا قبل الخروج لصلاة العيد، فقلت له: يا أخي أنا شخصياً بخلاف ذلك، فإذا أنشأت القصيدة نادراً أن أزيد فيها أو أنقص، بل أبيضها على طبيعتها، ومع ذلك فسأحترم رغبتك الأخوية، كما أرجو أن تحترم رغبتي، وإنما التنقيح شيء والزيادة شيء آخر، فقرأ ـ رحمه الله ـ قصيدته، فكانت جميلة ثرية في غاية اللطافة والجمال والسمو، وقرأت عليه قصيدتي، فأستحسنها وأشاد بها، وبعد ذلك انصرف مودعاً.

وفي صبيحة العيد وجدته ينتظرني عند مسجد بريك حسب الإتفاق، وواليناالسير إلى المصلى ومنه إلى قصر الإمارة، فكنا في طليعة الواصلين.

وعندما استكمل الجمع قام والده وألقى قصيدته العيدية بين إعجاب وتصفيق الحاضرين، ثم تقدم وسلم على الأمير وسلمه قصيدته.

وبعد ذلك قمت بدوري فألقيت قصيدتي، وبعد الانتهاء تقدمت ـ كما صنع السنوسي الوالد ـ وسلمت على الأمير وسلمته قصيدتي، عندها قام الزميل السنوسي وأنشد قصيدته وسلم على الأمير وسلمه قصيدته.

ورفع المضايفي صوته مشيراً إلى الأمير بالنهوض للغداء، فنهض ونهض الناس، وانسليت والزميل خارجين لعدم رغبتنا في تناول الطعام، وعلى المائدة دار النقاش حامياً حول قصيدتي الشاعرين الشابين، فمنهم من يفضل قصيدة السنوسي الابن، ومنهم من يفضل قصيدة العقيلي.

أما قصيدة السنوسي الأب فهي فوق مستوى النقاش، وعلق الأمير بقوله: كما عرفت من كل من رئيس البلدية عيسى العقيلي وعمر صالح هاشم ـ (أن قصيدة

---

(١) كان والدها متوفياً، وهو المرحوم عبدالله الحميدي.

(٢) لم أجد هذه القصيدة في مجموعة أشعاره، ويبدو أنه استبعدها.

العقيلي فوق مستواه التحصيلي، فهو قد يكون لطشها من كتاب؟).

وبقدر ما حاول العابد الإدريسي وعمر صالح والعلاقي إقناعه بأنني معروف لديهم كشاعر ناشيء، لا يستكثر عليه إنشاء مثل تلك القصيدة، فقد كانت في نحو سبعين بيتا، ومع ذلك لم يقتنع الشيخ خالد السديري، وبعدها بعث بالصلات مع مراسل الإمارة علي كوكو كالآتي: ثلاثين ريالا للسنوسي الوالد، وعشرين ريالا لكل من العقيلي والسنوسي الابن، وعندما أراد أن يسلمني المبلغ رجوته أن يفهم معالي الأمير بأنني لم أقف موقفي رغبة في أي صلة، وإنما هو واجبي في مثل تلك المناسبة، فانصرف المرسول، وبعد أربعة أيام عاد إليّ قائلا: إن رفيقك استلم الصلة التي له، والصلة التي لك لدي. أشير عليك أن تستلمها وإلا فسوف أعيدها للأمير، وهذا سيكون في غير صالحك، فاستلمت المبلغ صامتا؟

ورأيت أن خير وسيلة لإقناعه وتبديد شكوك الشيخ السديري أن أبين له الدليل في عيد الأضحى بقصيدة موضوعية تقنعه، وفي ١٠ القعدة خرجنا في نزهة على الأقدام إلى المطلع[1]، وكان الجو غائما والبحر في غاية المد - والسباخ نشاهدها ونحن فوق الجبل - كأنها بساط ممدود لا اعوجاج فيه ولا أمتا - وجمَال الماء[2] تتراءى في السراب كالأطياف الطافية، تظهر تارة وتختفي أخرى، فتغلب على فكري ذلك المشهد وأخذت في مشروع قصيدة يفرزها عقلي الباطن في ضبابية فكرية، وانصرفنا جميعا كل إلى داره، وبمجرد وصولي وأنا في غاية التأثر سجلت أغلب أبيات القصيدة[3] أصف فيها المناظر المشاهدة، ثم بيضتها في الليلة الثانية.

وفي ليلة العيد وصلني الزميل العزيز كالمرة الأولى وطلب أن أقرأ عليه قصيدتي، فقلت له، اقرأ أنت وبدوري سأقرأ عليك، فكانت المسألة بيننا في غاية البساطة والصفاء، فقرأ قصيدته وأنا أهز رأسي إستحسانا وأخرى أحثه بكلمة التشجيع.

وبعد أن انتهى قرأت عليه قصيدتي، فلمست من أخوته انقباضاً وتأثراً، وتلاه قائلاً: قصيدتك يا أخي رائعة جداً، فقلت له: يا أخي هون عليك ان قصيدتك أروع

---

(١) كان في ذلك التاريخ المَطَّلع خارج العمران ولا توجد بعده أي بناية.

(٢) كان ينقل الماء على ظهور الجمال في صفائح تنك الغاز، وكان يحمل الجمل اثنتا عشرة تنكة في كل جانب ست تنكات في شبك من الخوص يسمى الشباك، ولم يدخل الماء إلى المدينة في مواسير إلا في العهد السعودي وكان المرحوم محمد سعيد بامهير هو صاحب الفكرة ونفذها بالطبع تحت موافقة الحكومة.

(٣) ستأتي في قسم (شعر المديح).

منها، وإنما أنت حساس أكثر من اللازم، فأنت تظلم نفسك في حال أن قصيدتك من الروعة والجمال بمكان، فلمست منه عدم الإقتناع بما قلت له، وانصرف مودعاً وشيعته إلى الباب.

وفي الصباح الباكر ـ حسب الموعد ـ وصلت قبله عند مسجد بريك، فإذا هو مقبل، وبعد المعانقة والتهنئة بالعيد سرنا إلى المصلى ومنها إلى قصر الإمارة، وبإكتمال الجمع وقف والده ـ رحمه الله ـ وألقى قصيدته العيدية بين إستحسان وتصفيق الحاضرين. وبانتهاء الإنشاد تقدم وسلم على الأمير وأعطاه القصيدة.

وقمت بدوري وأنشدت القصيدة[1] التي هي في نظري ردا على اتهام الأمير، وذلك لوصفي لموقع من مواقع جازان المعروفة ـ وبالانتهاء سلمت على الأمير وسلمته القصيدة، ورجعت إلى مجلسي الأول عند زميلي، فقام بدوره ـ تغمده الله بفيوض رحمته ـ وألقى مستهل قصيدته وشطراً من البيت الثاني وتوقف، فلا والده تحرك من مجلسه، ولا أنا قد مرت بي تجربة مثل هذه. والزميل واقف والأبصار إليه شاخصة في تلك اللحظة نفسها فأشار الأمير قائلا لسعد بن دلقان ـ الخوي الواقف بين يديه ـ خذ يا ابن دلقان القصيدة من محمد السنوسي واجلسه، ففعل الخوي ما أشار به الأمير، وجلس زميلي بجانبي، ونادى المنادي لمأدبة العيد، وأمسكت بيد زميلي وانصرفنا إلى بيتينا، وفي الطريق ـ بغاية الإشفاق والمودة ـ سألت زميلي: ماذا اعتراك يا أخي؟ فقال: لا شيء، وبدنونا من بيتينا انصرف كل منا إلى منزله.

هذا هو الحادث الأول الذي طرأ على موقفينا، ورأيت مخلصاً التفاهم مع الصديق على التوقف عن قول الشعر إلى أجل آخر، وفعلا تم ذلك.

وبعد ذلك بفترة زمنية حصل المرض بالسنوسي الوالد ولزم الفراش، وكان قد حان قرب عيد الأضحى، فاتفقنا أنا والسنوسي على أن نسد الفراغ في حفل العيد، وأن يأخذ كل منا في مشروع قصيدة، فإذا إشارة تصلني من السنوسي الوالد ـ رحمه الله ـ ومضمونها مستهل قصيدة، وتحتها «أأمل منك نظم خمس أو ست أبيات على هذا الروي والقافية، فإن المرض لم يساعدني على الشروع في قصيدة العيد»، وكان شعوري الممزوج بالغبطة والمشوب بالإغتباط

---

(١) مستهل القصيدة التي كانت في عيد الأضحى عام ١٣٦٠ هـ هو:

هنا المطلع تستجلي به الفكر … والشعر ينهل والإلهام ينهمر

فوق حد التصور، فإنه مع فضله وعلمه وسنه وشاعريته الخصبة، اعتبرت ذلك منه تواضعاً وتشجيعاً.

وفعلاً أنشأت على الروي والقافية البائية اثنى عشر بيتا وأرسلتها إليه في اليوم الثاني، ويظهر أنه: استحسنها - رحمه الله - وإذا برسوله يحمل إليَّ كلمة تقدير وتنويه، فاعتزيت بها غاية الإعتزاز وسجلتها في مقدمة دفتر قصائدي حرفياً وبتاريخها(١).

وفي ليلة العيد وصلني الزميل الكريم وتفاهم معي وهو في غاية التأثر قائلاً: إن هذه الليلة ليلة العيـد ووالدي طلب مني أن ألقي قصيدته في حفل العيد بالنيابة عنه، وكنا قد تفاهمنا على إستئناف الإلقاء في الحفل، فإذا هذا العارض، وبـالطبـع أن قصيدتك جاهزة مثلي، وإنما أنا سأُأخر إلقاء قصيدتي وسألقي قصيدة والدي نيابة عنه، فما رأيك؟

وكأنه - رحمه الله - يستطلع رأيّ في أدب مهذب وحياء ثري، كما طبع عليه من خلق كريم، فأجبته: يا صديقي لا أحد يتقدم على والدك ما دام على قيد الحياة، وما أنا إلا تلميذ لوالدك وزميل لك، فتقدم وألقي قصيدة والدك وسأقوم بعد إلقائك، لأن لوالدك الحق ألا يتقدم عليه أحد، فبدا لي الرضا والإرتياح في وجه صديقي، فقلت له: يمكنك يا أخي أن تقرأ عليّ القصيدة، فقرأها من المستهل الذي وصلني وبعده الأبيات الاثنى عشر التي أنشأتها، وعليها من نظم والده الذي أنشأه في تلك المناسبة ما ينوف على الثلاثين بيتاً، وإذا القصيدة برمتها نحو خمسة وأربعين بيتاً، وبطبيعة الحال أن لا والده أخبره ولا أنا أشرت له إلى ذلك، بحيث انصرف مودعاً وهو على إعتقاد أن القصيدة كلها لوالده، وألتقينا في المحل المعتاد وانصرفنا إلى المصلى ومنه إلى قصر الإمارة، وهناك ألقى قصيدة والده، وألقيت قصيدتي من بعده.

وحال الحول وجاء عيد الفطر والأمير الجديد محمد بن أحمد السديري(٢) غائب في الريـاض، فلم يقام الحفل، وفي آخر شهر القعدة وصل الأمير إلى جازان ووصلتنـا الجرائد، لأن الوسائط كانت بطيئة، ومن الجرائد جريدة «أم القرى» المنشورة بها قصيدة الشيخ أحمد إبراهيم الغزاوي التي أنشدها بين يدي الملك

(١) لا يزال هذا الدفتر في حوزتي واستفدت منه في هذا البحث ونقلت منه الكلمة والأبيات وسيجد القارىء الكريم كلمة الشيخ علي السنوسي وأبياته بعده.

(٢) وصل الأمير الشيخ محمد بن أحمد السديري إلى جازان برفق أخيه ليتسلم منه الإمارة في ٢١/١٢/١٣٦٤ هـ.

في عيد الفطر المبارك والتي مستهلها:

دعوته فتهامى فيك ممتثلا
وراح يضرب في إشراقه المثلا

فأعجبت بها غاية الإعجاب، ورغبت في أن أجرب حظي في معارضته، وفعلت ذلك، وكانت قصيدتي المعارضة في مدح جلالة الملك عبدالعزيز، ومستهلها:

وافاك يشرق في أسماطه جُملا
مفصلا كنضيد الدر منتخلا

وانتهيت من المعارضة، ووضعت القصيدة في الدرج إلى ليلة العيد، ووافاني الزميل العزيز حاملاً قصيدته العيدية، وكالمعتاد قرأ عليّ قصيدته فأستحسنتها وأثنيت عليها، وبدوري قرأت قصيدتي، وبإتمام القراءة تطلعت إلى وجه صديقي، فإذا هو ساهم، فقلت له: ما ذا رأيك في القصيدة؟ فأجابني: القصيدة وثبة من وثبات الخيال، فقلت له: هون عليك يا صديقي إنك دائماً تظلم نفسك، فقصيدتك أروع وأفضل منها، فبدا لي في محياه عدم القناعة والإرتياح وانصرف.

وفي الصباح التقينا في المكان المعهود وسرنا إلى المصلى ومنه إلى قصر الإمارة، وعندما استكمل الحشد، وقفت وأنشدت قصيدتي، وتقدمت للتسليم على الأمير وتسليمه القصيدة، وعدت إلى مكاني، فقام الزميل الكريم وألقى البيت الأول من قصيدته، ثم توقف.

وكنت قد أخذت درساً من الموقف السابق، فأسرعت بالتقدم إلى موقفه وتناولت القصيدة منه وشرعت في إلقائها بعد أن أشرت له بالجلوس وألقيتها وكأنها قصيدتي بالذات(١)، وبعد الانتهاء تقدمت إلى الأمير محمد بن أحمد السديري، وأعطيته القصيدة فاستوقفني ودعا الزميل السنوسي قائلا له: ماذا دهاك يا أخي؟ لقد فجعتنا، فأجابه: كان الأمر أكثر من هذا لولا قيام زميلي بإتمام القصيدة.

---

(١) لقد كان الشيخ محمد بن أحمد السديري باراً بالأدب، مشجعاً على قول الشعر، وأتذكر منه أثناء زيارة الملك عبدالعزيز لمصر في سنة ١٣٦٤ هـ/ ١٩٤٥م أمر الأمير بإقامة حفل بتلك المناسبة وأقيم سرادق وفي يوم الإحتفال أستعرض الجيش ثم بدأ الحفل الخطابي وألقيت قصيدتي وعند الإنتهاء من إلقاء القصيدة خلع ساعته الذهبية وأعطاني إياها، ثم قام الزميل محمد بن علي السنوسي وأخذ الأمير ساعة ممتازة من أحد الحضور(١) وسلمها له، وتلاه أحمد عبدالفتاح الحازمي بقصيدة جميلة، فأمر الأمير أحد خاصته بخلع خنجره الفضي وتناوله منه وسلمه للزميل أحمد عبدالفتاح.

---

(١) هو السيد عبده إسماعيل بهكلي ولا يزال على قيد الحياة موجودا في الرياض.

أما الموقف الثالث فكان عندما وصل الشيخ محمد السديري من رحلة ودعينا للوقوف في الحفل، أنشأت قصيدة على الطريقة الأندلسية، وفي ليلة الحفل وصلني الزميل الكريم وطلب مني كالمعتاد أن أقرأ عليه قصيدتي، فقرأتها عليه كما قرأ عليّ قصيـدته، فقال لي: إن للطريقة الأندلسية روعتها وطرافتها، فقلت له: إن قافيتـك مطربة راقصة، وأن من دأب الإنسان أن لا يستحسن ما يقوم به في الأكثر، وحضرنا الحفل بعد صلاة الظهر في قصر الإمارة، وقمت بإلقاء قصيدتي، وبانتهائي عدت إلى مكاني القريب منه وقام هو بدوره، فقام متثاقلاً فشددت على يده قائلاً عادت العادة، ماذا يا أخي؟ فنهض وألقى قصيدته، وكان حسن الإنشاد والصوت فبادرت بالتصفيق عند أول مقطع، وتجاوب معي الجمهور وصار الموقف على أحسن ما كان، وانتهى الحفل وخرجنا سوية متلازمين بالأيدي، وفي الطريق قلت له: يا أخي ماذا بك قمت متثاقلاً؟ فقال: يا أخي قصيدتك رائعة وقافية السين كالخوازيق تدخل في الأذن؟ فعرفت أنه حساس أكثر من اللازم وأنه يسيء الظن بنفسه، مع أنه أهل لكل استحسان وأن شعره من الشعر الرفيع والإلهام الموحي.

ومضينا في طريقنا المشترك في الإشتراك في الإلقاء وآخر إشتراك لنا معا هو في سنة ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٣م عندما احتفلت منطقة جازان بزيارة صاحب السمو الملكي وزير الداخلية فهد بن عبدالعزيز في شهر ربيع الآخرة سنة ١٣٨٢ هـ، وأهل علينا رمضان في تلك السنة وفي أثناء تفضله بزيارته لي في هذا الشهر الكريم تطرق الحديث إلى حفل عيد الفطر، فصارحت أخي برغبتي في التوقف عن جميع المناسبات، فقال: سيؤاخذنا الشيخ تركي السديري»[1] فقلت له:

لقد مهدت الموضوع معه بصورة غير مباشرة، فقد قضينا نحو ثلاثة وعشرين عاما في الوقوف المشترك وسنبقى في المناسبات التي فوق العادة نتجاوب مع المواقف للتـرحيب بضيف كبيـر من الأسـرة أو صاحب الجلالة، وإن ترغب في متابعة المسيرة فلك الخيار، فأجابني بقوله: إن توقفنا سويا يخل بالموقف المعتاد، وإنما سأستمر أنا فترة، فقلت له: لك ذلك، وفعلا قام بإلقاء قصيدة العيد في عيد الفطر في حفل الإمارة وكذا في عيد الأضحى ثم توقف.

وأعترف أن حياتنا كحياة كل صديقين حميمين، وكأديبين وشاعرين متعاصرين لا تخلو من شائبة ومنافسة شريفة تظللها قتامة في بعض الأوقات، وإنما نحكم العقل دائماً ونتغلب على ما يطرأ، ونعالج ذلك بالتفهم الحاذق والتعاطف النبيل.

---

(١) وُلي الشيخ تركي السديري الإمارة من سلفه سليمان بن جبرين في ربيع الأول عام ١٣٧٦ هـ.

وأظهر ما شاب ذلك موضوعان: الأول أنه عندما أراد أن يتزوج زواجه الأول بعد قضية الخطبة الأولى ـ والتي سبق الإشارة إليها قبله ـ أراد أن يخطب على بنت أختي، ففاتح والده ـ كما عرفت منه بعد ذلك ـ فأجابه أن أباها الشيخ عبده حربي بيني وبينه عداوة، هو والشيخ صالح إبراهيم زيدان[1] منذ قدمت إلى هذه البلدة، وسوف أخطب لك إلى شخص يقدرني ويحترمني، وفعلا خطب له وتم الزواج وشاركته الأفراح متمنيا له السعادة من صميم قلبي، وتم الزواج على خير ما كان، ورزق منها ولداً وتوفت ـ رحمها الله ـ وبعد برهة لحقها الطفل، وفضل صديقي أرمل آسفاً على شريكة حياته وطفله. وكان قبل ذلك قد توفي والده ـ تغمده الله برحمته.

وبعد مضي سنة ـ تقريباً ـ زارني كالعادة في مساء كل ليلة، وقبل خروجه ناولني ورقة مضمونها: (يا عزيزي أرغب رغبة صادقة في توثيق عرى الصداقة بالخطبة لديكم في بنت أختك، وقد كنت أنوي هذا قبل الزواج الأول فصرفني والدي عن ذلك ـ وأخبرني بالتفصيل المذكور أعلاه ـ فأملي في أخوتك التفاهم مع والدها في إنهاء الموضوع.

فسرني الأمر ـ كما يشهد الله ـ وأجبته في الحال: دع الموضوع لي، وسينتهي إن شاء الله وأشعرك.

وانصرف مشيعاً بغبطتي وتقديره لإجابتي، وفي الصباح تفاهمت مع والدها فبدا لي منه النفور وعدم القبول ونفس الإحساس الذي كان يكنه السنوسي الوالد ـ الذي أخبرني به ابنه ـ وإذا شعور العداء متبادل بين الشيخين، وبقدر ما حاولت فلم أوفق.

فأجلت الأمر لجلسة أخرى، وأخذت من الناحية الأخرى إقناع والدتها وجدتها وأخوتها حتى نضع والد البنت أمام إجماعنا.

وكأن الصديق العزيز قد علم أو استبطأ الإجابة فما شعرت منه إلا بوصول رسالة مضمونها: (تراني خطبت عند فلان وغدا العقد وصداقتنا أمتن وأقوى من أن يغيرها طارىء، فأرجو التفضل بحضورك للعقد). وفعلا حضرت وتم الزواج، ولم يطل أكثر من سنة أو سنة ونصف ـ تقريباً ـ وانتهى بالطلاق، وبقيت صداقتنا على ما كانت عليه من التواصل والخروج في نزهة العصر والسهر ليلا، ولولا

---

(١) الشيخ صالح إبراهيم زيدان شيخ مدينة جازان في آخر العهد العثماني وفي العهد الإدريسي وفي أوائل العهد السعودي.

الحياء لعرضت عليه الزواج لأنه قد تغيرت الأمور بالنسبة إلى موضوع الخطبة الأولى، وأصبحت أستطيع أن أوثِر على والدها أكثر مما كان في الماضي.

وبينما أنا في مثل ذلك التفكير فإذا بصديق الطرفين عبدالله حيدر مدير مكتب الإمارة يزورني، وبعد المجاملة فاتحني في رغبة صديقي الأستاذ محمد السنوسي في الزواج قائلا: زارني صديقك السنوسي ورجاني أن أخطب له لديكم، فما رأيك؟ فأجبته: أن هذا من أحب الأشياء إليّ، وسوف أتفاهم مع والدها وأنهي الموضوع إن شاء الله وأشعرك.

وفعلا تفاهمت مع والدها وأقنعته وتم الأمر في أيسر وقت وأقصر مدة ورزق منها أكثر أبنائه وتوفي وهما في غاية الوئام والسعادة.

أما الموضوع الثاني فقد كنت في مصر[1]، وفي آخر أيام إقامتي بمصر وصل ولم نتفق، وبعد رجوعي إلى الوطن، ورجوعه عن طريق جدة ومنها توجه إلى الرياض، وفي ذات يوم كنت أتصفح جريدة عكاظ، فإذا مقابلة لمراسلها في القاهرة مع صديقي الكريم، وإذا هو يشتمل على الأسئلة المقدمة له وفيها ما كنت استبعده من صديق العمر وزميل الدرب، ومن جملة ما في إجاباته: أن العقيلي يعتبر نفسه الشاعر الأوحد والمؤرخ الوحيد وأن هذا من الغرور، وعندما سأله عن مؤلفاتي أجاب أنها كلها من الكتب، ويا ليت شعري، من ذا الذي يؤلف عن التاريخ أو أي علم، ولا يأخذ من المصادر والكتب، فتأولت للأخ الكريم وحملت الأمر على أنه لا يعدو هفوة أو تزيُّداً من الكاتب وبعد يومين اتصل بي من الرياض معتذراً، وأن ما كتب تزيد عليه وأن صداقتنا أمتن من أن يؤثر عليها مقال أو كتاب، فتناسيت الأمر، واتصل هاتفياً أحد من يحبون تأريث الفتنة والخصومة بين الأصدقاء بمندوب عكاظ ـ كما بلغني من الشخص نفسه ـ وهو حي يرزق إلى الآن ـ أن السنوسي اعتذر لصديقه وأنك قد تزيدت عليه فأجابه أن المقابلة مسجلة في شريط وإن أراد أن يرسل له نسخة منها فعل، وبعد ذلك بأيام نشر السنوسي اعتذارا عما كتب[2]، وأن ذلك بخلاف ما أجاب ، وأن العقيلي معروف بمقدرته الأدبية وطاقته الإنتاجية ومعلوماته الواسعة ومثل ذلك، واكتفيت بذلك، كاعتذار من صديقي وتناسينا الأمر، وعادت الصداقة لمجراها الطبيعي سائرين على قول الشاعر:

---

(١) في أول سنة ١٤٠٤ هـ.

(٢) نشر في جريدة عكاظ في النصف الأول من عام ١٤٠٤ هـ تقريباً.

من ذا الذي ما ساء قط ومـن له الحـسـنـى فقـط

وقول الآخر:

إذا ما بدت من صاحب لك زلة فكن أنت محتـالا لزلتـه عذرا

وهي ليست بزلة، بل هفوة بسيطة من صديق كريم ورفيق عزيز، وأي صديقين لم تشب حياتهما شائبة، ولا أبرىء نفسي ولا أدعي الكمال، فقد يكون حدث مني على دون قصد ما أوجب عتب ذلك الصديق العزيز فسبحان من له الكمال، وإنما عشنا إلى أن لقى الله وسألحقه اليوم أو غدا وأنا أحمل له من الإعزاز والتقدير والحب الأخوي، وأكرر قول المتنبي:

وإنـي لأتـبـع تذكـاره
صلاة الإله وسـقـيـا السـحـب

فرحمك الله يا صديق العمر ورفيق الدرب وجمعنا وإياك في دار الخلود.



الناحية الثقافية

إن الإنسان يحتاج قبل العلم والثقافة إلى سد الحاجة وتأمين المعيشة، فإن وجدت تطلع ـ بطبيعة الحال ـ إلى الغذاء الفكري والنشاط الأدبي.

وبما إن مدينة جازان هي قاعدة المنطقة، ونقطة الثقل الحكومي والمركز التجاري والعاصمة الإدارية للمنطقة، والإمام الإدريسي الأول. بالرغم من أن عاصمته الرسمية صبيا، كان أكثر إقامته في مدينة جازان، وكان بوجوده في جازان تنتقل معه الدوائر الحكومية والوزارات والمرافق، ويغمر النشاط كل شيء بوجوده، ومن ذلك مجالسه العلمية وما يجول فيها من حوار ومناقشات ومحاضرات بين يديه من العلماء، يشارك هو فيها بعلمه الواسع وينتقل بطبيعة الحال رشاش من صيب تلك المناقشات، فتتبادل الأحاديث بأهمية ما يدور، ومنطقة المخلاف السليماني ـ كما يشهد تاريخها ـ مثابة علم وآداب، خفتت قبل الإدريسي تلك الحركة بسبب إهمال الأتراك واشتغال الناس بالفتن وعاد لها بعض زخمها الأدبي والعلمي بقيام الإدريسي، وبعد وفاته تردت الأحوال وخمد النشاط الأدبي إلى ما هو الأقل ـ مما أشرنا إليه ـ وها نحن نشاهد في مستهل العهد السعودي تباشير استهلال الأنشطة الأدبية في حركة وئيدة متمثلة في مدينة جازان في مجالس أهلية وتواجد إجتماعي في مجلس وكيل أبناء باصهي، أحمد بن عبدالرحمن البهكلي والابن الراشد ـ آنذاك ـ الشاب يحيى محمد باصهي، ومشاركة العابد الإدريسي، وعمر صالح هاشم، وأمين مالية جازان ورئيس جماركها الشيخ عبدالله قاضي، وبعض رؤساء الدوائر، وفي مثل ذلك المجتمع الصغير تدور الأحاديث الشيقة والمذاكرات الأدبية والآراء النيرة.

ويلي ذلك مجلس الشيخ عقيل بن أحمد عالم جازان ومن يغشوه من الطلبة ممن يقرأون عليه، وعلى رأسهم علي بن محمد صالح عبدالحق، وعبدالله مطهر، ومحمد عقيل بن أحمد، ومحمد زارع عقيل، وعبد القادر علاقي، وعدد من الشباب وفير أشرنا إليهم قبله.

وهناك مجلس رئيس البلدية الشيخ عيسى فتح الدين عقيلي، وفيه يحضر عدد لا بأس به، وكان هو من المولعين بشعر أبي الطيب، وكثيراً ما يقرأ الأستاذ عبدالقادر علاقي في الديوان أو بعض كتب الأدب، ولا يخلو المجلس من مناقشات

ومن مذاكرات مفيدة.

وبعد ذلك استقل الأستاذ عبدالقادر علاقي بمجلس بداره، وكان ممن يحضره: محمد بن أحمد العقيلي، ومحمد بن علي السنوسي، ومحمد زارع عقيل، وعدد من الشباب، ويتولى القراءة في أمهات كتب الأدب والتاريخ الأستاذ عبده علاقي نفسه، وكان حسن القراءة طويل النفس بحيث تمضي الساعة والنصف وهو يقرأ بدون توقف إلا إذا استدعى موضوع من المواضيع المناقشة أو الحوار ثم تستأنف بعده القراءة.

تلك المجالس كانت نواة تجمعات أولية للحركة الأدبية والنشاط الثقافي.

ثم توقفنا عن الإجتماع وانتظمنا في سلك الدراسة لدى الشيخ عقيل بن أحمد عصرا، كل من في المجلس، ما عدا يوم الخميس والجمعة.

في ذلك الوقت كان في إمـارة المنطقة ابن عُقّيل، وهو من جيل المناضلين وكـانت مدتـه قصيـرة، وفي عهـده وصــل الداعيـة الإســلامي الشيخ عبدالله القرعاوي[1] وأسس في صامطة معهداً علمياً أعطى ثماره الخيرة وفوائده الجليلة، وانجب عدداً من الدعاة والأدباء والشعراء والقضاة وعلى رأسهم نابغة جيله وعالم عهده الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ـ تغمده الله برحمته .

ثم تعين الشيـخ محمـد بن عبـدالعـزيز الماضي خلفاً لابن عقيل في سنة ١٣٥٥ هـ/ ١٩٣٦ م وكـان له مشاركة في الآداب والمذاكرة، وفي مدته وصل جماعة من شباب المنطقة قد انهوا دراستهم في صنعاء وعلى رأسهم أحمد بن عبدالفتاح الحازمي ومحمد عثمان جوحلي وغيرهما[2].

---

(١) أنظر كتابنا المخلاف السليماني، الطبعة الثالثة ص ١٢٠١.

(٢) وكان قبلهم قد وصل الفوج الأول من الطلبة الذين أكملوا دراستهم في صنعاء وهم يحيى بن موسى الحازمي، وحسن أبو شريفة الحازمي، وادريس الحازمي وبعض رفاقهم.


الفصل الثاني

أولا : النـــثر

الرســـائـــل

دراسة فن الترسل

فن الترسل في الأدب العربي من الفنون التي كان لها مجالها الأكبر في الأدب العربي، وكان يطلق عليه اسم «فن الإنشاء».

وأشهر كتاب الرسائل العربية عبدالحميد الكاتب، الذي يقال عنه «بدأت الكتابة بعبدالحميد وختمت بابن العميد»، وإن كان في الشق الأول بعض الحقيقة وفي الشق الثاني مغالاة، فإنها لم تختتم بابن العميد ـ حقيقة ـ فقد تلا ابن العميد من هو في طبقته، والقافلة تسير.

وقد أوفى ذلك الباب حقه في كتب الأدب العربية كـ «الكامل» للمبرد و «البيان والتبيين» للجاحظ، و «المثل السائر» لابن الأثير، وغير ذلك من أُمهات كتب الأدب، وأحدث كتاب في العصر الحديث في ذلك الفن هو كتاب «النثر الفني» لزكي مبارك.

وقد تطورت الكتابة وتخلت عن السجع والمحسنات اللفظية، وأصبح للكتابة أسلوبها العصري الحديث المرن، الذي يساير التطور العصري، وليس هنا مجال التوسع، فقد أعطى لهذا الباب حقه في المؤلفات الموسعة.

أمـا بالنسبـة للمخـلاف السليمـاني ـ منطقة جازان ـ فقد أتبع في القديم الأسلوب القديم نفسه، وأقدم رسالة ـ تحت أيدينا ـ هي رسالة الشاعر ابن هتيمل إلى زميله الشاعر التهامي محمد بن حمير(١).
وبطبيعة الحال لم يقف الأمر عند تلك الرسالة، فهناك غيرها من الرسائل.

أما بالنسبة إلى ما بعد ذلك، فرسائل حمود أبو مسمار إلى محمد علي باشا هي النموذج الثاني، ويليها رسالة الشيخ أحمد بن عبدالله الضمدي إلى الأمير سعود بن عبدالعزيز بن محمد(٢).

وفي العهد الإدريسي: فرسائل الإمام محمد بن علي الإدريسي هي النموذج لفن الإنشاء ـ الرسائل ـ في النصف الأول من القرن الرابع عشر(٣)، ورسالة

---

(١) أنظر كتابنا التاريخ الأدبي جـ١ ص (١٤٥).

(٢) أنظر جـ١ من التاريخ الأدبي صـ ٥٠٢

(٣) أنظر جـ٢ من التاريخ الأدبي ص١٨٠ ومابعدها.

القاضي علي بن محمد السنوسي إلى القاضي محمد نوري، ورسالة القاضي علي بن محمد السنوسي إلى المؤلف، وكلمة القاضي علي بن محمد السنوسي إلى المؤلف.

وأخيراً رسالة العمودي إلى المؤلف، وما ورد بعد ذلك، رسالة الشيخ محمد عقيل بن أحمد إلى المؤلف.

وهي نماذج فيها الوضوح وسلاسة الأسلوب، وإن كان لم يتعمد أصحابها إظهار تفوقهم الأدبي، وإلا فهم قديرون على أرقى من ذلك الإنشاء.



رسالة من الشيخ
عبدالله بن علي العمودي[1]، للمؤلف

الكتاب القيم
شرح النمازيه
ما وصل حسبما أوعدتم
بإرساله مع الثقة

حماكم الله

إلى ولدي الأستاذ البحاثة الأجل محمد بن أحمد عيسى العقيلي بعد أسنى السلام والتحية والإكرام والمعاهدة وانه وصلني التاريخ الأدبي هدية واتحافاً لنا منكم شكر الله سعيكم وازادكم من معارفه. فقد أحسنتم فيه كل الإحسان فما أحق أن أقول فيه هذين البيتين من القريض..

---

(١) الشيخ عبدالله بن علي العمودي من أعلام المنطقة البارزين، ومن قضاتها المعروفين، عاش للعلم في مستهل حياته الكريمة إلى أن لقى ربه لم يتخذ غير العلم سبيلا، تولى وظيفة القضاء الشرعي فترة من الزمن في عهد الإدريسي مؤسس الإمارة الإدريسية، ثم تفرغ للتدريس والإفادة والتأليف، كان متقللاً من الدنيا مواظباً على العبادة، جليسه الكتاب والمحابر والأقلام، وبالأخص في سنينه الأخيرة.

ترجم له المؤرخ محمد بن إسماعيل الوشلي في تاريخه ـ المخطوط ـ الموسوم بـ «نشر الثناء الحسن»، فقال: (من علماء أبي عريش القاضي العلامة الشيخ عبدالله بن علي بن عبدالله باسندوه العمودي)، كما أفاد هو بذلك وأفادني أن ولادته في مدينة أبي عريش في سنة ١٢٩٩ هـ تقريباً وقرأ بها القرآن الكريم وبعض المتون ثم توجه إلى تهامة اليمن في سنة ١٣١٥ هـ فوصل إلى بندر الحديدة وقرأ على مشايخ منهم محمد ابن عبدالقادر الأهدل وعبدالله بن يحيى مكرم، وغيرهم، في الفقه والنحو وأقام في الحديدة نحو سنة، ثم توجه إلى المراوعة فأخذ عن علمائها محمد بن عبدالرحمن بن حسن الأهدل، ومحمد طاهر عبدالرحمن وعبدالله جمالي، وحمزة بن عبدالرحمن، وحسن بن عبدالله معوض وغيرهم.

فكان أكثر أخذه على محمد بن عبدالرحمن الأهدل، وبه تخرج، فقرأ عليه في المنهاج والسنن، وشرح الرجوية، وسبط المارديني، والملحة وشرحها، وقواعد الإعراب، وفي مصطلح الحديث وغير ذلك، وأجاز له شيخه المذكور، وطالت مدة إقامته بالمراوعة ثلاث سنوات، ثم رجع إلى بلدته مدينة أبي عريش عام ١٣٢٠ هـ مفيداً ومستفيداً إلى عام ١٣٢٤ هـ فأخرج بأهله إلى مدينة ميدي لمقتضى أقتضى ذلك، وقد ولاه الإمام الإدريسي القضاء والخطابة بميدي، فصار في القضاء سيرة حسنة، ومن مشائخه الإمام محمد بن علي بن إدريس، له عليه مقروءات، وأجازه بما حواه ثبت أسانيده المسمى «العقود اللؤلؤية» ثم عاد إلى أبي عريش في سنة ١٣٤٥)هـ. انتهى. =

قد نورت طلعــة التــاريــخ حيــن بدا
كالكــوكب المشتــري الوهــاج في الأفق
لله در مؤلفــه البــحــاثــة النــدس
عفــا على الآخــريــن في وضــعــه الأنق

وإني رأيت من صاحبنا حمد الجاسر فيما نشره من مقدمته ما يظهر منه من عدم التبرير في نتف منه من عبر التاريخ في حق ملوك اليمن ما يعجب منه وإلا فهو قد أثنى عليكم فيما وضعتموه من اللياقة والثقافة وإنى بالأشواق إلى تكملته وشريف السلام حرر الثالث عشر شعبان سنة ١٣٧٨ هـ.

والدكم
(توقيع)
عبدالله علي العمودي

نعم تأخر الخط
كوني مريضا
في عدم تحركي
لإرساله فقد وصلني
كتابك الخطي الأخير
ووردت الحوالة لي فحرر
صرفها أوصلكم الله رضاه
وطالما غمرتنا إلينا
بأياديكم البيضاء
جزاكم الله خيرا

= ثم انتقل إلى صبيا في حوالي عام ١٣٤٧ هـ، وظل بها إلى أن قامت الثورة عام ١٣٥١ هـ، وبعدها عاد إلى جازان، ثم أستقر في أبي عريش متفرغاً للتدريس والإفادة ـ كما أفادني بذلك مشافهة ـ إلى أن لقى ربه في مساء يوم الجمعة الموافق ١٣٩٨/٢/١١ هـ.
مؤلفاته:
١ ـ رسالة في الرد على أهل الزيغ والعناد ممن قدح في المعراج.
٢ ـ «اللامع اليماني في تاريخ المخلاف السليماني» في جزئين من نسختين أهدى نسخة منها إلى ـ المغفور له ـ الملك فيصل بن عبدالعزيز، ونسخة أخرى مع أبنائه في أبي عريش.
٣ ـ عدد من المؤلفات في الفقه والأدب.
٤ ـ ديوان شعر بعنوان «غلة الصادي في الشعر العادي».

إلى ولدي الأستاذ البحاثة الأجل محمد [illegible] العقيلي

بعد أسنى السلام والتحية والإكرام والمصافحة

وإذ وصلني التاريخ [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

صورة رسالة الشيخ عبدالله بن علي العمودي بخطه إلى المؤلف

خطاب موجه من القاضي علي السنوسي(١)
إلى المؤلف

حضرة الأديب المحب العزيز محمد بن أحمد عيسى العقيلي سلمه الله.

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: قد شكرنا جمالتكم التي قمتم بها حسب أملنا فيكم وأبديتم همتكم العالية وأحسنتم كل الإحسان في إيراد أبيات يقصر عن تعبير ما حوت عليه اللسان، ولما وقفت عليها رقمت على جهة التقريط حين أستفزتني معانيها وقلت بديها:

شعــراً أرق من النــسيــم وأسـحــر
من لحــظ غانــيــة تغض وتــخــطر
وعــجــبــت من رقــراقــه وصــفــائــه
فكــأنــه برد يذوب ويــقــطر
وشــهــدت لمــا أن رأيــت جمــالــه
يسـبـي العـقــول من البــهــاء ويسكــر
ظهــرت بدائــرة المــعــارف آيــة
لمــحــمــد أحــمــد بن عيــســى تذكــر

---

(١) (القاضي علي بن محمد السنوسي)

ترجم له ابنه الزميل الشاعر محمد بن علي السنوسي في كتابنا المشترك بعنوان «شعراء الجنوب»، ما نورده موجزاً - هنا - ولد بمكة سنة ١٣١٥ هـ ووصل إلى جازان سنة ١٣٢٨ هـ(١) في السنة الثانية لقيام ثورة الإدريسي في طريقه إلى زبيد لطلب العلم، فأكرمت وفادته وأرفق بكتاب توصية من الإدريسي إلى صديقه في زبيد «سليمان الأنباري».

تلقى علومه في زبيد والمراوعة، فكان المبرز على أقرانه والمجلى في ميدانه، وفي عام ١٣٣٤ هـ وصل إلى جازان فكان واحداً من رجال العهد الإدريسي وتقلد بعد ذلك منصب القضاء، وعندما شمل عهد الملك عبدالعزيز ربوع المنطقة كان قاضياً لجازان إلى عام ١٣٥٤ هـ.

كان - رحمه الله - يجمع بين مكانة العلم وظرف الأدب وحصافة الشعر. والتواضع وكرم السيرة وصفاء السريرة.

وإننا مدينون لشخصه وأدبه بالكثير من التوجيه والإرشاد، وقد توفى - تغمده الله برحمته - في جازان عام ١٣٦٣ هـ.

له كتاب باسم «السماط الممدود في رباط المحبة والعهود بين الأدارسة وآل سعود» ولم أطلع عليه ولكن فهمت ذلك من ابنه - زميلي - محمد بن علي السنوسي.

---

(١) في عام ١٣٢٨هـ لم يكن الإدريسي قد أحتل جازان: أنظر ص ٧٩٠ من كتابنا «المخلاف السليماني» جـ ٢.

رسالة القاضي علي السنوسي
إلى القاضي محمد نوري(١)

(حضرة جناب العالم العلامة البحر الفهامة القاضي السيد محمد نوري أسعد الله صباحه ومساءه ـ آمين. بعد إهداء واجب التحية والتسليم، أحببت أن أعرض على سيادتكم هذه القصيدة(٢) القاصرة طبق قريحة صاحبها الفاترة لإعترافي لكم سابقاً ولاحقاً بما منحكم الباري وتفضل به عليكم من الفهم الثاقب والنظر الدقيق والمعـرفة التامة في فنون العلم من فقه وآلة وأدب وقريض وغيرها على حسب الإستعداد، وقواعد الإستمداد(٣) لكون هذه المنحولة العارية الخميصة محتوية على بعض أسماء البلاد وأسماء الرجال على وجه التورية، فالأمل تسريح نظركم فيها فما كان غير مطابق معناه أو وجدتم له وجها أحسن من تركيبه، فالإذن لكم منا في تغييره وتصحيحه....)(٤) انتهى.

---

(١) القاضي علي السنوسي والقاضي محمد نوري كلاهما من رجال العهد الإدريسي.

(٢) لقد سألت الأخ الزميل الأستاذ محمد بن علي السنوسي: هل توجد لديك هذه القصيدة؟ فأفاد نفياً، كما أني سألت ولده يحيى بن محمد علي السنوسي عن أشعار جده في العهد الإدريسي فأفادني أنه بحث ولم يجد شيئاً .

(٣) هكذا في الأصل.

(٤) المصدر: من مقتنيات الأخ محمد بن علي السنوسي.

رسالة من القاضي الشيخ
علي بن محمد السنوسي للمؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

بأي لسان أعبر وبأي قلم أحبر عن الدرة اليتيمة التي ليس لمثلها قيمة، وكلما جال فكري في حسنها تحيرت عن إدراك نهجها غير أني عولت فيما قالته الجهابذة وجمهور الأساتذة كم ترك الأول للآخر من المفاخر والمناقب وقد شهدت هذه القصيدة بالنبوغ لصاحبها وبالثقافة قبل ابان البلوغ وما تكامل رشده إلا وقد اشتد زنده نسأل الله أن يدرأ عنه الحساد بعناية من الإمداد، آمين.

علي بن محمد السنوسي



بسم الله الرحمن الرحيم ٢٩/٤/١٣٦٣

بأي لسان أعبر وبأي قلم أحبر عن الدرة البهية التي أسلفتها [illegible] وكلما

جال فكري في حسنها تحيرت عن إدراك كنهها [illegible] فيها قاله الجهابذة

وجمهور الأساتذة [illegible] من الضافعين [illegible] وقد شهدت هذه

القصيدة بالنبوغ [illegible] الثقافة [illegible] المبلوغ [illegible] رشده

إلا وقد اشتد زنده [illegible] من الإمداد [illegible]

علي بن محمد السنوسي

صورة رسالة القاضي علي بن محمد السنوسي بخطه إلى المؤلف

(رسالة من النثر الفني)

للشيخ أحمد بن حسن بن محمد الضمدي(١)

الحمد لله رب العالمين ونصلي ونسلم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد فإن فيض الإحسان القدسي يمد الأرواح الصقيلة بنوايا الشرف وأشعة الإرادة في النواميس العطرة، ربطا بمبدع الوجود، لعزة البشرية وطهارتها في المستوى الكوني والخلقي بحسب زحفها في جهاد التقرب وعزائمها في زينة الحياة الطيبة وثباتها عند اصطدام التضاد، ونحن في هذا المجتمع الإسلامي واللقاء الروحي والجسماني فيما يقيم المعوج ويصلح ما تخمن فيه التعرية محيطاً واسعا في الإصلاح تمشياً في سنا ما يهدف إليه صدق الوفاء الإيماني...، فالإيمان عظمته لا منتهى له ولا أمد:

﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾(٢)

---

(١) الشيخ أحمد بن حسن بن محمد الضمدي ولد في مدينة ضمد سنة ١٣٢٧ هـ من أسرة علمية معروفة شهيرة توارثت العلم سلفاً عن خلف درس على يد والده القاضي حسن بن محمد ومن ثم سار إلى صنعاء فدرس في معاهدها حتى نال الإجازة فعاد إلى وطنه ومارس التدريس إحتساباً فأفاد واستفاد من معلوماته غير واحد.

أشتغل بعد التدريس بالقضاء، ثم تقاعد وتفرغ للعلم والتدريس، وكان يتكفل بإيواء المغتربين في غرفة خاصة في داره ويقوم بمعيشتهم.

كان رحمه الله على جانب من المعارف واسع الثقافة وله طريقة فريدة في إلقاء الدروس على طلابه في تبسيط المعارف حتى تستوعبها مفاهيمهم البسيطة وقلوبهم الغضة، وله مراسلات ومطارحات شعرية مع علماء وأدباء عصره وشعرائه وبالأخص مع الشاعر إبراهيم حسن الشعبي، والشيخ عبدالله مطيع.

والشيخ أحمد بن حسن(١) علم من أعلام المنطقة ورمز من رموزها الأدبية في الشعر والنثر(٢) وله من النتاج الفكري والمؤلفات:

١ـ رسالة «منحة الصمد في الميسور من حديث ضمد».

٢ـ مجموعة أشعار.

٣ـ عدد من الرسائل الإخوانية.

(٢) من الآية رقم (٣٤) سورة إبراهيم.

---

(١) الشيخ أحمد بن حسن الضمدي، لقب بـ «عاكش».

(٢) أنظر نبذة تاريخية عن التعليم في تهامة وعسير ص ٣١، ص ٥٨ للأستاذ حجاب الحازمي، وأنظر ص ١٠٥ من كتاب «الحياة الفكرية والأدبية في جنوب البلاد السعودية» مع مقابلة شخصية مع الأستاذ يحيى بن أحمد عاكش أجراها معه الأستاذ حجاب الحازمي، وانظر «نزهة النظر في تراجم رجال القرن الرابع عشر ص ١١٧ لـ «أحمد محمد زبارة».

وجندي الإسلام لابد أن ينضو عصمته للإسلام فيجعل محل استوائه ثباتاً وبسالة وعزيمة وشرفاً صادقاً في وفائه مخلصا في عمله مترفعاً في حليته وشمائله مخلصاً في عقيدته وإيمانه رابطاً بربه الأعلى في سره وعلنه وطاعته وجهاده مكبراً وجهته في خدمة الله الذي سبحت لعظمته جميع الكائنات...).

وهي طويلة اجتزأنا منها هذا المقطع[1].



(١) يوجد الأصل لدى المهندس عبدالله بن أحمد بن حسن عاكش[1].

(١) هذه المعلومات عن الشيخ أحمد عاكش مستقاه من أوراق وردتني من الأخ الأستاذ حجاب الحازمي مشكورا.

رسالة محمد عقيل بن أحمد للمؤلف(١)

حضرة الأخ العزيز محمد بن أحمد عيسى العقيلي

بعد التحية،

أخي كلما أمعنت النظر في قصيدتكم كلما أزددت بها اعجابا وكلما تدبرت معانيها جعلتني أحلق في جو يفيض سرورا ويطفو حبورا، وقد حملت نفسي ثقيلا لما يخالجني من الوفاء لكم في شيء أثني به عليكم إخلاصا وتشجيعاً، وأود أن يتحلى جيد هذا الجيل بأعجوبة دهره، ويمرح في مجده وفخره، ويلهج لكم بالثناء العاطر والشكر الباهر في طليعة الأخيار.

٦٤/١٢/١٦

التوقيع

محمد عقيل بن أحمد

---

(١) الشيخ محمد عقيل(١) بن أحمد، رجل الفقه المعروف في جازان، يتسم بمعلوماته الفقهية الغزيرة، وله مشاركات في الأدب والشعر، ولد عام ١٣٢٨ هـ ودرس على يد والده، وعندما أنشئت المدارس الإبتدائية في جازان توظف مدرساً في علوم الدين، وظل يشغل تلك الوظيفة إلى أن تقاعد وتفرغ للعلم والاشتغال بالتجارة، له نتاج نثري وشعري يجد بعضه القارىء الكريم موزعاً في أبواب هذا الكتاب، وتوفاه الله في شعبان عام ١٤١٢هـ.

---

(١) شيخنا الجليل عقيل بن أحمد حنين رجل العلم في عهده درس على يد الشناقطة وغيرهم، وعايش معاصريه مثل الشيخين: عبدالله على العمودي وعلي بن محمد السنوسي وعدد من علماء المنطقة، وكانت له مدرسة ناجحة في حارة الحافة بجيزان، تخرج منها عدد وفير من شباب جيزان منهم: محمد عقيل بن أحمد، عيسى فتح الدين العقيلي، عبدالقادر علاقي، علي محمد صالح عبدالحق، علي بن أحمد عيسى الفقيه، محمد زارع عقيل، عبدالله مطهر، محمد بن أحمد العقيلي، محمد ابن علي السنوسي وغيرهم.

توفى سنة ١٣٨٥ هـ تقريباً ـ وكان تغمده الله ضليعاً في الفقه والعربية نحواً وصرفاً.

صورة كتاب من فضيلة قاضي أبي عريش

عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل[1]

أهدي وافر سلامي وثنائي وخالص احترامي ودعائي إلى حضرة الأخ الأديب محمد بن أحمد العقيلي وأشكره على حسن التفاته واعتناه على إرسال القصيدة الطنانة الحاوية لجل زهور الأدب وأفنانه، ولو كان المنهج مفتوحاً للنشر لافتتح به صفحاته وأبدى لك الشكر.

وأني أهم بأن أقرضها ولكن القريحة جامدة والهمة خامدة والعذر على ذلك، وقد تليت مرارا على الحاضرين وتناقلها بعضهم وكلهم استجادها واستحسنها. هذا والسلام.

٦٢/١٢/٢٥

عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل

---

(١) الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل من مواليد مدينة عنيزة بنجد، ولد عام ١٣٢٩ هـ - تقريباً - ودرس على عمه الشيخ عبدالرحمن بن عقيل وغيرهم، وصل إلى جازان مرافقاً لعمه في العقد السادس من القرن الرابع عشر، وظل بها وتبوأ مركز القضاء في جزيرة فرسان ثم في مدينة أبي عريش وغيرها، وعاد إلى نجد وشغل عدة وظائف في دار الإفتاء وفي هيئة كبار العلماء وفي هيئة القضاء الأعلى. وله آثار علمية وأدبية، وله محاضرات لم تطبع.

دراسة وتحليل لخطاب أمير منطقة جازان
الشيخ سليمان بن جبرين(١)

استهل الرسالة بالبسملة واسم المرسل إليه، ثم السلام والإفادة عن صحة المرسل إليه وصلاح أعماله، وأنه يسأل كل غاد ورائح عن أحوالنا، وبعد المجاملات، وأنه ينتظر ورود رسالة منا تشرح أحوالنا وما حولنا ويعرج بقوله: «نعذركم لتراكم الأعمال وبحصول بعض التعديلات وبالأخص في الجمرك»، ثم يتطرق إلى صلب الموضوع، وهو قضية غزوة قبيلة الريث التي تمادت في غيها وتفاقم شرها على القبائل المجاورة لها، وقد أرادت الحكومة استصلاح أمرهم، وبعثت إليهم بالنصائح والمرشدين فركبوا رؤوسهم.

ثم أمرت أمير جازان بالتوجه إلى جهتهم ـ قبيلة الريث ـ للتحقيق في قضية اغتيال شخص يمني مقيم بالمركز الحكومي في الريث (مقزع)، فلم يستجيبوا لدواعي التحقيق وازدادوا تمرداً وامتناعاً عن الحضور وخروجاً عن الطاعة، وأنه ـ أي أمير منطقة جازان ـ بذل شتى الوسائل لتهدئتهم وتأليفهم واستعمل معهم الحلم والأناة والصبر والحكمة، وأرسل إليهم البعثة تلو البعثة من الرجال العقلاء المقبول كلامهم عندهم بدون جدوى وأن البعثات التي أرسلت إليهم تنوف على العشر وتعود من لديهم بدون فائدة، وتقدم له قرارها المصدق من القاضي الشرعي بإصرارهم على موقفهم وتماديهم في غيهم وشذوذهم.

---

(١) (الشيخ سليمان بن جبرين)
أمير جازان من عام ١٣٧٣ هـ إلى عام ١٣٧٧ هـ

من مواليد بلدة القوعية بنجد عام ١٣٢٩ هـ تقريبا، وعين أميراً لجازان بين عامي ١٣٧٣ هـ، ١٣٧٧ هـ، وفي عهده قامت قبيلة الريث ـ من قبائل المنطقة بتعديات على جيرانهم، ومخالفات، فقام بمحاولات جادة لإصلاحهم، وتأليفهم، فلم يجد ذلك نفعاً، وقد تكررت المخالفات من «الريث» قبل ذلك في عهد أمير جازان الشيخ خالد بن أحمد السديري، وغيره، وبعد أن قامت الحكومة بإرسال عدد من القضاة والعلماء بغية نصحهم، وإرشادهم للخلود للطاعة، وترك التعديات على جيرانهم، وقطع السبل، فلم يجد ذلك نفعاً، فصدرت الأوامر لأمير المنطقة لإستصلاح أمرهم، فتقدم سليمان بن جبرين على رأس شوكات المنطقة، كما تقدم أمير عسير بشوكات جهته، وتم بفضل الله رجوعهم إلى الطاعة، وبعد ذلك قامت الحكومة بفتح المدارس، ووضع حامية، وإدخال جماعة من شبابهم في الجيش، والآن قد أصبح من أبنائهم المتعلمين والموظفين، وجنود في الدفاع والشرطة، وأقبلوا على الأعمال وبعد تلك الغزوة بعث مشكوراً الشيخ سليمان بن جبرين إليّ الرسالة التاريخية والأدبية، وهي نمط للترسل والرسائل شبه الرسمية قبل سبع وثلاثين سنة، وقد توفي ـ رحمه الله ـ في أواخر العقد الثامن تقريباً في وطنه.

وأنه - أي أمير منطقة جازان - كان يؤكد بكتابة أوراق أمان لهم على النفس والمال والعرض والسلاح بدون فائدة، ومضت الأيام والأسابيع على تلك الحال، وأنه يقول: «فياليت الفئة العاصية وقفت الموقف السلبي الإمتناع عن الحضور ولكنها فوق ذلك أخذ أشرارها يترصدون ويخيفون الطرق ويقتلون الأبرياء ويطلقون النار على مخيمنا بمركز (مقزع) ويعملون كل ما يستطيعون من الأعمال العدوانية، وقد ضبطنا أعصابنا حيال كل هذه الإستفزازات والتحرشات واستمرينا على ما نحن فيه.. الخ».

هكذا استمر على الصبر في دعوتهم للرجوع إلى الطاعة رغبة في هدايتهم وحقنا للدماء وبراءة للذمة إعذاراً لهم ورفقاً بهم حتى تلاشى كل أمل في عودتهم إلى حظيرة الطاعة.

ولما لم يبق ألا شن الحملة التأديبية بعد استكمال الحشد من المنطقة ومن عسير، فقد تحرك الجيش من مركز (مقزع) يوم الجمعة ١٣٧٥/١/٢٢ هـ.

وبعد أن عقدت الألوية ونظمت الكتائب أمر على المقدمة لتطهير المواقع الأمامية، ثم تحرك الجيش ووصل قرية (رخية) يوم السبت ١٣٧٥/١/٢٣ هـ، ولم يصادف إلاسبور للعدو ولاذوا بالفرار، وفي يوم الأحد ١٣٧٥/١/٢٤ هـ حدث إشتباك مع الفئة العاصية في الضلوع الجنوبية من جبل «القهر» وهمّ العصاة بالإحتفاظ بمواقعهم فأعياهم الأمر ولاذوا بالفرار، وطلعوا إلى أعلى القمم للإعتصام بها، وفي يوم الاثنين ١٣٧٥/١/٢٥ هـ التقى معهم في مكان لايبعد عن جبل القهر أقل من كيلو، وواصل الجيش تقدمه طيلة نهار الاثنين تساعده المدفعية والرشاش وتقدم الجيش إلى مالا يقل عن (عشرين كيلو) في أرض وعرة المسالك ملتوية الطرق في مهاوي الأودية السحيقة إلى رؤوس الأطوار التي يحسر الطرف دونها.

ولم تغرب شمس يوم الاثنين إلا وقد تم تطهير الشعاب والأودية المتصلة بجبل القهر والجبال المجاورة له وحصر العصاة تماما برأس جبل القهر.

تمت كل تلك العمليات ولم يستشهد من الجيش سوى ثلاثة أفراد من شوكة جبل فيفا، وفي يوم ١٣٧٥/١/٢٦ هـ التحقت بالجيش شوكة عسير وأميرها، وكان هجومهم في ذلك اليوم الثلاثاء ١٣٧٥/١/٢٦ هـ بحماس وشجاعة، ولكن لم يتقدم رأي، الأمر الذي اضطر الجيش إلى التراجع دون احتلال جبل «القهر»، ولحقتهم بعض الخسائر، وبالأخص شوكة قحطان.

وعلى أثره رأى إيقاف الزحف لتبادل الآراء والإستجمام، وصدر الأمر الملكي بإرسال لواءين من الجيش الأبيض برئاسة ابن عبود وفارس أبا العلا.

وراح يشرح القضية ونزول بعض الريث من قمة الجبل، وبدأت المباحثات مع السيد أحمد وأبو صمه[1]، وتحدد موعد الجلسة يوم السبت ٧ صفر عام ١٣٧٥ هـ وأنه يرجح كفة التفاؤل بإنهاء الموضوع إلى أن قال ما نصه: «هذا ملخص تطورات الموقف حبينا ادراجها لحضرتكم والوقت لم يتسع للشرح والتوسع في البحث) انتهى.

وعلى كل قد تم بفضل الله إنتهاء قضية الريث بإستسلامهم وعودتهم إلى حظيرة الطاعة، وصدر الأمر الملكي بالعفو العام عن العصاة وتعويضهم وإقامة مركز حكومي في قرية «رخية» وحامية في رأس الجبل، وأمرت الحكومة بفتح مدارس في جهاتهم للبنين والبنات ومستوصف ومحكمة شرعية وإدارة شرطة، ومن ذلك التاريخ وقبيلة الريث منقادة الزمام سالكة في سلك الطاعة، وأُدخل من أبنائها أعداداً في الجيش، وتخرجت أعداد من المدارس التي في جهتهم، والتحق آخرون بالمعاهد والكليات، وانخرط فريق في الوظائف الحكومية وهم في خير ومستوى معيشة كريمة.

(١) السيد أحمد: هو أحمد عبدالفتاح الحازمي، أبو صمة: هو محمد أبو صمة شيخ قبيلة سفيان العارضة.

نص خطاب الشيخ سليمان بن جبرين

إلى المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأخ/ الأديب الفاضل الشيخ الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي المحترم ـ حفظه الله ـ بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، صحتنا وأعمالنا ومن عندنا كما تحبون ونحن نسائل عنكم كل غاد ورائح، ونتمنى أن نراكم بأقرب وقت في أسر حال وما برحنا منذ غادرنا جيزان ننتظر ورود رسالة منكم تشرح لنا أحوالكم وما حولكم ولكننا نعذركم تراكم الأعمال بحصول بعض التعديلات وبالأخص في الجمرك وبالاعتماد على ما في القلوب وهي شواهد. لا شك أنكم على علم من تطور الموقف بجهة الريث فكان خروجنا بادىء الأمر للتحقيق في قضية اغتيال شخص يمني بمركز الريث المسمى مقزع بموجب أمر ملكي ولكن صادفنا في بعض قبائل الريث شذوذاً وتمـرداً وامتنـاعـا عن الحضور وخروجا عن الطاعة فبذلنا شتى الوسائل لتهدئتهم واستعملنا معهم الحلم والأناة والصبر والحكمة وإرسال البعثة تلو البعثة إليهم من الرجال العقلاء المقبول كلامهم عندهم حتى أنافت البعثات على عشـر كلما عادت بعثة من عندهم قدمت لنا قرارها المصدق من القاضي بإصرارهم على موقفهم وتماديهم في غيهم وشذوذهم وكنا نؤكد بكتابات أوراق أمان لهم على النفس والمال والعرض والسلاح ولكن لا حياة لمن تنادي، مضت الأيام والأسابيع ونحن بهذا الحال ومع هذا فلم نهمل جانب الأخذ بالحزم والحيطة والإستعداد ومع هذا أيضاً فياليت الفئة العاصية وقفت الموقف السلبي الإمتناع عن الحضور، ولكنها فوق ذلك أخذ أشرارها يترصدون ويخيفون الطرق ويقتلون الأبرياء ويطلقون النار على مخيمنا بمركز مقزع ويعملون كل ما يستطيعون من الأعمال العدوانية، وقد ضبطنا أعصابنا حيال كل هذه الإستفزازات والتحرشات واستمـرينـا على ما نحن فيه من دعوتهم للرجوع إلى ما خرجوا منه رغبة في هدايتهم وحقنا للدماء وبراءة للذمة وإعذاراً إليهم حتى تلاشى كل أمل ولم يبق إلا شن الحملة التأديبية بعد الحشد من تهامة ثم من عسير وإكمال العدة وقد تحـرك الجيش من مقـزع يوم الجمعة ٢٢/١/١٣٧٥هـ بعد أن عقدت الألوية

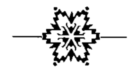
ونظمت الكتائب وعهد إلى المقدمة بتطهير المواقع الأمامية، تحرك الجيش يشق طريقه إلى العاصي فوصل رخية ضحى يوم السبت ٢٣ منه ولم يصادف إلاسبور للعدو لاذوا بالفرار وفي يوم الأحد ٢٤ حدث إشتباك مع الفئة العاصية في القرون الجنوبية من جبل القهر وقد كانوا يحاولون الإحتفاظ بها واتخاذها خطا أمامياً لهم فباءت محاولتهم هذه بالفشل، وكان السلاح الوحيد الذي استخدموه هو الفرار أمام الجيش الزاحف والإعتصام بالقمم وقد بقينا في المخيم الرئيسي برخية لتعزيز القوات التي تطارد العصاة آخر نهار الأحد ٢٤ وكنا صبيحة الاثنين معهم في مكان لا يبعد عن القهر إلا أقل من كيلو وقد واصل الجيش تقدمه طيلة نهار الاثنين تساعده المدفعية والرشاش، وقد تم استيلائه في يومي الأحد والاثنين ٢٥ منه على ما لا يقل عن عشرين كيلو متر كلها وعرة المسالك ملتوية الطرق في مهاوي الأودية السحيقة إلى رؤوس الأطوار التي يحسر الطرف دونها ولم تغرب شمس الإثنين إلا وقد تم تطهير جميع الشعاب والأودية المتصلة بالقهر والجبال المجاورة وتم حصر العصاة تماماً برأس الطور القهر بعد أن تكبدوا أفدح الخسائر، وبتوفيق الله تمت كل هذه العمليات ولم يستشهد من الجيش سوى ثلاثة أشخاص من فيفا. وفي يوم الثلاثاء ٢٦ منه التحقت بنا شوكة عسير وأميرها واستعجلوا بالهجوم وكان هجوم يوم الثلاثاء بحماس وشجاعة ولكن لم يتقدمه رأي، الأمر الذي اضطر الجيش إلى التراجع دون إحتلال القهر ولحقتهم بعض الخسائر وبالأخص شوكة قحطان، وعلى أثره رأينا إيقاف الزحف لتبادل الآراء والاستجمام ثم صدر الأمر الملكي بإرسال لوائين من الجيش الأبيض برئاسة ابن عبود وفارس أبا العلا وقد وصل بعضهم بالطائرات لجيزان ثم منه بالسيارات إلينا والبعض لايزال في طريقه، وفي بحر هذا الأسبوع أصدر جلالة مولانا الملك المعظم عفوه العام عن الفئة العاصية إذا هم سلموا السلاح وسلموا المجرمين، ودخل إلينا الشيخ عبدالعزيز بن فوزان والقرعاوي وبدأت المباحثات مع العصاة أمس تاريخه ٧٥/٢/٤ بواسطة مشائخ من المجاورين لهم، وقد نزل نحو عشرين رجلا من العصاة إلى منتصف الطريق في المنطقة التي بيننا وبين رأس القهر، وهي لا تزيد عن كيلو متر بل لا تبلغ ذلك، وطلب العصاة من المشائخ الذين تباحثوا معهم بهذا الخصوص طلبوا منهم الإجتماع بالقضاة رأسا وبالسيد أحمد وأبو صمه، وحدد موعد الجلسة يومنا هذا السبت ٧ الجاري في مكانهم بالأمس، ونحن إذ ننتظر نتائج مباحثاتهم اليوم نرجح كفة التفاؤل بإنهاء الموضوع، وعلى الله إتمام المقاصد وبيده التوفيق جلت قدرته، هذا هو ملخص تطورات الموقف

حبينا إدراجها لحضرتكم راجين قبول معذرتنا حيث لم تكن لنا فرصة ولم يتسع الوقت لإطالة الشرح والتوسع في البحث، وتحياتنا لحضرتكم والعزيز لديكم ومن هنـا الابن محمد والسيد أحمد والمشائخ يسلمون وإلى اللقاء والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١٣٧٥/٢/٧ هـ

محبكم أمير جيزان

(توقيع)



المملكة العربية السعودية

امارة

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات الأخ الكريم الأديب الفاضل الشيخ الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي المحترم حفظه الله

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. صحتنا وأعمالنا [illegible] ونحن [illegible]
[illegible] دوماً ونتمنى أن نراكم بأقرب وقت وفي أسرع حال وما برحنا منذ [illegible]
جيزان ننتظر ورود رسائلكم تشرح لنا أحوالكم وما حولكم ولكننا نعذركم
بتراكم الأعمال وحصول بعض التعديلات وبالأخص في الجمرك وبالاعتماد على ما
في المكاتب وهي شواهد. لا شك أنكم على علم من تطورات الوقت بجهة الريث
[illegible] خروجنا بأمر للتحقيق في قضية اغتيال شخص على مركز الريث
[illegible] لدحيث مرملي ولكن صادفنا من بعض قبائل الريث شذوذاً
وتمرداً وامتناعاً على الحضور وخروجاً عن الطاعة فبذلنا شتى الوسائل
لتهدئتهم واستعملنا معهم الحلم والأناة والصبر والحكمة وإرسال البعثة تلو
البعثة إليهم من رجال العقلاء المتنفذين للكلام معهم حتى أنافت البعثات العشر
كلما عادت البعثة من عندهم قدمت لنا قرارها المصدق من القاضي بإصرارهم على
[illegible] وتماديهم في غيهم وشدة ردهم ولكنا نؤكد بكتابات وأوراق أمان لهم
على النفس والمال والعرض والسلاح ولكن لا حياة لمن تنادي مضت الأيام
والأسابيع ونحن بهذا الحال ومع هذا فلم نهمل جانب الأخذ بالحزم والحيطة
والاستعداد ومع هذا أيضاً فبالنسبة لهذه الفئة العاصية وقفت [illegible]
الامتناع عن الحضور ولكنها فوق ذلك أخذ أشرارها يترصدون ويخيفون
الطريق ويقتلون الأبرياء ويطلقون النار على مخيمنا بكل وقاحة ويعملون كل
ما يستطيعون من الأعمال العدوانية وقد ضبطنا أعصابنا حيال كل هذه
الاستفزازات والتحرشات واستمرينا على ما كنا فيه من دعوتهم للرجوع إلى [illegible]
[illegible] رغبة في هدايتهم وحقناً للدماء ورعاية للذمة وإعذاراً إليهم حتى تلاشى
كل أمل ولم يبق إلا [illegible] الحملة التأديبية بعد الحشد من تهامة ثم من عسير [illegible]
العدة وقد [illegible] ٥/٧ [illegible] الأولية ونظمت
ونظمت الكتائب [illegible] المقدمة [illegible] [illegible]
[illegible] ولم يصادف الأسرى للعدو [illegible]
[illegible] حدث اشتباك مع الفئة العاصية في الأودية الجنوبية من جبل [illegible]

(١) صورة خطاب الشيخ سليمان بن جبرين إلى المؤلف.

[illegible]

(٢) صورة خطاب الشيخ سليمان بن جبرين إلى المؤلف.

رسالة من أمير منطقة عسير

الشيخ تركي الماضي، إلى المؤلف

إلى نابغة عصره وفريد دهره الأديب الكبير والمؤرخ الشهير الأستاذ محمد ابن أحمد عيسى العقيلي

الموقر

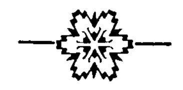
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد تلقيت ببالغ المسرة والامتنان كتابكم وبرفقه مؤلفكم الجديد «ديوان السلطانين» وإنني إذ أشكركم على عنايتكم أرجو الله أن يوفقكم ويعينكم على تحقيق أعمالكم المجيدة التي خدمتم بها هذا القطر العربي العريق في علمه وتاريخه بصفة خاصة وما تقدمونه من آن لآخر للأمة العربية من ذخائر العلوم الأدبية والتاريخية وتقبلوا تحياتي وعظيم احترامي واعجابي بشخصكم الفذ ودمتم».

١/٦/٨٥

المخلص

(توقيع)

أمير منطقة عسير





محمد بن تركي الماضي

أمير منطقة عسير

تحريرا / / ١٣٨٠هـ

إلى نابغة عصره وفريد دهره الأديب الكبير والمؤرخ الشهير الأستاذ محمد بن أحمد عيسى العقيلي المؤقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد تلقيت ببالغ المسرة والامتنان كتابكم وبرفقه

مؤلفكم الجديد « ديوان [illegible] » وإني إذ أشكركم على عنايتكم

أرجو الله أن يوفقكم ويعينكم على [illegible] أعمالكم المجيدة التي خدمتم بها هذا القطر

[illegible] خاصة وما تقدمونه من آن لآخر للأمة العربية

من ذخائر العلم [illegible]

[illegible]

المخلص

أمير منطقة عسير

صورة خطاب الشيخ محمد بن تركي الماضي بخطه إلى المؤلف.

المقامات

دراسة وتحليل للمقامة الأدبية
للشيخ عبدالله بن علي العمودي

إن المقامة من الجودة والبيان مما ندع تقديره للقارىء الكريم، فشيخنا قد التزم فيها بمنهج المقامات البديعية والحريرية مبنى ومعنى.

لقد أشاد بمدينة جازان في مقامته، ووصف نزهته في جبالها وقلاعها، ثم وصف الدوائر الحكومية بما يسميه «دواوين الكتبة»، وفي ذلك الوقت لم يكن يوجد من الدوائر الحكومية إلا دائرتان ـ إذا استثنينا دائرة الإمارة ودائرة المحكمة الشرعية، وأرجح أن ما أطلق عليه اسم دواوين الكتبة المهرة يقصد إدارة المالية وموظفيها، وإدارة الجمارك وموظفيها، وكانتا على شاطىء البحر في الناحية الجنوبية الغربية بالنسبة إلى المدينة في ذلك التاريخ، الأولى جنوب غرب مسجد الخضير، والثانية جنوبها، وغرب إدارة البريد الفرعي، وموقعها في الوقت الحالي فضاء.

ثم مضى شيخنا الفاضل يصف لنا أنه كان يقضي وقته ما بين زيارة تلك الدائرتين، وبين الرجوع إلى البيت والإنكباب على المطالعة، وبينما هو مشتغل بالمطالعة إذ وفد عليه وافد مجهد، وينعته بأنه معدود من الأصحاب والرفاق لديه، ويصف لنا ترحيبه به واذنه له بالدخول.

وأن الزائر أملى عليه رحلته وتجواله في «فيفاء الريح»، ومضى يشرح لنا ما قصه الزائر، وما لا قاه من المعاناة والمشاق، وما كان عليه أهل الجبل من شظف العيش، ولم ينس أن يتحفنا بوصف شائق لأوانس الجبل وما هنّ عليه من الجمال مع ما يعانونه من مشاق العمل، وأن الزائر كان يؤمل أن ينال النوّال والفائدة، فأخلف ظنه، وخاب رجاؤه.

ثم أخذ في الدعابة والمداعبة فيما يسميه الشيخ «الإحتيال» لحصوله على بعض الكتب، حتى تحصل عليها منه.

وفي الرجوع إلى المقامة ما يغني عن الإطالة. والمقامة لها قيمتها من الناحية

التاريخية، ووصفه لبعض معالم ودوائر جازان قبل ستين عاماً ـ تقريباً ـ كما أن لها قيمتها الأدبية والبيانية، وليس بكثير على أدب الشيخ العمودي إنشاء مثل تلك المقامة.



المقامة الأدبية
التي أنشأها الشيخ عبدالله بن علي العمودي
مداعباً القاضي محمد بن أحمد البهكلي

(.. بينما كنت أتجول في (رُباً)(١) جازان المحروس المحفوف بالبحر المأنوس، وأتنزه في جباله وقلاعه المعمورة ودواوين الكتبة المهرة وبأيديهم الصحائف كالسَّفَرة، وحينا أتمايل على مطالعة الأسفار العلمية المشتملة على العلوم العقلية والنقلية على أصناف علومها البهية، وفنونها المرضية كالفروع والحديث والتفسير والطبية، إذ وفد علينا وافد كأنه بالأمور جاهد، وهو معدود من الأصحاب والرِّفاق وأهل الندامة(١) والوفاق، فاستأذن الدخول، وهو ملازم السدة بعد أن أشرفت عليه من الطاق فقلت: أهلا بمن زار على غير عده، فأذنت له بالدخول والوُلُوجَ، فحياني وبياني، فتوسمت لبيانه فسمته كأنه أبو سروج.. فأتحفني بمفاكهته، وأملاني رحلته بمصاحبته وتجوله في «فيفاء الريح»(٢) واختباره بلغتهم في الدخيل

---

(١) هكذا في الأصل والصواب (ربى)

(٢) كأن شيخنا ـ رحمه الله ـ كما يظهر من السياق أن كلمة «الندامة» يقصد بها المنادمة ـ هذا على سبيل ما يتراءى لنا.

(٣) فيفاء الريح: يقصد جبل فيفاء في المنطقة، وبالرجوع إلى معجم البلدان ص ٢٨٥ جـ٤ نجد ما ورد باسم فيفاء ما يأتي:

ـ فيفاء: بالفتح وتكرير الفاء، الفيف: المفازة التي لا ماء فيها، فإذا أنث فهي «الفيفا» وجمعها «الفيافي» وقيل: الفيفاء: الصحراء الملساء، وقد أضيف إلى عدة مواضع، منها:

١ ـ فيفاء الخيار: وقد ذكرناه في الخيار: وهو بالعقيق من جماء أم خالد.

٢ ـ فيفاء رشاد: موضع آخر، قال كثير.

وقد علمت تلك المطية أنكم … متى تسلكوا فيفا رشاد تحرّدوا

٣ ـ فيفاء غزال: بمكة حيث ينزل الناس منها إلى الأبطح قال كثير:

أناديك ما حج الحجيج وكبرت … بفيفا غزال رفقة وأهلت

٤ ـ فيفا خريم، قال كثير:

فأجمعنا هينا عاجلا وتركنني … بفيفا خريم واقفاً أتلدّد

٥ ـ فيف ـ غير مضاف: من منازل مزينة، قال معن بن أوس المزني:

أعاذل من يحتل فيفا وفيحة … وثوراً، ومن يحمي الأكاحل بعدنا؟

٦ ـ فيفاء الريح: بفتح أوله، وفيف الريح معروف بأعالي نجد، عن أبي هفان قال:

أخبر المخبر عنكم أنكم … يوم فيف الريح أبتم بالفلج

وهو يوم من أيامهم فقئت فيه عين عامر بن الطفيل، فقأها مسهر الحارثي وفيه يقول عامر:

لعمري، وما عمري عليَّ بهين … لقد شان حرّ الوجه طعنة مسهر =

= فبئس الفتى إن كنت أعور عاقرا جباناً فما عذري لدى كل محضر؟
وقد علموا أني أكر عليهم عشية «فيف الريح» كرّ المدور

= وجاء في كتاب «جزيرة العرب» للهمداني ـ طبعة ابن بليهد ـ ص ١٧١: وفيف الريح في أرض هوازن، وفي ص ٧٣ «وادي صبيا وهو من مساقط بوصان، والعر، وأنافية، ويسقي صبيا إلى نصر الأمان في صادة عثر» انتهى.

وجبلا بوصان والعر هما محاذان لجبل فيفاء مما يدلنا أن اسم «فيفاء» حديث ـ أي بعد القرن الرابع الذي عاش فيه الهمداني، وجاء في كتابنا «المعجم الجغرافي لمنطقة جازان» ـ الطبعة الثانية عام ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ ـ ص ٣١٧ ما يأتي: «موقع جبل فيفاء بين خط العرض ١٧ درجة وخط الطول ٤٣ درجة ذلك الجبل الأشم الذي يقدر ارتفاعه بستة آلاف قدم، ويعد لبنان منطقة جازان، لقد قيس جبل فيفاء عند مسح الطريق التي تصعد إلى أعلاه.. وبلغ ارتفاعه عشرة أكيال ـ تقريباً ـ في طول ستة وثلاثين كيلا، وعرض ثلاثين كيلا، يقطع الماشي طوله في اثنى عشر ساعة، وعرضه في عشر ساعات إلى أن جاء في ص ٣١٩: «أنه ليس من السهل تسجيل أسماء قراه ـ بقاعه ـ اعتباطاً بدون الإستعانة بشخص من أهله، ومن ذوي الخبرة بقراه ومسالكه مثل الشيخ حسن ابن أحمد المعافري الفيفي». ولهذا فقد استعنت به، وتفضل مشكوراً فوفاني بالبيان الذي سوف أورده، وقد أوردنا البيان في ص ٣٢٦، ص ٣٢٧، ص ٣٢٨، إلى ص ٣٣٥.

أما من الناحية التاريخية فقد أوردنا في كتابنا ذلك تحت عنوان: «فيفاء في التاريخ» وذلك في ص ٣٢٢.

وعسى أن نكون بهذه الحاشية أوردنا معلومات عن «جبل فيفاء» تاريخيا وطبيعياً يستفاد منها.

فيفاء في التاريخ

فيفا قديمة قدم الزمن وإنما لانعزال جبلها وصعوبة المواصلات إليها لم يعتن بها أحد من الرحّالة والمؤرخين الأقدمين حتى ان الهمداني لم يذكرها باسمها في صفة جزيرة العرب، بل ذكر ما قرب منها مثل «انافيه» في غرب الجبل فعاش الجبل بأهله في توحشهم وجهلهم وعزلتهم، فلم نقف على خضوعهم لدولة أو غزوهم بجيش فيما تحت أيدينا من كتب التأريخ، فيما قبل القرن الحادي عشر الهجري، وإذا كان الهمداني في إستقصائه لمعالم وأماكن الجزيرة العربية عامة وجنوبها خاصة قد أغفل إسمها فغيره من الجغرافيين لا يلام لبعد أولئك الجغرافيين عن الجزيرة ومن وصل منهم إلى جنوب الجزيرة ـ على قلتهم ـ لم يصلها لبُعد جبل فيفاء عن طرق المواصلات وإعتزال أهله عن الاتصال بغيرهم.

وأول ما وقفنا عليه في كتب التأريخ التي تحت أيدينا هو أول غزوة لجهة جبل فيفاء في سنة ١٠٣٥ هـ من قبل جيش الإمام اليمني المؤيد وكان لغزو جبل فيفاء والإستيلاء عليها قسراً ما أثار دهشة شعراء اليمن الشقيق فأشادوا بذلك ومنهم الشاعر صلاح بن عبدالخالق جحاف الذي قال:

فتحتها عناية الله ذي الملك وتصميم همة قعساء
قلعة في السماء لا يرتقيها غير فتخاء لقوة شقواء
هو أعلى من حصن كيفاء شأناً أين فيفا في الحسن من كيفاء

وبعد إنتهاء إمامة المتوكل إسماعيل أخي المؤيد تخلصت فيفاء من النفوذ وعادت إلى انطوائها وأهلها إلى توحشهم حتى غزاهم أمير المخلاف السليماني بجيش من مرتزقة يَام عام ١١٦٥ هـ.

وقد انهزم الأمير وجيشه وغنم الفيفيون أكثر أسلحتهم ولم يعد من الجيش إلا فلوله، وفي سنة ١١٧٥ استعد الأمير ووصل المكرمي داعية نجران يطالبه بالأخذ بثأر أصحابه وبعد الاستعداد تقدم إلى فيفاء فمني بهزيمة منكرة أشد هولاً وأفدح خسارة من سابقتها، والأتراك على تسلطهم على الجزيرة العربية فلم نقف أنهم غزوا أو ملكوا فيفاء في جميع عهودهم، وأستمر الجبل لا يخضع لسلطة ما، حتى قام الإمام الإدريسي بتشييد امارته في العقد الثالث من القرن الماضي وأستطاع أن يملك جبل فيفاء ويوطد دعائم الأمن في ربوعه حتى وفاته في سنة ١٣٤١ هـ وبعده ظل تابعاً للإمارة الإدريسية حتى انضمت تلك الإمارة إلى الحكومة السعودية في سنة ١٣٥١ هـ ومن بعد ذلك استتب الأمن في ربوعها وتوسع العمران في نواحيها وأستصلحت الأراضي للزراعة والغروس وفتحت فيها المدارس، ووضع بها جهاز لاسلكي ودوائر ومرافق حكومية ودائرة للشرطة ومستوصف ومستشفى ومدارس إبتدائية ومدرسة متوسطة وأخرى للبنات وإمارة ومحكمة شرعية وغير ذلك، كما أصبح من أبنائها من تبوأ مركز القضاء الشرعي وإدارة بعض الدوائر ومنهم عدد في الجيش يشغل مناصب عسكرية هامة.

والصريح.. فأخبر أولا عما قاساه في الطرقات الوعرة في تلك الجبال من السفرة الديرة؟(١)، حيث كانت جبالا شاهقة وأغواراً للروح زاهقة، ولما (توسط)(٢) صهوة الجبل ومدارجه والقُلَل ، فإذا القوم عرب سذج ليس لهم مدنية في المعاش، بل أنهم يعيشــون على الكم(٣) ودرّ الأهــواش(٤)، بل أنهم أهل نجدة ومنعة وقوة، ووصف ظبا أوانسهم بالجمال، لكنهم مسترذلون بالكد(٥) والأحمال، فليس لذلك الجمال طلاوة وليس له طراوة، نعم عدنا إلى ما نحن بصدده ووقفنا على الأمر الذي أوصل الرجل إلى بلده، فإذا به قد قعد به الزمان ورمته يد الحدثان، وحيث كان معدودا في أهل المكاتب، وقد بعثه (رأيسها)(٦) إلى تلك الجهات حتى لاقى(٧) ما لاقاه من تلك المتاعب، حثحث السير إلى ناديهم عله ينال من أيديهم نوالا، فوجد منهم على خلاف ما يعهده انتفاضاً وانقباضاً وعدم احتفالا؟، فبقي يدبر الحيلة فاحتــال على بعض كتبي النفائس عارية.. وأعطى(٨) يمينا، ومواثيق أنه ليرجعه قبل سفره بيومين، فأخلف عني وعده من عرقوب واشتهر بالكذب من أولاد يعقوب واستغفر الله من هذه الضروب، ولما عوتب على ذلك أنشد لسان حاله لما هنالك:

فيفا من الناحية الطبيعية

يشهد غير واحد من الأشقاء العرب الذين ارتادوا المملكة أن جبل فيفاء من أحفل المواقع وأجمل الجبال بمناظرها الخلابة وصفاء جوها وحسن طقسها جَوٌ ساحر وأُفق غائم وأنها من أحسن المصائف في البلاد العربية، وأن مناظره الطبيعية أشبه ما تكون ببعض مناطق جبل (الأرز) في لبنان.

(١) الديرة: هكذا في الأصل كما أملاها عليّ الشيخ وكأنه يقصد من الأديار، ووقتها كنت في عجل لم استفسر منه عن المعنى.

(٢) توسط: كانت في الأصل بالصاد فأصلحناه.

(٣) الكم: هكذا تلفظ بها الشيخ، وقد يكون يقصد بها «الكدم» اسم أقراص عيش تستعمل في الجبال.

(٤) الدر: الحليب، والأهواش: جمع هوش وهو القطيع من الأغنام والهوش القطيع من الأنعام: اسم جنس واحدته هايشه بلهجة منطقتنا، أما لغة: فهاش القوم هوشاً: هاج واضطرب، قال الشاعر طرماح:

كأن الخــيــم هاش إلى منــه نعــاج صرائــم جُم القــرون

وهاش الشيء وهوشه: خلطه من هنا ومن هنا، وكلمة «الهوش» في منطقتنا من هذا الأخير.

(٥) وذلك كان عام ١٣٥٣ هـ أما الآن فأوانس فيفاء ينطبق عليهم قول الشاعر

بيض أوانس لا يزن بريــبــة
كظبــاء مكــة صيــدهــن حرام

وقد أصبح جبل فيفاء الصعود إليه بالسيارات تزينه (الفيلات) الجميلة والمباني الحديثة والجنائن الغناء، كل ذلك بعناية الله ثم الحكومة السعودية، وفيه المدارس الإبتدائية والمتوسطة والثانوية ومعهد علمي للبنيْن وآخر للبنات ومزارع تجاربية ومستشفى وإمارة وقضاء وشرطة، كما توجد هيئة لتعمير فيفاء ومكتب للضمان الإجتماعي.

(٦) هكذا في الأصل، والصواب «رئيسها».

(٧) في الأصل «لاقا» فأصلحناه كما هو أعلاه.

(٨) في الأصل أعطا فأصلحناه بما هو أعلاه.

ومن ذا الذي ترضى[1] سجـايـاه كلهـا

كفـى المـرء نُبـلًا أن تعـد معـايـبـه

فبعد مدة من الأيام استخبرت عن خبره، فأخبرني أحد السادات القادة عن عجره وبَجَره، فعلمت أنه أبو سروج قد استودع الكتاب جرابه إلى أن وصل به أطنابه، فبقيت مفكراً في ذلك الذي هو منية الأحباب كيف لي بإرجاعه وقد صار في جملة متاعه، فهونت على نفسي ما لقيته من الهم والغم يخاطبني بقول أهل الأدب والهمم:

ولست بمستبق أخـا لا تلمـه

على شعـثٍ، أي الرجـال المـهـذب[2]

انتهت[3]

---

(١) في الأصل «ترضا» فأصلحناه بما هو أعلاه.

(٢) مما أملاه عليّ شيخنا المرحوم الشيخ عبدالله العمودي عام ١٣٦٥ هـ.

(٣) تعليق:

لقـد ترجمت للقاضي المرحوم الشيخ/ محمد بن أحمد بهكلي في هذا الكتاب وأزيد:

أنه كان كاتب ديوان الإمام الحسن الإدريسي، وبعد انتهاء حكم الإدارسة قضت ظروفه لطلب الوظيفة في السلك المالي فوظف مأموراً لمالية فيفاء ثم مأموراً لحاصلات الدمغة بجازان، ثم مأموراً لمالية أبي عريش، وتوفى وهو على رأس العمل، وما جاء في المقامة عنه هو من باب الدعابة والطرافة والمطارحة من شيخنا الفاضل القاضي عبدالله العمودي، رحمهما الله وأسكنهما فسيح جناته وهما من أهالي أبي عريش، وأوردنـا في ترجمته أنه درس العلم على يد والده القاضي/ أحمد بن علي البهكلي وغيره، وأرجح أنه درس على يد الشيخ العمودي ـ أيضاً ـ ومع ذلك كان خفيف الظل مرح الروح صاحب دعابة وعلى جانب من الأدب والمعرفة وما ورد في هذا الجزء من الآثار الأدبية فيه غنى ودليل.

المصادر

دراسة وتحليل لفن المقالة

المقالة: فن من فنون الأدب، أو بالأصح عمل أدبي متميز له خصائصه ومجاله، وهو من الفنون الأدبية الحديثة في طريقته وأسلوبه ومنحاه، وإن كان ليس في الأدب - على وجه العموم - شيء لم يكن له أشباه ونظائر في القديم.

وبخلاف الخاطرة - الاسم الذي يطلق على ما يخطر بفكر المرء من فكرة سانحة أو لمحة عابرة - يسجلها المرء على الورق كعمل أدبي.

أما المقال فهو - كما أشرت - فن أدبي حديث يعتمد على كلمة نثرية محددة المساحة محدودة الغرض، والموضوع، ينشئها الكاتب في عفوية وإيجاز وإيضاح عن فكرة أوحتها عليه حالة طارئة أو حادثة واقعة أو فكرة هادفة أو موضوع هام، مع مراعاة ما يأتي:

١ - الإمتاع والطرافة.

٢ - الإفهام والوضوح.

٣ - هدف مرسوم

٤ - عرض محدود.

وفي نظري أن مقالات الأستاذ الكبير مصطفى أمين بعنوان «فكرة» والتي يكتبها يومياً في الصحافة هي: أحسن مثال في تحديد الهدف وسهولة العبارة ووضوح الأسلوب.

إن فن المقالة بمفهومها الحديث جديد على الأدب العربي، لأنها بنت الصحافة في إصداراتها اليومية في بعض أنحاء أوروبا في سرار القرن الثامن عشر، وإن كانت هناك محاولات مما يسمى «الصحافة» قديمة في الصين وفي العهد الروماني الذي كانت تصدر فيه نشرة يومية حكومية عن أهم الأحداث تعلق في المرافق العامة.

أما في عالمنا العربي فكان مولد الصحافة التي هي أم المقالات وأبوها، فكان مولدها في عهد الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٢١٣ هـ/ ١٧٩٨م.

لقد قامت قيادة الحملة الفرنسية في مصر بإصدار جريدتين، إحداهما باللغة الفرنسية والأخرى بالعربية، وتلا ذلك جريدة الوقائع المصرية سنة ١٢٤٤ هـ/

١٨٢٨م، وفي سنة ١٢٧١ هـ/ ١٨٥٥م صدر في الأستانة جريدة «مرآة الأحوال».

إن ظهـور المقالة في الصحف كأسلوب أدبي من فنون الإنشاء، قد عايش الصحـافـة الفـرنسيـة على يد «ميشيـل ذي مونثين»، وكان يطلق عليها اسم «محاولات» أو «تأملات» يعبر بها عن مشاعره الخاصة وتجاربه الذاتية، أو يعرب فيهـا عن مظاهـر الحيـاة ومشاعر المجتمع، ولا زالت مقالاته تعتبر في الأدب الفرنسي أحسن ما كتب في بابها إلى هذا التاريخ.

وكان رائد المقالة في الأدب الفرنسي بأسلوب من السهل الممتنع يجمع بين التركيز العميق والحيوية الدافقة والحركة الرشيقة والإفهام الذكي، وشاعت طريقته وذاع أسلوبه في أوربا.

وعنـدمـا خُلقت الصحافة العربية صار الكُتَّاب ـ وبالأخص المتضلعون في الفرنسية ـ في كتاباتهم العربية على نفس الطريقة، وتنوعت أساليب التعبير بعد ذلك في شتى المجالات السياسية والإجتماعية والإقتصادية وشتى قضايا العصر ومختلف أحواله.

وهنـاك مقـالات وجدانية وعلمية وأدبية ورياضية وطبية وصناعية يتوخى في الجميع سهولة التعبير ومحدودية الهدف والموضوعية.

أما في عهد النهضة العربية وبالأخص في الحجاز، فجريدة «القبلة» المحدودة الإنتشار والغرض، فكانت كتابة المقالة فيها هي أول محاولة لذلك الفن.

وتلاها في العهد السعودي الزاهر جريدة أم القرى، والتي كانت في مقالاتها الأدبيـة والإجتمـاعية والسياسية مجالا للأقلام وميدانا للأدب، ثم تلاها جريدة المدينة وبعدها مجلة المنهل ثم صوت الحجاز، وجريدة الرياض واليمامة، وأخيراً جريدة البلاد والندوة وعكاظ.

هذا ما نقـدمه عن المقالة، أما في الأدب المحلي ـ منطقة جازان ـ فكان العقيلي ومحمد السنوسي من أوائل من نشر لهم في جريدة أم القرى وفي المنهل، ثم أصبح من أبناء المنطقة في العهد الحديث من كتاب المقالة العشرات، بل من أبناء المنطقة من أصبح من رؤساء تحرير الصحف.

مقال

زكي مبارك الذي شدني إليه الرفاعي

للأستاذ/ ناصر مصطفى هندي(١)

دفعتني المحاضرة القيمة التي ألقاها الأديب الكبير عبدالعزيز الرفاعي في نادي جدة الأدبي عن المرحوم الدكتور زكي مبارك، والتي نشرتها جريدة «الرياض» في عدد يوم ١٩/٥/١٤٠٥ هـ إلى رغبة في الإستزادة عن هذا الأديب الجليل، فقد شدني في محاضرة الرفاعي بشوق للبحث هنا وهناك عن مزايا وخفايا الدكتور زكي مبارك، الذي قال: لو شرب الصخر من رحيق الوجود بعض ما شربت لتحول إلى أوتار وقلوب، فكيف أصمت والدنيا كلها من حولي تتأرج بأريج الأزهار والرياحين ولي قلب يتشوق إلى أفنان الجمال. تشوق الشمس إلى أنداء الصباح..» بمثل هذه العبارات دخل الدكتور الأديب زكي مبارك دنيا الأدب من أوسع الأبواب، ولكنه لم ينل من الإهتمام والتقدير والتكريم في حياته أو بعد مماته، كما نال غيره من الكتاب.. اللهم إلا من بعض الشعراء والكتاب الأوفياء الذين قالوا عنه: «أنه كان أستاذاً وأديباً مناضلاً تحمل الصعاب في حله وترحاله، فكان يشق طريقه في الصخر وهو قوي الإيمان بالله».

المعارك

كانت له معارك أدبية مع الكتاب المعاصرين، وأهم معركة خاضها مع الدكتور طه حسين حين قال: «إن رسالة طه حسين في ابن خلدون ما هي إلا نسخ من آراء مسيو (كازانوفا)»، فحاربه طه حسين حرباً شعواء في رزقه، ولم يثنه ذلك

---

(١) ناصر مصطفى هندي من مواليد جازان عام ١٣٤٠ هـ، درس في المعلامة ـ الكُتَّاب ـ الذي أسسه والده في حارة المسطح، والذي كان يتعلم فيه أطفال الحي القراءة والكتابة والقرآن الكريم، ثم أنتقل إلى كُتَّاب الشيخ علي بن أحمد عيسى، وعندما فتحت المدرسة الإبتدائية الحكومية كان من أوائل الملتحقين بها، ونال الشهادة الإبتدائية، ثم درس على بعض شيوخ العلم والفقه والقواعد النحوية، وبعدها توجه إلى مكة المكرمة والتحق بوظيفة في مستودع التموين الذي يرأسه حسن الصبان، ومن بعد ذلك بفترة عاد إلى جازان وأشتغل في عدد من وظائف الجمرك، ثم أنتقل مفتشاً جمركياً بميناء جدة، وفي سنة ١٣٩٥ هـ انتقلت خدماته إلى وزارة الإعلام إلى أن تقاعد.

أديب له مشاركات في الصحف السعودية، وله مقالات منها ما ننشره في هذا الكتاب.



ناصر مصطفى هندي

المحارب العملاق المتألق عميد الأدب عن صولاته وجولاته، فقال عندما تجاهل الدكتور طه حسين اسمه واسم كتابه «النثر الفني»: «إن كل نسخة توزع من النثر الفني هي سهم مسموم مصوب إلى صدره» لقد ظن طه حسين أنه انتزع اللقمة من يد أطفالي ولكن لن يجوعوا ما دامت أرزاقهم بيد الله. «بهذه المعارك ذاع صيته في الآفاق ولقبه الأستاذ أحمد حسن الزيات بـ «الملاكم الأدبي»، وبالمناسبة فإن أطرف المقالات التي هوجم بها الدكتور زكي مبارك، بحث كتبه ـ آنذاك ـ الأستاذ عبدالله حبيب، جاء فيه أن صاحبنا زكي مبارك كأنه خلق بغير (فرامل) أو هو كالسيارة الضخمة التي لا تقوى (فراملها) على ضبط توازنها ودقة سيرها فهو إن سار لابد له من حادثة تصادم. إن هذا النقد يحمل بين سطوره روح المرح والطرافة ولكنه يطالبه بترك الهلوسة العقلية.

سنتريس

تلقى زكي مبارك دروسه الأولى في كتاب قريته «سنتريس» من محافظة المنوفية التي هي مهبط رأسه سنة ١٣٠٨ هـ.

سنتريس هذه ألهبت مشاعره فقال:

ليـالي النـيـل واللذات ذاهـبـة
وجـدي عليكـن أشـجـانـي فأخـنـاني؟
لو يرجـع الدهـر لي منـكـن واحـدة
في «سـنـتـريس» ويـدني بعض خلاني

تعليمه

لعلني لا أنسى أن الدكتور زكي مبارك واصل تعليمه في صبر وكفاح مرير حتى نال الليسانس ثم الدكتوراة عن كتابه «الأخلاق عند الغزالي» من جامعة القاهرة.. ونال الدكتوراة الثانية عن كتابه «النثر الفني» في القرن الرابع عشر الهجري من جامعة السربون في باريس.. ونال الدكتوراة الثالثة عن كتابه «التصوف الإسلامي» من جامعة القاهرة.

كان يلقي محاضراته وهو طالب عن شاعر الحب والجمال عمر بن أبي ربيعة المخزومي، ثم أخرج عنه كتاباً نشر بعد أن أشرف عليه الدكتور أحمد ضيف، وقد أسماه «حب ابن أبي ربيعة» وكانت له كتابات تتميز بالرقة والعذوبة في العشاق الثلاثة: جميل بثينة، وكثير عزة، والعباس بن الأحنف، كان أستاذاً مرموقاً في الجامعة الأمريكية في القاهرة، وأستاذاً للآداب العربية في جامعة بغداد في العام الدراسي ١٩٣٧/١٩٣٨م في مدة لا تزيد عن تسعة أشهر، فقد استضافته الحكومة العراقية أستاذاً للأدب العربي في دار المعلمين العالية في بغداد ومنحه الشعب العراقي وسام الرافدين تقديراً لخدماته الأدبية الجليلة وأمسياته الثقافية في أندية بغداد، كنادي الهداية والإسلام للأستاذ طه الراوي، ونادي القلم العراقي، ونادي الأستاذ محمد رضا الشبيبي. وفي الرابطة الأخوية القوية هنأه بما نال من تقدير الشعب العراقي صديقه الوفي الأستاذ عبدالرزاق الهلالي بثمانية أبيات من الشعر منها:

سفـارة لك في الأقـطار يـحـمـدهـا
ساع يؤلف ما تبـنـي الأقـاليـم

ولم يقف الأستاذ الهلالي عند هذا المدح، بل ألف كتاباً أسماه «زكي مبارك في العراق» ويعد هذا الكتاب بحق من خير ما كتب عن الدكتور زكي مبارك وعن العواطف المتبادلة بينه وبين العراقيين.

ففي عنفوان حبه للعراقيين قال في ديوانه الكبير «ألحان الخلود»:

سيسأل قوم من زكي مبارك
وجسمي مدفون بصحراء حماء
فإن سألوا عني ففي مصر مرقدي
وفوق صرى بغداد تمرح أهوائي

أما الشاعر عامر محمد البحيري صاحب ديوان «اليخت الذهبي» الذي أسعد الدكتور زكي مبارك صدوره عام ١٩٢٦م، فقد قال عنه أن هذا الفتى سيكون من أعلام البيان إذا صحت فراستي، ومقابل هذا الإعجاب الصادق رثاه البحيري بمرثية وفاء بحقه كصديق وكأستاذ وكإنسان:

غالك الموت يا زكي مبارك
أترى الموت قد طوى آثارك
يا زكياً مباركاً ذهب العمر
ولا من يؤجج اليوم ثأرك
أهملت قدرك العظيم أناس
لم ينالوا من البيان اقتدارك

انتاجه

في مجال الانتاج روت بعض المراجع أن زكي مبارك صاحب الأسلوب الجذاب الذي تخطى بأدبه حدود الإقليمية أهدى إلى خزانة الأدب أربعين كتاباً منها ما هو باللغة الفرنسية، ولو لم يكن قد كتب إلا هذا القدر من المؤلفات لكفانا منه «النثر الفني» و«عبقرية الشريف الرضي» و«وحي بغداد» وكتاب ليلى المريضة في العراق.

فقد قال السيد عبد الحسين (١) ملا أحمد ينصح زكي بأن يصغى إلى ليلى:

---

(١) هذه من بدع الشيعة بأن تسند العبودية إلى الحسين أو غيره هدانا الله وإياهم.

يا زكـي الفـعـال أصـغ إليـهـا
تلك ليـلى تشـكـو إليـك بـهـمس
داوهـا ما اسـتـطعـت فالداء منـهـا
قد تـعـامـى. على أطبـاء نطس
أنـت تشـفـي النفـوس من علل الجهـل
وتـبـرىء العـقـول من كل مس

حياته الخاصة

عاش أخيراً يؤثر الهدوء على الجلبة حزيناً يسهر خارج المنزل ولا يتناول من الطعام إلا وجبة واحدة هي وجبة الغداء مع أسرته، كان يبكي عندما يسمع من أم كلثوم (فضلت أعيش في قلوب الناس)

كتب في كتابه «ملامح المجتمع العراقي» عن الأستاذ محمد باقر الشبيبي أنه أحد الشعراء المجيدين في العراق، وأنه ما كان أول من فتن بأغاريد أم كلثوم فقد فتن بها الشاعران العراقيان الزهاوي والرصافي، ولهما في الهيام بأغانيها قصائد جياد، وعندما ذهبت أم كلثوم لزيارة بغداد استقبلها محمد باقر في طليعة المستقبلين وهو يهتف:

على الشـاطىء صداح هـنـيئـاً لك يا دجـلـة
سأرعـى الـنـجـم للصـبـح وأحـيـي الليـل في الحـفـلة

ويستطرد فيقول:

ورفـقـاً ربـة الصـوت بأحـشـائـي أن تلهـب
خذي روحـي إلى مصـر فمـصـر الوطن الأقـرب

والدكتور زكي مبارك شاعر وعليم بأسرار الحب وعواطف المحبين، وله تجارب فهو القائل في باريس عاصمة الغنى والجمال، مستشهداً:

يا أخـت ناجـيـة السـلام عليـكـم
قبـل الرحـيـل وقـبـل عذل العـاذل

وديوانه الأول فيه أول قصيدة عن الفتاة التي أحبها وخفق قلبه لها.

مع الشعراء

للمكانة الأدبية التي كان يتمتع بها الدكتور زكي مبارك في العراق، فقد مدحه الكثير من شعراء العراق ومنهم «معروف الرصافي» في صفحة ٥٥٨ من ديوانه، فقال:

لقيت به أخا أدب وعلم
له شبه وليس له نظير
زكا نفساً فقيل له زكي
وبورك فالمبارك منه خير
أقام بنثره الفني جسراً
لمن في الفن أعجزه العبور
إذا افتخرت به مصر وتاهت
فكل بني العراق به فخور

وأخيراً فإن من شعر الدكتور زكي مبارك أيضاً إلى والده عبدالسلام مبارك:

ما زلت أمرح في نعمى وعافية
من نيلك الجزل أو من رأيك الحسن
فاليوم أهديك ما أبدعت من أثر
أبقى على الزمن الباقي من الزمن

رحم الله الدكتور زكي مبارك فلقد كان علماً بارزاً من أعلام الأدب المعاصر[١].

---

(١) نشر في جريدة «الرياض العدد ٦١٣٢ يوم الأحد ٢٧ رجب ١٤٠٥ هـ.

مقال
(الموت نقاد على كفه)
للأستاذ/ ناصر مصطفى هندي

رجلان في جيزان يرحمهما الله كانا جارين قبل «الهدد»[1] وقبل فتح الشوارع الجديدة لا يفصل بينهما إلا جدار واحد، يقدران حقوق وواجبات الجوار، ثم تفرقا في السكن ولكنهما لم يتفرقا في القلوب، عاشا حريصين كل الحرص على أن يتواصلا بعضهما بعضاً في المناسبات وغيرها ـ عملا بالأحاديث الواردة في حق الجوار والتي منها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**». وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره».. الخ، والشاعر محمد إقبال يقول:

لم ألق في هذا الوجـود سعـادة
كمـودة الإنسـان للإنسـان

هذان الجاران هما الأخ محمد زارع عقيل والأخ علي سهلي عمر، وقد رحلا عنا كما رحل قبلهما أصدقاء أعزاء علينا منهم: شيخ الأدباء الأستاذ عبدالقادر علاقي، والشاعر الأخ الصديق الأديب محمد بن علي السنوسي يرحمهما الله جميعاً.

كان الأخ محمـد زارع صديقاً وابنا من أبناء جيزان الذين تعلقوا بأغصان الأدب والمعرفة، مضت على وفاته ما يزيد على تسعين يوماً، هذا الصديق عاش ـ يرحمه الله ـ رائداً من رواد القصة، ترك لنا من آثاره القصصية والأدبية الشيء الذي لا ننساه، واستجابته لواجب الرابطة الأدبية ـ يسعدني أن يقف القارىء الكريم على جانب من جوانب حياته التي سأتناولها هنا مع جانب آخر هو اختياره لأسماء قصصه الدالة على قراءاته الواسعة وذوقه السليم.

---

(١) «الهدد» ـ هنا ـ توسعة الشوارع وإقامة ساحة عامة سميت «ساحة النهضة» بعد أن عوضت الحكومة أهالي البيوت التي طالها التوسعة تعويضاً سخياً وقطع أرض أقاموا عليها مساكن حديثة عوضاً عن بيوتهم القديمة المتصدعة.

والقصة في حد ذاتها فن من فنون الأدب القديم والجديد برز من كتابها أدباء معروفون منهم: جرجي زيدان وسليم البستاني في لبنان وفي مصر نجيب الحداد ونجيب محفوظ والمنفلوطي ويوسف السباعي وإحسان عبدالقدوس والعقاد في قصته «سارة» وغيرهم.

نعود لزارع وتعليمه، استهل الأخ زارع دراسته البدائية في الكتاب أو «المعلامة» ـ كما تسمى عندنا في جازان ـ ثم واظب على حضور حلقات الدروس المتنوعة على أيدي علماء وأساتذة أجلاء كالشيخ عقيل بن أحمد وغيره من زملاء له، منهم القاضي الشيخ علي محمد صالح عبدالحق والمشايخ علي بن أحمد عيسى وعبدالله مطهر ومحمد عقيل بن أحمد والشيخ عبدالقادر علاقي ومحمد أبكر ياسين وحسين عبدالقادر وعمر بيضي وغيرهم من أبناء جيزان:

منازل أفراحي وأنسي ولذتي
وموسم أعيادي ودار هيامي

ثقافته:

أكب الأخ محمد زارع على المطالعة وخاصة في أُمهات الكتب، فاستفاد وأفاد، فمن انتاجه القصصي قصة «أمير الحب» و «الفارس الملثم» و «قلب الأسد» و«ليلة في الظلام» و «مناجاة هدهد» و «الوفاء».. الخ، وجميعها نشرت في مجلة المنهل أو في كتب صغيرة الحجم.. ولم يقف انتاجه على كتابة القصة، بل تطرق في كتاباته إلى الكثير من المواضيع، فكتب مقالا عن تاريخ «حفر قناة السويس» ـ نشر في المنهل صـ ٤٨١ المجلد ٢١ رجب، وله مقال تحليلي لقطعة شعرية للأخ الشاعر الصديق محمد بن علي السنوسي باسم «الجنوب الخصيب» نشر في المنهل صـ ٢٤١، وله مقال عن الأمطار الموسمية في الجنوب نشر في المنهل صـ ٤٩٠، ومقال عن الضمان الإجتماعي نشر في مجلة المنهل صـ ٦٧١ المجلد ٢٣ ذي القعدة ١٣٨٢ هـ، ومقال عن تهامة في التاريخ نشر في المنهل رجب وشعبان ١٣٧٦ هـ صـ ٣٩٨ المجلد ١٧، وله مقال عن جبل القهر في التاريخ.

الوظائف

بدأ الأخ محمد زارع حياته الوظيفية كاتباً للوارد والصادر في مديرية الأعشار ثم نفس الوظيفة في قسم المحاسبة ثم مأموراً لمالية الجابري والخوبه ثم انتقل

إلى وظيفة مقيد صادر ووارد في محاسبة مالية جيزان براتب مأمورية الجابري ثم استلم وظيفته الزميل الأخ عبده هاشم والد الدكتور هاشم عبده رئيس تحرير عكاظ، والذي صدر قرار بنقله بالترفيع من ملازم براتب قدره عشرة ريالات إلى جمرك جيزان براتب قدره ثلاثون ريالاً في وظيفة أستحدثت وسميت «مساعد كاتب يومية المحاسبة»، وكان كاتب اليومية الأخ يوسف زايد ـ يرحمه الله ـ وعينت أنا بدلا منه ملازماً في المحاسبة بعشرة ريالات، ثم نقلت إلى أمانة الصندوق بنفس الراتب برئاسة الشيخ عبدالله العلي البسام، وتزاملت والأخ الكريم عبده مسلم ـ يرحمه الله ـ الذي كان كاتباً للصندوق براتب قدره ثلاثون ريالاً وفي المحاسبة عين بدلا عني الأخ عبده اسماعيل بهكلي براتب عشرة ريالات، وكانت العشرة الريالات لها دور فعال في شئون المعيشة في أواخر الخمسينات.

وقسم المحـاسبـة الذي هو أكبر الأقسام في المالية ـ آنذاك ـ يتألف من: عبدالقادر خورشيد رئيساً للمحاسبة ومساعده الأول كاتب التصنيف عبدالله حيدر ـ أرجو الله له الشفاء وأن يمد في عمره، وكاتب الرواتب على كامل والشاب الأديب مأمور التدقيق محمد أحمد عيسى العقيلي، ومأمور بيع الطوابع علي أبو طالب بهكلي والمسـاعـد الثـاني لرئيس المحاسبة علي باغشير وقسم المحاسبة في الجمارك يتألف من المدير يحيى شامي والمحاسب محمد علي السنوسي ويوسف زايد كاتب يومية وعدد من الموظفين وكلما تذكرت تلك الأيام الماضية أحن إلى حلاوتهـا، ومن من الناس لا يعرف الدنيا والحلو والمر فيها، فهي دار الصلاح والحب والفجائع والهموم والأحزان في آن وحد..

حلاوتـهـا ممـزوجـة بمـرارة
وراحـتـهـا ممـزوجـة بعـنـاء

أما الأخ محمد زارع فقد انتقل إلى وظيفة في بلدية جازان، وآخر وظيفة شغلها هي وظيفة كاتب في إمارة جازان إلى أن أحيل إلى التقاعد.

هنـالك وجوه غابت، وكانت مثال الظرف والكياسة، ولهم في المجال الشعبي النكتة البارعة، والشعر الشعبي البارع، والكياسة والظرف، ومنهم حسن ناصر عدار، وكان في رأس القائمة، ومجلسه الشعبي أو مركازه ـ بالمصطلح الحجازي ـ عامراً بالإخوان الظرفاء من مثل: سالم بريك ـ أطال الله في عمره ـ محاسب المالية السابق، والصديق الأثير لدينا جميعاً وأحمد ياسين الذي من نكته البارعة

التي لا تنسى: أنه وصل مهندس ألماني ليكشف على معدن الملح (المضريبة)[1] فتذاكر الإخوان في مجلس حسن ناصر عن هذا المهندس الذي طالت مدته بدون نتيجة، وجال الحديث فعلق عليه أحمد ياسين: (هذا المهندس ما في مثله، دق برجله على تراب المضريبة وقال: «إذا ما صح أن هنا ملح فيقطع رأسي»، في حال أن الملح ظاهر على أديم الأرض ويعرف ذلك كل إنسان).

أما حسن ناصر فقد كان حنكاش جازان، ونقول حنكاش جازان لأن حنكاش المعروف في لبنان والذي كان يتناقل نكته وقفشاته على أرقى المستويات في لبنان.

وهكذا كان حسن ناصر في جازان تتناقل نكاته وقفشاته في مستوى مدينة جازان ـ فرحم الله حسن ناصر، وهناك من الإخوان الظرفاء حسن راجح، وله مجاله في خفة الروح والظرف، وإن كان قد غادر جازان منذ أمد طويل وسكن في جدة كمدرس في مدارسها.

والأخ علي سهلي عمر ولد ونشأ في جازان:

إذا قضى الله فاستسلم لقدرته
ما لامرىء حيلة فيما قضى الله

استشهدت بهذا البيت وكلي حزن عندما علمت بوفاة الأخ علي سهلي الفنان المحبوب الذي كان يرحمه الله صديقاً عزيزاً وأستاذاً له خبرته في مجال الطرب والغناء أحبه أصحاب المجالس الأدبية وغيرهم لما يتميز به من الوداعة وخفة الروح فإذا ما صفا الجو في مجلس ما وارتاح قلبه من مسئولياته اليومية سمعت منه النكتة الحلوة والوتر الساحر.

له نوادر غاية في الرقة والظرف كان يشاركنا في الرحلات الجماعية إلى أبي عريش وصبيا والماطري ويبث في هذه الرحلات جواً من البهجة والمرح كما فعل في زواج أخي علي ابراهيم جراد ـ يرحمه الله.

وقد تدهش أحياناً عندما تسمع منه الحديث عن أسماء الشعراء وقصصهم وعن المطربين الأولين مثل: «زرياب» الذي له نغمات رائعة، وأنه حسن الصوت، وأنه أخذ الغناء والعزف على العود عن «اسحاق الموصلي» وأنه رحل من بغداد،

---

(١) المضريبة: المضريبة (منجم ملح في جازان)

وفي الأندلس تألق نجمه، وأنه زاد في أوتار العود ـ آنذاك ـ وتراً خامساً.

وأذكر أنني سألت الأخ علي سهلي مرة في مجلس ما عندما كنت في جازان العام الماضي عن الشعر الموزون وما يعرف وما يسمع عن شعر الحداثة.

فأجاب بلغته العادية: إن الشعر الموزون له قافية على حرف واحد وهو مثل أكلة «المرسة» ما يشبع الإنسان منها بر وسمن وعسل وموز وعليها مغش لحم أو أوصال حنيذ، أما شعر الحداثة فهو أكل لكنه خال من جميع أنواع المشهيات ولا يستطيع الإنسان أكله ولا هضمه.

ولا أدري كيف أن بعض الناس يعجبهم، وعندما سألته: من أين اكتسب هذه المعلومات؟ فأجاب: لا تنس المجالس الأدبية مع الأدباء والمتعلمين فهي أكبر مدرسة لنا ولغيرنا.

والحقيقة المعروفة، ولا أبالغ إذا قلت أن من مزايا أبناء جازان حلاوة الحديث، قد تجد بعضاً منهم لا يعرف القراءة أو الكتابة ولكنه وبدون تكلف يحسن الحديث، كالأخ علي سهلي عمر ـ يرحمه الله ـ والأخ أحمد رستم ـ أرجو الله أن يمد في عمره ـ أيضاً يتمتع بخفة ظل وأجوبة سريعة ومختصرة فمرة قابله صديق فرأى وجهه مكشراً فسأله عن السبب فكان الجواب في الجو غيم،وهناك العباس؟ وغيرهم، وختاماً فمهما أطال الله العمر فإننا سوف ننتهي إلى المصير الذي انتهوا إليه عندما يحين الأجل المكتوب.

وإذا كنت قد أطلت على القارىء الكريم فإنني أختتم هذا المقال بأن الأخ علي سهلي هو آخر رائد من رواد الفن والطرب في جازان مات كما قبله الأستاذان محمد باحسن وعبدالله باحسن والإخوة علي إبراهيم جراد وعلي مهدي السروري وعيسى بكري ـ يرحمهم الله ـ هؤلاء الفنانون المطربون طالما عطروا أجواء جازان وغيرها بأغانيهم وأحاديثهم الطيبة في مجالس الأنس والأدب، ولكن ليس معنى هذا أن الفن والغناء قد مات ودفنوه معهم، كلا إن هؤلاء الأساتذة أعطوا الكثير للجيل الحاضر ولمن يجيىء بعدهم وبتوجيههم؟ ظهرت وجوه جديدة في نفس المستوى[1]، وقد سمعت من أحدهم ما يأخذ بمجامع القلوب ورحم الله من قال:

---

(١) بل يوجد من شباب المطربين من فاق من سبقهم وتجاوز النطاق المحلي إلى مستوى المملكة مثل: (محمد عمر) والذي اسمه الكامل (محمد علي عمر)، وعبدالمجيد عبدالله مطهر، وغيرهم ممن لم تحضرني أسماؤهم.

تمــر بنــا الأيــام تتــرى وإنــمــا
نســاق إلى الآجــال والعــيــن تنــظر
فلا عائــد صفــو الشــبــاب الذي
مضى ولا زائــل هذا المشيب المكــدر[1]



(١) نشرت في جريدة «عكاظ» العدد ٨١٢٥ في ١٤٠٩/٢/٢٥هـ صـ ٨.

مقال

نقش سَبَئِي

للأستاذ/ حسن بن أحمد بن عبدالرحمن البهكلي(1)

وجدت عند أحد بائعي المتاع العربي القديم بمدينة جدة نقشاً سبئياً نقشت سطوره الأربعة عشر بحروف القلم المسند، على واجهة حجرٍ طباشيري - ارتفاعه (٣٢/٥ سم) وعرضه (٢٢ سم) وسمكه (١٢/٥ سم)، ومع أن جزءاً قد تهشم من مقدمة الحجر اليسرى إلاّ أنني عرضت ثمناً لشرائه مبلغ ثلاثمائة ريال. فطلب أكثر من هذا فعرضت عليه مبلغ خمسين ريالاً ليسمح لي بتصوير النقش. وفي مكتبتي بالرياض شرعت في حل رموز النقش فتمكنت من قراءة اسم (كرب) في السطر الأول منه، وفي السطر الثاني تمكنت من قراءة الاسم مضافاً إليه (يأمّن)، وفي السطر الثالث قرأت اسم (إلشرح يحضب.. ملك سبأ وذريدن)، وفي منتصف السطر التاسع وبداية السطر العاشر قرأت إسم (نشأ كرب يهأمن ملك سبأ وذريدن). استأثرت هذه الأسماء بإهتمامي فبادرت إلى الإتصال هاتفياً بأحد

---

(١) حسن بن أحمد بن عبدالرحمن البهكلي ولد بصبيا عام ١٣٤٢ هـ ودرس بالمدرسة الإبتدائية بجازان، وتخرج ثم ألتحق مدرسا بها، ثم كاتب تحرير البلدية إلى أن نقلت خدماته إلى وزارة المالية في الرياض ثم إلى وزارة الدفاع، وتدرج بها إلى أن ترفع إلى رتبة مستشار مالي، وظل بها إلى أن تقاعد فتفرغ لأعماله الخاصة والمطالعة وكتابة المقالات والبحوث مما نشر له في الصحف السعودية.

كان على جانب من حسن السيرة وكرم النفس، مما جعل داره في الرياض ندوة مسائية يسهر بها أكثر مواطنيه، ويبذل الكثير في سبيل راحتهم.

ثم أنتقل إلى مدينة جدة على نفس الطريقة والسيرة الحميدة التي كان عليها في الرياض ثم ظل بها حتى وافاه الأجل المحتوم في يوم الأحد الموافق ١٤١١/١١/١٩ هـ/ ١٩٩١م مأسوفاً عليه ممن يعرف غر شمائله وكريم أخلاقه - تغمده الله بفيض رحمته ورضوانه.

كان رحمه الله صاحب هواية رفيعة في جميع الآثار والتحف القديمة وبعض المخطوطات، ولو جمعت لشكلت متحفاً صغيراً، وعسى أن ورثته يهتمون في المحافظة عليها وحفظها باسمه في المتحف التاريخي بالرياض.

آثاره الأدبية:

١ - عدد من المقالات الأدبية والتاريخية نشرت في الصحف والمجلات.

٢ - بحوث عن الآثار السبئية والنقوش الحميرية.

٣ - بحث قيم عن العسل.

---

(١) البهاكلة من بيوت العلم والأدب - أنظر تحقيق المؤلف على كتاب «نفح العود» ط ٢.



حسن البهكلي

الإخوان في جدة وطلبت منه أن يزيد في ثمن النقش ويشتريه، فكان أن وافق صاحبه على بيعه بستمائة ريال فانتقل النقش بعدها إلى مكتبتي بالرياض، وكنت بين حين وآخر أسهر مع النقش أحاول حل رموزه حتى انتهيت منه على النحو الذي يراه القارىء في رسم الشكلين (أ) و (ب). وفي الشكل الأول رمزت إلى سطور النقش بالأعداد من(١) إلى العدد (١٤)، ورمزت إلى الحروف التي تهشمت أو انطمست معالمها بوضع نقط لتملأ الفراغ ورمزت إلى الكلمات التي تعذَّر عليَّ فهم معانيها بوضع علامة استفهام (؟). وأوردت الكلمات والجُمل المنفصلة في النقش كُلًا منها بين خطين، أما الكلمات التي وردت بعض أحرفها في آخر السطر

بالنسبة للنقش وبعضها في أول السطر الذي يليه فقد وضعتها هنا كما هي في النقش. وفي الشكل الثاني أوردت كلمات النقش وما تعنيه تلك الكلمات بالنسبة لأبجدية القلم المسند.

أ ـ الشكل الأول: (من أبجدية القلم المسند إلى أبجدية القلم العربي الذي نستعمله اليوم):

١ ـ .... ك ر ب ـ ر ـ .... ـ ك

٢ ـ رب ـ ي ا م ....

٣ ـ ن ـ ب ن ـ إ ل ش ر ح ـ ي ح ض ب ـ و ع ... س

٤ ـ ب ا ـ و ذ ر ي د ن ـ هـ ق ن ي ـ ا ل م ق هـ ث هـ و ن ب ع ل ا و م ـ ص

٥ ـ ل م ن ـ ذ ذ هـ ب ن ـ ذ ش ف ت هـ و ـ ل ق ب ل ي ـ ذ هـ و ف ي هـ و م

٦ ـ أ م ل ا ـ س ت م ل ا ـ ب ع م هـ و ـ و ل و ز ا ـ أ ل م ق هـ ث هـ و

٧ ـ ن ب ع ل ا و م ـ هـ و ف ي ن ـ ع ب د هـ و ب س ر ب ـ ع ث ت ـ ب ن ـ أ

٨ ـ ح ذ ر ـ ب ك ل ـ أ م ل ا ـ ي س ت م ل ا ن ـ ب ع م هـ و ـ و ل

٩ ـ خ م ر هـ و ـ ح ظ ي ـ و ر ش و ـ م ر ا هـ م و ـ ن ش ا ك ر ب ـ ي هـ أ

١٠ ـ م ن ـ ي هـ ر ح ب ـ م ل ك ـ س ب ا و ذ ر ي د ن ـ و ل س ع د هـ م

١١ ـ و ـ ن أ د ـ د ث أ ـ و ص ر ب ـ و ل خ ر ي ن

١٢ ـ هـ م و ـ ا ل م ق هـ و ن ب ع ل أ و م ـ

١٣ ـ ب ن ن ـ ب ا س ت م ـ و ن ك ي ت م ـ

١٤ ـ و ن ض ع ـ و ش ص ي ـ و ت ث ع ت ـ ش ن أ م

ـ و ب ن ـ ك ل ـ ح ل ظ م ـ و م ي ق ظ م ـ ب أ ل م ق هـ ث هـ و ن ب ع ل أ و م

* * *

ب : معاني كلمات النقش بالنسبة لأبجدية القلم المسند

السطر	الكلمة	معناها
١ـ	كرب	إسم ملك سبئي
٢ـ	كرب يأمن	إسم ملك مضافاً إليه لقبه
٣ـ	بن	من
٣ـ٣	إلْشَرح يحضب	إسم ملك سبئي مضافاً إليه لقبه
٣ـ٤		
٤ـ	هقني	أهدى، نذر، قدم للإله نذراً
٤ـ	المقة ثهون بعل أرم	الإله المتكلم رب أرم
٥ـ٤	صلمن	صنم
٥ـ	ذ	من
٥ـ	ذهبن	ذهب
٥ـ	ذشفت هو	لأنه شفاه
٥ـ	لقبلي	من قبل
٥ـ	ذهو فيهوم	والذي وفىً له
٦ـ	أم لا ستملا	كل رغباته
٦ـ	بعمهو	بحق، بمساعدة، بحول
٦ـ	ولوزا	؟
٧ـ٦	المقه ثهون بعل أوم	الإله المتكلم رب أوم (الإله القوي رب أوم)
٧ـ	هو فين	الذي وفي
٧ـ	عبد	خادم
٧ـ	هو بَس	الإله هوبَس، صفة من صفات القمر
٧ـ	رب	سيَد
٧ـ	عثت	الآلهة الزهرة ـ أحد آلهة معين
٧ـ	بن	من
٨ـ٧	أحذر	أصفياء الملك، خاصة الملك
٨ـ	بكل أملا يستملان	بكل رغباته التي رغب الحصول عليها

السطر	الكلمة	معناها
٨ـ	بعَمْهوَ	بحق، بمساعدة، بحولِ
٩ ـ ٨ ـ	وَلَخمْر هو	؟
٩ـ	حَظي	؟
٩ـ	وَرشو	الكاهِنْ
٩ـ	مُرَّاهمو	أميرهم، سيدهم
٩ـ	نشأ كرب	إسم ملك سبئي
١٠ ٩ـ	يَهَأ مَنْ	لقب الملك نشأ كرب
١٠ـ	يهَرْ حَبْ	لقب الملك نشأ كرب
١٠ـ	ملك سبأ وذريدن	ملك سبأ وريدن
١٠ـ	ولِسَعدِهمْ	وليبارك لهم
١١ـ	و	في
١١ـ	نأد	محصول
١١	دَثَا	الربيع، المطر، الأمطار
١١ـ	وصَرَب	والشتاء، والصمغ «محصول الصمغ»
١٢ـ١١ـ	وليخير ينهمو	وليدفع عنهم
١٢ـ	المقه ثهون بعل أوم	الإله القوي رب أوم (الإله المتكلم رب أوم)
١٣ـ	بن	كل
١٣ـ	باستم	بأس
١٣ـ	ونكيتم	ونكاية
١٣ـ	؟	؟
١٤ـ	وشصي	وشدة: وجدب، وجفاف
١٤ـ	وتثعت	وآفة
١٤ـ	وشنأم	وشأني، وعدو
١٤ـ	وبن كل	ومن كل
١٤ـ	حلظم	مرض
١٤ـ	وميقظم	وأرقى
١٤ـ	ب	بحق

١٤ـ المقه ثهون بعل أوم الإله القوي رب أوم)
الإله المتكلم رب أوم)

مما تقدم نجد أن هذا النقش قد اشتمل على أسماء ملوك ثلاثة، هم: (كرب يأمن)، (إلشرح يحضب)، و (نشأ كرب يهأمن يهرحَب). ونقرأ في بعض المصادر لقب الأخير مكتوباً (يأمن) بدلاً من (يهأمن) والملوك الثلاثة ينتمون إلى الدولة السبئية (سبأ وذريدن)، التي اختلف الباحثون في تاريخ سبأ في تحديد زمن نشوئها فقدروا سنة (١١٥ ق.م) أو سنة (١٠٩ ق.م) بداية ويعتبر هذا التاريخ بداية للدور الثالث لحكام سبأ من (مكربين) و (ملوك) وهو أيضاً بداية للفترة التي ينتمي إليها الملوك الثلاثة وهو العهد الذي ضم في بدايته ملوك سبأ أرض الحمريين (ريدان) إلى نفوذهم وبهذا حق لهم التوسع في اللقب بحيث أصبح في هذه المرحلة (ملك سبأ وذريدن) بدلاً من سبأ وحدها.

اشتمل النقش على أسماء وصفات بعض الآلهة المقدسة عند العرب الجنوبيين وفي مقدمة هذه الآلهة نقرأ اسم (المَقَهْ) إله سبأ الكبير ولفظ (المقه) صفة من صفات (القمر) أكبر إله عرفته بلاد العرب الجنوبية وقد كانت معابده هي أيضاً أكبر معابد عرفتها الجزيرة العربية، ونحن نقرأ فيما نقرأ أنه لم يرد للقمر في النصوص العربية الجنوبية اسم دائم وأن الكثير من النصوص تشير إليه بكناه وصفاته، فهو (المقه) عند السبئيين، (عَم) عند القتبانيين، (ودّ) عند المعينيين، (سنْ) عند الحضارمة.

وفي النقش أيضاً إسم الإله (هوبس أو (هَبَسْ)، وهو فيما يبدو رمزٌ للإله المقه، فقد ورد في بعض النصوص أن (يَشَعُ أمروتر) شيّد معبداً للإله القمر الذي أطلق عليه السبئيون لفظ (هوبس)، في قرية (دير) أو (دبار) الواقعة في منتصف الطريق بين (مأرب) والمدن المعينية الواقعة في الجوف، وورد أيضاً لفظ هوبس مع الإله (المقه) في قولهم (المقه ذهوبس) وهم يعنون به الإله القمر.

واشتمل النقش على إسم أحد آلهة المعينيين، (عَثَتْ) كوكب الزهرة.

ونقرأ في النقش ألفاظاً منها جملة (بن أحذَرْ)، وقراءتها بالنسبة لأبجدية العربية اليوم: (من أحذَرْ) وهي تعطينا مدلولين نفهم من أحدهما أن صاحب النذر أو كاتب النقش ينتمي إلى قبيلة أو أسرة معينية تحمل هذا الاسم في ذلك العهد. ونفهم من الثاني أن صاحب النذر أو كاتب النقش هو أحد خاصة الملك (نشأ كرب يهأمن يهرحب). ويبدو لي أن المعنى الثاني هو الأرجح سيما وأن جملةً من

هذا النوع في نقش غير هذا فسرها الباحثون في أبجدية القلم المسند بأنها تعني: (أصفياء الملك).

ونقرأ في النقش ألفاظاً لها نفس مدلول نظيرها في العربية التي نتحدث بها اليوم مع اختلاف في اللهجات، كقولهم. (ذَهبْنَ) بدلا من (الذهب) وهم يستعملون حرف النون أداةً للتعريف، وهي حيثما وردت في اللهجات العربية الجنوبية في آخر الاسم المعُرَّف تقوم مقام أداة التعريف (أل) في اللغة العربية اليوم.
وقولهم: (ذِ شَفته) ويقصدون: (التي شفته)، و (ل ِ قبل) ويعنون بها قولك: (من قبل)، و: (ذِ هو فيهمُوُ) ويعنون بها: (هو الذي وفاهم) و : (عبدهوبس) ويقصدون بها: (خادم الإله هوبس)، و : (رب عثث) ويعنون بها: (سيد عثث) كما يفهم من السياق. ولفظة (رب) في غير هذا السياق قد تعني أيضاً رب الشيء، ومالك الشيء.

وقولهم: (مراهمو)، تعني (امريهم)، و (سيدهم) وقولهم: (كل باستم ونكيتم) تعني: (كل بأس ونكاية). ومن بين الألفاظ الواردة في النقش ألفاظ أمكن ردها إلى جذورها العربية، منها:

المَقه: وهم يعنون بهذا (القمر) إله السبئيين وقد وصفوه وسموه (المقه) لشدة بياضه.
وفي اللغة: المهق، المقه: بياض في زرقة، وهو قول الأزهري قال: وبعضهم يقول: المَقه أشدها بياضاً، وفلاة مقهاء، وفيف أمقه إذا ابيض من السراب، قال ذو الرمة:

إذا خفقت بأمقــه صحصحــان رؤوس القوم واعتنقوا الرِّحالا

وقولهم: (وليبارك لهم في محصول .... دثا).
لغة، الدثيء من المطر: الذي يأتي بعد اشتداد الحر وهو الذي يجيء إذا قاءت الكمأة.

وقــولهم: (وليـدفــع عنهم المقــه، كل)... (و)... و (شصي). لغة، شصص: الشصص، والشصاص، والشصأصأ. اليبس والجفوف وشص الإنسان يشص شصاً: عض على نواجذه صبراً. ويقال: نفى الله عنك الشصائص، أي الشدائد وشصت معيشتهم شصوصاً، وانهم لفي شصأصأ، أي في شدة. وقولهم. (وليدفع

عنهم المقه كل (....) و ..... (وشنـأم). لغة، الشنءُ البغضة قال تعالى (ولا يجرمنكم شنآن قوم). وقال تعالى (ان شانئك هو الأبتر).

وفي النقش أيضـاً ألفاظ بأبجدية القلم المسند تعذر على ردها إلى جذور العربية التي نتحدث بها اليوم، منها قولهم: (ناد) للمحصول الزراعي: و: (حلظم) للمرض، و (ميقظم) للأرق، و (هقني) بدلا من أهدى، وقدم، وقولهم: (ولوزا). وقولهم: (بكل ام لا شملا)، وقولهم (ولخمر هو).

وعلى وأنا اختتم حديثي عن هذا النقش أن اعترف لإخواني القراء انني لست من المتخصصين في هذا المجال، وأن ما قدمته عن هذا النقش ليس أكثر من محاولة لاشك أنه قد اعتراها كثير من الخطأ، ونحن معشر القراء نطمع في أن يتفضل أهل العلم بتصحيح الخطأ وتفسير رموز الكلمات التي تعذر علينا فهم معانيها.

وقديماً قيل، (اعط القوس باريها).

الرياض ١ ربيع أول سنة ١٣٩٥ هـ

حسن بن أحمد البهكلي

المراجع:

(١) نقش سبئي.

(٢) التاريخ العربي القديم: ترجمة وإستكمال الدكتور فؤاد حسنين علي.

(٣) تاريخ العرب قبل الإسلام جـ ٧ و ٨ الدكتور جواد علي.

(٤) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جـ ٢ و ٦: الدكتور جواد علي.

(٥) لسان العرب: مجلد ١، ٢، ٣.

(٦) القرآن الكريم.

(العرب: عرضنا المقال على الأستاذ الكريم أحمد شرف الدين من علماء التاريخ في هذا الجزء الحبيب من وطننا (اليمن) فتفضل مشكوراً ـ بكتابة هذا التعليق).

أطلعت على كلمة الأخ الأستاذ حسن البهكلي، المتضمنة ترجمة النقش السبئي الذي أشار إلى أنه أصبح في حوزته والواقع أن الأستاذ البهكلي قد قارب وسدد في حل رموز هذا النقش التاريخي الذي يعتبر، وأنا أقولها قبل معاينة النقش، بل استناداً إلى وصف الأستاذ البهكلي له ـ أحد نقوش معدودة تحدثت عن اسم الملك السبئي نشا كرب يامن، ابن الملك السبئي الشهير الشرح يحضب.

مقال

مؤتمر الأدباء السعوديين

للأستاذ/ علي بن محمد العمير[1]



تسيل بطاح مكة المكرمة هذه الأيام بأفواج من الأدباء، وقد حضروا للمشاركة في أول مؤتمر للأدباء السعوديين، يعيد إلى الأذهان ذكرى حية لسوق عكاظ على اختلاف في الهدف والغاية. فذلك كان لمجرد المفاخرة أو المنافرة أو التباهي أو الشراء والبيع، وأما هذا المؤتمر فهو أبعد ما يكون عن مفاخرة أو منافرة أو مباهاة أو بيع وشراء.

مؤتمـر هدفـه الفكـر من أجل الفكر في إطار إسلامي تذوب فيه العنعنات، وتضمحل روح (الأنا) في مؤتلف جماعي يستهدف الحب والخير و.. والأدب!

ولعل هذه الروح قد تجلت بوضوح في حفلة الإفتتاح فقد كان جو الإجتماع يمطر حباً وصفاءً ونقاءً.!

الله أكبر.. والشعر يا للشعر.

---

(١) الأستاذ علي بن محمد العمير الكاتب الصحفي المعروف ولد بقرية الجرادية عام ١٣٥٥ هـ، درس في معهد القرعاوي وعلى الشيخ حافظ الحكمي، له عشر مؤلفات أدبية ثقافية ونقدية، وله مشاركات في المجلات والصحف اليومية(١).

---

(١) المصدر: إستمارة عضويته بنادي جازان الأدبي.

لقد اتحفنا سمو الأمير عبدالله الفيصل بقصيدة عصماء تحية للمؤتمر، ألقاها بالنيابة عنه الأستاذ محمد حسين زيدان.

ثم.. ثم الله أكبر. مرة أخرى، لقد سعى إلى منبر الخطابة شيخ جلله الوقار وحفت به عرائس الشعر غير منظورة وإن كانت مأثورة محسوسة!

فما هو إلا أن انتصب أمام (المايكرفون) وبدأ يلقي قصيدته حتى اضطربت الصالة ودوى التصفيق، وابتهجت النفوس، وانشرحت الخواطر، وافترت الابتسامات.

أظن صادقـاً أن لو كان النابغة موجوداً لما تمالك نفسه حتى يأخذ شيخنا الجليل الأستاذ أحمد إبراهيم الغزاوي بالأعناق.. ولقال له: اذهب يا ابن أخي فأنت أشعر العرب.. بل وأنت خير من ألقى الشعر المبين!!

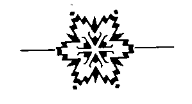
لقـد تفـوق شيخنا الغزاوي على نفسه، على شيخوخته سواء بطريقة القاء القصيدة أو بالقصيدة نفسها.

الله أكبر!!

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا.. أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

وبعد تحية للأدباء في رحاب مكة المكرمة بين أحضان الجبال السمر التي انبثق منها نور السماء، وشهدت أول منطلق للكلمة في أبلغ صورة وأصدق بيان.

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾[1].



(١) المصدر: كتاب «على الماشي».

مقال

اللعب على الحبلين!!

للأستاذ/ علي بن محمد العمير

لست أذكر من هو الذي كان يصلي مع الإمام علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، ويتغدى مع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، والمفارقة واضحة.. فسئل في ذلك فقال ما معناه أنه يفضل الصلاة مع علي بن أبي طالب كاختيار لدينه ويتغدى مع معاوية طلبا لدنياه الخ!!

والقصة مذكورة ومشهورة، وسواء كانت صحيحة أو غير صحيحة فإنها ـ على كل حال ـ تعطي مثلا حياً، وصورة واضحة عن متقلبي الأهواء والميول والنزعات دون حياء أو خجل أو رادع من كرامة أو عزة!!

وهذه القصة لو لم تكن في أيام علي ومعاوية، نادرة ولافتة للنظر لما رويت ولما تسنى لنا أن نذكرها هنا كشاهد!!

أمـا اليوم فالأندر هو العكس.. أي أن القلة النادرة في زماننا هم الذين لا يصلون مع أمثال الإمام علي في ورعه وتقاه، ولا يتغدون مع أمثال معاوية في تنكره لعلي وحربه له!!

وأصبحنا نصف أمثال هؤلاء الذين يصلون هناك، ويتغدون هنا بأنهم «يلعبون على الحبلين»!!

ولكن للحقيقة والإنصاف أن هذه الصفة أصبحت قديمة أيضاً فهناك من يلعب في عز الظهيرة، وفي وضح النهار على أكثر من حبلين!!

ويعلم الله انني أعجب أشد العجب كلما التقيت بواحد من هؤلاء كيف يستطيع أن يجعل وراء ظهره كل حياء أو خجل أو شيمة.. بل كيف يسير بوجهه معه بين الناس؟!!

إن ذلك الذي كان يصلي مع الإمام علي، ويتغدى مع معاوية ، كانت حجته واضحة، وإن كانت مثيرة للابتسام، كان يطلب دينه ودنياه في آن معاً!!

أما هؤلاء الذين نقصدهم فإنهم يطلبون دنياهم.. ودنياهم فقط.. وبعد ذلك الطوفان!!

المصدر: كتاب «على الماشي».

جهل الأدباء المصريين
بالنشاط الأدبي العربي
للأستاذ/ علي بن محمد العمير

كتب أنيس منصور في العدد الأخير من مجلة «آخر ساعة» عن الجهل الذي يتمتع بها الأخوة في مصر عن أشقائهم في العالم العربي، وذكر أن الأشقاء في العالم العربي يعرفون عن مصر وفكرها وأدبها وثقافتها أكثر بكثير مما يعرفه المصريون عن مثل ذلك في سائر أنحاء الوطن العربي، وذكر أنه يزور الخليج العربي لأول مرة مع أنه طاف أنحاء العالم أكثر من مرة!؟

ودعا أخيراً إلى مزيد من إنفتاح المصريين على أشقائهم العرب إلخ!!

ولا أكتم القراء أنني حمدت الله في نفسي على هذا التواضع الفريد الذي كشف عنه الأستاذ أنيس منصور، وهو تواضع يبشر بالخير إن شاء الله.. ذلك لأن الأستاذ أنيس منصور نفسه لم يكن يوحي بهذا القدر من التواضع المحبب على كل حال!!

سئل مرة - منذ أقل من عام - عن رأيه في الأدب السعودي ووسائل النهوض به فأجاب قائلاً ما معناه أنه على استعداد أن يستقبل في مكتبه أي أديب سعودي!

والمفارقة واضحة بين السؤال والجواب!

وعلى كل حال فالماضي ليس مهماً، ولنا الساعة التي نحن فيها، وهذه الساعة التي نحن فيها تقول أن أنيس منصور قد فهم من رحلته لدول الخليج ما لم يكن قد فهمه أو عرفه قبل ذلك!!

ومعنى هذا أن هناك أملاً كبيراً في أن يفهم أكثر في رحلة قادمة. خاصة وهو سريع الفهم، محب للاطلاع.

ولا شك أن فهمه أو محاولة تعرفه على الأشقاء.. بل ودعوته إلى هذا التعرف أمر يشكر عليه، ويقدر من أجله، حتى وإن جاء متأخراً!!

وعلى أساس من هذه الروح الجديدة المتواضعة، لا استبعد أن يكون في مرة قادمة أكثر تواضعاً إذا سئل عن الأدب السعودي ووسائل النهوض به أو نحو ذلك

من الأسئلة، وأن يكون أكثر تفهماً وكرماً من مجرد الإعلان عن فتح باب مكتبه!

وبعد فإن المرحلة التاريخية العظيمة التي تعيشها الشقيقة الكبرى مصر قد غيرت الكثير من المفاهيم، وساعدت على الرؤية بوضوح أكثر.. وسيكون لكل ذلك ما بعده من حسن فهم وإدراك وواقعية و... تواضع أيضاً.

١١/١١/١٣٩٤ هـ

- ٢ -

نعود إلى أنيس منصور، وما كتبه في العدد الأخير من مجلة «آخر ساعة» من أن إخواننا في مصر يجهلون الكثير جداً عن أشقائهم في العالم العربي.. بعكس هؤلاء الأشقاء الذين يعرفون الشيء الكثير عن مصر وأدبها وثقافتها وحضارتها، ومختلف جوانب الحياة فيها!

وليس العجيب فقط هو «جهل» إخواننا المصريين بشئون وشجون الأشقاء في العالم العربي. بل الأعجب من ذلك حقاً أنهم يدهشون ويستغربون جداً إذا وجدوا في أية عاصمة عربية ما يخالف جهلهم أو تصورهم!!

قرأت قبل أيام في جريدة «الأخبار» المصرية مقالاً بعنوان «أضواء على الثقافة في أربع عواصم عربية» بقلم رشدي صالح، وهو من الكتاب المعدودين في الجريدة المذكورة، أي من طبقة المثقفين المفروض فيهم الاطلاع على مجريات الأمور في الوطن العربي المحيط بهم على أقل تقدير!!

لقد استهل رشدي صالح هذا مقاله الآنف الذكر على النحو التالي:

«لم أكن أتوقع أن أجد في دمشق وبغداد والكويت وعمان هذا التنويع الكبير في الإنتاج الأدبي والفني.

ولكني كنت على يقين من أن أثر الإنتاج الثقافي المصري، سيكون ماثلاً وبقوة في ساحة الأدب والفن والفكر في هذه العواصم» إلخ.

وهكذا فإن «التنويع الكبير في الإنتاج الأدبي والفني» غير متوقع على الإطلاق في أربع عواصم عربية!

أما «أثر الإنتاج الثقافي المصري» فهناك يقين بأنه «سيكون ماثلاً وبقوة.. إلخ»!

وهذه مجرد «عينة» من أسباب جهل إخواننا في مصر بشئون الأشقاء في العالم العربي!!

ولكن هذا لا ينسحب على إخواننا في مصر وحدها فالحقيقة أن هناك «جهل متبادل» بين الكثير من الأقطار العربية بعضها البعض إلا أن هذه الأقطار تكاد تجمـع على «معـرفتهـا» بما يدور في الشقيقة الكبرى مصر.. ربما فقط لأنها الشقيقة الكبرى.. ولكن أليس من واجب الأخت الكبرى معرفة أحوال أخواتها المتوسطات والصغيرات؟! وهكذا فإن «التنويع الكبير في الإنتاج الأدبي والفني» غير متوقع على الإطلاق في أربع عواصم عربية!

أما «أثر الإنتاج الثقافي المصري» فهناك يقين بأنه «سيكون ماثلاً وبقوة.. إلخ»!

وهذه مجرد «عينة» من أسباب جهل إخواننا في مصر بشؤون الأشقاء في العالم العربي!!

ولكن هذا لا ينسحب علي إخواننا في مصر وحدها فالحقيقة أن هناك «جهل متبادل» بين الكثير من الأقطار العربية بعضها البعض إلا أن هذه الأقطار تكاد تجمـع على «معـرفتهـا» بما يدور في الشقيقة الكبرى مصر.. ربما فقط لأنها الشقيقة الكبرى.. ولكن أليس من واجب الأخت الكبرى معرفة أحوال أخواتها المتوسطات والصغيرات؟!

٢١/١١/١٣٩٤هـ

المصدر: كتاب «على الماشي» ص ١٥، ١٦، ١٧.

مقال

لذة المأساة

للدكتور/ هاشم عبده هاشم(١)



قد لا نتذكر أشياء كثيرة.. جميلة.. ورائعة.. وعميقة الاتصال بمشاعرنا.. ولكننا لا يمكن أن ننسى لحظات «الصدمة» وصور المآسي.

---

(١) الدكتور هاشم عبده هاشم ولد في جازان عام ١٣٦٢ هـ/ ١٩٤٣م، تلقى تعليمه الإبتدائي والمتوسط بمدينة جازان. وأكمل الثانوية العامة والجامعة بجدة، عمل في الوظائف الإدارية بالمديرية العامة للجمارك لمدة عشر سنوات، مارس العمل الصحفي محرراً رياضياً فسكرتيراً للتحرير بجريدة المدينة المنورة اليومية بجدة للشئون المحلية، فمديراً لتحرير مجلة «الرياضي» الشهرية، ثم مديراً لتحرير مجلة «اقرأ» الأسبوعية، ونائباً لرئيس تحرير جريدة «البلاد» اليومية بجدة، وأخيراً رئيساً لتحرير جريدة «عكاظ» اليومية بجدة، نال درجة الماجستير عام ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م بامتياز عن رسالته «الضبط الببليوجرافي للدوريات السعودية الجارية» من قسم المكتبات والمعلومات بكلية الآداب بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة، وحصل على درجة الدكتوراة في مجال المكتبات من قسم المكتبات والوثائق بجامعة القاهرة عام ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م عن «المكتبات المدرسية في المملكة العربية السعودية»، يعمل أستاذاً مساعداً بقسم المكتبات والمعلومات بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة، إضافة إلى عمله رئيساً لتحرير جريدة عكاظ، عضو في مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر، آخر عمل صدر له أخيراً وهو كتاب بعنوان «الإتجاهات العددية والنوعية للدوريات السعودية» وكان قد أصدر في مطلع حياته الصحفية كتاباً بعنوان «دراسات كروية»، له عدة أبحاث علمية منشورة في الدوريات المتخصصة في علم المكتبات والمعلومات ومن مؤلفاته: كتاب «الحزن لا يغسل الهموم»، و «الحب احتراقاً»، وغيرها من المؤلفات.

إن الوقفات «الزمنية» الغريبة في حياة الإنسان كثيرة.. ومتفاوتة في تأثيرها.. ومدى اتصالها بعده.. ولكن أكثر هذه الوقفات إلحاحاً على الذهن وسيطرة عليه.. تلك التي تتوافق مع «الكوارث» أو تتصل بالأزمات.

لقد نسيت أشياء كثيرة عرفتها.. وعشتها.. ولمستها، وتعاملت معها منذ عشرين عاماً.. ولكنني لم أنس واقعة صغيرة تعرضت لها في ذلك التاريخ فهي على تقادمها لم تبارح مخيلتي.. بل وتقفز إلى ذهني كلما رأيت ما يثيرها..

فقد كنتُ أسير في طريق مكة المكرمة.. بسرعة عادية.. ولاحظت أن سيارة «وانيت» تريد أن تتجاوزني بسرعة مذهلة فيما كان أحد المارة يهم باجتياز الشارع.

ولم تكن إلا بضع لحظات.. حتى كان المشهد المروع أمامي.. يشكل مأساة دامية.. وتحول المنظر إلى «دراما» عنيفة.. دماء.. وبقايا إنسان.. وحطام سيارة ارتطمت أخيرا بعامود الكهرباء.. وجرحى في داخلها..

وتجمدت قدمي فوق «فرامل» السيارة.. ويدي على «المقعد»[1].. وانبهرت وأنا أرى هذا المنظر المفزع.. وقد تجمع الناس «كعادتهم» وبدأو يتحدثون حول الأمر.. ويتفاوتون في أحكامهم وفي تقدير الحالة..

وما إن انتهى المشهد بوصول رجال المرور.. حتى انطلقت السيارة الواقفة بنفس القوة والاندفاع.. تأكل الطريق أكلا..

شيء عجيب.. أين هي العظة؟ لماذا لم تعد المناظر المأساوية تدق بعنف في أعماق الناس؟! لماذا تحولت المواقف الدامية إلى عادة؟! هل تجمدت مشاعر البشر إلى هذا الحد؟! وهل اختفت المزايا الإنسانية في حياتهم.

تذكرت كل هذا.. يوم أمس وأنا أسير بأحد شوارع الرياض إلى جانب سائق السيارة التي كنت أستقلها معه.. وكان يروي حادث.. «دهس» تعرض له.. وكأنه يقص عليَّ أمتع فصل في مشهد مسل وقع له في حياته..

●● فواصل:

المأساة.. أن تعيش كل صور الحزن بمفردك..

---

(١) هكذا في الأصل.

المصدر: كتاب «الحب احتراقاً» ص ١٤١، ١٤٢.

مقال

القرار الصعب(!!)

للدكتور/ هاشم عبده هاشم

بكثيـر من الارتياح.. نصدر قراراتنا.. حين لا يكون في مقدورنا أن نحتمل مزيداً من المتاعب.. وبكثير من الارتياح.. نقبل جميع النتائج المتمخضة عن مثل هذا القرار لأن أهم ما يبحث عنه الإنسان في حياته.. هو أن يعيش حياة هادئة فإذا ما افتقد فيها هذا العامل الأساسي.. فإن من العبث أن يستمر في طريق لا يوفـر له الراحـة، وبكثير من الارتياح.. تتقبل ضمائرنا.. مثل هذه المواقف الشجاعة لأنها تكون قد استنفدت بذلك كل قدراتها.. وصرفت جميع ما لديها من وسـائل لتعديل أي وضع غير مريح.. وبكثير من الارتياح، نواجه وحدتنا لأنها ستكون في هذه المرة.. أقل إرهاقاً.. وقسوة على «ضمائرنا» بعد أن أصبحت الوحدة تحقق راحة البال.. وتحتفظ للإنسان بأعصابه وبمواقفه وبقيمته.. بوجوده الكبير في الإنسان الآخر.. وبكثير من الارتياح.. نستطيع أن نتصرف.. دون أن يقوى عامل الحساب الدائم بيننا وبين أحاسيسنا.. ودون أن نواجه بين وقت وآخر الكثير من «الغدر».. بكثير من الارتياح.. نقبل بأن تكون «أفئدتنا» فارغة.. وأن تكـون «حيـاتنـا» فارغـة.. وأن تكـون في المقـابـل ضمائرنا.. ملآنة بالرضى والاطمئنان.. لأن أقصى ما يستطيع أن يفعله الإنسان.. إذا ما قوبل بالجحود.. أن يتحرك في الاتجاه المضاد.. ليحمي مواقعه الحصينة.. ذلك أنني اعتبر أن اليد التي تعطي.. دون أن تتحرك الشفاه.. وأن النفس التي تجود دون أن تنتظر المقابل هي في موقف يؤهلها للاحتفاظ بمواقفها حتى تنهار.. بفعل أية ضغوط إنسانية أخرى.

إن الإنسان.. يظل «إنسانياً» وصابراً على كل أذى يمكن أن يلحق به، دون أن يفرط في «آدميته».. فيتحول بفعل أي تعديات.. أو إنكار.. إلى منتقم سخيف.

مثـل هذا المـوقف النبيل.. يتصوره البعض الآخر من الناس، ضعفاً يمكن السيطرة عن طريقه على جميع المواقف والنفاد إلى الحصون والسيطرة عليها.. ومع أن الإنسان «الخير» لا يستطيع أن يكون غير ذلك بأي حال من الأحوال.. إلا أنـه يقف من هذا الشعـور الخـاطىء مضـطراً وفي بعض الأحيان موقف

المصحح له.. فتكون قوة الإرادة تعبيراً عن هذا «المفهوم الغامض».

ومن هنا تكون بداية نهاية «الأشياء» كبداياتها متعبة.. ولكنها تصبح بعد قليل من الصبر والرجولة.. شيئاً مألوفاً ثم لا تلبث أن تتحول إلى «حقيقة» لا مناص منها..

●● فواصل:

غداً تشرق الشمس ولكن في الأعماق المظلمة(!)..



المصدر: كتاب «الحزن لا يغسل الهموم» ص ١٩٦، ١٩٧.

مقال

إتحاد.. للأندية الأدبية

للأستاذ/ علوي طه الصافي



(١) من مواليد المملكة العربية السعودية عام ١٣٦٣ هـ، حاصل على ليسانس الحقوق، ويعمل حالياً رئيساً لتحرير مجلة الفيصل الثقافية الشهرية ومدير عام دار الفيصل الثقافية(١).

شغل عدة أعمال منها عمل أخصائي إجتماعي بالضمان الإجتماعي، وأشرف على الجانب الثقافي والأدبي في كل من جريدة البلاد بجدة ومجلة اليمامة الأسبوعية بالرياض، وجريدة الجزيرة اليومية بالرياض، عمل في قسم الصحافة العربية بوزارة الإعلام عدة سنوات ثم سكرتيراً في مكتب الوزير، له عدد من المؤلفات نوجز أسماءها فيما يلي:

١ ـ مجموعة قصصية وشرائح.
٢ ـ محاضرة بعنوان «الأديب وموقفه».
٣ ـ محاضرة بعنوان «الأدب العالمي».
٤ ـ محاضرة بعنوان «تعريف الثقافة ومفهومها».
٥ ـ محاضرة بعنوان «الجوائز الأدبية».
٦ ـ مجموعة قصصية.
٧ ـ أصوات في الأدب السعودي.
٨ ـ أصوات في الأدب العربي.
٩ ـ قراءات في الأدب السعودي.
١٠ ـ يا قلب لا تحزن.

وهو عضو في عدة جمعيات ومؤسسات.

(١) انتهى عمله في هذه السنة ١٤١٢ هـ من مجلة الفيصل ودار الفيصل ويعمل الآن في مؤسسة دار الصافي.

رغم كلّ ما قيل وكتب عن الأندية الأدبية ـ وجلّها ركز على السلبيات ـ فإن الإنصاف يدعونا إلى القول بأن هذه الأندية قد قامت بدورٍ فعّال وحيوي في تنشيط الحركة الأدبية من خلال إصداراتها، وندواتها، وأمسياتها الشعرية.

وإذا كان البعض قد أخذ على هذه الأندية فجاجة وضعف بعض إصداراتها، وعلى رأس هؤلاء الروّاد من الأدباء الكبار، فإن البعض الآخر. يأخذ عليها عدم تشجيعها للأدباء الناشئين، وعلى رأسهم الأدباء الشبان.

ولو نظرنا إلى الأمر بموضوعية خارجة عن دائرة الإنفعال والتشنج، لوجدنا أن هذا الإتهام الموجه للأندية الأدبية من الطرفين ليس إلا صورة من صور حركة الأجيال.. جيل الرواد وجيل الشبان، ولأن الأندية تمثل هذه الحركة فقد وجدت نفسها بين قطبي الرحى.

فالرواد من الأدباء الكبار حين يوجهون الإتهام إلى ضحالة بعض إصدارات الأنديـة، يغمزون من كفاءة الشبان وضعف وضحالة أعمالهم.. والشبان حين يوجهون الإتهام إلى الأندية لعدم تشجيعهم، فهم يشيرون إلى أن هذه الأندية لا تعنى إلّا بالرواد وكبار الأدباء!!

إذن فالقضية هي قضية «حركة الأجيال» ولا أودّ أن أسميها كما يرى البعض «صراع أجيال».

وإذا سلّمنا بهذا الأمر، فليس أمامنا إلا القول بأن هذه الأندية استطاعت استقطاب هذه الحركة وامتصاصها، وهذه بلا شك حسنة تحسب لصالح الأندية.

وفي رأينا أن أنديتنا الأدبية تستطيع أن تتجاوز مرحلة «الاستقطاب» و «الامتصاص» إلى مرحلة جديدة هي مرحلة «الجمع» و «التنظيم» و «التوفيق» لتأسيس حركة أدبية متفاعلة ومنتجة ومؤثرة.. وذلك بإنشاء «اتحاد» يجمع هذه الأندية ويوجه جهودها ونشاطاتها بالتنسيق والتقعيد والتأصيل.

ومن خلال هذا «الاتحاد» تستطيع الأندية الأدبية إصدار مجلة أدبية راقية واحدة، تعكس معطيات الحركة الأدبية والنشاط الثقافي.. واختيار الوفود التي تمثلنا خارج المملكة، وإقامة المؤتمرات الأدبية في الداخل، وتمتين علاقات أدباء المملكة بالأدباء العرب، عن طريق الدعوات والزيارات، وعمل أمورٍ كثيرة يمكن أن يقوم بها هذا «الاتحاد» في مواجهة التشتت الحاصل.

وهذا لا يتعارض مع وظيفة إدارة الأندية الموجودة في الرئاسة العامة لرعاية

الشباب، لأن وظيفتها إدارية ومالية بحتة.. وسوف يكون «الاتحاد» عنصراً مساعداً كبيراً لإدارة الأندية، لأنه سوف يكون المسؤول الوحيد مُمثلاً في مجلس إدارة أمام إدارة الأندية في الرئاسة العامة لرعاية الشباب، بدلاً من تعدد المسئوليات بتعدد الأندية، وتعدد إداراتها.

هي مجـرد فكرة يغلب عليها الرغبة الصادقة في التنظيم والتنسيق، ولملمة الشتات، والتطلع إلى حركة أدبية فاعلة ومنتجة تتجاوز السلبيات القائمة.

وتظل الرئاسة العامة لرعاية الشباب، بقيادة «أمير الشباب وراعي الشيوخ» فيصل بن فهد هي صاحبة الرأي الأول والأخير(١).

(١) نشر في جريدة «عكاظ» ـ العدد (٦٥٦٠) تاريخ ١٤٠٤/٨/٢٢ هـ الموافق ١٩٨٤/٥/٢٣م.

مقال

وبكى بعضي على بعضي معي

للأستاذ/ علوي طه الصافي

كشحاذ.. يطرق الأبواب الموصدة.. كل الأبواب..

وأهل الديار في الداخل يرقصون ويغنون على صوت الجريح!!

كمتسوِّلٍ.. أدمت الطرقات قدميه.. يضع جسمه على هذا الرَّصيف، وعلى الرَّصيف الآخر!!

كلقيطٍ تأكله العيون ساخرة عابثة!.

ذلكم.. هو «الوفاء».. يا سادة!!

وأنت يا صديقي الإنسان.. كان عليك أن تعرف أن طبيعة الناس (الأخذ).. وأن (العطاء) بينهم شيء طارىء.. وضيف لا يلبث أن يرحل!!

ما زلت أذكر شيئاً مما جاءت به رسالتك.. وأذكر كل الناس الذين كانوا يحيطون بك. وكان ظلُّك يحيط بهم.. كنت في وسطهم.. وهم يحيطون بك.. كان كل واحدٍ منهم يريد أن يلتهم الآخر.. وأن يبعده عنك ليكون الأقرب إليك!!

كانوا يأخذون منك، فتتصور إن لم تكن واهماً ـ أنك تعطي ـ.. كان كل واحد يقوم بدوره في (ميلودراما) الحياة بواقعية.. وتمتلىء رؤوسكم جميعاً بتصفيق المارة.. وجمهور المتفرجين!!

وأنت في سبيل شعورك بالعطاء.. تسلب بعضاً من الآخرين فرحهم، لأن تصفيق أكفهم لم يخترق طبلة أذنك المملوءة بالدوي!!

الحياة زفة غير منظمة.. جمهورها مجموعة من «الغوغائيين».. و «الديماغوجيين».. و «الدهماء».

وفجأة.. «يسقط الحائط الرابع» وتنكشف الأدوار على حقيقتها.. وتكف الأيدي عن التصفيق، تندس داخل الجيوب.. فقد انكشفت اللعبة.. وعاد الجمهور إلى منازلهم في صمت أصحاب القبور!!

لقد كنت يا صديقي «كالضريح الكبير وسط مجموعة من المقابر الصغيرة».. كانت مسرحية.. وكان عنوانها «**أنت وفيٌّ.. إذن فانت مريض**».

لم يكن مضمون المسرحية جديداً على المشاهدين.. الجديد كان على المسرح.. وشخوص المسرحية فقط!!

كان المضمون يا صديقي الإنسان هو امتداد لنقطة البداية.. للصرخة الأولى، بأن الأولياء لم يأتوا إلى الحياة إلّا من خلال كتب التاريخ.. وقصص الفلاسفة المثاليين.. والطوباويين!!

(**اليوتوبيا**) أو المدينة المثالية الفاضلة أغرقها الطوفان بأهلها.. ونقلت كتب التاريخ إلينا أخبارها لأنها كانت مجرد أماني وتطلعات وطموحات!!

أصبحت حلماً.. وهاجساً.. وكنت أنت أحد ضحايا هذا الحلم.. وهذا الهاجس.. وبالتأكيد لن تكون الأخير!!

لقد ذهب الطوفان بالوفاء والأوفياء.. وبقيت ذكراهم تعطّر جلباب التاريخ إذا صدق المؤرخون!!

وفاء اليوم ليس وفاء التاريخ الذي كان.. إنه وفاء يعطي باليمين ليأخذ باليسار.. وأصبح الإنسان «الوفي الوفي» في عرف الكثير مجنوناً.. **أو معتوهاً.. أو منبوذاً!!**

وتأخذني رسالتك في رحلة الوفاء لأتحول إلى طفل يبكي كل ما فيه.. أبكيك واحداً من المجانين.. والمعتوهين.. والمنبوذين!! وأبكي الآخرين لأنهم كانوا أوفياء لنزعاتهم.. ورغباتهم!! وأبكي نفسي أن تعيش بين جماعة من المجانين.. والمعتوهين.. والمنبوذين.. والجاحدين!!

ويصرخ البعض كامرأة التاريخ العربي (وامعتصماه)فلا يجد بين الأحياء (**معتصم**)واحد يستجيب لندائه الساخن.. ثم يدرك في الأخير أن لا (**معتصم**) للوفاء.. وأن الوفاء أصبح عملةً كاسدة في أسواق (**البورصة**) .. وسلعة مستهلكة في ميادين (**الحراج**).. و (**المزاد العلني**)!!

الوفاء يا صديقي الإنسان أصبح في عصرنا نوعاً من الغباء.. والسذاجة.. والعبط.. وهذا ليس بمستغرب في عالم تحكمه الأنانية!!

ألا ترى معي أن الأفق قد صبغت وجهه حمرة الخجل.. وأنه لا يظهر إلا متوارياً.. والناس يتغنُّون.. وينظمون قصائد الشعر في الوفاء والأوفياء!!

لم يدركوا أنهم بعملهم هذا يمتهنون الوفاء والأوفياء.. ويسيئون إلى معانيهما الرائعة!!

الكثير من الأشياء أصبح فاسداً.. وموبوءاً.. حتى الحب أصبح بين الناس نوعاً من التسلية.. والعشق وصمة عار في جبين العشّاق.. وصار كلام الشاعر الذي قال:

إذا أنــت لم تعــشــق ولم تدر ما الهــوى

فأنــت وعــيــر في الفــلاة سواء

صار هذا الكلام مقولة فارغة من معانيها الجميلة!!

وشاعرها مجرد كاذب.. أو مجنون.. أو معتوه.. ولم يبق من الواقع إلّا ما قاله شاعر آخر:

والظلم من شِيَــمِ النــفــوس فإن تجــد

ذا عفــة فلعــلَّةٍ لا يظلم

لقــد نفــذ هذا الشــاعــر ببصيرته الواعية إلى أعماق نفس الإنسان فعرَّاها للجميع.. لكن الناس مصابون بالعمى حتى لو كانوا يبصرون!!

والناس لا وفاء لهم حتى لو تظاهروا بالوفاء!!

وظهورنا ما تزال سهام **(بروتس)** مغروزة فيها.. تبعث على الحزن.. وتفرش ليلنا بالأنين!!

الناس أغلبهم **(بروتس)**!!

ولو فتّشنا دواخل أنفسنا لوجدنا بها أكثر من بروتس الغادر..

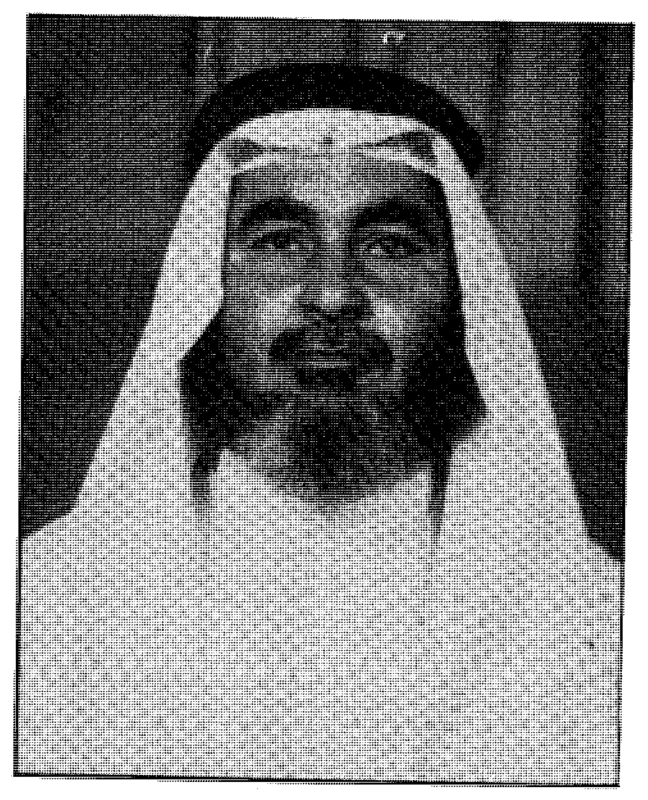
يا أمان الخائفين!![1].

---

(١) نشر في جريدة «عكاظ» اليومية التي تصدر في جدة ـ العدد (٣١٨٥) تاريخ ١٣٩٥/٢/٥ هـ الموافق ١٦/٤/١٩٧٥م.

تحية لبطل السلام خادم الحرمين الشريفين في يوم تحرير الكويت

للأستاذ/ حجاب بن يحيى موسى الحازمي[1]



حجاب بن يحيى موسى الحازمي

(١) الأستاذ الشاعر الكاتب حجاب بن يحيى موسى الحازمي، من مواليد ضمد بمنطقة جازان عام ١٣٦٤ هـ، حاصل على ليسانس اللغة العربية من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٣٨٩ هـ، عمل بالتدريس في المرحلتين المتوسطة والثانوية ويعمل حالياً مديراً لثانوية ضمد، ورئيساً لنادي جازان الأدبي، ومن أعماله الأدبية:

١ ـ صدرت له في عام ١٣٩٨ هـ دراسة أدبية ضمن كتاب محاضرات نادي جازان الأدبي بعنوان «ابن هتيمل الضمدي حياته من شعره».

٢ ـ صدرت له في عام ١٤٠٣ هـ مجموعة قصصية بعنوان «وجوه من الريف» ط ٣.

٣ ـ صدر له في عام ١٤٠٥ هـ كتاب بعنوان «أبجديات في النقد الأدبي».

لديه بعض الأعمال المخطوطة من أهمها:

الأحداث الجسام لا يصمد أمامها إلا عظماء الرجال.

وخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز أحد عظماء الرجال الكبار، فقد واجه ما قام به (هولاكو القرن الخامس عشر) هدام الإسلام، وهدام العروبة، وهــدام القيم والعهود والمواثيق، من اعتداءات صارخة تمثلت في غزوه الأثيم للكويت الآمن وما رافق ذلك من الغزو الغاشم من سفك للدماء البريئة في غزوه وهتك للأعراض وسلب ونهب وتقتيل وتشريد.. وما تبع ذلك من حشد هائل للجيوش على حدود المملكة العربية السعودية تهديداً باجتياحها والاستيلاء على مقوماتها الحيوية، وتدنيس مقدساتها وهتك أعراض مواطنيها وبذر شرور الفتنة في ربوعنا الطاهرة.

واجــه قائدنا الملهم ـ وهــو رجــل المــواقف ـ هذه الأحداث الجسام بشجاعة العظماء.. وأناة الحكماء.. وحزم القواد الكبار.. وبعد نظر دهاقين الساسة. فلم تشغله مواساة إخواننا الكويتيين وإيوائهم.. وتخفيف مصابهم الأليم عن اجراء الاتصالات الدولية لاحتواء الأزمة إلى جانب الاستعداد المناسب في اللحظات الحرجة باتخاذ القرار التاريخي الشجاع حيث بادر باستدعاء الشرفاء من قادة المسلمين والعــرب والأصــدقــاء إلى مســانــدة جيوش المملكة في الدفاع عن مقدساتها وحرماتها ومقوماتها الحيوية.

ولما للمملكة العربية السعودية من أياد بيضاء، فقد جاءت استجابتهم لنداء خادم الحرمين الشريفين فورية وسريعة ورادعة.. ووقف الشعب وقفة رجل واحد مع قادته يساند ويؤيد ويبارك.. وأسقط في يد علم تكريت وأذنابه الذين ورطوه في هذه الجريمة الشنعاء التي أدت إلى تمزيق الوحدة العربية ـ الحلم ـ وتشويه صورة الإنســان العــربي وتشتيت كلمة المسلمين.. وأصبح أذنابه الذين كانوا يحلمون بقسمة الميراث يتخبطون في مواقفهم المرتبكة ويتحسسون أماكنهم في كراسي حكمهم المتزعزع.. وغدا ينجلي ظلام الليل وينجلي صبح الحق وينكشف وجه الزيف، وتعود فلول المخدوعين إلى شيء من صوابها فتعض أصابع الندم حين لا ينفع الندم.

= ١ ـ دراسة أدبية بعنوان «الحسن بن أحمد عاكش شاعراً».

٢ ـ دراسة أدبية بعنوان «شعراء من بلادي».

٣ ـ ديوان شعر يضم بعضاً من مشاركاته الشعرية التي نشر بعضها في المجلات وشارك ببعضها في أمسيات شعرية داخل المنطقة وخارجها(١).

---

(١) المصدر أوراق وصلت للمؤلف من الأستاذ حجاب نفسه بناءً على طلبنا منه ذلك فشكرا على تجاوبه.

مقال
(ندامات بين يدي رمضان)
للأستاذ/ عمر طاهر زيلع[1]



من اللحظة التي استيقظ فيها من النوم، حتى اللحظة التي أعود فيها إلى النوم، أقول كلاماً كثيراً لا أدري في واقع الأمر. ما الذي كان ضرورياً منه وما الذي كان ثرثرة ولغوا.

في المسافة نفسها بين اليقظة والنوم، أتحرك كثيراً في البيت، والشارع والعمل

(١) الأستاذ عمر بن طاهر بن أحمد طاهر زيلع، سعودي الجنسية من مواليد عام ١٣٦٥ هـ، درس الإبتدائية بجازان، ثم أكمل الدراسة على يد والده الأديب طاهر بن أحمد زيلع(١)، ثم على يد أحمد الأهدل في النحو، والصرف والفقه، ودرس دواوين الشعر القديم والحديث، وكتب القصة، والمؤلفات الحديثة للكتاب العرب.
مهذب الخلق، وديع الطبع، له مشاركات أدبية في الصحف والمجلات عمل في شركة الكهرباء بجازان، ثم مديراً للجمعية الخيرية، ثم سكرتيراً لنادي جازان الأدبي، ورئيساً بالنيابة للنادي لمدة خمس سنوات تقريبا - ثم سكرتيرا في الوقت الحاضر.
شارك في العديد من المهرجانات والمنتديات الأدبية بالمملكة، وله إسهامات في أدب القصة والمقالة حيث يكتب أسبوعياً منذ سنوات، أولاً: في عكاظ تحت عنوان ثابت «ألق» وحالياً في البلاد بعنوان ثابت أيضا «مطارحة» كما يكتب في غيرها من الصحف المحلية اليومية والأسبوعية والشهرية ومن مؤلفاته قصة طويلة بعنوان «القشور» وكتاب ومجموعة قصصية تحت الطبع.

(١) أنظر صـ ٩٤٢ من هذا الجزء.

وفي كل المساحات التي تعد حدودي اليومية، لكنني لا أعلم في حقيقة الأمر ما الذي كان يلزمني من تلك الخطوات والحركات، وما الذي كان هدراً ونشاطاً لا طائل من ورائه.

في المسافة بين اليقظة والنوم، أفكر كثيراً، وأحاور نفسي أكثر، وأقفز قفز الطفل العابث هنا وهناك، أطوف بخيالي في الآفاق البعيدة والقريبة وبذاكرتي في الأزمنة، فتتفاعل مشاعري حباً وكرهاً، خوفاً وطمعاً، رهبة ورغبة، أملاً ويأساً، وأسافر وأقيم، وأبني وأهدم، وأصل وأقطع، وأعلو وأهبط، على أنني لا أملك القدرة في الأخير على تقييم مشاعري وخواطري وأفكاري، ما الذي يمكن ربطه بحياتي اليومية، وما الذي يعتبر هيماناً في كل واد، ووثباً لاهياً على جنبات الطرق.

في المسافة نفسها بين اليقظة والنوم، أسمع وأرى الكثير، وأشم الكثير، إلا أنني في واقع الأمر لا أقوى على ضبط حواسي لتسمع ما ينبغي أن تسمعه، وترى ما يليق أن تراه، وتشم وتطعم ما هو جدير بتركيبتها ومذاقها على افتراض استوائه.

في المسافة نفسها بين اليقظة والنوم أقرأ ما تيسر لي من الموضوعات في الكتب والصحف والأوراق والقصاصات، غير أني لا أذهب إلى التأكيد بأن كل ما أقرأه في دورتي اليومية قد حرّك في وجداني ما كان ساكناً، أو أضاء ما كان معتماً، أو حفز قناعاتي للحوار، أو كشف لي من نفسي ما كان محتجباً «إلا كتاب الله الكريم» حين يجعل الله لي منه نوراً، في المسافة نفسها بين اليقظة والنوم، أصلي كثيراً ولكنني لا أصل، وأنوي أن أحسن ولكنني لا أنفق، وأبكي أكثر لدموع البائسين، لكنني لا أمسح دمعة، ولا أغرس بسمة، أتمنى غرسها دائماً.

في المسافة نفسها.. أتحدث عن مواهب الموهوبين وأنسى البحث عن موهبتي.. أتحدث عن التربية وأهمل أطفالي.. أتحدث عن الشعر لاهياً عن جعل حياتي الخاصة والعامة قصيدة غاية في الإبداع، أطيل النقاش عن روائع القصص عاجزاً عن إتقان سلوكي ليكون أحسن القصص.. الهج كثيراً بالحديث عن السعادة، غافلاً عن إعطاء الفرصة لزوجتي وأطفالي ليكونوا جزءاً منها.

في المسافة نفسها، أتطرق إلى الجمال وتقصر أصابعي عن مسح الغبار عنه إلى الحضارة، وأنا جزء معطل في هيكلها إلى الثقافة، وبيني وبينها غبار العالم كله ولغطه كله وهياجه كله وإلى الإبداع وعيوني لا ترى حقوله، وعن العلم والعقل مني في تجاويف جزيرة صغيرة طافية على الماء.

هذا أنا يا رمضان أريد الدنيا، ولا أحدد نوع دنياي ولا حجمها، وأحب أن أكون منعماً في الآخرة، ولم أسع سعيها، وأسعى إلى اليقين حبواً على طريق أحسبه الإيمان، هذا أنا يا رمضان «لا وراء ولا أمام» تصطخب من حولي همجيات الأقوياء وتمور دماء الأبرياء، ويتزايد عدد اليتامى. هذا أنا في أُمة ترى العلم، مجرد حفظ للقواعد والأصول، وتسعى إلى الجهاد من خلال المنظمات والأحزاب والأهواء.

هذا أنا يا رمضان، في زمن يحمل فيه الأفاقون بيارق العقلاء، ويتلو فيه القتلة كتب السماء، ويدِّعي فيه الحاقدون وراثة الأنبياء.

ويتطاول فيه الشعوبيون لتلويث الجزيرة وفيها المسجد الحرام الآمن، ومسجد نبي الرحمة محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وسلم).

هذا أنا يا رمضان فأين أنا من أُمتي وأين أُمتي منِّي، أين أنا من زمن ليله نصف نهار، وصحته نصف عافية، وسراجه قمر مقبور في أعماقنا، وابتساماته جروح زاهية.

هذا أنا يا رمضان في عالم ويلي أجيئك من أقصى غرائزي أسعى ومن أبعد غفلتي أركض، وأدخلك من باب طبائعي وإخلاصي، لا من باب هداك، أقبل إليك بنداماتي واعترافاتي يا أيها الشهر الكريم، الذي أتذكره حينما يمضي، وأتنكر له حين يقبل، أمنحه بعض عنايتي كما أفعل مع الشجرة في أسبوع الشجرة فقط، ومع كياني في أسبوع الصحة فقط.

يا أيها الشهر الكريم، بين يديك أضرع إلى الله أن يعيدك من خلال نفوسنا وقد تطهرت، عبر قلوبنا، وتدبرت من تلقاء عقولنا، وقد استعدت لكشف أسرار الحياة، لتزيدها قوة في انطلاقها إلى العوالم الأخرى.

هذا أنا يا رمضان رقم في جملة أُمتي الكبيرة، يبحث عن موقعه فيها، ندعو الله صادقين ألا يجعلنا صورة واحدة مكررة في كل الأجيال، هذا أنا وذلك أنت، فلتسعنا رحمة الله(١).

(١) نشر في جريدة «عكاظ» العدد ٧٩٨٨١ يوم الأحد ٧ شوال ١٤٠٨ هـ.

مقال

قراءة.. في شعر غازي القصيبي

للأستاذ/ أحمد عائل فقيه (١)



(١)

بين أشعار «من جزائر اللؤلؤ» ديوانه الأول إلى «الحمى» مجموعته الأخيرة سفر في الذات.. إبحار في الرؤية.. ورحلة طويلة في الشعر قطعها الدكتور الشاعر غازي عبدالرحمن القصيبي.. رحلة شعرية ناضجة تفنن فيها في شطب كل النمنمات اللفظية التي علقت بالقصيدة السائدة، على يد كثير من الشعراء الذين أخلصوا للصياغة اللفظية أكثر من إخلاصهم لقضية الخلق والإبداع من خلال الشكل، إنه

---

(١) الأستاذ أحمد عائل عثمان فقيه ولد في مدينة جازان سنة ١٣٧٤ هـ وتلقى تعليمه الابتدائي والمتوسط ومن ثم أقبل على المطالعة المركزة وقراءات الكتب المفيدة حتى كون شخصيته المعروفة في المقالة والشعر الحديث، ويكاد يكون من أوائل من كتب الشعر المنثور لا في جازان بل في جنوب المملكة، نشر انتاجه الأدبي نثرا وشعراً في جريدة عكاظ، ثم زاوية «جازان» في جريدة الندوة وفي مجلات الفيصل والمنهل والمجلة العربية واليمامة. شارك في عدد من الندوات والأمسيات في أندية المملكة، عضو في نادي جازان وجدة الأدبيين، شارك في عدد من المهرجانات كمهرجان جرش في الأردن.

سفر في المفردة، تجسد بوعي وإدراك كبيرين في تجربة شعرية استخدم فيها الدلالات التي توحي بعالم فني متجاوز عبر الرؤى والصور والأحلام، كل ذلك من خلال التشكيل اللغوي «وعماد ذلك التشكيل قاموس شعري.. ربما حصره وتحليله يفيضان إلى شيئين: الأول أن القصيبي شاعر حقيقي بمعنى أنه يعيش حياته كلها شعراً.. ومن ثم كانت الألفاظ ذات الدلالات المحدودة بصورة معينة تستحيل بين يديه أدوات يقوم بها على ما يريد» .

(٢)

إن القارىء لدواوين القصيبي سوف يجد ذلك الحس الوطني المتوقد الذي يشتمل في جل قصائده، وهو الحس الذي يتجلى واضحاً في قصيدته «بعد سنة»(٢) حيث يقول:

إنني أذكر ذلك اليوم.. هل مرت سنة؟
عندما خضنا مع المذياع حطين الجديدة
عندما عشنا مع المذياع مجد القادسية
عندما بشرنا المذياع بالنصر على قرع الأناشيد الشجية
عندما خلفنا المذياع ما بين الرمال
جثثاً خرت بلا مجد وأشباه الرجال

إن هذه القصيدة تعبر عن مقدار اللوعة العربية العظيمة التي خلفتها نكسة الخامس من حزيران (يونيو)، ففيها تتجلى السخرية القاسية والجارحة التي تنز بالمرارة والحزن.. الشاعر في هذه القصيدة يراجع حساباته، ويحاول أن يقيم كل المراحل السابقة التي حشت وسائل الإعلام أذهان الناس بها وأوهمتهم(٣).

إنه هنا ذلك الشاعر الذي ينزف هموماً ومعاناة وينبض مع أُمته بهذا الألم الفاجع على هذه الهزيمة التي وإن زرعت اليأس داخل أعماق الإنسان العربي.. فإنها زرعت بذور الفجر الأول في ليل الوطن العربي.. هذه الهزيمة التي كانت وسوف تكون فاتحة الخروج من بوابة التخلف العام الذي يعانيه الوطن العربي.. هذا «التخلف بأنواعه المادية والفكرية والإجتماعية والسياسية»(٤).

---

(١) دراسات في النقد الأدبي ـ الدكتور أحمد كمال زكي ص ٢٧٢، الناشر دار الأندلس ـ بيروت

(٢) قصائد مختارة ـ الدكتور غازي القصيبي، ص ٩٠، الناشر دار الفيصل الثقافية ـ الرياض.

(٣) الإتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر ـ الدكتور مفيد محمد قميحة ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩، الناشر دار الآفاق ـ بيروت.

(٤) سيرة شعرية ـ الدكتور غازي القصيبي ص ٧٤، الناشر دار الفيصل الثقافية ـ الرياض.

(٣)

إن الشاعر الحقيقي هو ذلك الشاعر الذي يحول تجربته الشعرية الفردية إلى موقف إنساني ـ حبيبة الشاعر تصبح حبيبة كل إنسان، وألم الشاعر يصبح ألم كل إنسان[١].. إنه يفكر بذاكرة إنسانية متسعة الشمول، ناهيك عن أن ذلك الاتساع يحمل رؤية كاملة لا يبرح مدينة الوضوح والضوء، إن الحبيبة هنا تعبر جسر المدينة إلى ساحة الكون الفسيح، وهذا ما عبر عنه القصيبي في قصيدته «أنت الرياض» قائلاً:

كأنك أنت الرياض بأبعادها بانسكاب الصحاري

على قدميهـــا

وما تنقش الريح في وجنتيها

وترحيبها بالغريب الجريح

على شاطئيهـــا

وطعم الغبار على شفتيها

إن المدينة في هذه القصيدة تلبس وجه الحبيبة الذي يحمل أبعاد الصحراء بكل ما تحمل الصحراء من كبرياء وشموخ، هذه الصحراء الرمز العنيد والمدهش، وهناك سؤال يطلع من عنق هذه النتيجة، هل أضاء القصيبي هنا تلك الإشكالية الهامة التي طرحت قبلا في الشعر العربي المعاصر، وهي إشكالية صراع القرية والمدينة كما عبر عن هذا أجمل تعبير الشاعر أحمد عبدالمعطي حجازي، حيث تصبح المدينة أخطبوطاً شرساً يبتلع (صفاء الداخل) التي أضاءت القرية؟

لا أظن ذلك حيث يتجسد هذا الحب بمعناه الشامل الذي قد يتكيء على وجه المدينة لكنه يرى وجه الحبيبة من بعيد عبر مرآة هذه الصحراء، أنه يرى فيها «الوشم»، و «الناصرية»، و «خريص».. إن كل الأشياء والأدوات تحمل دلالة لهذه المدينة:

وفاتنة أنت مثل الرياض

ترق ملامحها في المطر

وقاسية أنت مثل الرياض

تعذب عشاقها بالضجر

ونائية أنت مثل الرياض

يطول إليها.. إليك السفر

---

(١) عن هذا وذاك ـ الدكتور غازي القصيبي ص ٨٧، الناشر تهامة جدة.

لئن كان «بدر شاكر السياب» ذلك الشاعر الذي جسد الغربة عبر اسقاطات رمزية مذهلة حيث «جيكور» قريته التي جسدها عبر أشعاره كانت هي المفتاح لكل المدن.. كانت هي العالم.. بل هي العالم.. فإن القصيبي تصبح الرياض ذلك الرمز الشفيف للمرأة.. إن المدن قد تحمل تضاريس نساء وملامح الأنوثة.

إن هذا الرمز الذي يتماوج في جسد القصيدة هو ذلك الهاجس الشعري الذي يقف كعمود ضياء ساطع في المكان والزمان، أنه إدخال الذات في الذوات الأخرى، إدخال الخاص فيما هو عام، وحيث تصبح التجربة الخاصة هي تجربة عامة، وهذا هو الشعر الحقيقي.. في هذه القصيدة تختلط المرأة بالوطن بالعشب بالتربة والاخضرار والنماء، وكذلك الهجير حيث يدخل الممكن في اللاممكن:

في آخر الليل
يأتي المخاض
وأحلم أنا امتزجنا
فصرت الرياض
وصرت الرياض
وصرنا الرياض

(٤)

إن تجربة الشاعر غازي القصيبي تجربة غنية تحمل الكثير من القضايا وكثير من العمق في الطرح والرؤية.. وهي تجربة شعرية اكتسبت ثقافة تراثية مضيئة مشربة بفهم حداثي متجاوز تنبثق من تصور كامل للحياة وللشعر.

إن موهبة الشاعر هي ذلك النبع الصافي المتدفق الذي يستطيع أن يتخطى كل اطار شعري سواء أكان هذا الشعر «بيتيا» كما قعده الخليل بن أحمد الفراهيدي، أم معاصراً يحمل ايقاعاً شعرياً متماوجا عبر القصيدة الحرة التي قد تنفلت من عمود الشعر، لكنها قد لاتخرج البتة عن روح الشاعر وهي القصيدة التي تأتي ذات «تفاعيل» قد تتعدد فيها القوافي ولكنها قد تتيح للشاعر الخروج من دائرة الثبات، والقفز في جو الحركة والتعبير صوتاً تتداخل فيه عدة أصوات لكنها تشكل «سمفونية» تتباسق حتى تصبح ذات وحدة متكاملة، إنها آحادية الشكل لكنها ذات شمول واتساع في الفكرة والقضية وكذلك الرؤية.

إن قصيدة «المومياء»[١] .. مثلا تطرح بعداً إنسانياً غاية في التعقيد ذلك المــأزق الصدمة عبر هذا القطار البشري الذي تشرنقت في داخله الكثير من المعقوقات، فأصبح ذلك الإنسان داخل هذا القطار وفي مدن الأسمنت والملح رقماً أحدباً ماتت في داخله كثير من القيم والمبادىء ـ مات توهج الإنسان المثال ـ والقصيبي هنا يبدو أكثر شمولا في فك هذا المأزق الإنساني العام الذي أصبح فيه الإنسان «مومياء» تنطق ـ تتحرك ـ لكنها فقدت ذلك اللمعان الذي أضاءته الأصالة، وسحقته تروس المدنية:

وقلت لي السحر في البحر والليل والبدر
والكائنات المدماة بالعشق
تحلم أن تتضاعف وهي تحب
وتكبر وهي تحب
وتولد في الفجر،
وقلت.. وقلت
وأرسلت روحي تعبر هذا الفضاء
المرصع باللانهاية تسأل ما السحر
ما الحب؟ ما العيش؟ ما الموت؟
تسأل.. تسأل..
يا أنت
لا تنبشي ألف جرح قديم
وألف سؤال عتيق
فإني نسيت الضماد
نسيت الإجابات..
منذ تبرأت من نزوة الشعراء
وعدت إلى زمرة الأذكياء
الذين يخوضون هذه الحياة
بدون سؤال بدون جواب
ويأتزرون النقود ويرتشفون النقود
ويستنشقون النقود

---

(١) الحمى ـ للدكتور غازي القصيبي ص ١٦٣، الناشر تهامة ـ جدة.

إن هنـاك تفسيراً آخر لهذه «المومياء» التي خاطبها الشاعر القصيبي ذلك التفسيـر يأتي عبر إسقاط تاريخي للحدث ـ داخل القصيدة ـ : «إن شخصية المومياء في حد ذاتها، شخصية تجذب الانتباه، وتشد القارىء والسامع إلى ما تقوله، ولذا فإنها اختيار ذكي. لكن المومياء، كما تتكشف لنا تدريجياً في القصيدة شخصيـة عجيبـة: إنهـا مومياء «شهرزاد، إنها مومياء رجل تقمصت شخصية شهرزاد لكنها لا تؤنس شهريار، وإنما تناقش فتاة محاولة ابعادها عن طريقها، معنى هذا أن العلاقة بين شهرزاد وشهريار قد انعكست .. فشهريار أصبح أنثى وشهرزاد رجلاً، كذلك نجد أن العلاقة بين المومياء «الرجل» والفتاة قد انعكست أيضاً، فبدلا من أن تجري المومياء وراء تلك الفتاة حياتها المتهاوية، نجد أن الفتاة هي التي تجري وراء المومياء معتقدة أن من تتحدث إليه شاب تعج في شرايينه دفقات الحب والحياة، ولا تدري أن منابع الحياة فيه قد جفت.. فهل هي ساذجة حقاً، أم أنها تعرف الحقيقة، وقبلت التحدي، وجاءت لتبعث الحياة مرة أخرى في هذه المومياء؟ إن الاحتمال الثاني هو الأقوى[1].

---

(١) ملامح وصور شعرية للدكتور عزت خطاب ص ١٤٢ ، الناشر دار العلوم ـ الرياض.
المصدر: نشر في مجلة الفيصل العدد ٨٥ ص ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥.

مقال

ظاهرة العبث بالتراث إلى أين تصل؟

الحلقة (٤)

للدكتور/ أحمد محمد مشهور الحازمي

أشرنا في الحلقات السابقة إلى ما كتبه الشامي في كتابه «قصة الأدب في اليمن» وإلى ما ذهب إليه من نسبة علماء المخلاف السليماني إلى اليمن فيقول في صـ ١٦٠ من الكتاب من أعلام هذه الفترة - أي من سنة ٩٢٤ هـ - ١٢٥١ هـ عبدالرحمن البهكلي.

ولم يوضح الشامي من عبدالرحمن البهكلي المشار إليه في كتابه، هل يقصد القاضي العلامة عبدالرحمن بن أحمد بن الحسن البهكلي التهامي، أم أنه يقصد القاضي المؤرخ عبدالرحمن بن حسن البهكلي التهامي، ويتضح جلياً أن الشامي لا يعرف بالضبط من هو، فهو يكتب عشوائياً دون الرجوع إلى المصادر التاريخية والأدبية التي تؤيد ما سنقوله ولو أن المؤلف كلف نفسه مهمة البحث لما وقع في كثير من الزلل الذي هو في غنى عنه، فأسرة البهاكلة هي من الأسر العلمية في المخلاف السليماني - منطقة جازان - اشتهرت بالتأليف في مجال الأدب والتاريخ الحديث وقد أنجبت عدداً من العلماء والمؤرخين في القرن الحادي عشر وما بعده وأبقوا ثروة هائلة من المؤلفات القيمة والخاصة بالمخلاف السليماني.

يقول القاضي محمد حيدر القبي مؤلف الجواهر اللطاف - مخطوط: «ثم هجرة ضمد المشهورة بالعلم قديماً وحديثاً يسكنها الأشراف الحوازمة وبنو المعافا والقضاة البهاكلة وآل عمر» أي أن أسرة البهاكلة أساساً من أسر المخلاف

(١) الدكتور أحمد محمد مشهور الحازمي الهاشمي، من مواليد قرية العشة عام ١٣٧٥ هـ، درس الإبتدائية بمدرسة قرية الملحا، والمتوسطة بمدينة صبيا، والثانوية بمدينة جازان، والجامعية بالرياض، حصل على بكالوريوس العلوم الزراعية عام ١٤٠٠ هـ.

عمل موظفاً بوزارة البلديات، وبعد أربع سنوات أكمل دراسته العليا بلندن وحصل على درجة الدكتوراة في علم البيئة، ومع تخصصه المشار إليه فله مشاركة في الأدب، وإقتناء المخطوطات، وهو ممن له مشاركات في الصحف والمجلات.

تولى أبان دراسته في إنجلترا تحرير مجلة الطالب، وقام بها خير قيام وقد أرسل إليَّ بعض أعداد منها.

لديه مكتبة تحتوي على عدد من المصورات والمخطوطات حصل عليها كما أن لديه عدداً من الكتب المطبوعة القيمة.

السليماني قديماً ومن أبناء منطقة جازان حديثاً.

فالأول هو القاضي عبدالرحمن بن أحمد البهكلي الضمدي ولد سنة ١١٨٢ هـ بمدينة صبياء وأخذ عن والده بعض المتون العلمية ثم التحق بحلقة عالم المخلاف السليماني في القرن الثالث عشر الهجري أحمد بن عبدالله الضمدي حتى برع في الفقه والأصول ثم رحل إلى بعض المدن العلمية في زمانه ومنها صنعاء، وأخذ عن علمائها الكثير من العلوم النافعة ورجع إلى وطنه الأصلي أبي عريش بعد أن أكمل تحصيله هناك، وأجازوا له الكثير من المؤلفات النافعة ومنها:

١ - «نفح العود بذكر دولة الشريف حمود[1] - مخطوط.

٢ - نزهة الظريف بدولة أولاد الشريف[2] - مخطوط.

أليس فيما أوردناه يعتبر دليلاً كافيا لرد الشامي إلى القول الصحيح مستمدين هذه المعلومات من تواريخ المنطقة المتداولة.

لكن إذا كان الشامي يعتمد على ذاكرته فله العذر لأن الذاكرة كثيراً ما تخون صاحبها، ولكن لو فتش في المصادر الأدبية والتاريخية لوجد المعلومات التي يريدها دون زيادة أو نقصان، ومهمة البحث عادة تقتضي الرجوع إلى المراجع دون اعتماد الشخص على ذاكرته، واتساءل: ما الذي جعل الشامي ينسب عبدالرحمن البهكلي - هذا أو الآخر لأنه لم يذكر بالتفصيل من منهما المراد من حديثه - إلى اليمن وما هي المبررات التي تدعم رأيه، فإذا كان نسبه من خلال وجوده كطالب يتلقى العلم على أيدي المشايخ هناك، فقد أخطأ الظن والقصد، وجانب الحقيقة، وأتى لشيء فيه تكالف، ورأي لا دليل له، ومعلوماته خاطئة، وإلا يعني هذا أن كل طالب يتلقى علمه خارج منطقته ينسب للذين تلقى العلم عندهم، هذا دليل لم أشاهده في حياتي، وإذا كان لدى الشامي دليل آخر يثبت ذلك، وله كلام في هذا المجال فعليه بالدليل.

ونفترض أن قصد الشخص الثاني وهو القاضي المؤرخ عبدالرحمن بن حسن البهكلي فهو أيضاً مخطىء في تصوره، لأن عبدالرحمن بن حسن البهكلي ولد في أبي عريش سنة ١١٤٨ هـ، بل وأخذ من علماء بلده كالشريف محمد بن أحمد

(١) حققه المؤلف وطبع مرتين، الأولى سنة ١٤٠٢ هـ، والثانية ١٤٠٦ هـ.

(٢) حققه الدكتور إسماعيل البشري - كما سمعت، والصحة أن (نزهة الظريف في حوادث دولة أولاد الشريف) ليست للشيخ عبدالرحمن بن أحمد البهكلي، بل هي تأليف الشيخ القاضي الحسن بن على البهكلي. جرى التنبيه.

الحازمي وغيره من أعيان علماء زمانه، وأبو عريش وصبياء من المدن المشهورة بالمخلاف السليماني قديماً وحديثاً، من المدن المعروفة والمشهورة في منطقة جازان، وله مؤلف سماه «خلاصة العسجد في أيام الشريف محمد بن أحمد الخيراتي».

وقد ذكر الإمام الشوكاني في البدر الطالع.. أن صاحب الترجمة له اليد الطولى في علوم الإجتهاد والتحقيق والتوفيق، وهو قاضي الأشراف بأبي عريش وسائر جهاته، وتوفى سنة ١٢٢٤ هـ.

لهذا تجد كل من العالمين الجليلين سجلا الحوادث التاريخية بالمنطقة لأنهما عاصروها، بل وتعتبر من أهم الكتب التي تؤرخ للمخلاف السليماني، وعلى وجه الخصوص ما صاحب أسرة آل خيرات بصفتها هي التي آلت إليها إمارة المخلاف في ذلك العهد أي في القرن الثاني عشر الهجري.

ومن استعراضنا السابق لحياة العالمين الجليلين، الذين نفترض أن الشامي قصد أحدهما، قد ولدا في المخلاف السليماني وتلقيا بعض الدروس الدينية على علماء بلدهما وترعرعا فيه ثم سافرا لطلب العلم مثلهم مثل أقرانهم من طلبة العلم الذين يهاجرون لطلب العلم في زمانهم، وكانت المدن العلمية منحصرة في مكة المكرمة - المدينة المنورة - صنعاء - زبيد - الهند.

وبعد أن أتما تحصيلهما العلمي رجعا إلى وطنهما لتولي القضاء والتدريس.

ثم عكفوا على تأليف الحوادث التاريخية عن وطنهم المخلاف، إن الأستاذ الشامي عندما نسب هؤلاء العلماء - الذين أشرنا إليهم سابقاً والذين سوف نشير إليهم لاحقاً - لليمن، لم تكن خافية الحقائق والتي يمكن بسهولة الرجوع إليها في الكتب التاريخية الأدبية المطبوعة والمخطوطة، وكنت أود من الشامي لو راجع نفسه وصحح هذه المعلومات في الطبعة الثانية، لكن لم يكلف نفسه حتى بالإشارة إلى ذلك.

وسوف نواصل تفنيد ما كتبه الشامي عن علماء آخرين في الحقات القادمة.

مقال

قراءة في كتاب

«افتراءات فيليب حتى ، وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي»

للمؤلف عبدالكريم علي باز

بقلم الدكتور أحمد مشهور الحازمي

الكتاب هو رسالة تقدم بها المؤلف لنيل الماجستير من جامعة أم القرى ويقع الكتاب في ١٧٠ صفحة من النوع المتوسط، وقد قامت مؤسسة تهامة بنشره.

يعتبر البحث الذي تطرق إليه الأستاذ عبدالكريم من النوع الجديد والذي لم يسبق التطرق إليه على سبيل التفصيل، بل كان يذكر بإشارات عابرة دون التفحص فيها، والموضوع بحد ذاته بالغ الأهمية ويفتح باباً جديداً على مواضيع كانت من صفحات مؤلفات المستشرقين والمليئة بالزيف والخداع، فضلاً عن حقدهم الدفين للإسلام والمسلمين.

ولقد كان المستشرقون يشوهون الحقائق كما يريدون مع معرفتهم بالحقائق الصادقة، والأدلة التي تثبت عكس المعلومات التي أوردوها بين ثنايا مؤلفاتهم، ولقد كان المستشرقون وزالوا بعيدين عن الأمانة العلمية التي تقتضي نقل الحوادث التاريخية كما هي دون تحريف أو تعديل إلا أن الحقد والكره وهما صفتان متلازمتان للمستشرقين الذين شوهوا الكثير من الحوادث التاريخية على مر العصور ابتداء من عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى الآن.

وبالتالي كان لزاماً على علماء المسلمين التحري وتدقيق المعلومات التي يوردونها في مؤلفاتهم دون تفحص أو تمعن.

والمستشرقون عندما يشوهون حقيقة فإنهم بذلك يبتعدون عن الأمانة العلمية التي تقتضي من الباحث نقل المعلومات بصدق ويقين معتمداً في ذلك على المصادر الثابتة والتي تروي الأخبار دون زيف أو غش، وخالية من الميول والانزواء.

إنه عندما يتطرق باحث لموضوع كهذا فهذه بادرة طيبة، وأول الغيث قطرة إن شاء الله، فإن هذا الموضوع يمس إحساس كل مسلم يؤمن بالله والرسول صلى

الله عليه وسلم ويترضى عن الصحابة رضوان الله عليهم، وبالتالي كان الباحث موفقاً في استعراض المواضيع التي أشار إليها في ثنايا كتابه وكشف الكاتب هذا الحقد الذي دسوه بين هذه المواضيع، وقام بإظهار هذه التهم المزيفة وأبرز الحقائق الصادقة مبرهنا ذلك بأدلة صادقة من مصادر موثوقة، وهذه التهم والأحقاد التي يخفيها المستشرقون سواء في المواضيع التي أشار إليها الكاتب أو في مواضيع أخرى، وهي كثيرة لا تعد.

وبالتالي وضع الكاتب تلك الحوادث والأخبار في قالبها الصحيح كما هي بعد أن أبرز التفسيرات الصحيحة لهذه الأحداث من غير تزييف ولا تحريض، فانكشفت بذلك الدسائس التي كان المستشرقون يضعونها في مؤلفاتهم، ولقد جاء التاريخ الإسلامي مشوهاً حيث دس فيه أولئك أحقادهم، وجاءت الحوادث مغايرة للواقع.

وأخرج الكتاب ليضع النقاط على الحروف ويفضح المستشرقين، فنرى لزاماً على علماء المسلمين أن يعيدوا كتابة التاريخ الإسلامي معتمدين في ذلك على المصادر الموثوقة، وأوجه من خلال هذه السطور دعوة لأستاذنا المؤرخ والكاتب الإسلامي المعروف محمد حسين زيدان ليتبنى هذه الفكرة والخروج بها إلى حيز التنفيذ، وهذا يأتي بعون الله تعالى إذا تضافرت الجهود وصدقت النية في القيام بذلك العمل الجليل الذي يتطلب وقتاً وجهداً ليسا بالقليلين.؟

ومما يشكر عليه الباحث أنه التفت لهذا الموضوع وأعطاه من وقته الكثير والذي لم يسبقه إليه أحد من طلبة الجامعة حسب علمي، فاستحق بذلك الثناء على عمله الدؤوب.

والكتاب في حد ذاته مرجع لكل مسلم يرغب الاطلاع على خبث المستشرقين ونيلهم من الإسلام والمسلمين.

وفي الختام أوجه الشكر والتقدير للباحث الأستاذ عبدالكريم باز على عمله الجليل داعياً المولى القدير أن يوفقه لعمل الخير وما يعود نفعه للمسلمين.

نحن والعالم
للمهندس محمد يحيى عجيبي(١)



محمد يحيى عجيبي

قرأت خبراً مفاده أن أكبر عالم للنفس في العالم المعاصر قد مات منتحراً في احدى الدول الأوروبية.

وما أكثر المنتحرين في عالم اليوم، وخاصة في البلدان الأوروبية أو ما يطلق عليها الدول المتقدمة، نعم ما أكثر المنتحرين الذين تنقطع بهم السبل ويضيقون بحياتهم بعد أن يعيشوا حياتهم في لهو وعبث يستمتعون بكل معطيات العصر

(١) المهندس/ محمد بن يحيى أحمد عجيبي من مواليد عام ١٣٧٦ هـ بمدينة صبياء بمنطقة جازان، درس المرحلة الابتدائية والمتوسطة بمدارس صبيا، ثم أنتقل إلى مدينة جازان للإلتحاق بمدرسة معاذ بن جبل الثانوية، ألتحق بكلية الهندسة بجامعة الملك سعود عام ١٣٩١ هـ وتخرج منها عام ١٣٩٦ هـ من قسم الهندسة الكهربائية بتقدير جيد جداً مع مرتبة الشرف الثانية، عمل بعد التخرج معيداً بنفس الكلية، وفي عام ١٣٩٧ هـ ألتحق بالبعثة التعليمية في الولايات المتحدة الأمريكية وحصل على الماجستير عام ١٣٩٩ هـ وأنضم إلى هيئة التدريس بكلية الهندسة بالرياض بدرجة محاضر، وفي عام ١٤٠٠ هـ ألتحق بالشركة السعودية الموحدة للكهرباء بالمنطقة الجنوبية، وفي عام ١٤٠٥ هـ عمل مديراً للكهرباء بمنطقة جازان ولا زال.

من الماديات وينغمسون في بحار الشهوات بكل صورها وأشكالها، ويجربون كل ما يجدون أمامهم من وسائلها وأساليبها، في عالم ضاعت فيه القيم والمبادىء والمثل والقيود والضوابط، فيسرحون ويمرحون ويشرقون ويغربون في نهم لا محدود، وبعد أن يستنفذوا كل المتع والشهوات تتلاشى أمام أنظارهم الحياة ويجدون أنها تضيق بهم أو هم يضيقون بها فلا يجدون أمامهم إلا الضيق والضجر والمعيشة الضنكة، وعندئذ لا يجدون ملجأ إلا الانتحار.

إن ما شد انتباهي وأنا اقرأ خبر هذا العالم المنتحر هو أن هذا الرجل الذي أفنى عمره في دراسة علم النفس حتى أصبح أكبر عالم في عصره في هذا المجال لم يجد لنفسه العلاج الناجع، ولم يهتد إلى طريق الطمأنينة والاستقرار فتاه وضل وأنهى حياته بنفسه منتحرا.

إن مثل هذه الأخبار عندما يطلع عليها الإنسان المسلم يزداد يقينه بدينه وبربه ويدرك حقيقة النعمة الكبرى التي أنعم الله بها عليه، فأرسل إليه رسولا يرشده إلى الصراط المستقيم، وأنزل إليه كتاباً يوضح له منهج حياته وكيف يعيش سعيداً ويموت سعيداً.

والعالم اليوم أحوج ما يكون إلى معرفة هذا الدين القويم الذي يعيش أهله في طمأنينة ويقين، إذا أظلمت في وجوههم الأيام لجأوا إلى الله بالدعاء والضراعة والتقرب إليه فتفرج همومهم وتشرق أيامهم ويسعدون بعد الشقاء ويطمئنون بعد الخوف والقلق.

إن العالم اليوم يعيش في أمس الحاجة إلى فهم دين الإسلام ليخلصهم من ويلات التخبط والضلال والضياع وأن مسئولية المسلمين اليوم أكثر من أي وقت مضى في نشر الدين والتبليغ به فقد أصبحت وسائل الإتصالات اليوم طوع أيديهم، ويجب أن تسخر للمساهمة في نشر هذا الدين وإيصاله إلى كل من لم يصل إليه عبر قنوات الإتصالات المتعددة، ولنتذكر قوله تعالى:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[١]. صدق الله العظيم[٢].

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٤ .

(٢) عكاظ العدد ٨٦٩٠ في ١٩/١٠/١٤١١ هـ.

من قدار بن سالف إلى صدام حسين
للمهندس محمد يحيى عجيبي

قدار بن سالف هذا، هو أشقى ثمود، والذي أشارت إليه الآية القرآنية في قول الله تعالى من سورة الشمس والآية رقم [١٢]:
﴿إِذِ انۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾.

وقد كان سيداً مطاعاً في قومه، فأغرته العزة بالإثم وأقدم على عقر الناقة التي جعلها الله لقومه آية، فأنزل الله العقاب الشديد على هذا الرجل ليس وحده، بل إن العذاب والشقاء عم جميع قومه فأهلكهم جميعاً.

وفيه ـ أيضاً ـ جاءت الآية [٢٩] من سورة القمر في قوله تعالى:

﴿ فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴾.

ان هذا الرجل الذي شقيت به أُمته وقومه لا يختلف كثيراً عن رئيس العراق الذي انبعث بشقائه ليجر على أُمته الويل والثبور وعظائم الأمور.
فهو قد أشعل نار حرب مدمرة أكلت الأخضر واليابس ودامت ثمانية أعوام، وأهلكت الحرث والنسل، وذهبت ضحيتها الأنفس البريئة من أبناء هذا الشعب المسلم في العراق، ومن أبناء الشعب المسلم في إيران، وقد تولى كبرها بمفرده، وزج بالأُمة العربية في اتونها دون حساب للعواقب ودون تقدير للنتائج والتبعات، وعندما أحاطت به خطيئته، وانهارت عزائمه، وتقهقرت قواته، فزع إلى أبناء الجزيرة العربية مستنجداً بشهامتهم، مدعياً أنه يدافع عن الأُمة العربية ضد الغزو الفارسي الذي أثاره هو وتسبب في تزايده وتفاعله.

وما كان من أبناء الجزيرة ورجالات الخليج العربي الأباة إلا أن بادروا لنجدته، ووقفوا معه في محنته، وأمدوه بالمال والعتاد، وفتحوا له موانئهم وأجوائهم لعبور الامدادات، إليه، بل وساعدوه حتى في نقل التكنولوجيا المتطورة بحكم علاقاتهم مع بعض الدول المتقدمة.

وبعد أن دامت الحرب ثماني سنوات مرت عجافاً كسني يوسف توقفت فيها الكثير من مشاريع البناء والتطور، وسخرت خلالها كل الإمكانيات المادية والموارد

الإقتصادية لدعمه فيما أسماه «قادسيته الحديثة»، وما كان له ليخرج من تلك الحرب ببلاده سالمة من الإحتلال إلا بفضل تلك الامدادات المادية والمعنوية، والتي مكنته من الخروج من الحرب كما دخل فيها، فلم يحقق أي نصر عسكري، وكل ما حققه أنه استعاد جزءاً من أرض بلاده التي خسرها في منتصف سني الحرب نتيجة تهوره وغطرسته واستكباره.

وبتوقف تلك الحرب الضروس التقطت الأُمة الإسلامية أنفاسها وتنفس أبناء الجزيرة العربية ودول الخليج الصعداء، وحمدوا الله على انتهائها، وبدأت الأنظار تتطلع إلى مستقبل مشرق يسوده السلام والأمن والطمأنينة، وترفرف عليه رايات الإخاء والتعاون والتعاضد والتكاتف لبناء الأُمة الإسلامية والأُمة العربية.

وفجأة وبدون مقدمات ينبعث هذا الشقي مرة أخرى ليثير مشكلة جديدة في المنطقة ويؤجج نار فتنة نائمة، لعن الله من أيقظها ـ كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه فادعى بدعاوى باطلة ضد جارة عربية مسلمة ساندته في محنته ووقفت إلى جانبه تشد من أزره وتمده بالمال وتجند له جل امكانياتها، وتعرضت بسبب ذلك للعديد من المؤامرات والدسائس بسبب وقوفها إلى جانب هذا الشقي التعيس.

فجأة وإذا به يتهجم على قيادتها ويملأ الجو نباحاً وادعاء باطلاً ، ويكيل لها الاتهامات الزائفة، ويبادر المخلصون في هذه البلاد والبلاد العربية الشقيقة لتطويق الأزمة ووأدها في مهدها، إلا أن الرجل كذب على كل الذين اتصلوا به وتفاوضوا معه، فقد وعدهم بالاستمرار في معالجة الأمور بالتفاوض والحوار وعدم اللجوء إلى القوة، ثم غدر بهم وحنث في كل وعوده، ونكث بكل مواثيقه، وهجم على دولة الكويت المسلمة وشعبها المسالم في جنح الليل عندما كانت الناس تأوى إلى مضاجعها في أبشع صورة من صور الغدر والخيانة.

وذهل العقلاء في جميع أرجاء العالم، ذهلوا لهذه الفعلة النكراء وما ترتب عليها من أفعال يندى لها الجبين ويأباها الطبع العربي المسلم، فضلاً عن الخلق الإسلامي القويم.

وتتابعت الأحداث سراعاً، وتمادى الظالم في غيه ولم يستجب لنداء الحق الذي نادى به وزراء خارجية الدول الإسلامية المجتمعون في القاهرة حينئذ، كما لم يستجب لنداء العقل الذي ناداه به المجتمع الدولي.

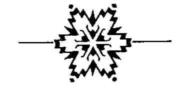
وها هو الآن يتمادى في غيه بحشد قواته على حدود المملكة العربية السعودية التي كانت له نعم الصديق في محنتـه ثم يعمد إلى أسر رعايا بعض الدول الغربية، وفي كل يوم يأتي بحادثة أغرب من سابقتها أو اقتراح غير منطقي لا يتفق ومساندة المجتمع الدولي له والقرارات التي اتخذها بصدده.

وها هو بعنجهيته وصلفه وغروره وسوء تدبيره للعواقب ليجعل الإمة العربية أشلاء ممزقة، ويجعل الإنسانية على شفا حرب مدمرة لن ترحمه إن لم يرجع إلى صوابه إن كان بقي له شيء من الصواب.

انه بفعلته النكراء هذه وما تبعها من تطورات مذهلة قد جعلت اهتمامات العالم بأسـره متـوجهـة إلى الخليج العربي ونسيت كل المشكلات العربية التي في مقدمتها قضية الشعب الفلسطيني وانتفاضته المباركة.

من هنا يتضح أنه لابد أن تكون هناك علاقة ما بين أشقى ثمود وأشقى بغداد، ولعله ليس من غريب الصدفة أن يكون اسم كل منهما على وزن «فعال»، فشقي ثمود اسمه «قدار» وشقي بغداد اسمه «صدام».. ولله في خلقه شئون.

أسأل الله أن يجنب أمتنا ووطننا ويلات الحروب و أن يبعد عنها الفتن وأن يحفظ لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا وأن يحفظ ولاة الأمر فينا ويهديهم سبل الرشاد وأن يرد كيد كل معتد إلى نحره إنه ولي ذلك والقادر عليه[١].



(١) عكاظ العدد ٨٨٧٢ في ١٤١١/٤/١٥ هـ.

مقال

تفاصيل صغيرة

للأستاذ حسين محمد سهيل[1]



حسين سهيل

حين تلملم أشياءك وتحاول أن تقبض براحتيك على الريح.. متهيئا للسفر حتى من ثيابك.. تجد أنك مشدود من ذاكرتك إلى تفاصيل أدق هي طفولتك التي لم تغادر المكان، رغم تغير ملامحه.

* * *

(١) من مواليد جزيرة فرسان سنة ١٣٨٠ هـ، تخرج من معهد إعداد المعلمين بجازان سنة ١٣٩٨ هـ ومن الكلية المتوسطة بجازان سنة ١٤٠٥ هـ، يعمل مدرساً بإحدى مدارس فرسان، عضو في نادي جازان الأدبي، وشارك في أمسيات شعرية بنادي الصواري بفرسان، ثم شارك في أمسيات شعرية في نادي جازان الأدبي ونادي أبها ونادي القصيم، نشر بعض نتاجه الشعري والنثري في عكاظ، والندوة، واليمامة، والقافلة، ومجلة اقرأ، له ديوان شعر بعنوان «أشرعة الصمت».

حدثني رجل أكن له المحبة والتقدير عن أيام خلت.. وفيما كان يتحدث يصدر من أعماقه أنهاراً من الذكريات ويتبعها بأنهار أخرى من الندم والحسرة على هذا الزمان، كان يتحدث عن الروابط الأسرية والعلاقات الإجتماعية، وتبادل الهدايا والزيارات بين الناس.. وكيف تقلصت تلك العادات في هذا الزمن المليء بعلب الضحك والخوف والاستهتار.. ثم أطلق سؤاله في جبيني.. ما سر هذا التقلص في زياراتنا؟.. بالطبع لديه الإجابة.. ولكنه السؤال.

* * *

المسافة بين الفرح والحزن.. كالمسافة بين اللون الأخضر والأصفر ومع ذلك تبقى مدة الحـزن أطول، تأثيره أعمق.. وللحزن جمال أيضاً كما للفرح جمال أيضاً. فما سر جمال النهار والغروب وأشياء أخرى... إذن فللألوان لغة لا يفهمها إلا القليل.

* * *

ما أجمل أن تستقبل نهارك بيوم مطير.. تفتح نوافذ جلدك لتملأ جميع خلاياك بالنسيم الطري منذ الصباح الباكر.

وما أجمل أيضاً أن تغسل قلبك أيها الإنسان ـ كل صباح ـ بمطر المحبة لكل الأشياء حين تجد مدرساً يزاول التفحيط بسيارته وأمام طلابه.. ماذا ستصنع؟؟ غير أن تبصق في وجهه. وتمشي بصمت مسموع.. نادباً سوء حظ التلاميذ.

* * *

في ملحق الطفل الصادر عدد ٨٥١١ في ١٣ جمادى الأولى ١٤١٠ هـ كتب الطفل أنور علي عسيري ١٣ سنة هامساً في أذن زهرة:

أضـيئـي القـلب يا زهـرة فإنــي لم أزل بذرة
أضـيئـي كل أيـامـي فإنــي.. ابـتـغـى نظرة
أنـا ظمـآن يا زهـرة فاسـقـيـنـي.. ولو قطرة
أنـا لو لم أكـن انـسـان منـاي بأن «أكـن» زهـرة

لقد قلت ما لم يقله الكبار يا «أنور» حتى تقازم الشعراء في بيتك الأخير، كم أنت رائع وجميل أيها الشاعر الصغير النقي.

* * *

ما أروع أن نصغي لصوت الضمير، ولكن أين مكان الضمير؟ إذا تحسست الإجابة.. فكن مطمئناً بوجود ضميرك.. وشكرا.

أبو ريشة
وبحور من الوجدان والعشق والذكريات

بقلم: علي الجبيلي(١)



وهل لعشاق القصيدة الحالمة والنفس الوجداني المعبِّر من قراء العربية بعد رحيل عمر أبو ريشة إلا أن يتمثلوا قول أبي الطيب المتنبي:

ليـــالي بعـــد الظاعـنـيـــن شُكُــولُ
طوال وليــل العــاشــقــيــن طويـــل

---

(١) الأستاذ/ علي بن عبده علي الجبيلي عريشي، من مواليد قرية الجرادية التابعة لصامطة عام ١٣٨٣ هـ حصل على بكالوريوس الإدارة العامة عام ١٤٠٩ هـ يعمل حاليا مديرا للشؤون الإدارية بفرع المجاهدين بمنطقة جازان، ومديرا لمكتب جريدة الرياض بجازان، له إسهامات أدبية في بعض الصحف والمجلات السعودية وخاصة جريدة الرياض، ونشرت له العديد من القصص والمقالات والدراسات الأدبية. وله مشاركات في بعض الأندية الأدبية والجمعيات الثقافية.

يُبِــنَّ لـــي البـــدر الـــذي لا أريـــده

ويــخــفــيــن بــدرا مــا إليــه سبيـــل

ومـا عِشــتُ مـن بعـد الأحبـة سَلـوَةَ

ولكــنــنـــي للنـــائبـــــات حمــــول

وان رحــيــــلا واحـــدا حـــال بيــنـــنـــا

وفـــي المـوت مـن بعـد الرحـيـل رحيـل

إذا كـــان شـمُ الـــروح أدنـى إليـكــــم

فـــلا بــرحــتــنـــي روضــــة وقـبـــول

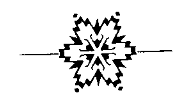
سننتظر دهرا طويلا قبل أن تُصرخ في شعوبنا العربية شخصية أدبية فذة ورفيعة المستوى كالذي كان عليه حال شاعر الدبلوماسية عمر أبو ريشة.

رحم الله هذا الفنان بخلقه وفنه وتواضعه الفاتن بمقدرة تصويره الذاتية الرائعة لمواطن الجمـــال فـــي النفـــس الإنسانية، حدثنا آباؤنا صغارا ودرسنا أساتذة اللغة والأدب شعر الرجل ونحن شباب فغرقنا لوعة وافتتانا باسم عمر أبو ريشة ومـلاحمـه الشعـرية المتدفقة بالحماس والنفس المتواصل يهجو ويشجب فيها الاستعمار البغيض الذي عاصره سنينا في مطلع حياته ببلاده سوريا في الشام وفي معظم الدول العربية آنذاك. وقرأنا له في الورد والزهور وفي تمجيد عقيدة الإسلام ومديح الرسول ﷺ والصحابة وفي تأصيل الجذوة العربية والإسلامية الخـلاقة في نفوس الناشئة وقد كانت ساعات من أحلى ساعات عمري حينما سنحت لي الظروف أن ألتقي بالشاعر الكبير قبل بضع سنوات في أُمسية أدبية رفيعة المستوى نظمها نادي أبها الأدبي وبحضور الأمير الشاعر خالد الفيصل وجمع غفير من متذوقي وعشاق أدب عمر أبو ريشة.

كنا نعد لمقابلة أدبية طويلة معه بمشاركة زملاء من القسم الثقافي ولكن ظروفه الصحية لم تسعفه في الحديث المباشر مما جعله يعتذر بلطف عن ذلك مؤكدا أنه سيجيب على المقابلة ويرسلها إلى الجريدة أو عبر نادي أبها الأدبي.. وخفف من ردة فعـل حماسي للظفر بمقابلة غير محسوبة مع الرجل ذلك الاستظراف الخلقي الجم منه مع شخصي المتواضع لعملاق مبدع في كل شيء شارف على زمن الثمـانين حولا حينها مع شاب متواضع التجربة والمستوى والخبرة، فقد أشبـك أصابعه العملاقة المرتعشة في أصابع كفي اليمنى وراح يحدثني بكل

تدفق وجداني بذكرياته الحالمة في ساوباولو وبرازيليا وبيونس أيرس وتشيلي ومعاقل شعراء المهجر في أمريكا اللاتينية. وقد كان حديثا منه غمرني بفيض وده وتواضعه قبل أن تبدأ الأمسية، وكان صوته الخافض المتراقص بتدفق ذكرياته ممتع مع حفيف الشجر المتهامس الذي تدفعه رياحات المساء المتأخر للعزف على ضوء القمر الباهت.

وهكذا وبفنه وخبرته وحماسه للشباب وبلباقته الدبلوماسية الذي هو عميد متميز في عالمها المعقد طوى أوراق المقابلة الأدبية وجعلها حديثا وديا مشبعا بصدى الذكريات ومن يومها علمت أن الإبداع الأدبي والعملي إذا ما أضيف إليه الإبداع الخلقي والتواضع والتمسك بالعقيدة والأصالة، استطعنا أن نحكم عليه الوصول إلى أعلى مراتب المثالية (حتى لو قارب ٨٠ حولًا) وهو ما اعتقد عليه شخصية فذة كشخصية عمر أبو ريشة يرحمه الله. ألا فلا نامت أعين الجبناء.. من أرباب الأدب والكلمة الدبلوماسية بعدك يا عمر؟!![١].



(١) نشرت في جريدة الرياض العدد ٨٠٦٥ في ٢ محرم عام ١٤١٠ هـ.

مقال

الفقي في أحاسيس اللظى

للأستاذ/ أحمد بن إبراهيم العقيلي[١]

لا أجدني أضيف جديداً إلى ما قيل ويقال عن أزمة الخليج أو نكبته وقد طارت بذكرها الطائرات والأقمار. وتعلقت في الهواء وخالطت مياه البحار والأنهار وتحدث عنها العالم فملأت الدنيا وشغلت الناس واشتعلت في كل مكان لتأكل الأخضر واليابس بعد أن أشعلها من بلينا به، عليه من الله ما يستحق. ولما كان الأدب بعامة والشعر بخاصة يعيش في وجدان البشر على كل أرض وتحت كل سماء، ويعيش من الأحداث في العمق، سابراً لغورها، وراصداً لتطوراتها، ومسجلاً لها على صفحات التاريخ.

ولما كانت القضية قضية العرب والمسلمين، والعرب أمة شاعرة ثائرة ـ من هنا ما كان لهذه الجائحة أن تمر دون أن تعرج على الشعر والأدب، أو يبحر هو نفسه في أعماقها ليقوم بدوره المعهود في مثل هذه الظروف في تاريخ الأمم.
قضية القضايا وأم الرزايا وفاجعة الفواجع، نطق فيها الصامت، وصرخ فيها الناطق، واختلت فيها المقاييس، واضطربت فيها الموازين.

هذا التنــاقض المريع بين الأسماء والمسميات، وبين الواقع والشعارات مع توالي الأحداث، وتعالي الهرج والمرج، واضطراب الموازين، كل هذه الأمور كان لها انعكساتها على الفكر والأدب والشعر والثقافة بعامة، ومن هنا جاء أدب النكبة أدباً ثائراً مشتعلا متسعاً كثورة واشتعال واتساع النكبة ذاتها، جاء أدباً يسجل أحداث النكبة بأدق تفاصيلها.

اجتمعت المدارس الأدبية والأساليب الشعرية أو ما يقرب من الشعرية وحتى الشعر الشعبي، واجتمعت كلها ـ إلا من شط أو اشتط ـ اجتمعت لتقول بلسان واحد: لا للغزو والسلب، ولا للإغتصاب والنهب، ولا للهمجية والعدوان، ولا للظلم أيا كان وممن كان، لا بكل أسلوب وبكل وسيلة.

---

(١) أحمد بن إبراهيم بن محمد العقيلي ولد بقرية الظبية عام ١٣٨٦ هـ، ودرس في مدرستها الإبتدائية ثم ألتحق بالمعهد العلمي في مدينة صبيا ومنه تخرج عام ١٤٥٣ هـ ثم التحق بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض وتخرج منها عام ١٤٠٧ هـ حاصلاً على بكالوريوس اللغة العربية، يعمل الآن مدرساً في صبيا.

وعبر هذه اللاءات جاشت المشاعر، واشتعلت العاطفة الغاضبة قبل وأثناء وبعد العاصفة، وأمام هذا السيل من العواطف والمشاعر هب الغير من حراس الكلمة، والمهتمين بالأدب والشعر هبوا لجمع أدب النكبة ورصده بحسب امكاناتهم، وما وصلت إليـه أيديهم منه، فخرج ديوان أحاسيس اللظى بعناية الأستاذ الكبير عبـدالمقصود خوجة ودارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة، وهو جهد يذكر فيشكر، وعلم الله أنه ذكرني بكتب الحماسة في أدبنا العربي ـ مع الفارق في مقياس الاختيار ـ ولما قدر لي مطالعة هذا الديوان بجزئيه روادتني فكرة قراءته قراءة أخص بها الندوة لما لها من فضل على ساحتنا الأدبية، فبدت لي أشياء فاقتصرت على ما كتبه أستاذنا وشاعرنا الكبير محمد حسن فقى عن النكبة من واقع «من أحاسيس اللظى» وكلي أمل بأن أوفق إلى قراءة الديوان كله بأسلوب مناسب مستقبلا بإذن الله.

ومحمـد حسن فقي كاد من شهـرة اسمـه لا يسمى، رائد يغرف من بحره وقصيدته التي افتتح بها الديوان «الصديق اللدود» أحسبها غرة الديوان والعنوان ترجمة أمينة لقولهم:

احـذر عـــدوك مـــرة واحــذر صديـقـك ألف مرة

وعلى أية حال العنوان يحمل إيحاء بالشعور بالإحباط وخيبة الأمل في ذلكم الرجل وفعلته الشنعاء، وهو نفسه ما عبر عنه في مطلع القصيدة حيث استهلها ببيان شدة وقع الحدث على نفسه، وكيف انه كان بمثابة الحلم الذي لم يكن يتصوره ثم يصور موقفه، ويختار الألفاظ التي تؤدي هذا المعني «هالني»، «اكتوى فؤادي»، «احتـواني الكـرى»، «فـزعا» «يهوى»، «الدرك»، «ما أهول هذا»، «ما أبشعه»، امتزاج بين الشعور والتعبير منذ البداية، ثم يتساءل باستفهام انكاري عن وجود انسان في هذا العالم يعشق الغدر بهذه الصورة.

هل في الدُنـا هذي امـرؤ «جـاحـد»
يعـيش ـ ما أشـقـاه ـ أن يغـدرا

لا، لا يوجد إلا في حالات شاذة في السلوك البشري.

ثم تتوالى الإستفهامات بشتى أنواعها مع التركيز على التوبيخ والإنكار فيسأل ويجيب:

بمـــن؟؟ بمـــن كانـــوا لـه اخـــوة
يســـقـونـــه ـ ان ظمـــيء ـ الكـــوثـــرا
بمـــن؟؟ بمـــن أثـــقـلـه ديـــنـهــم
ومـــا تقـــاضـــوا الديـــن فاســـتـنـســـرا
بمـن؟؟ بمـن أقـــامـــوا في الوغى سلمـــا
لولاه لم يســـلم وعض الثـــرى
بمـــن؟؟ بمـــن شادوا له فاســـتـــوى
يزأر.. يســـتـــعـــلي به منـــبـــرا
بمـــن؟؟ أبـــذى عرق وذي جيـــرة
وذي اعـــتـــقـــاد جل أن يهـــدرا

ثم ينتقل ـ ولا يزال الحدث عن أثر وقع الكارثة على نفسه ـ من الأسلوب الإنشائي إلى الخبري.

فرحـــت أذري مدمـــعـــا ما جرى
إلا إذا انـــحـــل وثـــيـــق العـــرى

ذرى دمعه ـ وما أغلى دموع الرجال ـ وما أجمل التعبير بـ «أذري» ولكن الحدث العظيم لم يبق لذي صواب صواباً، ثم يعود للإنشاء بسرعة.

ويـــل لمـــن أجـــج هذى اللظى
نصـــلى بهـــا.. ويـــل لمـــن أســـعـــرا

دعاء بأسلوب القرآن الكريم، وتكراره دلالة على شدة اشتعال العاطفة الغاضبة في قلب الشاعر، كما أن السنة في الدعاء التكرار لأنه يدل على الإلحاح المطلوب من العبد تجاه ربه دائماً، ثم يبدأ في الحديث عن آثار هذه النار فيقسم بأنها ستمتد منه إليه، ستحرق كل شيء حتى تعود عليه.

لســـوف تمـــتـــد.. ومـــا تأتـــلي
تلتـــهـــم اليـــابس والأخـــضـــرا
وســـوف يصـــلاهـــا فتـــطوي الذي
كان يريـــد الوغـــد أن ينـــشـــرا

ثم يواصل حديثه عن الطاغية بأسلوب التوجع.. «أواه» وبالمنطق الذي يفهمه

أو يزعم أنه يفهمه، وهو الربح والخسارة في عالم المادة، وهو أحد الشعارات التي نادى بها «نفط العرب للعرب»:

«أواه» أن الربــح في ظنــه
أورده الخـــســر ولن نخـــســرا

نعم لن نخسر ـ بإذن الله ـ لماذا؟ الجواب في استبيان بياني في قوله:

فنــحــن.. نحــن العــرب ما نمــتــرى
بالديــن والعــرق.. إذا ما أمــتــرى

يلتفت بعد ذلك بالخطاب إلى الطاغية التفاتة قوية تتجسد في اختياره للفعل القوي «كف» وتكراره مرتين في بيت واحد واللقب «موتور» والمطلوب الكف عن طيبة ومكة، وهما اللتان ركز عليهما في خطابه السياسي، واستعملهما شعاراً من شعاراته الزائفة، ونادى بتحريرهما بعد انتصاراته الباهرة في قادسيته المزعومة:

فكــف يا موتــور عن طيــبــة
وكــف عن مكــة أم القــرى

ثم يلتفت الشاعر ـ وما أكثر ما يلتفت ـ بالنداء إلى أُمته حاثاً إياها على عدم الخضوع للطاغية والاستسلام لشعاراته الزائفة، وخطاباته الجوفاء التي يستجلب بها الدهماء، ولا يسعى من ورائها إلا لبناء أمجاده الشخصية غير آبه بوطن ولا أمة ولا مقدسات، ولم ذاك؟

لأنه أسير شهوته التي أعمته عن كل حقيقة :

يا أُمــتــي لا تخــضــعــي للذي
لمــجــده المــخــزي.. يغــذ الســرى
ومــا يبــالي حيــنــمــا «يــشــتــهــي»
إنــا لك الجــوع.. وإلا القــرى

والفعل «يشتهي» يحمل إيحاء بشدة عرامه الذي دفعه إلى ما فعل دونما تبصر، وفي كتاب الله

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾ ـ الآية ١٤ سورة آل عمران.

ثم يستبطن الشاعر الطاغية أو يقرأ تصوراته من خلال تصرفاته:

يرى ذباباً حوله حائماً
يطن وهو الليث.. ليث الشرى

تشخيص حي للحالة المرضية التي يعاني منها، الغرور والتغطرس وتأليه الذات، وتنامي الشعور بروح الأنا الشيطانية مع احتقار وازدراء كل ما حوله ومن حوله حتى من ساروا في ركابه وداروا في فلكه.

والتفاتة أخرى إلى الأمة بالخطاب ونبرة عتاب، فهي التي غذته وربته وصنعت منه بطلا وفارساً، وحارساً للبوابة الشرقية، وتكرار الخطاب «أنت» يدل على درجة حرارة العتاب المرتفعة نسبياً:

أنت التي صيرته غاشما
أنت التي صيرته عنترا

ومن نبرة العتاب نحس إرتفاع حرارة العاطفة، وباسم الأُمة - يا فارس الشعر - نقول: «من خدعنا بالله انخدعنا له»، ويطالب الشاعر الأُمة أن تقف في وجهه وقفة واحدة صامدة، وأن تردعه عن غيه، وأن تبصره بعواقب الأمور، مستشعرة في هذه النكبة رسالتها الخالدة «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

الآية ١١٠ سورة آل عمران.

قولي له إن سولت نفسه
له افتئاتاً كف.. كي يقصرا
من أورد الأمر بلا نهية
فسوف لن يقدر أن يصدرا
واستشعري العقبى فيا ربما
هانت بعينيه فما استشعرا
الرشد يطوي الغي فاستبصري
إن لم يكن غيك مستبصرا

والذي يلاحظه القارىء في هذه الأبيات هو هدوء العاطفة قليلاً والتجاء الشاعر إلى الهدوء الذي ينبع دائماً من العقل الحكيم الذي يميز الكبار - غالباً - وبخاصة

عندما يخاطبون الصغار: «قولي له كف»، التركيز على عدم التروي في اتخاذ القرار «من أورد الأمر بلا نهية»، وعواقب ذلك «استشعري العقبى»، «الرشد يطوي الغي».

ويعود الشاعر إلى الطاغية مرة أخرى بأسلوب الإلتفات بالخطاب عن طريق النداء وكثرة الإلتفات، والتنقل بين أساليب الخبر والإنشاء يدل على عاطفة جياشة وقلب يغلي كغلي المرجل:

صدام.. لم تصدم سوى معشر
لولاه ما صرت به قيصرا

ولعل القارىء يدرك وجه الشبه بين المخاطب وقيصر.

«صدام» ولكل مسمى من اسمه نصيب - كما تقول العرب - وأحسب أن الشاعر يعنيه بهذا البيت، وتزداد قوة العاطفة الغاضبة عند الشاعر مع الصدق الأدبي والواقعي، عندما يصفه بعدم إكرامه للدين - وما أسوأ أن يطعن الإنسان في دينه، وهنا يجمل بنا أن نذكر موقف قريش من شعر عبدالله بن رواحة الذي كان ينعتهم بالكفر بينما يركز حسان على الأحساب والأنساب، فكانوا يألمون من شعر حسان قبل إسلامهم ومن شعر عبدالله بعد إسلامهم:

لا الدين كرمت ولست الذي
يكرم الدين.. ولا المعشرا
فقد تنكرت له جافيا
وقد تنكرت لهم.. فنذرا
أسفرت عن لؤم وعن خسة
عادا بهذه الأُمة القهقرى

والربح والخسارة في عالم المادة شعار لوح به مرارا وتكرارا يستلب به عقول الدهماء، فتارة «الصراع بين الأغنياء والفقراء» وتارة «نفط العرب للعرب» هذا الفهم المعكوس للربح والخسارة ركز عليه الشاعر عند حديثه عن الطاغية:

فكيف لا نشمت في خاسر
يظن أن الربح فيما اشترى
وما اشترى غير الذي ينتهي
به لأن يسقط .. أو يقبرا

وعفوك اللهم لا شماتة:

ثم لا نذهب بعيداً حتى نجد الشاعر يوائم بين الأسلوبين: العقلي والعاطفي، تصريح وتعريض، حكمة ظاهرة مبطنة بتوبيخ للطاغية:

ما أطول الدرب على سائـر
ما عرف الدرب.. ولا استخبـرا
وأبعد المجد على واغل
ما طاب نفساً.. أو سما عنصـرا
يا لابس المئزر يزهو به
ما أرخص اللابس والمئزرا

ولكن قلب الشاعر يغلي كغلي المرجل فلا يمضي بعيداً حتى يعود بالخطاب إلى الصدام موبخا:

صدام أشقيت العراق الذي
كان طليقاً قبل أن يؤسرا

يتحرق قلبه على العراق وعلى شعب العراق المعذب، والله للعراق بلاد الرافدين والهلال الخصيب، بلاد الخير والنماء، وموطن العلم والعلماء.

«أشقيت العراق» عبارة تقطر أسى وتذوب حرقة، ما أن تقرع سمعك حتى تتحسس موقع قلبك، ثم يمضي في محاكمة الرجل:

جعلته خصماً لكل الورى
جعلته الشرير لا الخيرا

جعلته، جعلته.. أنت وحدك لأنك أنت القائم بأمرك فيه، جعلته محاصراً منبوذا من العالم، وجعلته ـ واحاشاه ـ شريراً في نظام العالم.

ولكن رغم ذلك كله مهما بلغت من العتو والجبروت، ومهما تصنمت ، أو توثنت وألهت ذاتك، فلن تمسح العراق منبع الرجولة وبلد الرجال:

ففيه ربع ينتمي للندى
وللعلا يأنف أن يصغرا

المحاضرات

المحاضرة

لغـــة:

الحــاضر والحاضرة: الحيّ العظيم أو القوم، والحاضر اسم جامع كالحاج والسامر والجامل، وفي حديث أسامة: وقد أحاطوا بمحاضر فعم، قال الشاعر:

في حاضر لجب بالليل سامره

فيه الصواهل والرايات والعكر

وفلان حاضر بموضع كذا ـ أي مقيم، ويقال: الرجل على الماء حاضر، والقوم حضار إذا حضروا المياه، وكذا حضار ومحاضر، قال لبيد:

فالواديان وكـل مغـنـى منهم، وعلى الميـاه محـاضـر وخيام

ويقال للمناهل: المحاضر، لإجتماع القوم عليها، والمحاضرة المجالدة.
قال الليث: المحاضرة أن يحاضرك إنسان بحقك فيذهب به مغالبة أو مكابرة.
وحاضرته: جاثيته عند السلطان، وهو كالمغالبة والمكاثرة[١].
وحضـر وهـو من حاضـر البلد. وفعلت كذا وفـلان حاضر، وحاضرته شاهدته، وحضرت الصلاة، شهدتها، وحضر المريض: احتضر ـ حضره الموت[٢].

حضر حضورا وحضارة: أقام بالحضرة، أحضره الشيء ـ أي
وحاضر محاضرة وحضارا: عاد معه ـ غالبه ـ أجابه بما حضر من الجواب[٣].

اصطلاحا:

المحاضرة من مترادفات التجمع والمنافرة والمكاثرة والمقام والمجمع، كالمثل الذي ينطبق عليه (لكل مقام مقال) والمواقف التي يخطب فيها رئيس القوم في مجتمعه، أولا في مجتمعات البداوة وبعدها في المواقف المشهودة في الإسلام.
والأول ما عناه الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى في البيت المشهور من القصيدة المعروفة.

---

(١) لسان العرب (٢) أساس البلاغة (٣) المنجد

(وفيهم مقامات حسان وجوههم

وأنـدية ينتابها القول والفعل)

والنادي: هو مجتمع القوم، وغالبا ما يكون في فسحة من فسحات الحي أو تحت ظلال شجرة وارفة وفي الليل في ساحة الحي، والمجمع هو ما عناه مالك ابن الريب بقوله في مرثيته المشهورة:

(وطورا تراني في ظلالٍ ومجمع

وطوراً تراني والعتـاق ركـابيا)

وقد وردت كلمة النادي في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿ أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾(١) وفي قوله تعالى: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ، سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾(٢)، وفي قوله تعالى: ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ ﴾(٣).

وفي الجاهلية كانت دار الندوة المشهورة في مكة أعرف من أن تعرف، فكانت منتدى قريش ومقام اجتماعاتهم، والتشاور في أمورهم.

وسقيفة بني ساعده هي منتدى الأوْس والخزْرج في يثرب في الجاهلية وفي الإسلام، وهي المكان الذي اجتمع فيه الأنصار بدعوة أو بنداء سعد بن عبادة.

وكان للأنصار مجتمعات ثانوية في طرقات المدينة، حتى قال رسول الله ما جاء في الأثر بما معناه ألا يجتمع كالناس في الطرقات إلا بحقها، قالوا وما حقها يا رسول الله، قال: رد السلام وغض البصر وإرشاد الضال وإماطة الأذى عن طريق المسلمين. أو كما قال.

وفي الإسلام كان الرواة وأصحاب المغازي يروون ما لديهم للمجتمعين في المسجد في الحلقات أو في المجتمعات العامة، وبالأخص في البصرة والكوفة ثم في بغداد في الجوامع.

ويقول القفطي كدليل على ما أوردناه: لما قتل المتوكل بمدينة (سرمن رأى) دخل أبو العباس المبرد إلى بغداد، فقدم بلدا لا عهد له بأهله، فاختل وأدركته

---

(١) سورة مريم آية ٧٣ (٢) سورة العلق آية ١٧ (٣) سورة العنكبوت (٢٩)

الحاجة، فتوخى شهود صلاة الجمعة، فلما قُضِيتْ الصلاة أقبل على بعض من حضره وسأله أن يفاتحه السؤال ليكون وسيلة له للقول لأن المبرد غير معروف في بغداد، فلما سأله رفع صوته وطفق يفسر ويوهم بذلك الحضور بأنه يجيب السائل، فصارت حوله حلقة عظيمة يواصل فيها كلامه.

وهذا يدلنا على أن ما يلقيه نوع من المحاضرة التعليمية، ويقاس على ذلك بقية الحلقات في المساجد وتوسع فأصبح تلقى الدروس والأخبار من العلماء باسم «الأمالي» من القرن الثالث وما بعده.

(كتب الأمالي)

فأملى أبو اسماعيل القاسم بن علي القالي البغدادي المتوفى في سنة ٣٥٦هـ / ٩٦٧م في الأندلس بقرطبة ـ أماليه أو بالأصح محاضراته في اللغة والأدب التي كان يمليها من حفظه في أيام الأخمسة في كل يوم خميس في المسجد الجامع بالزهراء، فهو يُملي والمستمعون يكتبون[١].

وتلاه أمالي ابن الشجري، وأمالي المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ/ ١٠٤٤م التي أملاها في داره على تلاميذه ومريديه في أزمنة مختلفة متعاقبة، والذي ثبت أنه فرغ من إملائها سنة ٤١٣ هـ/ ١٠٢٢م[٢].

(الكتب التي أُلِّفت باسم المحاضرات)

من أشهر المؤلفات ـ حسب علمي ـ كتاب «حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة»، ويقول الأستاذ إبراهيم الأبياري: (.. وهذا الكتاب ـ أعني حسن المحاضرة ـ هو إلى لمحته التاريخية عمل موسوعي، ولو انضافت إليه جهود من تلك الجهود التي فرقها المؤلف لاستقام موسوعة كبيرة.

ومن أشهر كتب المحاضرة في الماضي القريب، كتاب «محاضرات الخضري» في التاريخ الإسلامي.

---

(١) مقدمة اسماعيل يوسف بن دياب لأمالي القالي نفسه

(٢) أمالي المرتضى ـ طبع دار الكتاب العربي سنة ١٣٦٧ هـ.

(المحاضرات في العصر الحديث)

لقد تطوَّر ـ كما مرّ بك ـ مفهوم اسم المحاضرة تطوّرا تاريخيا، ومن الحضور بمعنى الشهود بالشيء ومن التجمع على المياه في البادية إلى التجمع في الحي إلى غير ذلك من التصرفات التي اقتضتها تطور اللغة في المجتمعات في البادية إلى المناهل إلى المنافرة والمكاثرة والدعاوى عند السلطان وولي الأمر، إلى الحضور والحضارة إلى حضور الجواب إلى الاحتضار إلى ما يلقيه القصاصون والإخباريون إلى دروس في الجوامع إلى كتب تؤلف باسم الأمالي إلى كتب أخرى تؤلف باسم المحاضرة.

فالمحاضرات باسمها الصريح بحيث أصبحت فن من الفنون وطريقة من طرق الإفهام والتفهيم وإلقاء الدروس على الطلاب في الجامعات وفي المؤتمرات في صورة أقرب إلى التركيز والإفهام، لها أسلوبها المتميز ونهجها المعروف.

ومع وجودها في تاريخنا العربي الإسلامي بشتى الأسماء، لقد كان لها في أوروبا في العصور الوسطى وعصر النهضة وما بعدها وجودها في المجامع العلمية والمؤتمرات والجامعات.

فقد نهجنا نفس المنهج التجديدي وأصبحت المحاضرات في اللغة العربية لها أهميتها في الجامعات والمؤتمرات وأصبح الأستاذ الجامعي يلقي دروسه في محاضرات يومية ودورية على طلاب كل كلية من كليات العلم الأكاديمي والتطبيقي والنظري والتجريبي، وفي المؤتمرات العامة والخاصة فهي من وسائل الإفهام والتعليم.





محمد بن أحمد العقيلي (المؤلف)

الأماكن الجغرافية لمنطقة جازان
في الأدب العربي[١]
القديم والحديث
للأستاذ محمد بن أحمد العقيلي[٢]

سيدي الرئيس.. ساداتي الأجلاء:

الأماكن الجغرافية في أدبنا العربي.. لها مكانتها المعروفة وقد يكون الأدب العربي من أحفل الآداب العالمية، عناية وشعوراً وعاطفة بالأماكن الجغرافية.

لذا نجد الإنسان العربي، بفطرته حتى في جاهليته شديد الإرتباط كثير التعلق

---

(١) المحاضرة التي حاضرنا بها في المؤتمر الأول للأدباء في قاعة المؤتمرات بالزاهر بمكة المكرمة بتاريخ ٤/٣/١٣٩٤ هـ التي دعت إليه جامعة الملك عبدالعزيز.

(٢) الأستاذ محمد بن أحمد عيسى العقيلي

ولد عام ١٣٣٦ هـ بصبيا، ودرس على يد المدرس محمد خميس باجبير ـ رحمه الله ـ ثم قرأ على يد والده مبادىء الفقه والنحو، ثم درس على يد الشيخ أحمد الأهدل بصبيا، ثم درس في حلقة الشيخ عقيل بن أحمد بجازان، توظف عام ١٣٥٨ هـ مدققاً بمالية جازان، وتنقل في إداراتها إلى أن ترفع مديراً لقسم الواردات، ثم أختير مديراً لدار الأيتام بجازان عام ١٣٧٥ هـ ثم مديراً لمكتب العمل، ثم طلب إحالته إلى التقاعد والتفرغ لإدارة أعماله الخاصة والعلم والأدب والتأليف.

ترجمت له قصيدة بعنوان «بطولة ديجول» إلى الفرنسية ونشرت في جريدة «لوموند».

وهو إلى الآن ـ عام ١٤١٣ هـ رئيس لشركة العقيلي وشركاه، كرم بالميدالية الذهبية التي كرم بها الرواد السعوديون في مؤتمر مكة، الذي أقامته جامعة الملك عبدالعزيز، عام ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م

وقد زود المكتبة العربية السعودية بالكتب الآتية[١]:

١ ـ المخلاف السليماني جـ ١، جـ ٢ طبع ثلاث طبعات، آخرها عام ١٤١٠ هـ، عن ١٣١٠ صفحة.
٢ ـ كتاب «مختارات من شعر الشاعر ابن هتيمل» ط ١/١٣٨١ هـ، ط ٢/١٤١٠ هـ.
٣ ـ كتاب «مختارات ودراسات عن الشاعر الجراح بن شاجر» ط١/١٣٨٥ هـ.
٤ ـ ديوان السلطانين ط ١/١٣٨٥ هـ، ط ٢/١٤٠٢ هـ.
٥ ـ «الأنغام المضيئة» ديوان شعر ط ١/١٣٩١هـ.
٦ ـ الأدب الشعبي في الجنوب جـ١ ط ١٣٨٩ هـ، جـ ٢ ط ١٤٠٢ هـ كما طبع ط ٣ عام ١٤١٠هـ.
٧ ـ الأدب الشعبي في الجنوب جـ٢ ط ١٣٩٢ هـ، ط ٢ عام ١٤٠٢ هـ ، ط ٣ عام ١٤١٠هـ..
٨ ـ المعجم الجغرافي لمنطقة جازان ط١/١٣٨٩ هـ، ط٢/١٣٩٩ هـ.
٩ ـ أضواء على الأدب والأدباء ط/ ١٤٠٠ هـ.
١٠ ـ محاضرات في الجامعات والمؤتمرات السعودية ط ١٤٠٠ هـ.
١١ ـ نفح العود ـ دراسة وتحليل وتحقيق ط١/١٤٠٢ هـ، ط ٢/١٤٠٦ هـ.
١٢ـ أفاويق الغمام ـ ديوان شعر ط/ ١٤٠٢ هـ.
١٣ـ سوق عكاظ في التاريخ ط ١٤٠٤ هـ.
١٤ـ الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ حياته العلمية والعملية ط ١٤٠٤ هـ.
١٥ـ مذكرات سليمان شفيق ـ دراسة وتحقيق ط ١٤٠٤ هـ.

---

(١) انظر أعمال المؤلف في نهاية الجزء الثالث من هذا الكتاب.

بمسقط رأسه، ومدارج طفولته، وملاعب صباه ونوادي سمره، ومجرى سوابقه ومجر عواليه، لقد لهج بها مترنما وشدا متغنياً، وسجل أحاسيسه، وعبر عن مشاعره وعواطفه، بشعر من النسق العالي، والفن الرفيع، والأدب الخالد.

إن الأدب فن من الفنون الجميلة، والفنون الجميلة ـ سواء كانت أدباً، أو نثراً، أو شعراً، أو رسماً، أو موسيقى. فهي قد وصفت «أنها مظاهر حية لسيطرة الإنسان على العالم ورغبته في صبغه بالصبغة الإنسانية».

فرُبُ قطعةٍ أدبية، أو رسم، أو نوتة موسيقية، تمنحنا قراءتها أو النظر إليها أو الإستماع لها، أو التأمل فيَ إبداعها، من المتعة الجمالية، والنشوة الفكرية، والتأمل الراقي، ما لا يستطيع القلم التعبير عنه، أو اللسان الإفصاح عن الإحساس به.

لقد كان للأدب دوره البارز، وأثره المشهود في تخليد الأماكن والبقاع والآثار، وتنضيدها تماثيل خالدة في متحف الخلود، ونقوشاً زاهية في أروقة التاريخ، وتنسيقها زهوراً أبدية ينداح شذاها في دنيا الفكر وعالم الجمال.

١٦ـ من أدب جنوب الجزيرة جـ ١ ط/١٤٠٤ هـ نادي جدة الأدبي.
١٧ـ نجران في أطوار التاريخ ط/ ١٤٠٥ هـ.
١٨ـ معجم اللهجات المحلية ط١/١٤٠٣ ، ط٢/ ١٤١٠ هـ.
١٩ـ المعجم النباتي ١٤٠٥ هـ.
٢٠ـ العقد المفصل بالعجائب والغرائب ـ دراسة وتحقيق، ط/ ١٤٠٨ هـ
٢١ـ التاريخ الأدبي لمنطقة جازان جـ ١ ط/١٤١١ هـ نادي جازان.
٢٢ـ عسير في أطوار التاريخ ط/ ١٤١١ هـ.
٢٣ـ التصوف في تهامة ط ١ ـ ١٣٨٩ هـ ط ٢/١٤٠٣ هـ.
٢٤ـ ديوان شعراء الجنوب (مشترك).
٢٥ـ العقد المفصل للبهكلي ط ١/١٤٠٦هـ.
٢٦ـ العقيلي في رسائل معاصريه ط ١٤١٣هـ.
كما أن هناك كتباً جاهزة للطبع،
٢٧ـ التاريخ الأدبي لمنطقة جازان جـ١ ط/١٤١٣هـ.
٢٨ـ التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ج٢، ج٣ ط/ ١٤١٣هـ.
٢٩ـ أضواء على تاريخ الجزيرة العربية الحديث (٥٢٦ صفحة) ص/١٤١٣هـ.
٣٠ـ المجموعة الكاملة لأشعار العقيلي ط/١٤١٣هـ.
كما أن هناك مؤلفات بعضها جاهز للطبع والبعض الآخر في آخر طور التشطيب هي:
١ ـ تحقيق ودراسة كتاب العقيق اليماني.
٢ ـ العقد الثمين في مناقب أمير المسلمين ـ دراسة وتحقيق.
٣ ـ دراسات عن الأدب الحديث (تحت الطبع)
٤ ـ مجموعة مقالات العقيلي
٥ ـ وهج العبقرية

إن الأدب ـ كسائر الفنون الجميلة ـ ينبوع من الجمال، ودفق من الإنسانية الراقيـة، وفيض من تطلعـات الإنسان إلى البقاء وخلود الاسم وسطوع الذكر، والاحتفـاظ بالصـورة المشـرقة في زهو العمر، وروعة العمران للبنيان، وجمال الأشياء.. ما نطقت الكلمة ورسم الحرف.

إننا إذا قرأنا الياذة (هوميرس) نشاهد من خلال ملحمته (طروادة) الخالدة في جلال عمرانها وروعة بنيانها، وصور أبطالها، نشاهدها ماثلة أمامنا وسورها العتيد وأبراجها الشامخة، وطرازها الإغريقي الفريد.

ولا طالعنا تاريخ الرومان وحروبها وفتوحاتها، إلا ورجعنا إلى شعر (فرجيل) لنتملى صوره الأدبية، وفرائده البيانية، ولا (حرب البسوس) أو حرب (داحس) (والغبراء) إلا ودفعنا حب التطلع لمواقع تلك الحروب القبلية في أشعار (مهلهل) و (ابن حلزة) و (عمرو بن كلثوم) و (زهير بن أبي سُلمى) وغيرهم:
ولا درسنا مغازي (الرسول)، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، إلا واشتقنا لصور تلك المعارك، ومواقعها في أشعار (حسان بن ثابت) و (عبدالله بن رواحة). ويطول الحديث لو أردنا الاستقصاء.

ولا نذهب بعيـداً فهذا إيوان (كسرى قد جلاه لنا) أبو عبادة البحتري في سينيته الخالدة كأروع ما كان فناً وبنياناً ، ونقوشاً زاهية، وصوراً رائعة، بألوانها وزخارفها.

أيها السادة الأجلاء:

لقد وضع (لامارتين) بحيرة (بورجية) في منصة الفنون وجلوة الآداب العالمية فعرفها الكثير من قراء الدنيا.
ومعذرة في عرضي على أفكاركم النيرة معلومات أنتم أعرف بها وأكثر دراية وعرفانا مني.

سادتي:

إن كتب (البلدان) زاخـرة بشواهد الأشعار، حتى لكأن الشعر خاصة ـ هو المعرف بالأماكن في جزيرتنا العربية بل في سائر وطننا العربي إن لم نقل تجاوز ذلك إلى كثير من وطننا الإسلامي.

وعلى سبيـل المثال، يوجد مورد ماء، بين (غضور) و (رمان) شرق سميراء متوارياً في منعطف التاريخ ومنزوياً في عتمة الزمن، لولا الأدب لما وعت اسمه

ذاكرة أحد من الناس، وإنما بعد أن لمسته عصا الشعر السحرية، ولحظته عناية الأدب، فإذا به معرفة بعد أن كان نكرة، ونابهاً بعد أن كان خاملاً منذ قال فيه (أبو القمقام الأسدي).

اقـرأ على (الوشـل) السـلام وقـل له — كل المنـازل مذ هجـرت ذميم
سقيا لظلك بالعشي وبالضحى — ولبـرد مائـك والمـيـاه حميم
لو كنت أملك منع مائك لم يذق — ما في قلاتـك ما حيـيـت لئيم

وحسبنا هذا الشاهد المعروف لذلك الموضع المجهول من آلاف الشواهد في الأدب العربي.

أيها السادة الأجلاء:

إن للمخـلاف السليماني ـ سنطقة جازان ـ مكانته في الأدب العربي قديماً وحـديثـاً ـ كسـائـر أجزاء جزيرتنا العربية. لقد خلد الأدب أماكنه الجغرافية، وصـدحت قيثـارتـه في مغـانيه بأغاني ترقص النسمات وتعطر الأجواء، وشعر كعرائس الأحلام خلف ستائر الشفق، وكلمات شفافة كالأشعة متوهجة بنصاعة البيان، ووضاءة المعاني، فخلدت بشعر واحد وثلاثين شاعراً سبعين مكاناً فيما ينيف على الثلاثمائة بيت من الشعر، رتبتها ـ أي الأماكن على الحروف الهجائية، وبعد هذا التمهيد يسعدني أن أتقدم بمحاضرتي أو على الأصح استعراضي لما ورد في الأدب العربي عن الأماكن الجغرافية في منطقة جازان.

حرف الألف

أبو دنقور:

قريـة كان يسكن بها أهل صبيا قبل اختطاط مدينة صبيا الحالية في سنة ٩٥٨ هـ، وفيه يقول الشاعر محمد بن جناح الضمدي:

ونـثـر من أبي دنقـور وافى — ونـظم من (زبيـد) الشـافعية

أبو عريش:

مدينة أبي عريش من المدن الرئيسية في منطقتنا: قال الشاعر الهبي أول القرن العاشر:

لم أنس أيـام (أبـي عريش) — حيث ريـاشي قد نمـا وريشي
حيـث انتهت خلاعتي وطيشي — ما طاب لي نومـي ولذَّ عيـشي
إلا بإنعام الأمير (المهدي)

وقال الشاعر عبدالرازق اليمني القرن الثاني عشر:

عج بوادي الهضاب في الأسحار ... وترنم هناك بالأوتار
بربى (أبي عريش) حيث الغواني ... لابسات الحجول والأسوار
الصبا والصبا بها يا معنى ... وطلوع البدور والأقمار
ليت شعري بها أكون دواما ... أتمشى في حلة[1] الجلنار

حرف الباء

البديع:

قرية البديع: قرية من قرى وادي جازان تغنى بها الشاعر القاسم بن علي بن هتيمل بأعذب المقاطع وأرخم الأنغام في القرن السابع الهجري فقال:

وعلى يماني (البديع) وسفحه ... خيم سقاهن الهوى وسقاه
أمحدثي بالرمل كيف عقيقه ... من بعد فرقتنا وكيف ثراه
وهل البشام على غضارة أيكه ... رياه من نفحاته رياه
ما كان ضرك لو حملت تحية ... للأثل حيا الله من حياه

وقال مخاطباً رفيق سفره ليرفق بالمطايا ولا يمكنها من رؤية أثل (البديع) حتى لا يجن جنونها.

أقم ميلها إن الثقاف يقوم ... وأمهل عليها ريثما تتنعم
ولا ترها أثل (البديع) فإنها ... تحن إلى أثل (البديع) وترزم
تعاصي البُرى أعناقها فرؤوسها ... تأخر عنها والصدور تقدم
وما الركب إلا ناطق مترنم ... عليها وإلا صامت متهمهم

وقال:

أراني ونضوي أن ثنا (الأثل) معرضا ... يحن إلى أثل البديع ويشهق
تباري خطاه الطير وهو مقيد ... فكيف به في سيره وهو مطلق
وإن المياه اللاه تحت ظلاله ... يغص لها بالماء ثمة يشرق

---

(١) من مترادفات كلمة «حارة» وهو المحل الذي يحل به القوم.

ومن رأى منظر الأثل على عدوتي الوادي وبين الأراضي الزراعية وحول القرية، عذر الشاعر على تعلقه، وقال:

بعيشك يا علي فليس بدعاً تطاول بي عساك ترى «البديعا»
أذاك الأثل مخضلا أصولا على عهدي ومخضرا فروعا

وما ألطف قوله:

أعندكما عن العلمين علمُ وعن خيم (البديع) أهن هنا
وعن عذب (البشام) هل الـ ـنعامى تلف هبوبها غصناً وغصنا

ونختتم ما اخترناه لهذا الشاعر المواطن وما شغفه من أثلها وبشامها ونسيمها وأغصانها بهذين البيتين وقد شجاه وميض البرق ولمعانه الخاطف فقال مستسقياً للبديع وأثله وما حوله من معاهد ومغاني:

ما ترى البرق بالعشاء إذا قـ ـد، قميص الدجى أراك الأراكا
فسقى (الأثل) فـ (البديع) فـ (ديباج) فـ (حمسا) فـ (الرمل) فـ (الدكداكا)

بلاج:

واد صغير يلتقي بوادي جازان جنوب قرية القمري
قال الشاعر ابن هتيمل:

فاتني (قاسم) فأظلمت الدنا بمهوى سراجها الوهاج
كنت أروى من لجه الزاخر العـ ـذب فمن لي بحسوة من (بلاج)

بيش:

أكبر واد في المنطقة قال أبو دهبل الجمحي:

أسلمي أم دهبل قبل هجري وتقص من الزمان ودهر
واذكري كري المطي إليكم بعدما قد توجهت نحو مصر
لا تخالي اني نسيتك لما حال (بيش) ومن به خلف ظهري

ولبعض الأماكن - في المخلاف السليماني - نصيب في شعره وقد استفتح بعض قصائده باسم (بيش) إذ يقول:

أمن آل سلمى الطارق المتأوب ألم و(بيش) دون سلمى و(جبجب)

وقال ربيعة اليمن يخاطب الملك الصليحي:

ضممت إلى الوقائع يوم (بيش) فكان أجلها يوم السباق

وقال أيضاً قارنا مع (بيش) اسم بلدة (الزرائب) بلدة الشاعر عمارة بن الحسن الحكمي المعروف بـ «اليمني» يمدح الصليحي:

فصبحت (بيشا) و (الزرائب) والقنا وكل كمي في هواك مسارع

وقال الشاعر ابن هتيمل مخاطباً عامل الملك المظفر:

وغدت بكم (بيش) عروساً بضة معشوقة الخلوات بكرا ناهدا

وقال الجراح بن شاجر الذروي في القرن العاشر:

وقاتل من بيش الخصيب قبائل عوائدهم مشهورة ما لها حجب

بيض:

وادي بيض من أودية شمال المنطقة على طريق جازان أبها ولا ينقطع ماؤه حول تلك الطريق شتاء وصيفاً، قال بديل بن عبد مناة:

ونحن منعنا بين (بيض) و (عتود) إلى خيف رضوى من مجر القبائل

حرف التاء

تعشر:

واد مشهور من أودية جنوب منطقتنا قال: محمد بن سعيد العشمي

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بـ (تعشر) بين الأثل والركوان

حرف الجيم

جازان:

المدينة الساحلية - قال أبو دهبل الجمحي:

سقى الله جازان ومن حل وليه وكل مسيل من سهام وسردد

وقال الشاعر ابن هتيمل:

واقدموا وصدور الخيل جانحة عن التقدم ميلا يوم جازان

مثل الأسود الضواري في سروجهم آساد بيشة آم آساد خفان

من كل أروع مطعام إذا نزلت به الضيوف شبيه الرمح مطعان

وقال الشاعر محمد السنوسي - وقد زار الظهران - يتشوق إلى وطنه:

من الساحل الشرقي إلى الساحل الغربي

أبث تحياتي إلى الأهل والصحب

إليــهــا إلى جازان ريــفــا وشــاطئــاً
وغــابــا ووديــانــا من (البــرج) لـ (الدرب)
إليــهــا إلى أغــوارهــا ونــجــودهــا
وأشجــارهــا والصخــر والبحــر والعشب
إليــهــا إلى ذاك الثــرى وهــو نائــم
على التبر في أحضانها الفيح والخصب

وقال الشاعر محمد العقيلي:

جازان إنــي من هواك لشــاكي ... فتــنــصــتــي لهــزارك وفــتــاك

إلى أن يقول:

ولقــد نظرت إليــك نظرة شاعر ... سامــي الخــيــال مدله بهــواك
يرعــى شواطئــك الجــمــيــلة هاتــفــا ... ومــغــرداً بجــمــالهــا، ورؤاك
يجــلو المســاء على بحــارك فتــنــة ... رقــصــت لهــا الأمــواج تحت ربــاك
وهجــا من الشفق المــذهب قد جرى ... تبــرا يشــع على سمــاء فضــاك
وتــلألأت فيــه الأشــعــة فضــة ... ذابــت على حمــر الصــخــور هنــاك
فبــدا بهــا (قــوز الشــويعــر) باقــة ... بيــضــاء قد رفــت على يمــنــاك
وتــبــرجــت فيــك (العــشــيمــا) غادة ... قد زان فاتــن حسـنــهــا شطاك
فتــنــت بمسحــور الرؤى في شاطىء ... كاطار رســم، للجــمــال حواك
فزهــت رمــال الشــط وهــي نديــة ... برشــاش رغــو المــوج فوق ربــاك
وهــفــا النــســيــم على تلالك وانــيــا ... متــعــثــرا يدنــو للثــم ثراك
وكــأنــمــا الأمــواج حيــن تدافــعــت ... قبــل طبــعــن على أغــر لمــاك
وتــروقــنــي تلك الجــذوع مواثــلاً ... صفــا، كسطر نمــقــتــه يداك
فجــلت مفــاتــن لا الخــيــال بقــادر ... تصــويــرهــا أو أن يحــيــط بذاك
فلأنــت ملهــمــة البــيــان لفــنــه ... وقــصــيــدة عنــه الوجــود رواك..
إن لم أقــدر فيــك رغــم تفــوقــي ... ويــكــون حظ النــابــهــيــن جفــاك
فلقــد جرى أن النبــاهــة في الورى ... حفــت كمــثــل الورد بالأشــواك

ويروق لي أن أورد هذه الأبيات الغنائية للشاعر محمد السنوسي:

جازان يا درة الجــنــوب ... البــاســم النــاعــم الخــصــيــب
البــحــر والصــخــر فيــك زهــو ... بنــشــوة الســحــر في الغــروب

والليـل والبـدر فيـك يلهـو على رؤى الشـاطىء الطروب
عروسـة الشـعـر والأغـانـي ومـنـيـة الـنـفس والقـلـوب

جازان الأعلى[1]:

المدينة التاريخية التي لا تزال أطلالها ماثلة تتحدث عما كان لها من ماض مجيد ويطلق على تلك المدينة (جازان الأعلى) واسم (الدرب). و(درب النجا).

قال الشاعر ابن هتيمل يصف مناعة وتحصينات وحصون تلك المدينة:

إذا ما رمـاح الخـط لم ترد هاربـا إلى (الدرب) أردتـه رمـاح المكـائـد
ومـا خلفـه من صحـن صرح ممـرد وكـان لشـيـطان من الجـن مارد

ويلاحظ أن الشاعر قد جارى ما كان يقوله العرب في الجاهلية عن نسبة كل ما يهولهم ويبهر عقولهم إلى الجن والمردة والشياطين.

وقال:

وأدلج من بروج (الدرب) يهـوي إلى السـلبـيـن من أهـل ومـال

وقال الشاعر الجراح بن شاجر يصف روعة العمران في تلك المدينة وقلعتها المشهورة في الجنوب والمسماة (الثريا).

والقـبـة البـيـضـاء بالقـصـر الذي في (درب جازان) المـنـيـع حمـاهُ
وتـرى (الثـريـا) كـ (الثـريـا) سمكها عال على شهـب السـمـا وعـلاه
غرف حكـت غرف الجنـان وفـاخـرت بجـمـالهـا قمـر السـمـا وسـنـاه

وقال وقد أقبل على المدينة من الناحية الشمالية، يصف قصورها التي ينعتها بالخالدية نسبة إلى (خالد بن قطب الدين) مؤسس الإمارة القطبية في المنطقة في القرن التاسع:

حيـن قابـلـت (درب جازان) لاحـت وبـدت لي قصـوره الخـالديـة
ورأيـت الديـار تسـطع نوراً من جلال الأسـرة المـهـديـة

ويقول من قصيدة جميلة عنوانها:

يا نسـيـم الجـنـوب قل للمليـحـة ما لتـلـك العـهـود غيـر صحـيـحـة

مشيراً إلى تلك الدور العديدة والمغاني الفسيحة مؤكداً ما أسلفه:

وسـمـعـنـا النـداء من كل (دار) مرحبـا فانـزلوا المغـانـي الفسيحـة

---

(١) راجع ما كتبناه عنها فيكتـابنا(المخلاف السليماني في التاريخ) صفحة ١٧٣ جزء ١ و (الجراح بن شاجر من صفحـة ٣١ إلى ٤٩ الطبعة الأولى و (المعجم الجغرافي) صفحة ٧٠ ـ

ويقول في قصيدة أخرى يصف قصور تلك المدينة ورياضها الغناء مخاطباً أميرها الذي طالت غيبته في إحدى غزواته:

أتـدري بمـا لا قتـه تلك المـلاعـب ... ومـا كابـدت أبـطالهـا والكـواعـب

ومـا نال (جـازان) الخـصـيب وأهله ... لفـقـدك يا من في الإقـامـة راغـب

وتلك الريـاض الضـاحكات زهـورهـا ... ذوابـل والأنـوار فيـهـا غيـاهـب

وتـلك القصـور المشمخـرات لم تزل ... تغـالب فيك الشوق، والشوق «غالب»

ويؤكد لنا في قصيدة ثالثة قصور المدينة وحدائقها الزاهرة إذ يقول:

فتـرى القصـور تكـاد ترقص فرحـة ... والزهـر في الأكمـام يضحـك معجبـا

ونـزلت في القـصـر الذي غرفـاتـه ... لو أنـهـا نطقـت لقـالت مرحـبـا

ويقول أيضا في عيدية له في مدح الأمير:

ثم انـثـنـيـت إلى المـديـنـة راجعـا ... ودخـلت قصـراً بالجـمـال مشـيـدا

وقال في قصيدة مخمسة:

أمـا ترى القـصـر العـظيم المشيـد ... أنـواره كل غد في مزيـد

تفضح أنوار قصور الجنان

إن ترديد الشاعر في أشعاره وصف قصور مدينة جازان الأعلى وحدائقها، لا شك أنه نتيجة إعجاب أثار انفعلاته وأيقظ أحاسيسه، ففاض به شعوره شعراً يموج بالظلال ويتألق بالأضواء، وفيما بقى من أطلال تلك المدينة، التي توالت عليها المحن والغارات والدمار والتخريب المتعمد طيلة. قرن من الزمان، فيما بقى بعد كل ذلك من أطلالها شاهد بما كان لها من عمران وماض مجيد ونودع ما أوردناه بما قاله ذلك الشاعر:

وأنـت يا راكـب الوجـنـاء ناجـيـة ... تطوي المهـامـه كثبـانـا وغيـطانـا

دعهـا تجـوب الفيـافي والفـدافـد مـ ... ـن (جازان) حيا الحيا الوسمي جازانا

الجروب:

تلك القرية الصغيرة الغافية في حضن جبل عكوة وقد نفحها الشعر بنسمة عطرة لا يزال يعبق شذاها منذ ثمانمائة سنة.

قال الشاعر ابن هتيمل من قصيدة غناء وقافية راقصة:

بان عن عذره سواد عذاره ... إذ إزار الشـبـاب تحـت ازاره

يالقـومـي لم لا يزال من الحـب ... قتـيـل، لا يطلبـون بثـاره

ما دمـي في طلى الرجـال ولا عنـ ... ـد عزيـز أطله بمـغـاره

في خصـاص النقـاب من فتن الأعيـ ـن من خصره ومـن زُنـاره
قمـر أطلعـتـه في فلك الأز رار، أطواقـه على أزراره
يقـطف الورد بالنـواظر من خـ ـديـه بيـن احـمـراره واصـفـراره
إن من دمـنـة (الجـروب) إلى أيـ ـك (الحـسيـنـي) من شآمـي داره

جورا:

وادٍ معروف وهو الفرع الثاني لوادي ضمد، ويشكل مجراه أروع مجرى في طريق صبيا - عيبان - بني مالك. إذ يتلوى كالثعبان على طول تلك الطريق، فما سرت قليلا إلا وقابلك ذلك الوادي تارة مقبلا من الجنوب وأخرى من الشمال، ومياهه الصافية تتعثر في حصى الوادي، فكأنما عناه أبو الطيب بقوله:

وأمـواه يرنُ بهـا حصـاهـا رنـيـن الحـلي في أيـدي الغـوانـي

وفيه يقول الشاعر محمد العقيلي:

جورا ما أحـلاك في ناظري في ألق البـدر وضـوء الصبـاح
ويـا سواراً لولبـيـاً على معـصـم وادٍ كوثـري القُـراح
ومـاؤك الرقـراقُ يجـري على حصـبـاء درٍ كعـقـود المـلاح
يخـتـال في خضـراء موشـيـة بالنـبـت والعـشـب وزهـر الأقـاح
ويـسـتـحـم النـجـم في مائـهـا فيـرقص البـرق وتـهـفـو الريـاح
مواكـب للحـسـن يشـدو لهـا البـدر ضيـاء ويـغـنـي الصبـاح

حرف الحاء

الحسيني:

قرية على عدوة وادي صبيا الشمالية. قال الشاعر ابن هتيمل:

كلمـا سرت في الحـسيـنـي والأثـل شجـانـي من الحـسـيـنـي شاج

وقال:

فمـن لي بقـلب لا يمـن مليـكـه عليـه ويستحييـه في الأسـر آسـره
إذا الغـيـث أرخى مرجحن سحـابـه على بلد أو أمـطرتـه مواطره
فراحت على أرض «الحسيني» أوسرت روائـحـه أو باكـرتـه بواكـره

حضران:

دمنتان كانتا شمال ضمد بنحو ثلاثة أميال، قال الشاعر ابن هتيمل:

أحـبـب إلي بسـاكـنـي نجـدٍ وبـنـشـر ذاك الشـيـح والرنـد
يا دمـنـتـي حضـران ما فعـلت ريـح المـصـايـف فيـكـمـا بعـدي

نسفت ترابكما فلاح لنا طلل الديار كمنهج البرد
ولربما كانت تحل به ريا البرين رشيقة القد

وقال:

حدثه عن ساكني الوادي وما فعلت من بعدنا سرحة الوادي وما فعلا
وكيف حي بـ (حضران) عهدتهم ومن أقام به بعدي ومن رحلا

جبلا حياد:

لا يعرفان حالياً، وإنما تعرف قبيلة باسم «آل حياد» من قبائل بني الغازي، قال ابن هتيمل:

وسل إن شئت عن جبلي حياد وعمن حل في جبلي حياد
أذاك (الرند) تغبقه السواري بادمعها وتصبحه الغوادي
وذياك النسيم الرطب تطفو علائقه على الماء البراد

حرف الخاء

خلب:

من أودية المنطقة المشهورة قال الشاعر عبدالرحيم البرعي - القرن العاشر - من قصيدة يصف رحلته إلى الحج ويذكر بعض أودية المنطقة التي اجتاز بها:

طوت بهم المراحل في الفيافي قلائص تذرع الفلوات كوم
إلى حرض إلى خلب تراءت ومن جازان جازت وهي هيم
ومرت في ربى (ضمد) و (صبيا) ولؤلؤة وغوان تهيم

(اللؤلؤة قرية من قرى الدرب (درب بني شعبة) أورد اسمها (الخزرجي) في العقود اللؤلؤية في مغازي الرسوليين في القرن الثامن الهجري، ولا زالت تعرف بهذا الاسم، و (غوان) هو وادي الشقيق، وهو غير (غوان) الوادي الذي مجراه جنوب قرية المحلة.

حرف الشين

الشرجة:

مدينة مندثرة كانت تعرف بهذا الاسم ـ مجرداً ـ وبعض المؤرخين يورد اسمها مضافاً فيقول (شرجة حرض) تمييزاً لها عن (شرجة سردد) و (شرجة زبيد) و (شرجة حيس) ـ راجع بحثنا المنشور في مجلة العرب مجلد ٩ السنة الأولى بعنوان أبحاث جغرافية. قال أبو الجياش الحجري بن الهنو، مستسقياً الغيث لجنوب الجزيرة من (حضرموت إلى وادي قنونا).

فقرى (مور) فـ (القريضة) والشرجة   فـ (الواديان) فـ (السلعاء)
فادلهمت على قرى (حرض) يومـ   ـين بالسح مزنة سوداء
سقيت برهة قرى (خلب) منـ   ـها فـ (جازان) تلك و (الصبياء)
فقرى (بيش) فـ (الدويمات) فـ (البـ   ـرك) فـ (حلي) ممطورة غيناء

الشقيقة:

أورد اسمها الهمداني ضمن قرى المخلاف بعد الشرجة صفحة ١٨٨. قال الشاعر ابن هتيمل:

أمطارحي رد التحية قل لنا   كيف (الشقيقة) والطلول الهمدي

وقال:

وهل سقى الغيث حوذان (الشقيقة)   فاخضلت أعاليه واخضرت أسافله

شهدان:

على صيغة شهران ـ بالفتح ـ واد من أودية المنطقة، يلتقي بوادي وساع قرب قرية أبي القعائد جنوب بيش.

قال السلطان سليمان ابن أبي الحفاظ الحجوري:

ولا نكلت وأفراسي مفرقة   ما بين (حيس) إلى (بيش) و (شهدان)

حرف الصاد

صبيا:

واد ألهم غير شاعر ـ قديماً وحديثاً ـ روائع من الشعر الخالد:

قال الأمير القاسم بن علي الذروي ـ القرن السابع ـ من قصيدته المعروفة

من لصب هاجه نشر الصبا   لم يزده البين إلا نصبا

وأسير كل ما لاح له بارق القبلة من (صبيا) صبا
يا أخلائي بصبيا واللوى وأحبائي بتياك الربى
هل لنا نحوكم من عودة ونرى سدركم والكثبا
فلكم حاولت قلبي جاهدا يتسلى عن هواكم فأبى
واذكروا صباً بكم ذا لوعة بان عنكم كارها مغتصبا
وإذا ما سجعت قمرية صاح من فرط الجوى واحربا
لا تناسونا وإن طال المدى كم نوى بعد بعاد قربا
وإذا ريح جنوب جنبت فأسألوها كيف حال الغربا
فلديها من تناهي لوعتي وغرامي ما يحط الشهبا

وقال العلامة محسن بن عبدالكريم بن إسحاق يشيد بشخصية كريمة[1] سكنت مدينة صبيا في أواخر النصف الأول من القرن الثالث عشر.

شرفت (صبيا) بكم فغدت منزلا للعلم والنزل
ليت شعري ما الذي فعلت فعلت قدراً على زحل

وقال الإمام محمد بن علي الإدريسي أثناء ارتحاله إلى مصر لطلب العلم متشوقاً إلى صبيا وربوعها الغناء:

ولي الزمان ومالي نحوكم سبب وليس لي في سواكم سادتي أرب
وأن يعقني الهوى عن أن أسير إلى حي إليه بديع الحسن ينتسب
حييت سار قضى الرحمن لا برحت نفسي اشتياقاً إلى مرآه تضطرب
فما لأهل الحمى أن يرفقوا بفتى روح له بذلت في الحب لا نشب
يهوى أحاديثهم وهي الشفاء بـ ـل الراح الذي لا بها غول ولا عطب
تهدي فهل لك في روض مناظره زبرجد وحصاه الدر والذهب
قد فاق حسنا فناجتنا بلابله على منابر أغصان لها خطب
مني إليهم تحيات فواتحها كما خواتمها الأنوار والقرب

وقال أيضاً وقد بعثها إلى والده بصبيا من مصر:

ألا إن قلبي لا ينهنهه العذل ونفسي غدت عمن تحب فلا تسلو
فكفا عذولي الملام فإنني أصم ولي فيما عنيت به شغل
ولا ترمياني بالجنون فليس بي جنون ولكن في الهوى يؤسر العقل

---

(١) هو الشيخ أحمد بن إدريس الإدريسي الذي سكن مدينة صبيا وتوفي بها.

ألا ما لقلبي سلوة عن معاهد	بشرق (الغرا)[1] حيث المرؤة والنبل
بها القلب في دين الهوى قد جعلته	شعوباً ودمع العين راوٍ له نقل
أنوح إذا البرق اليماني لحته	كما أن سرت ريح الجنوبً لها رسل
نداماي من تلك المعاهد هل لنا	دنو وهل يصفو الزمان وهل يحلو
وهل لي رجوع للحمى ورياضه	ومشربها العذب الزلال له نهل

وقال وقد بعث بها من مصر إلى أستاذه بـ (صبيا) الشيخ العلامة سالم بن عبدالرحمن باصهي:

ربع عهدناه بالأحباب معمورا	جعلت قلبي على مغناه مقصورا
فما لقلبي وللسلوان عاد له	وفي طريق الهوى قد راح مسحورا
يا ساكني السفح من صبيا على أكم	بكم غدا لتجلي (الهوى) طورا
اني بغربيه صدقا أحدثكم	يوم الوداع جعلت القلب منحورا
لا بارك الله في الدنيا وزهرتها	إن لم أنادم من (صبياي) مشكورا

وقال وبعث بها إلى صبيا لوالده من مصر:

أتلك بروق ما أراها لوامعا	تضيء بدوراً أو شموسا طوالعا
أم النور من صبيا سرى متألقا	فحيا فؤادا كان بالحب والعا
ونفحة ود ما بدت بأريجها	تفوح عبيرا ظل في الكون ذائعا
أحبتنا من ساكني السفح إنني	على حبكم الفيت قلبي مطاوعا
وعن عهدكم ما قط أصبحت ساليا	وتباً لمن يسلو الهوى والمرابعا

وقال العلامة الشيخ عبدالرحمن القديمي في سنة ١٢٣٠ هـ.

ألا حي حي الرشد من ساكني صبيا	وبلغهم شوق العميد إلى اللقيا

وقال العلامة الشيخ محمد ابراهيم الحشيبري سنة ١٢٣٠ هـ:

سرى برق نجد فاستضاءت منازله	ومن نحو صبيا قد نشأن زواجله
فاعجب له من ضاحك قد بكت له	سواكب مزن قد هطلن هواطله
فحرك شوقاً لاعجاً في جوانحي	وهيم قلبا هيجته بلابله

وقال الشيخ عبدالعزيز بن محمد الغامدي في سنة ١٣٢٩ هـ:

وقل عفا الله عن (صبيا) وساكنها	وان يديم المعالي في مساكنها
ما دام يقرأ دوماً في أماكنها	قول الذي عز عن ضد وتقييس

(١) الغرا: ضاحية من ضواحي مدينة صبيا.

وقال محمد العقيلي:

في شط صبيا وتحت (السدر) و (الطنب) مرأى من الحسن والإبداع والعجب
زمردي الحواشي حيثما نظرت عيناك منه بدا في منظر رغب
حيث الطبيعة لم تعبث بفطرتها يد المشذب في شكل من اللعب
بين المزارع حيث الأرض قد لبست من سندس حلة فينانة الهدب
بين المروج غداة الطل باكرها مكللاً هامة الأغصان والعذب

* * *

في ضفة الوادي حيث الشط تربته (حصباء در على أرض من الذهب)
والماء يطفح قد طمت غواربه شم الروابي والآكام والكثب
ينساب كـ (الصل) في أحشاء مخضلة موشية بطراز الزهر والعشب
تقلدت منه (صبيا) عقد غانية في جيد مشرقة الأطواق واللبب

* * *

يا حبذا البدر قد فاضت أشعته على الغدير وماج الماء بالشهب
وقد بدا من خلال الغيم مؤتلقاً على الهضاب وبين الحزن والسهب
يمج ذائب (ماس) من أشعته في لجة الواد أو ذوب من اللهب

* * *

وغابة (السدر) تبدو في جلالتها شماء سامقة الأفنان كالقبب
من كل عارية الأسواق كاسية أضفت على وجهها ستراً من الحجب
تقنعت بصفيق الخز واشتملت مطارفاً من نسيج الغيث والسحب

* * *

والشمس من خلل الأغصان ناظرة كليلة الطرف في دل وفي غضب
فاضت أشعتها كالتبر ذائبة على نثير دموع الطل في القصب
يذري النسيم جماناً من معاطفها يحكي سقيط دموع (الخرد) العُرب

حرف الضاد

ضمــد:

يطلق على الوادي المعروف على وجه العموم كما يطلق على البلدة الرئيسية وفيه، قال الراجز:

واهــا لقــوم غالهــم صرف الردى والتحقــوا بــ (ضمــد) أو بــ (صــدا)

حــرف العيــن

عتود:

من أودية شمال منطقتنا ويقول ابن دريد، إنه لا يعرف على وزن فعول إلا (عتود) و (خروع)، ويقول بعضهم يوجد غير ذلك، قال ابن مقبل:

جلوســاً به الشــم الطوال كأنــهــم أسـود بــ (ترج) أو أسود بــ (عتودا)

عــثر:

يطلق في التاريخ على مخلاف يمتد من شمال صبيا إلى حمضة، كما كان يطلق على مدينة تاريخية نسبت إلى مخلافها أو المخلاف المضاف إليها ـ راجع صفحة ١٥٤ ـ ١٥٩ من كتابنا (المعجم الجغرافي لمنطقة جازان) ط١.

قال الشاعر:

ليـث بـ (عثــر) يصــطاد الرجــال إذا ما القــرن كذب عن أقــرانــه صدقــا

وقال عروة بن الورد:

تبــغــانــي الأعــداء إمــا إلى دم وإمــا عراض الســاعــديــن مصــدرا
يظل الابــاء ساقــطا فوق متــنــه له العدوة القصوى إذا القرن أصحرا
كأن خوات الرعــد رز زئـيــره من اللاء يسـكن الغـريف بـ (عثـرا)

العداية:

قرية من ضواحي مدينة صبيا. قال عمارة بن الحسن الحدقي المعروف بـ الحكمي:

قبـر لـ (يحيى) بأكنـاف (العداية) لم تؤنـســه أجــداث أبــاءٍ وأجــدادِ

عكوة عكاد:

عكوة جبل مشهور شرق مدينة صبيا، ورد اسمه في نقش أثري للملك السبئي (شمر، يهرعش)سنة ٢٧٦ ق.م. أما عكاد فلا يعرف ـ في الوقت الحاضر ـ جبل

بهذا الاسم حول جبل عكوة أو في مستوى ارتفاعه بالنسبة إلى جبال السهول. وإنما يوجد على مائة كيلا شمالا جبلان صغيران يسميان العكادين، قرب بلدة درب بني شعبة.

قال الراجز:

إذا رأيت جبلي عكاد وعكوتين من مكان باد
فابشري يا عين بالرقاد

وقال الشاعر ابن هتيمل:

إذا ذكرت في سفح (عكوة) خيمة شأى البرق سبقاً معجها ووجيفها

العميم:

موضع خلده الشاعر ابن هتيمل فظل يتألق في سماء الأدب ويتردد اسمه على لسان الشعر منذ ثمانمائة سنة من امحاء رسمه ودثور مكانه، وقد حدثني الشيخ أحمد بن حسن عاكشي، أن العميم كان يطلق على دمنة فيما بين قرية (خضيرة) وبلدة (ضمد).

وأيضاً يوجد واد من روافد وادي صبيا اسمه (عمم) يلتقي بالفرع الثاني لوادي صبيا شرق المكان المعروف بـ (المجمع) ولانستطيع الجزم هل هو (الدمنة المندثرة) أو أنه اسم ذلك الوادي بعد أن لحقه شيء من التحريف.

قال الشاعر ابن هتيمل مخاطبا فتاة أحلامه أو عروس شعره:

سقى (العميم) حيا الغمام فلم تزل مشتقة رياه من رياك

وقال:

لعل الريح إن هبت هبوبا وإن عبرت شمالا أو جنوبا
تسوق إلى (العميم) من الغوادي غمائم كي تشق بها الجيوبا
وتحمل من شميم الريح نشرا يكون نسيمه للطيب طيبا

وما أرق قوله مستفهما عن ذلك الموضع الرغيب:

عسى لك عن خيام الغور علم فتخبرنا بمن سكن الخياما
وهل شيح (العميم) تميس تيها ذوائب شيحه سقيا الغماما

وما أعذب قوله وهو يستسقي الغيث لبانتي العميم وليس بدعا أن يستسقي الشاعر الغيث لمواطن حبه ومراتع لهوه، وإنما الغريب أن يطلب ذلك ولو من دمه فلننظر إلى قوله مناديا:

فيا بانتي سفح (العميم) سقاكما ولو من دمي - يا بانتان غمام
كأن قوام (المالكية) فيكما لهذي قوام، أو لتلك قوام

وقد جاء هنا بعكس التشبيه فبدلا من أن يشبه قوام حبيبته بالبان شبه البان بقوامها وهذا كقول (ذي الرمة).

(ورمل كأوراك العذارى قطعته)

ولنختم ما أوردناه عن (العميم) بهذا التحذير لذلك الشاعر، وأعتقد أنه تحذير بعد تجربة قاسية:

إيـاك إيـاك (العـمـيـم) فإنـه ضريـت[1] جآزره بصـيـد أسـوده

عوسجة:

قال ابن هتيمل:

ولا سلوت - وأرض الله واسـعـة بأهـل (عـوسجـة) عن أهـل (نجران)

ونجران هي بالطبع غير (نجران) المعروفة في التاريخ والتي هي جزء من وطننا السعودي وإنما هو اسم كان يطلق على قرية من قرى ضمد بنيت على أنقاضها قرية مختارة ضمد.

حـــرف الغيـــن

الغريف:

يطلق اسم الغريف على عدد من الأماكن منها (الغريف) في جهة (الحضن) من بيش و (الغريف) قرية حول (المحلة)، كما يطلق أيضاً على موضع شرقي جبل عكوة.

قال الشاعر ابن هتيمل يمدح عامل الملك المظفر:

فنـفـيـت منهـا الخـالعين وقـد خلا منهـا (نمـازة) و (الغـريف) و(عتـود)

غوان:

هو وادي غوان الذي مجراه جنوب قرية (المحلة).

قال ابن هتيمل:

وهم أعـدمـوا أرض السحـان فليتـه إلى أن خلا (غـوانهـا) و (غـريفهـا)

غـوان :

وادي معروف يسقى مزارع الشقيق، قال الشاعر عبدالرحيم البرعي:

ومـرت في ربـى (ضـمـد) و (صـبـيـا)

و (لـؤلـؤة) و (غـوان) تهـيـم

---

(١) من الضراوة: يقال أسد ضار.

حرف الفاء

الفلجين:

على صيغة المثنى، موضع نقدر أنه في جهة (ضمد) موطن الشاعر ابن هتيمل الذي يقول فيه:

وبمسقط (الفلجين) دار لم تزل ... عبق النسيم يهيج لي ذكراها
بكرت لها مرضى الرياح وواصلت ... نطف الغمام رواحها وسراها

وهل ما هو أفعل في نفس المحب الولهان من النسيم العليل المشبع بالشذى العاطر في الجو الغائم البليل؟

وقال:

وبمسقط (الفلجين) دار لم تزل ... رسم الصبابة من فؤادي مذ عفا
محت الرياح طلوله فكأنما ... أبقين من زبر الأوائل مصحفا

فيفا:

الجبل المعروف في ربوع منطقة جازان ويطلق عليه اسم لبنان تهامة. قال الشاعر صلاح بن عبدالخالق جحاف القرن الحادي عشر:

فتحتها عناية الله ذي الملك ... وتصميم همة قعساء
قلعة في السماء لا يرتقيها ... غير فتخاء لقوة شغواء
هو أعلى من حصن كيفاء شأناً ... أين فيفا في الحسن من كيفاء

وقال الشاعر الفيفي المعاصر علي بن حسين الفيفي:

أنظر لفيفا روضة ... خضراء مثمرة الحقول
تختال في تيه، وتزهـ ... ـو، بالزهور وبالخميل
بمروجها الخضراء بالمـ ... ـاء القراح السلسبيل
بحدائق الليمون بالرمـ ... ـان، بالظل الظليل
بخمائل قد طوقت ... (فيفاء) في عرض وطول
بالماء منهمرا يوشوشه ... النسيم مع الأصيل
يا روضة خضراء مالـ ... ـك، في الجزيرة من مثيل

* * *

وقال الشاعر محمد السنوسي:

متحف من أشعة وظلال ... في اطار من نضرة واخضلال
سابح في الفضاء يغمره النـ ... ـور، بفيض من السنا والجلال
صنعة المبدع المصور جل اللـ ... ـه، ربي رب العلى والكمال
جبل تعشق النجوم مجاليـ ... ـه، وتصبو إلى ذراه العوالي
مشرئب إلى السماء برأس ... صلف في شموخه متعالي
أخضر السفح أزهر السطح مصقـ ... ـول، الحواشي زاهي الربى والتلال
ولتلك الذرى الموشاة بالزهـ ... ـر، نضيرا وبالثمار حوال
ولتلك الربى يرف شذاها ... بعبير الصبا ونفح الشمال
ولذاك السحاب والماء يجري ... من خلال الصخور جري الصلال
سحر كلها نهار وليل ... يا لأيامه ، ويا لليالي

* * *

وقال الشاعر محمد العقيلي:

(فيفاء) هل لي بأن أجلوك للفكر ... في معرض الفن كالرسام للصور

* * *

إلى أن يقول:

طود يناغي النجوم الزهر قد كسيت ... أرجاؤه بوريف الظل والشجر
يجلل الغيم أدنى هامها وبها ... تبدو الطبيعة في دل وفي خفر
دنيا من الأمل الخلاب سافرة ... عن المفاتن تستهوي نهى البشر
وروضة من رياض الخلد قد برزت ... إلى الوجود بأبهى الحسن والصور
تأزرت بأثيث النبت واتشحت ... أزهى الحلي لها من يانع الثمر

* * *

يا حبذا ليلها والشهب قد سفرت ... عنها الغيوم تناجي رائق الزهر
والبدر يرسل من إشعاعه ألقاً ... على الجداول والأنهاء[1] والغدر
وللنسائم ما بين المروج شذا.. ... معطر، كعبير المسك في الطرر
وللندى خضل تزهو الغصون به ... يصوغه البدر أسماطاً من الدرر
وللمياه خرير في مساربها ... جس الأنامل قد مرت على الوتر

---

(١) الأنهاء: جمع نهي، هو الغدير وما شابهه من التجمعات المائية، وجاء في كتاب «أساس البلاغة» «ودرع كالنهي»، وفي الحديث: «أنه أتى على نهي من ماء». النهي: بالفتح والكسر: الغدير، وكل موضع يجتمع فيه الماء ـ لسان العرب لابن منظور.

وللغصون حفيف خافت همست | في مسمع الليل همس الخائف الحذر

* * *

وحبذا مرجها والشمس قد سطعت | اضواؤها في مجالي دوحها النضر
وللظلال انسجام في خمائلها | على حفافي ضفاف الماء والشجر
دنيا تلوح بها شتى المحاسن بل | لوح يروقك منه أبدع الصور

حرف القاف

القعيساء:

موضع في جهة الحسيني معروف بهذا الاسم إلى الآن.

قال القاسم بن علي الذروي:

حبذا أرض (القعيسا) وطني | وليبلات بها ما أطيبا
وربى البئرين من قبليهما | وزلال، بهما ما أعذبا

القهر:

ذلك الجبل الأشم الصعب المرتقى في بلاد قبيلة (الريث) من قبائل منطقتنا:

قال الشاعر محمد السنوسي:

قهر (القهر) غازياً ومغيرا | وأذل العصاة والأشرارا
جبل شامخ منيف يرى الأرض بعـ | ـين، يزور عنها ازورارا..

* * *

وقال الشاعر العقيلي:

تأمل في سمو (القهر) وانظر | جلالا شامخا لم يحن هامه
تفوت الريح قمته علوا | ويعي النجم أن يعلو سنامه

* * *

قوا:

قرية غرب بلدة الخوبة، وقوا و (السلب) و (خميعة) و(الجوى) و (الدِّحن) و (السودة) أرياف جميلة تكون في فصلي الخريف والربيع من أحسن البقاع في الجنوب الشرقي من منطقتنا، فلا يشاهد المرء إلا السيول الدفاقة والغدران الرقراقة وتكتسي الأرض حلة خضراء من الأعشاب ـ العطرية والرياحين العبقة والمراعي الغضة والجو الساحر والأفق الشاعر:

قال الشاعر العقيلي مسجلا انطباعاته ومجسداً مشاعره عنها في احدى رحلاته:

شذى يتـعـالى بالتـجـلة أو شدوا ... تضـوع من (فيفـا) عبيرا ومن (عكوا)
ورن بهـا (جـازان) علويـة الشـذا ... سمـاويـة الأنفـاس قدسيـة النجـوى
لهـا ومـضـات البـرق في كل مطلع ... سطوعـاً، وصـوت الرعـد مرتجزاً دوى
وأنـسـام أزهـار الفـراديس نفـحـة ... على الأفق المخضـل والمنظر الأحوى
كأن نسيـم (السلب) يسحب ردنـه ... زكيـا ، على الدوح المهـدل من (قوا)
ويـذكيه مرج (الدهن) من صيمرانه المـ ... ـعطر، في سهلي «خميعة» و «الجوا»

* * *

وأوديـة غنـاء زان ضفـافـهـا ... خمـائـل نافت فوق شطآنـهـا قنـوا
تخـاصـر أكنـاف الروابـي وتـنثني ... تعـانـق للآكـام والدوح والدوا
وطلح كأشبـاح الأساطيـر في الدجى ... وفي النـور بحر ماج من خضرة رغوا
يطل على زرق الغـيـول كأنـهـا ... مرايـا تطريـهـا الأزاهـيـر والنـوا

* * *

بمعتنق الحـوذان والشيـح دوشـه[1] ... يميس على (الوزاب) قد ظلل (الفغوا)
ملاعب أفـراس الجيـاد ومنتـدى البـ ... ـطولات في عهـد الفتـوة والسـطوا

* * *

مرائـي من الحسن البـديـع تراقصت ... على السنـدس المخضر والمنبع الأروى
جلتـهـا يد الإبـداع أروع مشـهـدا ... من الروضـة الغنـاء والغادة الجلوى
بلابـلـهـا صداحـة ويـمـامـهـا ... مجـنـحـة الأنـغـام رفـافـة شدوا

* * *

حرف اللام

ليـــه:

واد من أودية جنوب منطقتنا، قال الشاعر ابن هتيمل:

أراك تنـاسـيـت الخـروج ولم تعـد ... إليـه فجـهـز للخـروج وشـمـر
فمـا دون (حـلي) غيـر مادون ليـه ... ولا دون (بيش) غيـر ما دون تعشـر

---

(١) الدُّوش والوزاب: من أصناف الحبق، والفغو: زهر شجر الحناء.

حرف الميم

المخلاف السليماني:

هو الاسم التاريخي لمنطقة جازان، راجع صفحة ٨٠ جزء (١) من كتاب «المخلاف السليماني» وقد تردد كثيراً في أشعار ابن هتيمل وغيره.

قال الشاعر ابن هتيمل:

إن ضاق بي وطني (المخلاف) أوجهلت ... أهلوه حقي ففي الآفاق متسع

وقال:

أغرى به الأعداء في (المخلاف) من ... أغرى وأرجف منهم من أرجفا

وقال يخاطب أحد هاشميّ المخلاف السليمانيين:

وارحم سليمان العريضة إنها ... أمست ذوائبها نواكس خضعا
إني لأعلم أن سيخرجها مـ ... ـن (المخلاف) مخرج قومهم من (ينبعا)

وقال:

خل أهل المخلاف عنك فـ ... ـقد خلى (القتادات) (ينبعا) و (الحجازا)

وقال:

تأمر في قرى (المخلاف) لما ... تولى في زبيد أو (فشال)
وظن الحرب أكلةُ زبرباج ... وشرب الخمر بالماء الزلال

وقال الشاعر منصور بن سحبان (القرن السابع الهجري):

ولا يغررك بعدك فالليالي ... بما ترجو وما تخشى حبالى
فبعد هجاك (مخلاف ابن طرف) ... فلست لـ (مكة) ترجو وصالا

وقال الشاعر العقيلي:

إليك أبا عبدالإله سبيكة ... تحيل ضباب الدجن من نورها صحوا
لها خلجات الروح في كل خافق ... ونشوة أقداح الرحيق لمن يروى
يرددها (المخلاف) أنشودة سمت ... يغنى بها ما بين (فاس إلى (نزوى)

المطلـع:

كان قبل عام ١٣٦٥ هـ المدخل الرئيسي لمدينة (جازان) وكان يبعد عن العمران بنحو ستمائة متر تقريباً، فأصبح ـ بعد ذلك ـ داخل العمران.

قال الشاعر محمد العقيلي في عام ١٣٦٣هـ :

قف بالمطلع وقوفاً ملؤه الفكر ... واستلهم الشعر يأتي القول يبتدر
في طلعة الشمس والآفاق ساطعة ... أو الأصيل وقرص الشمس ينحدر
ومل قليلاً إلى ذات اليمين ترى ... مرأى تكاد له الألباب تنبهر
في ظل سامقة الأرجاء مشرفة ... على السهول ووجه الكون يزدهر
والشمس ترسل من علياء مطلعها ... شعاع نور على الأمواج ينكسر
والشط يطفح منسابا على دعة ... مجعد الوجه يستدني وينـدحر
والأرض مخضلة هفت نسائمها ... والآل مضطرب الأحشاء منتشر
تلك الطبيعة في أجلى مظاهرها ... خلابة دونها الأفهام تنحسر

* * *

المنجارة الخندق - البيبان - هالة - السلام - الروان - الغرا - بعلول - صبيا:

معالم معروفة على الطريق التاريخي بين (جازان) وصبيا وقد تعدل الطريق بإتجاه خط الأسفلت الجديد - لطريق (جازان) (عسير) (الطائف) تعدل شرقاً عن الطريق الأول بنحو خمسة أكيال - تقريباً - وفي الطريق الأول معالم لعبت دورها في تاريخ المنطقة، وقد تنسى تلك المعالم مع مرور الزمن، وتأتي الأجيال المستنيرة فلا تجد ما يهديها إليها إلا بعد العناء والبحث، وها نحن ولم تمض على تعديل الطريق إلا ست سنوات وبعض الناشئين قد لا يعرفها، وقد سجل الشاعر العقيلي انطباعاته عنها في رحلة قبل عشرين عاما في سيارة، والسيارات نادرة لدينا في ذلك التاريخ، قال:

ولما حان وقت العصر سرنا ... على (عجل) يسير بنا ابتدارا
فجاز (الخندق) المعروف وثبا ... ولـ (المنجارة) انحدر انحدارا
وفي (البيبان) هب يسف ريحا ... فجاز بـ (هالة) كالطير طارا
ومر من (السلام) مرور نجم ... هوى من أفقه العالي شرارا
وأسرع في (الروان) فلن ترى ... من كثافة جرمه إلا غبارا
وجاز على (الغرا) في لمح طرف ... كومض البرق يستعر استعارا
ولما طل من (بعلول) يجري ... وشاهدنا المنازل والديارا
وأشرفنا على سهل فسيح ... كأن الغيث ألبسه إزارا
بدت صبيا توهج في سناها ... فنلمح من تألقها منارا

حرف النون

نجران:

بالطبع هو غير وادي نجران المشهور في التاريخ بل نجران هذا هو بلد الشاعر (ابن هتيمل) من قرى وادي (ضمد) وقد دثر ذلك البلد وأقيمت على أنقاضه قرية (مختارة) - راجع صفحة ٢٢٣ من كتابنا المعجم الجغرافي لمنطقة جازان.

قال الشاعر ابن هتيمل:

أيقبح فيَّ، في (نجران) من لا   يحل عليه عند البيع فلس
يلجلج نعمتي حنك وسن   ويمضغ جلدتي ناب وضرس

نجران:

على اسم سابقه اسم قصر بناه الأمير الحسين بن علي بن حيدر الخيراتي في شمال أبي عريش سنة ١٢٥٧ هـ.

قال في وصفه العلامة الحسن بن أحمد عاكش:

(هو حصن حصين وعلم شامخ العرنين، نسيم أعاليه سجسج ومصباح علاليه من قناديل المجرة تسرج).

وقال العلامة محمد المساوى:

عليك سلام الله ما هبت الصبا   على منزل يصبي الشيوخ كما يصبي
أردت به (نجران) دار إمامنا   حميد المساعي من له خالص الحب

وقال العلامة عاكش:

سقى تربة (نجران) فيها مبكر   من المزن يسقي سوحها هاطل السحب
ففي سوح (نجران الجديد) مراتع   من الأنس تنفي للهموم من القلب

وقال مؤرخا:

وإذا سُمي (نجران) فقد   صار حقا في المباني مبتكر
وانتهى لي طالع الخير لنا   وعلى سمك المعالي قد ظهر
فلذا (نجران) بالعز سما   وله التاريخ عز بظفر

نخلان:

واد معروف مجراه شمالي صبيا بنحو ستة أميال تقريبا. قال الشاعر أبو دهبل الجمحي

أن تفد من منقلي نخلان مرتحلا يبن من اليمن المعروف والجود

وقال الأمير الشاعر القاسم بن علي الذروي:

لم يزل يشتاق نخلان وان.. قدم العهد ويهوى الكثبا

ما جرى ذكر المغاني في ربى ضبرات الشط إلا انتحبا

هائم القلب كئيب دنف لم ير السلوان عنكم مذهبا

ليت شعري بعدنا هل طنبوا بربى (نخلان) بعدي طنبا

ونرى الحي الذي كنا وهم جيرة بالشام أيام الصبا

حرف الواو

الواسط:

قرية من قرى وادي ضمد بين قريتي (المحلة) و (ملقوطة)، وقد صدحت قيثارة الشاعر ابن هتيمل عنها بأعذب النشيد وأرق الترجيع فقال:

هل يشفعان إلى الصبا فيمر في (دمن) بايمن (واسط) أدراس

فلعل أنفاس النسيم وبرده يطفي حرارة هذه الأنفاس

وقال:

وهل لكم علم بدارة (واسط) فأنشدكم عن عهدكم بالمعاهد

ومن المرجح أن كثرة الإستفهام دليل حرارة الإشتياق.

وقال:

ما أنصفتك الصحب ليلة (واسط) رقدوا وطرفك ساهر، لم يرقد

أو ما رأيت منازل ابنة مالك جعلت فؤادك موقداً للموقد

وعدتك ذات الريط وهي ملية في إثر موعدها بخلف الموعد

وتجلببت ورق الشباب فلم تدع جلدا لكل متيم متجلد

* * *

وقال:

هل الأثلات اللاء غربي واسط نواعم خضر ما بهن ذبول

وهل هن غضات كأن فروعها فروع العذارى ظللهن ظليل

فقد طالما أمست وأضحت ودوحها مبيت لغزلان الحمى ومقيل

وأشهد أنه إستفهام يذيب الوجدان ويهيج الأشجان لمن عرف ذلك المكان الرغيب ولا زال الأثل ماثلا في غربي القرية يتوارث الخلود وصيرورة البقاء بأجياله المتلاحقة وفسائله المتتابعة منذ ثمانمائة سنة، أما فتيات الحمى فقد شغلهن التعليم والدرس في عهد نهضتنا الصاعدة عن حياة اللهو البريء في ذلك العهد السحيق.

أيها السادة الأجلاء..

لقد شغلت وقتكم الثمين، بما أنتم أعرف به مني وقبل أن أختتم محاضرتي اسمحوا لي أن أحيي (جزيرتنا العربية) بقصيدة بعنوان (شبه الجزيرة العربية وبحارها) مستوحاة من خارطتها المجسمة وقد تكون من أول القصائد التي أنشئت في موضوعها:

(شبه الجزيرة) منعة وبناء ... وحمى العروبة، منبرا ولواء
وفضاء أرض قد تألق وازدهى ... أفقاً يشع رسالة وضياء
أرنو إليك فأستشف جلالة ... شماء توحي العزة القعساء
أعتز بالماضي العظيم وانثنى ... أملا بآت يفرع الجوزاء

* * *

أرضاً على التاريخ من أمجادها ... عبق يردده الزمان ثناء
خفقت بأعلام الفتوح فمدنت ... أمما وعممت الوجود رخاء
حملت مصابيح الحضارة للورى ... تبني الشعوب وتنشر الآراء

* * *

تتوسدين ذراع أحمر زاخر ... كالتبر ذوبا والشعاع رواء
متلألئ الأمواج في رأد الضحى ... متألقاً ضافي الجلال مساء
يرتاد منه اللحظ أصفى زرقة ... من لازورد يغمر الأرجاء
كقطيفة زرقاء قد نثرت بها ... (جزر) كإشراق النجوم صفاء
يختال بين شواطئ مسحورة ... حسناً، ويلثم ضفة عذراء

* * *

هام المحيط بها وهاب دنوها ... عذراء تغلو في الدلال حياء
فأحاطها من ساعديه وضمها ... ضماً يكاد يقارب الأجزاء
غرست لها المرجان كف وانبرت ... كف لتنشر (لؤلؤا) وضاء

* * *

يلتف حولك كالسوار وينثني	لهثا يردد زفرة حراء
نفساً تهيجه الرياح إذا زفت	شرقية وتعيده أنواء
يلتف كالأهداب زان فتونها	(وطف) يفيض السحر والإغراء
حي (الخليج) وحي بحراً ماؤه	(در) على وجه الخضم تراءى
حيث (المعادن) والكنوز دفينة	والزيت منبجس العيون سخاء
بحر بأخيلة الجمال شطوطه	رسمت، فكانت فتنة وسناء
وبه ليالي (الشرق) حالمة السنا	سكرى الشعاع وضيئة قمراء
ورؤى من الأحلام داعبها المنى	خفقت بأجراس النسيم غناء
تتنفس الأزهار ريا لحنها	عبقاً، وتومضه النجوم ضياء
شفافة الأسحار عاطرة الهوا	قد أرج الآفاق، والأرجاء
يتطلع النخل المنيف بشطها	شوقاً، يناجي الراية الخضراء

* * *

يا خير أشباه الجزائر ساحة	وأجلها في العالمين سماء
فيك الصحارى الفيح زان سكونها	سرٌ طوى الآباد والآناء
زانت حواشي متنها (إبل) هفت	فوق المروج ترزُّماً ورغاء
ذكرت مسارحها الفساح فحمحمت	خيلٌ ورجعت الرعاةُ حداء
فغدت بها الصحراء متحف فطرة	توحي البيان وتُلهم الإنشاء
فيك الجبال سلاسلاً قد نضدت	فوق السهول منيفة شماء
نيطت بأسباب النجوم تطاولاً	تعلو الكواكب عزة وعلاء
بسطت من النبت النضير سنادساً	وتدثرت زهر الربيع رداء

وختاماً أتقدم بخالص الشكر لجامعة الملك عبدالعزيز دعوتها الكريمة ولمديرها الدكتور محمد عبده يماني ولعميد كلية الآداب ـ الدكتور محمد زيان عمر رئيس لجنة إعداد المؤتمر كما أكرر شكري لكم جميعا على فضل إصغائكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مراجع البحث لمحاضرة الأماكن الجغرافية لمنطقة جازان

اسم الكتاب	اسم المؤلف
معجم البلدان	ياقوت الحموي
ديوان عمارة مخطوط	عمارة الحكمي
ديوان شعر مخطوط	القاسم بن هتيمل
ديوان شعر مخطوط	الجراح بن شاجر
المعجم الجغرافي لمنطقة جازان	محمد بن أحمد العقيلي
ديوان الأنغام المضيئة	محمد بن أحمد العقيلي
ديوان القلائد	محمد بن علي السنوسي
ديوان الأغاريد	محمد بن علي السنوسي
ديوان أجراس	حسن بن علي الفيفي
معجم ما استعجم	البكري
ديوان السلطانين تحقيق ودراسة وتحليل	محمد بن أحمد العقيلي
الأغاني	الأصفهاني
ديوان شعر	عبدالرحيم البرعي
نشر الثناء الحسن في تاريخ سادة اليمن ـ مخطوط	اسماعيل الوشلي
مجموعة ذات قيمة أدبية تحتوي على أشعار الإمام الإدريسي ومدائحه	بأقلام جماعة من رجال العهد الإدريسي
صحيح الأخبار	ابن بليهد
خلاصة العسجد في دولة محمد بن أحمد	عبدالرحمن البهكلي
صفة جزيرة العرب	الهمداني

جهود الجغرافيين المسلمين
في رسم الخرائط[1]

سعادة الرئيس.. أيها السادة الأفاضل

قبل أن نشرع في الإشادة بمجهودات الجغرافيين المسلمين في رسم الخرائط وتوضيح أعمالهم الرائدة أستسمح حضرتكم، في كلمة تمهيد، أتتلمد بها على علمكم الواسع، في استعراض بعض أدوار تطور علم الجغرافيا لدى الأمم السالفة، فإن العلوم هي جهود مشتركة، أسهمت فيها الأمم النابهة، ذات المدنية والحضارات، والرقي الفكري ومنهم - إن لم تكن شأتهم - الأمة الإسلامية، وجهود الجغرافيين المسلمين في رسم الخرائط الإقليمية والعالمية أشهر من أن تحتاج إلى إشادة، فقد أنجبت الأمة الإسلامية شخصيات أضاءت دنيا العلم، وآفاق الفكر، وأنارت بمجهوداتها الخيرة مجاهل الأرض وآفاق الكون.

أنجبت رجالاً وإن كان غابوا بأجسادهم عن هذه الدنيا الفانية فإنهم ما برحوا مادة إلهام، ومثار إيحاء لدنيا العلم، وإرث غني لأمتهم، فهم معين من الخبرة، وفيض من التراث الإنساني الخالد.

إن الإسلام قدم للبشرية - بعد الهداية للدين القويم - ضياء خالداً من العلوم شاركت في التقدم الحضاري والرقي الإنساني والتنوير البشري لمن يقله ويحيط به هذا الكوكب الأرضي.

إن الأعمال تختلف من حيث المنفعة، والرؤيا الصحيحة، والإبداع المبتكر، وإسعاد البشر، وعمارة الكون، والتقدم الحضاري.

فالأمم تعتد بمن أنجبت، من قادة ومصلحين ومبتكرين، ومخترعين وجغرافيين، ومؤرخين، وأدباء وشعراء فهم مشاعل أضاءت دنيا الفكر وأسهموا في تقدم المعرفة والفنون.

إن الإنسان ينتشر بقدرة الله فيمن حوله بتأثير أعماله الخيرة، وعلومه النافعة وأفكاره النيرة، منهم من ينتشر على مستوى أمته، ومنهم من هو على مستوى

---

(١) حاضرت بها في المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول المنعقد في قاعة الملك فيصل «الرياض» وكانت المحاضرة الثانية في اليوم الأول للمؤتمر، وهو يوم الأحد الموافق ١٣٩٩/٢/٢٣ هـ الموافق ١٩٧٩/١/٢١ م ونشرت في المجلد الثالث من كتاب المحاضرات عام ١٣٩٩ هـ.

العالم بأسره، ومن الآخرين علماء الجغرافيا المسلمين الذين تأثر بهم الغرب في نهضته الحديثة وغيرهم من علماء المسلمين كابن الهيثم، وابن سيناء، وابن رشد، وغيرهم.

إن العلماء المسلمين، ومنهم الجغرافيون، أعطوا من ذاتهم أكبر نصيب للعلوم، ومنها الجغرافيا، فقد أقبلوا أولاً على الترجمة، فلما نضجت معارفهم قاموا بالدراسة الميدانية والتطبيق العملي، والتمحيص والتدقيق العلمي.

ثم صنعوا الاصطرلابات العربية ومختلف الآلات الفلكية والأرضية، للمسح ومقاسات الإرتفاع، والمزاول، والساعات، والزوايا، والمساطر، وغيرها.

وانبرى فريق منهم للرحلات العلمية في البر، والبحر، لتطبيق ما درسوه على الطبيعة، واكتشافات المجاهل وقياسات الدرجات والظل في البلاد ودراسة أحوال الشعوب وعاداتها وتقاليدها، ودياناتها، وحيواناتها ونباتاتها، ومعادنها، ولم يقفوا عند الجغرافيا الوصفية، أو الفلكية، بل تجاوزوها إلى الجغرافيا الطبيعية.

فقطعوا في سبيل غاياتهم النبيلة، المفاوز، وجابوا القفار، واجتازوا الموانع، وامتطوا لجج البحار، يركبون غوارب الأمواج، ومخاضات الأنهار غير حافلين بالمخاطر، رغبة في تطبيق ما عرفوه، وتسجيل ما لم يصل إلى علم من سبقهم، مسطرين ملاحظاتهم على الأوائل مصححين أغلاط من سبقهم، ورسم الخرائط على ضوء ذلك.

في وقت كان الغرب يعيش في دياجير الجهالة، وهمجية التوحش، حيث لا يوجد في أوروبا بأسرها شيء من شعاع المعرفة، اللهم ما يتناقله رجال الكهنوت خفية.

حضرة الرئيس.. أيها السادة الأفاضل:

ليس في طاقتي الإحاطة، ولا في مقدرتي الشمول بمجهود الجغرافيين المسلمين في رسم الخرائط، وما حققوه من تقدم في علم الجغرافيا، وأنا سأشرع بمحاولتي المبتسرة التي أسميها محاضرة، بقدر جهدي القاصر في هذا المؤتمر الحافل الذي دعت إليه جامعة (الإمام محمد بن سعود) والذي يعد الأول من نوعه في جزيرتنا العربية ـ على ما أعلم ـ وتشتمل هذه الكلمة على:

١ ـ الجغرافيا قبل اليونان.

٢ ـ اليونان والجغرافيا.

٣ ـ الرومان والجغرافيا.
٤ ـ العرب والجغرافيا.
٥ ـ جهود الجغرافيين المسلمين في رسم الخرائط.
وأسأل الله التوفيق.

المعلومات الجغرافية قبل اليونان

يظهر ـ وإن كان لا يوجد الدليل ـ إن الفينيقيين هم أول من وضع أو أسهم ولو بوضع الخطوط الأولى في علم الجغرافيا، يهتدى إلى ذلك من معرفة رحلاتهم البحرية، ونشاطهم التجاري.

فالفنيقيون هم من عرفوا بترويض البحار في أسفار موسمية، ومخر أثباج الأمواج ومسحهم الشواطىء، جيئة وذهاباً، واقتحموا الصعاب، واتخذوا من البحر الأبيض مجالا حيوياً، وقبله من الخليج العربي، والبحر الأحمر، قبل انتقالهم من الخليج إلى لبنان، وتسميتهم مدن مهجرهم الجديد بأسماء مدنهم في الخليج، كـ(صور) و (الجبيل) وغيرهما. منذ ما يقارب خمسة وثلاثين قرناً.

كانت مدينة صور عاصمتهم وقاعدة تجارتهم. يصلون إليها بمحاصيل أقطار العالم، ومنتوجات الدنيا ومن «صور» توزع على الأسواق تجارياً، وتتداول... إقتصادياً، بين الهند وشمال افريقيا، وبين بلاد العرب السعيدة موطن البخور والطيوب إلى بلاد اليونان شمالا.

من فوائد تلك الرحلات، ومن نتائج مغامرتهم الجريئة، وأسفارهم التجارية الناجحة، استفادوا علمياً باختباراتهم وتجاربهم، وإقتصادياً بتبادل المنتوجات وجلب السلع والعروض، فأصبحوا دهاقين التجارة، وسادة البحار.

فنمت معلوماتهم بخطوط المواصلات البحرية والمسالك العالمية، وأحوال الأمم ـ المعروفة ـ آنذاك ـ ومعرفة المدن ـ والمسافات بين البلدان، وأنسب الفصول للأسفار، ومواسم هبوب الرياح واتجاهاتها والإستدلال بمعرفة النجوم وغير ذلك.

فأتقنوا فن الملاحة، مما مكنهم من معرفة عالم عصرهم، ودنيا عهدهم، والسيطرة على التجارة حتى حطمهم الرومان وتفردوا بالسيطرة كما هو معروف.

ولا يبعد أن يكون للبابليين والأشوريين والحيثين مع ما وصلوا إليه من شأو حضاري بعض المعلومات الجغرافية، وإن كان شأنها أقل بكثير من المعلومات الفينيقة والتي يقال أن بعضها وصل إلى اليونان.

اليونان والجغرافيا

بعد نحو ما يقارب ألف سنة من عهد النبي موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم، أَهَلَّ العهد اليوناني، الذي عاش فيه شاعر اليونان الكبير (هوميرس) الذي نظم معلوماته الجغرافية في ملحمته المشهورة... (الإلياذة).

ظل اليونان على تلك المعلومات الضحلة، حتى ظهور مؤرخهم في سنة ٤٨٤ ق.م وبعد استكمال دراسته قام برحلاته ـ المعروفة ـ إلى ممالك عصره، فزار ضمن ما زاره من البلاد (مصر) وسجل معلوماته عن البلاد التي زارها ومنها مصر، التي أفاد عنها بمعلومات جيدة.

واليونان هم بدورهم ـ أيضاً ـ جعلوا البحر الأبيض نقطة ارتكاز ومجال حيوي لنشاطهم التجاري والسياسي، وامتد نشاطهم الملاحي إلى البحر الأحمر لتجارة البخور وغيره.

ومن ما وصل إليهم بالرواية حتى عن الفينيقيين، ومن أخبار روادهم الأوائل، ومما جاء في الإلياذة تكونت معلوماتهم الأولية التي كانت أساساً لدراسة الجغرافيا دراسة مبدئية.

حملة الإسكندر ليفتح العالم

في سنة ٣٣٤ ق.م تقدم بحملته المشهورة، وكان بصحبته رجال من العلماء والمؤرخين والجغرافيين وغيرهم فاشتغل كل منهم في دائرة اختصاصه.

ومن حصيلة جهودهم منذ خروجهم إلى أن وصلوا الهند، ومن المعلومات التي جمعها المختصون في أساطير تجمعت حقائق ومعلومات عن البلاد التي شملتها فتوحاته.

وكان لخلفائه وبالأخص البطالسة، شغف علمي دفعهم إلى العناية بجمع المعلومات الجغرافية عن شواطىء البحر الأحمر، أضيفت إلى معلوماتهم السابقة

ومعلومات رجال حملة الإسكندر.

من كل تلك المعلومات المتفرقة قام (أرتستين) اليوناني المتوفى سنة ١٩٦ ق.م في عصر البطالسة بتأليف كتاب سجل فيه كل ما وصل إلى علمه عما يروى عن الفينيقيين وعن الرواد الأوائل وما سجله (هيردوت)، وما جاء عن معلومات علماء حملة الإسكندر وغيرهم.

وجاء بعده الرحالة (استرابون) والجغرافي (بيلنيوس) وسجلا ما وصل إلى علم كل منهما، وقد كتب البقاء لكتاب الرحالة (استرابون) إلى هذا التاريخ.

وفي أواسط القرن الثاني ألف بطليموس كتابه الخالد (جغرافيا) أو (الجغرافيا) فحدد المدن وغيرها بالحسابات الفلكية، والطرق الرياضية ورسم الخرائط المتقنة على خطوط الطول والعرض.

الرومان والجغرافيا

من المعروف ما بلغ إليه سلطان روما من اتساع امبراطوريتها، وما شملته في القارات الثلاث، وما يتطلب ذلك من معلومات جغرافية، بمعرفة مناطقها ومدنها، ومسافاتها، والطرق المؤدية إليها، وطبيعة كل منطقة وموقعها، الأمر الذي استدعى من الدولة الاهتمام بالمعلومات الجغرافية، والتشجيع على جمعها، والأخذ بيد المؤلفين.

وكانت أكثر معلومات الرومان، مستقاة من التجارة وقوافلها، أو مراكبها فمعلوماتهم بالطرق التجارية الرئيسية والأكثر أهمية ـ بالنسبة إليها ـ تجاريا وحربياً، والأمم التي حولها، والشعوب الأكثر ارتباطاً ومصالحاً تجارية بها معلومات صحيحة في الغالب.

إن ترامي أقطار تلك الإمبراطورية وتنوعات محاصيلها، ووفرة انتاجاتها جعلتها تقرب من الاكتفاء الذاتي، إلا ما ندر، لذلك فكانت لا تستورد من الخارج إلا وسائل الترف، أو المواد الكمالية، ومنها العنبر الذي كان له سوق نافقة، فيجلب إليها من شواطىء البلطيك، ويرسل إلى مناطق البحر المتوسط، في طريق تقطع نهر الدانوب، ومنه تدور حول مرتفعات الألب الشرقية، فالبحر الإدرياتي.

فتوفرت لديهم معلومات عن أوروبا مستقاة من تجارة تلك المادة، ووفرة المال وبذخ أشراف روما يتطلب الحصول على الأحجار الكريمة، والطيوب، والعاج،

والبخـور، والمنسوجات الرفيعة، وهي مواد ومنتوجات مصدرها الهند وعدن من البلاد العربية، وبعد ذلك الحرير والورق من منتوجات الصين.

وروما تتقاضى رسوم جمركية على تلك السلع تعد من مواردها الرئيسية وذلك يستـدعي حراسـة الحـدود برا وبحـراً، فضـلاً عمـا يقتضيه موقعها العالمي كامبراطورية، كل ذلك يستوجب سواء في الدوائر الرسمية، أم من الباحثين، أن يغلب على هذا العمل الطابع الإقتصادي والسياسي أكثر منه الطابع العلمي.

لما سبق حرصوا على معرفة طريق الهند عبر المحيط الأطلنطي، متحاشين بقدر المستطاع الإبتعاد عن الساحل خشية القراصنة، وقد يقول قائل: إن طريق المحيط إلى الهند لم يكتشفها إلا (فاسكودي جاما) سنة ١٤٩٨م بإرشاد الربان العربي ابن ماجد، فنقول له: إن المعارف الجغرافية اليونانية والرومانية، قد أسدل عليها الجهل الأوروبي حجباً كثيفة فتوارت في ظلام النسيان ومهامه الإهمال، ولم تعد تلك المعارف إلى أوروبا ثانية إلا بفضل المسلمين فترجمها الأوروبيون من العربية بعد أن أتموا تحصيلهم العلمي في طليطلة، وقرطبة، وغيرها.

لقد كان السفر من (عدن) إلى الهند للأساطيل التجارية الرومانية يستغرق مدة ثلاثة سنوات إيابا وذهاباً، إذ شغف أغنياء وأشراف روما بمنتوجات الهند من المنسوجات المفضضة والمذهبة والعطور والأحجار الكريمة واللؤلؤ، والأفاويه - وبـالأخص (الفلفل) وما يدره من الأرباح.. الجزيلة تغري بتحمل تلك المشاق، فظلوا على تلك الحال، حتى تمكن بحار جريء يسمى (هيبالوس) بذكائه الخارق، من معرفة موسم هبوب الرياح الموسمية التي تدفع مركبه إلى الهند، والعكس، فكان ذلك إكتشافاً له أهميته القصوى بالنسبة إلى عصره بحيث اختصر إلى اثنى عشر شهراً ذهاباً وإياباً، فازدهرت التجارة بين الهند وروما.

وبذلك استطاع رائد علم الجغرافيا (بطليموس) في عهد الإمبراطور (هدريان) أن يحصل على معلومات جديدة ومفيدة عن الهند والبلاد التي وراءها.

وأتى بعد ذلك إهتمام الرومان بالتجارة مع الصين عبر آسيا الصغرى وجبال التركستان، الذي كان الوحيد لإنتاج الحرير من نسيج دودة القز.

ومن عهـد الامبـراطور (يـوليوس قيصر) أصبح الحرير مادة الحصول على الأرباح الطائلة والمال الوفير لا يدره أي شيء آخر في أوروبا بأسرها.

فسار الاتجار مع الصين إلى القرن السادس بعد تمكن الرومان من إغراء بعض المجازفين بجلب دودة القز إلى القسطنطينية، وبذلك تمكنوا من تصنيعه، وهكذا كانت التجارة وسيلة الرومان للمعلومات الجغرافية.

الجغرافيا عند العرب

الشعر بالنسبة إلى العرب أولاً، والمسلمين ثانياً، هو المادة الأولى لعلم الجغرافيا، أو بالأصح علم تقويم البلدان.

لقد تضمن الشعر الكثير من أسماء الأماكن والمعالم والروضات، والمنتجعات والمراعي والجبال والأودية والغابات والبلدان وموارد المياه.

كان العربي يسجل مشاعره في شعر رفيع وبيان مشرق، مهاد طفولته ومراتع صباه ومواضع لهوه ولعبه، ومسارح أنعامه، ومواقع غزواته، وميادين معاركه، في شعر ينبض بالأحاسيس ويشع بدفء العواطف، ويجيش بأسمى المشاعر.

وفي الأعشى الشاعر الجوال، الذي كان يجوب أنحاء الجزيرة، من مشارف حضرموت إلى أقاصي الشام ما يعرفه حضراتكم.

وفي المعلقات السبع، أو العشر - على رأي البعض - مادة غنية بما يسمى بالجغرافيا الوصفية، فهذا أمرؤ القيس يقول في مستهل معلقته:

قفا نبك من ذكر حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فذكر ثلاثة مواضيع وهي (سقط اللوى) - الدخول - حومل) في بيت واحد إلى أن يقول:

أصاح ترى برقاً أريك وميضه ... كلمع اليدين في حبيٍّ مكلل
قعدت وأصحابي له بين ضارج ... وبين العذيب بعدما متأمل
على قطن بالشيم أيمن صوبه ... وأيسره على الستار فيذبل
فأضحى يسح الماء حول كتيفة ... يسح على الأذقان دوح الكنهبل
ومر على القنان من نفيانه ... فأنزل منه العصم من كل منزل
وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ... ولا أطماً إلا مشيد بجندل

فقد ذكر في الستة الأبيات أسماء (ضارج) و (العذيب) وجبال (قطن ـ الستار ـ يذبل ـ كتيفة ـ القنان ـ تيماء) وهذا زهير بن أبي سلمى يقول في معلقته:

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن ... تحملن بالعلياء من فوق جرثم

جعلنا القنان عن يمين وحزنه ... وكم بالقنان من محل ومحرم

ووركن بـ (السوبان) ثم جزعنه ... عليهن دل الناعم المتنعم

بكرن بكورا واستحرن بسحرة ... فهن ووادي (الرس) كاليد للفم

وعنترة العبسي يحدد لنا محلة محبوبته (عبلة) ومنتجع قومه فيقول:

وتحل (عبلة) بـ (الجواء) وأهلنا ... بالحزن فـ (الصمان) فـ (المتلثم)

وجاء دور الأسواق العربية، ومن دومة الجندل ـ في شمال مملكتنا إلى (عثر) في جنوبها، إلى أسواق جنوب جزيرتنا العربية، فاقتضت الرحلات والنشاط التجاري في مواسم معروفة، من التجار والمتسوقين، ثم قوافل التجارة بين الشرق والغرب، وهي تقطع الجزيرة من مواطن البخور والطيوب إلى فارس وأقاصي الشام وآسيا الصغرى، وفي البحر تجتاز التجارة العربية إلى الحبشة، وأيضاً إلى الهند وكانت بعض القوافل تبلغ إلى ثلاثة آلاف جمل.

وكان للحج قدسيته في الجاهلية، عند العرب، فيحج إليه من أنحاء الجزيرة، كل ذلك أسهم في معارف العرب الجغرافية عن جزيرتهم وما حولها.

وجاء الإسلام بنوره الساطع وهديه القويم، وفرقانه المبين الذي لا يأتيه الباطل، جاء لهداية العالمين، وقص سبحانه وتعالى أحوال الأمم الماضية والحضارة البائدة، والمدن المندثرة والباقية، مما فيه ذكرى وعبرة وعظة فاستنارت البصائر واتسعت المدارك.

وكان لغزوات النبي صلى الله عليه وسلم، وسراياه الريادة الأولى لتعرف المسلمين على معلومات جديدة بالنسبة لما سبق، فمن هجرة إلى الحبشة إلى غزوات في شرق الجزيرة وشمالها، ثم إلى جنوبها، وكانت لا يطرقها أحد منهم فضلا أن تغزى، إلا بدليل أو صحيب.

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما هاجر إلى المدينة استصحب معه دليلا، وجاء دور البعوث والوفود فسلكت السبل وتسهلت الطرق التي كان قل من يسلكها.

وكانت السنة العاشرة للهجرة (عام الوفود) فأقبلت وفود العرب من أرجاء

جزيرتهم إلى المدينة من كل صقع وصوب، معلنة إسلامها فاتسعت آفاق المعرفة وترسخت المعارف، فإن الرحلات على الركاب والخيل، مع الحل والترحال، تتيح للمسافر المشاهدة والمعاينة.

والخلفاء الراشدون رضي الله عنهم ـ كما تروى سيرهم ـ لا يبعثون بعثا أو يرسلون جيشاً إلا بعد أن يسألوا عن الطريق التي سوف يسلكونه والبلاد التي ستغزى.

وفرض الله الحج على المسلمين في سنة ست ـ عند الجمهور، واختار ابن (القيم) أنه فرض سنة تسع أو عشر وفيه خلاف ـ وبعد فتح مكة أقبل المسلمون إلى الحج. ودخل الناس في دين الله أفواجاً. وساد الأمن وانتشر الإسلام وأقبلت وفود الحجاج. فأضيف رصيد من المعارف الجغرافية.

وجاء دور الفتوح، في عهد الخليفة الأول، فاستنفر أبناء الجزيرة العربية، فأقبل مجاهدوها من جميع الأقطار إلى مركز التجمع في عاصمة الإسلام، صوب العراق والشام، وهي أقطار كان لا يصلها إلا تجار، أو ممتارون في أعداد محدودة، مشتغلين بما وصلوا لأجله، ليس إلا.

أما هذه الجموع والحشود، من جيوش المسلمين الذين همهم الأول إعلاء كلمة الله، ثم معرفة البلاد التي يفتحونها أولاً ويستوطنونها ثانياً، فيقتضيهم الحال كفاتحين ترسيخ المعرفة بأرضها وجبالها وسهولها وأنهارها وودیانها ودروبها، وبيئتها وطبائع أهلها.

ودخل الناس من أهل البلاد المفتوحة في دين الإسلام، وأقبلوا لأداء فريضة الحج أو الاتصال بعاصمة الإسلام لشتى الأغراض، واحتاجت الخلافة لتأمين طرق المواصلات ولإرسال الإمدادات والمؤن واستقبال الخراج واتصالات البريد. فتجمعت المعلومات الجغرافية من جراء ذلك من أخبار الغزاة، ورواية الإخباريين والقصاص وغيرهم، ومن علم الأمم التي شملهم الفتح، فأصبحت معارف المسلمين تتعدى محيط جزيرتهم إلى العراق، وفارس، والشام، ومصر، فليبيا، والمغرب.

وما انتهى عهد الخلفاء الراشدين إلا وهناك معلومات جغرافية عن تلك الأقطار التي فتحت في كل من آسيا، وافريقيا، وحصل اختلاطهم بأهل البلاد بالمصاهرة والحلف، والمجاورة، والمشاركة، وهم أمم ذات حضارات وثقافات ومفاهيم وتصورات حضارية، من فرس، وروم، وقبط، وسريان، وبربر، وبحكم الإختلاط

والإحتكاك تفهم العرب ما لديهم من المعلومات الجغرافية، التي هم في أهم الحاجة إليها في تطلعاتهم المستقبلية، وحاضرهم المتفتح، لتطور سير الحياة في الإدارة والقيادة والسياسة والسيادة، واتصلت بالرواه والإخباريين والقصاص فرووها بدورهم - مؤخراً - للمؤلفين فسجلوها كحقائق بدون تحقيق أو تحري أو تمحيص، وأضيف إليها مادة جديدة هي فضائل البلدان، كفضائل اليمن، وما أورده ابن عبدالحكم في كتاب (فتوح مصر).

لم يمض قرن على سطوع شمس الإسلام حتى خفق علمه المظفر على أغلب أقطار آسيا وافريقيا وقسم من أوروبا.

وبطبيعة الحال إن إدارة تلك الإمبراطورية المترامية الأطراف، الشاسعة المساحة، المختلفة الأجناس تتطلب المعرفة العلمية ومنها المعلومات الجغرافية الوصفية في المرحلة الأولى، والفلكية في المرحلة اللاحقة.

لقد استولت الفيالق الإسلامية على العراق وما يليه من بلاد فارس، واجتاحت سوريا سنة ١٦-٦٣٨، وبلاد ما بين النهرين سنة ٦٤٠ - تقريباً - واستولت بعدها على ما تبقى من بلاد فارس وأرمينية، وكردستان وأذربيجان وما وراء النهر، هذا في المشرق.

أما بالنسبة إلى الغرب، فقد فتحت مصر سنة ٣٠- ٦٤٣ وسارت لفتح ليبيا - بعد ذلك - ولم يتوقف القائد عقبة بن نافع إلا على شواطىء المحيط الأطلسي.

وفي سنة ٥٤ - ٦٧٢ أستأنفت الجيوش الإسلامية نشاطها الحربي حتى أشرفت على سور الصين، ومن الناحية الأخرى، اجتاحت مقاطعة السند بعد ذلك بفترة على يد القائد البطل محمد بن القاسم الثقفي.

أما في الميدان الغربي فقد تطلعت الجيوش الإسلامية إلى ما وراء البحر الأبيض المتوسط، فغزا القائد البطل طارق بن زياد الأندلس، وبعد أن وطد دعائم هذا الفتح العظيم، تقدمت الفيالق الإسلامية حتى توقفت على نهري الرون والسون، وشعرت أوروبا بما ينتظرها بعد ذلك، فالتفت تحت قيادة شارل مرتل، ودارت معركة بونييه سنة ١١٩ هـ.

ومن الناحية الأخرى تراجعت الجيوش الإسلامية من تحت أسوار القسطنطينية فكان من جراء ذلك انحسار المد الإسلامي عن أوروبا من الشرق ومن الغرب، ولو أراد الله سبحانه وتعالى غير ما قدر لكان الآن تسمع أصوات الأذان تدوي

في أجواء أوروبا بأسرها.

إن علم الجغرافيا بدأ لدى اليونان شعراً في إلياذة هوميروس، كما بدأ لدى العرب أولاً ثم لدى المسلمين ثانياً، بدأ شعراً يزخر بالعواطف ويجيش بالمشاعر، وفي بعض ما أوردناه عن الشعر الجاهلي ما يغني عن الإعادة.

أما في الشعر الإسلامي فهذه نماذج غنية بالجغرافيا الوصفية، لا في الجزيرة العربية فقط بل هو في البلاد التي فتحت، قال كعب بن الأشقر الأزدي:

تلبسوا لقراع الحرب بزتها	**فأصبحوا من وراء الجسر قد عبروا**
ساروا بألوية للمجد قد رفعت	**وتحتهن ليوث في الوغى وقر**
حتى إذا خلفوا الأهواز واجتمعوا	**بـ (أمهرمز) وافاهم بها الخبر**
حتى اجتمعنا بسابور الجنود وقد	**ثبت لنا ولهم نار لها شرر**
عبوا جنودهم بالسفح إذ نزلوا	**بـ (كازرون) فما عزوا ولا ظفروا**
بـ (دشت بارين) يوم الشعب إذ لحقت	**أسد بسفك دماء الناس قد زأروا؟**
لما زواهم إلى (كرمان) وانصدعوا	**وقد تقاربت الآجال والقدر**
تأتي علينا حزازات النفوس فما	**نبقي عليهم، ولا يبقون إن قدروا**

ورغبة في الإختصار، فإن (كُثير) الذي هو من أغنى الشعراء بذكر الأماكن، وشعر ذي الرمة والشماخ وشبيب بن البرصاء و(عدي بن الرقاع) و (كعب بن الأشقر) ما يغني.

ومن شعر الرجز، قصيدة أحمد بن عيسي الرداعي،، وهي من أهم الأراجيز التي وصفت طريق الحج، والتي عدد فيها المراحل من أقاصي اليمن إلى مكة المكرمة، ويكفي في الإشادة بهذه الأرجوزة أن جميع الباحثين عن موقع سوق (عكاظ) التاريخي استرشدوا بها، واستناروا بما ورد فيها إذ يقول:

يا هند لو أبصرت عن عيان	**قلائصاً يوضعن من (جلدان)**

وجلدان موضع معروف باسمه إلى هذا التاريخ.

إلى أن يقول:

إذا انتحى القوم على الخوص العنق	**عن ذات (أصداء) سنامى (الفتق)**
العيد هيات العياهيم السحق	**وقد طوت (حنطوة) الخرق الأمق**
حيث يريد الصخر عن غرب الطرق	**أقول للبارق وهنا إذ برق**
لو أمضى البرق اليماني المؤتلق	**أيسر (نعمان) إذا شق الأفق**

فقلت لما ثاب لي احتفاظي	والقلب فيه شبه الشواظ
سل الهوى عن قلبك المغتاظ	والعيس تطوي الأرض بالمظاظ
مشفقة من زاجر كظاظ	مسهلة للخبت من (عكاظ)

* * *

فانجردت بالرفق العصائب	عيدية مفعمة المناكب
تاركة (قران) (للمناقب)	بحيث خط الميل كف الكاتب
و (شربا) في جنح، ليل واقب	بكل محض حسن الضرائب

ويقول الهمداني في شرح الثلاثة الأبيات الأخيرة و (قران) و... ؟شرب) مكانان من أرض عكاظ، وهذه المواضع من المحجة على يوم وكسر ويسير الناس من (قران) و (شرب) ذات اليسار، فيصعدون رأس السراة، وتسمى (المناقب) وينزلون على قرن وهو ميقات أهل نجد.

ولأستاذنا الشيخ حمد الجاسر رسالة قيّمة قديمة تعد أفضل تحقيق كتب عن موقع عكاظ التاريخي وخارطة للموقع وما حوله.

ويجيء - بعد الشعر - كمادة لعلم الجغرافيا الوصفية الرواة والإخباريون والقصاص مصدراً لتفسير الشعر.

لقد تغيرت المفاهيم - في القرن الثاني وأول القرن الثالث - لما طرأ من الحضارة في الإسلام فأصبح الحواضر ليسوا في مستوى العربي الذي يعيش في البادية، في رعي أنعامه، ضارباً في أجواز الفلاة في طلب الكلأ يمارس الغارة والرعي، على علم وبصيرة بأرضه وما حولها لما تقتضيه ضرورة الانتجاع. والحل والترحال، وهو على معرفة بمسالكها ودروبها. وأعلامها ومجاهلها، وموارد المياه ومواطن الرعي فقد يضل الطريق، أو تعمى عليه السبيل فيسترشد بالبيت من الشعر ويستنير بمضمونه إلى معرفة ما حوله من جبل شامخ، أو صحراء منداحة أو كثبان مهالة، أو غدير رقراق.

فجاء الرواة الذين ضربوا في أجواز الصحراء، وطرقوا مضارب العرب لطلب رواية الشعر وتلقي الفصحى من أفواه الصرحاء ليقوموا بدور الشرح والتفسير.

ومن أشهر الرواة والإخباريين الذين تجمعت لديهم روافد الرواية والأخبار وقاموا بدور التأليف في مادة تقويم البلدان - الجغرافيا الوصفية.

١ ـ أبو سعيد عبدالملك الأصمعي ـ وكتابه من مصادر معجم البلدان لياقوت.
٢ ـ أبو المنذر هشام بن محمد الكلبي ـ صاحب كتاب تقويم البلدان وقد أشار إليه.
٣ ـ أبو عبيد الكوفي.
٤ ـ أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني صاحب كتاب «صفة جزيرة العرب».
٥ ـ أبو الأشعث الكندي صاحب رسالة جبال تهامة.
٦ ـ أبو محمد الفندجاني صاحب كتاب مياه العرب
٧ ـ أبو سعيد السيرافي
٨ ـ محمد بن إدريس بن أبي حفصة في كتابه المناهل
٩ ـ محمد بن موسى الحازمي
١٠ ـ أبو الفتح الإسكندري.

هذا على سبيل الإختصار ليس إلا.

إن معلومات الأمم تبدأ بالشعر وتليه الرواية ثم يأتي دور تسجيل المعلومات وتدقيقها وتمحيصها ثم التحقيق والتسجيل الأولي، وأخيراً دور الدراسة العلمية والتطبيق العملي الذي هو يليه دور الإبداع والابتكار، وهكذا بدأ علم الجغرافيا لدى المسلمين بالشعر فالرواية وتطور بحكم ما يقتضيه التطور إلى علم الجغرافيا الفلكية.

جهود الجغرافيين المسلمين

الجغـرافيون المسلمون منحوا العالم أسنى عطاء وأجزل المكاسب العلمية، وأفرزت معارفهم ضياءً خالداً، وعلماً نافعاً، وخرائط رائدة ظلت نحو أربعمائة سنة، هي القبس المشع، والنور الهادي، والمصدر الثر لعلماء الغرب.

بدأت الترجمة في العهد الأموي ـ على نطاق محدود وجهود فردية ـ ورسمت بعض الخرائط الأولية. وإن كانت لم تصل إلينا، وهذا ابن الفقيه الهمذاني يذكر في كتابه (البلدان) ص ٢٨٣ أنه رسمت للحجاج بن يوسف الثقفي خريطة لبلاد اليام ، ومن البديهي أنه لو لم يسبق إلى علم الحجاج مثل ذلك لما أمر به.

وترجم ابن المقفع المولود سنة ١٠٦ هـ أي قبل زوال الدولة الأموية بست وعشرين سنة كتاب كليلة ودمنة من لغته الفارسية، كما ترجم من اليونانية كتاب

تحليل القياس لأرسطو.

وقـامت الدولة العباسية سنة ١٣٢ـ ٧٥٠ وبعد موت مؤسسها أبي العباس السفاح خلفه أخوه أبو جعفر المنصور، الذي أمر برسم خريطة لقنوات البصرة، كما أورد ذلك البلاذري صـ ٣٧١ في كتابه فتوح البلدان.

فهـل لا يكـون ـ وامبراطوريته المترامية الأطراف وهي أهم عليه من قنوات البصرة ـ قد أمر برسم خريطة أو خرائط لها.

وفي عهده بدأت الترجمة على المستوى الرسمي، فقد بعث رسالة إلى الهند وفارس والروم. في طلب الحصول على كتب علوم الأوائل فوصله كتاب (السند هند) فأمر رائد علم الهيئة والجغرافيا في عهده محمد بن ابراهيم الفزاري بنقله إلى العربية.

ولم يقف نشاط الفزاري عند الترجمة، بل ألف كتاباً في الفلك استنار به العرب، وقد يكون هو أول كتاب في الفلك بالعربية لمؤلف مسلم.

لم نجد فيما لدينا من المصادر تاريخ مولده، وإنما نستنتج من تاريخ ابتداء قيامه بترجمة الكتاب المذكور في سنة ١٥٦ هـ ٧٧١م أنه قام به وهو في كمال نضوجه العلمي ـ أي في سن ٤٥ سنة. فإذا صدق استنتاجنا، فيكون مولده سنة أحد عشر ومائة، في العهد الأموي، فأظله العهد العباسي وعمره واحد وعشرون عاماً أي أنه ولد ونشأ وتعلم وحفظ بعض اللغات في العهد الأموي.

سيدي الرئيس ـ سادتي الأفاضل:

إن الفزاري مفخرة إسلامية، وحسبه تنويها وإشادة قول الوزير يحيى بن خالد ابن برمك: أربعة لم يدرك مثلهم:

١ ـ الخليل بن أحمد الفراهيدي.
٢ ـ محمد بن ابراهيم الفزاري.
٣ ـ الإمام أبو حنيفة.
٤ ـ ابن المقفع.

ومن مؤلفات هذا النابغة المسلم الكتب الآتية:

١ ـ كتاب الزيج
٢ ـ كتاب الاسطرلاب المسطح.
٣ ـ كتاب المقياس للزوال.
٤ ـ ارجوزة في علم النجوم.

وقد أورد المؤرخ والجغرافي المسعودي فقرة من كتاب «الزيج» في كتابه «مروج الذهب» تضمنت وصفاً للعالم المعروف آنذاك.

ثم أمر أبو جعفر المنصور بترجمة كتب بطليموس التي وصلت إليه. وهي الترجمة الأولى وقد مرت ترجمة علوم الأوائل بأكثر من دور.

لقد أقبل المسلمون في الدور الأول على الترجمة وهم مندفعون بزخم رغبة التطلع العارم. ونهم العقل الراغب في التفوق. فترجموا في عجلة الألفاظ وأبقوا المصطلحات العلمية والمسميات الفنية بألفاظها الأعجمية مثل:

١ ـ الهيبولي (المادة الأولى)
٢ ـ الجغرافيا علم تقويم البلدان.
٣ ـ الأريتماطيقي (علم الحساب)
٤ ـ الأسطرقوميا (علم النجوم).

وغير ذلك:

أما في الأدوار التالية. وهو دور المراجعة والتروي والتدقيق والتمحيص فكانت الترجمة في تروي وأناة، والتعريب الصحيح الجاد، ووضع أسماء عربية لتلك المصطلحات الأعجمية، فاخترعوا أسماء عربية بطريق المجاز أو الاشتقاق، أو المصدر الصناعي. فقالوا:

١ ـ المادة الأولى	٥ ـ الماهية	٩ ـ الكيفية	١٣ـ الكروية
٢ ـ الجوهر الفرد	٦ ـ الشعوبية	١٠ـ الكمية	
٣ ـ العرض	٧ ـ الطائفية	١١ـ الثقل	
٤ ـ الجزء	٨ ـ المذهبية	١٢ـ الحركة	

كما أضافوا لا النافية فقالوا: اللاإرادية، اللانهائية، وغير ذلك، بل ألفوا كتاباً مستقلاً للتعريف بالمصطلحات العلمية مثل كتاب (مفاتيح العلوم).

إن العلماء المسلمين قاموا بدورهم البناء في تقدم الحضارة والعلوم وطوعوا لغتهم، فاستوعبت حضارة من تقدمها، ومدنية من سبقها فأغنوها بمفردات لم تكن معروفة في موطنها، من جذورها الأصلية فأوجدوا الأسماء لكل المصطلحات الفنية والكلمات الحضارية.

من المعلوم أن العناية بالترجمة لعلوم الأوائل بلغت غاية عنفوانها وأوج نشاطها

في عهد الخليفة المأمون، منشيء دار الحكمة، أول إكاديمية في التاريخ الإسلامي.

إن الخليفة المأمون ملك من طراز فريد، سعد ـ بحق ـ التفوق العلمي والنبوغ الفكري في ظل ملكه والذي أمر باجراء أول تجربة على الطبيعة وتطبيق عملي لدورة الأرض، عندما أطلع في بعض المصادر منها أربعة وعشرين ألف ميل، فأمر بني موسى بن شاكر بأن يقوموا بالتجربة، فساروا إلى صحراء سنجار، وكانت التجربة المعروفة تاريخياً، وحققوا مساحة الدرجة الواحدة ستة وستين ميلا وثلثي الميل.

ومن المعروف أن الأرض مقسمة إلى ثلاثمائة درجة ٦٦ × ٣٦٠ = ٢٤٠٠٠ وفي عهـد المـأمون رسمت أول خريطة، أو خرائط على مستوى العالم وعرفت بالخرائط المأمونية، ولا غرو فدولة الإسلام في عهد المأمون هي أكبر دولة في عهدها ولها شبه سلطانها العالمي بالنسبة إلى غيرها.

لقد سبق في جغرافية بطليموس مصور للعالم في عصره، كما يشير ياقوت في معجم البلدان أنه رسمت لاردشير من الملوك الساسانيين خرائط للعالم، وروى أحمد الطوسي أنه رسمت كذلك لـ (قباذ) وإنما ريادة الجغرافيين المسلمين تفوق كل ما سبقها.

لم تكن تلك الجهـود الجغـرافيـة في عهـد المأمون إلا بداية رائدة لما بعدها، ومن رجالها محمد بن موسى الخوارزمي صاحب كتاب «صور الأرض» وغيره مثل أبو جعفـر الخـازن الذي يشيـر صاحب الفهرست أنه أول واضع لهذا النوع من المصورات الجغرافية.

وجاء العالم الجغرافي الشهير أبو عبدالله محمد بن جابر البتاني المولود سنة خمس وثلاثين ومائتين وهو صاحب كتاب الزيج الصابي المشتمل على:

١ ـ خرائط لـ ٩٩ بلدة.
٢ ـ جداول لأطوال وأعراض الأرض.
٣ ـ الأرصاد التي قام بها.
٤ ـ الآلات المستعملة في زمانه.

لقد بنى أرصاده على ما قام به بنفسه في مدينتي (الرقة) و (انطاكيا) في سوريا. وحققها على كتاب الزيج الممتحن لأحمد بن عبدالله الحاسب من فلكي

وجغرافيي عصر المأمون، وعلى كتاب بطليموس من الترجمة السريانية.

ومن أعماله المهمة ـ أيضاً ـ الأرصاد التي قام بها ابتداء من سنة ٢٦٧ ـ ٣٧٠ لقياس ارتفاع الشمس في الظهيرة عند المنقلبين الصيفي والشتوي وقد وجد قمة الزاوية ٣٥ ـ ٢٣ ويقول الدكتور إمام ابراهيم أحمد، أثبتت الحسابات الحديثة أن القيمة الصحيحة لا تختلف إلا بمقدار دقيقة. هذا مع ما في آلات الرصد القديمة من بدائية وقصور عن الآلات الحديثة المتطورة.

لقد تعدت شهرة البتاني العالم الإسلامي إلى الغرب فهو يعد لديهم في الدرجة الأولى في علم الفلك وقد أشاد به غير واحد منهم.

١ ـ نوه به (كاروجوي) في كتابه (تاريخ الرياضيات).
٢ ـ عده (لالاند) من عشرين فلكياً شهروا في العالم.
٣ ـ نعته (سارتون بأعظم فلكيي زمانه ومن أعظم علماء المسلمين في فنه.

سيدي الرئيس ـ سادتي الأفاضل:

إن وجود الجغرافيين المسلمين في القرنين الثالث والرابع ـ التاسع والعاشر الميلادي هي الغرة الشادخة والصفحة اللامعة في سجل تاريخ الجغرافيا.

لقد عاصر البتاني عالم من أبرز الجغرافيين المسلمين صاحب مدرسة رائدة لها أثرها في طريقة رسم الخرائط في عصرها، وما بعد عصرها هو أحمد بن سهل المعروف بأبي زيد البلخي، صاحب كتاب (صور الأقاليم) المشتمل على خرائطه

المشهورة المشتملة على :

١ ـ مصورات خرائط للعالم.
٢ ـ مصورات خرائط للجزيرة العربية.
٣ ـ مصورات خرائط للخليج العربي.
٤ ـ مصورات خرائط لبحر الروم ـ البحر الأبيض المتوسط
٥ ـ مصورات خرائط للمغرب
٦ ـ مصورات خرائط لمصر.
٧ ـ مصورات خرائط للشام وسوريا
٨ ـ مصورات خرائط وأربع عشر خريطة أخرى لأقطار من أواسط العالم الإسلامي وشرقه.

وقد أطلق المستشرق (مللر) Miller في كتابه Mappse Aralica اسم أطلس الإسلام على تلك الخرائط.

وتلاه عبيد الله بن خرداذبة المتوفى سنة ٣٠٠ هـ العالم الجغرافي (الجنتلمان) الذي جمع بين نشاط العالم وظرافة النديم. فقد كان من ندماء الخليفة المعتمد العباسي. وألف له كتباً في الغناء والموسيقى والمنادمة، والشراب والطعام، ولكن شاءت الأقدار ألا يكون إلا جغرافياً من الطراز الأول. وضاعت جميع تلك المؤلفات ما عدا كتابه الخالد في الجغرافيا الموسوم بـ (المسالك والممالك) وهو إن كان عربي المنشأ واللغة فهو بحكم أصله الفارسي يتقن الفارسية ويجيد اليونانية، نستدل على ذلك من قوله: في مقدمة كتابه (المسالك والممالك) لقد وجدت بطليموس قد أبان الحدود وأوضح الحجة، في وصفها بلغته الأعجمية، فنقلتها إلى اللغة الفصحى لتقف عليها.

وكتاب المسالك الموجود والمطبوع هو مختصر لأصل كتابه الكبير الجليل، المزين بالخرائط الملونة التي هي من التراث الخالد.
فهو يقول في مقدمة الكتاب: لقد عملت كتابي هذا بصفة أشكال الأرض، ومقدار طولها والعرض، ومحل البلدان، والعامر والغامر منها في جميع بلاد الإسلام، بتفصيل مدنها، وتقسيم ما انفرد بالأعمال المجموعة إليها.

لقد جعلت لكل قطعة أفردتها تصويراً وشكلا، يحكي موضع تلك الأقاليم ثم ذكر ما يحيط بها من الأماكن والبقاع، وما في أضعافها من المدن والأصقاع وما لها من القوانين والارتفاع - الخراج.

وكتابه عرف في الغرب، وعني به غير واحد من المستشرقين، وأول من نشره منهم المستشرق (أبا رربييه ده متيار) وترجمه (دي غوي)

أيها السادة الأفاضل:
إن المسلم ليشعر بالفخر والاعتزاز وهو يجول بناظريه في مآثر الجغرافيين المسلمين الذين بريق أسمائهم يخطف الأبصار ضياء وأثارهم العلمية تهز الأعطاف نشوة.
ومن هؤلاء الأعلام ثلاثة عاشوا في القرن الرابع وهم:
١ - الاصطخري.
٢ - ابن حوقل.

٣ ـ سهراب.

فالأول هو إبراهيم بن محمد الاصطخري، صاحب كتاب (المسالك والممالك) في الجغرافيا المشتمل على الخرائط المعروفة. قام برحلاته إلى بعض أجزاء الجزيرة العربية ومصر والشام والعراق وفارس وما حولها.

التقى بزميله العالم الجغرافي أبو القاسم محمد بن حوقل سنة ٣٤٠ـ ٩٥١ ببغداد وعرض عليه خرائط لمراجعتها.

كما أن المقدسي ـ وهو من اتباع مدرسة البلخي ـ ذكر أنه استعان بعدد من الخرائط ـ في رسم خرائط كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) ومنها خرائط الاصطخري، ثم أشاد بها قائلاً: إنها (تدنو من الحقيقة وتستحق التعويل عليها، وإن كان فيها خلطا وخطأ).

وشهادات ابن حوقل والمقدسي تنفي تهمة المستشرق (دي غوي) بأن خرائط الاصطخري ليس إلا نسخة من خرائط أبي زيد البلخي.

ويشرح لنا منهجه في مقدمة الكتاب بقوله:

١ ـ إنه أورد في كتابه أقاليم الأرض وقصده منها مدن الإسلام، ولم يقصد الأقاليم السبعة التي قسم الأرض إليها من تقدم قبله ومن في عصره.

٢ ـ جعل لكل قطعة ـ جهة ـ مفردة مصورا يحكي وضع ذلك الإقليم.

٣ ـ إن الغرض من تأليف كتابه وخرائطه، هو تصوير الأقاليم التي لم يذكرها أحد (قبله) واعتقد أن في قوله ما يجانف الحقيقة فقد سبقه البلخي وغيره.

٤ ـ إنه اتخذ لجميع الأرض التي يشتمل عليها البحر المحيط خارطة ـ صورة ـ إذا نظر إليها الناظر علم مكان ذلك الإقليم..

ومصور الاصطخري للعالم مأخوذ عن المخطوط العربي الموجود بمبرة (فارتر) بـ (ليدن) تحت رقم ١٧٠٢ والمخطوط نسخ سنة ٥٨٩ـ ١١٩٣.

أما محمد بن حوقل ضريع الاصطخري فهو أشهر من أن يعرف وهو من أهل (نصيبين) وكان مع علمه وفضله يشتغل بأعمال التجارة، وصل بغداد للمرة الأولى، ثم رحل عنها في رحلة تجمع بين اشتغاله بالعلم وتكسبه من التجارة، جال خلالها العالم الإسلامي من مشرقه إلى مغربه وثم عاد إلى بغداد للمرة الثانية بعد رحلته الطويلة، والتقى بالاصطخري فيها وذلك في ٣٤٠ هـ ـ كما سبق الإشارة إلى ذلك ـ وعرض عليه الاصطخري خرائطه لتصحيحها ومراجعتها، وهذا يدل على

ما لابن حوقل من المكانة العلمية، ويظهر أنه بعد تلك الرحلة ألف كتابه المعروف (المسالك والممالك) المشتمل على الخرائط المشهورة ويظهر أن اسم (المسالك والممالك) قد استهوى غير واحد من علماء الجغرافيا فسمى الكثير منهم مؤلفاتهم بهذا الاسم ومنهم:

١ - أبو العباس جعفر بن أحمد المروزي المتوفى سنة ٣٦٨ - ٨٨٧ ويرى البعض أنه أقدم كتاب سمي بهذا الاسم، والبعض يرجح أن كتاب خرداذبة أقدم منها.
٢ - عبيد الله بن خرداذبة وكتابه موسوم بالاسم نفسه.
٣ - أحمد بن محمد السرخسي وكتابه موسوم بالاسم نفسه.
٤ - الوزير أبو عبدالله الجيهاني وكتابه موسوم بالاسم نفسه وهذا الكتاب في حكم المفقود.
٥ - إبراهيم بن محمد الاصطخري وكتابه موسوم بالاسم نفسه.
٦ - محمد بن حوقل وكتابه موسوم بالاسم نفسه
٧ - المهلبي وكتابه الموسوم بالاسم نفسه لم يبق منه حسب علمي إلا مقتطفات في معجم البلدان وفي تقويم البلدان لأبي الفداء.
٨ - محمد بن يوسف الوراق وكتابه موسوم بالاسم نفسه المتوفى سنة ٣٤٠-٩٧٣.
٩ - البكري وكتابه الموسوم باسمه.
١٠- أبو محمد الحسن الهمداني وكتابه الموسوم باسمه ذكر ذلك (القفطي) كما ذكره (الصفدي).
١١ - أبو عبدالله الإدريسي وكتابه موسوم باسمه ولم يبق من هذا الكتاب إلا مختصر في مكتبة أوغلي باستنبول واسمه الكامل روض الأنس ونزهة النفس في المسالك والممالك.

وقد يكون هناك كتب غيرها سميت بهذا الاسم ولم تصل إلى علمي. ويذكر - أي في المسالك والممالك لابن حوقل - معلومات ذات قيمة وبالأخص عن افريقيا والأندلس، وقد أوضحت في خرائطه المتقنة.

ومن أبرز جغرافيي القرن الرابع أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني صاحب كتاب صفة جزيرة العرب وغيره، وكتاب صفة جزيرة العرب يعد من أهم ما ألف عن الجزيرة العربية، وكل باحث في القديم أو الحديث إلا وهو يحتاج إلى هذا

الكتاب القيم، فقد مسح مسحاً جغرافياً، وإجتماعياً الجزيرة العربية، وجاب أكثرها بنفسه.

ويقول عنه المستشرق (اغناطيوس كراتشوفسكي). لم يكن الهمداني جغرافياً فحسب، بل وخبيراً كبيراً بأنساب العرب، وتاريخ الجزيرة، وخاصة آثارها القديمة، ومما يدعو إلى الدهشة حقاً أنه استطاع فك رموز الكتابة القديمة العربية في جنوب الجزيرة.

وفي علم الجغرافية الفلكية برز الجغرافي المعروف باسم (سهراب) صاحب كتاب(صور الأقاليم) والكتاب من حيث معلومات الجغرافيا الإسلامية يشتمل على فوائد ذات قيمة علمية ومن حيث تبويبه وترتيبه فقد سار على طريقة كتاب خرائط الخوارزمي. واهتمام ذلك المستشرق به وطبعه يعطي فكرة عن قيمة الكتاب الجغرافية.

ولم يقف النشاط على العلماء المتفرغين، بل شارك فيه وزير عالم من وزراء الدولة السامية مع تبعته بمهام الوزارة وشئون الدولة، هو الوزير أبو عبدالله الجيهاني فألف كتابه الذي سبق الإشارة إليه باسم (المسالك والممالك) ورسم خرائطه بعدما قسم الأرض إلى عشرين جزء وجعل كتابه شرحاً وتبياناً لتلك الخرائط، المصورة لأشكال الأرض، بل ولمواقع النجوم بالنسبة إلى البلدان، وهذا الكتاب هو مصدر مهم لكثير من المؤلفين ومنهم المقدسي الذي يخالف من قال بتقسيمه الأرض إلى عشرين جزء ويقول بل جعل العالم سبعة أقاليم وجعل لكل اقليم كوكب.

ومن عظماء الجغرافيين المسلمين أبي عبدالله محمد بن أحمد المقدسي عاش في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، وشد ما يعجبني فيه مع مجهوده العلمي الجغرافي الكبير التزامه ـ كمسلم ـ بالخلق الإسلامية الرفيعة، فهو بعد أن يوضح لنا منهجه في رحلته الطويلة وجمعه المعلومات واتصالاته بالناس في كل إقليم دخله وبلد وصلها دارساً منقباً مسجلا محصيا بما لم يسبقه أحد قبله يقول: مع ذوق الهواء ووزن الماء.. وترك المعصية ولزوم النصح للمسلمين والمراقبة لله والخشية منه، بعد ما رغبت النفس في الأجر وخوفتها من الإثم. الخ..

وهو قد جال وجاب البلاد الإسلامية وجزيرة العرب، وأورد عنها معلومات مفيدة وبالأخص عن جنوبها وكعادته في التقصي. يورد المذاهب السائدة

والعملات المتداولة. والموازين والمكاييل واللباس.

كما يفيدنا عن المكتبات العامة والخاصة في بعض مدن الإسلام، والخرائط الموجودة بها مثل:

١ ـ مكتبة الصاحب بن عباد ومن محتوياتها كتاب أبي زيد البلخي بأشكال الأرض وصورها.

٢ ـ مكتبة عضد الدولة بنيسابور ومن محتوياتها كتاب أبي زيد البلخي بأشكال الأرض وصورها وغيره.

وغير ذلك.

ويورد في كتابه دراسة عن الجغرافيا الفلكية، ويشير إلى المصادر التي استعان بها، وإن كان يتحامل وينتقد أكثرها.

كما يشير إلى مصادره من الخرائط التي استعان بها في رسم خرائطه فيقول: وأما الأشكال التي مثلناها فقد بذلنا فيها جهدنا حتى صحت بعد تأمل عدة من الصور منها:

١ ـ صورة خارطة وجدتها بخزانة ملك المشرق على كاغدة مصورة مثال

٢ ـ صورة خارطة على كراسة عند أبي القاسم الأنماطي بنيسابور مربعة أيضاً.

٣ ـ صورة خارطة لإبراهيم الفارسي.

٤ ـ صورة خارطة لشيخ بـ (سرخس).

كما يورد اشارة في مقدمته يفهم منها أنه انتهى من كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم سنة ٣٧٥ هـ) ويفيدنا أنه قسم الأرض إلى أربعة عشر إقليماً، وأنه اقتصر على ممالك الإسلام، وأفرز أقاليم العرب وفصل كل إقليم بمصور خارطة توضح أمصاره، وقصباته ومدنه وخطط إليها الطرق، كما رسم خرائطه بالألوان على الوجه الآتي:

١ ـ الطرق باللون الأحمر

٢ ـ البحار باللون الأخضر

٣ ـ الأنهار باللون الأزرق

٤ ـ الرمال باللون الذهبي.

٥ ـ الجبال باللون الأغبر.

وبلغ ما قطعه في رحلته بحراً ألفي فرسخ، وأنه دار على الجزيرة العربية من القلزم إلى عبادان.

والمقدسي من كبار مشاهير الجغرافيين الفلكيين الذين عرفهم الغرب وأشاد بأعمالهم.

١ ـ عده المستشرق (سبرنغر) Sprnger أعظم الجغرافيين في كل العصور.

٢ ـ قال (سبرنغر) Sprnger لم يتجول سائح في البلاد كما تجول المقدسي، ولم يحسن ترتيب عمله أحد مثله.

٣ ـ وقال المستشرق (ميستر) Mister امتاز المقدسي عن سائر علماء البلدان بكثرة ملاحظاته وسعة اطلاعه.

ومن عظماء الجغرافيين المسلمين في القرن الرابع أبو الريحاني البيروني المولود سنة ٣٦٣ـ٩٧٣ صاحب كتب التفهيم المشتمل في مخطوطاته الخمسة مصوراً ـ خارطة ـ مستديرة لمواضيع البحار و (القانون المسعودي) والذي وإن كان من كتب الفلك، فإنه يحتوي على بعض المعلومات الجغرافية القيمة، وكتابه (الآثار الباقية) الذي أورد به بعض الطرق الهندسية لمساقط مصورات السماء والأرض.

لقد قضى البيروني عمره في الرحلات العلمية حتى نعت في وطنه بالغريب، وبعد مضي سبع وثلاثين سنة في الأسفار عاد إلى وطنه، ثم استأنف السير في ركب الملك المسعود إلى الهند، وكان يتقن اللغات الآتية:

١ ـ العربية.

٢ ـ الخوارزمية

٣ ـ الفارسية

٤ ـ الهندية

٥ ـ السريانية

٦ ـ اليونانية

فالبيروني مفخرة من مفاخر علماء المسلمين.

وعلي بن عبدالرحمن بن أحمد بن يونس الفلكي والجغرافي المعروف صاحب كتاب الزيج الحاكمي المشتمل على أربعة مجلدات، صحح به أغلاط من سبقه من مصنفي الأزياج.

وقد ذكر في زيجه خطوط الطول والعرض وفق الأقاليم السبعة.

ويقول صاحب حضارة العرب: وضع ابن يونس في القاهرة الزيج الحاكمي، فأنسى كل زيج قبله في العالم حتى عنى به فلكيو الصين فذكره أحدهم المدعو

(كوشيو كينغ) سنة ١٢٨٠ م.

وترجم أستاذ العربية في كلية فرنسا المسيو (كوسان) سنة ١٨٠٤ م بعض فصول الزيج الحاكمي إلى الفرنسية.

ولابن يونس عدد من المؤلفات القيمة غير كتابه الزيج الحاكمي.

ومن مشاهير الجغرافيين المسلمين ابن عبدالله محمد الإدريسي المتوفى سنة ٥٦٠ ـ ١١٦٦ ولد في مدينة «سبتة» وتلقى تعليمه في جامعة قرطبة بالأندلس، وكان خدن أسفار وجواب آفاق حتى استقر في بلاط ملك صقلية روجر الثاني، وهناك تفرغ لعمله الكبير المشتمل على واحد وسبعين مصوراً، ونقش خريطته المستديرة على دائرة من الفضة وألف كتابه المشهور «نزهة المشتاق» ليكون بمثابة الشرح والتوضيح لخرائطه الرائدة، التي ظلت مرجع جغرافيي الغرب زهاء ثلاثمائة سنة والتي قضى مدة طائلة في اعدادها. وهي أول خريطة للعالم قريبة من أصول علم الجغرافيا وتخطيطها الفني بالنسبة إلى عصره.

حضرة الرئيس.. حضرات السادة الأفاضل:

ومن الجهود المبرورة والآثار العلمية المشهورة في علم الجغرافيا كتاب (ابن سعيد علي بن موسى بن عبدالملك بن محمد بن سعيد الأندلسي المولود سنة ٦١٠هـ-١٢١٤م في قلعة يحصب قرب غرناطة المسمى (جغرافيا الأقاليم السبعة) وهـو من طراز كتاب الإدريسي مقسم إلى سبعة أقاليم، وكل إقليم إلى عشرة أجزاء، ووضح خطوط الطول والعرض مما يضفي على الكتاب أهمية كبيرة، وبه تفصيـلات عن جنـوب الجـزيرة العربية ومدنها، وقواعدها، وكذا حقائق جديدة بالنسبة إلى عصره عن افريقيا استفادها من رحلة ابن فاطمة الذي جاب شواطىء افريقيا وغير ذلك. ويوجد من الكتاب جزء في مكتبة باريس تحت رقم ٢٢٣٤. وفي المتحف البريطاني القسم الشرقي تحت رقم ١٥٢٤.

وذكر الزركلي في الأعلام ج/ ٥. ص ١٧٩ في ترجمته، مؤلفاته ومنها في الجغرافيا:

١ ـ وصف الكون

٢ ـ بساط الأرض.

وكلاهما مخطوط.

ويأتي كتاب عجائب المخلوقات للقزويني المتوفى سنة ٦٨٢ـ ١٢٨٣ ضمن المجهودات الجغرافية الكبيرة وإن كان به حقائق جغرافية ومصور للعالم فإنه يصنف في قسم الجغرافيا الطبيعية. أو التاريخ الطبيعي.

لقد أورد في هذا الكتاب معلومات قيمة لأرقى ما وصل إليه العلم في عصره، بل ومنها ما يتجاوز عصره إلى وقتنا الحاضر.

تكلم عن السماء، ووصف الكواكب والنجوم، والشهب، والأبراج وحركاتها، ومداراتها، وما يترتب على ذلك من فصول السنة، والشهور والأيام، والأنواء، والعواصف.

ووصف الأرض وما عليها، ونشوءها وتكوينها، وطبيعتها، والغلاف الهوائي والتخلخل الجوي، وما ينتج عنه، واليابس من الأرض والمغمور بماء البحر، وما يحيط بها من البحار، واختلاف آراء الأقدمين ومن بعدهم في كرويتها، ودورانها، وتكلم عن الجاذبية.

وعن الحيوان، والجماد، والمعادن، والتوالد، والزلزال، والأنهار، والأمطار، والرعد، والبرق، والظواهر الطبيعية، وأقاليم الأرض، وخواص البلاد، وتأثير البلاد في السكان، والحيوان، وفي النبات، وحاجة الإنسان الإجتماعية إلى إحداث المدن والقرى. وخرائطه أقرب إلى الإقليمية منها إلى الخرائط العالمية، وفي ما أورده عن ديار العرب معلومات شبه مفصلة، ولا تخلو من الدقة أحياناً، وبعض الأساطير.

وجاء أبو الفداء بكتابه القيم «تقويم البلدان» والمحتوي على جداول الطول والعرض وأضاف معلومات عن غير الممالك الإسلامية، وقسم العالم إلى ثمانية وعشرين إقليما.

ولقد عرف الغرب كتابه القيم لأول مرة عن طريق المستشرقين (جوليوس) و. (رلسكه) والكتاب مطبوع متداول.

وأبو الفداء هو أمير «حماة» من الأسرة الأيوبية، ولد سنة ٦٧٢ ـ ١٢٧٣ وتوفي سنة ٧٣٢ ـ ١٢٣١ بمدينة حماة بسوريا.. ولا ننسى كتاب معجم البلدان الذي جمع بين الجغرافيا الوصفية والفلكية فهو أضخم وأوفى كتاب.

وتلاه (ابن الوردي) بكتابه المعروف (خريدة العجائب والغرائب في تقويم البلدان ـ الجغرافيا ـ وبه مصور العالم.

وقـد ترجم بعض المستشـرقين جملا منه، وتوفى ابن الوردي سنة ٨٦١ - ١٤٥٧ ، ومن بعد ذلك التاريخ ركد نشاط التأليف الجغرافي في العالم العربي، وان كان استأنف بعض نشاطه في فارس وتركيا المسلمتين.

إن جهود الجغرافيين المسلمين أعظم من أن تحبط بها محاضرة، وانصافاً للحقيقة نورد في ختام هذه المحاضرة بعض ما قاله المنصفون من علماء الغرب.

قال غستاف لوبون في كتابه حضارة العرب تحت عنوان (التقدم الذي حققه العرب في الجغرافيا):

(كان من نتائج زيادة العرب ومعارفهم الفلكية، أن اتفق لعلم الجغرافيا تقدم منهم، ولا غرو فالعرب الذين اتخذوا في البداءة علماء اليونان، ولا سيما بطليموس ادلاء لهم في علم الجغرافيا لم يلبثوا أن تفوقوا على أساتذتهم فيه على حسب عادتهم).

كانت مواقع المدن الكثيرة التي عينها بطليموس تعيينا جغرافيا غير مطابقة للحقيقة تماماً، وبلغ مقدار غلطه في تعيين البحر المتوسط وحده أربعمائة فرسخ).

ويكفي أن نقابل بين الأمكنة التي عينها الأغارقة والأمكنة التي عينها العرب ليظهر لنا مقدار التقدم الذي تم على يد العرب، فهذه المقابلة تدل على أن مقدار الفرض الذي حققه العرب يقرب من الصحة بما لايزيد على بضع دقائق، وأن الخطأ لدى الأغارقة فيه بلغ درجات كثيرة).

(وكان تعيين الطول صعباً على العرب وذلك لما يعوزهم في ذلك الحين من مقياس الزمن (كروتو متر) ومن تقاويم مضبوطة للقمر مغالطهم أظهر من ذلك وإن لم تزد على درجتين إلا نادراً، أي وإن كانت دون غلط الأغارقة بمراحل).

(حقاً أن أغاليط اليونان كانت في تعيين الطول فاحشة في بعض الأحيان، ومنها غلط بطليموس، الذي اتخذ الإسكندرية مبدأ للطول في طول طنجة في نحو ١٨ درجة فجعله ثلاثة وخمسين درجة وثلاثين دقيقة بدلا من خمس وثلاثين درجة وواحد وأربعين دقيقة).

ومنها أن جعل بطليموس في تقويمه طول المحور الكبير للبحر المتوسط الممتد من طنجة إلى طرابلس الشام تسع عشر درجة زيادة عن الحقيقة، أي ما يعادل أربعة فراسخ تقريباً، مع أن غلط العرب فيه أقل من درجة واحدة).

وكتب العرب التي انتهت إلينا في علم الجغرافيا مهمة للغاية وكانت أساساً لدراسة هذا العلم في أوروبا قروناً كثيرة.

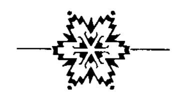
وخريطة الإدريسي التي اشتملت على منابع النيل والبحيرات الاستوائية الكبيرة لم يكتشفها الأوروبيون إلا في العصر الحاضر، تثبت أن معارف العرب في جغرافية افريقيا أعظم مما ظن زمنا طويلاً).

(ويحتاج احصاء أهم جغرافيي العرب وما ألفوا من كتب إلى بيان طويل فقد ذكر أبو الفداء وحده أسماء ستين عالماً جغرافياً من الذين ظهروا قبله.

(والعرب هم الذين نشروا كتباً جغرافية قامت مقام الكتب التي أُلفت قبلها، فاقتصرت أُمم الغرب على استنساخها قروناً كثيرة). انتهى.

ويقول صاحب دائرة معارف (لاروس): (إذا أراد القارىء أن يجد عجيبة من العجائب الجغرافية فلا يبحثن عنها في أوروبا التي صارت آنذاك بربرية، ولكن فليبحث عند العرب، كان الخلفاء كلما أمعنوا في الفتوح أمروا برسم الأرض التي يفتحونها.

ولو أردنا إيراد الشواهد لطال المقال ـ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.[١]



(١) المصدر: كتاب محاضرات في الجامعات والمؤتمرات السعودية للمؤلف.

محاضرة عن التعليم في جازان

للأستاذ محمد علي عايش منتصر(١)



عندما يتحدث المرء عن التعليم في منطقة جازان لابد أن يكون لديه الإلمام التام عن هذه المسيرة من جميع نواحيها، سواء كان من الناحية العلمية التي سبقت التعليم النظامي، وأعني بذلك التعليم المدرسي المنهجي التربوي، والذي سأتحدث عنه بعد أن ألقى نظرة موجزة عن التعليم الأهلي قبل أن تفتح أول مدرسة حكومية في مدينة جازان.

---

(١) الأستاذ محمد علي عايش منتصر من مواليد ١٣٤٩ هـ، درس في كتاب الشيخ علي بن أحمد عيسى وختم القرآن في ذلك الكتاب، وكتاب محمد عبدالله الشماخي، ثم التحق بالمدرسة الإبتدائية، وكان من أول المتخرجين وعين مدرساً بمدرسة جازان سنة ١٣٦٩ هـ وكان في وقت الفراغ يتلقى دروساً في اللغة والقواعد على يد الشيخ محمد عقيل، ثم انتقل إلى إدارة التعليم عام ١٣٧٤ هـ وعمل محاسباً، وكان ينوب عن مدير التعليم في اجازاته، كما شغل وكيلاً لمدرسة متوسطة وثانوية، ثم ترفع رئيساً لقسم الوسائل التعليمية والمكتبات إلى أن تقاعد عام ١٤٠٢ هـ.

له محاضرات عن مسيرة التعليم في مدينة جازان، وعن التعليم الأهلي مثل حلقة علي بن أحمد والشيخ عبدالله العمودي، وعن مدارس الشيخ القرعاوي، كل ذلك مدعوماً بالوثائق الرسمية، وقد نوهت عن ذلك جريدة البلاد، له نشاط في المسرح التعليمي وله مشاركة في الثقافة بالمنطقة، ويعتبر على وجه العموم من مثقفي منطقة جازان المعروفين. وهذه المحاضرة التي ننقلها للقارىء الكريم. ألقاها الأستاذ محمد علي عايش بنادي جازان الأدبي.

التعليم الأهلي قبل فتح المدارس

كان التعليم قبل فتح المدارس منحصراً على الكتاتيب، ويطلقون على الكتاب - في ذلك الوقت - اسم «المعلامة»، فكان في جازان وحدها ثلاثة كتاتيب: الأول كتاب الشيخ علي بن أحمد عيسى الفقيه - رحمه الله - ويقع في حارة الجبل، والثاني كتاب الفقيه محمد عبدالله الشماخي، وهذا الكتاب درست فيه القرآن الكريم قبل أن التحق بالمدرسة، ويقع في الحارة الشامية، والثالث كتاب الفقيه أحمد الصعدي، ويقع في حارة الساحل، وعلمت أنه كان قبل ذلك كتاباً للفقيه مصطفى هندي والد الأستاذ ناصر مصطفى - وكان يدرس في هذه الكتاتيب القرآن الكريم فقط فيما عدا كتاب الشيخ علي بن أحمد عيسى، فكان يدرس فيه إلى جانب القرآن الكريم: القراءة والكتابة ومبادىء علم الحساب وتحسين الخط العربي، ولقد تخرج من هذا الكتاب شباب كونوا أنفسهم واجتهدوا في التحصيل، والتحقوا بوظائف حكومية في المالية والجمارك والبلدية، وبعضهم عملوا كتبة في المحلات التجارية، ثم التحقوا بعد ذلك بوظائف حكومية، ومن هؤلاء الشباب - حينذاك - الأستاذ محمد السنوسي والأستاذ ناصر مصطفى وعلي أبو غزالة، وحسن ناصر، وسالم بريك، وعبده أحمد مسلم، ويحيى أحمد عمر - رحمه الله، وقد عملوا في وظائف مختلفة حتى أصبحوا في وظائف كبيرة في الدوائر الحكومية، وإلى جانب ذلك فهم على جانب من الثقافة.

هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر، لأن هناك آخرين لا أتذكرهم، فمعذرة.

ولم تكن في مدينة جازان وحدها كتاتيب، بل كانت أمثالها موجودة في مدن المنطقة: في صبيا وضمد وأبي عريش وصامطة وبيش، وفي الكثير من قرى المنطقة.

وإلى جانب ذلك كانت في مدن المنطقة حلقات دراسية، يقوم بعض علماء المنطقة بتدريس طلاب العلم والمعرفة، ومن هذه الحلقات حلقة الشيخ عقيل بن أحمد حنين - رحمه الله - فقد كان شيخاً فاضلاً، وعالماً جليلاً، يدرس في حلقته العلوم الدينية - التفسير والحديث والفقه والتوحيد - وعلم الفرائض واللغة العربية، النحو والصرف، والبلاغة، وكان يلقي هذه الدروس في داره بعد صلاة العصر،

وفي المسجد بعد صلاة المغرب، وقد تخرج على يديه شخصيات بارزة، منهم الأديب والمدرس والقاضي والمرشد، ومنهم من عمل في وظائف حكومية أمثال الشيـخ علي محمـد صالح عبـدالحق، الذي قضى كل حياته في خدمة العلم والمحاكم الشرعية والشيخ محمد عقيل بن أحمد حنين، الذي شارك في خدمة التعليم والتدريس في أول مدرسة متوسطة في جازان والأستاذ الشاعر الأديب المـؤرخ البحـاثة محمد بن أحمد العقيلي صاحب المؤلفات الأدبية والتاريخية والذي تعتز به المنطقة وتفتخر به ولكل ما قدمه من المؤلفات الأدبية والتاريخية والأستاذ الكبير/ محمد بن علي السنوسي رئيس النادي الأدبي بجازان، والذي قدم لهـذا الوطن العـزيز خدمة أدبية واجتماعية، ولا عجب فمجموعته الشعرية الكاملة وأعماله الأدبية ستتحدث بها الأجيال على مر العصور.

ورائد القصة في الجنوب الأديب الأستاذ محمد زارع عقيل مؤلف (أمير الحب).

ولم تكن حلقة الشيخ عقيل هي الوحيدة في المنطقة فقد كانت هناك حلقات أخرى في أبي عريش، حلقة الشيخ عبدالله العمودي، وقد درس على يديه كثير من شباب المنطقة، أصبحوا من بعد قضاة ومدرسين ومرشدين، ولا ننسى مدينة ضمد مدينة العلم والقضاة والمرشدين، فقد كان في هذه المدينة ولا يزال رجال من آل الحـازمي والعـاكشي وآل عمـر والمعـافى قاموا بتدريس العلوم الدينية والعربية في حلقات، وقد تخرجوا من هذه الحلقات قضاة ومرشدون ومدرسون.

وقد أشاد بذلك الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي في مؤلفاته التاريخية والأدبية، ومن أراد الاطلاع على ذلك فعليه الرجوع إلى هذه الكتب.

هذه نبذة مختصرة عن التعليم الأهلي في المنطقة.

التعليم العام

بعد أن وحد ـ المغفور له ـ جلالة الملك المعظم عبدالعزيز آل سعود المملكة العربية السعودية، وجه عنايته الكريمة نحو التعليم إذ هو الركيزة الوحيدة لتطور المملكة العربية السعودية فأمر جلالته بإنشاء المدارس النظامية لتكون الإنطلاقة الأولى في نشر التعليم وتقدمه، لذلك فتحت المدارس في جميع المدن، وكان من نصيب مدينة جازان مدرسة واحدة تم افتتاحها في عام ١٣٥٥ هـ بالأمر السامي

رقم ١٩٨٨ في ١٣/٥/١٣٥٥ هـ، وكان أول مدير لهذه المدرسة هو الأستاذ/ محمد الهادي عقيل ـ من أهالي مكة المكرمة ومن خريجي مدرسة الفلاح، على ما اعتقـد ـ وقد وصل إلى جازان وبرفقته هيئة التدريس المكونة من الأستاذ إبراهيم عقيل والأستاذ حسن عطرجي والأستاذ محمود بليلة وانضم إليهم الأستاذ علي بن أحمـد عيسى مع جميـع من كانـوا يدرسون في كتابه، وكان بعضهم يجيـدون القراءة والكتابة ومبادىء علم الحساب، وقد تقرر وضع الطلبة الذين يجيدون القراءة والكتابة في الفصل الثاني، وغيرهم ممن لا يجيدون الكتابة في الفصل الأول، وبدأت الدراسة في نفس العام.

وهنا لا ننسى مكرمة قام بها مواطن كريم من الشخصيات البارزة في جازان، وهو رئيس بلديتها ـ في ذلك الوقت ـ الشيخ عيسى فتح الدين عقيل، الذي قام بإخلاء داره للمدرسة وانتقل إلى دار أخرى، حيث كانت هذه الدار من أوسع الدور في المدينة حتى يتسى للإدارة استئجار دار أخرى.

وفي نفس العـام بدأت الدراسـة سنـة ١٣٥٥ هـ وكان نظام الدراسة على مرحلتين: تحضيري وابتدائي، أي إن الطالب يدرس في التحضيري ثلاث سنوات، ثم ينتقل إلى الإبتدائي، ويدرس أربع سنوات، وعلى هذا كان الطالب يتخرج من الإبتدائية وعمره في حدود العشرين، يكون بعدها مؤهلا لخدمة البلاد والإلتحاق بالوظائف الحكومية، حيث إنها كانت في حاجة ماسة إلى مثل هؤلاء الشباب، وكانت الدراسة في ذلك الوقت (١١ شهراً) وليس هناك عطلة إلا في عيد الفطر المبارك، وكانت المواد التي تدرس حسب المنهج هي: القرآن الكريم، والتجويد، والتوحيد، والفقه، التهذيب، والمحادثة، والإنشاء، والمطالعة، والإملاء، والقواعد، والمحفـوظات، والخـط العـربي، والتـاريـخ، وتقويم البلدان والصحة، والحساب والهندسة، ومسك الدفاتر، والانجليزي.

وكمـا قلت أن التعليم بدأ في هذه المدرسة بالتحضيري فقد أكمل البعض التحضيـري وانتقلوا إلى الابتـدائي، ولكن ـ مع الأسف ـ لم يكملوا المـرحلة الابتـدائيـة لظروف ماديـة أجبرتهم على الإلتحاق بالوظائف الحكومية، ولحاجة الدوائـر الحكـومية إليهم، فوظفوا بعضهم، وآخرون عملوا في المالية والجمارك كملازمين ـ أي أنهم يعملون بدون مرتب ـ وتمكنوا من إتقان العمل بمساعدة كبار موظفي المـاليـة في ذلك الوقت، أمثـال الشيخ عبدالعزيز جميل ومحمد صالح نصيف، وعبدالقادر خورشيد، والشيخ عبدالله حيدر، والأستاذ عبدالقادر علاقي،

والأستاذ معتوق شيخون، وغيرهم، والحق أن هؤلاء المجموعة كانوا بحق أذكياء، وأصبحوا من ذوي الخبرة في الأعمال الإدارية والمالية والجمركية، فكان منهم المدير والمحاسب ورؤساء الأقسام، وقدموا خدمة جليلة لهذه البلاد.

هذا بالنسبة لمن لم يكملوا تعليمهم الابتدائي.

وفي عام ١٣٦٢/٦١ هـ طرأ تعديل على المناهج الدراسية، فقد ألغيت المرحلة التحضيرية وأصبحت مرحلة إبتدائية فقط، من الفصل الأول إلى الفصل السادس، ومدة الدراسة ست سنوات، وعلى هذا التنظيم استمرت الدراسة، وكانت أول دفعة في الشهادة الإبتدائية عام ١٣٦٣ هـ. وهم: علي أحمد عمر، محمد عبدالقادر علاقي، وعلي مهدي السروري ـ رحمه الله، وأحمد عبده حربي، وحسن حوذان، وعبده أحمد زيلعي.

والدفعة الثانية عام ١٣٦٤ هـ ـ كما أذكر ـ يحيى طيب، ومحمد علي حيدر وعبدالعزيز عطا وفهد خالد السديري، وعبدالله معتق، وحمزة سنان.

وفي عام ١٣٦٥ هـ لم ينجح أحد لعدم وجود طلبة في الفصل السادس.

الدفعة الثالثة عام ١٣٦٦ هـ: حسن سهلي عمر، وعبدالواحد مصطفى، وعلوان عريج، وعبدالله الزامل السليم، وعلي قب وطلبة لا أذكر أسماءهم.

في عام ١٣٦٧ هـ الدفعة الرابعة وهم: محمد علي عايش وعبدالكريم زيلعي، وزيد محمد السديري، وعبده علي أبو طالب بهكلي، وإبراهيم علي حيدر.

واستمر التخرج من الإبتدائي فقط حيث لا يوجد مدارس متوسطة ـ حينذاك ـ وكانت الدراسة عالية جداً بالنسبة للمنهج في ذلك الوقت، وكان للطلاب القدرة على الإلتحاق بالوظائف الحكومية، سواء كانت إدارية أو تعليمية، حيث كان التركيز على المواد الدينية واللغة العربية والإنشاء والخط والحساب، وكان خريج الإبتدائية يعادل المتوسطة الآن، وأكثر من المتوسط، إذ كان يدرس في الإبتدائي في العلوم الدينية في الفقه كتاب شروط الصلاة وآداب المشي إلى الصلاة الجزء الأول والثاني، والعمدة في الفقه، وكتاب الحج والعمرة، وفي مادة التوحيد الرسالة المفيدة وكشف السيرات والأصول الثلاثة والواسطية لابن تيمية ومؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب. رحمه الله.

وكان في آخر العام الدراسي يجري امتحان النقل بإشراف لجنة مكونة من قاضي مدينة جازان ومساعده الشيخ علي محمد صالح عبدالحق، وآخرين من

علماء البلد لإمتحان الطلبة في المواد الدينية الفقه والتوحيد والحديث، أما باقي المواد فيقوم المدرسون بإمتحان الطلبة.

أما إمتحان الشهادة الإبتدائية فإن أسئلة الإمتحان توضع من قبل مديرية المعـارف العامة، ويؤدي الطلبة الإمتحان أمام لجنة مكونة من رئيس وأعضاء، وغالباً ما يكون رئيس اللجنة قاضي جازان أو نائبه، وكان أعضاء اللجنة مكونة من الشيخ عبدالقادر علاقي والأستاذ محمد بن أحمد العقيلي والأستاذ محمد بن علي السنـوسي، وبعد ظهور النتيجة يلتحق كل الخريجين بالوظائف الحكومية والإدارية، ومنهم من يعمل في سلك التدريس، نظراً لعدم وجود المدارس الثانوية في ذلك الوقت، إلا أن اثنين من الطلبة عقدا العزم على مواصلة الدراسة في مكة المكرمـة بمدرسة تحضير البعثات وهما: الأستاذ محمد عبدالقادر علاقي من الدفعة الأولى، والأستاذ عبدالعزيز عطا محمد، وبعد تخرجهما من تحضير البعثات ابتعثـا إلى القـاهرة، فالأول تخرج من جامعة القاهرة، كلية التجارة، وهو أول جامعي من جازان ويعمل الآن بوظيفة «وزير مفوض بالخارجية»، والثاني واصل دراسته العسكرية، وهو الآن برتبة عميد في البحرية السعودية.

نعود إلى المناهج: في عام ١٣٦٥ هـ ألغيت مادة التهذيب وصلت بدلا عنها مادة الحديث، كما أدخلت مادة الصرف في المنهج الإبتدائي، إذ كان المنهج مركزاً على اللغة العربية والمواد الدينية، وهنا لابد لي من الإشادة بالطلبة في الماضي بصفتي أحد خريجي هذه المدرسة وأحد مدرسيها، والتي كانت تسمى سابقاً بالمدرسة الأميرية، ثم السعودية، ثم العزيزية ويطلق عليها الآن «مدرسة الملك عبدالعزيز» ـ طيب الله ثراه ـ لقد كان طلابها يتسابقون في حفظ الشعر والمناظرات من جواهر الأدب، وكنت أقوم بتدريس مادة القواعد والصرف وكان المقرر صعباً، فكانوا يفهمون الدرس أثناء الحصة، وأتذكر أن الدكتور عبدالرحمن محمـد عقيل، عندما كان طالباً في الإبتدائية وفي الفصل السادس كان يحفظ القاعدة من المقرر، ويشعرني أنه حفظ الدرس نفسه من ألفية ابن مالك، وفعلا استمع إليه وهو يسرد المتن إلى آخره، وكان يدرس ذلك على يد والده الشيخ محمد عقيل، وهو الآن عضو في هيئة التدريس بجامعة الملك سعود، ومن أمثاله الدكتـور محمد علي عيسى بجامعة الملك سعود، كلية العلوم، والدكتور صالح العمير وكيل وزارة المالية والدكتور هاشم عبده هاشم رئيس تحرير عكاظ، ومحمد أحمد راجح خريج كلية العلوم بمستشفى الملك فهد بجازان، والأستاذ علي عمر

جابـر مديـر مكتب الجـزيـرة بجدة، والدكتور مدني علاقي عميد كلية التجارة والإقتصــاد بجـامعة الملك عبدالعزيز والأستاذ عبدالرحمن السدحان أمين عام مجلس الخدمة المدنية، والدكتور أحمد عبده مسلم طبيب وجراح في مستشفى الريـاض العام، والدكتور عبدالرحيم عقيل مدير عام الشئون الصحية بجازان، والدكتور حسن با حكيم، هؤلاء نماذج ممن تخرجوا من هذه المدرسة.

وهناك قلة لم يتمكنوا من مواصلة الدراسة، ولكنهم على جانب كبير من الثقافة والمعرفة والذكاء، يشغلون وظائف في الدوائر الحكومية والمؤسسات في الوقت الحاضر، وأجزم أن أعمالهم لا يستطيع أن يقوم بها من يحمل الشهادة الجامعية إلا بعـد تدريب وممارسة، أمثال الأستاذ حمد مسرحي والأستاذ محمد الحاج. ويحيى أحمد إبراهيم رئيس المحاسبة في إدارة التعليم والأستاذ على شعراوى والأستــاذ عبـدالحفيظ مهدي والأستاذ صالح عمر صالح، وأحمد زعقان رئيس المحاسبة بتعليم البنات، وعبدالكريم زيلعي ببنك القاهرة، وعلي محمد جراد مدير بنك القاهرة بجازان، ومحمد عمر ناظر مدير إدارة في المديرية العامة للشئون الصحيـة بجـازان، وغيـرهم الكثير ممن التحقوا بالوظائف بالشـهادة الإبتدائية والمتـوسـطة، هؤلاء ممن تخـرجـوا من المدرسة الأولى بجازان، مدرسة الملك عبدالعزيز ـ طيب الله ثراه ـ.

هذه النبـذة المـوجزة عن المدرسة الأولى بجازان، والتي تعد الأُم بالنسبة للمدارس، والتي شارك في خدمة العلم بها رجال أفذاذ لا ننسى ما قدموه من خدمة جليلة، ويعتبرون بحق من المربين الذين شاركوا في نشر التعليم في هذه المنطقة، وكان أولهم الأستاذ محمد الهادي عقيل ـ كما ذكرت سابقاً ـ وهو أول مديـر لهذه المدرسة، ثم تولى إدارتها الأستاذ أحمد عزب بالوكالة، وجاء بعده المربي الكبير عمر عادل وهو من أهل المدينة المنورة، وكان مربيا قديراً حازماً، ورغم شدتـه ـ كما ذكر الأستاذ حسن بن أحمد بهكلي، وهو أحد طلابه، كان محبوباً ومحترماً لدى طلابه وأساتذة المدرسة، وهو من رجال التعليم الذين كرموا في المدينة المنورة، وقد عين معه المربي الكبير والأستاذ محمد سالم باعشن كمدرس للرياضيات ثم وليّ إدارة المدرسة الأستاذ عبدالوهاب جلال ـ من أهالي مكة ـ منقولا من الطائف، وهو في نظري من أقدر مدرسي اللغة العربية والفقه، ولم يمر عليّ في حياتي التعليمية أقدر منه طريقة وأسلوباً في هذه المادتين، وهو على جانب كريم من الأخلاق وحب الخير، وكان يساعد الطلبة الفقراء ماديا من

راتبه ويشجعهم على طلب العلم، ثم نقل إلى جدة وتولى بعده إدارة المدرسة الأستاذ محمد سالم باعشن، والذي قدم لهذه البلاد خدمة جليلة، وكان ـ رحمه الله ـ رائداً من رواد العلم والرياضة، وهو أول من طالب بمدرسة ثانوية في جازان كما كانت تسمى ثم فتحها في عام ١٣٧١ هـ. وتولى إدارتها والتدريس بها، وكان سالم من هيئة التعليم بها الشيخ محمد عقيل بن أحمد ومدرس أردني لتعليم اللغة الانجليزية والعلوم، وكان يقوم بتدريس الرياضيات الدكتور عبدالكريم سكرية ـ الطبيب الوحيد في جازان مشاركة منه لعدم وجود مدرس رياضيات ـ وبانتقال الأستاذ محمد إلى الثانوية ـ أي المتوسطة الآن ـ تولى إدارة المدرسة الأستاذ عثمان شاكر، ثم الأستاذ علي أحمد عمر، وبعده الأستاذ أحمد محمد الحربي، وهو مديرها في الوقت الحاضر.

في عام ١٣٧٢ هـ وصل إلى جازان المدرسون المصريون، وكان أول من عمل في المدرسة المتوسطة الآن الأستاذ محمود نور الدين الحفناوي مدرس الرياضيات والعلوم، والأستاذ خالد الكرداني مدرس المواد الإجتماعية، وهكذا سار التعليم مقتصرا على التعليم الإبتدائي والمتوسط، وعلى معهد المعلمين الذي كان يقبل الطلبة المتخرجين من الإبتدائية، ولقد عمل في هذه المدرسة ـ أي العزيزية المتوسطة ـ مجموعة من المدرسين الوطنيين وهم علي حمد ومحمد عايش والأستاذ علي علاقي والأستاذ أحمد بالبيد والأستاذ عامر علي عامر ـ رحمه الله ـ والأستاذ سعيد المرابي والأستاذ أحمد الصوري والأستاذ علي أحمد الكاملي، وغيرهم.

المدرسة الثانية في المنطقة مدرسة أبي عريش، وقد أسست عام ١٣٥٧ هـ، وكان أول مدير لها الأستاذ أحمد علوي ـ كما ذكرت ـ كاتب العدل بأبي عريش، ثم الأستاذ علي بن أحمد عيسى بالوكالة ثم الأستاذ المربي الكبير السيد أحمد الأهدل، وهو أستاذ جليل وذو ثقافة عالية، ورجل إدارة من الطراز الأول له مكانة كبيرة لدى طلابه وأهالي أبي عريش، ويتمتع بأخلاق فاضلة وعلو نفس وكان يبادل الأهالي والطلاب نفس الشعور، وظل مدة طويلة في هذه المدرسة حتى نقل إلى إدارة التعليم في جازان مفتشا إداريا، فكان القدوة الحسنة لجميع الموظفين، وبعدها نقل إلى مكة المكرمة مديراً للتفتيش الإداري.

ثم تولى بعده إدارة المدرسة الأستاذ طاهر عوض سلام، وقد طور المدرسة وإدارتها وجعلها من أبرز المدارس في المنطقة، وإن صح لي القول فأقول إنها

كانت المدرسة النموذجية في أيامه، ثم الأستاذ محمد حمد الأقصم، وبعده الأستاذ حسن عبدالله العمودي، ولا يزال حتى الآن.

ومن المدرسين الذين عملوا في هذه المدرسة وشاركوا في النهضة التعليمية بالمنطقة الأستاذ محمد عبدالله العمودي والأستاذ صالح العمودي والأستاذ محمد عبدالله الميرابي والأستاذ الأديب علي أحمد الرفاعي، ومحمد الهادي الرفاعي وشباب مدينة أبي عريش تخرجوا من هذه المدرسة، عادوا وواصلوا دراستهم المتوسطة وفي معهد المعلمين، وعادوا إلى هذه المدرسة كمدرسين رداً للجميل، ولقد تخرج من هذه المدرسة شباب واصلوا تعليمهم المتوسط والثانوي والجامعي، فمنهم من حصل على الدكتوراة ويعمل في جامعة الملك سعود، منهم الدكتور محمد أحمد قاسم، والدكتور أحمد قاسم في كلية العلوم، ويكفيها فخراً أن الرجل الإداري القدير والمربي الجليل الأستاذ محمد سالم العطاس مدير التعليم بمنطقة جازان من خريجي هذه المدرسة، ومن حملة الماجستير في الإدارة والتربية المدرسية من احدى الجامعات الأمريكية، والأستاذ علي محمد الرفاعي مدير الشئون الفنية بإدارة التعليم ماجستير علوم، والأستاذ أبو بكر سالم العطاس عميد الكلية المتوسطة بجازان ماجستير علوم.

مدرسة صبيا الإبتدائية أسست عام ١٣٥٧ هـ وكان أول من افتتحها هو الأستاذ إبراهيم عقيل ـ من أهالي مكة، وعلى ما أذكر أنه توفى في المنطقة، رحمه الله ـ ثم خلفه في الإدارة الأستاذ علي بن أحمد عيسى، فالأستاذ سعيد عبدالواسع فالأستاذ أحمد خالد الأمير، ولا زال بها حتى الآن، ومن المدرسين الذين عملوا في هذه المدرسة الأستاذ مدني زكري والشيخ صالح العمودي، والأستاذ صديق شعيط، والأستاذ سعيد الميرابي والأستاذ محمد عبده زكري والأستاذ طاهر عوض سلام والأستاذ محمد البدري والأستاذ عبدالله عبده.

ومن الطلبة الذين تخرجوا من هذه المدرسة ونالوا الشهادة الإبتدائية وواصلوا دراستهم المتوسطة والثانوية والجامعية والدراسات العليا، فمنهم على سبيل المثال: الدكتور عبدالله بن يحيى باصهي، والدكتور الحازمي، والدكتور رشيد الصم وهؤلاء من أعضاء هيئة التدريس في جامعة الملك سعود كلية العلوم. والأستاذ أحمد إبراهيم مين ويعمل وكيل وزارة مساعد في وزارة التخطيط، والدكتور يحيى ناصر خواجي طبيب بشري والدكتور محمد زيد خواجي طبيب، والدكتور قاضي مقبول طبيب والأستاذ إدريس طيري، وغيرهم ممن واصلوا

تعليمهم الجامعي وأصبحوا من رجال التعليم في المنطقة ومن حملة الشهادة الجامعية.

هذه المدارس الثلاث التي تحدثنا عنها كانت الركيزة الأولى للتعليم في المنطقة، ولكن عندما نتحدث عن الإنطلاقة التي اندفعت بخطى سريعة في المنطقة فهي تبدأ من عام ٧٣/٧٢ هـ عندما تولى مولاي جلالة الملك فهد بن عبدالعزيز - حفظه الله - وزارة المعارف واهتم بنشر التعليم في جميع مناطق المملكة في المدن والقرى، كان من نصيب منطقة جازان عدد (١١) مدرسة ابتدائية، وهي: الحسيني، صبيا الجديدة، الشقيق، الأحد، العارضة، الظبية، الواصلي، الخصاوية، السعودية بجازان، المضايا، في عام ١٣٦٨ هـ وفتحت مدرسة في فرسان، وفي عام ٧٠ هـ مدرسة الملحا، في عام ١٣٧٢ هـ افتتحت خمس مدارس وهي:

١ - مدرسة بيش الإبتدائية.
٢ - مدرسة صامطة الإبتدائية.
٣ - مدرسة ضمد الإبتدائية.
٤ - مدرسة العالية الإبتدائية.
٥ - مدرسة الدرب الإبتدائية.

وفي عام ١٣٧٤ هـ زار المنطقة وكيل وزارة المعارف الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ يرافقه من المفتشين مدير المفتشين الإداري الأستاذ صالح الخزيم وبعض الموجهين، وخبراء تعليم لمسح المنطقة ودراسة ما تحتاجه من المدارس مستقبلا على اختلاف المراحل، وقد سر بما اطلع عليه من نظام وتقدم في مدارس المنطقة، وبعد عودته إلى الرياض صدر قرار وزاري برفع معتمدية المعارف إلى إدارة تعليم ابتداء من العام المالي ٧٦/٧٥ هـ وفي عام ١٣٧٨ هـ فتحت مدرسة فيفا، وهي أول مدرسة تم فتحها في الجبال، ومدرسة ثانوية في جازان، ومن هنا بدأت الإنطلاقة إلى التحاق طلابنا بالجامعات والكليات، وفي عام ١٣٨٠ هـ فتحت ثلاث مدارس ابتدائية ومدرسة متوسطة في صبياء.

وهكذا يتم افتتاح مدارس ابتدائية ومتوسطات وثانويات عام بعد عام حتى عام ١٣٩٢/٩١ هـ وهنا سأتحدث عن شخصية مربي كبير بذل كل مجهود في سبيل انتشار التعليم في هذه المنطقة، وركب الخطر وهو يستطلع البراري والجبال للاطلاع على ما تحتاجه المنطقة من المدارس، وكلف لجنة بمسح المنطقة، ألا

وهو الأستاذ محمد سالم العطاس، وبناء على المعلومات التي توفرت لديه، بدأ مطالبته بفتح مدارس في القرى وفي الجبال وقد لبت الوزارة مطالبه:

في عام ١٣٩١هـ	٢٢ ابتدائي	٥ متوسط	ـ ثانوي
في عام ١٣٩٢هـ	١٤ ابتدائي	٢ متوسط	ـ ثانوي
في عام ١٣٩٣هـ	ـ ابتدائي	١ متوسط	ـ ثانوي
في عام ١٣٩٤هـ	١٥ ابتدائي	٣ متوسط	ـ ثانوي
في عام ١٣٩٥ هـ	٨٧ ابتدائي	٢ متوسط	١ ثانوي
في عام ١٣٩٦هـ	٣٧ ابتدائي	١ متوسط	١ ثانوي
في عام ١٣٩٧هـ	٥٤ ابتدائي	٩ متوسط	٣ ثانوي
في عام ١٣٩٨هـ	٩٢ ابتدائي	١٤ متوسط	٤ ثانوي

طفرة كبيرة وعالية جداً، بذل فيها مجهود وتجاوب من وزارة المعارف، لأنها مبنية على تخطيط تربوي ومسح سكاني ومسافة طرق، وهكذا توالى فتح المدارس عام بعد عام إلى أن قسمت المنطقة إلى إدارتين للتعليم: إدارة التعليم في جازان، وإدارة التعليم في صبيا، وقد أصبح عدد المدارس في المنطقة إلى عام ١٤٠٤/ ١٤٠٥هـ كالآتي:

وعدد المدارس والمدرسين التابعين لها على اختلاف المراحل

إدارة التعليم في جازان

المرحلة	عدد المدارس	عدد الفصول	عدد الطلبة	عدد المدرسين
ابتدائي	٢٠٧	١٤٧١	٢٥١٦٨	١٩٧٤
متوسط	٥٣	٢٤٤	٥٣١٨	٥١٧
ثانوي	١١	٥٥	١٣١٨	١٠٠
معاهد معلمين	١٤	٢٧	٨٦٧	٨٩

بما في ذلك مدارس تحفيظ القرآن.

منطقة صبيا، وهي جزء من المنطقة

المرحلة	عدد المدارس	عدد الفصول	عدد الطلبة	عدد المدرسين
ابتدائي	٢٠٠	١٢٩٨	٢٠٦٦٦	١٧٠٩
متوسط	٥١	١٩٩	٤٠٦٩	٤١٧
ثانوي	٧	٣٤	٧٦٧	٦١
معاهد معلمين	٤	١٨	٤٠٢	٢٨

بما في ذلك مدارس تحفيظ القرآن.

وكل هذه المدارس مزودة بجميع الوسائل التعليمية الحديثة من كتب وخرائط وأجهزة عرض وأفلام تعليمية ومختبرات علوم للكيمياء والفيزياء والأحياء، بالنسبة للمدارس الثانوية والمتوسطة أما الإبتدائية فمزودة بأدوات مخبرية حسب المنهج المقرر كما يوجد في كل مدرسة مكتبة تحتوي على مجموعة من المراجع العلمية والأدبية والدينية واللغوية، وبعض الكتب التي تتناسب ومراحل الطفولة في المدارس الإبتدائية.

أما المباني المدرسية فالحكومي منها صمم على شكل هندسي ومدرسي يتفق والمباني المدرسية الحديثة، وبعضها على شكل مبسط، ولا زالت المشاريع مستمرة حتى تستغني الإدارة عن الدور المستأجرة.

هذه لمحة مبسطة عن التعليم في جميع مراحله للبنين.

الكلية المتوسطة بجازان

حرصت وزارة المعارف على إعداد المدرس للتعليم الإبتدائي إعداداً تربوياً، لتجعل منه المدرس القادر على أداء رسالته التعليمية بإدراك يتناسب والتربية التعليمية الحديثة، لذلك قامت بتأسيس الكليات المتوسطات في جميع المناطق التعليمية، ومن هذه الكليات المتوسطة بجازان والتي أسست عام ١٤٠١/١٤٠٢ هـ وتقبل هذه الكلية المدرسين الحاصلين على ثانوية معاهد المعلمين والحاصلين على الثانوية العامة ممن أمضوا عدة سنوات في التدريس

مع قبول خريجي الثانوية العامة من غير المدرسين، وحامل الثانوية العامة من غير المدرسين يسمى طالبا، أما المدرس فيسمى دارسا.

وقد أعد لهذه الكلية مبنى حديث نموذجي، وهو أشبه بمبنى جامعة من حيث التصميم المعماري، وتتوفر في هذا المبنى قاعات للمحاضرات ومختبرات ومكتبة كبيرة وصالات إحتفالات وملاعب رياضية وسكن للطلبة، وغير ذلك.

وقد التحق بهذه الكلية عدد من المدرسين ومن الطلبة حاملي الثانوية العامة، وقد بلغ عدد الخرجين في الأعوام الماضية ١٩٨٠ طالباً ودارساً، وذلك في عام ١٤٠٢/١٤٠٣ هـ وعام ١٤٠٤/١٤٠٥ هـ.

أما في هذا العام فقد بلغ عدد الدارسين والطلبة ٣٨٨ منهم ٥٥ دارساً، ٢٦ طالباً في التأهيل و٨٤ دارساً و ٤٠ طالباً في المستوى الأول، ١٦٠ دارساً و ٢٣ طالباً في المستوى الثاني، وهذا يبشر بالخير في المستقبل، وقد سرني جداً أن أجد في هذه الكلية مدرسين من طلبة الثانوية بجازان، وممن تخرجوا فيها، وهم: عميد الكلية الأستاذ أبو بكر سالم العطاس وهو يحمل ماجستير علوم وطرق تدريس علوم، الأستاذ معيد خواجي، ماجستير رياضيات والأستاذ عثمان حمادي ماجستير تربية وعلم نفس، على موسى طبيقي ماجستير لغة انجليزية، الأستاذ علي موسى عثمان ماجستير إجتماعيات، والأستاذ عبده محمد زيلعي ماجستير علوم وطرق تدريس علوم، الأستاذ أحمد محمد شدادي ماجستير تربية وعلم نفس، وهؤلاء جميعهم تخرجوا من جامعات بالولايات المتحدة الأمريكية، أرجو لهذه الكلية المستقبل الزاهر، وأرجو أن يوفق الله أبناءنا المدرسين في هذه الكلية لرد الجميل لهذا الوطن العزيز.

تعليم البنات

لقد حظيت الفتاة السعودية من قبل حكومتنا الرشيدة، وعلى مدار السنين الماضية وقبل ربع قرن من الزمن بإتاحة الفرصة لها لطلب العلم، الذي هو فريضة على كل مسلم ومسلمة، من أجل ذلك اتجهت حكومتنا الرشيدة لإنشاء إدارة عامة لتعليم البنات بفتح المدارس في المدن والقرى، وكان من نصيب هذه المنطقة افتتاح أول مدرسة في مدينة جازان، وهي المدرسة الأولى عام ١٣٨٢ هـ، وفتحت بعدها مدرستان احداهما في أبي عريش والأخرى في صبيا، ثم توالى بعدها فتح

المدارس في المدن الكبيرة في المنطقة، وفتح معهد المعلمات الإبتدائي والذي كان يقبل في ذلك الوقت حاملات الشهادة الإبتدائية للحاجة الماسة للمدرسات - حينذاك - ولم تقف إنطلاقة التعليم في السنين الماضية بل بذل المشرفون على تعليم البنات ممن عملوا في إدارتها جهوداً كبيرة للحصول على موافقة الإدارة العامة على التوسع في حركة التعليم في المنطقة، فازداد عدد فتح المدارس في المدن والقرى على إختلاف مراحل التعليم، من إبتدائي ومتوسط وثانوي ومعاهد معلمـات ثانـوية، حتى أصبحت مدارس تعليم البنات في جميع المدن والقرى والجبال، وذلك بفضل ما تبذله حكومتنا الرشيدة من العطاء في سبيل نشر التعليم، ولقد بدأت هذه الإدارة بإشراف ثم مندوبية ثم إدارة تعليم ثم إدارة عامة للتعليم، ويرأس هذه الإدارة رجل فاضل من أبناء هذه المنطقة، واسمحوا لي إذا قلت أنه يبذل كل ما في وسعه في رفع مستوى تعليم البنات في هذه المنطقة ولقد تطور التعليم في السنين الأخيرة، وهو جهد ينال كل تجاوب من المسئولين في الإدارة العامة، وعلى رأسهم الشيخ محمد عبدالله بن عودة، الذي ثرى وترعرع في هذه المنطقة ومن الدارسين في مدرسة جازان الأولى (مدرسة الملك عبدالعزيز).

أقول: إن مدارس البنات في هذه المنطقة تسير بخطى واسعة وسريعة على أساس المسح السكاني والمسافات التي تقارب وتباعد بين قرية وأخرى، ولقد عجبت كثيرا بهذا العدد الذي يمثل في الإحصاء الآتي:

م المرحلة	عدد المدارس	عدد الطالبات	
١ - رياض أطفال	٢	١٦٠	طفل وطفلة
٢ - ابتدائي	٢٤٠	٢٨٠٠٠	طالبة
٣ - متوسط	٥٢	٥٥٠٠	طالبة
٤ - ثانوي	١٤	٢٠٠٠	طالبة
٥ - معاهد معلمات	٢	١٥٠	
	٣١٠	٣٥٨١٠	

هذا إلى جانب كليـة متوسطة مجهزة، في مبنى حديث يحتوي على قاعات للمحـاضـرات ومختبـرات للعلوم وسكن للطالبات، ويعتبر من أفخم المباني في المنطقة وفي موقع حسن اختياره.

وقد أسست هذه الكلية عام ١٤٠١/ ١٤٠٢ هـ وقد بلغ عدد الخريجات من هذه الكلية كالآتي:

في عام ١٤٠٢/١٤٠٣ هـ ٥٧ طالبة من الأقسام الآتية:

١ ـ الدراسات الإسلامية	٣٣ طالبة المرحلة المتوسطة
٢ ـ اللغة العربية	١٩ طالبة للمرحلة المتوسطة
٣ ـ الرياضيات	٥ طالبات للمرحلة المتوسطة

في عام ١٤٠٣/ ١٤٠٤ هـ ٤٨ طالبة من الأقسام الآتية:

١ ـ الدراسات الإسلامية	٢٢ طالبة للمرحلة المتوسطة
٢ ـ اللغة العربية	١٢ طالبة للمرحلة المتوسطة
٣ ـ العلوم	٤ طالبات للمرحلة المتوسطة
٤ ـ لغة انجليزية	٤ طالبات للمرحلة المتوسطة
٥ ـ إقتصاد منزلي	٦ طالبات للمرحلة المتوسطة

في عام ١٤٠٤/١٤٠٥هـ بلغ عدد الناجحات كما يأتي:

١ ـ القرآن والدراسات الإسلامية	١٧ طالبة للمرحلة الإبتدائية
٢ ـ اللغة العربية والعلوم الإجتماعية	٩ طالبات للمرحلة الإبتدائية
٣ ـ علوم ورياضيات	٢ طالبة للمرحلة الإبتدائية
٤ ـ اقتصاد منزلي وتربية فنية	٤ طالبات للمرحلة الإبتدائية

بهذا يكون عدد الخريجات في هذه الأعوام ١٣٧ طالبة.

أما عدد الطالبات لهذا العام الدراسي ١٤٠٥/ ١٤٠٦ هـ فهن موزعات على الأقسام الآتية:

السنة الأولى

١ ـ القرآن الكريم والدراسات الإسلامية	٤٢ طالبة + ١ معلمة
٢ ـ اللغة العربية والدراسات الاجتماعية	٥٢ طالبة
٣ ـ علوم ورياضيات	٦ طالبات
٤ ـ اقتصاد منزلي وتربية فنية	١٦ طالبة
	١١٦

السنة الثانية

١ ـ القرآن الكريم والدراسات الإسلامية	١٨ طالبة + ٢ معلمة
٢ ـ اللغة العربية والدراسات الاجتماعية	١٦ طالبة + ٢ معلمة
٣ ـ علوم ورياضيات	١٠ طالبة + ٢ معلمة
٤ ـ إقتصاد منزلي وتربية فنية	١١ طالبة + ٢ معلمة
	٦٣

جميع الطالبات ٦٣ + ١١٦ = ١٧٩ طالبة.

أرجو لهذه الكلية التوفيق.

وبهذه المناسبة أرى لزاماً عليّ أن اتحدث عن شخصية جليلة قدمت للمنطقة خدمة جليلة تتحدث بها الأجيال، وهذه الشخصية الفاضلة هو: الشيخ عبدالله القرعاوي، الذي خدم العلم في هذه المنطقة، فلقد قدم إلى هذه المنطقة في الخمسينات ـ أي قبل خمسين سنة ـ وأقام في مدينة صامطة، وبدأ يعلم الطلبة القرآن الكريم والفقه والتوحيد والحديث، وقد درس على يديه في هذه المدرسة عدد من أبناء صامطة وما حولها من القرى وكان يبذل كل ما في وسعه لنشر التعليم، وعندما يرى أن طلابه في حاجة مادية كان يواسيهم بما يقدر عليه في ذلك الوقت وعندما رأى رغبة أهل القرى في طلب العلم اتصل فضيلته بجلالة الملك المعظم عبدالعزيز ـ طيب الله ثراه ـ وولي عهده في ذلك التاريخ جلالة الملك سعود، فخصصوا له مبلغا من المال لمساعدته على نشر التعليم، وبهذه الإعانة استمر في نشر التعليم في القرى، وكان تعليمه يتركز على القرآن والحديث والفقه والتوحيد، وعلم الفرائض واللغة العربية، وقد تخرج على يديه من هذه المدارس القروية علماء وقضاة ومرشدون ومدرسون وأئمة مساجد، منهم من عمل في التعليم وكرس حياته كلها للعلم والتأليف والإرشاد، وأمثال الشيخ حافظ الحكمي وأخوه محمد أحمد الحكمي، ومنهم من عمل في القضاء والإرشاد وهيئات الأمر بالمعروف، أمثال الشيخ حسن زيد والشيخ علي محمد العريشي والشيخ محمد القرني والشيخ جبريل حملي والشيخ محمد جابر مدخلي والشيخ أحمد جابر مدخلي والشيخ أحمد النجمي والشيخ إبراهيم الكاشف الذي سماه الشيخ إبراهيم الشامي وغيرهم كثيرون لا يتسع المجال لإحصائهم.

وقد ظل فضيلته يخدم العلم حتى وفاته ـ رحمه الله وجزاه خير الجزاء ـ وبعد

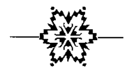
وفاته انتهت هذه المدارس، إلا أنه قبل وفاته طالب بإفتتاح معهد علمي بمدينة صامطة، وفعلا تم فتحه في عام ١٣٧٤ هـ وكان أول مدير ـ على ما اعتقد ـ الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ـ رحمه الله ـ، وقد التحق أكثر طلابه بهذا المعهد، ومن هذا المعهد تخرج عدد كبير من أبناء المنطقة والتحقوا بكلية الشريعة واللغة، وقد تخرج من هذه الكلية من أبناء المنطقة من يعمل في الوقت الحاضر في مختلف الوظائف الحكومية، فمنهم القاضي ومنهم المدرس ومنهم المرشد ومنهم في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن أكثر خريجي هذه الكلية من أبناء هذه المنطقة يعملون الآن في سلك التدريس في المدارس الثانوية والمتوسطة وإدارات التعليم في المناطق التعليمية، ومن هذا المعهد تطور فتح المعاهد العلمية في المنطقة، فأصبح في المنطقة المعاهد الآتية:

١ ـ معهد جازان العلمي	وعدد طلابه	٣٢٠ طالبا
٢ ـ معهد صامطة العلمي	وعدد طلابه	٧٠٠ طالباً
٣ ـ معهد ضمد العلمي	وعدد طلابه	٣٧٠ طالباً
٤ ـ معهد صبيا العلمي	وعدد طلابه	٤٣١ طالباً
٥ ـ معهد فيفاء العلمي	وعدد طلابه	٢٧٥ طالباً

هذا الإحصاء بناء على المعلومات التي تحصلت عليها من الشيخ علي بن صديق مدير المعهد العلمي بجازان.

وبهذا أكون قد أعطيت لمحة موجزة عن مسيرة التعليم في منطقة جازان، إذ أن الوقت لا يتسع لأكثر من هذه اللمحة.

والله الموفق.





المُقَدِّمَات

دراسة وتمهيد لفن المقدمات

المقدمات أو التصديرات من فنون البيان وباب من أبواب الحرف ومجال من مجالات الكلمة، فإنها الواجهة الرئيسية والمدخل الفني والبوابة المتألقة فيها يفرغ المؤلف طاقته ويظهر قدرته، ويبدع في أسلوبه، ويوضح منهجه، ويبين طريقته، ويحدد مهيعه، ويفرع مجمل مؤلفه، وأبواب وفصول كتابه ومحتويات سفره وما شمل عليه من علم وآداب أو فن من الفنون أو ضرب من ضروب المعرفة، ورب مقدمة أخذت لب معارف الكتاب وزبدة المؤلف، فهذه مقدمة ابن خلدون، نالت من السطوع وحظيت من الذيوع ولقيت من الشهرة وظفرت من التقدير ما لم يظفر به الكتاب الذي هو «تاريخ العبر» لابن خلدون نفسه، وإن كان ليس كل مقدمة هي مقدمة ابن خلدون.

إن مقدمة أي مؤلف هي لسان حاله ومجال علمه ومفتاح طريقته، وميدان استعراض فكره، ويكفي لأهمية المقدمات والتصديرات، أنه لا يوجد كتاب بدون مقدمة، ولا مؤلف بدون تصدير.

وإذا كانت المقدمات من الأهمية بهذه الدرجة، أفلا يحق لنا أن نفرد لها في باب التاريخ الأدبي مكانا ـ بالنسبة إلى أدب المنطقة ـ لتكون نمطاً من أنماط أدبه، وطريقة من طرق بيانه الأدبي ومقياساً لعمق تفكيره أو بساطته لأن في البساطة ما يربو على العمق وتكسب صاحبها درجة الوضوح البياني، وتجنبه التعقيد وتبعده عن التحذلق.

لقد استعرضت في الجزء الأول بعض المقدمات والتصديرات تمثل في ذلك التاريخ منهج القوم، وسنن طرائقهم ـ بالنسبة إلى العهود السابقة فيما قبل القرن الثالث عشر.

والآن نستعرض المقدمات والتصديرات في القرن الرابع عشر وفي فطنة القارىء ما يغني عن الإطالة والإسهاب.

حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب
وآثاره العلمية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين.. وبعد:

في التاريخ دعوات قام أصحابها يدعون إلى الإصلاح الديني والنهضات الإجتماعية، اختلفت قوة وضعفا، وقربا وبعدا، من روح الدين وصحة العقيدة وإنما قل أن قامت دعوة على التوحيد الخالص، وكان لها من التأثير والإنتشار في عصرها وبعد عصرها، ما كان لدعوة التوحيد التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

دعوة لم تكن جديدة، وإنما هي إحياء لروح الإسلام، وهدي الرسالة المحمدية، كما كان في عهد الخلفاء الراشدين.

لقد كتب الله لها الاستمرار والبقاء كشعلة هادية ونبراس مضيء، وإصلاح ديني يتمثل في دولة إسلامية رائدة سداها ولحمتها الإسلام ديناً وعقيدة وتشريعاً وأخلاقاً.

دولة لم تشهد «الجزيرة العربية» - بالذات - لها ضريعاً، من بعد عهد الصدر الأول إلى هذا التاريخ.

منذ انتقلت الخلافة من المدينة إلى «دمشق» - أولا - وبغداد ثانيا بدأت أحوال الجزيرة تهمل، وقبائلها تنحدر رويداً رويداً إلى هاوية الجهل والتأخر مواكبة ركب الحياة، حتى عمتها العتمة وتوارت في زاوية الظل، وعادت قبائلها التي هي الأكثرية عدداً، والأشد قوة إلى ما يشبه جاهليتها الأولى.

أما الحالة التي تردت إليها قبل عهد الدعوة السلفية فأرجع إلى الفصل الخاص بـ «الإطار الزمني» لتلك الفترة.

إنها نهضة إسلامية وإصلاح إجتماعي، هدت القبائل المتوحشة الجاهلة وأيقظت المدن والبلدان التي كانت في غيها وشركها سادرة، ووسع من ضيق تفكير الأمة.. المحدود إلى الآفاق الإسلامية السمحة، فجددت إسلامها، وسمت بعواطفها ووجدانها، إلى أجواء الإنسانية السامية، وهذبت طباعهم القاسية ولطفت قسوتهم الجافة، وكفتهم عن فجائع امتهان الغارات، واحتراف الغزو، إلى الحرب

المشروعة التي تهدف إلى إعلاء كلمة لا إله إلا الله، ثم إلى هدف نبيل وغاية سامية، ومصلحة عليا.

تلك الأمة التي كانت لا تنقاد إلا لغرائزها البدائية، عرف ذلك الداعية المصلح كيف يهديها بهدى الدين والانصياع لأوامر الله وهدي رسوله ﷺ.

إن أوامـر ونواهي الدين ترضي الميول الرفيعة في نفوس أتباعها، وتضفي القداسة إلى تسهيل طاعتها للزعيم المخلص في دعوته إلى الله عز وجل.

إن المصلح الديني يجدد في الأمة التصور الروحي الذي كاد يتلاشى في قلوبهم، والتسـامي الخلقي الذي محاه الشرك والجهل، وسواء تقبلنا آراءه، أو ترددنا في قبولها، فإننا نستضيء بإرشاداته إلى ما ينفعنا بإذن الله في ديننا ودنيانا.

إنه قدوة ملهمة، وقوة بمشيئته تعالى دافعة، وطاقة خلّاقة ترشد الجموع وتوجه الجمـاهيـر، وتعلم النـاس في الوقت القصيـر والأمد القريب مالا تتوصل إليه المدارس في أجيال.

من خصائص النهضة الدينية إبرازها الحياة الروحية في مظهر من قوة العزيمة واكتساح كل ما يقف في سبيلها.

إن الإصلاح الديني هو أعظم عمل لأمة يقوم به داعية إلى الله. إنه تجديد لمسار وإحياء لعقيدة، ودعوة صادقة إلى المنابع الثرّة الصافية للدفق الأول من فيض الرسالة، وتوظيف الحياة بعد عبادة الله لخدمة الحق والعدل، وسيادة الدين والغلبة لأمته والتفوق لأهله.

إن معتنقي الدعوة السلفية أصبحوا - بحق - ترجمة حية لعقيدتهم، وصورة ناطقة لتعاليم الإسلام، وما قاموا به من انجازات رائدة في شبه الجزيرة، وعالم الإسلام هي التي أخصبت الحاضر المشرق بما نثرته من بذور الإصلاح، وإحياء معالم الدين.

لقد كانت تلك الدعوة نبراسا هادياً، وقوة منفذة قضت على الأوهام في عقول شعب وأزالت الضـلال عن أبصار أمة، فانعكست على أفكار المسلمين ضياءً متوهجا غسل النفوس من أوضار الشرك وأدران الاتكال والتخاذل، وحرر الإنسان من أوهام الخرافات وأطلق روحه، من قيود الإلحاد وأغلال الأساطير.

العقائد تكبر وتتجسد بأداء الشعائر الدينية، وقد شدد الإسلام على أدائها وقد جدّد الشيخ رحمه الله التأكيد على أدائها وتأديب المتواني أو المتخلف بدون عذر شرعي.

دعوة عظيمة جياشة، تجتاز المألوف من التقاليد المتعفنة، والعادات المهترئة غيرت الأوضاع الآسنة، والأعراف البالية.

إن المعيار الذي ينبغي الحكم به على أعمال أي مصلح، هو قدرته ـ بعد مشيئة الله تعالى ـ على الأحداث وتغييرها إلى الأفضل والأحسن ـ وتعميم الإصلاح واستمرار تعاليم دعوته. وهذا ما نخاله ينطبق على صاحب الدعوة السلفية،.. فالمصلح الصادق، والمجدد الحقيقي، هو الذي يتعرف على عيوب مجتمعه فيبدأ، أولا بإصلاح نفسه، وبإصلاحها يسري ـ بإذن الله سبحانه وتعالى ـ تأثير أفعاله إلى من حوله، وتنتشر أفكاره في من يحاول إصلاحهم، فيشع نور العقيدة، وضياء الإيمان مع أسمى المشاعر، وأنبل العواطف، فيذكي قواهم الروحية لمقاومة كل معارضة، وتخطي العوائق.

فمن شأن كل نهضة إصلاحية أن تفرز أنشطة ايجابية تغير أعمال مجتمعها من الشرك إلى الإيمان، ومن الضعف إلى القوة، فيبقى طابعها على اتباعها يتألق في حماس ديني، وغبطة روحية علياء لأنه بقوة الإيمان تسخن الدماء الباردة، وتجدد الحياة الجامدة.

رحم الله ذلك الداعية المصلح لقد كانت حياته في أفق الإسلام ضياء، وعلى الكفر شواظا، بلغ ذروة النضج المؤهل للعطاء، لقد منحه الله القدرة والرؤية والاستيعاب، فوظفهم في الإسلام.

أهل أجيالا للإصلاح والنهوض، وكون أمة، عاشت ولا زالت تعيش في وهج من أشعة تفكيره، فكان من توفيق الله سبحانه وتعالى، واتباع تعاليمه ما يتمتع به هذا الشعب الكريم من رفاهية فارهة، ونهضة بناءة ومستوى معيشة عالية وتوسع في مجال التقدم والعمران.

زعيم إسلامي انبسط في هدوء وثبت في عمق وعلا في تسامي وسمو، عاش مجاهدا لهدم صروح الشرك، داعيا إلى هداية العقول، كان القلب النابض في الأمة حتى لقى ربه.

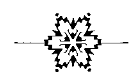
له الخطرات الثاقبة، والآراء الصائبة، التي أضفت على مجتمعه جوا من السكينة والوقار، وبث فيه روح التحرر، وثبات الجهاد، وتمكن بعون الله تعالى من أن يجلو القضية الإسلامية، في اطارها الوضاء على مستوى العالم، ودنيا الإنسان، كلماته حافلة بالتفكير النير، والتوجيه الملهم، كان صاحب المعية وهبه الله اشراقة الوعي، وشفافية الفكر.

ألف مجموعة من الرسائل والمؤلفات الإسلامية، أضاءت القلوب بنور الإيمان،

وهدي الإسلام، ودربت مجتمعه على شرف القتال ـ المشروع ـ ومجد الاستشهاد ونبل التضحية في سبيل الله عز وجل.

إن شخصية الشيخ الإمام رحمه الله لم يرتبط وجودها بحياتها الفانية، بل إن موتها بداية حياة جديدة لدعوتها الإسلامية العظيمة، كمنار إشعاع لنهضة صاعدة ودولة إسلامية رائدة.

دعوة ظلت وستظل ـ بإذن الله ـ مادة إصلاح، ومنار توحيد، ونبع تقدم وازدهار في دنيا الإسلام، وعالم العروبة، جعلها الله إرث غنى، ومعين هداية لا ينحسر مدها، ولا ينضب معينها، ولا ينقطع أجرها.



تصدير ديوان الأزاهير
للأستاذ محمد بن علي السنوسي(١)

تصدير

يقول شاعر العربية الكبير أبو تمام الطائي:

ولو كان يفنى الشعر افنته ما قرت
حياضك منه في العصور الذواهب
ولكنه فيض العقول إذا انجلت
سحائب منه أعقبت بسحائب

---

(١) الأستاذ محمد بن علي السنوسي ولد بجازان عام ١٣٤١ هـ وتلقى القراءة والكتابة على يد والده الشيخ علي محمد السنوسي، ثم ألتحق بمدرسة - كتاب - الأستاذ علي بن أحمد عيسى، وأتم على يده القراءة والكتابة والحساب، ومن ثم التحق بحلقة تدريس الشيخ عقيل بن أحمد، وقرأ على يده مبادىء الفقه والنحو والصرف، ثم توظف في المالية ملازماً، ثم انتقل إلى إدارة الجمارك كاتب صادر ووارد ولا زال يترفع إلى أن ترفع إلى وظيفة مدير جمرك جازان، ثم أميناً للجمارك إلى أن تقاعد في حوالي ١٣٨٠ هـ، ثم رئيساً للبلدية، ثم تعين مديراً لإدارة كهرباء جازان، وأخيراً تفرغ للأدب، وعندما افتتح نادي جازان الأدبي أنتخب نائباً لرئيس النادي الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي، وبعد أربع سنوات ترأس النادي خلفاً للعقيلي وظل على ذلك إلى أن أدركته الوفاة عام ١٤٠٧ هـ تغمده الله برحمته.

ومن آثاره الأدبية خمسة دواوين شعرية، وهي:

١ - ديوان القلائد.
٢ - ديوان الأغاريد.
٣ - ديوان الأزاهير.
٤ - ديوان الينابيع.
٥ - ديوان نفحات الجنوب.

وأخيراً طبعت جميع تلك الدواوين في ديوان واحد تحت عنوان (الأعمال الكاملة للشاعر الأستاذ محمد بن علي السنوسي)، نشرت معظم قصائده، في مجلة المنهل، كما نشر بعضها في مجلة الأديب اللبنانية ومجلة الحج السعودية، كما نشرت له بعض قصائده في مجلة الهلال، ترجمت له قصيدتان الى اللغة الإيطالية، ونشرتها مجلة الشعراء التي تصدر بروما.

إصداراته: عدا مجموعته الشعرية - المتقدم الإشارة إليها - صدر له كتاب «مع الشعراء»، دراسات وخواطر أدبية.

والسنوسي - رحمة الله - من الشعراء والأدباء الذين حضروا مؤتمر المربد بالعراق وكرموا من وزارة الثقافة العراقية بميدالية المتنبي(١) وهو من الرواد الذين كرموا بمؤتمر مكة.

---

(١) المصدر:
١ - شعراء الجنوب
٢ - مجموعة أشعار السنوسي
٣ - مجموعة معلومات واصله للعقيلي.



محمد علي السنوسي

والأُمة العربية منذ فجر تاريخها القديم إلى ضحى عصرها الحاضر أُمة شاعرة تهتز للكلمة البليغة وتطرب للبيان الرفيع: يستوي في ذلك أميرها الكبير وفقيرها الصغير وحاضرها المترف وباديها القشف: وما ذلك إلا لما تتسم به عواطفها من حس مرهف وشعور رقيق. وليس غريباً على الأُمة العربية أن تحتفل بالآداب عامة وبالشعر خاصة وهي التي نزل القرآن الكريم بلسانها البليغ ولغتها الشاعرة.

يقف الماتح على البئر وهو يردد أناشيد الحياة وأهازيج الهوى، وينطلق البطل منها إلى المعركة وهو يرتجز بمعاني البطولة وأغاريد النضال، ويعتلي أميرها المنبر وهـو يستشهـد بأبيـات الحكمة وآيات الهدى، ويحاور أديبها في نوادي الرأي ومجالس الفكر وهو يستنجد بالشعر لتأييد حجته وتقوية رأيه يرسل الحكمة البليغة في عرض حديث كاللؤلؤ المنثور.

وما دام للشعر كل هذا المقام وكل تلك المزايا فسيظل باقياً ما بقيت الحياة، منها يستمد القوة وفي فمها يزقها ؟ وكلما انجلت منه سحائب أعقبت بسحائب أخرى كما يقول أبو تمام.

وبعد: هذا ديواني الثالث بعد (القلائد) و (الأغاريد) اللذين لقيا من فضل حفـاوتـك وكـريم إعجـابـك وسخي تقديرك ما شجعني على إبراز هذا الديوان (الأزاهير) إلى حيز الوجود راجياً أن يلقى من رضاك وينال من رعايتك ما لقيه أخواه السالفان والله ولي التوفيق.

تصدير ديوان القلائد
للأستاذ محمد بن علي السنوسي

تصدير

القلائد، الأغاريد، الأزاهير، الينابيع، نفحات الجنوب.

هؤلاء أبنائي أيها الأحبة. أقدمهم إليكم بلا غرور وأعرف بهم بلا عجب.

اختلفت ألوانهم وتباينت أسماؤهم. ولكنهم يحملون سحنة واحدة وملامح واحدة هي سحنــة (محمــد بن علي السنوسي) صاحب هذه المجموعة الشعرية التي تفرقت على مدى السنين والأعوام والشهور في دواوين ثم ضم شملها في ديوان واحد.

أجل هذه هي المجموعة الشعرية لـ (محمد بن علي السنوسي) الذي ولد بين أعاصير مدينة جازان وغبارها في فصل الصيف ونشأ في جوها المعتدل وبرودتها العذبة في فصل الشتاء وشواطئها الحالمة وسمائها الزرقاء الصافية في فصل الربيع وسهولها المنبسطة وسيولها المتدفقة في فصل الخريف.

أجل أيها الأحبة هؤلاء هم أبناء فكري وأولاد روحي منذ صدح فمي بالشعر وزقزق بالغناء معبرا من خلال تلك القوافي عن أفراحي وأتراحي وآمالي وآلامي وسروري وحزني وارتعاشة حسي ونبضات قلبي لأكون أولاً وقبل كل شيء صادقا مع نفسي وصادقاً مع مجتمعي وبيئتي التي عشت فيها ودرجت على ترابها وغنيت آمالها وأمانيها وخيالاتها وطموحها، وكل من يريد. أن يعطي للشعر تعريفاً مانعاً جامعاً كما يقولون لوصفه أو تعريفه فقد جنى عليه ومات بين يديه وما أشد حاجتنا في عصر السعار المادي والحياة الممكنة من رفرفة أجنحة الشعر وزقزقة مناقيره لتفيء نفوسنا اللاهثة إلى دوح ظلها الظليل ومائها العليل فتطمئن بها النفوس وتترشف الندى وتبلها القطرات.

وما دام الإنسان يحس ويشعر بكونه الداخلي ومؤثراته الخارجية فسيظل الشعر سبباً هاماً في سعادته وشقائه ونعيمه وعذابه وصداقته وعداوته وما أصدق شاعرنا وكاتبنا الكبير عباس محمود العقاد يرحمه الله في قوله:

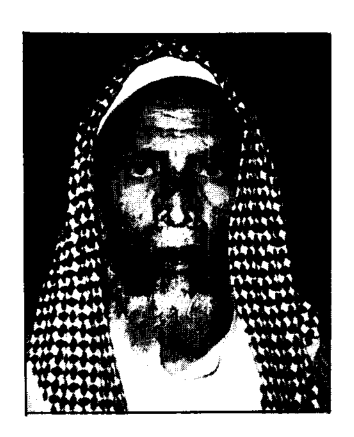
ما دام في الكــون ركــن للحـــيــاة يرى

ففــي صحــائــفـه للشــعــر ديــوان

ومن كل من ألهمني بأنة حزينة من قلبه أو إبتسامة رضية من ثغره أو كلمة حب من فمه فقد أوحى إلى قلبي قصيدة وبنى في داخلي (فلة) أجوس خلالها بمشاعري المرهفة وإحساسي الرقيق، ليأتي ذلك تعبيراً في قصيدة أو مقطوعة تحمل نبض قلب حساس وارتعاشة شعور فياض وذلك فيما أعرفه هو الشعر الجيد الذي تتجاوب به النفوس في الخلا وتتحاور به الأفئدة في الملأ في كل شأن من شئون الحياة وفي كل مجال من مجالاتها.. أليس كذلك.



مقدمة كتاب كشف النقاب
للشيخ أحمد بن عبدالله الحازمي[1]



المقدمة:

الحمد لله القائل ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ محمد. الآية (١٩).

والقائل ﴿ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ ﴾ البقرة: الآية ٢٨٤.

والصلاة والسلام على خير خلق الله القائل: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى**» وعلى آله وصحبه. متفق عليه.

أشكر الله عز وجل إذ هدانا للإيمان وما كنا لنتهدي لولا أن هدانا الله، وأسبغ علينا نعمة الإسلام والأمن والاطمئنان، إذ قيض الله لهذه البلاد رجالاً أقوياء.. رجالاً رحماء.. رجالاً أوفياء.

---

(١) الشيخ أحمد بن عبدالله بن محمد بن حسن بن علي الحازمي، ولد بقرية ضمد عام ١٣٤١ هـ ودرس في وطنه على كثير من علماء بلده، على الشيخ يحيى بن موسى الحازمي، والشيخ أحمد بن علي بن عبدالفتاح الحازمي، والشيخ محمد عثمان جوحلي ، والشيخ محمد بن أحمد إدريس الحازمي، كما درس في اليمن على عدد من المشـايـخ ونال إجازتهم، عمل مدرساً بمدرسة الحقو، ثم مديراً لمدرسة ضمد، ثم مديراً لمدرسة الشقيري الابتدائية والمتوسطة ثم أعيد إلى متوسطة ضمد وعمل بها حتى أحيل إلى التقاعد بعد أن أمضى في خدمة العلم والتعليم خمسة وثلاثين عاماً.

مؤلفاته:

١ ـ كتاب كشف النقاب، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠م

٢ ـ العقود المضيئة في التراجم المنيرة (جاهز للطبع).

٣ ـ رسالة في حديث (اتق الله ولا يضيرك أن تكون بجانب ضمد) جاهز للطبع.

٤ ـ مشاركات في الشعر والنثر، وعلى وجه العموم فهو موسوعة أدبية.

أقـويـاء على أعدائهم، رحماء فيما بينهم، أوفياء لأوطانهم.. ألا وهم الأسرة السعودية الملكية المباركة، وعلى رأسهم مؤسس هذه الدولة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود طيب الله ثراه.

فهي دولة شادها بانيها، وتابعه على خطاه أبناؤه من بعده، فاستطال البناء، وظهر عالياً كريماً يسعد به كل من رآه.

ونحن اليوم في عصر النهضة والتقدم الحضاري التي شملت أقطار المملكة من جنوبها إلى شمالها، ومن شرقها إلى غربها، وتقدمت تقدماً يثلج الصدر ويقرّ العين، علمياً وأدبياً، وصحياً، وإقتصادياً، حتى صارت مضرب المثل في ميدان التقدم والحضارة، ومن أقطارها وأجزائها منطقة جازان التي ظفرت بالقسط الوفير والنصيب الأوفر منذ عهد مؤسس هذه الدولة وقائد هذه المسيرة الملك عبدالعزيز ابن عبدالرحمن يرحمه الله. ولا زالت المسيرة سائرة في أبنائه العظام من عهد سعود وفيصل وخالد إلى أن سطع نور النهضة وتبلج ضياء التقدم في عهد خادم الحرمين الشريفين الفهد العظيم:

له همـم لا منتـهى لكبـارهـا وهمتـه الصغـرى أجل من الدهر

فأصبح العمران منتشراً والتقدم ملموساً، ويكفي أن من أبنائها في هذا العهد الميمـون رواد الفضـاء، والأطباء والأساتذة والإداريين، والأخصائيين والقضاة الشرعيين والمؤرخين والشعراء والأدباء، ولا أستطيع إيفاء هذا الموضوع حقه، فأكتفي بالتلميح عن التصريح وبالإشارة عن طول العبارة، وبعد:

فلقد اطلعت على النبذة التاريخية عن التعليم في تهامة وعسير للأديب/ حجاب ابن يحيى الحازمي، فسرني جداً ما قام به الابن الباحث، حيث القى الضوء على التعليم في تهامة وعسير، هذا الجزء الذي أغفله معظم من كتب عن التعليم في شبه الجزيرة العربية. ولا شك أن الأستاذ حجاب الحازمي قد بذل جهداً يشكر عليه وندعوه إلى بذل مزيد من الجهد للتنقيب عن تراث هذه المنطقة العلمي، والذي كاد يذهب ويزول لولا ما قام به المؤرخ الكبير الأستاذ محمد أحمد العقيلي من جهد كبير يشكر عليه، في إخراج تراث هذه المنطقة الغالية إلى حيز الوجود حفظه الله وعافاه.

وإنني أدعو أبنائي شباب هذه المنطقة أدباء ومثقفين للتنقيب عن تراث هذه

المنطقة (جازان) والمعروفة قديماً باسم (المخلاف السليماني)(١). إذ هو تراث عظيم جدير بالاهتمام والدراسة.. الخ.

---

(١) المخلاف السليماني: هو الاسم التاريخي لمنطقة جازان قديماً. وقد تردد كثيراً في أشعار الشعراء. قال ابن هتيمل الضمدي.

إن ضاق بي وطني «المخلاف» أو جهلت　　أهلوه حقي ففي الآفاق متسع

وقال:

أغرى به الأعداء في المخلاف من　　أغرى وأرجف منهم من أرجفا

وقال الشاعر منصور بن سحبان الضمدي (القرن السابع الهجري)

ولا يغررك بعدك فالليالي　　بما ترجو وما تخشى حبالا
فبعد هجاك «مخلاف بن طرف»　　فلست لمكة ترجو وصالا

وقال الشاعر العقيلي:

إليك أبا عبد الإله سبيكة　　تحيل ضباب الدجن من نورها صحوا
لها خلجات الروح في كل خافق　　ونشوة أقداح الرحيق لمن يروى
يرددها المخلاف أنشودة سمت　　يغني بها ما بين فاس إلى نزوى
(محاضرات من الجامعات والمؤتمرات للعقيلي) من ٧٨ - ٧٩

* والمخلاف السليماني جزء من تهامة، وتهامة جزء كبير من الجزيرة العربية، يمتد بمحاذاة ساحل البحر الأحمر من اليمن جنوباً إلى خليج العقبة شمالاً، وينقسم الآن إلى تهامة اليمن في الجمهورية العربية اليمنية، وتهامة عسير والمخلاف السليماني - منطقة جازان - بالمنطقة الجنوبية من المملكة العربية السعودية، وتهامة الحجاز التابعة للمنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية، وتطلق تهامة على مكة المكرمة بصفة خاصة من إطلاق العام على الخاص.

«أبو الحسن علي بن محمد التهامي حكايته وشعره» للدكتور محمد بن عبدالرحمن الربيع «بتصرف» ص ١٦-١٧.

مقدمة ديوان جراح قلب
للشاعر علي بن أحمد النعمي(١)

من الكلمة لابد

عزيزي القارىء..

لابد من الكلمة، أو من الكلمة لابد ـ سيان ـ ليست معلومة إجبارية تحاصرك لترغمك على قبولها. أبداً ليس الأمر كذلك وإنما هي في الحقيقة إضاءة فرضها الموقف، وأملتها المناسبة.

لقد عشت ـ كما يخيل لي ـ مشواراً ليس بالسهل، ولا بالبسيط مع ثلاثة دواوين شعرية هي.

عن الحب ومنى الحلم، الرحيل إلى الأعماق، الأرض والعشق لشخصي المتواضع ولهذا السبب ـ وهذا السبب وحده ـ كان لابد من الكلمة.

كان لابد منها من أجل الاقتراب منك، ومن الاستئناس برأيك في طلب وددت تقديمه إليك. ثقة بك، واعتماداً عليك فلتطب نفساً وهو طلب قد تتجاوب معه، وقد ترفضه. ولكنه طلب يظل بحاجة إلى معرفته بعد الإطلاع عليه، ومن ثم اتخاذ القرار بشأنه.

---

(١) الأستاذ الشاعر علي بن أحمد النعمي من مواليد ضمد عام ١٣٥٦ هـ حصل على ليسانس اللغة العربية من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٣٨٧ هـ. له أربعة دواوين شعر مطبوعة، وله عدة مقالات صحفية متنوعة، شارك في أمسيات شعرية في عدد من النوادي الأدبية بالرياض والمؤسسات الثقافية، والمشاركة في مهرجان الشعر العربي الثالث ببغداد عام ١٣٩٧ هـ.

عضو مجلس إدارة نادي جازان الأدبي، وعضو مجلس إدارة نادي الوطن بالرياض، كما حصل على الميدالية الذهبية من مهرجان الشباب العربي ببغداد ـ لجنة المسابقة ـ وشهادة تقدير من نادي الصواري بفرسان.

والشاعر طويل النفس، في شعره نفحة من التجديد، وإني أتمنى على الشاعر أن يوظف هذه المقدرة الشعرية في ملحمة تاريخية، وهي ثورة العصيان في عام ١٣٥٢ هـ على أن يستقي عناصرها من ملحمتي الشاعر الشعبي حسن محمد أبو دقاش المسجلتين في كتابي «الأدب الشعبي في الجنوب» جـ١ من ص ١١٩ إلى ص ٢٣٢، جـ٢ من ص ١٦٣ إلى ص ١٧٣.

ودواوينه الأربعة هي:

١ ـ عن الحب ومنى الحلم

٢ ـ الرحيل إلى الأعماق.

٣ ـ جراح قلب

٤ ـ الأرض والعشق. وله ديوان خامس تحت الطبع.

عزيزي القارىء.

أعرف أن وقتك غال وثمين وأنك لن تهدره إلا فيما يعود عليك بالنفع ولكني سأمضي بك في جزء منه إلى قاعة مستديرة في صالة مغلقة من صالات الفكر تتناثر فيها شتى الألوان وبشتى الوجوه، والأسماء، والهيئات وليس من أحد يتصدر المنصة غير الضمير الأدبي الحي الذي يستطيع سبر أغوار تلك الألوان، والوجوه والأسماء، والهيئات، أمضي بك لأعرف مدى تقبلك أو عدمه، للثلاثة الدواوين من جهة، ولأتحدث إليك وأنا أضع بين يديك الديوان الرابع من جهة أخرى حديث القلب للقلب فادن مني، وكن معي فالحياة دوائر تبتدىء بالصرخة الخطوة وتنتهي بالإغفاءة التوقف.

الحياة دوائر تشكل كل دائرة فيها عالماً طويلاً عريضاً.. عالماً مليئاً بالمفاجآت والمتناقضات، عالماً غنياً بالمشاهد والصور بما تحمله من الفرح والترح، والهناء والعناء.

وهي برغم استقلالية كل دائرة منها عن الأخرى تبدو أشد تماسكاً وأقوى ترابطاً والتحاماً.

الحياة دوائر تتشكل فيها حياة الإنسان على ثلاثة محاور هي: الأمس، اليوم، الغد، وقد تسأل كيف كان ذلك كذلك؟

وأجيب بأنه حين يكون الأمس التجربة، أو التجربة الأمس ذا نكهة مميزة، وعطاء مميز، وفعل مؤثر يكون اليوم الحقيقة، أو الحقيقة اليوم، أروع نكهة مميزة، وأنصع عطاء مميز، وأبدع فعل مؤثر. أقول هذا مجيباً ولكن من يدري؟

وامتداداً لهما يجيء الغد الأمل، أو الأمل الغد ليُعطي للحياة وجها ندياً وضاحاً، وشكلاً فريداً رائعاً.

وجهاً تأتلق عبر قسماته وملامحه كما تأتلق في الأفق شموس التجربة، وأقمار الحقيقة إرهاصا بانبعاث ضوء كوكب دري في مدار الأمل قد يكون أشد إضاءة، وأقوى نوراً، بل وربما أقوى بريقاً ووهجاً وائتلاقاً ؟

غير أن التجربة الأمس، والحقيقة اليوم يرفضان رفضاً باتاً وبشكل منقطع النظير العيش بعيداً عن الأمل الغد، ويُصران بعنف على التعايش مع الأمل الغد جنباً إلى جنب، وضمن إطار واحد مراعاة للقاسم المشترك، وحفاظا على قانون الزمن الذي أخضع ساعة دورانه لمنحنيات ثلاثة أو لثلاثة منحنيات هي: الساعة،

الدقيقة، الثانية، ومادامت دوائر الحياة قد توزعت على ثلاثة محاور فما الذي يمنع إذاً من أن تكون الساعة تعني الأمس، والدقيقة تعني اليوم، والثانية تعني الغد؟

بل ما الذي يمنع العكس؟

وبنظرة متأنية نجد ونحس ونشعر ونرى كيف تلتقي الدوائر؟ وكيف تتواصل المحاور؟ وكيف تتعانق المنحنيات؟

لا أُريد الإطالة عزيزي القارىء في الحديث عن الثلاثة.

١ ـ الدواوين.

٢ ـ الدوائر.

٣ ـ المحاور.

٤ ـ المنحنيات.

خوفاً من أن أسبب لك صداعاً في الرأس، أو تعباً حاداً في العين، أو جفافاً في الحلق.

وحرصاً على وقتك الغالي الثمين من إهداره في دردشة قد تبدو ثقيلة عن الدوائر، والمحاور، والمنحنيات بإقحامك في جدلياتها، وإشكالياتها ومعادلاتها التي قد تبدو غريبة بعض الشيء!

لكني وقد وضعت أمامك مسافات الدوائر والمحاور بزواياها، وأقطارها أملا في أن يكون للمنحنيات الثلاثة طعم، وأن يكون لها من الفعل المؤثر ما يعطي للإنسان قيمة، فلا أقل من أن أقول: ويبقى الضوء الأخضر في يد القارىء.



مقدمة كتاب (الحزن لا يغسل الهموم)
للأستاذ هاشم عبده هاشم

المقدمة

أنت تبحث عن الراحة.. تحاول الفرار «من الإرهاق».. «من التعب النفسي».. من «القلق».. من حالة «التهدم» الحسي.. من «التراكمات» التعيسة في داخلك.. من «الهموم» المخزونة بين «حناياك».

.. لكنك.. تقف «عاجزاً» أمام هذا «المخزون» الهائل.. لأنك تعيش حالة «استنزاف حسية تستهلك مشاعرك.. تفتك بأحاسيسك».. تفتت فؤادك.. وتغرقك في متاهات «عميقة».

.. هذا الظلام الذي يكتنف أقطار نفسك.. ويطفو فوق صدرك.. ويخنق أنفاسك أنت الذي منعته.. أنت الذي سمحت له بالتنامي في «أعماقك».. أنت الذي زرعته في «أحشائك».. أنت الذي منحته «حرية» الهيمنة على كل ذرة في نفسك.. وعقلك..

وعندما تستولي «الهموم» على الإنسان.. وتقهر «إرادته» وتسلبه «القدرة» على التعرف.. على التفكير السليم.. على «الرؤية» الواضحة للأشياء.. فإنه لا يرى إلا «الظلام».. ولا يتنفس إلا «التعاسة».. ولا يستنشق إلا «الألم»(!!).

.. وعندها فإن حياته تتحول إلى «دوامة» وعقله إلى «بركان» مدمر.. ودخيلته إلى «سعير» متقد.. وأحاسيسه إلى «سجن» كبير.. كبير.. (!!).

.. ذلك أن «الحزن».. و«الألم» و«الاحتراق» الدائم.. يحرم الإنسان متعة الإحساس بجمال الحياة.. بروعتها.. بحلاوتها بل ويقتل فيه كل معاني «الخير» و«المحبة» و «الرضى»..

.. ولو أدرك الإنسان أن كل ما في هذه الحياة لا يستحق لحظة «تعب» واحدة ولو أدرك أن «الحزن» لا يحرق مشاعره فحسب وإنما «يدمر» كل حياته.. ولو أدرك أن «الألم» سرطان «مخيف» لا يلبث أن ينتشر في كل ناحية من نفسه.. ولو أدرك كل هذا لبحث عن «الحب».. ولوجد فيه «الراحة» و «الصفاء» و «البراءة» ولوجد فيه «إنسانيته» و«آدميته» و «بشريته» بعد أن سحقتها لحظات «العذاب» المر..

وأتت عليهـا «جيوش» «الظلام».. وأزمات «النفس» القاتلة.. حتى لتكاد تبلغ به درجة الجنون.. (!!).

.. فللحب.. وبالحب.. ومن أجل الحب.. تصدر إليكم هذه «المشاعر» الإنسانية لتعانق «أحاسيسكم» وتتوسد.. «صدوركم».. وترقد في أعماقكم» هانئة هادئة.. وديعة.. صادقة.

.. فنحن.. وإن اختلفنا في مشكلاتنا.. في أزماتنا.. وفي «مآسينا».. إلا أننا نتفق في الكثير منها..

فإذا وجد البعض في هذه «المشاعر» ما يخصه.. وما يقترب من مشاعره.. ويعكس بعض نفسـه.. فلأننـا «معـاً» نتـألم.. ونحزن.. ونحترق.. ـ ولكننا في النهاية ـ لا نلبث أن ننسى كل هذه «الأحزان» وكل تلك «المآسي» بمجرد أن تهبط علينا لحظة «حب» رائعة.. مع صادق محبتي..



مقدمة كتاب (الحب احتراقاً)
للدكتور هاشم عبده هاشم

تمهيـــد:

● مشكلة الإنسان الكاتب أنه يحمل همومه.. وهموم غيره، يتفاعل مع الحادثة البسيطة.. ويتعايش مع (الواقعة) بل ويتمثلها ويتحمس في كثير من الأحيان لها ويعبر عنها وكأنها جزء من تجاربه ومعاناته اليومية الشديدة.

● وقد يتحمل في سبيل هذا التبني الكثير من المتاعب ويتحول في نظر القارىء إلى (عراف) يقرأ باتقان مشاعر كل الناس ويترجمها. حتى ليكاد البعض يتوهم أن أغلى أسراره قد انكشف، وأن هناك من كان يشاركه التفكير الصامت من الداخل وأن (احتراق) أحاسيسه قد نثر هذه الأسرار وأذاعها.

● وما أكثر ما عانيت شخصياً من مثل هذا الانطباع لدى القارىء، وما أكثر ما شعرت بأنني أواجه اتهاماً خطيراً وقاسياً.. وقاتلا في بعض الأحيان!

● وبسبب هذه المعاناة فقدت الكثير من الأصدقاء وتحرك الكثيرون في الاتجاه المضاد لما أشعر وأعبر وأعتقد وكأن لسان حال كل منهم أن ما كتبته إنما هو المقصود به.

● وكنت أتعذب كثيراً لمثل هذه النتيجة المؤلمة فلم أكن عند تناولي لأي فكرة لأتمثل سلوكاً أو أتصور خطأ (ما) أو أعبر عن إنسان (معين) وإنما كنت أعبر عن تصورات، وأتناول شرائح عامة، ومواقف مختلفة لا صلة لها بالخيال، وفي الوقت نفسه فإنها لا تعبر عن إنسان محدد، ولا تكشف أسرار أناس معينين ولا تعكس سلوك (نفر من البشر.. بذواتهم).

● لذلك فقد كنت أشعر بالسعادة والهم في آن واحد، كلما نشرت هذه الخطرات. أشعر بالسعادة لأنني أجدها صورة مجسدة في اليوم التالي للكثير من التعاملات الرديئة، وبعضاً من السلوك المنحرف ونذيراً لسقوط الموتورين، والمرضى، والمهزومين، في معركة القوة والشرف، وتأنيب الضمير.

● كما أشعر بالألم لأن الحقيقة كما أعرف وأعتقد لا تصدم أحداً وأن المواجهة تؤدي إلى تحقيق الأفضل، ولا سيما في إطار التعامل اليومي بين (عباد الله) غير

أن ما يحدث هو أن الكثير من الصدور تتورم بدل أن تصحح مواقفها الخاطئة.. وتتحول الكراهية لديها إلى نقمة، والانحراف إلى أساليب مدمرة تحاول أن تفتك بكل «من» «وما» حولها.

● إن هذه المشكلة التي يعاني منها الكتاب الإنسانيون.. ستظل مسألة أزلية. ولذلك فإن سقوط القلم في معركة الإنتقام.. وتوقف المشاعر عن تلمس أحاسيس الناس هو النهاية التي لا يجب أن يستسلم لها إلا أصحاب الأقلام الخيالية، ويهرب من مواجهتها الكثيرون لئلا تجر عليهم الكثير من المتاعب والكراهات.

● وفي اعتقادي أن الإنسانية لا تموت.. وأن الحب يظل أكبر قوة دافعة إلى تحمل الكثير من الصدمات وأن من يكتب عن الناس وللناس يتعذب يومياً، وأن هذا العذاب هو الحياة.

● ولعل هذا هو السبب في اقتناعي أخيراً بنشر بعض ما كتبت، يشاركني مسؤولية اتخاذ هذا القرار الصديق الأستاذ/ علوي طه الصافي، صاحب (دار الصافي للثقافة والنشر) والذي استطاع أن يغير موقفي ويدفعني إلى هذه المواجهة الجديدة القديمة مع القارىء.

● وكل ما أرجوه هو أن تكون هذه الخطرات صورة حقيقية لمشاعر (الآدميين) في كل مكان. وأن تجد أرضية جديدة.. أرضية الحب والصدق والتسامح. في آن واحد!!

● فليس أروع من أن تمضي المسيرة الإنسانية إلى النهاية بكل الحب وبكل الصدق وبكل التسامح أيضاً.

● شيء واحد أريد أن أتعرض له.. هو أن عمر هذه الخطرات هو عشرون سنة فقد نشرت في فترات متفاوتة في العزيزة جريدة «المدينة المنورة»، ثم في جريدة «البلاد» وأخيراً في «عكاظ» وقد أخذت أكثر من عنوان. لعل بعضها قد نشر تحت زاوية (في كلمات) والبعض الآخر في زاوية (إشراقة) والبعض الثالث في زاوية (البعد الآخر).

● غير أن نبض «الحب» هو الذي ظل يجمع شتاتها. ورائحة «الاحتراق» هي التي أصبحت سمة بارزة في كل حرف منها.

● ولذلك لم أشأ أن تأخذ هذه المشاعر هوية بعيدة عن هذا الواقع ولذلك كان اختياري لـ «الحب.. احتراقاً» عنواناً لهذه المشاعر المتناثرة.. والله أسأل التوفيق والسداد.

تقديم لكتاب (أحلامي) للفنان خليل حسن خليل

بقلم الأستاذ عمر طاهر زيلع

وقفة على مدخل (الأحلام)

إن موقعي - دون مواربـة في هذا العمل، مثير للأسئلة، لكنني لست مفرط الحساسية إلى حد حرمان نفسي من غبطة فياضة، تحسباً لردود فعل قد تحدث أو لا تحدث أصلا، على أنه يلزمني الإعتراف سلفاً «صدقاً لا تواضعاً» بأنني لست فناناً بالمعنى الإصطلاحي (الزئبقي) ومن حقي أن أزعم بعد ذلك أنني فنان بالطبـع إحساساً وتذوقاً، هذه خاصية ينعم بها كل كائن بشري، فالفن بمعناه الشمـولي لا يعني شيئاً إذا كان طرفاً واحداً، ومن السهولة القصوى أن يقال عندئذ، لمن ترسم اللوحات وتروى الحكايات، وتعزف المقطوعات، وتبدع الأشعار ما لم يكن ثمة طرف آخر يحس ويشعر ويرقى فيسمو ويتمتع على الأقل؟ وإذا قررت بالصدق نفسه بأنني لست ناقداً «فنياً» أيضاً فإنه تقرير زائد عن الحاجة، لدخوله ضمناً في فحوى المقولة التي لا أعلم على وجه الدقة مدى صحتها (لا يوجد ناقد تشكيلي تحت سماء العربية).

غير أن ذلك القول النافي «عندي» ليس مبالغا فيه أمام افتقار النقد الفني العالمي إلى مسوغات دعوى الكمال أو تحدد السمات والملامح العامة، ولو أننا حاولنا أن نبحث السمات العامة التي تتصف بها فلسفة الفن في الفكر المعاصر لوجـدنـا أنـه قد يكـون من العسير. إن لم نقل من المستحيل «الاهتداء إلى خصـائص مشتـركـة تجمع بين شتى الإتجاهات المعاصرة في (فلسفة الفن) والسبب في ذلك أن تعدد المذاهب الفلسفية في القرن العشرين قد عمل على اختلاف وجهات نظر الفلاسفة في الحكم على (الخبرة الجمالية) حتى لقد يبدو لأول وهلة أننـا نشهـد اليوم (فوضى فكرية) لا نظير لها في ميدان الدراسات الجمالية بصفة عامة وفي طريقة الحكم على (الفن) بصفة خاصة.

إذن فقد كان واجباً أن اتخذ لنفسي الإحتياطات اللازمة، ليكون لموقعي صفة أقـل (ادعـاء) ولأمنـح نفسـي أيضاً قدرة من الشجاعة النسبية بالإطلالة على (صــرح) تعـود النـاس أن يتحدثوا عنه برهبة لا مبرر لها إطلاقاً، إن المنزل

كالإنسان يستطيع أن يصبح جثة هامدة حين تقتله اسطورة من الأساطير وهنا يبـدو المنـزل رهيباً. كما يقول «فيكتور هوجو» في قصته (عمال البحر) فعلام الخوف من أن يتحدث المرء، «ولو مع نفسه» أمام ظاهرة فنية هي في حد ذاتها معـطى من معطيات الإنسان الذي يمد الحضارات والثقافات.. فهو الناقل وهو المتلقي في آن. عند هذه النقطة بالذات تصاب نظرية (الفن للفن) بالوهن ويتبخر جزء كبير من بريق سرابها (الرومانتيكي) الشكلي، بل يتكشف بناؤها اللفظي عن تلاعب في التركيب لا يقوى على الصمود أمام النظرة الفاحصة، فليس الفن إلا معـالجـة إنسانية مصدرها الإنسان نفسه بثنائيته الروحية والمادية، كما أنها تخاطب الإنسان نفسه في المقابل، إزاء هذا التحليل البسيط يصبح معنى نظرية (الفن لأجل الفن) هو نفس معنى (الفن تعبير إنساني يولد إحساساً إنسانياً آخر) والحق أن جذور الرومانتيكية نفسها التي صاغت هذه النظرية التي «كانت ظاهرة شديدة التعقيد» لم تكن نتيجة لأرضية وعوامل مناخية واحدة، كما أن كل أنواع النقد «في الغالب» خارجة من معطف الفلسفة التي هي ذاتها صادرة عن وجهات نظر مختلفة إزاء الحياة والإنسان بواقعه وفكره ونزوعه الروحي (فليس بدعاً أن نرى الفلاسفة. قد اهتموا «بتحليل الخبرة الجمالية» وحرصوا على فهم (الظاهرة الفنية) منذ أن ظهرت فلسفة الجمال إلى الوجود بمعناها الحقيقي بسؤال سقراط الموجه إلى (هيباس) «وماذا عسى أن يكون الجمال؟» وكان سقراط يقصد «من خلال سؤاله» معرفة ماهية ذلك المدرك الكلي الذي نسميه باسم (الجمال)..؟

لذلك فإن المتتبـع لما قدمه الدكتوران فؤاد زكريا وزكريا إبراهيم من جهود جبارة في مجال (الخبرة الجمالية) و (الظاهرة الفنية) ترجمة أو تأليفاً أو تعليقاً، يجد تأكيداً لعدم إكتمال معيارية (علم الجمال) لكون الجمال نفسه ليس ظاهرة مستقلة نوعياً كالظواهر الرياضية «مثلاً» فهو يعكس الوظائف العديدة لحضارة الإنسان وثراء الطبيعية وشمولية الكون، فالوقوف على ماهية (الفن) يتطلب التأمل في وجوهه وعنـاصره وعلاقاته العديدة «الخارجية والداخلية» الوصول إلى هذا المـطلب يستدعي الإحاطة بالمنطلقات الحضارية في تاريخ الشعوب والتسلسل التطوري في مجرى حياتها الزمني العام، ثم بخصائص كل حضارة، ثم ربط كل فنـان بمحيـطه ونمـطه، ثم بسبر أغوار كل فنان باعتباره ناقلاً وبالتالي تحليل التركيبة العامة لكل (متلقي). ألا تراه مطلباً مستحيلاً كل الإستحالة؟ لأن الفن ليس ذاكرة لصورة ماضوية فقط، ولا هو اعتقالاً للحظة هاربة فقط، ولا استكشافاً لأطياف المستقبل وحسب، ليس جنوناً واضحاً ولا عقلا مجردا، ليس عياناً ولا

غيبا، وهو مع ذلك ليس مبرءا من (النفعية) حينا ولا من الدوافع البشرية حينا ولا من الغرابة والشذوذ الداخلي وانعدام الوزن حينا آخر. من هنا يستطيع المرء التماس العذر للفجوات الهائلة التي تحفر الطريق أمام النقاد والفلاسفة ومنظري الفنـون.. إلى تكـوين (معيـارية) ولو تقريبية للوصول إلى ماهية الفن ومكوناته وأطرافه، فلا غرابة عندئذ في تشعب الآراء النقدية والفلسفية، فهيجل مثلا ينطلق من (نزعته المثالية) إلى كون (العمل الفني) فكرة أو حقيقة كلية، تدرس بوصفها خبرة إنسانية، لا ظواهر أو جزئيات توقعنا في مأزق بينما هو عند هنري برجيسون .. إدراك حسي.. يتيح لصاحبه النفاذ إلى باطن الحياة وسبر أغوار الواقع وإزاحة النقاب عن الحقيقة التي تكمن وراء ضرورات الحياة، فهو في نظره امتداد بملكات الإدراك الحسي إلى أبعد مدى.

يقول الدكتور زكريا إبراهيم تعقيباً على نظرية هنري برجيسون «أنها نظرية فلسفية تقوم على واقعية ميتافيزيقية» وتستند إلى عيان حدسي يرى في الواقع نفســه (ديـناميكية) حية أصيلة متجددة لأن برجيسون يرى العالم (عملا فنيا خصباً أغنى وأخصب من أي عمل فني آخر.

إن هذا الفيلسوف لا يرى أن الفن فوق الواقع، بل هو نظرة خاصة إلى الواقع تتخير منه مجموعة من العلاقات لإبرازها في «موضوع جمالي» ويكاد يلتقي «بند توكروتشة» مع برجيسون في هذه النزعة الحسية للفن حينما وصفه بأنه عيان أو حدس فالفنان يقدم لنا صورة أو شكل وهمي من نافذة خاصة يحاول أن يدير وجهتنـا إليهـا فليس الفن ظاهـرة فيـزيـائية عند «كروتشة» (كالضوء والصوت والكهرباء) ولا هو من المجموعة الرياضية الهندسية، لكن «كروتشة» لا يرى في الفن ظاهرة تقبل (القياس) وليس للفنان قوانين طبيعية يحتذيها في نشاطه لكنه يرتفع بالفن عن مستوى الأفعال النفعية ويقرر بأن (الفن للفن) قاصداً إستقلال الفن تمـاماً عن شتى الاعتبارات العملية والأخلاقية ولعل الصرخة الكبرى في نظرية «كروتشة» المسهبة، أن الفن في «أعماله» لا يحقق أي تقدم جمالي في تاريخه لأن كل عمل فني عنده يمثل دائرة خاصة تحمل مشكلة خاصة، والحق أن هذا الفيلسوف ينطلق من نزعته المثالية التي تشمل مذهبه في كل مجالات الحياة، وهو مذهب يأتي حلقة أخرى في سلسلة النزعات والمذاهب المتعارضة حيناً والمتـداخلة حينـاً آخـر، وليس الجمال والفن إلا بعض موضوعاتها أو تطبيقاتها فهذا «جورج سانتيانا» الأسباني الذي درس الفلسفة بجامعة هارفارد

(١٩٠٠ـ ١٩٢٣) في أمريكا، يؤكد «أن ما يسمى بعلم الجمال (الاستاطيقا) أو فلسفة الفن لهو فيما يبدو لي مجرد دراسة لفظية مثلها في ذلك كمثل فلسفة التاريخ سواء بسواء.. فقد بقيت الظاهرة الجمالية موضوعاً مشتركاً يتناوله بالبحث كل من الفيلسوف وعالم النفس ومؤرخ الفن والناقد الأدبي.. الخ لكن «سانتيانا» مع ذلك يدلي (من زاوية كلاسيكية) إذ يقوم أولا بحصر المواقف والاتجاهات المختلفة، تلك تفصل الفن عن الحياة والأخرى التي تقصي النشاط الفني عن مظاهر النشاط البشري وامتداداً لصرامة أفلاطون وطرده للشعراء. ثم اتجاه ثالث (ينسب إلى الفن قيمة نسبية بوصفه مرحلة ضرورية من مراحل التقدم الروحي للبشرية وليس له أي طابع نوعي باعتباره مجرد مرحلة مؤقتة) أما الإتجاه الرابع فهو الذي يرى أن الفن مظهر من مظاهر سعي الإنسان نحو تحقيق المثل الأعلى، وبذلك لا يكون الفن مستقلا عن مناشط الحياة الإنسانية ولا يبقى بمعزل تماماً عن الحياة الجدية ويصر هذا الفيلسوف الفنان على تهافت كل الإتجاهات التي تعلي من شأن الفنان فترقى به إلى مستويات عليا أو روحية لا شأن لها بالاحتراق الحياتي، وتلك التي لا ترى في الفن قدرة على المعايشة، على أنه يقرر بأن الفن يكسبنا لذة سامية ويوازن بين أحاسيسنا ليزيد من استمتاعها بالجمال المرتبط لديه (بالخير) إن «سانتيانا» ينطلق في تحليله هذا من نزعة صوفية مصدرها الروح بنوافذها المطلقة.

لكن الفن لدى (جون ديوي) المفكر الأمريكي، يتحول إلى مجرد خبرة وقد ألف كتاباً كبيرا بعنوان تقريري هو (الفن خبرة) ترجمه الدكتور (زكريا ابراهيم) وقدم له بإسهاب الدكتور زكي نجيب محمود، ضمنه فلسفته في الفنون عبر أربعة عشر فصلا.. عن المخلوق الحي وتحصيل الخبرة وفعل التعبير والموضوع التعبيري.. الخ من خلالها يدلل (ديوي) على رأيه في اعتبار الفن خبرة (عادية) تعكس مظهراً حضاريا.. خبرة لها أسلوبها ولها لغتها الخاصة التي تتميز بها عن بقية الخبرات الناتجة عن المهارة، فالحضارة هي التي تساعد على تطوير الأعمال الفنية ليس بذلك فقط بل وتعدل الأذواق لإتاحة فرصة الإيصال والتوصيل، إن ديوي يجعل للفن (قيمة عملية) ويؤكد وجود العلاقة بين «الجميل» والنافع» ففي الفصل الثالث عشر (النقد الفني والتقدير الجمالي) يعترف (ديوي) بصعوبة مهمة الناقد الفني، فيحمل أولاً على أولئك النقاد الذين يلجأون إلى ضروب النقد القانوني الذي يخسر قوته واحاطته في قضاياه القانونية الخاصة به، فضلا عن تقدير (الروائع الفنية) ففي الفنون حركات جديدة (هامة) تعبر عن شيء جديد في الخبرة

البشرية، فلا يمكن محاكمتها من خلال مناهج أعدت سلفاً لظروف غير مماثلة. كذلك يحمل (ديوي) على النقد الانطباعي، لأن الانطباع الذي يملكه الفنان لا يتكون «هو نفسه» من مجموعة من الانطباعات بل هو يتكون من عناصر موضوعية تترجم أو تتكيف عن طريق (العيان التخيلي) والموضوع مشحون بالمعاني المنبعثة عن الاتصال بعالم مشترك، ولابد للفنان «حتى حين يعبر عن استجاباته بكل حرية أو انطلاق» من أن يقع تحت تأثير ضروب موضوعية ثقيلة من الضغط أو الالتزام، والنقص الكامن في الكثير من ضروب النقد، إذا نحينا جانباً تلك البطاقة التي تحمل اسم الانطباعية. إنما يتجلى في أن الناقد لا يقف من العمل الذي ينقده موقف الفنان من (الانطباعات التي تلقاها من العالم.. والحق أن الناقد يستطيع أن يسترسل في أقاويله التي لا تمت بصلة إلى الموضوع، وآرائه التعسفية الجائرة أكثر مما يستطيع أن يفعل الفنان..

ورغم إسهامات (ديوي) في الكشف عن بعض أسرار الإبداع الإنساني إلا أنه قد تعرض لنقد شديد من قبل بعض النقاد حيث اعتبروا فلسفته تنطلق من موقف عدائي للأرستقراطية التي كانت ترى في الفن ميزة خاصة ينفرد بها أصحاب الأمزجة الرقيقة أو الأذواق الرفيعة.

فإذا تركنا (جون ديوي) لنرافق الدكتور (زكريا إبراهيم) في رحلته مع فلسفة الفن وجدنا أراء كثيرة متضاربة أو متشابكة تحكمها دوافع ومواقف أخرى، فالأديب التأملي المثالي (الآن) (١٨٦٨ـ ١٩٥١) يقترب من (ديوي) فيرى « الفن عمل وصناعة» والمفكر الناقد الكاتب السياسي (اندريه مالرو) يراه «حرية وإبداع» بينما هو عند (ميرلويونتي) ١٩٠٨ ـ ١٩٦١) لغة وأسلوب، امتداداً لمذهبه (الفنومنولجي العام) أما «البيركامي» فيعرفه تعريفاً انفعالياً بأنه (تقبل وتمرد) فهو يوافق (نتشة) على «أنه ليس ثمة فنان يستطيع أن يتحمل الواقع».

إن (كامي) يعالج الفن من خلال ثوريته ووجوديته المتمردة. كما قام (جان جاك روسو) باتهام الفن بأنه مفسدة للأخلاق. وذلك في غمرة هجومه على (المجتمع الصناعي) الذي يراه وكأنه مستحدث هذا الخدر البدعي متجاهلا جهود البشرية في هذا المجال.

وهكذا يمكنك أن تطوف مع فلاسفة الفن ونقاده لتدخل عالماً رجراجاً تسوخ خلاله الأقدام، وتتداخل الرؤى وتتشابك الخيوط لنسج أرضيات مدارس يهدم بعضها بعضاً عبر حركة الحياة وإيقاع الزمن الماضي قدماً بخطواته الرهيبة،

يلهث وراءه الإنســان منهكاً مكدوداً يحاول احتواء الزمن عبر فلسفات تنم عن الضعف أكثــر من القــوة والإدعــاء أكثر من الحقيقة. هذا ما استطاع رصده وتسجيله (أرنولد هاوزر) في كتابه الضخم (الفن والمجتمع عبر التاريخ) ترجمة الدكتــور فؤاد زكــريــا، إنه كتاب غني بالمعلومات حيوي بنبضات أدبية تجعل للكلمات إيقاعاً. يبدأ الرحلة مع الفن منذ استطاع الكائن البشري إدراك تميزه عن سائر الحيوانات في الغابة حتى عصر الفيلم مرورا بكل الملاحم الإنسانية والصراعات المصيرية والطبقية اجتماعياً وسياسياً لا يرحل بك على سطح الدرب التاريخي كما تفعل بعض المؤلفات بل يغوص في أعماق القاع الحياتي والذي تصطخب داخله تفاعلات العلاقات الإنسانية وافرازاتها الفلسفية والفنية والفكرية أو الحضارية على وجه العموم.

(لن أكــون مبــالغــاً إذا قلت إن هذا الكتــاب عرض شامل لتطور الحضارة الإنسانية وليس تاريخياً اجتماعياً للفن فحسب، كما يدل عنوانه، وذلك لأن المؤلف لا يقبــل على الإطلاق أي نظريــة تذهب إلى أن الفن يتــطور بمنطقه الداخلي الخاص، دون تدخل أية عوامل تنتمي إلى مجال خارج عنه فهو يحرص دائماً على الربط بين الفن وما يسميه (بالعامل الإجتماعي) الذي هو في واقع الأمر عامل اقتصادي وسياسي وثقافي وتاريخي في آن واحد.. فأرنولد هاوزر لا يكتفي بعرض تاريخي للوقائع والمدارس النقدية والفنية دون أن يسعى إلى التغلغل في أعماق البنية الحضارية في إطارها الزمني والجغرافي والاجتماعي فهو يقول عن مرحلة من مراحل التطور الحضاري (وقد ظهر في عصر الركود نوع ملفت للنظر من مبدأ «الفن لأجــل الفن» فعبــادته الحسية للجمال، ولغته الشكلية المتكلفة الشديدة البراءة الرشيقة النغمة، تفوق أي نوع من المذهب الإسكندري. ويعد مبدأ «الفن لأجل الفن» عنده أكثر أصالة وتلقائية من نواح معينة مما سيصبح عليه القرن التــاســع عشر، ذاته إذ أنه ليس مجرد مطلب وإنما هو إتجاه طبيعي لمجتمع هوائي، سلبي متعب، يلتمس في الفن لذة وراحــة.. ويقــول في تعليــل ظهــور الرومــانتيكيــة في عمــومها، أن عنصر العبقرية في الخلق الفني هو في معظم الحــالات مجرد سلاح في صراع التنافس وكثيراً ما كانت الطريقة الذاتية في التعبيــر مجــرد شكــل من أشكــال الإعلان عن الذات ولقد كانت ذاتية شعراء الرومــانتيكيــة المسبقــة «على أي حال» نتيجة لتزايد عدد الكتاب.. وتنافسهم بعضهم مع البعض، مثلمــا كانت الحــركــة الرومــانتيكية في عمومها، بتأكيدها للعــواطف على نحو تشوبه روح الطبقة الوسطى، مجرد نتاج للمنافسة العقلية

وأداة في الصراع ضد النظرة الكلاسيكية الجديدة للعالم وهي النظرة التي كانت سائدة لدى الطبقة الوسطى...».

ثم راح أرنولد هاوزر يستبطن ظواهر التيار الفكري متوغلاً في مده الداخلي لصراع الطبقات معدداً النزعات والإتجاهات من مثالية، وسكونية ذاتية وطبيعية وعقلانية وثورية وكلاسيكية ورومانتيكية وانطباعية، ثم ما بعد الانطباعية وهي المرحلة التي تشكل إنفصالا كبيراً في مبدأ النظرة إلى الفن. هذا المبدأ الذي استمر منذ العصور الوسطى لا يبعد بوظيفة الفن من حيث كونه مطابقاً للحياة ومخلصاً للطبيعة، وفي هذا الصدد كانت الانطباعية قمة ونهاية تطور استمر أربعمائة عام.

أما فن ما بعد الانطباعية «فهو أول فن يرفض كل إشارة إلى الواقع من حيث المبدأ ويعبر عن نظرته إلى الحياة (بتشويه) متعمد للموضوعات الطبيعية (فالتكعيبية والتركيبية والمستقبلية والتعبيرية والدادائية والسيريالية) تدير ظهورها بنفس التصميم للانطباعية المرتبطة بالطبيعة والمؤكدة للواقع.

وحينما يمضي (هاوزر) في عرض وتحليل الإتجاهات بعد الإنطباعية يحاول أن يكون أمينا في معالجته، لكن هجوماً خفياً يلمع من حين لآخر خلال السطور أنه يصف أعمال (براك، وشاجال، وروو، وبيكاسو، وهنري روسو، وسلفادور دالي)، برغم ما بينها من اختلافات، بأنها عالم ثان يكشف عن سمات عديدة. ثم ينثني ليصف الفن الحديث بأنه في أساسه فن (قبيح) يتخلى عن توافق الإنطباعية المتسقة، وبأنه هروب من كل ما هو سار بهيج وكل ما يبعث الرضا فالدادائية نوع من «الإنهزامية» مرتبط بزمن الحرب وكانت تنطلق من ميدان الصراع السلبي للصراح الدموي، وعنده أن السيريالية تلتقي في هذه النقطة مع الدادائية وكلتاهما مؤسستان على الحركة الرومانتيكية، ويعتبر أن هذه الثورة الفنية كانت أصلا كفاحاً ضد الشكل ثم اتجهت إلى المضمون بحثاً عن التلقائية، هنا يلتفت «هاوزر» رافعاً أصبعاً ليقول: وبذلك كانت نظريتها في الفن مبنية على تناقض، وإذ كيف يريد المرء أن يكون مفهوماً، وهذا ما كانت السريالية على أية حال تسعى إليه. وينكر في الوقت ذاته كل وسائل الإتصال ويقضي عليها، عندئذ يلجأ (هاوزر) إلى تفريق أحد النقاد الفرنسيين بين فئتين من الكتاب تبعا لعلاقاتهم باللغة، أي الوسيلة، فسمى الفئة الأولى بالإرهابية لسعيها وراء تحطيم اللغة. الرومانتيكيون، الرمزيون، السرياليون، هؤلاء أعداء (للكليشيهات) والقوالب

الجاهزة، ويعتقد أن ثمة أثراً عليهم من المذهب الحدسي عند برجيسون (راجع الموضوع فيما سبق) أما الفئة الثانية فهم الذين يعلمون أن التعبيرات المألوفة هي ثمن التفاهم المتبادل. أي وسيلة التوصيل، لأن الأدب في عمومه (اتصال لغة) تراث وقالب عتيق وهنا يرد (هاوزر) بلسان (جان رولان) قائلا: لا يوجد فن أشد فجاجة ورتابة من فن السرياليين المتعصبين. لكنه يؤكد بعد ذلك بأن الأهمية التاريخية للدادائية والسريالية في أنها لفتت الأنظار إلى الطريق المسدود الذي وجد الأدب نفسه فيه عند نهاية الحركة (الرمزية)، وأنها قائمة على الشك في قيمة أي شيء وعلى عدمية الثقافة والارتياب في الموقف الإنساني بأسره وبعد عرض ذكي ومسهب وممتع في أن يخلص (هاوزر) إلى أن السيريالية تلجأ إلى التبرير العقلي للامعقول، وتستسلم لتيار الذكريات والأحلام وأن الفن لديها وسيلة للمعرفة اللاعقلية من خلال بحثها عن كشف (واقع ثان) هو أساساً مندمج بالواقع التجريبي، فالحلم نموذج لصورة العالم، يؤلف الواقع واللاواقع والمنطق والخيال وتفاهة الوجود وتساميه، وحدة لا تنفصم ولا تقبل التفسير..).

إن أسباب الخروج من الانطباعية ومعظم الاتجاهات السابقة والمتزامنة معها إلى (الذرية) «فالسريالية» مروراً بكل الصرخات والصراعات الإجتماعية الاحتجاجية أو الإنهزامية لا تزال قائمة تجسد انحدار الطموح الإنساني إلى مغاور الجموح والانفلات بين حرفية القوانين والنظم والمثل العليا الغافية بين دفات الكتب أو في مناطق الوجدان المعزول وبين الممارسات الرعناء التي تفقأ العيون، وتذر الغبار على فطرة الكائن البشري الناصعة، فلا تزال الأقدام الكبيرة التي حفرت أخاديد الدمار في بداية القرن تواصل وثبها الطاغي وتوصل حفيف الأفاعي إلى كل أذن مهما كانت غضة وصغيرة، ولقد حاول الفن أن يهمس دائماً في أذن الضمير بأن الدمار والتداخل والجبروت والقسوة تذوب في وجه الحياة، لكن طوفان الغرائز كان دائماً أقوى من النبضات الطفلة. هذا السياج الأزلي يلجيء الفن من حين إلى حين إلى محاولة القيام بدور الضمير، وأنى له ذلك، إلا في شكل هبات من الشعور بالراحة العابرة، على أنه «أي الفن» يؤول بعد كل مرحلة إلى كم معرفي يشهد بالمزايا الطيبة في الإنسان رغم نزقه وعجلته ذاتي الديمومة. ولسوف ألوي عنق السياق هنا لأقرر بأنني حاولت جاهداً أن أجد في الكتب التي في متناول يدي، مراجع عربية الجهد والإخلاص، واجتهدت على الأقل في تتبع مسار الفنون العربية وربطها بالسياق الحضاري والتغيرات الجوهرية للحياة العربية، قبل الإسلام وبعده، لكن محاولتي لم تظفر بشيء البتة،

هذا سبب كاف لحضور أسماء كثيرة غير عربية في هذه الكلمة التي أراها اتخذت مساحة غير مخصصة لها أصلا، إن كتاباً مثل (البلاغة تطور وتاريخ) وكتاباً آخر مثل (الفن ومذاهبه في النثر العربي) وهما للدكتور (شوقي ضيف) ليحملان عنوانين يغريان بالبحث عن تلك البغية، لكنهما لا يسعفان بنفس العمق حتى في دائرتهما الألسنية بشيء من الدراية العميقة والإحاطة الفذة، والنفس الكبير، والخصائص التي اتسم بها (أرنولد هاوزر) في (الفن والمجتمع عبر التاريخ) وجيروم ستولنيتر، في (النقد الفني دراسة جمالية وفلسفية).

لكن ثمة أدباء ومفكرين عربا تفاعلوا مع أصداء الثقافة الغربية فعبروا عن آرائهم في الفن، إما تأثرا وإجتهاداً، يعد امتداداً لاتجاهاتهم ونظراتهم العامة إلى الحياة وانعكاساتها، فالعقاد يربط الجمال بالحرية التي هي عنده الإنطلاق من القيود ومعوقات الحركة، ويقرر بأن حرية الفنان ليست مطلقة بل هي محكومة بما في النفوس من جوهر الحرية الصحيحة، وإن حرية الفنان هي الأصل في نشاطه الإبداعي دون أن يكون له أدنى غاية...

ويتفق توفيق الحكيم مع العقاد في عدم غائية الفن، لأنه صورة من صور الحياة الهائلة التي لا تعرف لها نهاية ويقول: «لقد انقضت الغاية من تشييد الأهرام، فنيت الغاية من دفن الموتى، أو عبادة الآلهة الغابرين.. وبقى أسلوب الفن، يؤكد في بعض مقالاته عبارة اندريه جيد: «إن الفن لا ينبغي له أن يثبت شيئاً ولا أن ينفي شيئاً وهو شيء، كالسحر، والفنان ليس مصلحاً».

ويقف في موقع آخر فيصف الفن بأنه الارتفاع بالناس إلى سحب لا تبلغ، والرحيل بهم إلى عوالم لا تنظر.

أما الأديب المفكر (أحمد حسن الزيات) فقد أقام مفهوم (الجمال) على خصائص أساسية، هي القوة، ويعني بها شدة العمل، وحدته وتأثيره» والوفرة: وهي عنده كثرة الوسائل وخصوبتها، والذكاء: الطريقة أو القدرة على نسج العلاقات بين الوسائل، ولعل ما تتسم به نظرية الزيات الجمالية من تجاوز، أكان اجتهاداً منه أو تأثراً بالأدب الفرنسي. هو ملاحظته بأن الوفرة والقوة والذكاء خصائص لا توجد في الشيء الجميل بدرجة واحدة، وقلما توجد مجتمعة، إن التجاوز في الملاحظة يكمن في التقائها بمهمة فنان هذا العصر في تجميع تلك الخصائص المركزة في مفردات واقعية في عالم من الحلم.

ويأتي الدكتور (زكي نجيب محمود) ليقرب بين الفن واللعب مستلهماً نظريته من الروافد الغربية، وهو لايقصد الإساءة إلى الفن ولكنه يشير إلى العلاقة التلقائية في كل من الفن واللعب، إنه يرفض أيضاً أن يكون الفن مسبباً بالغرض، الفرد حينما يلعب يمارس عفويته، ومع ذلك يعترف الدكتور الفيلسوف أو المفكر. كما يحلو له أن يصف نفسه. بأن الفن إجتماعي، يخدم الإنسان بمعناه العام دون حدود إقليمية أو أية اعتبارات أخرى. وذلك انطلاقاً من نزعة المفكر الإنسانية.

أما سلامة موسى فرغم تأثره بنظرة الإشتراكية إلى الفن من حيث هو إعادة الوحدة بين الفرد والجماعة، إلا أنه يلتقي مع الدكتور زكي نجيب محمود نفسه وسلامة يرددان أصداء (شلر ودارون وسبنسر) بالتقريب بين الفن واللعب، لكن سلامة موسى، على مواقفه الأخرى المتطرفة، يرفض نظرية (الفن للفن) لا تعاطفاً مع الواقع، بل ربطاً للفن بفكر ما أو نظام ما بخلاف الأستاذ «أحمد أمين» الذي كان يدعو إلى توثيق الصلة بين الفن والحياة. في حدود بيئة الفنان وفكره.

وبعد فمن أين أعبر إلى «خليل حسن خليل» وقد قطعت إليه هذا الدرب المحفوف ووقفت بالقرب منه، بل تهالكت تهالك ذلك الكائن الإنساني في لوحة (الإختيار) أمام الأبواب المتعددة، طولاً وعرضاً وشموخاً على مدخل آفاق غير منظورة ولا معروفة سلفاً، كيف أدعي لنفسي بعد كل التفصيلات الشائكة آنفة الذكر القدرة على الولوج إلى عالمه الخافق بعلاقات مبتكرة تؤلف بين الماء والنار وتشعل النور من الظلام وتهبط بالأقمار إلى الأبواب والسقوف، إنني وقفت أمام بعض أعماله في هذا الكتاب وقوف الطفل «لأول وهلة» على شاطيء بحر مائج، أو تحت سماء قمراء صامتة، أو أسفل جبل شامخ يصافح السحب، ولأول مرة أيضاً، هذه اللحظة إذا أمكن إعتقالها، فلا مسمى لها غير (الدهشة) فقط الدهشة الإنسانية التي لم توجد لترجمتها لغة بعد لغة محددة المعاني والأغراض والدلالات. إنها ليست رسالة موجهة إلى «مرسل إليه» وليست وعاء لزمن معين ولا مكاناً محدداً تلك الدهشة التي حاولت البحث عن لفظة غيرها أكثر دلالة. دون جدوى. تقفز من مواطن في الأعماق حرة من كل أنواع الأسر الخارجي، تومض فجأة من اللا وعي واللامعرفة، مبرأة من كل أنواع المكتسبات الثقافية، في غمرة هذا، «الإنفعال». الغفل، تذكرت بما يشبه وميض البرق الخاطف، لحظة دخولي إلى السوق أول مرة، تقافزت إلى ذهني ألوان الأقمشة، تداخلت الرؤى واختلطت الأصوات وذابت الأوجه في بعضها.. وغرق الطفل في طوفان الدهشة وحدها، دون

تدخل من أشياء أخرى. ولم يكن السوق إلا بداية الحياة خارج العتبات، لا أزعم أنني في تلك (الإستجابة المبرأة) أو بعدها بقليل، قد تعاملت مع هذه الأعمال من خلال دلالتها «المرادة» وهي هنا «جدلية» فالفنان نفسه أحياناً لا يملك القدرة على التكهن بما سيدل عليه (عمله الفني ذاته) فالمزايا الإبداعية لكل عمل لا تكتمل بطرف واحد.

ويمكن القول أيضاً بأن الدلالات تتعدد بتعدد المزايا، لكنني في النظرة «الأولى» كنت متحررا من قبضة التأثير للمزايا التي تنطلق معرفتها من العقل والوجدان معاً.

وحينما يتحرر المرء بالدهشة راكضاً إلى طفولته تخمد تلك الإعتبارات إلى حين، إن المرء حينما يعيش حلماً لاينفصم بحيث يصبح إثنين، احدهما يحلم والآخر يفسره، الحلم نفسه إنتصار على الوعي والزمن المحدد.

خليل حسن خليل، سقاني بالدهشة بعض حلاوة ذلك الإنتصار، لا أدري ما إذا كان هو الذي فعل، أم إنني كائن «سهل التنويم» إن الحديث عن الفن أشد حذراً ودقة، لذلك يلزمني الإعتراف بأنني وبعد إنحسار الدهشة «الإنفعال» انتقلت فجأة إلى مرحلة البحث عن الدلالة والمعنى في أعمال (خليل حسن خليل) لقد أعفيت نفسي تماماً من التعرف على الأبعاد اللونية في أعماله.

ذلك لا يعني أنني فقدت الشعور بدفء الألوان رغم بعدها عن طابعها الدلالي وإكتسابها دلالات أخرى (إنفعالية) تسهم في ربط العلاقات الباطنية العامة للأشياء المتناقضة، فاللون الأحمر ـ عنده ـ ليس عدوانيا على الدوام ولا الأزرق منطوياً أو (رقيقا) وليس بالضرورة أن يكون الأفق ناصعاً أو قاتماً ولا السواد حزناً دائماً.. والظواهر الطبيعية، قمراً أو شمساً أو غيرهما ليست نمطية، بل هي نفسية.. إن كان هذا تحليلاً سديداً، فالمادة عنده تقدر في علاقاتها بجميع العناصر الأخرى وطريقة وضعها في اللوحة، والشكل، فيما بدا لي «عند خليل محاولة» قدر الإمكان. لتجسيد «الواقع» كما هو في علاقاته المألوفة ولكن من خلال القدرة الإنفعالية والخيالية والنفسية على تفكيك تلك العلاقات وإعادتها في نسق غير مألوف ولا إستقلالي. بحيث نكتسب بها «فهماً جديداً» للحياة من زاويته. إن خليل في شكله ومادته كغيره من فناني العصر الحديث يستعير شخوصه ومظاهره وعناصره من الطبيعة والواقع، هذه عملية (تكنيكية) يشترك فيها الفنانون بحق، بل إن الفنان أحياناً ليستعير مفرداته من أعمال سابقة لغيره دون أن يطالب بالتنويه ودون أن يشعر بأنه تجاوز حقه.

ذلك لأن الفنـان الموهوب هو الذي يبتكر مُناخاً جديداً وعلاقات جديدة، إن (دالي نفسه) يوظف مفردات وأشكالاً لونية يستقيها من غيره، لكنه يعيد ترتيبها وينسج لها وشائج تقترب بها إلى النقطة الفاصلة بين العقل والجنون.

تأمل اللوحة رقم (٤٧) في هذا الكتاب عنوانها (الإختيار)، العنوان نفسه جزء من اللوحـة فلو لم يكن موجـوداً لجـاز لك أن تسميها (اللاختيار)، (الإختيار)، (الإنفصام)، إلى آخر قائمة الانشطار الداخلي في الإنسان هذا التهالك البشري تفجر فغمر كل شيء حوله، حتى القمر نفسه أمسى شيئاً زائفاً دائرة من الورق الشفاف (الميت)، إن هذا القمر قمر خاص يستقي لونه موقعه وكآبته من حالة النفس القـاتمـة المشتتـة، ومن آلام الجسم الواضحة في شكل ذلك الارتماء العشوائي، والإنكباب المر على مداخل الآفاق المجهولة، القمر تحول إلى إطار أصفر لوجه تشاؤمي يسف ويسف فإذا به بين الأبواب معلقاً في دبوس، ذلك هو الخيط الواهي بين الطبيعة والإنهزامية، حدق في الأبواب ولكن عليك أن تنظر إليها من خلال التعب الذي ينخر في أضلاع ووجدان ذلك الرجل الواقعي الأسطوري في آن واحد، لسوف تبدو الأبواب في عينيك لوناً شاحباً، وضع دون عناية، فسفح رؤى تافلة كتلك التي تبدو عليها المرئيات داخل سجن كبير. أنظر إلى اللوحة نظرة شاملة تجد دقة منطقية رياضية فيما يتعلق بالإطارات ومصادر الإضاءة ودرجات السلم وشكل الأبواب، غير أن نسب تلك الأشياء غير منطقية، ضخامة ساقي ذلك الرجل وكأنها تبدو من خلال مكبر، قارنها بنصفه الأعلى تجد نسباً لا معقولة، كذلك حجم الأبواب وارتفاعها الذي يبدو متواضعاً بالنسبة إلى طول الشخص المتهالك أمامها، ذلك هو منطق الأحلام الذي وصفه الفنان في سطوره الأولى بقوله: للأحلام قانونها الخاص.. ومنطقها الذاتي الذي لا يمكن حسابه أو التعرف عليه من خلال منطق الواقع.

وعنـده (لا تضـاد بين الحلم والواقع بل هو عنده إمتداد للواقع) أن لفظة الإمتداد هنا ربما لا تعطى مفهوم العلاقة الخفية بين الواقع والحلم وكذلك لفظة (الإعادة) وإن كانت الأخيرة أوضح دلالة، لأن هذا النمط الذي مارسه (خليل) في مرحلته الأخيرة، يدخل في مفهوم (السريالية) التي تهجم على الواقع فتمزق علاقاته النمطية، هذه العملية سميت في مجال الفن اللغوي (بالتفجير) أيضاً ثم إعادة ترتيب الأشياء من خلال الترتيب، كما هي عليه في الأحلام. ولأن كانت الأحلام غير مسببة أو غير مدركة الأسباب المثيرة لها ولا الغايات التي ترسمها.

رغم كل ما قيل من سفسطات في هذا المجال، فإن الفنون مهما قيل عن تلقائيتها فإنها تعبير عن الكيان الداخلي لوجدان الفنان باعتبارها مصباً ورافداً في آن واحد، من هنا يمكنني الزعم لنفسي أنني وجدت فتحة صغيرة أطل عبرها على فن (خليل حسن خليل) بالقدر الذي تتيحه فتحة صغيرة. لقد لاحظت أن هذا الفنان يعبر عن هويته العرقية وإنتمائه الجغرافي بلغة العصر ذات الحدة البالغة (خليل) يشير إلى تاريخه العربي بحركة عصرية إكتسبها الإنسان المعاصر من ركام ثقافات كل العصور، أنه معاصر شكلا ورؤيا، بدءاً بالمحاكاة وإنتهاءاً بالسريالية مرورا بالتأثيرية والانطباعية والتجريدية الهندسية.. الخ وأعني بلفظة المعاصرة هنا (شمولية التجربة الشكلية) بإعتبارها وسيلة إنسانية. أما المضمون عند (خليل) أو الموضوع فهو ذو إنتماء صارخ. هذا الانتماء لا يبدو في شكل تعداد لمآثر الماضي، أو تكرار لمعاني الفخر القبلي، لكنه يطفو من خلال إحتجاج من الغفلة العربية في «سقوط غرناطة» و «الليلة الثالثة بعد الألف» والسذاجة المبكية في تشبث السلطة آنذاك بالشكل فقط هذه اللوحة ذات الرقم (٣٨) من هذا الكتاب كأس آخر من كؤوس الحنظل العربي الإسلامي، لقد جاءت واقعاً تاريخياً في إطار من الحلم المفرغ من زمانه ومكانه، إلا من حيث كونهما يعتبران رمزين للسقوط في كل الأزمنة، إن الحريق هنا حريق معنوي لا حسي هو بعض عناصر الإحتراق العربي المشتعل الأوار، تأمل ذلك في (الليلة الثالثة بعد الألف) لماذا هي ثالثة وليست ثانية؟ ولمذا يصبح الفنان نفسه بأعواد ثقابه و (...) بعض عناصر اللوحة؟ ولماذا الليل لا يشبه كل الليالي، ولماذا يضيع الإنسان بشخصه، لحمه ودمه، ليصبح فكرة أو إيحاء في الوسائل والرداء؟ كل هذه الأسئلة لا محل لها في منطق المناخ الجديد ذي العلاقات الأكثر شمولا والأعمق أثراً، أنا لست محللا ولا ناقداً، وقد قررت ذلك أكثر من مرة ولكنني انطلق في الإعراب عن مشاعري وإحساسي وتذوقي، لا أحد يملك علي وصايات في هذا المجال، لكم انسحقت أو قل (شعرت بالإنسحاق والانفصام المنحدرين إليّ أصلاً من حقب متقادمة)، حينما طال تحديقي في اعمال (خليل) بالأخص في (راكبو الجراد)، (باب)، (أطلال السفن)، (القرن العشرون)، (عنترة)، (البحار العجوز)، (لبنان)، (الوحدة)، (المرآة المكسورة)، (الإختيار)، (الإنسان والآلة).. في كل ذلك مفارقات

غير منطقية من وجهة نظر هندسية غير مألوفة لإجتماع المتناقضات، لكنها تبدو منطقية، بقدر كبير جداً في إطار الحلم الذي يترجم الضياع الفعلي للإنسان بمعناه الشمولي. في كل تلك اللوحات يلتزم (خليل) بطابعه الذي يزاوج بين الواقع

والحلم، سأهمس هنا بأن لفظة الحلم نفسها لم تعد كافية للتدليل على اغتراب الإنسان في الأشياء واغتراب الأشياء في داخله، لماذا هو حلم؟ ولم يكن الواقع نفسه بعد خلع كل الأقنعة عن وجهه، بعد تجريده من كل الادعاءات الزائفة الأحلام نفسها بعض رموز الواقع، وبعض الاحتجاجات عليه والاعادات له، إنها لا تأتي بمفردات لم يختزنها الوعي سلفاً، التجاوز الذي حققه هذا الفنان لا تكمن في مواضيعه وتوظيفاته فقط، بل في خصوصيته وعدم تعاليه على بيئته، لكن البيئة والتاريخ والمجتمع والإنسان بجميع مراحله، موضوعات مؤطرة بالعصر.

هذه هي الحداثة بمعناها المرتبط بهموم الإنسان في دوائر الحياة وليست هي الإغراق الشكلي والذوبان في الأطر والوسائل، هي رؤية شاملة تربط الجزئيات بالكل من خلال استبصار واستبطان يخترقان الأزمنة والأمكنة ليجردانها من اعتباراتها المحدودة، في تلك اللوحات المذكورات ارتباطات متينة بموقع الإنسان في هذا العصر الآلي الدموي. (راكبو الجراد) مجزرة لوحدة الإنسان، تشتيت لأشلائه ووظائفه الفكرية والعضوية، تجسيد لشراهته أيضاً، شراهة تأكله هو أيضاً تسلخ ملامحه ذكورة كانت أم أنوثة هذه المفارقات تبدو معقولة نسبياً في إطار من الحلم، ثمة لوحات أخرى (النهاية، القناع، الليل، حلم ليلة صيف، تحليق، الغوص، البحر، من وحي الشرق، إنسان العصر). تعد مؤشرات لذوبان الفنان في المعنى الشمولي للعصر وأثره على الإنسان، ذوباناً على نار تشتعل من أعواد الماضي والحاضر على موقد من نفسية الفنان ذاته، فوق أرضيته وبيئته، كل عمل من تلك الأعمال ترتفع فوقه علامات استفهام قد لا يضعها الفنان. ولكن يراها المشاهد تأمل (البحر) انسلخ من طبيعته الصماء العمياء، ليصبح كائناً حياً يأخذ ويعطي، يمنح الخوف والأمان معاً، ويجثو متبديا بالتعب الإنساني، والضعف الإنساني، والطمع الإنساني أيضاً.

أود لو أن قلمي كف عن ملامسة هذه الأشياء إنه تدخل مريع بين العمل والمتلقي لكن المتلقي، لا يعد ذلك وصاية مني ملزمة الاتباع، ولقد أردت من هذه الكلمة أن تكون إعراباً باسم (النادي) عن اغتباطه بهذا العمل، فإذا بي أركب موجا (تزجيه رياح) وإذا بي أخوض عالماً لا شواطىء له، وإذا «بخليل» قد قال لي أشياء وأشياء ولم يقل لي شيئاً محدداً، وإذا بالليل سرمدي والنهار أزلي والحقيقة الإنسانية أبجديات لا تقوى على تأليفها وأسرها إلا عبقريات..

عقب كل ذلك يقفز في ذهني سؤال كبير!

هل قلت شيئاً في وقفتي على (مدخل الأحلام)...؟

إن الجواب يأتي من نقطة التلقائية في أعماقي، صارخاً في داخلي أولا بأنني لم أقل شيئاً على الاطلاق انفعالي بالمشاهدة، فرحاً وترحاً، خوفاً وأمنا انسجاماً وانسحاقاً، لا يزال في كياني خليطاً مبهما من الاستجابات والأصداء ولا يزال ذلك الضياء الروحي الشمولي المطلق الذي ينسكب في أعمال (خليل) من الأعالي، يغمرني، ينبثق من النور، والعتمة، والموج، وستائر الشرق، من السطوح والأعماق، ولا تزال (الهزة) المرعبة التي أنبثقت عن التحديق في صورة (الرغبة) و (الوحدة) و (القناع) و (المرآة المكسورة)، تزلزل طفولتي الغافية. هناك، في الداخل ذلك ما جعلني أصمت أكثر من ذي قبل عند حديثي عن الأعمال.

لم أكن إلا واقفاً على المدخل أو عابراً بجوار ظواهر ضاربة في البعد، موغلة في التكثف، لا تخاطب شيئاً بعينه، ولا تعيش حيزاً محددا من زمان أو مكان، لم أتكلم عن أبعاد ومهارات الفنان، لأنني والحق يقال لا أستطيع الجزم بشيء في هذا فمن الجائز أن يكون في أعمال (خليل) ما ليس ضرورياً من الناحية الهندسية التي يمكن تدريسها بل ونقدها، ومن الجائز أن يكون (متجاوزاً مبتكراً) هذه مواضعات لا تهمني.. الذي يهمني هنا أن أسجل اعترافاً آخر، بأنني قد ازددت إيماناً بعناء الإنسان وحكمة الله.

يكفي خليل في أعماله، أن منح أحد مشاهديه هذا التجلي والصفاء.

عمر طاهر زيلع

جازان في ١٤٠٦/١/٢٨ هـ

١٩٨٥/١٠/١٢م



مقدمة كتاب (أحلامي)
للفنان خليل حسن خليل[1]

سطور من تجربتي الفنية

في الحادية عشرة من عمري وضعت يدي على أحد أعداد مجلة (العربي) التي تصدرها دولة الكويت، وما أن فتحت غلافها الداخلي حتى انطبعت على عيني لوحة للفنان التأثيري (كلود مونيه)، تحمل اسم (المتنزه) لم أكن في حينها أعلم ما (التأثيرية) ولا من هو (كلود مونيه)، لم أعر ذلك اهتماماً، فما شدني هو تلك اللوحـة، التي بهرتني فيها قدرة هذا الفنان على تقليد الطبيعة، حيث أن الفن التشكيلي والرسم. من وجهة نظري، في تلك السن، هو القدرة على نقل الأشكال الطبيعية، وأن مكانة اللوحة أو الفنان في نفسي، إنما تنبع من خلال تلك الرؤية، فكلما كانت اللوحة قريبة من الشكل الطبيعي، كانت هي الأفضل، وكلما كان الفنان أقدر على تنفيذ ذلك كان بارعاً.

---

(١) الفنان خليل حسن خليل من مواليد جازان جنوب المملكة العربية السعودية عام ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨/٣/٥م، حصل على دبلوم الكليات المتوسطة. قسم التربية الفنية، يعمل مدرساً لمادة التربية الفنية بمتوسطة ابن سينا بجازان، شارك في المعارض الآتية:

١ - معرض الفن السعودي المعاصر، الرياض ١٣٩٩ هـ الرئاسة العامة لرعاية الشباب.
٢ - معرض الفن السعودي المعاصر، الرياض ١٤٠٠ هـ الرئاسة العامة لرعاية الشباب.
٣ - معرض كبار الفنانين السعوديين، الرياض ١٤٠٠ هـ، الرئاسة العامة لرعاية الشباب.
٤ - المعرض الجماعي الثاني، الطائف ١٤٠١ هـ، جمعية الثقافة والفنون.
٥ - المعرض الجماعي الثاني، الرياض ١٤٠١ هـ صالة العرض العالمية، دار الفنون السعودية.
٦ - معرض المقتنيات الخامس، الرياض، الرئاسة العامة لرعاية الشباب عام ١٤٠١ هـ.
٧ - المعرض السابع للفنانين التشكيليين العرب، الكويت ١٤٠١ هـ جمعية الفنانين التشكيليين الكويتية.
٨ - الأسبوع الثقافي لدول الخليج العربي، باريس ١٤٠١ هـ مقر منظمة اليونسكو.
٩ - معرض الفن السعودي المعاصر، بون، مقر المركز الثقافي لمدينة بون عام ١٤٠١ هـ.
١٠- معرض الطاقة الدولي، نيويورك عام ١٤٠١ هـ مقر المعرض الدولي.
١١- معرض المقتنيات السادس، الرياض ١٤٠٢ هـ الرئاسة العامة لرعاية الشباب.
١٢- معرض الفن السعودي المعاصر، الأردن ١٤٠٢هـ.
١٣- مهرجان الشباب العربي، بغداد ١٤٠٢ هـ.
١٤- معرض السنتين، المغرب ١٤٠٢ هـ.
١٥- معرض المقتنيات السابع، الرياض، ١٤٠٣ هـ الرئاسة العامة لرعاية الشباب.
١٦- المعرض الثامن للفنانين التشكيليين العرب، الكويت، جمعية الفنانين التشكيليين الكويتية ١٤٠٣ هـ.
١٧- الأسبوع الثقافي السعودي، المغرب ١٤٠٣ هـ
١٨- الأسبوع الثقافي العربي، السويد ١٤٠٣ هـ.

=

وهذه الرؤية إلى الفن التشكيلي والرسم «من زاويتي الخاصة» إنما تنبع من استعدادي الذاتي لنقل الأشكال الطبيعية، وتسجيلها تسجيلاً «فوتوغرافياً» على الورق وقد اعتبر في بداياتي تلك مندرجاً تحت تصنيف الأطفال البصريين حسب تصنيف خبراء التربية الفنية لرسوم الأطفال .

ومنذ الحادية عشرة أخذت أحاول بكل جدية ومثابرة تحقيق غاية فنية هي: تطوير قدراتي الذاتية لنقل وتقليد الشكل الطبيعي، مهملاً في سبيل ذلك «المضمون» فقد كان الفن عندي حينذاك، هو تقليد الشكل الطبيعي كما أسلفت.

في عام ١٣٩٠ هـ أكملت دراستي الإبتدائية، والتحقت بإحدى المدارس المتوسطة وحملت معي اهتماماتي السابقة، وما يميز هذه المرحلة، وبصورة خاصة، مرحلة المراهقة التي شرعت في الدخول إلى عالمها، هو بداية اهتمامي بالمضمون (الموضوع) من خلال العمل الفني، فكنت أتطلع إلى معطيات البيئة المحلية من حولي، وعلى قمة هذه المعطيات كانت المناظر الطبيعية (الخلوية) فأنا أعيش أصلا في بيئة تتصف بمثل هذه الصفات، وبثراء في مشاهدها الريفية والبحرية.

= ١٩- معرض المقتنيات الثامن، الرياض ١٤٠٤ هـ، الرئاسة العامة لرعاية الشباب.
٢٠- معرض الفنانين العالميين المعاصرين الثامن عشر، موناكو ١٤٠٤ هـ، المتحف الوطني بمونت كارلو.
٢١- معرض الفن السعودي، الهند ١٤٠٤ هـ.
٢٢- المعرض التاسع للفنانين التشكيليين العرب، الكويت ١٤٠٥ هـ، جمعية الفنانين التشكيليين الكويتية.
٢٣- معرض الفنانين العالميين المعاصرين التاسع عشر، موناكو ١٤٠٥ هـ المتحف الوطني بمونت كارلو.
٢٤- معرض الوادي الثاني، جازان، نادي جازان الأدبي ١٤٠٦ هـ.
٢٥- المعرض الخاص الأول، جازان، نادي جازان الأدبي ١٤٠٦ هـ.
٢٦- معرض بينالي القاهرة الدولي ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩م.
٢٧- معرض دول مجلس التعاون الخليجي الأول، للفنون التشكيلية الرياض، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩م.

حصل على الجوائز التالية:

١ - الجائزة الأولى (رسم) عن لوحة (حي الأقمار) من معرض الفن السعودي المعاصر عام ١٣٩٩ هـ الرياض.
٢ - الجائزة الثانية عن لوحة (مباني تجريدية) معرض الفن السعودي المعاصر الرياض ١٤٠٠ هـ.
٣ - الميدالية الذهبية عن لوحة (الخريف) نادي الطائف الأدبي ١٤٠١ هـ.
٤ - الجائزة الأولى عن لوحة (البحار العجوز) المعرض السابع للفنانين التشكيليين العرب ١٤٠١هـ.. الكويت
٥ - الجائزة الأولى عن لوحة (الطائر الأخضر) معرض المقتنيات السادس ١٤٠٢ هـ الرياض.
٦ - الجائزة الأولى عن لوحة (لبنان ٨٢) معرض المقتنيات السابع ١٤٠٣ هـ الرياض.
٧ - الجائزة الأولى عن لوحة (على رصيف القمر) معرض المقتنيات الثامن، ١٤٠٤ هـ الرياض.
٨ - جوائز إقتناء من الرئاسة العامة لرعاية الشباب وجمعية الثقافة والفنون بالمملكة العربية السعودية.
٩ - شهادات تقدير من الرئاسة العامة لرعاية الشباب وجمعية الثقافة والفنون بالمملكة العربية السعودية.
١٠- جائزة السعفة الذهبية عن لوحة (البحر) معرض مهرجان دول مجلس التعاون الخليجي الأول للفن التشكيلي، الرياض ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩م.

ومنـذ دخـولي هذه المـرحلة تمكنت من الاطلاع على بعض جوانب الفن التشكيلي الحـديث بأسـاليبه ومدارسه المختلفة إلا أن هذا لم يزعزع نظرتي السابقة للفن بصورة جذرية، فلا زلت وقتذاك واقعاً تحت تأثير محاكاة الشكل الطبيعي، لأن الموضوع في العمل الفني بدأ يدخل ضمن اهتمامي بالفن، فلم يعد الفن تقليداً للشكل الطبيعي، لمجرد التقليد فقط بل يجب أن يتوجه العمل الفني برسالة ما إلى الجمهور ومن خلال ذلك كنت أرى أن الفن للحياة والمجتمع، وليس الفن للفن، أو الفن لذاته.

في عام ١٣٩٣ هـ التحقت بمعهـد التـربيـة الفنيـة بالرياض، وحملت معي قنـاعـاتي ورؤيتي الخـاصـة التي توصلت إليها عن الفن، ومن خلال دراستي بالمعهد، تبلورت هذه الرؤية فكانت (الواقعية) هي الإطار الأوضح الذي تتجسد بداخله رؤيتي السابقة عن الفن حيث لا زلت أثابر على الوصول بقدرتي الخاصة لتقليد الشكل الطبيعي، إلى ما هو أفضل وذلك من خلال التفاعل مع معطيات الواقع من حولي، فكانت لوحاتي تسجيلا لموضوعات واقعية، وبيئية محلية، سواء كانت مظاهراً للنشاط اليومي الإنساني في مجتمعي، أو نماذجاً تراثية حسية كانت أم معنوية، إلا أنه، وبعد سنتين. من التحاقي بالمعهد بدأ يطرأ تغير في أسلوب عملي الفني، حيث اعتمدت على الأسلوب (التأثيري الانطباعي) في تنفيذ العمل الفني مع المحافظة على الموضوعات الواقعية.

وتعني التأثيرية بالبحث عن الحقيقة غير المرئية بأسلوب علمي وذلك عن طريق تحليل ضوء الشمس، وألوان الطيف، كما تدرس تأثير أشعة الشمس على سطح المرئيات، وكان الاهتمام بالضوء واللون قد ظهر بعد نتائج الأبحاث التي أعلنها العلماء أمثال: (شفيريل) عن نظريات الألوان واستخدمت التأثيرية هذه النتائج العلميـة في إبـراز بعض أجزاء معينة من المرئيات، كما استخدمت أيضاً في تسجيـل الظلال الملونة واستبعاد ألوان الظلال التقليدية وقد فضل التأثيريون وضـع الألوان على طبيعتها الصافية على هيئة بقع لونية متجاورة، وقد تنوعت طريقة هذه اللمسات طبقاً لأسلوب كل فنان.

إن أبسـط صيغة يمكن أن تُرد إليها (التأثيرية أو الانطباعية) هي: سيادة اللحظة على الدوام والإتصال والشعور بأن كل ظاهرة هي حادث عابر لن يتكرر أبـداً، وكـل لوحة تأثيرية أو انطباعية، هي تسجيل للحظة في الحركة الدائمة للوجود، والرؤية التأثيرية تحول الطبيعة إلى عملية نمو وتحلل، فكل ما هو ثابت متمـاسك يتحلل إلى تحولات ويتخذ طابعاً متجزءاً غير مكتمل، وبفضلها يكتمل

التعبير عن عملية الرؤية الذاتية بدلا من مادة الرؤية الموضوعية. فتصوير الضوء والهواء والجو وتحليل السطح متساوى اللون إلى بقع وخطوط لونية وتفكيك اللون الموضوعي إلى النقط المرتعشة وضربات الفرشة السريعة غير المحكمة المفاجئة و(التكنيك) المرتجل بتخطيطه السريع الخشن. والإدراك العابر الذي يبدو غير عابىء بالموضوع وعدم الاكتراث الملحوظ في الأداء، كل هذا يعبر آخر الأمر عن الشعور بواقع مثير وديناميكي» دائم التغير.

في عام ١٣٩٦ هـ تخرجت في معهد التربية الفنية وعينت مدرساً لهذه المادة في احدى المدارس المتوسطة بمدينة جازان وبعد هذا التاريخ بدأت بتكوين مرسمي الخاص الذي كان يمثل المنطلق الأساسي لتجاربي، نحو تكوين شخصيتي الفنية وأهم ما يميز هذه المرحلة هو تأثري بالفنان (موندريان) بصفة خاصة وبأسلوب التجريدية الهندسية بصفة عامة.

«والتجريدية الهندسية ترى أن الجمال المثالي يكمن في الشكل الهندسي البحت، وقد إعتمد (موندريان) على الخطوط العمودية والأفقية التي تتقابل لتكون زوايا قائمة.

وكانت هذه التجربة التي لم تدم سوى عام واحد، هي رؤية مخالفة تماماً وجذرياً لرؤيتي للفن من خلال تجاربي السابقة، فقد كنت أرى أن الفن هو القدرة على محاكاة الشكل الطبيعي كما سلف وإذا بي أقوم بتجريد واختزال الشكل الطبيعي إلى مساحات هندسية قائمة على منطق رياضي ينظم علاقاتها الجمالية من خلال التكوين العام للوحة. وقد كنت أهتم بالموضوع الواقعي في العمل الفني، وإذا بي ألغي الموضوع نهائياً لتكون اللوحة هدفاً في ذاتها، وليست رسالة إلى الجمهور. وقد كنت أرى أن الفن يجب أن يتجه إلى الحياة والمجتمع، وإذا بي أتبنى فلسفة الفن للفن أو الفن لذاته.

بعد رحلتي القصيرة جداً مع التجريدية الهندسية، بدأت أهتم بمدرسة اللامعقول في الأدب والفن وبمنهج ما فوق الواقع في الأسلوب السريالي، وكذلك بعالم الأحلام، وما أقدمه من لوحات في هذا الكتاب، إنما تمثل بعض لوحات هذه المرحلة.

فمن خلال لوحاتي، وأعمالي التشكيلية في هذه المرحلة أحاول الربط بين واقع الشكل المرئي بكل كيانه المحسوس، وبين المعنى الذي يثيره لدى الإنسان ومقدار إنفعاله به، كما يحدث تماماً في الأحلام، فتأتي بصورة تبدو غير منطقية

إذا ما قورنت بواقع اليقظة ولكن لهذه الصورة الجديدة منطقها الخاص الذي تستقل به عن منطق الواقع. وأن التعامل مع جميع المرئيات والمحسوسات المادية منها والمعنوية، في حالة اليقظة يكون واقعنا المعاش، ولكن يجب أن لا نغفل ذلك العالم الذي يعتبر امتداداً لواقعنا، والذي يتم فيه تعرية الواقع ليكون أكثر واقعية، إنها (الأحلام) والتي تصبح واقعاً ملموساً أثناء معايشتنا الخاطفة لها. وقد أبرزت ذلك من خلال أعمـالي الفنية حيث يمتزج الواقع بالحلم، ليصبح الحلم واقعاً، والواقع حلماً.

فالواقعيـة في الفن تقصـر دائمـاً عن بلوغ مشارف الواقع، فهي تختصره وتضغطه، وتزيف أبعاده ، من حيث أنها لا تأخذ في حسبانها حقائقنا الأساسية كبشر مثل الحب والموت والمعاناة والهموم والأشواق وهي بذلك تصور الإنسان في صورة ناقصة، مختصرة الأبعاد، أما الحقيقة فماثلة في أحلامنا.

ولا تضاد بين الحلم والواقع بل الحلم عندي امتداد للواقع ومن خلاله اكتشف الواقع الأشمل.

وللأحلام قانونها الخاص ومنطقها الذاتي، والذي لا يمكن حسابه أو التعرف عليه من خلال منطق الواقع، فعندما نحول منطقة الأحلام وفقاً لمنطق الواقع فإنها تموت وتنهار، وتفقد سحرها وغموضـها.

خليل حسن خليل
جازان في ١٤٠٥/١١/٢٣ هـ
١٩٨٥/٨/٩م



مقدمة كتاب

«الحميني: الحلقة المفقودة في امتداد عربية الموشح الأندلسي

للأستاذ عبدالرحمن محمد الرفاعي(١)



عبدالرحمن محمد الرفاعي

(١) الأستاذ عبدالرحمن محمد الرفاعي من مواليد أبي عريش بمنطقة جازان عام ١٣٧١ هـ، حاصل على ليسانس في اللغة العربية وآدابها من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

يعمل حالياً مدرساً، عضو مجلس إدارة النادي الأدبي بجازان، له عدة بحوث في اللغة والنقد والأدب لم تطبع بعد.

مؤلفاته:

١ ـ كتاب الحميني: الحلقة المفقودة في امتداد عربية الموشح الأندلسي.

٢ ـ وأخيرا وجدت السنوسي.

٣ ـ جيزان وجازان بين الحقيقة والتحقيق.

وله مؤلفات تحت الطبع ومؤلفات لم تطبع بعد.

مقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده..

وبعد: إلام - أخي العربي - تظل لغتنا وأدبها في فقص الإتهام ونحن نقف منها موقف المتفرج، موقف الذي كأن الأمر لا يعنيه، إلامَ - أخي العربي - ونحن نرى أن القضاة في القضية هم الأعداء، والمدعين هم الأعداء، والشهود - أخي الغيور - أصناف ثلاثة، أما العدو المدعي نفسه، وأما - فئة منا نحن العرب، جهلت نفسها، فجهلت حقها، فأكبرت خصمها فاستغلها - بخبثه - عدوها، باستمالتها إليه فأغراها، فأنساها كل حق لها، فنادت بحقه علنا دون خجل أو حياء.. وصنف - يا للبلاء - فرضناه نحن البقية الباقية على أنفسنا فرضاً، فكان الحكم لصالحهم.. فرضناه بسكوتنا ونحن نعرف حقنا، بسكوتنا ونحن نسمع ونرى الجور والظلم فيما يقولون، ولا يبرز واحد إلى الساحة - وهو واقف في الساحة - ليدافع عن لغته، لغة دينه، لغة قرآنه، وأدبها وفنونها، أخي العربي نقف في الساحة وبأيدينا السلاح القوي، السلاح الذي إذا أشهرناه أظهر الحقيقة، وأعاد إلى كل ذي حق حقه، والسلاح الذي سيفصل في القضية دون ظلم أو جور لأي طرف من الأطراف.. وهذا السلاح إذا سألتني عنه، فهو تلك الثروة العظيمة، ذلك الغذاء الفكري الذي لا ينضب، ذلك الشذا الطيب، إنه ذلك الفكر والعقل والقلب والعاطفة معاً، إنه ذلك الذي إصطلحنا على تسميته بالتراث، فزيّنا به أدراج المكتبات وتناسيناه فأصبحنا (كمثل الحمار يحمل أسفاراً).. فلو سألتنا عن هذا التراث الذي ابتلعته الأدراج الخشبية، والحديدية - على سواء - ما هو؟ ما قيمته؟ ما أثره؟ فلا تجد سوى كلمة أنه التراث.. وهذا التراث.. لو أنا تخلينا - ولو قليلا عن تعففنا. وخوفنا على نظافة ملابسنا وأيدينا من أن تتسخ من الغبار الذي قد أعفى على مجدنا وحضارتنا بين الأدراج. ورجعنا إلى هذا الذي سميناه بالتراث لاستطعنا بفضل الله الذي حفظ لنا هذا المجد أن ندحض كل التهم التي حاول الأعداء أن يلحقوها بلغة ديننا وقرآننا وآدابها. هذه التهم التي ما فتىء الأعداء يوجهونها للغتنا. حين بأنها قاصرة لا تواكب التطور الحضاري ومتطلبات لغة العصر. وحين قصور فعلها عن حركات الزمن. وحين بجمودها وعدم استيعابها لفنون الحياة. ولذلك تجدها تلجأ لغيرها في هذا المجال لتأخذ منه.. وأخرى

يناقضون أنفسهم فنجدهم، إذا صدموا بوجود الدليل ـ في لغتنا ـ الذي ينقض اتهام من تهمهم تلك يعودون لهذا الدليل ليجعلوه تهمة أخرى جديدة يلصقونها بهذه اللغة.. فهم مثلا. ألم يقولوا إن هذه اللغة جامدة اشتقاقاً. وخالية من الفنون الغنائية والذاتية. ولكنهم لما بحثوا في معجمات وكتب نحو وصرف هذه اللغة ذهلوا، ورجعوا إلى دواوين الشعراء فيها فعظم ذهولهم . فقلبوا الآية وقالوا إن هذه اللغة عاطفية لدرجة الخور والضعف.. وهكذا.. وغير ذلك كثير، وللأسف كل هذا ونحن نرى ونسمع ولا نحرك ساكناً في حين السلاح بأيدينا ولكنا لم نعد إليه لأنا ـ للأسف ـ لم نحسن إستعماله.

وهذا التراث. حينما نقول تراث، يجب أن نفهمه أخي العربي المسلم ـ فهماً عميقاً شاملاً، فهماً لا تخنقه الحدود الضيقة، ولا الإقليمية النتنة. يجب أن نفهم ـ أخي العربي المسلم ـ هذا الذي سميناه بالتراث فهماً إسلامياً، فهما لا عرقية تقيده. ولا أنساب تتنازعه، ولا قومية تحده وتربطه. ولا عنصرية تمزقه وتفتته وتشتته بل تراث عرقه ونسبه واحد، كما أن مصدره وينبوعه الثرَّ واحد. تراث جنسه واحد، كما أن أصله ومعتقده ولسانه: جنسه واحد، واحد لا يتجزأ. كل لا يتوزع، أسوده وأبيضه، يمنية ومصرية، سودانية وباكستانية، وخرسانية وهندية كلهم ينصهرون في بوتقة واحدة هي الإسلام.

ولذلك فحضارتهم ومجدهم الذي هو خلاصة وثمرة فكرهم ووجدانهم ينصب في وعاء واحد، لأن ينبوعه الذي يتفجر منه واحد، وهو الإسلام.. فإذا بحثنا في هذا التراث يجب ـ كما أرى ـ أن نبحث فيه بهذا المفهوم، وهذه النظرة، وبهذا المنطلق فستوجد الأدلة القاطعة، والبراهين القوية، البراهين التي تدحض حجج الأعداء. وتخرس تشدقهم، وتظهر الحقيقة، بل الحقائق، التي طال اختفاؤها بين الأدراج الخشبية حتى كاد أن يعفى عليها الزمن.. عندها ستعلم الدنيا والكون بأسره. إنا أمة.. ولا كالأمم، أمة. ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾.[1]

وما دمنا خير أمة عند خالق الكون، فكيف لا نشعر نحن المعنيين بهذا في الأرض بين الأمم؟ إذا كنا نحن كذلك، أفلا يعم ذلك لغتنا وهي جزء منا، جزء من كياننا.. وهذا الحكم ـ بأنا خير أمة ـ لم يكن حكماً صادراً من بشر مثلنا حتى تكون له أهواء وراء ذلك، لم يكن من البشر القاصر، حتى يكون الحكم صادر على رؤية الخيرية فينا من جهة دون رؤية الجهات الأخرى، لا، فالحكم صادر من خالق

---

(١) آل عمران من الآية ١١٠

كامل، من إله واحد فرد صمد ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.[1]

يعني ذلك أن الخيرية فينا كاملة شاملة لكل النواحي والجهات، وإذا كنا كذلك فلغتنا أيضاً خيرية في كل شيء قابلة لكل شيء، صالحة لكل تطور وكل تقدم حضاري.. كيف لا تكون كذلك وهي لغة الخير. وكل شيء له ارتباط بالخير عند السماء يكون خيراً.. وهي لو لم تكن كذلك لما اختيرت لخير كلام.

﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[2]

إذاً كيف نتهم بعد هذا لغة بالنقص، وهي لغة قد حوت كتاب الله (لفظاً وغاية).. وهذه اللغة. هي لغة مجدنا وحضارتنا الذي سميناه ـ اليوم ـ بالتراث، فهل لنا أن نعود إليها لنرى ما فيها؟ هل آن لنا أن نعود إلى هذه الكتب القيمة التي عفى عليها الزمن بين الأدراج أو كاد؟ هل حان الوقت الذي يدعونا لأن نتعرف عليها لنعرف ما فيها من مجد خالد؟ أو سنستمر جاهلين بها كجهلنا بأنفسنا..

وهذا التراث، يجب عند بحثنا فيه أن لا نقتصر على مطبوعه فقط، بل يجب الرجوع إلى مخطوطه ومطبوعه معاً في أي بلد عربي كان أو مسلم ولا ننسى أيضاً المخطوطات الكثيرة المتناثرة في المكتبات العالمية.. وهل تصدق أخي العربي المسلم إن قلت لك: أن دول عربية فيها من المخطوطات أضعاف أضعاف ما هو معروف لك بالرؤية أو بالسمع، وإن أردت مثلاً، فلا أذهب بك بعيداً، إنها بلد عربي عريق، معرق في العربية كعراقة العرب أنفسهم، إنها اليمن البلد العربي الواقع جنوب الجزيرة العربية، وفي هذا البلد العربي من المخطوطات في شتى العلوم والفنون، ما يعد بحق مفخرة ومجد عظيم ـ للأسف ـ نحن اليوم نجهله وسنبقى نجهله إن لم نعمل على تحقيقه وطبعه وإظهاره، وقد لا تصدق إن قلت لك. إن ما يحتفظ به الأفراد ورؤساء القبائل، في هذا البلد ـ اليمن ـ من المخطوطات ما يساوي ٩٩٪ مما تحتفظ به الحكومة أي إن ما تحتفظ به الدولة من المخطوطات يساوي ١٪ مما هو عند أفراد الشعب، هذا غير ما سربه الجهلة من الأفراد والذين لا يعرفون قيمة هذه المخطوطات وباعوه في بعض البلاد العربية من أفراد احتفظوا بها في مكتباتهم الخاصة ولم يظهروه ليحقق ويطبع.. وأنا لم أقل هذا الكلام هدراً هكذا.. بل أقول هذا قول من سمع ورأى ووقف على هذا بنفسه، فقد لا تصدق إن قلت لك: إني كنت أرى أفراداً يأتون من اليمن إلى هنا ـ جيزان ـ وهم يحملون أكياساً كبيرة قد ملئت بالمخطوطات ويبيعونها

(١) سورة الشورى الآية ١١.

(٢) سورة فصلت الآية ٤٢.

بثمن بخس، وأذكر الآن - لأن ذاك كان وأنا لم أزل طالباً في المرحلة الإعدادية - بعضاً من أولئك الذين كانوا يشترون هذه الأكياس وهم كثيرون، فمنهم على سبيل المثال الأستاذ الأديب بجيزان محمد أحمد عيسى العقيلي، وهو أكثر هؤلاء المشترين بل إن ما عنده من هذه المخطوطات، لو حققت وطبعت لكونت مكتبة وهذا باستثناء ما حصل عليه الأستاذ العقيلي نفسه من مخطوطات حصل عليها من قرى ومدن وجبال منطقة جيزان إذ هي وحدها - أيضاً - لو حققت وطبعت لملأت أدراج مكتبة.. فلو أن الأستاذ العقيلي، وهو أديب ومثقف ويعرف ما لهذه المخطوطات لو ظهرت وقرئت من أثر عظيم في إظهار حقائق علمية وأدبية(١)، والأدب العربي في أمس الحاجة إليها اليوم وبعد اليوم، وهذه الدعوة لا أقولها للعقيلي وحده، بل للعقيلي وكل من هم على مستوى العقيلي الثقافي وهم يملكون مخطوطات فليظهروها، لأنهم أعرف الناس بنتائج ذلك سلباً وإيجاباً.. أما تلك المخطوطات التي لا زالت في حوزة أفراد في قرى وجبال ومدن اليمن، أو لدى رؤساء ومشائخ اليمن، أو هي محفوظة في مراكز ومكتبات الحكومة اليمنية، أو هي موجودة في المساجد اليمنية، فهذا من واجب جامعة الدول العربية إذ من واجبها تشكيل لجنة بإيفادها إلى اليمن، وتقوم هذه اللجنة بتوعية الناس هناك، وبالذات الرؤساء، إذا فهموا مهمة ما يخفونه بالنسبة للغتهم وآدابهم، وهؤلاء الرؤساء، إذا هم فهموا ذلك فإنهم لن يمنعوا تسليم ما بأيديهم من مخطوطات، بل لما لهم من

---

(١) إن ما في مكتبي من المخطوطات هو قد دخل عليَّ إما بواسطة الأستاذ الشيخ محسن أبو طالب قاضي النضير، وما عدا ذلك قد دخل عليَّ بطريق الشراء من شيخنا المرحوم القاضي عبدالله بن علي العمودي، ومن القاضي الشيخ أحمد بن حسن عاكش، ومن الأستاذ محمد بن أحمد البهكلي الذي قد اقتنى والده بعض المخطوطات الثمينة مثل تاريخ الوشلي وغيره، ومن محمد ابراهيم بهكلي والشيخ حيدر بن حيدر القبي وغيرهم من المواطنين من بيوت العلم في المنطقة وكلها بموجب وثائق ومستندات شرعية ولم أشتر شيئاً مباشرة من يمني ما عدا الشيخ محسن بن أحمد أبو طالب وما عدا ما ذكرته بعاليه.

وقد حققت منها ما حققت على سبيل الاختصار «نفح العود»، «العقد المفصل»، «ديوان ابن هتيمل»، «ديوان السلطانين» و ديوان «الجراح بن شاجر»، كتاب «العقيق اليماني».

وقد إستفاد منها ما يقارب العشرين شخصا سعوديون وعرب وغيرهم، يصلون إلى جيزان خصيصا لطلب الاستفادة من تلك المخطوطات فأسهل لهم الاضطلاع عليها وأخصص لهم جانب من مكتبتي، والجميع بفضل الله قدموا رسائلهم وأطروحاتهم في رسائل الماجستير والدكتوراة ومنهم الدكتور عبدالله أبوداهش والدكتور إسماعيل البشري، والمهني من أهالي جدة، وغيرهم من الذين تفضلوا وكتبوا إليَّ شاكرين ما قمت به نحوهم.

وأخيرا وفقني الله وأهديت مكتبتي المحتوية على ٦٣ مخطوط وأعداد وفيرة من المطبوعات القديمة والحديثة منها الموروث عن والدي ومنها المشترى ومنها المهدى إليَّ، وأهديت الجميع لجامعة الملك سعود بالرياض.

هذا وقد ورد ذكر (المكتبة العقيلية) ضمن المكتبات العالمية التي تحتوي على المخطوطات النادرة في كتاب (تاريخ التراث العربي) لفؤاد سزكين، وكتاب (شبه الجزيرة) لخير الدين الزركلي وغيرهم، وقد سجلت بذلك صك شرعي من كتابة العدل بجيزان وقد خصص لها قسم خاص في مكتبة الجامعة.

هذا من توفيق الله سبحانه وتعالى، ونشكر الله على توفيقاته.

سلطة قوية على قبائلهم، فإنه سيقومون بإجبار الأفراد الذين هم تحت سلطتهم بتسليم ما بحوزاتهم من مخطوطات لهذه اللجنة، أما تلك التي بأيدي الحكومة اليمنية أو هي تحت إشرافها فيما أظن أن الحكومة اليمنية ستمانع من تسليمها لهذه اللجنة، التي ستقوم هي بأخذها معها لمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية، والذي هو بدوره سيقوم بتصنيفها ثم تحقيقها وطبعها، وبذلك ـ كما أتوقع ـ ستظهر حقائق كثيرة تستفيد منها هذه اللغة وآدابها.. وهنا قد يسأل سائل: لما كان كل هذا التركيز مني على اليمن وهذا له أسبابه: أولاً إن اليمن بلد عربي قديم ذو حضارة قديمة عريقة أصيلة، وبلد مثل هذا لا يمكن أن يكون بدون ماضٍ عريق، وهذا حق، لأن الحضارة لا تنشأ في الشعوب هكذا، دون فكر ومفكرين، ودون رقي عقلي، وهذا يتبعه فيما بعد ـ كما سبق أن قلنا ـ استرخاء واستقرار نفسي، الذي ينتج عنه رقي في الفنون والأدب، فكيف بعد هذا لا يكون لهذا الشعب انتاج فكري وأدبي.. لكن المؤسف له انتاج هذا الشعب ـ فكري وأدبي وديني وتاريخي ـ لا يزال طي المخطوطات.. ومن أسباب تركيزي على هذا البلد، لما في هذا البلد من مجد تراثي لو انكب عليه العلماء ودرسوا ما فيه لخرجوا بفوائد عظيمة تفيد لغتنا وأدبنا فائدة كبيرة جداً، يقول الأستاذ جواد علي: (.. وقد يحسن العلماء في المستقبل بدراستهم لما ورد في مؤلفات الهمداني وغيره من شعر قديم ينسب إلى قدماء شعراء اليمن، وإلى الشعراء اليمانيين والعرب الجنوبيين عامة الذين نظموا بأسلوبهم الخاص لما في هذه الدراسة من فائدة كبيرة في إعادة بناء نظريات العلماء الحالية عن الشعر الجاهلي... المفصل ٩/٢٠٨.

إذن فنظريات الأدب الجاهلي ـ الحالية ـ نظريات ناقصة، وذلك لأنها قامت على أجزاء ناقصة ـ لا تمثل كل حقائق لغتنا وآدابها، ومن هذا النقص الذي قامت عليه نظريات الأدب العربي القديم كانت هذه التهم التي وجهت إليها، بل وكان هذا العداء، وهذه التحديات التيواجهتها لغتنا، والتي فرضناها نحن لا هم وذلك بسكوتنا ونحن نعرف، نعرف أن العرب أمة حدودها البحر العربي ودولة الفرس والروم، وفي وسط الجزيرة وجدانهم وقلبهم، وكلهم عرب، لسانهم واحد، كما أن أصلهم والجنس واحد، فكيف بالله يحكم على لغة أمة بما جاء في كتب أخذ ما فيها عن فخوذ وبطون من قبائل معينة لا تتجاوز الست أو السبع ويقطنون في مكانين متقاربين ـ نجد والحجاز، وهل العرب هم الست القبائل أو السبع فقط.. إذن فماذا نسمي الذين كانوا ينتشرون في كل أرجاء وأنحاء الجزيرة

العربية.. بل حتى أولئك الذين ينتشرون في بقية أراضي الحجاز ونجد، ماذا نسميهم ـ أنقول إنهم ليسوا عرباً ـ إذن كيف كانوا عايشين مع العرب الذين يعيشون معهم ـ وما هو لسانهم الذي كانوا يتحدثون به فيما بينهم ـ وهل العرب الذين يعيشون معهم كانوا يعرفون التحدث معهم بهذا اللسان ـ وهل ورد أن هؤلاء العرب كانوا يجيدون ـ في جزيرتهم لساناً آخراً بالإضافة إلى لسانهم.. أنقول: نعم.. أظن أن ذلك لم يقله أحد، ولم يرد عنهم ذلك.. أنقول: لا.. وإذا قلنا لا، فهذا يعني أن هؤلاء كانوا عرباً، فلماذا لم يأخذ عنهم الرواة، ولم يدون عنهم المدونون.. إذن ـ كما أرى والله أعلم ـ فمن هنا بدأ الخلل، ومن هنا جاء النقص وأخذ يتسع خرقه، ومن هنا وجد الأعداء مدخلهم إلى لغتنا وآدابها فدخلوا وأخذوا ينخرون ليهدموا ليصلوا إلى ـ ما يريدونه في حربهم ضد هذه اللغة ـ الطريق الأول الذي يوصلهم إلى الهدف الأساسي وهو الإسلام.

وهنا سؤال يفرض نفسه: هل هذه الفتحات والإتهامات التي حاول الأعداء أن يوجدوها في لغتنا وآدابها، ليس لها في لغتنا ما يسدها ويبرهن أن لغتنا ليست كما يدعون.. والحقيقة أن هذا السؤال وأمثاله هو الذي دعاني لكتابة هذا البحث الذي أكتب مقدمته هذه، وهو (الحميني الحلقة المفقودة في امتداد عربية الموشح الأندلسي) وقد تسألني كيف كانت البداية لكتابة هذا البحث.. أو ما هو السبب الرئيسي لكتابته. والحقيقة إن الذي دعاني لكتابة هذا البحث سببان مهمان جداً، الأول تهمة من تلك التهم التي وجدتها أثناء قراءات العامة.. الثاني دعوة صادفتني أثناء بحثي عن حقيقة تلك التهمة الخطيرة التي قرأتها.. وهذه التهمة وجدتها عندما كنت أقرأ في كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمن، إذ وجدت فيه ـ عند حديثه عن الأندلس ـ ما معناه: (.. إن الموشح العربي في الأندلس، قاله العرب هناك: محاكاة للشعر الغنائي الأسباني القديم..) فهزني هذا القول هزاً قوياً، فوقفت ـ وقفة طويلة جالت في فكري ـأثنائها ـ الأسئلة كثيرة، واحترت، وزادت حيرتي عندما عادت بي الذاكرة لتهمة من تلك التهم تناقض هذا الذي قاله بروكلمن تماماً.. وتلك التهم قولهم: إن مما يعيب العربية، إنها لغة ذاتية غنائية، عاطفية لدرجة الخور.. وهنا الحيرة، إذ الموشحات مبناها غنائي، وإيقاعها غنائي، وأوزانها أوزان غنائية، ولا تقوم إلا على الغناء ـ واللغة العربية عيب عندهم أنها غنائية بحتة، فكيف اقتبست غناء الموشحات من الغناء الأسباني القديم، ألأن الموشح فن جميل.. لذا أخذته العرب من الغناء الأسباني القديم.. إذن على هذا فالغنائية عيب في العربية، وفن وجمال في غيرها.. أي عدل هذا..

أي نقد هذا.. بل أي جنون، وهذيان.. أبغض هو.. بأي تفسير يفسر هذا.. أنه أعظم وأرقى درجات الحقد المنتن، الحقد الذي يعمي القلوب والألباب:

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾(١)..

فشدني هذا الحقد المقرون بأرقى درجات الصلف والغرور للبحث في حقيقة أصالة الموشحات الأندلسية فبدأت أولاً بما كتبه المعاصرون عن فن الموشحات الأندلسية، فلم تشف غلتي، ولم ترو ظمئي، ولا يعني هذا أن ما كتبوه ليس جيداً، لا، بل هو جيد وقوي بالنسبة لما وصل إليه بحثهم، لكنه لم يوصلني لما أريده في قضية الموشح إذ كلها تدور حول حلقة مفرغة، إذ كل منهم يحاول في بحثه أن يصل إلى الأساس الذي انطلق منه الموشح، في الأندلس.. إلى الإيقاعي الموسيقي والوزن الشعري في الشعر العربي في المشرق. والذي يمكن اعتباره أساساً لأصالة الموشح في العربية وكل من كتب ـ تقريباً ـ في هذا الموضوع يسير سيراً جيداً حتى يوشك أن يصل، فإذا قرب بدأت الحقيقة تضيع شيئاً فشيئاً حتى تتلاشى، ويخرج القارىء كما دخل.. لكن هل يعني هذا أن هذا الأساس لا وجود له في الأدب العربي.. أقولها وبملء فمي لا وألف لا.. إذ لو لم يكن هذا الأساس موجوداً، لما كان الإحساس بوجوده لدى هذه الكثرة الكثيرة من النقاد والأدباء العرب، الذين قرأوا تهمة بروكلمن وأمثاله عن الموشح فراحوا يبحثون ويكتبون، هذا سبب وهناك أسباب كثيرة تعرضت لها وكتبت عنها في هذا البحث الذي أقدم له الآن.. لكن من أسباب عدم وصولهم لحقيقة ما يريدون، بالدرجة الأولى عدم اهتمامهم بكل حقائق التراث العربي، كما قلت سابقاً، وأيضاً، وإن اهتموا فببعض التراث العربي لا بكل التراث.. إذاً فلكي توجد الحقيقة ـ وهي موجودة لا محالة ـ يجب علينا أولاً أن نركز جهودنا على كل التراث المطبوع والمخطوط المعروف لنا، والمخبأ لدى الأفراد والجماعات، والذي يجب علينا اخراجه وتنقيحه ودراسته دراسة دقيقة، ففي هذا التراث ما يدحض كل حجج الحاقدين على هذه اللغة، وكل الجاهلين بعظمة ومكانة هذه اللغة.. وحتى لا أطيل.. فإن حيرتي تلك ازدادت لدرجة القلق.. فخطر لي خاطر تدفعه هذه الحيرة، وهو: أنت الآن قرأت لكثير من النقاد والأدباء العرب المعاصرين والمحدثين الذين كتبوا عن الموشح في الأندلس، ولم تحصل على كل ما تريده، ترى ما هي أوطان

---

(١) سورة الحج من الآية رقم ٤٦.

هؤلاء الذين كتبوا عن الموشح الأندلسي ـ وهذا أقوله لأني بنيت عليه أشياء كثيرة ـ فوجدت أن أكثر من قرأت لهم لا يُعدون، مصر ولبنان والعراق، فوقفت طويلاً: ترى هل هناك أقطار عربية لا يوجد بها نقاد وأدباء غير هؤلاء.. أو أن هناك نقاداً ولكني لم أقرأ عنهم ولم أسمع.. أو أن هناك نقاداً وأدباء لكن الظروف حالت بينهم وبين الكتابة أو الإنتشار.. وتشاء الأقدار في هذه الفترة ـ فترة الحيرة والقلق والتساؤل ـ أن يقع بيدي كتاب لأديب وناقد وشاعر يمني بعنوان من الأدب اليمني للأستاذ أحمد محمد الشامي، لفت عنوانه إنتباهي إلى بلد لم أقرأ لكتابه ونقاده أي شيء.. فقلت لنفسي عسى أن تجد في أدب هذه الأمة ما يوصلك أو يدلك لما تريد أن تصل إليه.. وبدأت أقرأ فيه، وفعلا كان فاتحة خير كبير جداً، إذ وجدت فيه اسم غرض من أغراض الشعر العربي لا يعرفون عنه الكثير ـ أمثالي ـ في البلاد العربية وغيرها هذا الغرض اسمه الشعر الحميني، فوقفت عنده طويلاً مما جعلني أبحث عن كتب يمنية ودواوين شعر يمنية، فتيسر لي نزر قليل فرحت أقرأ فيها وليتني وجدت من هذه الكتب والدواوين كثيراً، إذ بت لما قرأته من هذه الكتب والدواوين، لا أستبعد وجود علاقة كبيرة جداً بين الحميني في اليمن والموشح في الأندلس، ما زاد في عدم إستبعادي لهذا بل ودعاني للبحث والاستمرار في ذلك ما وجدته في آخر الفصل عن الحميني في كتاب الشامي من الأدب اليمني.. ما نصه: (.. وقبل أن أنهي الفصل، لابد أن أقول، إن ظناً يشبه اليقين يخامرني، يخول لي أن الموشحات الأندلسية، قد ابتدعها شعراء يمنيون متأثرين بأشعارهم وأوزانهم «الحمينية» فمعظم العرب الذين كانوا في جيش طارق ابن زياد من اليمن، ومعروف أن أشهر أوائل شعراء الأندلس كان معظمهم من اليمن وهذا بحث مستقل، جدير بالعناية والدرس والتحقيق..).



الوصف

الحاصدة[1]

للأستاذ حجاب بن موسى الحازمي

الطيـور تعـزف (سمفونية) صباحية حالمة.. وقطعان الماشية تنغّم أنشودة أخرى لا تقل روعة ولا جمالاً عن لحن (السمفونية) السابقة.. ونسمات طرية تهب من الجنوب فتداعب أغصان الأشجار فتحدث صوتاً لطيفاً يساهم في تنغيم تلك الألحان الصباحية الجميلة.. وسنابل الذرة التي لم يأتها دور الحصاد بعد تتثنّى في دلال فتلوح من هذا الجـانب تارة.. وتلوح بعـد الاختفاء من جانب آخر.. والأرض المخضـرة في عرس الربيـع الدائم تساهم هي الأخرى في رسم تلك اللوحة الرائعة.. والحاصدة لم تنته بعد من إعداد طعام يومها ـ إفطاراً وغداء ـ .. وصوت جارتها وزميلتها ينبعث من عمق الصفاء: ليلى!! يا ليلى!! هيا هيا يا ليلى!! عمنـا يقف في انتـظارنـا منذ زمن طويل.. والحاصدات قد خرجن إلى المزارع.. الخ.

(١) قطعة جميلة من النثر الفني للأستاذ الشاعر حجاب بن يحيى الحازمي في وصف الطبيعة من قصة «وجوه من الريف».

الظبية(١)

للأستاذ أحمد بن إبراهيم بن محمد العقيلي

ريعت من كناسها فهامت على وجهها متنقلة بين رياض الخبت ومروج الوادي، فأحياناً في مزارع الذرة وغابات السدر، وأخرى بين رزاوي الدخن وغابات العمر؟ وهي هنا وهناك رائعة مروعة، وفاتنة مفزعة، فلا في الوادي استقرت ولا في «الخبوت» اطمأنت.

ولم يطمئن قلبها المفزع إلا في عاصب من شجر السلم غير مطروق يقع بين رياض الخبت ومروج الوادي وشغفها بالسلم قديماً، كما قال الشاعر:

كأن ظبية تعطو إلى وارف السلم

ولكنها أمنها لم يطل فما هي إلا سحائب أيام ونسمات ليال حتى فزعها طرادها.

فطارت الظبية إلى كل جهة من الجهات الأربع ليحتل الفارس الصياد كناس الظبية الجديد، ويضرب أطنابه ويشد حباله طمعاً في عودة الظبية، ولكنها طارت في الآفاق ولم تعد وبقى مكان الظبية تخليداً لذكرها وصار الفارس ظبيانياً، فإذا الفوارس تلحق بالفارس، وتلتف حوله حيث نبع «الهلالية».

إنها الظبية بنت الجمال والجلال المستلقية في حضن الوادي الخصيب بقدها المياس وغصنها الرطيب.

إنها الظبية بنت الحُسن الأخاذ، سليلة الينابيع والمروج، وأخت الأزاهير والرياحين والورود.

وما عرف الجمال من لم يزر عروجها(٢) وبخاصة في ربيعها وخريفها ليرى الحب كل الحب في تعانق سنابل الذرة الحمراء مع غصون السدر الخضراء في ليلة غائمة مطيرة.

وما عرف العطور من لم يستف شميم «السُكبِ».

---

(١) قرية الظبية تلك القرية الجميلة التي تشاهدها وأنت على خط الأسفلت وجسر وادي صبياء.

(٢) العروج مفردها عرج: شجرة السدر.

أو يتشح بأوسمة الفل المتسلق من ردائها على جدران منازلها.

وما سمعت أذناه نغماً ساحراً من لم يعده الزمان بسماع غناء أطيارها في تغريد بلابلها وزقزقة عصافيرها فوق غصونها الميادة وهديل حمائمها الآنس في منازلها والبري في مزارعها.

وما اكتحلت عينا من لم يقف على سد «هلال» الترابي أيام السيول ليمتع عينيه برؤية بحيرة عذبة تُزردها نسمات الهواء العليل بعد عشية ليلة ومسكين من لم يسامر القمر ليلة البدر على معال واديها، أو فوق تلالها الرملية الذهبية في ليلة صيفية هادئة.

وما ذاق السلسبيل من لم يذق ماء «الهلالية».

وما عرف أدباً من لم يسمع قصص الآباء والأجداد التي يرددونها عن الأرض والمواسم، وأسراب الظباء التي تشارك قطعان الماشية في مراعيها.

هذه صورة من الظبية الساحرة وسط الحقول في ريف الجنوب الفاتن.

فماذا عن إنسانها وحضارتها الآن؟

إنسانها: ابن الجزيرة، وسليل العروبة، وتربية الإسلام.

وركب على كل هذه العناصر ما شئت من صفات جميلة وأخلاق حميدة.

وما رجالها إلا قصص من العلم والحكمة والشهامة والنبل والوفاء، وما شبابها إلا شعل من القوة والحيوية والنشاط والعلم والذكاء، فسواعدهم مشمرة في كل ميدان في بلادي، وعقولهم تحت سقف كل مدرسة ومعهد وجامعة في بلادي، وعيونهم ساهرة على كل ذرة رمل من تراب الوطن الطاهر جنباً إلى جنب مع إخوانهم أبناء بلادنا.

هذه الظبية التي تدخل القرن العشرين بكل إقتدار بمدارسها النموذجية بمراحلها المختلفة، ومركزها الصحي ومكتبها البريدي وناديها الإجتماعي، وتخطيطها العمراني، هذه الظبية التي امتزجت بالنور وفاحت بالعطور وتتمنى أن تعانق الهواء قريباً.

هذه الظبية المتجذرة في التاريخ منذ ما يقارب من قرنين ونصف القرن(١)،

---

(١) الظبية قديمة المنشأ، وإن كان ورود اسمها في إمارة آل خيرات كقرية عامرة منذ ما يقارب التاريخ المشار إليه بعاليه.

ترفع هامتها إلى السماء، فخورة بأهلها وأبنائها، ومتحصنة وراء قيادتها قيادة هذه البلاد الظافرة.

إنها تدخل القرن الحضاري القادم بكل قوة بإذن الله.



الخطابة

الخطابة

الخطابة فن من فنون القول ومجال من مجالات الأدب وميدان من ميادين البيان عرفهـا العرب في جاهليتهم، ومارسوها بنجاح وتوفيق وتفوق، لأن حالتهم الإجتماعية التي تغشيهـا البـداوة وتسودها الغارات ويمليها الدفاع عن النفس والروح والعرض والمال، وتتـطلبهـا المبـاهـاة بقوة القبيلة ومنعة العشيرة، والتحلي بكرم النجار وشرف الخصال، والتعالي بالعزة والمنعة وقرى الضيف وحماية الجار، والتباهي برفعة الشأن ومنعة الجانب.

كل ذلك يتطلب مواقفاً للخطابة في مباهاتها ومفاخراتها ووفادتها سواء إلى فارس أو ملوك العرب، كالمناذرة والغساسنة، أو في أسواق العرب، كعكاظ وذي المجاز وغيرها، وهذه مواقف معروفة.

وكان من الكماليات أو الضروريات الأدبية والمعنوية في مثل تلك التجمعات القبلية أن يكون لكل قبيلة خطيب وشاعر يشيد بمفاخرها، ويذيع محامدها وينوه بمواقفها، ويفاخر بوقائعها، ويرثي وجهاءها، ويمدح كبراءها.

وكـانت الخـطابـة ـ بالأخص ـ لا يقف أمرها عند ذلك، بل يتعدى ذلك في التحـريض على القتـال والتحكيم في الخصـومـات وإصـلاح ذات البين، وفي المفاخرات والمنافرات والوصايا وفي الإملاك في حفلات الزواج.

ومن العادات في الخطابة والشعر في الأسواق والمجتمعات، أن يقف الخطيب أو الشاعر ـ إذا كان الجمع حاشداً ـ يخطب على ظهر راحلة أو على نشز من الأرض ليكـون ذلك أدعى لإيصـال صوت الخطيب أو الشاعر إلى أبعد مدى، ولزيادة التأثير بشخصية الملقي بإظهار ملامح وجهه وحركات جوارحه والإشارة بيده وأن يكون يلوث بعصابة أو عمامة على رأسه والإعتماد على مخصرة أو عصا أو قناة أو رمح أو قوس، وربما أشار بإحداهما. هذا في الجاهلية.

أما في الإسلام فقد هذبت تلك المواقف والشارات، وكان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة الجمع والأعياد من السنن التي اتبعت، ولا زالت، وإن

كان قد غض من شأن الشعر في العهد الأول إلا في الدفاع عن الدين وتأييد دعوة الإسلام، وكان حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ يرد على هجاء قريش وينال منهم، وقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً: «أجاب عني اللهم أيده بروح القدس». أو كما قال، وفي رواية (أجب عني اللهم أيده بروح القدس) ومثل حسان كان يصنع عبدالله بن رواحة وغيره، وكان للوفود الوافدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم خطباؤهم وشعراؤهم في الغالب.

وكذا نجد كعب بن زهير يلقي قصيدته (بانت سعاد) المشهورة بين يدي رسول الله في المسجد، والقصة من الشهرة بمكان.

وبعد الصدر الأول استمر للخطابة خطرها وعلو مكانتها، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتولى الخطابة في الجمع والأعياد، وفي صلاة الاستسقاء بنفسه صلى الله عليه وسلم، وتلاه الخلفاء الراشدون الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وهكذا في العهد الأموي والعهد العباسي، كان يتولى خطبة الجمعة في الجوامع أو المواقف التي تستدعي ذلك الخليفة نفسه، وفي الأمصار كان يتولى ذلك عمال الجهات.

وكانت الوفود على الخلفاء لكل وفد خطيبه وشاعره، وكذلك في حفلات الأعياد، فكانت الحفلة تجمع بين الخطابة والشعر أو تنفرد بالشعر في الخلافتين الأموية والعباسية، ولو أردنا إيراد الشواهد لطال الشوط وبعد المشوار، ولا زالت هذه التقاليد العربية متبعة في الجزيرة العربية على وجه العموم، وفي المملكة العربية السعودية على وجه الخصوص، فكان الملك عبدالعزيز في حفلات الأعياد وفي حفلة موسم الحج ـ التي تقام عادة قبل الحج احتفاء بضيوف الرحمن ـ مواقف للشعر ومجالات للبيان وكذا في اليوم الثاني لعيد الأضحى.

ولا زالت هذه المواقف مرعية الجانب في السعودية، وهي عادة جليلة من العادات العربية والتقاليد الإجتماعية الكريمة.

وبعد هذا نورد نماذجاً للخطابة في منطقة جازان.



دراسة وتمهيد لخطبة الأستاذ محمد بن أحمد بن علي البهكلي[1] في الحفل المدرسي السنوي

من مضمون ومحتوى خطبته في الحفل السنوي يظهر للقارىء عصرية روحه وإنشائه الذي يتواءم والخطابة الحديثة في الحفلات والمؤتمرات.

فهو يعرب عن سعادته وإبتهاجه بذلك الحفل المدرسي الذي يقام لأول مرة بتخرج أول فوج من أبناء مدينة جازان والذي يعد - بالنسبة إلى ذلك الوقت، خطوة حضارية في عالم التعليم، ابتهجت بها المدينة خاصة والمنطقة عامة، ويصف الحشد الحاشد على رأس أمير المنطقة العام وأمراء المناطق الملحقة ووجهاء وأعيان البلاد وما أستعد به لذلك الحفل من الزينة والأعلام ولوحات الترحيب، وتعاقب الخطباء على منصة الخطابة والطلاب يرددون الأناشيد تشنف الأسماع وتملأ القلوب بهجة.

وما تجلى على وجوه حضور الحفل من السرور والابتهاج والتطلعات إلى المستقبل وما سيكون لذلك الفوج الأول من الأثر النفسي، والحوافز الخيرة تدفعه هو نفسه وتهيب بالأفواج المتوالية إلى التسابق في النجاح.

وأن ذلك من تباشير روح اليقظة وسريان طلائع نور العلم لتبديد ظلمات الجهل ويشيد - في نفس الوقت - بعناية حكومة جلالة الملك المعظم ويهتف بحياته.

---

(١) القاضي الأديب محمد بن أحمد بن علي البهكلي: من أدباء المنطقة وكتابها المعروفين، ولد - كما فهمت منه رحمه الله - سنة ١٣١٦ هـ في مدينة أبي عريش، وبعد حفظه للقرآن الكريم درس على يد والده القاضي أحمد بن محمد البهكلي الفقه والحديث والقواعد، ومع مؤهلاته للقضاء الشرعي فإن ميوله الأدبية جرفته إلى حرفة الكتابة، فتولى سنة ١٣٤٤ هـ/ ١٣٥١ هـ وظيفة الكاتب الخاص لأمير المنطقة الحسن الإدريسي، وبعد حركة العصيان - راجع كتابنا المخلاف السليماني - تصرفت به الأمور وتقلبت به الأحوال، وضاقت به الأسباب فتوظف في السلك المالي مأمورا لمالية جبل فيفاء ولم يمكث في تلك الوظيفة طويلا، فعاد إلى جازان، واضطرته الأحوال لقبول وظيفة جابي لتحصيل الدمغة، وبعد مدة قليلة نقل لمالية أبي عريش وظل بها حتى أصيب في وباء الجدري وتوفاه الله في سنة ١٣٦٨ هـ.

مكانته الأدبية:

كان محمد بن أحمد البهكلي أديباً ذكياً خفيف الظل، حلو الدعابة عذب الفكاهة، يكتب ما يعن له في الوقت والساعة أو ينظم مقطوعات رقيقة فيأتي بيانه وشعره فيض الخاطر وعفو الساعة، وأسلوبه عصري الإنشاء، وإن استعمل السجع ففي الأقل النادر وبعفوية، أما في حديثه فهو أطرف وأظرف وقل أن يحتفل أو يحتفي بما يكتبه إلا إذا أهدى ذلك إلى صديق، احتفظ به عنه ذلك الصديق.

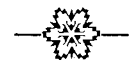
وإن المدرسة هي سر روح النهوض ووسيلة التقدم وأنه باسم البلاد وأهلها يتقدم بعاطر الشكر لمدير المدرسة الأستاذ/ محمد الهادي عقيل والثناء على جهوده، والإشادة على حسن تربيته للنشء ويوصيه ببذل الجهد لتثقيفهم وتنوير أفكارهم، وحثهم على حسن الأخلاق والتمسك بالآداب.

ولم يفوته أن يلتفت إلى الآباء راجياً منهم تشجيع الأبناء ومساعدتهم بكل الوسائل التي تزيدهم إقبالا على التعليم، وهمة ونشاطاً في التحصيل «وأن الجد في الجد والحرمان في الكسل».

وختاماً يحمد الله سبحانه وتعالى على هذه المنة ويدعو لجلالة الملك وحكومته التي نشرت العلم، وفتحت المدارس في ربوع المنطقة، كما هو في سائر مناطق المملكة.

وسيرى القارىء الكريم أنها خطبة اشتمل مضمونها ومحتواها على العناصر المطلوبة بيانيا وفكرياً لحفل مثل ذلك الحفل، ومناسبة كتلك المناسبة، وجمهور مثل ذلك الجمهور، في بيان سهل ممتنع خال من التعقيد والسجع وإنشاء عصري حديث، وبيان مونق جديد، في وقت لم يكن من السهولة أن يتأتى لكل شخص أن يقف ذلك الموقف أو يقوم ويقول ما يتفق والموقف والمقام.

وعلى كل فإننا نستعرض نموذجاً أدبياً من أدب المنطقة في أول النصف الثاني من القرن المنصرم.



خطبة القاضي الأديب محمد بن أحمد البهكلي في حفل تخريج أول فوج من تلاميذ مدرسة جازان الابتدائية (ذو القعدة سنة ١٣٦٥ هـ)

إن من الظروف التي أعد نفسي سعيداً فيها هو وقوفي الآن بين هذه الجموع المحتشدة في هذه الردهة الفسيحة الأرجاء، والتي تضم بين دفتيها أمراء البلاد ووجهائها وأعيانها، وكلانا مجيبين للدعوة الموجهة إلينا من مدير مدرسة جازان الأميرية لحضور هذه الحفلة الرائعة، والتمثيل البديع المزدهر بوجود أميرنا الشهم المحبوب.

وقد علم الله أيها السادة ما داخلني من الفرح الساري مفعوله في كل أجزاء البدن حين مشاهدتي لهذه الأعلام الخافقة فوق الرؤوس والتلاميذ متعاقبين على منصة الخطابة، هازجين بأناشيدهم المدرسية، الأمر الذي تثلج عنده الصدور، ويتجلى عند وجود مستمعيه الحبور، لم لا يكون ذلك، وكلنا أمل أن يصبح في البلاد شباب مثقف يعرف كيف يدير أعماله وينهض بأمته، عندما تكون البلاد في أشد الحاجة إليه، وبعدما كانت خالية من هذا الفن الجميل، تصبح وقد انتشرت في أنحائها الثقافة، وسرت في أرجائها روح اليقظة، وأضحت يشار إليها بالبنان، مع العلم أننا لم ننل هذه المفاخر الحميدة إلا لما كتب الله لهذه البلاد السعادة، ورفـرف على سمائها العلم العربي، أنشئت فيها حينذاك من ضروب الإصلاح والتقدم في جميع الشئون الإقتصادية والإجتماعية والعمرانية، وما هي سائرة إليه الآن، لدليل أكبر على عناية صاحب الجلالة مولاي الملك المعظم أيده الله، وعلى جهوده التي لا يتسع لها قول ليقال، فلندع تسجيل الأعمال إلى التاريخ، فإنه وحده يستطيع تخليدها وتثبيتها.

فليحيى جلالة الملك المعظم، ولتحيى أسرته الكريمة، ورجاله العاملين، نعم إننا نرى أبناء هذه المدارس كيف أصبحوا اليوم مثال الجد والنبوغ إذ تتمثل لهم سعـادة المستقبـل، وتنكشف المـواهب، وتستعـد للبروز حتى تعرفون فضلها وفوائدها، وأنها من أكبر العوامل المفيدة للتلميذ، ولولا هي لكنا في (ليل من الجهل مظلم).

غير أن العناية الربانية والتوفيقات الملكية السامية، أبت إلا أن تنهض بأبناء البلاد، وتفتح لهم المدارس حيث وهي السبب الوحيد في تهذيب الأمم وإزالة الجهل.

فقد رأيناها يخرج منها العلماء الفطاحل والأدباء العباقرة والزعماء العظام الذين يقودون الأمم إلى الأمام، فالمدرسة إذاً هي روح النهوض وسر التقدم، وأن ما نشاهده من استفادة التلاميذ الظاهرة لشهادة كبرى على عظمتها.

هذا وباسم البلاد وأهلها أتقدم بعاطر الشكر لمدير المدرسة الذي أماط اللثام عن خطط التعليم المفيد إذ أضحوا بوجوده في هذه المدة الوجيزة في طور يشهد لهم باطراد التقدم، وبهذه وأمثالها يتضح لنا جهوده الرائعة التي بذلها وسيبذلها في سبيل مهمته الخطيرة.

كما أنني أرجو منه زيادة بذل المهمة لتتسع دائرة معارفهم وتتنور أفكارهم مع الحث على حسن الأخلاق والتمسك بالآداب، حيث ومن عادة المعلمين الإهتمام بمصير الطلاب والاغتباط بنجاحهم.

ثم ألفت أنظار الآباء إلى تشجيع الأبناء ومساعدتهم بكل الوسائل التي تزيدهم همة ونشاطاً وتجعلهم ساهرين على حفظ الدروس، غير أنه لا يتم ذلك إلا مع الملاحظة بين آونة وأخرى خشية أن لا تدب فيهم السآمة فيضيعون الماضي ويحرمون سعادة المستقبل، (فالجد في الجد، والحرمان في الكسل).

وإننا نحمد الله تعالى على هذه المنة وندعوه جل وعلا أن يمتنعا والمسلمين ببقاء صاحب الجلالة مولاي الملك المفدى الذي بث هذه الروح في هذه الديار ورعاها برعايته وفاء عليها بعطفه، وأن يقر عيون أهالي مملكته بوجود أنجاله الكرام لاسيما ولي عهده المعظم ونائبه العام، مع الشكر لمديرية المعارف العامة، ونثني على جهودها الجبارة وسعيها المتواصل، ونتمنى لهؤلاء التلاميذ دوام النجاح واطراد التقدم أنه سميع مجيب.

خطبة القاضي الأديب محمد بن أحمد بن محمد البهلول في حفل مدرسة جازان الابتدائية لتوزيع أول
فوج من تلاميذها وذلك في شهر القعدة سنة ١٣٦٥

إن لمن الظروف التي أسعد نفسي سعيداً فيها هو وقوفي الآن بين هذه الجموع المحتشدة في هذه الرداهة الفسيحة الأرجاء والتي تضم بين دفتيها أمراء البلاد ووجهاءها وأعيانها وكلنا مجيبين للدعوة الموجهة إلينا من مدير مدرسة جيزان الأميرية لحضور هذه الحفلة الرائعة والتمثيل البديع المزدهر بوجود أمير [illegible] المحبوب.

وقد علم الدانيون والبادون ما للخلفين من النزع السامي [illegible] في كل أجزاء البلاد [illegible] هذه الأعلام الخافقة فوق الرؤوس والتلاميذ متعاقبين على منصة الخطابة [illegible] بأناشيدهم المدرسية الأمر الذي تثلج عنده الصدور ويتجلى عنده وجوه [illegible] الحبور. لم لا يكون ذلك وكلنا أمل أن يصبح في البلاد شباب مثقف يعرف كيف يدير أعماله وينهض بأمته عند ما تكون البلاد في أشد الحاجة إليه وبعد ما [illegible] من هذا الغرس الجميل تصبح وقد انتشرت في أنحائها الثقافة وسرت في أرجائها روح اليقظة واضحت [illegible] الشبان من العلم والتهذيب ولم ننل هذه المفاخر الجميلة إلا لما كتب الله لهذه البلاد السعادة ورفرف على سمائها العلم العزيزي [illegible] ضروب الإصلاح والتقدم في جميع الشؤون الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية وما هي سائرة إليه الآن لدليل أكبر على عناية صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم أيده الله على جهوده التي لا يسع لها قول القائل [illegible] بتسجيل الأعمال الباهرة فإنه وحده يستطيع تخليدها وتثبيتها.
فليحيى جلالة الملك المعظم ولتحيى أسرته الكريمة ورجاله العاملين.

ثم إننا نرى أبناء هذه المدارس كيف أصبحوا اليوم على [illegible] والشوق إذ تتمثل لهم سعادة المستقبل وتتكشف لهم المواهب وتستعد [illegible] حتى تعرفوا فضلها وفوائدها وأنها من أكبر العوامل المغذية للتلاميذ [illegible] لولاهم لكنا في ليل من الجهل مظلم.

حقاً إن العناية الربانية والتوفيقات الملكية السامية أبت إلا أن تنهض بأبناء البلاد وتفتح لهم المدارس حيث هي أسباب الرحمة في تهذيب الأخلاق وإزالة الجهل. فبتأسيسها يتخرج منها العلماء الفطاحل والأدباء العباقرة والزعماء العظام الذين يتوقون إلى الأعمال [illegible] فالمدرسة إذ هي روح النهوض وسر التقدم [illegible] التلاميذ [illegible] على عظمتها

هنا [illegible] البلاد وأهلها التقدم بما طرأ من التجديد المدرسي الذي أماط اللثام عن خطط التعليم المفيدة [illegible] في هذه المدة الوجيزة في طور [illegible] بالطراد التقدم [illegible] الرائعة التي [illegible] وسيمهد لها سبيل مهمته الخطيرة (١)

---

(١) هذا ما عثرنا عليه من مسودته الخطية، والباقي مفقود.

خطبة في بر الوالدين وصلة الأرحام والقيام بالحقوق

للشيخ علي بن محمد صالح(٢)



علي محمد صالح عبدالحق

(١) الشيخ علي بن محمد صالح عبدالحق كان ـ رحمه الله علما من أعلام مدينة جازان فضلا وعلماً ووجاهة، ولد في مدينة جازان سنة ١٣٣٤ هـ ونشأ في أحضان جده أبي أمه الشيخ أحمد زيلعي عمر أحد أعيان مدينة جازان، وتتلمذ على يد رجال العلم في جازان، مثل الشيخ محمد نوري المارديني قاضي جازان ثم على الشيخ علي محمد السنوسي فالشيخ عبدالرحمن عقيل فالشيخ محمد عبدالله التويجري ثم لازم حلقة الدراسة للشيخ عقيل بن أحمد وكان للرغبة حافزها وللذكاء عامله وللميول دوافعها، ومكنه تحصيله المتميز من العطاء الخبر في الخطب المنبرية فكان الخطيب المفوه في الجُمع والأعياد، بل وفي الإحتفالات إبتداء من سن التاسعة عشر في عام ١٣٥٣ هـ وفي عام ١٣٥٤ هـ، رفع قاضي مدينة جازان الشيخ عبدالرحمن عقيل بترشيحه مساعداً له في الأعمال القضائية، كما أنه كان عمدة لـ (محلة الجبل) وعضواً من هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم بعد ذلك ترفع في وظيفة القضاء إلى رئاسة المحكمة وعضوا في المجلس الإداري لمنطقة جازان إلى أن أحيل إلى التقاعد بناء على طلبه عام ١٣٨٨ هـ، نظراً لظروفه الصحية.

كان مجلسه من مجالس العلم والمذاكرة يغشاه الطلاب من الشباب ويحضره علية القوم ووجهاء البلاد وله مواقف في السعي لمصالح الناس.

وفي عام ١٣٩٤هـ أختاره معالي أمير منطقة جازان الشيخ تركي بن أحمد السديري مستشاراً شرعياً لإمارة جازان وظل في تلك الوظيفة إلى أن توفاه الله عام ١٣٩٧ هـ وقد رثاه الشيخ محمد عقيل بقصيدة بليغة أنظرها في شعر المراثي من هذا الكتاب.

الحمد لله الرؤوف الرحيم، الواسع العليم، ذي الفضل العظيم، والإحسان العميم، نحمده على ما أولانا من النعم، ونشكره على ما دفع عنّا من النقم، ونستغفره ونتوب إليه ونعوّل في جميع أمورنا عليه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو الجلال والإكرام، وأن محمداً عبده ورسوله سيد الأنام ومصباح الظلام، اللهم فصل على محمد وعلى آله وصحبه المرتقين في الخير إلى أعلى مقام، أما بعد.. فيا أيها الناس أتقوا ربكم الذي خلقكم ورزقكم وأعطاكم، ومن عليكم بالنعم كلها واختاركم من بين الأمم واصطفاكم، وقد أوجب لبعضكم على بعض حقوقاً متنوعة بحسب القرب والاتصال ووعدكم على القيام بها أفضل ثواب وأجل نوال، فلا تستقيم لكم التقوى حتى تقوموا بواجبات الحقوق، وتدعو ما زجركم عنه، وتسلموا من القطيعة والعقوق، الأولان: بر الوالدين وصلة الأرحام، منجاة للعبد من شرور الدنيا والآخرة وموصلة إلى دار السلام، وأن الصلة تصل الأرزاق والأعمار والقطيعة توجب سخط الله وقطع العمر والرزق والخزي والبزار؟ وقد قال صلى الله عليه وسلم رضى الله في رضى الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين ومن أصبح مطيعاً لله في والديه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة وإن كان واحداً فواحد، فقال رجل: واظلماه، واظلماه، واظلماه، كل الذنوب يغفر الله منها ما يشاء إلا عقوق الوالدين فإنه يعجل لصاحبه عقوبتها في الحياة قبل الممات، ومن أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه، الرحم معلق بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله (لا يدخل الجنة قاطع رحم، وقال رجل: يا رسول الله هل بقي من بر الوالدين شيء أبرهما بعد موتهما، قال: نعم الصلاة عليهما والإستغفار لهما وإنفاذ عهدهما بعدهما. وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما، إن العبد ليموت والداه، أو أحدهما وأنه لهما عاق فلا يزال يدعو لهما ويستغفر لهما حتى يكتبه الله باراً، واعلموا أنه كما أمر الله الأولاد ببر الوالدين وصى الوالدين بحب الأولاد، وأوصى الأقارب فيما بينهم بالبر والصلة والإحسان وحث أيضاً على حقوق الجيران والأصحاب والإخوان ألزم كل واحد من الزوجين بمعاشرة الآخر بالمعروف وأمر الناس بالقسط في المعاملة والتطفيف، فمن قام بهذه الحقوق فقد ارتقى أعلى الدرجات وأفضلها، ومن تهاون بها وأهملها فقد خسر دينه ودنياه ومروءته ونسى مصالح نفسه وضيعها، فاستعينوا ربكم على القيام بما عليكم مع احتساب الأجر والثواب، ونافسوا باكتساب أعلى الأخلاق وأكمل الآداب، فيرحم الله والدا أعان أولاده على بره

وداوى كل علة بما يناسبها ويلطفها ويطفيها، ولم يقاومها بالعنف والمشقة، فكأنه بفعله ينميها ويقويها، وفقني الله وإياكم لمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال وأعاننا على القيام بحقوقه وحقوق ذوي الحقوق والأصحاب والجيران والآل، وأنه سبحانه وتعالى يقول وبقوله يهتدي المهتدون:

﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1] أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[2]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم[3].



(١) سورة الأعراف الآية ٢٠٤.
(٢) سورة فصلت الآية ٣٥.
(٣) أنظر جريدة البلاد العدد ٩٤٣٢ تاريخ ١٤١٠/٨/٢٧ هـ الموافق ١٩٩٠/٣/٢٤م.

١ (خطبة في بر الوالدين وصلة الأرحام والقيام بالحقوق)

الحمد لله الرؤوف الرحيم، الواسع العليم، ذي الفضل العظيم، والإحسان العميم
على ما أولانا من النعم، ونشكره على ما دفع عنا من النقم، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ به من
[illegible] علينا؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو الجلال والإكرام، وأن [illegible]
ورسوله سيد الأنام ومصباح الظلام، اللهم فصل على محمد وعلى آله وصحبه المرشدين إلى [illegible]

أما بعد فيا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم ورزقكم وأعطاكم ومنّ عليكم بالنعم [illegible]
من بين الأمم وأصلافكم؛ وقد أوجب لبعضكم على بعض حقوقا متنوعة بحسب القرب والاتصال
ووعدكم على القيام بها أفضل ثواب وأجل نوال، فلا تستقيم لكم التقوى حتى تقوموا بواجبات
الحقوق؛ وقد علمتم ما رتب الله [illegible] من القطيعة والعقوق، الأرواب بر الوالدين [illegible]
الأرحام، منجاة للعبد من شرور الدنيا والآخرة وموصلة إلى دار السلام وأن القطيعة
تحصل للأرزاق والأعمار و القطيعة توجب سخط الله وقطع العمر والرزق والخير
والأبرار؛ وقال النبي صلى الله عليه وسلم رضى الله في رضى الوالدين وسخط الله في سخط
الوالدين، [illegible] أصبح مطيعا لله في والديه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة، وإن كان
واحدا فواحد؛ فقال رجل وإن ظلماه قال وإن ظلماه وإن ظلماه وإن ظلماه كل الذنوب
يغفر الله منها ما شاء إلا عقوق الوالدين فإنه يعجل لصاحبه عقوبته في الحياة قبل الممات؛
من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه الرحم معلقة بالعرش
تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله (لا يدخل الجنة قاطع رحم) وقال رجل
يا رسول الله هل بقي من بر الوالدين شيء أبرهما به بعد موتهما قال نعم الصلاة عليهما..
والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما بعدهما؛ وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما؛
إن العبد ليموت والداه أو أحدهما وإنه لهما عاق فلا يزال يدعو لهما ويستغفر لهما حتى يكتبه
الله بارا؛ واعلموا أنه كما أمر الله الأولاد ببر الوالدين وصّى الوالدين بحق الأولاد؛
والأقارب فيما بينهم بالبر والصلة والإحسان؛ وحث أيضا على حقوق الجيران؛
والأصحاب والأصهار، والشريك كل واحد من الزوجين بمعاشرة الآخر بالمعروف وأمر الناس
بالقسط في المعاملة وعدم البخس والتطفيف؛ فمن قام بهذه الحقوق والكمال؛ فقد ارتقى إلى أعلى
الدرجات والمنازل؛ ومن تركها وتهاون وأهملها؛ فقد خسر دينه ومروءته ونسي مصالح نفسه
وضيعها؛ فاستعينوا بربكم على القيام بما عليكم مع احتساب الأجر والثواب؛ وتنافسوا
اكتساب أعلى الأخلاق وأكمل الآداب؛ فرحم الله والدا أعان ولده على بره وأدى كل [illegible]
ما يلبسه ويطعمه ويطفيه؛ ولم يغالطه بالعنف والمشقة فإنه ينفعه [illegible]؛

وفقني الله وإياكم لمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال؛ وأعاننا على القيام بحقوقه وحقوق ذوي القربى
والأصحاب والجيران والآل، والله سبحانه وتعالى يقول [illegible] يهدي المهتدين وإذا قرئ القرآن
فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع
بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين [illegible] الآية ١٠

خطبة منبرية للشيخ موسى أبو الخير المعافى[1]
ألقاها في إحدى التجمعات أثناء حرب الخليج

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد.. أيها الناس إن الفتنة العمياء والفرية الصلعاء التي أقترفها صدام وأشعل نيرانها وأضرم جحيمها غدراً وبغياً وظلماً على جارته الكويت لهي من أفظع ما أقترفه الطغاة وتسبب فيه الجبابرة، وقد خفر الذمم وضرب بحق الجوار عرض الحائط، وقطع أواصر الرحم، وأهدر حقوق القرابة، فكان «قدار» هذا العصر و «أبرهة» هذا العهد.

أيها الناس، إن المملكة العربية السعودية وطن الجميع وحصن الاسلام وسده المنيع، فيها البيت الحرام والركن والمقام، والحطيم، قبلة المسلمين ومثابة الآمنين، حمايتها واجبة على المسلمين والعرب، فكيف ونحن من أبنائها، فمن أوجب الواجبات الجهاد في سبيل الله لحمايتها وبذل الروح والمال.

لقد غدر وبغى وتجبر وطغى صدام حسين وهجم على الكويت بدون سابق إنذار، فأطلق جنوده، وأزجى جحافله كالوحوش المسعورة تهتك الأعراض، وتزهق

---

(١) الشيخ موسى بن أحمد بن علي أبو الخير المعافى، من مواليد ضمد عام ١٣٥٨ هـ تلقى تعليمه الأولي في كتاب - معلامة - الفقيه محمد إبراهيم الأقصم الحازمي، حفظ القرآن الكريم ثم ألتحق بمدرسة المصلح الداعية الإسلامي الشيخ عبدالله بن محمد القرعاوي بضمد، وحفظ بعض المتون مثل: متن الأجرومية في النحو والرحبية في الفرائض وعلم القراءات والتجويد والأصول الثلاثة، ثم رحل إلى معهد صامطة العلمي الموسع والذي كان في ذلك الوقت أشبه بكلية متوسطة، فدرس ألفية ابن مالك وشرح ابن عقيل والفرائض والحديث لابن دقيق العبد، وفي كتب التوحيد والفقه والجغرافيا والتاريخ وبعد تخرجه من ذاك المعهد التحق بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فأتم دراسته التكميلية حتى تخرج عام ١٣٩٣ هـ ثم بعد تخرجه أسندت إليه وظيفة مدير عام مديرية الأوقاف والمساجد بجازان فقام بإدارتها خير قيام، وكان موضع تقدير من مرجعه ومواطنيه له بحوث منها:
١ - بحث في حد السرقة.
٢ - بحث بعنوان «القصص في القرآن».
٣ - مقالات في الصحف والمجلات.
٤ - قصائد ومقطوعات شعرية.
٥ - خطب منبرية حديثة في التوجيه والوعظ والإرشاد.

النفـوس وتنهب الأمـوال، وتدمر الديار وتشرد الأحرار وتروع النساء والأطفال الصغار، فكان موضـع سخط الله وغضبه وغضب العرب والمسلمين.

لم يستمع لنصيحة ولا لرأي مشفق، كذب على رئيس جمهورية مصر العربية محمد حسني مبارك، وافترى ومان على خادم الحرمين الشريفين وتعهد لهما بعدم غزو الكويت، ثم نكث عهده وأخلف وعده ولم يكتف بذلك بل تمادى في طغيانه وأوقف جحافله على حدود المملكة وطننا العزيز ولولا وقاية الله ثم حكمة خادم الحـرمين الشـريفين وأخـذه بأسبـاب الحـزم والاستعداد والاستعانة بالأشقاء والأصدقاء لكان ما كان مما لا حقق الله ظنه.

أيها الاخوان، وأنتم أبناء هذا الشعب الكريم، فتلببوا للمغار واستعدوا للقتال، ولينصرن الله من ينصره، حفظ الله خادم الحرمين وأيده بنصره.



من الخطب المنبرية التي ألقاها الشيخ
موسى أبو الخير المعافى في أحد المساجد

يوم حقق الله النصر ودخلت الجيوش السعودية المتحالفة لمدينة الكويت وحررتها من الظلم والاستبداد وطغيان صدام

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسول الله ومن اتبع طريقه ووالاه.

نقول، كما جاء في الأثر بعد أن هزم الله الأحزاب وأرسل عليهم ريحاً وجنوداً لم يروها، فنقول ونردد ما قاله وردده الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

﴿ **الحمد لله وحده نصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده** ﴾.

ونضيف: ودحر صدام حسين وعدده وعدده، بعد أن أفسد الله تدبيره وأعمى بصره وأفشل قصده.

أيها الناس إن البغي مرتعه وخيم والظلم يعود على الظالم، فقد نكس الله أعلامه وحطم صدام حسين وأعوانه وأصنامه وأزال الظلم وطغيانه.

لقد تحررت الكويت بفضل الله وعونه وقوته ثم بحسن تدبير وحزم وقيادة خادم الحرمين الشريفين الذي وقف كالجبل الراسي لم تزعزعه نائبات الأحداث أو تغمز قناته اللزبات.

فمنذ رزقه الله بعد النظر وصفاء السريرة ونور البصيرة وسداد الرأي وصدق العزيمة، فكان بفضل الله سبحانه وتعالى النصر حليفه والتوفيق رفيقه، بعد أن تزلزلت الأرض تحت أقدام الباغين، وعصفت الريح بالظالمين وأمطر الله عليهم من الجو شواظ من نار وصواعق من الصواريخ، فلم يغن من الله عن صدام قواته المتكاثرة ومدافعه الهادرة، وصواريخه الصاعقة، ولا أسلحته الحارقة، ولا غازاته السامة، ولا أسلحته الفاتكة، وانهار يجرجر أذيال الفشل، واستسلم صاغراً وأذعن خاضعاً، فالحمدلله الذي أخذ بيد خادم الحرمين وصان أوطاننا ورد كيد الكائدين في نحورهم وبغي الباغين على أنفسهم.



معالي الأمير محمد بن تركي السديري/ أمير منطقة جازان

كلمة الشيخ محمد بن تركي السديري(١) أمير منطقة جازان

بين يدي صاحب السمو الملكي

سمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام.

أصحاب السمو الملكي الأمراء

أصحاب الفضيلة.

أصحاب السعادة.

ضيوفنا الكرام.

---

(١) الشيخ محمد بن تركي بن أحمد السديري: ولد في بلدة الجوف في شمال المملكة العربية السعودية عام ١٣٦٢ هـ تلقى دراسته الإبتدائية بمدينة أبها قاعدة بلاد عسير ـ كما تابع دراسته الإعدادية والثانوية في بيروت عاصمة الجمهورية اللبنانية، وأكمل دراسته الجامعية بالولايات المتحدة الأمريكية بجامعة كالفورنيا الجنوبية تخصص إقتصاد سياسي وأسندت إليه وكالة إمارة منطقة جازان عام ١٣٨٧ هـ في عهد إمارة والده بالمنطقة، فكان في إدارته لعمل الوظيفة مثال الحريص على إشاعة العدل وإستقطاب ولاء الجمهور وملاحظة مصالح الشعب مما رفع رصيده في المنطقة وحببه إلى النفوس، وقربه إلى القلوب، وأهله لثقة المراجع العليا للقيام بوظيفة أمير المنطقة بعد وفاة والده الجليل الشيخ/ تركي بن أحمد السديري، وذلك في عام ١٣٩٨ هـ.

ومما يعجبني في معاليه ويعرف عنه لدى أهالي المنطقة تفقده لوجهاء وأعيان البلاد في أثناء غيابهم والحرص على زيارة المرضى منهم في أماكن تواجدهم أو في المستشفيات والقيام بحقوق التعزية لأهل المتوفين سواء في مدينة جازان أو في أنحاء المنطقة في بلدانهم، وهي خصال تحمد من مثله ولها وقع في النفوس، ومكانة في القلوب، لأنها من المثل العليا والأخلاق الكريمة التي تتصف بها أفذاذ الرجال.

إنني لا أقول ذلك تزلفاً ولا تقرباً، فأنا لست ملزماً بأن أقول غير الحقيقة أو أن أذكر غير الواقع، وإنني في نفس الوقت عليّ كمؤرخ أن أذكر الواقع فما أحوجنا جميعاً من الملك العظيم إلى العامل البسيط أن نذكر محاسن بعضنا وألا نبخل بكلمة ثناء على من يستحقه، ففي ذلك تقديراً للأعمال وعرفاناً بالجميل وتشجيعاً للخير، والمعروف عنه فتح باب منزله ليلياً للزائرين وذوي الحاجات.

أو الذي لم يتمكن في وقت الدوام الرسمي مع إزدحام العمل فيحضر يصلي معه العشاء بمسجده ويسير معه الجميع إلى مجلسه، وهناك تدار الأحاديث الشيقة والمذاكرات المفيدة، ويتقدم الشاكي بشكواه، أو المذكر بحاجته إلى أن يحين وقت العَشا فيتناول الجميع الطعام على مائدته ثم يعود الجميع إلى المجلس لتناول القهوة، ومن ثم يكون الإنصراف في حوالي الساعة العاشرة والنصف.

أما من ناحية ثقافته العامة فهو كجامعي يجيد اللغة الانجليزية حديثاً وكتابة وله إلمام بالأدب العربي تعطينا كلمته التي ألقاها بين يدي سمو الأمير سلطان نموذجاً من إنشائه الأنيق.

في هذا اليـوم الأغـر الذي تطالعنا فيه طلعة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبـد العـزيـز مشرقـة على روابي وسـهول وشواطيء منطقة جازان التي تهف نسـائمهـا وتسطع مغانيها، ويتألق فضاؤها بمقدمكم يا صاحب السمو الملكي يشرفني أن أرحب بسموكم وبصحبكم الكرام أجمل ترحيب، ترحيباً كأنفاس أزاهير هذه المنطقة وأريج فلها المعطر.

أرحب بكم في هذا اليوم المشرقة سماؤه والمتلألئة روابيه والمتهللة شواطئه، باسمي ونيابة عن مواطنيكم في هذه المنطقة، الذين يكنون لسموكم طاقات من الحب ودفقـا من الإخـلاص وفيضـاً من الوفاء، تخفق بها قلوبهم وتصدح بها أرواحهم، وتهتف به ألسنتهم، وتتهلل به وجوههم بما يعجز عنه لساني، ويكل عنه بياني، فاكتفي بهذه العبارات المقتضبة والألفاظ الموجزة والجمل المختصرة.

يا صاحب السمو:

إن مواطنيكم في منطقة جازان الذين يحتفلون هذا اليوم الأغر الميمون بلقائكم الكريم وقدومكم الميمون في سلسلة زياراتكم التفقدية لمختلف بلادنا الحبيبة التي تشتمل على أكبر أجزاء جزيرتنا العربية، وما هذه المشاعر الفياضة، والمباهج الدفاقة، والعواطف الجياشة، إلا إعرابا عن التلاحم الكبير والإخلاص الجليل بين القيادة الحكيمة والشعب المخلص.

إن هذه الجموع المتهللة والجماهير المحتشدة والحشود المتدفقة ما هم إلا بعضاً من كل من سكان هذه المنطقة يتقدمون لسموكم الكريم بخالص الشكر والعـرفـان، ولخـادم الحـرمين الشـريفين بخـالص الوفاء وكريم الطاعة وجليل الإخلاص، طالبين من سموكم التكرم بنقل مشاعرهم ورفع ولائهم وتأييدهم وحبهم الكبير لقائدهم العظيم خادم الحرمين الشريفين ولولي عهده الأمين.

كما يؤكدون لسموكم بكل إصرار وعزيمة وإيمان يملأ قلوبهم ويفعم نفوسهم جميعاً بعزم الدفاع وصدق وحق التضحية والجهاد دفاعاً عن كل شبر من تراب هذا الوطن الطاهر تحت راية التوحيد، وقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبدالعزيز، مدافعين بالنفس والنفيس والأرواح والأبناء فداء لهذا الوطن إلى جانب قواتنا المسلحة الظافرة بإذن الله.

يا صاحب السمو..

في خضم هذه الأحداث الأليمة التي أحاطت بالأُمة العربية من قوى البغي

والعدوان وما تعرضت له دولة الكويت الشقيقة من الإحتلال الغاشم والظلم الفادح من قبل طاغية العراق وما حاق بها من سلب للأرض وإنتهاك للأعراض، ونهب للأموال، وترويع للأرواح، وتشتيت للأفراد والجماعات وتشريد للأطفال، وكشف للعورات مما تنفطر له القلوب وتفيض العبرات.

لمثل هذا تفيض النفس من حزن
إن كان في القلب إسلام و إيمان

لقد حشد طاغية العراق قواته الغاشمة على حدود مملكتنا الحبيبة غير مراعياً للجوار، ولا راعياً لحق الإسلام وحقوق الرحم الإسلامية، والقرابة العربية، فلم يزد هذا الشعب الكريم العربي السعودي الصادق إيمانه والواثق بنصر الله، والذين ينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾(١)

فهب الشعب الكريم السعودي الوفي بأبنائه الأشواس من كل أرجاء وطننا الكبير، هبة رجل واحد متدافعين لنداء الواجب المقدس في الذود عن مقدساتهم وثرى وطنهم، متدافعين بالمناكب على مراكز التجنيد وميادين التدريب متطوعين بالأرواح فداء للدين والمليك والوطن كما هو معروف عن الشعب العربي السعودي، الذي لا تخيفه التهديدات ولا تثنيه المخاطر، كما يشهد التاريخ وتسجله الوقائع، بل ضاعفت تلك التهديدات من تماسكه وتلاحمه ضد كل من تسول له نفسه، وضربوا المثل في الإخلاص والوفاء.

لقد أسس هذا الوطن على المحبة والمودة والتعاطف، فالمؤسس الأول الباني الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ جمع شمله، ووصل من قطع من أجزائه تحت راية التوحيد في دولة حديثة دستورها القرآن ونهجها الشريعة المحمدية، حتى كتب الله له النصر، فأقام هذا الكيان الكبير القوي بإيمانه والمتحد بأبنائه وإسلامه بإذن الله، والقائم على مناصرة الحق وإقامة العدل حتى صار المؤسس الباني إلى رحاب الله.

فخلفه من أبنائه البررة على السير في مهيعه ليواصلوا المسيرة وقيادة الأمة وتوطيد الأمن والأمان في وطن الخير والعطاء، فأصبح هذاالوطن ولله الحمد والمنة،

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٧٣.

يضـاهي أكبـر الدول في انجازاته الحضارية ورقيه وتقدمه، مع تمسكه بالمثل الإسلامية العليا والأخلاق العربية الأصيلة المثلى.

وفي الختـام أقـدم لسموكم الكريم وافر الشكر وجزيل العرفان على زيارتكم الميمونة التي سوف يكون لها جميل الأثر وكريم الذكرى في نفوس مواطنيكم من أبناء هذه المنطقة.

أرجو الله أن يديم عليكم وعلينا وعلى أبناء هذاالوطن عامة والشعب السعودي الكريم في هذا الوطن السعودي وأن يحفظ علينا ديننا ويديم علينا نعمه ويوفق قادتنا لكل خير في سبيل خدمة وطننا الغالي وبلادنا العزيزة، وأمتنا الإسلامية العظيمة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

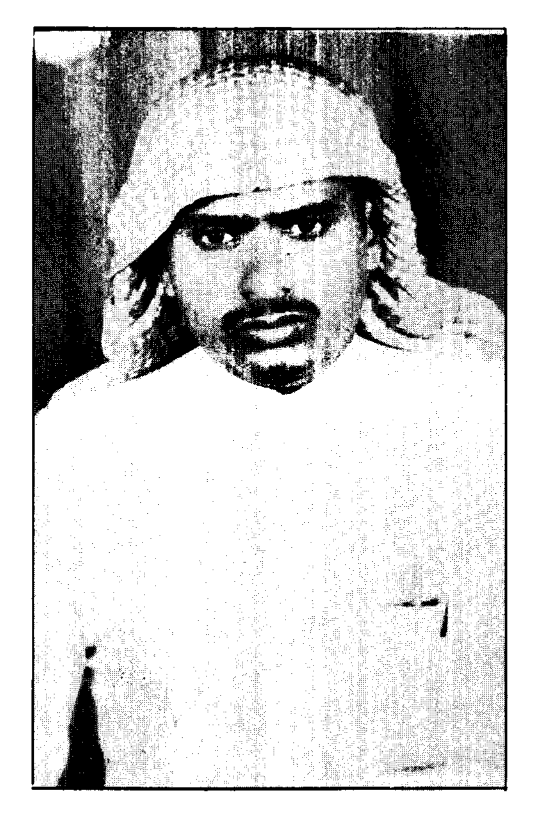
المخلص

محمد بن تركي السديري



وداع وحسن ختام

للأستاذ/ موسى إسماعيل عقيلي[1]



موسى اسماعيل عقيلي

من نصائحي لنفسي ومنها خطب، ومواعظ ألقيتها بساحل الجعافرة بصبيا عام ١٤٠٤ هـ:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) موسى إسماعيل العقيلي من مواليد بلدة الظبية عام ١٣٧٧ هـ تخرج من كلية الشريعة منتسباً عام ١٤٠٠ هـ، له مشاركات أدبية، ولم يكن تحت يدي من نتاجه إلا هذه الكلمة التي أوردناها ـ هنا.

أما بعد.. لكل شيء بداية ونهاية في هذه الحياة سواء كانت أياماً أو لياليا، ومهما عمر الإنسان وجميع المخلوقات فهي سائرة إلى الزوال، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾(١) وقال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾(٢)

فيجب علينا معشر الأنام أن نودع يومنا الذي مضى بحسناته وسيئاته، ونستقبل يوماً جديداً إن كتب الله لنا الحياة فيه، ونعمل فيه خيراً لآخرتنا، فهذا العام ينقضي وذاك يأتي، وكم قارىء وسامع للنصائح قبلنا قد مضى ورحل عن الدنيا وترك آثاره إما حميدة أو سيئة فالأخلاق الحميدة هي الباقية، لقوله صلى الله عليه وسلم: «**أقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً**»، والأعوام يا عباد الله تتجدد عاماً بعد عام، فإذا دخل العام الجديد نظر الإنسان إلى آخره نظرة البعيد فيمر العام عليه كلمح البصر، فإذا هو في آخر يوم منه وإذا به قد هجم عليه الموت، قال تعالى:

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾(٣)

فيجب على العبد أن يقبل على الله ويجعل كل أوقاته مودعاً للدنيا لحديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله عظني وأوجز، فقال صلى الله عليه وسلم: «**إذا قمت إلى صلاتك فصل صلاة مودع ولا تكلم بكلام تعذر منه عذراً وأجمع البأس مما في أيدي الناس**» رواه أحمد.

وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾(٤).

فالأمر بالتقوى والعبادة مستمر حتى الموت، لتحصل الخاتمة، وقد بين صلى الله عليه وسلم أن بعض الناس يجتهد في الطاعات ويبتعد عن المعاصي مدة طويلة، ولكنه قبل وفاته يقترف السيئات، قال صلى الله عليه وسلم: «**أن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها**» رواه البخاري ١١/٤١٧.

---

(١) سورة القصص آية ٨٨.
(٢) سورة الرحمن آية ٢٧.
(٣) سورة ق آية ١٩.
(٤) سورة الحجر آية ٩٩.

وإليك أيها العبد الفاني أبيات من الشعر في الرثاء ووداع الأحبة عن هذه الدار الفانية:

قال حافظ ابراهيم:

إن الذي كانت الدنيا بقبضته
أمسى من الأرض يحويه ذراعان
وغاب عن من لم تغب أبدا
عن ملكه الشمس من عز وسلطان

وقال شوقي:

دقات قلب المرء قائلة له
إن الحياة دقائق وثوان

وقال الشاعر:

ما زلت أفجع بالأحبة كلهم
وفناء نفسي في الحقيقة أفجع
فودع خليل النفس قبل فراقه
فما الناس إلا ضاعن ومودع

وقال لبيد يرثي أخاه:

فلا جزع أن فرق الدهر بيننا
فكل امرىء يوماً به الدهر فاجع
وما المال والأهلون إلا ودائع
ولابد يوماً أن ترد الودائع

نعود فنقول: أين سلفنا الصالح الأمجاد وآباؤنا والأجداد من أبنائهم وأحفادهم، قال تعالى:

﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ (١)

أجارنا الله وإياكم من الخذلان وجنبنا موارد الطغيان وختم لنا ولكم بالإيمان والعافية للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين.

---

(١) سورة مريم آية ٥٩.

القصَّة الطويلة



فن الرواية

الرواية أو بالأصح القصة: مادة «قـ صـ ص» قص أثره: تتبعه، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ من الآية ٦٤ صورة الكهف، والقصة في الأمر والحديث، وقد اقتص الحديث: رواه على وجهه، وقص عليه الخبر قصصا، والإسم أيضاً: القصص ـ بالفتح ـ وضع موضع المصدر.

والقصص ـ بفتح أوله: فعل القاص، ويقال: في رأسه قصة: يعني لجملة من الكلام، نحو قوله تعالى: «نحن نقص عليك أحسن القصص» ـ من الآية ٣ سورة يوسف ـ: أي نبين لك أحسن البيان.

إذاً فالقصة أو القصص ـ حقيقة ومجاز ـ هو ما يقصه المرء من أخبار أو أحداث.

أما الرواية فهي ما يرويه المرء من الشعر أو الحديث أو القول، فهو راوٍ في الشعر والماء، أو ما يجلبه أو يمتحه من بئر أو يغترفه من غدير أو نهر من الماء.

وإنما الإصطلاح الحديث أصبح يطلق على القصة الذي هو الاسم الحقيقي لما يقصه القاص «رواية في حال أن الرواية هي ما يروى من الشعر والماء.

ومجاراة للواقع نورد أو نطلق اسم القصة على الرواية وهناك من يجعل فرقاً بين الروايـة والقصة، فيرى التمييز بين القصة القصيرة والرواية، فيقول: (مسألة العلاقة بين الرواية والقصة القصيرة، فالآراء كثيرة والمواقف متشعبة ويمكننا أن نستجلي وجهات النظر على النحو التالي: «يرى فريق من المنظّرين أن القصة القصيرة تمثل مرحلة أولى من مراحل الكتابة القصصية، فهي مجال ضروري لترويض مخيلة الكاتب وتدريبه، ويستدل أصحاب هذا الرأي بأنه من كان أكتفى بكتابة القصة القصيرة، فغالباً ما يلجأ إلى الإبداع الروائي للقصة الطويلة تالياً).

(وهناك من ينقد هذا الرأي ويصر على وجود علاقة تناقض بينهما، وهذا رأي «اخننباوم» احدى أبرز منظّري القصة القصيرة، فالقصة القصيرة في رأيه ذات بنية أساسية أولية، أما الرواية فهي ذات بنية مركبة[1].

---

(١) فن الرواية في فن الأدب العربي السعودي ص ١١، د. محمد صالح الشنطي.

وبعد هذا التمهيد نأتي إلى الرواية في الأدب الغربي.

«الرواية» ـ في أدب الغرب ـ استخدمت هذه الكلمة لأول مرة في انجلترا في القــرن الســادس عشــر، عنــدمــا عرفت فيها القصة الإيطالية.. ومنها قصص «الديكايرون» التي كتبها «بوكاشيو».

أما الرواية الحديثة، فيرجع تاريخها إلى القرن الثامن عشر، وإلى الروايات التي كتبها كل من «دانيل ديهو» و «صومائيل دي شار ديون».

وعلى كل، فالرواية موجودة في الأدب القديم الكلاسيكي في أساطير الإسكندر الأكبر التي وضعها مؤلفوا عصر ما قبل حكم «كاليسبشن»، وقبلها تلك القصص التي تناولت حرب طروادة.

وبإختصار: إن إختراع الطباعة لعب دوراً هاماً في تقدم هذا النوع من التأليف الذي أدى إلى زيادة جمهور القراء وتشجيع الاتجاه إلى تحويل القصص الشعرية الطويلة إلى قصص نثري.

ولا يوجد فن من فنون الأدب أو غيره في الشرق أو الغرب إلا وله سابقة في الأدب القديم، أخذت على سبيل سنن التطور إلى ما وصل إليه ذلك الفن في تاريخنــا الحاضر، وأخذت الرواية في أوروبا تنافس فني الشعر والمقال رويداً رويداً إلى أن أصبحت في القرن التاسع عشر أكثر فنون الأدب أهمية فظهرت الرواية التاريخية والرواية الإجتماعية التي تعالج سلوك الناس وطباعهم، والرواية السياسية والرواية العاطفية، وفي آخر القرن التاسع عشر ظهر عنصر المغامرة في الروايات التي كتبها «روبرت لويس» و «رد يارد كلننج» وغيرهم.

لقد غطى فن الرواية على غيره من فنون الأدب، وهكذا ظلت الرواية وحدة فنية متناسقة تصور شخصيات وحوادث مستمدة من واقع الحياة.

ومن أشهر كتاب الرواية المتأخرين في انجلترا وأمريكا «سوما رست موم» و «ب.هــ. لورنس» و «همنجواي».

أما في الأدب العربي، فهو فن محدث بصورته العصرية، وان كان يمكن أن نجد لها أصولاً في قصص «ألف ليلة وليلة» وفي حكايات «كليلة ودمنة» وبعض مؤلفات الجاحظ، ثم مقامات بديع الزمان والحريري، إلا أن القصة التي يمكن اعتبارها كاملة العناصر محكمة البناء، وإن كان يغلب عليها الطابع الفلسفي، هي قصة «حيي بن يقظان» للفيلسوف الأندلسي ابن طفير.

أمـا الروايـة العـربية الأولى المستوفاة لمقومات القصة في الأدب العربي الحديث فهي رواية «زينب» لـ «محمد حسين هيكل» سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤ م، ثم تلاها روايات محمد تيمور ومحمود تيمور، وتلاهم «طه حسين» في روايتيه «الحب الضـائـع» و «دعاء الكروان»، وهو بحسب دراسته متأثراً بالأدب الفرنسي، ثم العقاد في روايته «سارة» و «المازني» في روايته «إبراهيم الكاتب» وتفجر العطاء بعد ذلك.

وأشهـر أصحـاب الروايـات في عصرنا الحاضر نجيب محفوظ وعبدالحليم عبـدالله، وعبدالرحمن الشرقاوي، ويوسف السباعي، وهناك روائيون في سوريا ولبنان والأردن معروفون بمقدرتهم القصصية.

أما في الأدب السعودي المعاصر، فإن من أوائل من كتب القصة هم: عبدالقدوس الأنصـاري في روايتـه «التـوأمـان»، أحمد السباعي في روايته «فكرة»، حامد دمنهوري في روايته «ثمن التضحية»، حمزة بوقري في روايته «سقيفة السفر»، إبراهيم الناصر في روايته «أرض بلا مطر»، محمد زارع عقيل في رواياته «ليلة في الظلام» و «بين جيلين» و «أمير الحب»، طاهر عوض سلام في روايته «عواطف محترقة» و «الصندوق المدفون» محمد علي مغربي في روايته «البعث»، غالب أبو الفرج في روايته «الشياطين الحمر»، د. محمد عبده يماني في روايته «فتاة من حائل» سلطان القحطاني في روايته «طائر بلا جناح»، حجاب الحازمي في روايته «وجوه من الريف»، عمر طاهر زيلع في روايته «قشور»، عبده خال في روايته «حوار على بوابة الأرض»، محمد منصور ربيع المدخلي في روايته «عُرس القرية».

ونكتفي في هذا المبحث بنماذج من أدب القصة في المخلاف السليماني ـ منطقة جازان ـ لبعض قصاصينا ليطلع القارىء على ما وصل إليه فن الرواية في المنطقة.



فصل من رواية (أمير الحب)

للأستاذ محمد زارع عقيل[1]

فلسفة وحب..



محمد زارع

تركنا خالد بن يزيد وسعداً في طريقهما إلى وادي نعمان حيث المخيم، وسعد يقول: علمت أن مجلس عبدالملك يضيق رحابة بولاة الأمصار.. هذا إلى جانب رجال موسم هذا الحجيج وبودي أن نقابله قبل الطلوع إلى الجبل حتى لا يفسر هذا الانقطاع بغير ما يستحقه كما قلت مراراً.

(١) الأستاذ محمد زارع عقيل ولد في مدينة جازان سنة ١٣٣٠ هـ كما أفادني بذلك المرحوم الشيخ عبدالقادر علاقي، ودرس الفقه والنحو على عدد من المشايخ، وتقلد عدة وظائف في السلك المالي وأخيراً نقل إلى وظيفة في إمارة جازان، إلى أن أحيل إلى التقاعد، حتى توفاه الله عام ١٣٨٠ هـ، كان الأستاذ رحمه الله فكها، وعندما خرجت روايته «أمير الحب» وبها مولده عام ١٣٣٩ هـ وذلك لغرض ـ تمديد الخدمة الوظيفية ـ فقلت له مازحاً ابن خالتك الأستاذ عبده علاقي يشهد أنك من مواليد ١٣٣٠ هـ، فقال وهو يبتسم بروحه الفكهة: وعلى من منكما خسارة.

كان بحق رائداً للقصة في الجنوب وله عدة قصص ما بين قصيرة وطويلة من أشهرها (ليلة في الظلام ـ أمير الحب) وغير ذلك.

فقال خالد: لست هناك وما عساه يقول؟ إنه متى علم أني أسير حب يتخذ منه مطعنا.. ليكن ما يريد.

ولم يذهب حدس سعد سُدى فقد استدعى عبدالملك روح ابن زنباع الجذامي وقال له: ألا تعجب من إنقطاع خالد بن يزيد عنا وإنطوائه على نفسه منذ هبطنا مكة؟

فقال روح: لا داعي للإهتمام بشأن خالد فقد استولى عليه الراهب الرومي مريانس(١) ولقد أطلعني على ثلاث رسائل تضمنت احداهن ما جرى له مع الراهب وصورة تعلمه منه والرموز التي أشار إليها ومقاطيع جيدة دالة على حسن تعرفه وسعة علمه.

كان عبدالملك يتطلع إلى روح بنفاد صبر وقال: إن كان للعبقري عاهة فلك عشر.

وقال روح: لست عبقرياً وإنما أُسيء الإستماع أحياناً فتسوء الإجابة.

وقال عبدالملك: لك رأيان مختلفان في موضوع واحد، ثم قال عبدالملك بن مروان: لم يكن خالد بالقدر الذي يقلل من شأنه، إنه عالم قريش وفتاها المحنك وإني لأخشى ـ ومكة تشرق بشيعة آل الزبير ـ أن يقال: أخذها من ليس لها بأهل: عبدالملك بن مروان بن الحكم الوزغ ابن الوزغ وأنت صنو ملك وابن ملك وحفيد سيد البطحاء، فيأخذ منه هذا الزعم كل مأخذ فلابد من تقصي أخباره والوقوف على سر انطوائه بملاقاته في الطريق. ثم قال: يا روح، أود أن تفتح لي في كل قطر جبهة، وخالد بعيد عنها وهي لعمري أهون عليّ من جبهة واحدة يتولى خالد زمام قيادتها لأنه حكيم في تصرفه، ساحر في أسلوبه، لو قال أن هذا الباب من الياقوت أو المرجان لبرهن عليه حتى يكون في قوله الحجة والإقناع وما ناظرته في أي ميدان إلا وكانت له الغلبة عليه.

فقال روح: الحق ما تقول فلابد بعد التحري من ملاقاته في الطريق لأن نزع التاج من على رأسه وهو كفء ما زال شجى في حلقه، فقد ذهب شيخ قريش مروان ضحية الغدر.

وقال عبدالملك: لا أسمع أحداً يتحدث أن شيخ قريش مروان.. الذي قارع

---

(١) تاريخ ابن خلكان.

وناضل ووقف إلى جانب شهيد الدار عثمان حتى أثخن بالجراح تنسب إليه تلك النهاية الرخيصة، ولم تخف عليّ خيوط تلك المؤامرة فلقد عرفت كل شيء عندما وقفت على مروان مسجى مفتوح العينين والفم وزاد من تأكدي دموع فاختة بنت أبي هاشم، تلك الدموع التي لم يظفر بها يزيد من قبل فاتضح بجلاء أن للخطة أيدياً كانت تحيكها من وراء الحائط.

فقال روح: لا نعلم غير فاختة وخدمها.

وقال عبدالملك: ألم يكن يا روح عمرو بن سعيد يزعم أن مروان وعده بالخلافة من بعده وهو زعم عبيد الله بن زياد، الذي مسحت بيعته على الأبواب في العراق وتلك كانت أمنية خالد ابن يزيد، وشيخ قريش مروان ما كان غمراً(١) يدخلها من الباب ويخرجها من النافذة وأبناؤه من علمت ولدوا شيوخاً كما قالت العرب.

فقال روح: ولم لا تأخذ حقك المشروع من هؤلاء؟

فقال عبدالملك: غلف الحادث بستار كثيف فوصدت الباب عليه لمقابلة الأحداث التي وقفت في الطريق وإني لأخشى والتاريخ يعيد نفسه أن يقوم خالد بمحاولة أخرى كالتي وقعت حين البيعة لمروان وكادت كفة الترجيح تميل إلى جانبه لولا أن مروان تلافاها بالزواج من فاختة بنت أبي هاشم، وأصبح خالد كالطفل المدلل.

وقال روح: ولكن لم يبد خالد أي معارضة عند البيعة لعبدالملك ولعبد العزيز من بعده.

فقال عبدالملك: هذا صحيح لأن شيخ قريش لم يبق في المناصب المهمة من يمت إلى البيت بصلة ولهذا أغمض خالد عينيه على قذى فلو أبدى أية معارضة فسيكون الثمن لتلك المعارضة، أما الآن فلربما يجد أنصاراً في مكة والمدينة لأنهما منبع نور الإسلام وقاعدتا إنطلاق.

فقال روح: لا أعتقد ذلك لأنك أوسعت عليهم في العطاء وأمنت الحرمين بعد خوف وذعر فليس ثمة ما يدعو إلى هذا القلق.

فقال عبدالملك: كانت مكة ترى أن ذلك الأمر الذي قام به أبو محمد الحجاج ابن يوسف وهو رمي الكعبة وصلب ابن الزبير بين أهله وعشيرته وهم يرون فيه

---

(١) الغمر: الإنسان غير المجرب.

زهداً وتقى ما يرونه في كبار الصحابة ـ كأن الأمر ـ عن سبق رضا مني، وأبناء المدينة يصرون على أن النكبة التي حلت بها في وقعة الحرة كانت تعود إلى الخطة العسكرية التي وضعت خيوطها لقائد الحملة، حينما اتخذ قاعدة غير عسكرية، وقلت له: أنتقل إلى أعلى المدينة حيث يتحصن الجيش بالنخيل يأكل من ثمارها ويتفيأ الظلال وفي الوقت نفسه نستدبر الشمس ويستقبلها الأعداء.

وصمت قليلاً وقال: إن أنس فلن أنسى بني كلب أولئك.



الفصل الأول من رواية (عواطف محترقة)

للأستاذ طاهر عوض سلام(١)



طاهر عوض سلام

(١) طاهر عوض سلام من رواد القصة في الجنوب، من مواليد صبيا سنة ١٣٤٢ هـ تخرج من كتابها الأهلي عام ١٣٥٣ هـ وأخذ في تثقيف نفسه بالمطالعة والقراءة حتى أثمرت إجتهاداته إلى أن أصبح قصاصاً معروفاً في المنطقة.

بدأت حياته الوظيفية عام ١٣٥٧ هـ في كل من مالية جازان وأمانة الجمارك إلى عام ١٣٦٨ هـ ثم عمل مدرساً بمدرسة صبيا ثم مراقباً ثم مديراً للمدرسة الابتدائية بأبي عريش عام ١٣٨٣ هـ ثم نقلت خدماته إلى إدارة التعليم بجدة، ثم أعيدت خدماته مرة أخرى إلى جازان بالمدرسة الثانوية «معاذ بن جبل» ثم صفى حقوقه التقاعدية وتفرغ لأعماله الخاصة وكتابة القصة.

له عدة قصص مطبوعة ومتداولة منها:

١ ـ قصة طويلة بعنوان (الصندوق المدفون) طبعت ضمن منشورات نادي جازان الأدبي سنة ١٤٠٠ هـ.

٢ ـ قصة طويلة بعنوان (فلتشرق من جديد) نادي أبها ١٤٠٢ هـ.

٣ ـ قصة طويلة بعنوان (قبو الأفاعي) صدرت عام ١٤٠٣ هـ عن دار العُمير للنشر.

٤ ـ رواية بعنوان (عواطف محترقة) صدرت عام ١٤٠٦ هـ عن الدار السعودية.

٥ ـ مجموعة قصصية بعنوان (السفن المحطمة).

ما زال المدير في مكتبه يتفحص الشهادات التي بعثت بها إليه إدارة التعليم بالمنطقة.

المدرسون والطلاب يجلسون بصالة المدرسة في مقاعدهم، الكل في انتظار اللحظة الأخيرة الحاسمة، بعضهم يشعر بالغبطة والسرور لأنهم سيقطفون في هذا اليوم ثمار جهودهم وسهرهم لعام كامل وآخرون متوجسون واجمون.

= ٦ ـ له مشاركات في الصحف والإذاعة.

وقد كتب الدكتور محمد صالح الشنطي مقالا تنويها بصاحبنا الأديب، فقال:

طاهر عوض سلام

صوت روائي من جنوب المملكة

ـ الجزء الأول ـ

يعتبر الكاتب طاهر عوض سلام من أصحاب الأقلام المنتجة في مجال الرواية وقد اعتمد ترسيخ القيم الإجتماعية الأصيلة محوراً لرؤيته الأخلاقية الإنسانية، وتتفاوت أعماله الروائية في أهميتها ودرجة نضجها الفني.

وقد حدد الكاتب معالم رؤيته هذه في المقدمة التي كتبها لرواية (الصندوق المدفون)، ثم تخلى بعد ذلك عن كتابة المقدمات لرواياته التالية لها، وهذا دليل على إدراكه لطبيعة الإبداع، فهو ليس بحاجة إلى تفسير من الخارج يؤطره بموقف صارم، الأمر الذي لا يستقيم مع طبيعة الفن.

ولسوف نتوقف قليلاً عند مقدمة الكاتب لروايته سالفة الذكر، لأنها مؤشر على توجهاته وطرواته التي أنشغل بها في رواياته الأربع التي ظُلمت نقدياً فلم تحظ بالإهتمام المفترض من قبل الدارسين والنقاد.

يشير الموقف إلى أنه تخيل قصته من واقع الحياة الإجتماعية قبل خمسين عاماً حيث كان المجتمع بمنطقة جازان يعيش حياة تسودها قيم معينة تتسم بالنبل والأصالة، وهذه الإشارة تؤكد حقيقة هامة وهي أن الكاتب يصدر عن الواقع وينتمي إليه. هذا من ناحية. ومن الناحية الأخرى فإن المؤلف يشير إلى أن المجتمع الذي يستقي روايته من واقعه كان يعاقب من يخرج عن جادة الفضيلة والشرف، ويتحدث عن الإنسان العربي وما يتمتع به من إباء وشمم ونبل وعفة وتضحية، وما إلى ذلك من قيم ومعان يستنتجها بنفسه من أحداث الرواية وهذا يشير إلى المنزع التعليمي (الصندوق المدفون) فضلا عما يتبين للقارىء من تأثر الكاتب بالتراث الشعبي في ميدان حكاية، وهو وإن كان يكشف عن البنية الإجتماعية الأسرية السائدة في ذلك الوقت، حيث أعتاد بالقبيلة والعشيرة وما إلى ذلك فإننا نلاحظ بين العديد من أحداثها وما نسج على شاكلها في الموروث القصصي الشعبي.

إن ثمة تخطيطاً محكماً يفضي إلى معادلات إنسانية وقيمية يعمد الكاتب إلى إبرازها وتمجيدها، لذا كانت بعض الشخصيات أشبه بالأقنعة التي تكشف عن قيمة مجردة مطلقة، فـ (سلمى) رمز للتضحية، (وحسان) رمز للإنانية والخسة، فنحن أمام أنماط ورموز وقوالب في أغلب الأحيان ولا بأس من ذلك فالرواية تعتبر من بواكير أعمال المؤلف.

لقد أختار الأستاذ سَلَاَمْ أن يقدم القصة من موقع الراوي العالم بكل شيء، وهو موقع له دلالته في نقد الرواية، ذلك أنه يعبر عن سيطرة المؤلف على أحداث الرواية، كما هو مألوف في الرواية التقليدية ومن هذا الموقع يستطيع أن يقول كل ما يريد قوله دون تمويه أو غموض وبشكل مباشر ودون أن يترك للمتلقي فرصة الإستنتاج، ولهذا فإن الفكرة تكون معدة سلفاً والقوالب التعبيرية جاهزة، وتتخذ الأحداث شكلاً نمطياً معتاداً ومألوفاً، ويقتصر جهد الكاتب على صياغته صياغة لغوية، وهذا ما نلمحه في رواية (الصندوق المدفون) فحادثة الإغتصاب تتم دون ملابسات خاصة يمكن أن تحدث في أي زمان ومكان، وليس في وصف الكاتب لها ما يميزها عن غيرها، فلسنا نعرف إسم القرية ولا موقع المزرعة ولا الكيفية التي أقنع بها الجاني ضحيته، وكأنه يكفي أن يتلطف بالحديث إليها حتى تسلم أمرها وتعود إلى مزرعته، فالساحة المكانية غير محددة المعالم بلا خصوصية، والأوصاف التي تنسب إلى الشخصيات أوصاف مجردة كذلك، فليس ثمة ما يجسد الصراع المحتدم داخل الفتاة بعد وقوعها بين مخالب الذئب، لقد تولى الراوي التعليق، وحينما عمد إلى سبر أغوارها عن طريق بضعة جمل إستفهامية، جاءت هذه الجمل عقلية لا تنم عن الحرارة الفعلية التي تجيش في داخلها. =

ما زالت الأعناق مشرئبة، والعيون شاخصة مركزة على باب الصالة في انتظار دخول المدير في تلهف شديد.

الهمس يسري في صفوفهم، ضحكات مكتومة هناك وابتسامات مشرقة متفائلة هنالك، وأخرى باهتة حزينة تنم عن التوجس وعدم الارتياح.

= وأخذت تفكر في كل ما حدث لها، هل تخبر أمها بالواقعة؟ لسوف تخبر والدها، وكيف سيكون موقف الوالد من هذه الفضيحة؟ حتماً سيغسل العار[1]. جمل تؤدي معنى معروفاً سلفاً، وقس على ذلك العبارات المشابهة التي ساقها لتجسيد حيرة الفتاة وخوفها بعد أن ظهرت عليها بوادر الحمل.

ومن الطبيعي أن تلجأ سلمى إلى خالتها، ولكن المدهش هو تفتق ذهن خالتها عن حل طريف طالما اغتنت بمثله الحكايات الشعبية التي تحرص على تجسيد قيم النبل والتضحية والشهامة.

لقد رأت عفراء خالة سلمى أن تلجأ إلى ابنها حمدان كي يتزوج سلمى زواجاً صورياً ريثما تضع حملها بموافقة زوجه فاطمة، وهكذا صيغت المعادلة دون أن تظهر سيماء التردد على فاطمة وكأن الأمور مرتبة سلفاً، إن الكاتب يتعامل مع كائناته البشرية وكأنها صيغت لتأدية دور معين دون النظر إلى التكوين النفسي الداخلي وأثر الموقف وما يمليه من تصرفات وهواجس، وكأن هذه الشخصيات تتحرك وفقاً لمعادلة حسابية بطريقة ميكانيكية خالصة، ويحرص الكاتب على تسجيل الحوار بعبارات جاهزة تتردد في حياتنا اليومية، حتى المجاملات التقليدية مع أن الفن يقتضي الانتقاء والتحويل.

والكاتب يهيء حتى المسرح الكوني لأحداثه، ففي اللحظة التي تتخذ فيها سلمى بطلة الرواية قرارها بالإنتحار تبدأ الرياح والعواصف، وتتكاثف السحب لتهطل الأمطار وتتجمع المياه في وادي جياء حيث تلقي بنفسها في خضمه، وكما هو مألوف في الحكايات الشعبية فإن سلمى تنجو ويلتقطها من ينقذها ويأويها.

إن أحداث الرواية تسير وفقاً لهوى القارىء ورغبات المؤلف، والسياق الفلكلوري المألوف، من تطوير الحدث كيفما يشاء، وعلى النحو الذي يمكنه من الإفضاء بالقيم والمثل التي يريد أن يوحي بها.

ولعل أبرز ملامح التماثل بين هذه الرواية والحكاية الشعبية المجرى العريض للوقائع والأحداث، إذ تتناسل القصص بعضها من بعض وتتشعب فنجد أنفسنا في نهاية المطاف أمام مجموعة منها، وكلها تدور حول النبل والشهامة والتضحية والفروسية، بما في ذلك إحتفالها بالوصية المكتوبة والوشم المختوم، والمهر الغالي، الذي يضطر البطل إلى الإغتراب من أجل توفيره، وإنتحال الأسماء للتخفي وحياكة المؤامرات للإيقاع بالآخرين، والصحوة المفاجئة التي تنتاب الشخصية دون مقدمات وتدفعها إلى التضحية والتكفير عن ذنبها بالموت أو الإنتحار، والحلول القدرية التي يسوقها الله سبحانه وتعالى في لحظات محددة، والطفولة الضائعة التي تعد الشخصية لسلسلة من الأعمال الخارقة والعقبات الكأداء التي يتحتم على البطل أن يجتازها ليصل إلى النهاية السعيدة.

وقد عمل الباحثون في الفلكلور وخصوصاً الحكايات والملاحم على إستخلاص بنيات القص في هذه الأنماط[2] ومن يقم باستعراضها يجد أن الكثير من هذه البنيات متوفر في هذه الرواية على نحو أو آخر.

إن الرواية غاصة بالشخصيات والحكايات والأحداث ففيها ما يقرب من ثلاثين شخصية حرص المؤلف على تدوين أسمائها في مقدمة الرواية، وهذه الشخصيات تتحرك في حيز ضيق لا يتجاوز مائة صفحة إلا قليلاً ومدى زمني متسع، وهذا يدل على إستخدام الكاتب لعنصر التلخيص استخداماً واسعاً، وهذا أيضاً من سمات الحكاية الشعبية، كما أن لغة الرواية متماثلة تتميز بصياغتها المحكمة وفصاحتها الظاهرة، وهي لغة حافلة بالتشبيهات والصور في عدد من المواقع وهي صور يراد بها التوضيح تفتقر إلى تلك المسحة المألوفة من الإيحاء.

و قبو الأفاعي[3] الرواية الثانية للأديب طاهر عوض سلام، تمثل مرحلة جديدة من مراحل تطوره الفني فهو - وإن ظلت تمت إلى مرحلة الحكاية الشعبية بسبب، فالمؤلف يرويها من موقع الوالد الذي يهدهد أطفاله بقصة من القصص الطريفة - تحتفل بالواقع وتحرص على رصد نبضاته، وترسخ في الأذهان مرحلة غاربة من مراحل =

---

(١) الرواية صـ ١١

(٢) راجع نبيلة سالم: نقد الرواية. نادي الرياض الأدبي ١٩٨٠م.

(٣) صدرت هذه الرواية عن دار العمير للنشر. جدة ١٤٠٣ هـ

يدخل المدير فجأة. يطل بقامته المديدة ووجهه العريض الصارم ولحيته المدببة الموخوطة بالشيب، يجلس على كرسيه بصدر الصالة ثم يبدأ في إلقاء كلمته المعتادة في كل عام ثم يتناول الشهادات من أحد أدراج مكتبه ليقوم بتوزيعها.. ويرهف كل طالب أذنيه لسماع اسمه. كلهم آذان صاغية لمعرفة النتيجة.. قلوب تخفق تفاؤلا وأخرى تدق رعباً.

الحياة في جنوب المملكة العربية السعودية، وخصوصاً في منطقة جازان، وفي تلك الربوع القصية منه حيث تقيم مجتمعات صغيرة في أحضان الجبال وعلى ضفاف الأودية وفي أعالي الربى وسفوح المنحدرات كما جاء في المقدمة، وهي تنقل إلينا قطاعاً عريضاً من الحياة الأسرية بما فيها من قيم، وبما يربط أفرادها من أواصر وما يعتري العلاقات فيها من خلل ناجم عن إصطدام الإرادات وإختلاف المشارب وتعارض المصالح، والرواية تحرص على ذكر أسماء الأماكن وأوصافها وتحديدها متقدمة بذلك على الرواية الأولى (الصندوق المدفون) التي كانت الأوصاف فيها عامة غير محددة، والأماكن مبهمة.

ولعل أبرز ما في هذه الرواية حرص الكاتب على الغوص إلى أعماق المرأة وتشخيص أحد أدواتها النوعية، وهو الغيرة التي تعمي وتصم وتصادر العقل وتنزع من القلوب الرحمة، وإذا كانت هذه النزعة الفطرية النفسية أمراً طبيعياً فإنها تصل أحياناً إلى حد المرض الفتاك، وعلى الرغم من قدرة الكاتب وطاقته على تصوير مظاهر هذه الظاهرة النفسية الإجتماعية فإن إنجاز الكاتب الحقيقي كان في مجال آخر هو ذلك الجزء المتصل بالمكان والعلاقات الإجتماعية، فالغيرة التي بسطها فيه تكاد تكون خطاً مشتركاً وتعامل المرأة مع أبناء ضرتها كانت تشوبه منذ القدم تلك القسوة المعهودة لدى زوجة الأب.

وقد استطاع الكاتب أن يصور خلجات الصبي أثناء الرحلة، وأن يجعلها توازي أعباء تلك الرحلة، وكأن تلك الرحلة المضنية مكافىء رمزي لمسيرة حياة الطفل العامة، وقد اقتحم مخيلة هذا الطفل والتقط دقايق أوهامه وخيالاته وأحلامه ، وقد اقترب من تخوم المونولوج وهو يبحر في عواطف الطفل الصغير ويقتنص ما يجول بخاطره «آه لو تسنح له الفرصة فيطير في هذا الأفق الفسيح فسوف يعود إلى القرية التي نزح عنها ويجتمع بأبناء الخال الرفاق.. ترى هل هم الآن كعادتهم يجلسون ولعبهم تحت دوحة التين الوارفة؟ هل بدأوا يلعبون؟ وهل أحضرت لهم تقية السمسم والسكر.. الخ(١)

إنه وهو يصف الطبيعة من حول شخوصه يوائم بينها وبين مشاعرهم وخلجاتهم، فالجو يكفهر وينذر بالمطر والشمس تحتجب وراء السحب الكثيفة والريح تهب عابسة تقتلع الحشائش وجذوع الشجر.. كل ذلك يرافق لحظة الوصول إلى البيت الذي سيلاقي فيه «محمد» الطفل» أشد العناء.

ويحرص الكاتب على وصف موجودات المكان، كحصيرة الخسف وحجر الحصحاص لأن ذلك من أخص خصوصيات البيئة، فالمؤلف من خلال « الراوي العالم بكل شيء» وهو الموقع الذي أختاره لتقديم المادة القصصية - يقيم رحلة ذهنية فكرية في موازاة الرحلة الحقيقية المضنية، وهذه الخطوط المتوازية والمتكافئة على مستوى الداخل والخارج في عقول الشخصيات وعوالمها الباطنة وفي محيطها الروائي وبيئتها المحلية تثري النسيج القصصي وتكسبه مدى وأفقاً يتيح للمتلقي فرصة الإرتحال في أغوار ذلك التجمع البشري وواقعه الإجتماعي والنفسي.

ويعمل الكاتب على توظيف الحلم من أجل الإرهاص به إلى ما سيلي من أحداث، وعلى الرغم مما قد يؤخذ على ذلك من وضوح ومباشرة إذ يتحقق الحلم بحذافيره، فإن الكاتب أستطاع من خلاله أن يكثف الحالة النفسية المتأزمة لدى الأم والصبي وشقيقته، ويهيى القارىء لما سيستجد من أحداث، كما أن الحلم جاء في سياق طبيعي دون اعتساف، فضلا عن أن الحلم ملائم لمستوى إدراك الطفل ونمط تفكير الأم.. إن إحتشاد الوصف الطبيعي والمكاني والحكمي ومعاناة الرحلة كل ذلك أسهم في تعبئة الموقف وتهيئته لما سيؤول إليه بعد حين، وقد ركز الكاتب جل إهتمامه في إستبطان مجرى التفكير وتصوير هواجس النفوس وما تضطرب به الأحاسيس والمشاعر، =

---

(١) الرواية صـ ١٢.

توزع شهادات الكفاءة على خمسين طالباً وفي مقدمتهم أحمد.. وما أن استلم شهادته حتى خف مسرعاً بالخروج يقفز حيناً ويجري حيناً آخر والفرحة تغمر كل شيء في أعماقه.

وصل المنزل. أخذ يطرق الباب بشدة. ينادي بأعلى صوته أماه.. أماه.. زينب، رقية، جعفر، افتحوا الباب.

فعنايته منصبة على الداخل أكثر من إحتفالها بالخارج.. وقد أدى هذا التحفز النفسي لدى الأم إلى الانفجار والانخراط في بكاء مرير بعد تهيئة طويلة تنم عن نفس روائي متميز.

لقد أستغرق وصف الرحلة ما يقرب من ستة فصول معنونة بما يلي: فراق الأحبة، رحلة مضنية، حلم مروع، في أحضان الطبيعة، إستراحة الرحيل الأبدي، وهذه الفصول تبدو مقدمة طبيعية لما سيلي من أحداث على مدى خمسة وعشرين فصلا هي مجموعة فصول الرواية، وتكتسب الفصول الأولى أهمية خاصة لأن الكاتب فيها ركز على محورين أساسيين هما: وصف البيئة الطبيعية بخصوصياتها المتميزةوبعدهاالكوني الرمزي ثم إقتحام دواخل الشخصيات وتصوير بواطنها النفسية للقارىء ليحس بأن ثمة علاقة وطيدة بين هذين الضربين من ضروب الوصف والتصوير.

والكاتب - على الرغم من أنه ما زال يتشبث في طريقة السرد بما يعرف بالقصة والأوطار - إستطاع أن يتخلص من سيطرة هذا الإطار بمجرد شروعه في تقديم المادة القصصية، ثم نجا من سيطرة القنوات الفرعية التي كانت تؤدي إلى إثقال كاهل الرواية الفني بعدد من القصص التي يتناسل بعضها من بعض ويذكرنا بأسلوب الملاحم الشعبية والقصص الفلكلورية، وهذان إنجازان يعتد بهما كثيراً.

وقد عمد المؤلف إلى أسلوب التطور الأفقي بالأحداث، غير أنه التمس انعطافات هامة بدت كمرتكزات ضرورية لإحكام الحبكة الروائية، فموت الأم يعتبر إنعطافة أولى أفضت إلى تحويل هائل في مجرى الحدث وجعلت الأضواء كلها تسلط على شخصية الطفل، وجعلت الرواية تسير في مجرى ببليوجرافي (السيرة الذاتية) يتمحور حول (محمد)، أما الإنعطافة الثانية فتتمثل فيما تعرض له منصور من صدمة أثر وفاة زوجته.

وقد فجرت وفاة فاطمة في خيال منصور ذكريات الماضي، وقد أستغل المؤلف ذلك فاستخدم ما يشبه (الفلاش باك) العودة إلى الوراء، وسلط الضوء على حقبة غامضة من حياة فاطمة، وأضاء العقدة الأساسية في الرواية التي تجمعت حولها خيوط الأحداث.

ومن خلال هذه الحبكة بدأت تتضح معالم المشكلة التي أدت إلى رحيل فاطمة من البلدة مغاضبة لزوجها ثم عودتها ثانية وهي تعاني مع ابنتيها وهنا بدأت الرواية تنعتق من آثار الأزمة النفسية لتفسح في الآفاق مجالا أرحب هو الرواية الإجتماعية، فقد كان وراء هذه العقدة دوافع إقتصادية إذ لجأ منصور زوج فاطمة إلى الزواج من ابنة عمه صفية ليحول بينها وبين الزواج من ابن خالتها محسن الذي كان من ألد أعدائه ومنافسيه في الأراضي الزراعية المشتركة الحدود بينهما، حيث كانت صفية هذه قد ورثت عن أمها وأبيها أراضي شاسعة في مواقع مهيأة للري، ومنها يتم توزيع مياه الري إلى حيث يراد لها أن تذهب، لذا طلب الزواج منها من أجل المحافظة على مصلحة أرضه من تحكم محسن وتحويل المياه عنها، وقد كان هذا الزواج القشة، إذ نشب شجار بينهما أدى إلى هذه السلسلة من المعاناة.

وقد كشف المؤلف في فصل كامل هو الفصل التاسع (ذكريات الأحزان) هذه الواقعة بما يدل عليه من طبيعة العلاقات الإجتماعية السائدة في هذه المنطقة وما يشاكلها من المناطق الزراعية وما يترتب عليها من أزمات نفسية واجتماعية

وقد كان اختياره لهذا الموقع من الرواية مناسباً لأنه جاء بعد إنقضاء مرحلة مهمة من مراحل الرواية ودخول الحدث إلى منعطف جديد، وبدأ إضاءة ضرورية لمُجريات الأمور.

وقد عمل على تغذية المنزع الدرامي في الرواية ولم يتركها تسير في مجرى رتيب فشحن عوامل الصراع، وبذا بث روحاً حية تجلت في حركة الصراع بين القيم التي عمل على تجسيدها في شخصيات متعددة الأبعاد، وأول عناصر الصراع في الرواية يتجلى في مكابدة الظروف الصعبة متمثلة في عقبات الطريق ومتاعبه، ثم في =

كانت طريقته هذه قد أثارت في نفوسهم القلق. حتى إن زينب التي أسرعت لتفتح له قد كانت مرتبكة إلى حد بعيد وما إن فتحت حتى اندفع أحمد إلى الداخل وهو ينادي مردداً.. أماه.. أماه.. لقد نجحت.. أجل نجحت.. تحققت آمالك وأحلامك.

ـ لقد ابتسمت لنا الأيام أخيراً ولم يبق إلّا أن تفي بوعدك لي يا أماه..

ـ أي وعد هذا الذي تتحدث عنه يا أحمد؟

ـ ألم تعديني بكشف أسرار ذلك الماضي الذي يقض مضجعك ويعكر عليك صفوك.

= المعركة الخفية التي نشبت بين صفية وأمينة ومحمد، وهي معركة بين الخير والطيبة من ناحية وبين نوازع الغيرة من ناحية أخرى، وتلمس ثغرات إنسانية كامنة في النفس البشرية، وقد إستطاع الكاتب أن يسيطر على مجريات الصراع ويديرها وفقاً لما أراد من ترسيخ لقيم الخير وكشف لملامح الغيرة، الأنثوية من موقع الراوي العالم بكل شيء، وقد شكلت هذه المعركة بما حفلت به من ألوان المكر والتدبير والتآمر انعطافة جديدة في مجرى الحدث وكلما تجمعت نذر الأزمات وأذكى الصراع يلجأ الكاتب إلى إسترجاع الماضي ليلقي مزيداً من الضوء على هذا الصراع كما فعل عندما بدأ التحول الحاسم في علاقة (منصور) بصفية أثر اكتشافه لأبعاد المؤامرة التي تحوكها ضد ولده محمد حيث أسفرت عن أبعاد مربيتها وتشتت شمل الأسرة، ففي الفصل الرابع عشر يعود الكاتب ليفصح على لسان الراوي عن الظروف التي تم فيها زواج منصور من صفية، فقد كانت مرشحة للزواج منه قبل فاطمة ولكن الخلاف بين والدها وشقيقة والدها حال دون ذلك وأدى إلى تبدد أحلامها، وهذا هو سر الحقد الدفين على فاطمة ـ زوجته الأولى.

وعلى ولديها، فقد كانت تنظر إليها على أنها أغتصبت حقاً من حقوقها، وحينما أشتد أوار الأزمة جردت (صفية) آخر أسلحتها الإنتقامية في إندفاعة غير محسوبة للقضاء على زوجها (منصور) الذي إنحاز إلى الطرف الثاني بعدما اتضحت لديه أبعاد المؤامرة فاتصلت بمحسن منافس منصور ووكلته في مقاضاة زوجها وهنا إرتفعت درجة حرارة الصراع وبلغ المد الدرامي في الرواية أوجه، وكان الكاتب قبل ذلك مهد لنشوب هذه الأزمة بما أوقعه من خلاف بين عبدالرحمن زوج أمينة وعمه منصور حول قضية إساءة معاملة الطفل من قبل صفية وتهديدها له بإلقائه في قبو الأفاعي لذا توفرت أسباب التطور للحدث وإثراء الحكمة الدرامية في الرواية.

وأخيراً يحدث الإنقلاب الهائل بعد أن وصلت الأزمة إلى قمتها وتعود صفية عن كل ما فعلته لتعتذر إلى منصور بعد أن توسط بينهما عبدالرحمن زوج أمينة، وهذه النهاية السعيدة مألوفة في الملاحم الشعبية، ولكن الكاتب سعى إليها من خلال رؤية أخلاقية إسلامية أراد أن يؤكد عبرها إنتصار القيم، ومثل هذه التحولات الحادة في حياة الشخصية أثر من آثار المرحلة الماضية في مسيرة الكاتب الروائية.

ومهما يكن من أمر فإن ما يمكن أن نخرج به من تحليلنا لهذه الرواية ما يلي:

أولاً: الرؤية في هذه الرواية ذات أبعاد ثلاثة إجتماعية ونفسية وأخلاقية، وقد أراد أن يؤكد بها نظرته الإسلامية للقيم والعلاقات والانتماء الحميم لهذه البيئة وتحليله الدقيق لنفسية الطفل، من هنا كان إختياره للعنوان «قبو الأفاعي» مؤشرا دالا على هذه الرؤية.

ثانياً: إحتفال الكاتب بوصف البيئة المحلية بتضاريسها وعوالمها المتعددة، لذا فقد حرص على إيراد أسماء الأماكن ومواقعها وعمل على وصفها بدقة، وهذا ما أكسبها خصوصية متميزة.

ثالثاً: كانت لغته ذات ملامح أسلوبية جديدة، تمثلت في إستخدامه لبعض الألفاظ العامية، وهو ما أعتبره الأستاذ (حسان محمد أبو صوصين) ثغرة، في حين نرى أن إستخدام مثل هذه الألفاظ القليلة أكسب الرواية نكهة خاصة، علماً بأن الموقف لم يغال في استخدام مثل هذه الألفاظ، وحافظ على السياق الفصيح للغة الرواية، كما أن تنويع الصيغ وفقاً للمواقف النفسية والخروج بها من قوقعة القوالب الجاهزة وتطويعها لمقتضيات الحال =

لكن الأم التي كانت الفرحة قد جعلتها تسرع لاحتضانه قد تركتها كلمة الماضي تتعثر في خطاها فتسقط على الأرض مغشياً عليها.

يسرع أولادها لنجدتها.. يرفعونها ويضعونها على السرير ثم يحدقون بها من كل جانب.

أمّا أحمد الذي كاد سقوط أمه يفقده صوابه. فقد أخذ يمسح دمعها المتساقط ويقول وقد تملكه ارتباك شديد ورعشة منكرة:

ويح قلبي ماذا صنعت بأمي ما الذي جرى!! أحقاً أنا سبب ما حدث؟

لقد كنت أريد إدخال الفرحة إلى قلبها. ليتني لم أقل شيئاً.. يا إلهي إنها في غيبوبة.

= أكسبت لغة الروائية حيوية وحركة.

رابعاً: إختيار الكاتب موقع القص من خلال الراوي العالم بكل شيء ينسجم مع توجهه التعليمي والأخلاقي في الرواية وجعله يسيطر على حركة الأحداث وفقاً لرؤيته الخاصة، وقد أدى إلى تدخل الموقف بالتعليق والتفسير بين الحين والآخر، إذ استهل بعض الفصول بمثل هذه التعليقات التي يمكن أن يفهم فحواها من خلال السياق دون حاجة إلى تمهيد وتوضيح، حيث يقول:

«أحياناً تتغلب العواطف في الإنسان فتفرض عليه أن ينقاد ويتجاوب معها[(١)]

خامساً: لم يستسلم الكاتب لأسلوب السرد التقليدي، بل عمد إلى أسلوب الاسترجاع في مواقف مدروسة بعناية، وقد اختار نقطة البدء بعناية فجعل من رحلة فاطمة في طريق العودة مدخلا إلى عالم الرواية.

سادساً: لم يتشظ الحدث أو يتفتت أو يتشعب في مسارب فرعية كما حدث في رواية (الصندوق المدفون) بل سار في سياق مضطرد ومتماسك، ولم يكن هذا الحدث بلا خلفية إجتماعية، بل تحرك في محيط روائي خصب رفده الكاتب بروافد متعددة وجعله يموج بمشاعر وأحاسيس ووقائع أثرت الحدث وأغنته في حدود الرؤية التي طرحها الكاتب في روايته.

سابعاً: تمثل هذه الرواية إسترجاعاً لحقبة زمنية أفلت أو أوشكت على الأفول، ولكن ما أوحت به من قيم ووشائج وتقاليد غير قابلة في مجملها للإندثار، لأنها تمثل أصالة أمة وحضارتها، وقد كتبت في هذا الوقت لتقول: إن مرحلة الطفرة بكل آثارها الإقتصادية والإجتماعية لا ينبغي أن تطمس تلك المعالم الروحية والإنسانية في ماضينا.. وإذا كانت الرواية السابقة (الصندوق المدفون) قد قصدت إلى هذا الهدف - أيضاً - إلا أنها قدمته في أقنعة مجردة غير متجذرة في بيئتها على نحو ما أشرنا في موقع آخر.

ثامناً: لم يعن المؤلف بتحديد الزمن التاريخي للرواية بل جاء هذا التحديد عرضاً في المقدمة، كما أن تعامل الكاتب مع الزمن الروائي ظل يفتقر إلى التخصيص بعكس ما فعله مع المكان (ومن المعروف أن الزمان والمكان صنوان في أدبيات النقد الروائي) ولذلك كثرت الثغرات الزمانية، وشاع إستخدامه لعبارات تدل على مرور الزمن، كقوله مثلاً: «ومرت الأيام والأشهر تباعاً.. الخ» ص ٢٨ أو كقوله: «وفي ذات يوم».

تاسعاً: خفت حدة التصنيف التي لازمت تعامله مع الشخصيات، كما أن الشخصيات على الرغم من جمودها في إطار نفسي وأخلاقي ثابت قد تعرضت للنمو والتطوير، وهزتها الانعطافات المفاجئة، خصوصاً فيما يتعلق بشخصية منصور وصفية، وقد سبق أن علقنا على هذه الظاهرة، ولم يكن من المقبول أن نطالب الكاتب بتقديم شخصيات معقدة ذات بناء نفسي متراكب خصوصاً في مثل هذه البيئة وتلك المرحلة التاريخية.

عاشراً: لم تسر الأحداث في إيقاع رتيب بل كان الإيقاع يتعرض إلى التسريع والإبطاء تبعاً لمقتضيات الموقف... الخ.

---

(١) الرواية صـ٦٤.

وأخذت أيدي أولادها تتحسسها خوفاً وقلقاً.

وران على الموقف جو حزين وصمت مطبق. إلّا أن زينب قطعته حين قالت لأحمد مؤنبة:

- ماذا فعلت يا أحمد؟ لماذا قلت ذلك في مثل هذه المناسبة التي كانت تنتظرها بفارغ الصبر؟

وأردفت رقية في لهجة لاذعة: مع أنه يعلم أنها مريضة بالقلب لا تحتمل الصدمات. فما الذي جعله يذكرها بالماضي يا زينب.

وكان جعفر الصغير قد وضع رأسه فوق صدر أُمه يبكي ويردد: أعدك يا أماه ألا أفعل معك ما فعله أحمد: وماهي إلّا لحظات حتى أفاقت الأُم وعادت إلى حالتها الطبيعية.. أخذت تنظر إليهم مبتسمة وتقول مشجعة: أنا بخير يا أولادي أجل بخير فلا تقلقوا علي. لم يكن أحمد السبب فيما حدث. إنه شيء آخر سلبته الأيام مني ولم ترده عليَّ بعد ولم تزل ذكراه في نفسي باقية إلي اليوم، أجل باقية ولم يكن بمقدور تلك الأيام أن تمحو من فكري ووجداني سناء طلعته وخفة ظله: إنه يطل علي دائماً في خلوتي.. ولقد أطل عليّ في هذا اليوم أيضاً. إنه ما يزال يزدهي رونقاً ويزهو صفاءً.

وما إن استقبلته.. حتى أحسست أنه يملأ عليّ حياتي نوراً وابتساماً.

كان يردد في أُذني مناجياً.. أما زلت على سابق عهدي بك المخلصة الوفية يا آمنة؟

فأجبته في لهجة حانية. إي والله.. أبا أحمد. ما زالت منزلتك في نفسي كما عهدتها. وما غردت يوماً في غير سماك.. لكنني حينما حاولت الارتماء بين أحضانه تحول إلى أشلاء سحاب متناثرة في السماء.

وما إن سمعها أولادها تهذي. حتى تملكهم الفزع والإضطراب.

وقال لها أحمد: كفى يا أماه. كفى إنك ما زلت متعبة. يجب أن تخلدي للراحة والنوم. هيّا نامي - نامي.

لا داعي للقلق.. قلت لكم أنا بخير.

وأخذت تقبلهم واحداً بعد الآخر. ثم قالت مهدئة:

- إن ما سمعتموه قد حدث في أثناء إغماءتي. يبدو لي أن ذلك قد كان بسبب حالتي النفسية. هيا يا زينب إنهضي وأعدي الطعام لإخوتك.

وعلى مائدة الطعام قال أحمد لأمه متألماً.

ـ كم أنا آسف لما حدث. فقد آلمتك بسؤالي الشارد. أعدك ألّا أكرر ذلك مرة أخرى.

ـ لا عليك يا حبيبي لا عليك. فأنت تجهل أن الجراح ما زالت تنزف.. ومع ذلك فسوف تعرف ما تسعى إليه في وقت لاحق.

ويـرتفع صوت رقية عالياً.. كفى بالله عليكما كفى ـ أرجوكما أن تدعانا من أحاديث الماضي، ودعانا نعش في ظلال الحاضر.. بعيداً عن الدموع والآلام، غداً بحوله نستقبل أياماً تكون أكثر سعادة وإشراقاً «قولوا معي اللهم آمين».

ورَددت الأُم مع أولادها: اللهم آمين».

وتضيف زينب: عندما ينهي أحمد دراسته ويتكلل نجاحه بالحصول على درجة عالية.

ويرتفع صوت جعفر محتجاً في شدة:

ـ أحمد فقط يا جاحدة؟!! ونسيت خادمكم جعفر الذي يقوم بشراء الحاجيات لكم من السوق في القيظ والعرق يتفصد من جبينه. حرام عليك يا زينب فأين إذن العدل والمساواة؟

وضحك الجميع لهذه الدعابة اللطيفة. واحتضنته أُمه قائلة:

ـ حقاً ما تقول: إنك سيد البيت يا حبيبي.

ـ شكراً يا أماه. هذا هو الكلام المفيد الذي ينبغي لزينب أن تعرفه جيداً.

والتفتت الأُم إلى أحمد متسائلة:

ـ وأنت ماذا قررت يا أحمد؟

ـ مواصلة الثانوية العامة في جيزان إن شاء الله.

ـ ومشكلتنا التي تكمن في المصاريف والسكن؟

ـ من هذه الناحية اطمئني مكافأة الدولة التي تصرفها المدرسة تضمن لي إلى جانب ذلك أجرة المواصلات بدون عناء.

ـ حسناً ونحن بدورنا يكفينا ما نحصل عليه من الحياكة إلى جانب ما يقدم إلينا من مساعدات الضمان الاجتماعي.

لأول مرة يشعر بالمرارة والألم وهو يودع أُمه وأخوته. كان لابد له من الرحيل فهو يتطلع بعد تخرجه من الكفاءة إلى مستقبل دراسي أفضل.

وما إن تناول حقيبة ملابسه ليغادر. حتى استوقفته أُمه قائلة:

ـ أحمد.. انتظر يا بني انتظر..

ـ كانت نظراتها تنبىء عن كلام تريد أن تقوله له..

فبادرها مستفهماً:

- نعم يا أُمي ماذا تريدين؟

فتقدمت إليه قليلاً.. وأخذت تتمعن في وجهه وتقول في نبرات حزينة.

- كنت أُريد أن أقول لك كلاماً كثيراً.. لكن يبدو أن الوقت لم يحن بعد.



الفصل الأول من رواية (دموع الندم)

للأستاذ أحمد بن علي حمود المطهري[1]

الفصل الأول

بنى جاسم وزوجته أمينة بيتهما على الحبّ والتفاهم والثقة، وعاشا حَيَاتهما فيه تلذذاً.. واستمتاعاً. حتى تحول بيتهما إلى حديقة غنّاء وارفة الظلال. دانية الثمار. وحتى ليخيّل للناظر إليهما أنهما شخص واحد في الملامح والصفات وذلك لكثرة الإنسجام والموائمة فيما بينهما في كل أمر. فلا مجال للوشاية ولا محل (لشركة قالوا) ولا يقدمان على أمر ما حتى يتفاهما بشأنه ويعرفا مصدره وغايته وهكذا أغلقت كل الخوخات والنوافذ التي تحمل إليهما سُموم المتطوعين من البشر ببذور التفرقة والبغضاء. وعاشا في رغدٍ من العيش وبلهنية من الحياة. وشاء الله أن يتوج هذا الحب المتوهج والبيت السعيد بشمعة وضاءة. وزهرة فواحة هي طفلتهما الوحيدة (دلال) فتنور البيت، وازدهرت الحديقة واكتملت السعادة بحذافيرها (لجاسم) (وأمينة). وفي هذا البيت الهنيّ الرضي وُلدت (دلال). مزودة بجمال فطري فائق وملامح أخّاذه. فازداد البيت بهاءً ورونقاً وسعادة وسروراً. ومنذ طفولتها المبكرة لفتت الأنظار إلى جمالها الفائق وحسنها الأخّاذ.

فكل من رآها تمنّى أن تكون من نصيبه وليصبح ذو حظٍ عظيم. وترعرعت (دلال) في وَسط هذا البيت المفعم بالحب، المتنعم بكل وسائل الحياة، الحائز على المثالية في الانسجام والتوافق واعتنيا بها والداها عناية فائقة. فملئت عليهما البيت بهجةً وسروراً وأملاً وحبورا. وقد طغى حبهما لها واشتد فرحهما بها وتمسكا بها وعضّا عليها بالنواجذ حِرصا منهما. أن يثقلا كاهلها بشيء أو أن يكسرا لها خاطراً أو أن يخيبا لها رجاءً أو يردا لها طلباً. وما عليها إلا أن تأمر فتطاع. فهي جوهرة البيت الثمينة ودرته المصونة.

---

(١) من مواليد ضمد عام ١٣٥٦ هـ تعلم القراءة والكتابة على يد الفقيه محمد بن إبراهيم الأقصم الحازمي ثم التحق بالمعهد العلمي بضمد، ثم بالمعهد العلمي بصامطة، كما أكمل تعليمه في المرحلتين المتوسطة والثانوية وأكمل دراسته الجامعية بكلية الشريعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وتخرج منها عام ١٣٨٧ هـ يعمل الآن مدرساً بمعهد ضمد العلمي، ومن مؤلفاته قصة (دموع الندم) وعدة قصائد نقدم بعضها في هذا الكتاب.

وشمر الأبوان في توفير كل ما من شأنه فيه إسعادها وراحتها. وقد بلغ بهما الحب والخوف معاً أن يعميهما عن مصلحتها الأولى فمنعاها من المدرسة ومن الاختلاط بنساء الجيران ومن تحمل أدنى المسئوليات. ووفرا لها مطالبها بالبيت حباً لها واستمتاعاً بها. وتأصلت في نفسها حب هذه الصفات ونبت عليها شحمها ولحمها وأخذت على تلك العادات. (أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر) وكبرت (دلال) وبدأت تحسّ بما تحسُّ به كل أنثى وحاولت ـ عبثاً ـ أن تخرج من دائرة مقفلة. هي تلك الصفات والعادات التي أصبحت ملازمة لها. ملازمة الظل لصاحبه فلم تُفلح وأنى لها أمام استحكام العادات التي تهيمن على أصحابها وتأسرهم بربطها السهل الممتنع. حتى يفعل ما يعتاده. ولو أنه غير محبَّب حتى لدى نفسه.

ولم تكن (دلال) قد نضجت أو أكتملت أنوثتها بعد.. فكان من السهل إعادتها إلى ما كانت عليه.

وشــرعا من جديد في تلقينها وتعويدها ما يصلح لزمانهما فقط. ونسيا أنّها ستعيش زماناً آخــر له قيمه ومثله وعاداته وتقاليده الإجتماعيه وأنه يختلف تماماً عن زمنهما من وإلى.

وألّح على (دلال) شبابها المتدفق ونضارتها المتفجرة وحيويتها الفائقة وجمالها الباهر. وقدّها الغضّ بأسئلة خفية: هي: تُرى لمن هذا الشباب؟ وهذه النضارة؟ وهذا الجمال؟ لمن هذا ومالا أسميه؟ تُرى أهو لذاتي أم لسر آخر؟ إن كان لذاتي فواقعي لم ولن يرضى به وإن كان لسر آخر. فقد حرمته. فأنا هنا قابعة في البيت أنظر يمنةً ويسرةً وشرقاً وغرباً فلا أرى سِوى الجدران الأربعة ولا أسمع سوى الصــدى. صدى الأصوات من الخارج وإلا تهامس الأشجار، أشجار حديقتنا. وحفيف الرياح هنا وهناك. في ساحة البيت. وكم تحرّك أشجاني ولواعج أشواقي المدفونة تلك الأغصان المتعانقة كتعانق حبيبين. وكأنهما على موعد لقاء. بعد طول فراق.

وتتنهد وتتلفت فيزحف بياض عينيها على سوادها. وتُلقي بنفسها على سريرها. وتلوذ بإغفاءة عارضة تريحها من بعض ما تعانيه: وتنوء قائلةً إن لم أُفصح عمّا في نفسي بلساني كبقية الأحياء فقد بدأ جسمي يفصح عمّا في نفسي، وملامحي تشرح حالتي.

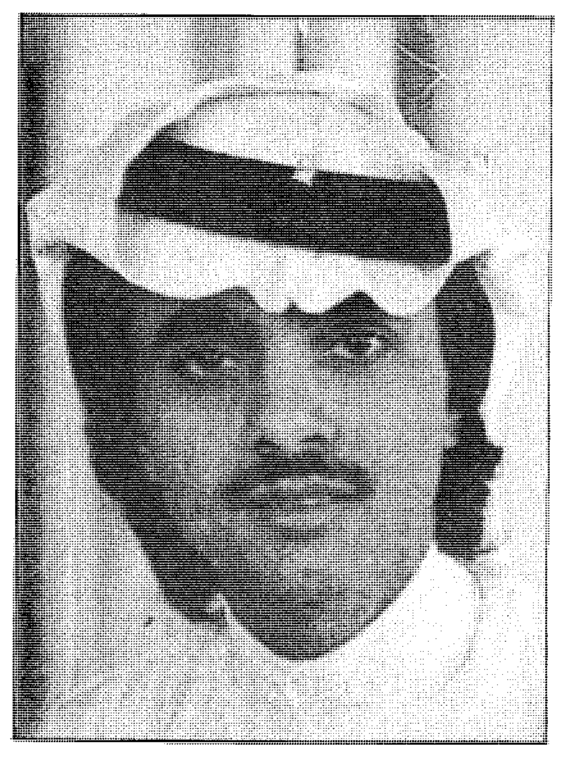
بأفصح عبارة وأبلغ إشارة وكفى بلغة الجسم بلاغة وفصاحة. فهي لغة الواقع. كفى. كفى. إنني مثلكما. من لحم ودمٍ من جسم، وروح، أحبّ وأكره. وأرضى

وأغضب، وأرجو وأخاف، لم أُحرم من حقي لم أكبت في هذا الوسط الخانق لم كُل هذا التعذيب باسم الحب والشفقة ولم تجعلاني أعيش زمانكما. لماذا؟ أحرم زمـاني ومستقبلي؟ وبـدأ جيش من القلق يقتحم منطقة أملها. وتحيط بها فِرق الأرق. وتـطرد من عينها سلطان النوم. ويستبد بها الهم والغم ويلازمها السـهر والضـجر. فيناماني ولا تنام ويسكنان. ولا تهدأ. زفرات تتبعها زفرات. وبدأ الذبول يظهر على قدها الندي ومحيّاها البهي.



الفصل الأول من قصة (المغرورة)

للأستاذ حسن محمد جابر سليمان[١]



حسن محمد جابر سليمان

انبثقت شمس الفجر بحرارتها الدافئة لتطل على تلك المدينة الفتية جيزان، وتطلق صفارة بداية يوم وتبدأ معه خطوبه وأحداثه وأقداره..

وغلبت الضـوضاء سكون الليل المنصرم فزلزلت أصوات المحركات المدينة

(١) الأستاذ حسن محمد جابر سليمان من مواليد مدينة جازان سنة ١٣٨٥ هـ درس بجامعة الملك سعود ويعمل الآن موظفاً بمركز الخدمة الإجتماعية بجازان، له رواية باسم «المغرورة»، وله محاولات شعرية نشرت في الصحف والمجلات السعودية، ومن شعره القصيدة المهداة إلى المؤلف والتي مستهلها:

نفضت عن ثوبك الأهواء واللعبا
وقد شغفت بها ما لم يكن أدبا

وأخذ الناس يهرعون إلى أعمالهم، وما إن بدأت الحركة تتقد في مطلع ذلك اليوم حتى هطل وابل من الأمطار، فتباطئت وسائل السير عن الحركة وتوقف الناس عن الهروع إلى أعمالهم إذ الأمطار تراكمت في الممرات فأعاقت حركة السير، ووصل تدفق المياه إلى البنايات، فأصاب البلل ما كان واهناً منها وثبت ما كان ثابتاً فيها.

وكانت تقف خلف نافذة الغرفة بقامتها الرشيقة، ووجهها الأسمر الشامخ على جسم صغير مدمج فائر الحيوية.

وقفت تشاهد بعينين نجلاوين واسعتين الطبيعة عن كثب، تشاهد الأمطار وهي تسقط بغزارة وترتطم بأجساد الأحياء والجمادات..

وقد أرتسم في لوحة أمام عينيها الجو غائماً كلياً. وقفت تشاهد الناس وهم يختفون تحت الأبنية هرباً من الأمطار، تقطب جبينها وقالت بكبرياء:

- يا ويحهم.. كيف يحتمون من مياه البَرَكَة؟

ثم خرجت من الغرفة ومرغت جسدها في مياه البَرَكَة، وأخذت نفساً طويلاً، ثم وقفت تتحسس الجو بروح شفافة.. وهي تقول:

- ما أجمل الطبيعة!!

ومع غزارة الأمطار انهار جدار البيت، بقدر ما أنعشها الجو، أكئبها انهيار الجدار. أقبل والدها وقد تبدّى خائباً ظل يربت بيديه على رأسه وهو يردد:

- يا للمصيبة!!.. يا للمصيبة!!. ما هذا الذي حل بداري؟!!

عادت أدراجها نحو الغرفة احتماء من المارة، بينما والدها ظل يصنع سبيلاً للأمطار نحو خارج البيت كي لا تنساب نحو الداخل، فتنهار البقية الباقية من أشلاء.

وقفت خلف نافذة الغرفة تراقب والدها بإشفاق وهو يصنع السبيل.

أدركت دوران الأرض حول نفسها عندما لمحت ضوء الشمس يتسرب من الغيوم، ليكسو الأرض، بعدما فرغ جوف السحب من الأمطار التي أمتصها ثرى الأرض.

رأت إصفرار الشمس بدأ ينطبع على وجه الطبيعة شيئاً فشيئاً، التفتت يمنة وجدت والدها يجمع الحجارة.. قالت بصوت خافت:

- يا ترى لماذا يجمع الحجارة.. أيريد أن يعيد ترميم الجدار؟.. ولكني أخشى عليه لعدم مقدرته.

وقفت تتفكر في هذا الرجل كيف أنه تعب كثيراً في سبيل البيت، يعيد ترميمه، ويقوم بتجديد اللون متى أضمحل.

تذكرت ما ذكرته لها أمها أنه بناه ورفع دعائمه لوحده، قبيل ما يزف إليها بأسبوع.

وتذكرته وهو يقوم بتجديد بويته قبيل عيد فطر ١٣٩٠ هـ بأسبوعين، عندما كان رجلاً شاباً قوياً، ليس يساعده في ذلك إلا فتى الحارة عيسى ابن جارهم الشيخ محمد، وكان ذلك قبيل سنتين من وفاة أخيها بندر الذي دهسته سيارة عندما خرج - خلسة - من البيت مسرعاً وهو ابن الثامنة. لكنه الآن قد شاخ فإنىّ له يقوم بترميم الجدار؟

***

ها هو الفارس الشاب يقبل من الخارج يتقافز كما يتقافز الليث في الغابة، ها هو جاء ليبسط مساعدته، كالعادة، ها هو جاء ليمد يد العون، ها هو جاء ليقف بجانب الرجل العجوز في مصابه كما يقف بجانبه في كل الأمور منذ صغره، هذا الوقوف الذي يشرق في حينه.

وكانت تراه ولم يكن، لأنه أول ما وقع على بصره هو إنهيار الجدار، وقد حال دون الإلتفات بحثاً عنها، إندهاشه مما يقوم به العجوز.

أسرع إليه قائلاً:

- ماذا هناك يا عم إبراهيم؟
- كما ترى يا عيسى.
- المهم إعادة ترميمه الآن وسأقوم بذلك.
- بارك الله فيك يا بني.

لبثت تحدق فيه ملياً وهو يقوم بترميم الجدار، وقلبها ينبض نبضات تحمل في طياتها معاني الحب الكامن في هذا القلب لذلك الشاب، ذلك الحب الذي تفتح له القلب منذ أن تفتحت العينان للوجود.

استقام واقفاً يمسح العرق الذي ترسب في قاع جبينه لمحتها عيناه، فوجىء بوجهها المبهر، كما لو كأنه رأى جوهرة بينما هو يبحث في أرض عن مفقودات تافهة البحث عنها مضني.

فور ما تقابل وجهه بوجهها رمته بإبتسامة غزته حتى القلب، أخذ الابتسامة ورماها بها غضت الطرف خفيفاً ومع الإبتسامة البسيطة تبد خجلها.

استدار هو يميناً وواصل ترميم الجدار.

بينما هي وقفت تنظر إليه وهو يحمل الحجارة ويثبتها فوق بعضها البعض - مر من الزمن نصف ساعة، في كل ثانية كانت خفقات قلبها تزداد خفقاناً.

بعدما أكتمل بناء الجدار، التفت إلى إبراهيم يودعه فبادره هذا قائلاً:

- إنني لأشكرك جم الشكر يا عيسى على ما قمت به.
- لا شكر يا عم إبراهيم على واجب.
- لا تنس إبلاغ سلامي لأبيك.
- حسناً.

وبينما هو خارج وعندما وصل الباب، استدار خلفاً إذ بها تسلط ضوء عينيها عليه، كان ضوء يرسل مليون معنى للوداع، الوداع من قلب تحرق حسرة من كثرة الوداع، استجابة رماها هو أيضاً بنظرة وداع ثم انصرف.

عادت أدراجها واستلقت على السرير وراحت تلف شريط الذكريات، تذكرته وهو يحملها بيديه إلى المستشفى عندما أشتد بها مرض الأنيميا، وهي في الربع العاشر من عمرها، وتبرع لها بكمية الدم التي إحتاجتها لتعود إليها الصحة.. وتذكرته عندما ضرب برأسه سهواً في خشبة متدلية من جدار البيت، تحت النافذة، وهو يبحث عن ورقة صغيرة رمتها من النافذة، وكتبت عليها بالحروف.. أريد شريطاً.. وفي نهاية الورقة.. أُحبك.. وكانت آنذاك في الصف الثالث الإبتدائي، وغرقت ضحكاً عليه من الضربة. تذكرته وهو ينتشلها هي وأباها وأمها وأختها مريم من وسط البيت عندما أندلع به ذلك الحريق المشئوم قبيل عشر سنوات، أثر تسرب الغاز، وكيف أنه شوّى جسده من نيران الحريق في سبيل إخمادها قبيل ما تلتهم البيت بأكمله.

تذكرته لما استجاب لندائهم في منتصف الليل عندما أشتد على والدها المرض في ليلة من ليالي شتاء ١٣٩٠ هـ حيث جلب سيارة ونقله إلى المستشفى، ورافقه هناك حتى تم له الشفاء بفضل الله، تذكرت كل لحظة يجلب فيها مستلزماتهم من خارج المنزل نيابة عن والدها الذي شاخ ولم يعد يخرج من المنزل إلا ما ندر.

فاقت من التذكر ورددت بصوت خافت.

- يا ليتك أبقيت شيئاً لايذكر.

ثم دلفت نحو النافذة وفتحتها، وظلت تنظر لحركة الحياة في الخارج وتردد بصوت خافت:

ـ إنني مدينة لك.. أنت نور في حياتي التي لا معنى لها ولا منطق حقيقي.

ـ يا له من شخص إستطاع أن يأسرها ويملك قلبها بشهامته.

ثم رددت:

ـ إني أحبك.. أحبك من أعماق قلبي.

ثم تدفقت موجة من الحنان في أعماق جسدها أرستها على شاطىء الصمت، كان صمتاً عاطفياً ضخه صوت أنثوي.

ـ ومن هو؟

استدارت خلفاً بفزع إذ بأختها مريم واقفة مبتسمة، أعادت لتأكد سؤالها.

إضطربت، لم تدر في الواقع ماذا تقول رغم حضور الجواب في ذهنها، لكن سرعان ما نطق لسانها بذعر:

ـ لا أحد.. لا أحد.

أدركت مريم أنها خائفة، وأنها لا تريد أن تبوح لها بمكنونها، اقتـربت منها وأحاطتها بحنان بقصد طمئنتها، وقالت لها:

ـ ألا تريدين أن تفتحي لي قلبك يا سلمى؟!!

إندفعت باضطراب وقالت وهي تتهرب من الحقيقة:

ـ هه أفتح لك قلبي.. ولكن ليس هناك ما يدعو إلى ذلك.

قالت مريم بتأثر.

ـ هكذا إذن.

اقتربت منها وارتمت بين يديها وهي تقول معتذرة:

ـ الدنيا أسرار يا مريم.. وأحياناً مالا يستطيع الإنسان أن يبوح بسره حتى لنفسه.

ابتسمت ولثمت شعرها وهي تقول:

ـ على كل أنا آسفة لأني تدخلت في خصوصياتك.

ـ كلا وكنت أتمنى لو أن الأمر كان في موضوع آخر.

ـ هيا الآن لنتناول طعام الغداء إنه مُعدّ.

ـ حسناً.

***

وجلست تتناول الغداء، اللقمة تلي اللقمة، بينهما فارق زمني بسيط، تتراءى غارقة في التفكير، الصمت يسيطر على الجو، ليس يعلوه إلا طقطقة الأسنان والملاعق.

ظلّت مريم تحملق فيها ملياً، حاولت أن تقرأ في صورتها ما يجول بداخلها ولكن دون جدوى، صورتها لغز محير جداً.

وضعت الملعقة على الطاولة، وشبكت أصابع يديها، وهي ترفع رأسها إلى أعلى نفلت شعرها، ومضت تطير في سماء التفكير.

وهنا تبدّى التعجب على مريم وانبرى بخاطرها سؤال:

ـ ماذا يدور بذهنها يا ترى؟

التفتت هي يسرة، رأت الفئران وهي قادمة من فتحات الجدار، وداخلة المطبخ.. يا له من بيت قديم.. حدقت في بناياته، رأت مخلفات الزمن مبصومة عليها.. ياله من زمن غادر..

والدهـا رجـل أدار عجلة الزمن بمـرتب بسيط يكسبه لقاء عمله في احدى الشركات، يعطيه لأمها التي توزعه على سلّات مستلزمات الحياة، وما أن يشارف الشهر على الإنتهاء حتى ينفد المرتب، أما الآن وبعدما رويت الشركة من عرق جبينه، اقعدته في بيته على مرتب هو أكثر قلة مما كان، الشيء الذي أصبغ لوناً من شظف العيش على حياتهم.

نظرت إلى طاولة الطعام، وجدت.. رزاً.. سمكتين.. (حمرا).. خبزاً، منذ نعومة أظفارها لم تذق غير هذا الطعام حتى ملت منه.

نهضت ودلفت إلى غرفتها، تلك الغرفة التي يرقد بها ذلك الأثاث منذ زمن بعيد، تدور الأرض دورتها وتمر أحداث تعقبها أحداث، تسقط أمطار. وتهب عواصف، أناس يموتون وأولاد يولدون، وذلك الفراش كما هو لا يتزحزح من مكانه ولا يتغير، وتلك الوسادة التي تحتضن خدها عند كل هجعة منذ نعومة أظفارها كما هي.

في تلك الغرفة يتجسد لها معنى شظف العيش والحرمان، أما من تلك النافذة فتتجسد لها حياة الناس في صورة مزهوة بالزهور والورود.

فتحت النافذة ورددت بتنهدات.. تتخللها معاناة الحرمان واليأس.

ـ الزمن يسرق من عمري.. وأنا أسبح في هذه المستنقعات.

ألا يكون لها أن تلحق بالموكب الذي يسير الخيلاء بين السماوات والأرض، موكب الهناء الذي يسير على بلاط هذه الدنيا، ألا يكون لها أن تنتقل إلى الجنان المنقوشة بالألماس واللآلىء، ألا يكون لها السباحة في أنهار هذه الجنان.

ولكن كيف؟ ومتى؟ ومن هو؟ ذلك الفارس الذي يطير بها إلى السماء لتتربع على كرسي السماوات والأرض في ذات الوقت حتى يستطيب لها التلذذ بما لا يتلذذ به ملكات الأرض على مر الخليقة، فتترامى ما بين الأثاث الفاخر والطلاء الباهر في المسكن إلى الرداء الزاهر في الملبس.

هل هو حبيبها عيسى؟ ولكن أنّى له؟ وهو يعيش على مرتبه البسيط الذي يكسبه لقاء عمله في إحدى المؤسسات، وأصبح يعول على والده العجوز وأمه وإخوانه الستة، بعدما قتل أخوه الأكبر محمد أثر عراك بينه وبين شخص قام بضربه بحديدة، وماتت أخته عائشة الكبرى بعدما أرقدها السرطان عشر سنوات على السرير.

ـ آه ياله من شخص يعيش في أدقع مما أعيش فيه أنا.. لقد تنبهت الآن لهذا.. إنه ليعاني ما أعانيه.. فهل نجتمع كلانا في نفس المعاناة.. يالها من ورطة لو حدثت.



القصّة القصيرة

قصة قصيرة

للأستاذ أحمد عبدالله باهادون العطاس

«بهيسة وجائزة السلام»



(١) الأستاذ أحمد عبدالله باهادون العطاس من مواليد مدينة أبي عريش عام ١٣٤٩ هـ، التحق بسلك التدريس في بداية النهضة التعليمية المباركة فعمل مدرساً في المدارس الإبتدائية في مدينة جدة بالمدرسة العزيزية وفي أبي عريش، عمل إدارياً ومحاسباً بوزارة الصحة إدارة مكافحة الملاريا بجدة، عمل أخصائياً إجتماعياً وأخصائي معاشات بالضمان الإجتماعي ثم مديراً لمكتب الضمان بجيزان، يعمل حالياً بوكالة الوزارة لشئون الحج بمكة المكرمة رئيس محاسبة بإدارة خدمات الطوائف وعضوا في لجنة النظر في شكاوى الحجاج.

له إسهامات في كتابة القصة والمقالات الإجتماعية وقرض الشعر، عده الأستاذ الكبير عبدالقدوس الأنصاري ـ رحمه الله ـ من كتاب المنهل عندما أصدر يوبيله الفضي للمنهل عام ١٣٨٠ هـ نشرت قصته بهيسة وجائزة السلام في مجلة المنهل لعام ١٣٨٧ هـ نشر بعض نتائج في الصحف المحلية ومجلة المنهل ومجلة الفيصل، ومن مؤلفاته:

١ ـ من وحي التأملات ديوان شعر
٢ ـ الحصاد «مجموعة قصصية».
٣ ـ تغريد النهى «ديوان شعر».

مهمـا تعـددت مفاخر العرب وأمجادهم ومهما خلد لهم التاريخ من صفحات بيضاء وضاءة فلم يأت ولن يأتي بأروع مما خلده لبهيسة أو بعبارة أصح ما خلدته بهيسة لنفسها، فتاة في عنفوان شبابها ومستهل سعادتها، فتاة لم تتجاوز العشرين من عمرها حسيبة. نسيبة. ذكية مفكرة. جميلة فاتنة ـ هام بحبها سادات العرب وزعماؤهم.

ماذا تتصور أيها القارىء الكريم؟.. إذا كنت لا تعرف عن هذه الفتاة شيئاً من ذي قبـل، قد تتصور أن لها بطولة في الحب بطولة في الأُمومة بطولة في العفاف في الحشمة في المحافظة على الشرف ـ إذ هذه الخصال غاية ما يتوسمه العالم في المرأة ولا سيما قبل أربعة عشر قرناً) ـ لا تتصور أنها من أبطال هذه الميادين فحسب، إنها تتطلع إلى أفق أبعد وقصد أنبل وغاية أسمى، إنها تهدف إلى السـلام، السـلام الذي يخلق الطمأنينة في القلوب والسكينة في الأرواح والسعـادة المنشـودة لكـل حي، السـلام الذي عجز عن توطيده عباقرة القرن العشرين وأساطين السياسة وزعماء الإصلاح، السلام الذي لا إستقرار للحياة بدونه. كيف؟ كيف تقوم بتحقيقه فتاة عربية حبيسة خدرها، فتاة لا حول لها ولا قوة.. هي في معزل عن السياسة، إنها في نظر أبيها وفي نظر مجتمعها فتاة متعة ولهو وزوجة مثالية صالحة وربة بيت من نوع ممتاز وهذا شيء كثير.

إلا أن بهيسـة من نوع آخر، إنها تفكر وتفكر، إنها لا تنام الليل ولا تتلذذ بالعيش يلازمهـا الأرق وينحل جسمها التفكير المستمر وتضطرم في أحشائها الآلام، فهي تسمع كل يوم عن مقتل مئات الأبطال ويحز في ضميرها ثكل الأُمهات ويتم الأطفـال، ومشهد الفتيات في ثياب الحداد، هذه لاطمة خدها وتلك شاقة جيبها وأخرى نادبة حظها. تقول في قرارة نفسها رباه ألا تبعث لهؤلاء القوم من ينقذهم من هاوية الهلاك هاوية الفناء هاوية المخاوف والشقاء. إنها تشعر بالألم يتزايد ولكنها لا تستطيع أن تعبر بشيء عن رأيها، إنها فتاة، والفتاة في رأي المجتمع غير مسئولة. ظلت بهيسة صابرة تعتصر الآلام أعماق قلبها، وتفكر بجدية وحساسية علها تجد حلا أو سبيلاً إلى حل، وتخفيف ويلات الحرب التي مزقت أشـلاء الأبـرياء، وأنى لها ذلك؟ وكانت قد تعرفت بفضل ذكائها الوقاد وفهمها الدقيق على أخبار الأبطال والعظماء وأرباب الدهاء مما يدور في مجلس أبيها (فقد كان أبوها أوس بن حارثة الطائي) كريماً شجاعاً ذا حنكة وتجربة يقصده العامة مستجدين إحسانه، ويفد إليه الخاصة طالبين مشورته وتدبيره، وفيه يقول الشاعر:

إلى أوس بن حارثـة بن لام
ليـقـضـي حاجـتـي فيـمـن قضـاهـا

فمـا وطئ الحصـا مثـل ابن سعـدى
ولا لبس النـعـال ولا احـتـذاهـا

وما أجملها من مفاجأة سارة حين ناداها أبوها ليقول لها: (يا بنية هذا الحارث ابن عوف سيد من سادات العرب جاءني طالباً خاطباً وقد أردت أن أزوجك منه، فما ذا تقولين؟) لم تفكر في الإجابة منذ سمعت ذكر الرجل فقد علمت عنه الكثير وأكد ذلك شهادة أبيها له فقالت أنت وذاك قال لها أبوها لقد عرضت الأمر على أختيك فأبتاه فانطلقت بكل جرأة وصراحة قائلة: (لكني والله الجميلة وجها الصناع يدا الرفيعة خلقاً الحسيبة أبا فإن طلقني فلا يخلف الله عليه بخير.

وهكذا تتجلى ديمقراطية العرب في إنصاف الفتاة باختيار شريكها في الحياة وعلى هذا المبدأ العادل يتم الزواج ويلتقي الزوج بفتاة هي كل أحلامه وأمانيه في الحيـاة، وهـام بها قبل أن يراها وشغف بها منذ أن سمع بها وتوقع معها السعـادة المنشودة والمسرة والهناء فهي ذات حسب ونسب. نشأت في ربوع الطهر ومكارم الأخلاق وهي فوق هذا وذاك رائعة الجمال خفيفة الظل ـ كانت آماله فيهـا آمال كل فتى في مجتمعه آنذاك (أن يجد زوجة صالحة). تسعده وتدبر مملكته الصغيرة عن ثقة وجدارة. دنا منها وبدأ معها الحديث فوجد عذوبة في اللفظ وسلامة في التعبير وسحراً في البيان وقوة في الإدراك ودقة في الملاحظة. هاله ما سمعه وما لمسه من لطفها وأدهشه ما رآه من مفاتنها تأمل وجهها المشرق وثغرها الباسم ونهديها البارزين وخصرها الناحل وردفيها الرجراجتين.. تأمل كل هذه المفاتن وسرى فيه تيار الهوى والحب والهيام. فمد احدى ذراعيه في لطف ورفق ودعة وضمها إلى صدره ورسم على شفتيها قبلة تجلى فيها الحب الصادق وراح في غيبوبة نسى معها الدنيا ومن فيها وأفاق من غيبوبته ليشهد ابتسامة عريضـة وادعـة والفاظاً عذبة خلابة (مه أعند أبي وبين أخوتي) فيتركها مقدراً محترماً. وتأهب للسفر وخرجا يرافقهما خارجة بن سنان المري وساروا في الطريق ونار الحب تأكل ما بين جنبيه وينتحي بها جانباً ويعيد المحاولة نفسها فتقول له: (أكما يفعل بالجارية الجليبة والسبية الأخيذة لا والله حتى تنحر الجزر وتذبح الغنم وتفعل مثل ما يفعل لمثلي) بهذا الكلام الصريح المليء بالعزة والإباء والسؤدد استطاعت دفعه واقناعه بوجاهة رأيها فتراجع مرة ثانية.. وأسر بالأمر لصديقه

المرافق خارجة فيتعجب ويتعجب ويقول (والله إني لأرى همة وعقلا وأرجو أن تكون منجبة إن شاء الله) وتنتهي الرحلة ويصلون إلى الوطن وتقام الأفراح وتنحر الجزر وتذبح الغنم وتنال من الإكرام والإنفاق والإغداق فوق ما كانت ترجوه أو هكذا أعتقد. وما أن أسدل الليل ستاره حتى كان بين يديها مزهوا بما قدم مفتخراً بما صنع يلاطفها ويعدد مكارمه قال لها: أحضرنا من المال ماتريدين قالها لكي يحظى منها بالرضا وليطفىء نيران هيامه المتقدة ولكنه فوجىء بما لم يكن في الحسبان ولم يدر بخلده دهش عندما سمعها تقول: (والله لقد ذكرت لي من الشرف مالا أراه فيك) ويرتاع لهذا القسم ويحتد شعوره فيتساءل في تعجب واستنكار: وكيف؟ قالت: (أتفرغ للنساء والعرب يقتل بعضهم بعضاً) تقصد بذلك حرب عبس وذبيان المشهورة بحرب داحس والغبراء والتي دامت نحو أربعين عاماً. هدأت ثورته وأدرك بل أيقن أنه أمام فتاة هي أكبر من هوى وحب، إنها فتاة عقل وحكمة ودهاء، وإذا به يستلطفها قائلاً: (وماذا تريدين؟) قالت: (أخرج إلى القوم فأصلح بينهم ثم ارجع إلى أهلك فلن يفوتك شيء) ومن هنا أتم ليلته في تفكير وتدبير يرسم الخطط لهذه المهمة الإنسانية السامية التي تقترحها بهيسة، إن في وسعه أن يحقق ذلك إن شاء الله وخرج في الصباح متجهاً إلى دار صديقه خارجة وفي رواية (هرم بن سنان المري) ليشركه في تدبير إنجاز المهمة وما أن يلتقي به حتى يفاتحه بسؤاله: (هل بنيت بأهلك)؟ فيتوقف عن الإجابة لأن شيئاً هاماً يشغل باله ثم يقول - لا ويقص عليه الخبر - فيطرق ملياً ويقول - وماذا قررت يا حارث؟ هذا ما جئت إليك بشأنه.. ويتفقان على الخروج معاً لاجراء مفاوضات للصلح بين الفريقين علهما يتوفقان ويرضيان بهيسة بل الضمير الإنساني، فيخرجان ويلتقيان بسادات القوم ويستعملان دهاءهما وحكمتهما وبقوة شخصيتهما وتأثيرهما يتم الصلح.. يتم على دفع ديات القتلى من الجانبين - وتتعقد المشكلة من جديد يا ترى من يقوم بدفع هذه الديات الهائلة والتي بلغ مجموعها ثلاثة آلاف بعير - فكلا الخصمين وقد أنهكتهما الحرب لا يستطيعان بحال من الأحوال قبول الصلح دون عوض يخفف شيئاً ولو يسيراً مما نالهما من مصائب الحروب الدامية وويلاتها. وفكر السيدان وتأكد لهما أن ما سيحققانه للقوم من أمن وسلام وطمأنينة واستقرار لا يساويه شيء فهو سلام عالمي بالنسبة للعالم العربي وبشهامة خارقة وأريحية عربية أصيلة يتحملان الديات وبهذا العمل الحميد والبذل السخي تحقن دماء زكية وتحيا أنفس بريئة ويرتع السلام في ربوع فقدته منذ أربعين عاماً وعادا

بمجـد عظيم خلده التـاريخ وأشاد به الشعر والشعراء آنذاك، والشعر في تلك الحقبة تاريخ وصحافة وإذاعة، فهذا زهير بن أبي سلمى يقول في معلقته:

سعـى ساعـيـاً غيـظ بن مرة بعـد ما
تنـزل ما بيـن العـشـيـرة بالدم
فأقـسـمـت بالبـيـت الذي طاف حوله
رجـال بنـوه من قريش وجـرهـم
يمـيـنـا لنـعـم السـيـدان وجـدتـمـا
على كل حال من سحـيـل ومـبـرم
تداركـتـمـا عبـسـا وذبـيـان بعـدما
تفـانـوا ودقـوا بيـنـهـم عطر منـشـم
وقـد قلتـمـا أن ندرك السـلم واسـعـا
بمـال ومـعـروف من القـول نسـلم
عظيـمـيـن في عليـا معـد هديـتـمـا
ومـن يستبـح كنـزا من المجـد يعـظم

حقاً إنهما عظيمان ولكن ما أعظم بهيسة صاحبة الرأي والفكرة والتأثير. وهكذا يؤدي التاريخ رسالته في أمانة وإخلاص إذ يحتفظ لنا بمثل عليا ما أحوجنا إلى أمثـال أبطالها في هذا الوقت بالذات الذي يقف فيه العالم بأجمعه على حافة الهـاويـة محتاراً شارد الفكر، وما أحق بهيسة بوسام السلام الخالد في القرن العشرين (جائزة السلام)(١).

---

(١) نشرت هذه القصة في مجلة المنهل لشهر الحجة عام ١٣٧٨ هـ.

قصة قصيرة

للأستاذ سهلي بن سهلي عمر(١)

المـــوال



سهلي بن سهلي عمر

خلع نظارته الطبية من على عينيه، جفف وجهه من العرق اللزج هفهفت فوق جسمه المبلل بالعرق نسمات مكيف الهواء، فأشرع أبطيه تجاه المكيف، وأخذ «يدندن» بمقطع من أغنية الأطلال، أنفلتت منه زفرة حارة، تأمل وجهه في المرآة طويلاً ترجرجت قارورة الماء في يده، أقحم عنقها في فمه، شب في داخله الموال، تأوه، عاود النـظر في المرآة، صفف شعره بدا له وجهه أكثر عافية من الوهلة

(١) الأستاذ سهلي بن سهلي عمر من مواليد جازان سنة ١٣٥٢ هـ حصل على الكفاءة المتوسطة، يشغل حالياً وظيفة مراقب محطة لاسلكية بسلاح الحدود، عضو منتسب بنادي جازان الأدبي، من كتاب القصة القصيرة.

الأولى التي رآه فيها قبل قليل.

أمعن فيه النظر، حرك رأسه يميناً ويساراً، ورفعه إلى أعلى ثم خفضه، الظلال متناثرة، شيء يحير، المرآة لا تكذب الموال يطول ويطول، قطب حاجبيه، أطرق رأسه بين كفيه، الغرفة دارت بما فيها، تشبث بمقعده، أغمض عينيه، أما لهذا الموال من آخر، أنا لم أكتب كلماته، ولا شاركت في «مجساته» صدى الهمس كوقع «المرزبة» فوق «السندان» للحن القول شظايا، تخترق العظم ليس غزلا كله غمز العيون، أمن فراغ أتى هذا الموال، لينزرع في داخلي، أم للموال جذور ضاربة في خاصرة الزمن الماضي، أفرغ القارورة في جوفه، الموال يشتعل في أعماقه، قارورة ماء أخرى، انتصبت على التسريحة، هل تكذب المرآة؟ شيء يحير، الظلال متناثرة الخطى متقاربة، الخطوط متنافرة، الموال يطول ويطول، رفع القارورة الأخرى إلى فمه، عب كثير منها، نبش «الحشايا» اجتراح للأمانة، تطلع إلى صدر صالون الإستقبال، نفض الغبار المتراكم على الحائط، تقرفص كقارئة الفنجان، تكاد عيناه تستنطقان المربع المعلق على الحائط، أصابع يده تجوس في شعر رأسه، اتسعت حدقتاه، الصورة تتأرجح على الحائط وتكبر تكبر، طال الصمت، والموال يحاصرني، هلا تخرج من هذا المربع؟ كي تسمع مثلي الموال، اني أتعذب، والحيرة تسحقني بين الموال وصمتك، قل لو تعلم شيئاً، فقد علمني الهم قراءة لغة الصمت، حسناً حسناً، سأبحث عن «القائف»(١).

---

(١) نشرت في ملحق عكاظ (العدد ٨٠٩٤) في ٢٤ محرم ١٤٠٩ هـ. الموافق ٥ سبتمبر ١٩٨٨م.

إبحار في الليل

قصة قصيرة للأستاذ سهلي بن سهلي عمر

أبحـرت تجدف في الأعماق، والموجة تعلو الموجة تمددت اللحظة في عمق الجرح، لسعتها أنفاسه، صدره يعلو ويهبط بانتظام، تصفع هواء التكييف آهة حرى لفـظهـا الوجـد، الحكماء قالوا.. والعرافة قالت.. وياعالم تسقط الستائر، الأشياء خارج حجرة النوم، لوحت لها ـ عبر زجاج النافذة ـ بالخروج، تسللت تنوء بالهم، مكتحلة بالإنكســار، أرهقها الإبحار، ونزيف الجرح. المجداف يلعق بقايا الحناء، لليل وجه غيره بين الجدران، تتهامس النجوم، يحفر الأطفال أسماءهم ـ كالوشم ـ في خد الزمن أزهــر الشــوق بالنوار، تكثفت الرؤى، تتداخل الألوان السماء تلتحف غيمة سوداء، يجلجل فيها دوي يصم الأذن، ذعر فوق الأرض، جحظت عيناه، يقول: أين المفر؟ إرتجف الخوف في أوصالها، وتمددت في عينيها دوائر الهلع، البحر يصطخب، والرؤية مضطربة، ثمة نور ينبثق من رحم الأرض، النجمة تهوي، تحتضر الخرافة، أورقت المنى، يصهل الحنين، أطل كالنور يمزق الظلام ويرفع الأذان(١).

---

(١) نشرت في عكاظ في محرم ١٣٦٦ هـ / أغسطس ١٩٨٨م.

الاختيار[1]

قصة قصيرة للأستاذ عبدالعزيز الهويدي[2]



انحبس بكاء الطفل، حلماً ينقش حاشية الليل بأماني الإمتداد فبددت الصرخة ركام الصمت، الأذان مرهفة لإلتقاط مفردات الصوت لتنظم منها جملة الفرح، كلهم

(١) أهدى الأستاذ عبدالعزيز الهويدي هذه القصة إلى صديقه الفنان خليل حسن خليل من وحي لوحته (الإختيار).

(٢) الأستاذ عبدالعزيز بن علي الهويدي من مواليد أبها عام ١٣٦٢ هـ ودرس بها الإبتدائي ثم أضطر إلى التنقل بحكم عمل والده إلى أن أستقر بمدينة جازان عام ١٣٧٢ هـ ولم يكن إستقراراً دائماً، وكان يتنقل مع والده في مدن المنطقة، وفي بلدة أحد المسارحة التقى ببعض المدرسين المصريين والفلسطينيين فشجعوه على المطالعة، فأقبل على قراءة القصص المصرية ليوسف السباعي ويحيى حقي ونجيب محفوظ وغيرهم، ومن ذلك المنطلق أنكب على المطالعة، فتوسعت مداركه، وتنورت بصيرته، وكفى بمدرسة الدهر مؤدباً ومهذباً، وأصبح له مشاركات جيدة في المقالة والقصة القصيرة، والتي أوردنا بعضها في هذا الكتاب.

أمـام غرفـة العمليـات يعتصـرون مرارة الترقب، الخوف والأمل يتأرجحان في نفوسهم، والفكر كلَّ عن إستيعاب الموقف، إنه الطفل الأول بعد عقم دام عشراً من السنين، ولكن أم أحمـد أجهزت على ما يعصف بالقوم من ترقب وتوقعات بزغرودة نشرت بها باقات السعادة في ردهات المستشفى لم تعد تتمالك نفسها وهي تكرر الزغاريد، فأختلطت باستعبار فجر بكاؤها، ذهل الحاضرون، أهو بكاء الفرح كما يصطلحون عليه، تحلقوا حولها بين مهنيء ومواسي.. تملصت منهم، وأطلقت ساقها تركض في ممرات المستشفى تزغرد مرة وتبكي أخرى، لم يعد للحاضرين اهتمام بالمولود الذي أطل على الدنيا بين لوني الفرح والحزن، ولقد كان توقعهم بأن أم أحمد أكثر فرحاً منهم بحفيدها، تبعها ابنها حسن وهو ينادي أماه.. أماه.. هلا رحمت نفسك من هذا البكاء.. ألا تنظرين إلى وجه الطفل، إنه ذكر، لقد أُخرج لتوه من غرفة العمليات، وهو بصحة جيدة، إن ملامحه تشبه أباه، عيناه المغمضتان يشع من جفنيها ذكاء، شفتاه المعوجتان حينما تمطمط فيها ومضات نامية من صرامة ورجولة، لكن أم أحمد لم تسمع ماردده ابنها حسن، فقد خرجت من المستشفى تركض في الشارع، تقاطع سير السيارات تكاد تصدم تزغرد مرة وتبكي مرة أخرى، والمارة مشدوهون لهذا المسلك المفاجيء، تقف على رصيف الشارع المقابل، تصمت تسحب طوبة حولها تجلس عليها، تطرق بنظراتها إلى الأرض ساهمـة، يبـدأ الخوف يبذر في أعماقها نواة التوجس، فجأة يقف بجانبها رجل يمد يده إليها بخمسين ريال، ترفع بصرها إليه في إستنكار، تقول له: لست سائلة، إليك عني، يخجل الرجل، يعيد نقوده إلى جيبه، يحاول أن يجرها للحديث معه، تتكسر الكلمات على شفتيها، ترفع بصرها لتوازي به جلستها، تنظر إلى بعيد، تخترق أحداث الماضي، تبكي ثم تزغرد، فيكسر الضجيج وأصوات السيـارات والبـاعـة على أرصفـة الشارع حاجز الخوف لديها، فتزغرد وتزغرد وتصمت تستلهم رجع زغرودتها، ولكنها تذوب ويطفر صوت الشارع فيشرخه صوت ابنها حسن أماه.. أماه، تحاول النهوض تعجز يسندها الرجل الواقف بجانبها، تتحامل على نفسها وتقول: لست متعبة.. دعني.. وأمنع ذلك الشاب عن الإمساك بي يصل ابنها حسن يستنجد بها أن تترفق بنفسها، يحاول الإمساك بها فترفع يده، يكرر حسن أن الطفل يلح في بكائه لتحتضنه، تتجاهل قول ابنها، تسير إلى الشرق في مواجهة الشمس شامخة الوجه أثيرية الخطوات، يلهث وراءها حسن فلا يدركها، يسقط على الأرض منتحبا.

زقاق حارتنا

قصة قصيرة للأستاذ عبدالعزيز الهويدي

كانت عشيـة مفعمة بالسعادة تلك التي جمعتني بك، في لحظة تتكسر عبر فنائها عقارب الزمن، لم يكن الموعد بيننا متفق عليه وإنما صدفة أو حظوة إن شئت صدق القول، وكأني أتمثل في ساعتها قول جميل بثينة:

وأول ما جر المـودة بيـنـنـا   بوادي بغيض يا بثين سبـاب
فقلت لهـا قولا فجـاءت بمثله   لكـل كلام يا بثـيـن جواب

نعم لقد رمقتيني بنظرة نافذة من خصاص حجابـك الشفاف وكأنك تعمدت أن يكون كذلك، في هذا المنعطف من زقاق حارتنا، لم أكن أعرفك، بل سمعت من أمي عنك شيئاً كأنها تحط به من كبريائك وغرورك، فبقدر ما قد يدفعني ذلك إلى احتقارك أحسست أن وجيفاً في قلبي يركض عبر أوردتي، كان ذلك للحظات ثم نسيت الأمر، حتى كانت تلك المصادفة العجيبة، ولم أكن أعلم أنه أنت، فحينما شخصت عيناي في عينيك المتراقصتين في دلال، تحت حجابك شزرت عيناك وانطلق لسانك بقولك «وجع» فرددت عليك فوراً وقد طمرت وقع نظراتك في أعماقي متكلفاً عدم إظهارها، وقلت «لك» عند إذ برزت كفاك من تحت عبائتك، وكأنها لمعة برق في ليلة طخياء، وقلت «ما شاء الله جرى»، أحسست في صوتك رقة مشوبة بخضوع، شدا اضطراب في أعماقي ليطفح على لساني لأرد عليك، ولكن استعجم علي القول ولم استطع أن أتكلم، فأطرقت ساهماً أنظر إلى موقع خطواتي، وكأني قد أصبت بخفر، لا أدري هل تحول ما افترضه انه شعورك كأنني.....(١) ولكن بقية من رجولة سقطت في أعماقي لأرفع رأسي إليك وقلت لك «أنت وقحة» وأضفت ألا تستحين تبـرزين مفاتنك للرجال الأجانب، وجعلت من نفسي واعظاً لك، أو كأنني أحـد أولياء أمرك، وشعرت أن شجاعتي تتضاعف وأكيل لك أقوالاً من التأنيب والتربية، وكم كانت مفاجأتي منك حينما كشفت غطاء وجهك بجرأة غمرتني أثـرهـا موجـة من النـور تخللتهـا أنسام جذلى، عجزت نفسي عن استيعابها وانتشلتني إلى عالم لم أعيه، وأفقت وأنت لا تزالين واقفة، ولا أزال في هالة من النـور، وصوتك يوشيها بنغمة فيها كل معاني العفاف ، تقولين أنعم النظر في وجهي، هل أعجبتك؟ فأمك قد خطبتني.

---

(١) كلمة غير مفهومة في الأصل وضعنا محلها نقط.

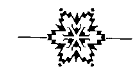
الحراج

قصة قصيرة للأستاذ عبدالعزيز الهويدي

اتكـأ على مقعد خشبي طويل في أقصى اليسار، يرتفع موقعه عن مستوى الحراج، بحيث يستطيع متابعة ما يجري بوضوح، بدأ الدلال يجرب مكبر الصوت ويمرن حنجرته استعداداً لفتح المزاد كانت البضاعة المعروضة للبيع مختلفة، تبدأ من الحذاء وتنتهي بعقد الماس، الناس واقفون ومشدودون، والفضول مد أطنابه بين أصوات الحضور، تمتمات ولفظ لا يميز في وسط الزحام.

رجل مربوع القامة أسمر الوجه حليق اللحية كثيف الشارب رأسه مكشوف قد فلقته صلعة تنعكس عليها أشعة الشمس، يزاحم الناس، يفرقهم بيديه، يردد أنا.. أنا.. ينظرون إليه باستهجان واستغراب ويلتفت بعضهم إلى الآخر، من يكون..؟ أحـدهم يقول: لعل هذه البضاعة له، آخر يقول: ربما أنها تركة وهو واحد من الوارثين، وآخر يقول: لعله أحد مراقبي البلدية، يصل إلى الحلقة الأولى المواجهة للبضاعة، ينقل نظره بين الأصناف المعروضة، يضع يده على رأسه، فقد لسعته أشعة الشمس.. الدلال لا يزال يجرب صوته في المكبر، حشرجة الصوت تكاد تصم الآذان.. ينظر إلى ذلك الجالس على المقعد الخشبي يستأذنه ببدء الحراج، يغمـز له بعينه ، يجول الدلال ببصره في الحضور، يركزه على الرجل الأصلع، الترقب قد امتص فضول الواقفين، أفواج الناس تتلاحق، يشتد الزحام، يرتقي بعضهم على الأجسـام المـرتفعة، يتطالون، ينطلق صوت الدلال بعنف مفاجئاً النـاس.. أربعة آلاف، من يزيد.. المال الطيب الرخيص.. زد ولا تبالي، الربح مضمون، فرصة لا تفوتك، صفقة «عمر» من يزيد.. بهذه العبارات يكرر الدلال المناداة على البضاعة، يرخم صوته كلما أحس برغبات زبائن، ويرفعه مرة أخرى ليصل إلى أبعد مدى، اندهش الحاضرون، لم يروا، بل لم يسمعوا أحداً، افتتح المزاد بقيمة، وعلى ماذا؟ وماهي ذات الأربعة آلاف، الدلال ينظر إلى زبون يشير إلى مجموعة من الأحذية، يقطع الدلال الصوت، يرفع حذاء عتيقاً بيده اليسرى وقـلادة فضيـة بيده اليمني وينادي: من يفتح الباب، الرجل الأصلع ينظر إلى الحذاء والقلادة يقلب نظره بينهما ويقول: عشرون ريالاً، الدلال يردد.. الحذاء

بعشرين ريالاً.. من يزيد؟ ويخفض يده اليمني التي بها القلادة، الواقفون بنفجرون ضحكاً وسخرية، الرجل الأصلع يضحك مع الضاحكين مجاراة لهم لا يعلم السبب عملا بالحكمة القائلة «من حسن المرافقة الموافقة» لم يزد أحد على قيمة الحذاء، يبارك له الدلال، يأخذه الأصلع في استحياء، ينقد الدلال العشرين ريالاً، يتأبط الحذاء ويقف.. يرفع الدلال عقيرته مرة أخرى، من يزيد.. أربعة آلاف تتداخل أصوات الناس على ماذا..؟ على ماذا..؟ ينظر إلى الرجل الجالس على المقعد الخشبي، يشير إليه بحاجبه، يتجه الدلال إلى الحاضرين، يقول: عليَّ «البيعة» كلها.. يتفرق الناس.. ينصرفون وهم ساخطون، فليس في المبيع ما يساوي القيمة حتى عقد الماس.. يبقى الأصلع والدلال والرجل الجالس على المقعد الخشبي، ينظر بعضهم إلى الآخر، وينطلق صوت الدلال مرة أخرى.. يستاهل يستاهل.. يجذب صوته العابرين قرب الحراج ، يتجمع زبائن جدد، يبعثرون البضاعة، يأخذ بعضهم قطعاً منها دون انتقاء، وفي صمت يدفعون أقياماً قدروها من لدنهم، الدلال يصمت وصاحب المقعد الخشبي يصرف وجهه تلقاء الحائط.. والرجل الأصلع يعرض حذاؤه للبيع..



عاش مع الحرمان

قصة قصيرة للأستاذ علوي طه الصافي

طرقات خفيفة سمعها على الباب.. سار متثاقلاً. كرجل حمَّلته الهموم والأحداث أكثر من طاقته فبدا شاحب الوجه.

فتح الباب.. وجد شخصاً مهيب القامة يمد يده ليسلمه شيئاً.. لا يعرف ما هو.. ورقة.. بطاقة.. خطاب.. المهم أنه يتناول هذا الشيء.. عاد إلى غرفته وصوت الباب يصفق من ورائه.. جلس على سريره.. شرع في القراءة.. هي بطاقة دعوة لحضور حفل زواج أحد أصدقائه.

● تلقى الكثير من هذه البطاقات التي اعتاد الناس توزيعها لدعوة المعارف والأصدقاء لحضور حفلات الزواج.. والمشاركة في أفراحهم.

كان يتلقاها ويذهب ليشارك الأصدقاء أفراحهم.. يمرح.. ويضحك.. يتحرك هنا وهناك.. يروح ويجيء.. يوزع الابتسامات على الجميع كأنه في يوم عيد.. أو كأن هذا الحفل قد أقيم بمناسبة زواجه.. يضيىء الأتاريك.. يعد مجامر البخور.. يوزع الحلوى.. شعور غريب يعتريه في هذه اللحظة لم يتخلص منه رغم أنه يضايقه.. إنه دور الممثل البائس الذي يؤدى دوره في براعة واتقان.. يقف على خشبة المسرح ليضحك الناس وفي أعماقه شلالات من الحزن والحرمان.. يسلي الناس وهو يتألم، يقول النكتة لتتعالى جوانب المسرح بالضحكات المعربدة.. والصراخ المحموم بينما تصرخ بين جنباته أنات الحزن.. والحرمان يجسدهما واقعه البائس الذي يعيش فيه.

منزل بسيط مؤلف من غرفتين إحداهما خالية من كل شيء إلا من الصدى.. والبقايا.. والأطلال..

والأخرى تحتضن هيكله المليء بكتل من الشعور الغريب الذي ينتابه من وقت لآخر.. وعقله الذي يضيق بما يتحرك داخله من أفكار تتلاحق وتتزاحم نتيجة للمؤثرات الخارجية.

وماذا في الخارج نفسه؟ إن في الخارج ما يؤرقه مفارقات عجيبة.. وتناقضات غريبة.. وأشياء لا تريح النفس بقدر ما تتعبها، تجهدها فتجعله نهباً للألم والحزن والحرمان.

كان يجد راحة نفسية عندما يخلو لنفسه في غرفته.. حيث يكون بعيداً عن الناس.. ومظاهرهم الزائفة.. بعيداً عنه عالم النفاق الاجتماعي، والزيف.. والملق.. بعيداً عن اللهاث وراء المادة.

لكنه كان يشعر بسعادة غامرة في خدمة الآخرين. فإذا كتب له أن يعيش محروماً من السعادة فأقل ما يمكن أن يساعد في إيجادها للآخرين.

أما هو فليس له إلا أن يعيش مع الأطلال.. والحسرة.. أطلال أمه الحبيبة.. أمه التي كانت له كل شيء في هذه الدنيا القاسية.. والتي كانت له نوراً في ظلام الوحشة.. وصوتاً جميلاً يردد أنشودة الأمل عندما يشتد به اليأس.. وشجرة يستظل بفيئها عندما يشتد القيظ.. وواحة ينهل منها عندما يغلبه العطش.

لقد كانت له كل شيء.. ماتت وتركته كريشة في مهب الريح.. تركته كومة من الألم.. وعجينة من السقام.. ماتت وبموتها فقد البقية الباقية له مما اصطلح عليه الآخرون على أنه سعادة.. ماتت قبل أن يتحقق حلمها لتراه رجلاً تشير إليه الأصابع.. وتتحدث عنه المجالس.. رجلاً له جلاله ومكانته في مجتمعه.

وتمر الأيام.. كما تمر الشهور.. والسنون وصاحبنا يفقد الكثير من الأشياء والحبيبة إلى نفسه.. فقدها ليعيش مع أطلال أم رؤوم.. وبقايا ذكريات حنان.

كان عليه أن يبحث عن سلوى تنسيه واقعه المر.. تنعش وجوده.

وجد نفسه تنجرف دون سابق إنذار في مجاهل.. ومتاهات.. وأغوار عميقة.. متاهات النفس.. ومجاهل الكون.. النفس بأسرارها ومكنوناتها.. والكون ببدائعه وعجائبه وغرائبه، وجد نفسه تجري وراء الكلمة تقرأها.. تفسر خباياها.

ساح في عالم غريب.. عالم مليء بالكثير مما في الحياة.. عالم الكتب.. لقد كانت القراءة هي النافذة التي يطل منها على العالم الذي حوله.

إن دنيا الكتب حافلة، زاخرة تشبع الروح.. وتمتع النفس.. هي دنيا متعبة لكنها لذيذة.. كانت الكتب خير أصدقاء له.. تستقبله في كل وقت بصدور رحبة.. تواسيه وتعزيه في أي فقد.. وعن طريقها اكتشف الكثير وتعرَّف على الأكثر.

يعيش بين أكداسها المتناثرة هنا.. وهناك دون ترتيب، في فوضوية غريبة فوق

السرير.. وعلى الرفوف.. على الطاولة.. في الزوايا وقد تدثر بعضها بطبقة من الغبار.

عاش مع الفلسفة والحكمة على ضوء سراجه المتراقص.. ومع الفن والأدب مع نسمات فجر ضاحك.. وقمر متوحد.

علمته حياته الجديدة مع الزمن، والناس.. والحرمان كثيراً من الأشياء!!

حياة الخريف التي يحياها جعلته يرسم لوحة الفجر الضاحك.. والبسمة الحالمة..

عيشة الحرمان دفعته لتخيل كثير من الصور الكاذبة.. أصبح يملك القدرة على مغالطة نفسه بفن جذّاب.. وما أكثر الناس الذين يعيشون هذه المغالطة.. وهذا الوهم ـ بل كل النـاس ـ ولولاها لضاقت الحياة بالناس.. وتحطمت سفنها أمام لطمات الأمواج القوية.

والناس مساكين.. يظن الكثير منهم أنه أحق بملك الخافقين.. والسمو فوق مناط الفرقدين ولو راجعوا حساب أنفسهم لوجدوا أنهم يعيشون الوهم الكبير.

يصحو صاحبنا من سرحانه ليجد أن البطاقة التي تسلمها قد سقطت من يده فينحني ليلتقطها ويعيد قراءتها مرة أخرى!!

إذن، فقد تحقق لصديقه (علي) حلمه ولقى شريكة حياته الحلوة..فليهنأ.. وليستقر بعد المشوار الطويل..

أما صاحبنا فعليه أن ينهض الآن إلى مكان الحفل ليشارك صديقه فرحته الكبيـرة.. يضيء الأتاريك.. ويحرق البخور.. وينثر الزهور.. يوزع الحلوى على الضيوف.. كما يوزع الابتسامات على الجميع كأنه في يوم عيد.. ثم يعود إلى منـزله متهالكاً جريح القلب.. محطم النفس يعود لقنديله المتراقص.. وكتبه مع البقايا والأطلال.. يعود ليعيش مع الحرمان وهو في عنفوان الربيع.. وريعان الصبا والشباب.

(١) نشرت في جريدة «المدينة المنورة» اليومية التي تصدر بجدة العدد (٧٢٤) في ١٨/٤/١٣٨٦هـ الموافق ١٩٦٦م.

عمرو يرسم شباكا

قصة قصيرة للأستاذ عمر طاهر زيلع

هذا الرجل.. ما الذي يدور في ذهنه؟

كلما أزحنا الستائر ليعبر النور، قام بإرخائها في انفعال محموم.

انتصبت «عنود الصغيرة» يربد على وجهها التوقع، رنت إلى أمها المغاضبة في توصل:

- أرجو أن تخفضي صوتك..إنه في الحجرة المجاورة مرهف السمع مستنفر للخصام، ما بالكم تستسهلون تكدير المياه الرائقة؟

احتدت الأم وسكبت على صغيرتها المتوجسة نظرات لاهبة، أخذت توزع نظراتها.

بين عنود والستائر المسدلة، وهي تقول: أنت مثله، تغطيك مسحة من التعقل الزائف.. اذهبي إلى شارعك المفضل، ودعي أشياء لا تعنيك.

هذه كلمات مسمومة.. من يقولها لفلذة كبدة..؟ لشد ما نصحتك بأن على المرء أن يختار عباراته حينما يخاطب البراعم الصغيرة.. هذا ما قالته أم عبدالله وهي تطوى سجادتها بعناية المتبتل.

- ماذا قلت «كلمات مسمومة».. ما الذي دعاك إلى هذا. هل أنا أفعى؟ أنا لا أدري حتى متى اعتقد أنك امرأة عاقلة؟

- ابتسمت العجوز وهي ترد في ود نقي: لا تتوغلي في سوء الظن وتتذوقي الألفاظ بحس منحرف.. ليس في الأمر ما يدعو للتوسع في الإيذاء. وأنت يا عنود، أعيدي ترتيب تلك الوسائد الملقاة على الأرض. لابد أن تقع العين - في هذا البيت - على شيء يعوزه الترتيب.

- إنك تعلنينها فتنة ساخنة إذن؟ كل كلمة تقولينها مشحونة بالتجريح، لماذا تنسين أنه بيتي؟

- ردت العجوز بصوت أخذ في المهادنة: هذا صحيح، وتلك هي المشكلة.. تلك هي المشكلة.

- أية مشكلة في أن يصبح المرء حراً فيما يخصه.
قال عبدالله وهو يدخل إلى حجرة النساء:
ترى أية قيمة للحرية في نظر مخلوق غير سوي؟
كانت نفحة قوية أحدثها عبدالله في حطب مشتعل الأطراف.. الزوجة الغضوب ازدادت غضباً، صرخت دون أن ترفع عينيها، وقد أخذ صدرها يهتز مترهلاً:
- ماذا تقول؟ تكلم أيها اللسن. ألا يكفي لسان أمك الذي يمكنه مجادلة حي برمته؟
رفع يده محذراً فاتحاً فاه.. لكن المرأة العجوز بادرت قائلة:
- يكفينا الله شر هذا اليوم.، هيا يا عبدالله عد إلى غرفتك، فقليل من الصمت يشعر الإنسان بخطئه.. ولعن الله أبليس، لعن الله الشيطان.
صرخت الزوجة:
- أبليس؟ إنه يزورنا يوم زيارتك
غاصت الكلمة في صلابة المرأة الوقور، غالبت غيظها، قهرت ألفاظاً ازدحمت في لسانها، وقالت في جلد:
- ليس ذلك صحيحاً، أنت في قارة نفسك تعلمين أنه ليس صحيحاً.. ولكن كل منكما يريد أن يبدو أمامي أكثر سيطرة وأكثر هيمنة في بيت صغير يضيق بالحماقات الجوفاء.. كل شيء.
كل شيء في المكان الضيق، فيما كانت الزوجة تهم بالرد، دخل «عمرو» مهرولاً:
- لقد فزت بالجائزة الأولى.. لو حتى كانت محط الإعجاب، سمعتهم يقولون إنني أمتلك موهبة فذة. وأن فجراً ندياً يلوح من ريشتي.. انني الفائز الأول.
بهت «عمرو» وهو يفاجأ بصوت والده، يأتي من الداخل ساخراً:
- هل رسمت لهم ملامح الغد، أو قطة أخرى غير تلك التي قتلتها رسماً منذ الصغر؟؟
ضحكت عنود قائلة في اعتباط فياض:
- هل أعطوك نقوداً كثيرة..؟
أحس عمرو أنه يغني في مقبرة، غار بريق الفرح في عينيه، نظر في وجه جدته، وجه أمه، وجه «عنود» وسأل: عنود، ما الذي يجري؟ عنود ما الذي يجري؟
نظرات عنود هربت إلى الستائر المرخية ـ بينما أخذت الأم ترنو إليها في تحفظ، اقترب عمرو من جدته سائلاً بإلحاح: ما الأمر؟

أخذته من يمينه، انتحت به جانباً وهمست: لا شيء يثير القلق.

لكن عمرو أصر على معرفة ما يدور ولو كان تافهاً.. فأجابته جدته بقولها:

- تبلغ الخامسة عشر من عمرك؟

- لقد بلغتها منذ شهرين.. ولكن لماذا؟

- لأن كل سنة في عمر الإنسان تزيد معنى جديداً للأشياء. خاصة إذا كان فناناً مثلك.. وهناك من يتقهقر إلى الوراء كلما أوغل في العمر.

- لكنني لم أفهم بعد ما أريد فهمه..

- ليس من الضروري أن يعاد الحريق لمعرفة كيف بدأ.. على أن الأمر ليس خطيراً بالقدر الذي تخشاه.. مجرد نقاش دار بينهما بسبب الستائر.

هز عمرو رأسه باسماً وردد:

- الستائر، الستائر.. دائماً يثور الجدل بسببها.. لماذا؟

حركة المرأة العجوز رأسها وكأنها تلقي موعظة مقدسة:

- حينما يصاب أحد الزوجين بالوهن، يبدأ إحساسه بخطورة الفتحات ليس من المؤكد أن يكون ذلك الإحساس صادقاً.. لكنه يبقى مثيراً للغبار.

من ذلك اليوم أخذ عمرو يحاول رسم صورة لشباك مقفل.. تحته شخصان يتشاجران، يرسم ويمزق، وبين لحظة وأخرى يمسح عن عينيه غباراً يتسلل عبر الشباك الموصد.. وحين تكون عنود بجانبه تفرك عينيها أيضاً.



من فصول شارع الجمالة

قصة قصيرة للأستاذ عمر طاهر زيلع

خلعت مدرعتي القطنية المبتلة بعرقي قبل أن أطأ مدخل البيت حملتها في يدي ودخلت لاهثاً، أشعر بالاختناق، والرغبة في خلع كل ملابسي، كان سلطان الشمس في سمائها الصافية ضارباً أطنابه في الداخل والخارج، أحس الآن وأنا أدلج إلى البيت أن قرصها اللاهب ما زال مصلتا فوق رأسي، كل شيء في ذهني قد ذاب مع قطرات العرق المنهمرة بغزارة، ما أفكر فيه الآن يتركز حول نسمة هواء وكوب ماء بارد، دخلت فرأيتها خارجة من العشة إلى سقيفتنا المفتوحة من جوانبها، غارقة في عرقها، ثوبها الصيفي الرقيق ملتصق بجسدها، يشف عن بشرتها السمراء الرخوة، لم تلمحني فقد كانت تستدبر المدخل مولية شطر السقيفة التي بدت وكأنها ستشتعل دفعة واحدة، والشمس في كل شبر من بيتنا، في تلك اللحظة الوجيزة التي لمحت فيها زوجتي وجسدها الخلفي المترجرج في رتابة وضجر، أبرقت في ذهني صورة شبابها، ما أشد ما تفعل الأيام بالأشياء.. سمعت وقع أقدامي، التفتت دون أن يبرح وجهها تعبيره المتبرم الكابي، قلت لنفسي مبرراً حرارة الجو: هي الأقوى من كل المشاعر، وددت لو أرى ظل بسمة على ملامحها، فتحت عينيها بطريقة خاطفة وهي تضع كفها على جبينها، وكأن قرص الشمس يخترقها كانت أكثر سمرة وإيحاء بالشيخوخة، أجتاحتني رغبة لرؤية وجهي أيضاً، لكن شعوري بالحاجة إلى الابتراد ما لبس أن طغى.. لوت عنقها واستأنفت مشيتها وانحناء قوسها إلى الأمام بشكل أوضح، لمع طيف قوامها منذ عشرين عاماً واختفى في طيات الذاكرة بأسرع من لمعة برق في ليل غابة لانهائية، بصرت بجرة الماء هناك في ظل العشة جافة قد تيبس طحلبها العالق بأسفلها محتفظاً باخضراره الآخذ في الشحوب، لا أثر لوجود ماء بداخلها، راحت عيناي تبحث في قلق عن وعاء مملوء بالماء، كانت كل الأوعية مرمية مهملة رأساً على عقب، إذن.. لا ماء، كان لابد أن أسألها لكن تجاهلها لي جعلني أتردد، أتردد؟ سألت نفسي بسخرية لا خصومة بيننا، لم نتشاجر منذ زمن.. فكرت: ما الذي جعلها تتجاهل وجودي الآن، وقفز احتمال قوي. نظرت إلى مدرعتي المسدلة في يدي، لا شيء غيرها، هذا هو السبب، هذا هو السبب، فهتفت:

يا سعدي.. هممت ولم تبرح مكانها رأيتها تنحني هناك، وتلتقط شيئاً بصمت وسأم، حبست أنا أسئلتي وشرعت أبحث عن ماء في كل الأوعية، لا وجود للماء، الزير الكبير ينتصب أيسر السقيفة، جافاً مشوباً مكشوفاً تحت شمس الظهيرة، تركته ومضيت إلى تعريشة مكان شجرة تهاوت أوراقها الصفراء في بداية الصيف، تحتها براميل طينية تملؤها بماء أقرب إلى ماء البحر لأجسادنا وثيابنا، كانت خالية تماماً، أحسست بازدياد وطأة الحر والعطش، دلفت إلى السقيفة، كانت «هي» قد جلست على الأرض ترقع ثوباً قديماً، وجهها يرشح ماء، تمسحه بطرف ذلك الثوب البالي، جلست وراءها على قعادة القيلولة، أقول في هوادة: لا توجد قطرة..

قالت دون أن تحول وجهها: ولا يوجد أي شيء آخر.. أنسيت؟ تذكرت تقريرها في الصباح الباكر عن أشياء البيت الضرورية التي نفدت، لا ماء لا طعام، لا قهوة، ولا.. لا.. داريت بقولي لا .. لم أنس، أجبرني الحر على العودة، أما عن الماء فلم تصل قوافله حتى الآن، كل الناس هناك في الميدان ينتظرون ومن العادة أن الأوعية لا تجف كلها على هذا النحو، زفرت: ولكنها جافة كما ترى.. ثم لاذت بالصمت، هبت نسمات ملأت رئتي، شعرت ببعض الارتياح الجسدي، تسللت خارجاً دون كلام، سالكاً شارع الجمالة نفسه، إلى السوق، وعلى امتداد الشارع الضيق الطويل، كانت أبواب المنازل الواطئة مشرعة قد وقف أصحابها في أفيائها الهاربة، ينتظرون قوافل الماء في يأس متحدر مع قطرات العرق، لم أر الشمس غضبى كاليوم، خيل إليّ أنها نفسها تنسكب شلالا زجاجياً مغلياً، شممت من أرضية الشارع وأوراقه، ونفاياته الفقيرة رائحة الاصطلاء، وعلى بعض الأبواب المشرخة عجائز لاهثات وصبايا بوجوه ملوحة، يسألن: ما باله قد تأخر؟ أجتزت الكل وكأني أصم.. ورأيت امرأة طويلة بوجه منشرح، كأنها خرجت للفرجة فقط، تحادث صبياً عارياً إلا من سروال أبيض قصير، وتشير إلى يدي المدلاة باسمة، تذكرت أنني أحمل مدرعتي، خفضت رأسي مداريا ببسمة مغتصبة، شربت من ذلك الوجه نظرة عجلى، رغم جبروت الشمس، وطيف سعدى المنكسر، لمعت في ذهني ـ كومضة ـ خاطرة حمقى.. كيف تقترب الأشياء الجميلة عندما يصير المرء مجبراً على الابتعاد؟

باغتتني حسرة ضافية «هائنذا أمشي الآن ومعي مسافة هائلة تمشي تتمدد بيني وبين أشياء كثيرة، انعطفت مجتازاً ذلك الأنبوب الساخن مفضياً إلى ساحة «المحناط»، لفحتني من تلقاء البحر هبات ساخنة، لكنها أرحم، الساحة مقفرة،

وهناك في طرفها الغربي يتناثر الناس قياماً وقعوداً ينتظرون جمال الماء، ومن ورائهم انبسط البحر رهوا، ساكناً خاشعاً لسلطان الشمس، كان.. لوحاً من الصفيح الذائب لا نهـائيـاً، لا تأمة في سوق المحناط، وفي البعد من الجانب الأيسر، نهضت القلعـة القـديمة بأسوارها المثلمة وسقوفها المتفككة، كئيبة، مستباحة بسيوف النهار، بدت غامضة منقوصة، مثل كتاب ضاعت صفحاته، وبقيت دفتاه، القلعة ـ.. القلعة.. القلعة، هكذا يقول الناس وحسب.. وفي أسفلها تحت أقدامها، يربض مستودعي الذي أعمل به حارساً منذ عشر سنوات، أراه من هنا، قزماً وطيئاً شحيحـاً، رفعت مدرعتي، نفضتهـا وتحسست جيبها الصغير.. أتأكد من وجود المفاتيح، ها هي لاتزال في أمان، واصلت خطواتي واثقاً على شيء من الوجل، عبرت الساحة إلى صف المخازن الداكنة، كانت «ملاقي» الحبوب السعفية مغطاة بأكيـاس الخيش المفـرودة، وعليهـا، مثقـلات من الأحجـار الملسـاء، والباعة منكمشون إلى ظلال السقائف الهابطة، وقد تمدد بعضهم على الحصر، وبعضهم يروّح على وجهـه بمـراوح من ورق الكـرتون، جاوزتهم خافض الرأس، تجنباً للأحاديث الثقيلة والأسئلة عن قوافل الماء، لم يستوقفني أحد حتى حاذيت مقهى السوق، كان صاحبه منهمكاً في غسل أكواب الشاهي، رآني متباطئاً فناداني، هذا أنت أخيراً ، تعالى يا رجل، كان جالساً في حمأة الشمس، نصفه الأعلى عار، وجلده الأصفـر المبقع يرتخي في طيات تحت صدره وخاصرتيه، حاولت إخفاء امتعاضي من أظافره المحشوة برماد الفحم وفضلات الطعام، وهو يدعك بها بطون الأكـواب المصفرة، أنني أرتاد هذا المقهى كثيراً، كان عطشي أقوى من هذا الإحساس المباغت، تناولت أبريقاً مترعاً بماء دفأته الشمس، شربت منه جرعة، والهبات البحرية جففت جسدي، نهض صاحب القهوة متوجعاً: أمسك بيدي وجرني إلى داخل المقهى، جلسنا على كرسي خشن الحبال، من ورائنا كوة صغيرة غربية تلفظ بعض الأنفاس، لعل النهار أخذ في الزوال، ثرثر القهوجي في مسألة الماء والحبوب، والحر، كلها مجتمعة.. لا تحتمل، من ناحيتي وجدت راحة في الإفصاح عن خواء البيت، رأيت وجه صاحبي يتماوج متهللاً، سدد إليّ نظرة حذرة وقال: ساعد نفسك يا رجل، فتحت في مستوضحاً..؟ فبادر قائلا بثقة؟ في وسعك أن تجلب لي كمية من البن والقشر والسمسم من المستودع، لن يكلفك الأمر شيئاً، أليست مفاتيحه معك؟ سيمتلىء جيبك، ويكون لديك كل يوم ما تحتاجه من الماء دون عناء.. حاصرني القهوجي، فلم أقل شيئاً، وجدت نفسي مثقلاً، كأن ثمة حجراً مدبباً يغوص في أعماقي ثم يطفو، وانكسار سعدى وسلوكها اللامبالي، وقرص

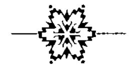
الشمس المسدد فوق رأسي، لم أقاوم وهو يدس في كفي شيئاً ، وحينما شرعت في الخروج، قال: لا تضيع الوقت في انتظار الماء، عندما يأتي أكلف «عميلي» بإفراغ نصيب المقهى في مواعينك، لدى هنا ما يكفي لأيام، غادرت القهوة وصوت أذان الظهر يرتفع بنبرة الاحتجاج والنصيحة «الله أكبر.. الله أكبر» كان صوت المؤذن مكتوماً ولكنه نافذاً بالغا، وفي الطريق إلى المستودع كنت متراوحا بين الإقدام والإحجام، وتعاقبت صورة مخدومي «صاحب المستودع» في كل حالاتها السيئة والحسنة، وفكرت أنه الآخر أيضاً.. يبيع البضاعة القديمة بسعر الجديدة ويجعلني دائمـاً شاهـد زور له، «أليس كذلك.. يا أمان؟» فأجيب أنه كذلك يا سيدي.. درت على المستودع دورتين، كنت خائفاً من الفضيحة فقط، وفي الثالثة.. اتجهت إلى شارع الجمالة من جديد، وجدته نابضاً بالحركة، طلائع الجمال تقف قبالة الأبواب، كان منظر الجمال يلخص عطش المدينة برمتها، وفكرت كيف تقسو الشمس على قامات الساحليين؟ ورأيت تلك المرأة الفارعة تحمل جرة ماء، بعد انتزاعها عنوة عن ظهر الجمل، تحملها كطفل.. وعلى وجهها ذلك المعنى المراوغ منـذ قليل، لا أدري لماذا تصورتها أرملة، أما مدرعتي فهي على جسدي هذه المرة،وعبرت شارع الجمالة متخففاً من مهمة المساومة على ماء، وفي الميدان كنت على عجل.. طفت بالدكاكين وملأت زمبيلاً كبيراً بعثته إلى البيت مع صبي أجير، هذه أول مرة أكـون فيهـا سيـداً، حدثت نفسـي بذلك، وركض المستودع إلى مخيلتي، تحسست جيب المدرعة واتجهت إلى البحر عبر «المسطاح» حتى بلغت الشاطىء، استدرت يساراً كانت حيطان البيوت على الشاطىء مباشرة، الشمس تتخلى عن جبروتها اليومي مرغمة بعد الزوال، حيث تكون النسمات أنفح في الظلال، درت على نصف المدينة، أتلفت بين حين وآخر، ومن قلبي تنطلق إلى مخيلتي ألف عين تتـرصـدني، وألف أذن مشـرعات، فتهوى يمناي إلى جيب مدرعتي.. تتحسس العربون، عبرت بأطفال يعبثون في مياه الشاطىء الضحلة.. ورأيت صبايا يغادرن أبوابهن الصغيرة بوجوه مشوبة ووجنات راشحة إلى البحر، ويمـلأن أوعيتهن من مائه الأجاج الداكن، وتطايرت روائح السمك المقلي بزيت السمسم من بعض البيوت الصغيرة وقلت:

«عسى أن تقلي السمكات التي بعثتها إليها الآن» أحسست برغبة إلى الطعام، وصارت يمناي تتشبث أكثر من ذي قبل بجيب مدرعتي المكتنز، لكنني تماديت في نزهتي عبـرت الشـريـط الجـاف بين الشـاطىء المكشـوف ومبنى الجمرك «الكنـداسـة» مواصلاً السير حتى موقع القارخانة، وقد بدأت أشعر بالاختناق

والإعيـاء، فانعطفت شرقاً عبر شعب صغير راقياً إلى التلال الشرقية بصعوبة قصوى، فلما بلغت قمة التل الأوسط سلكت طريق الرعاة هابطاً إلى المدينة من جنوبها مما يلي القلعة، وهاأنذا أمام مستودعي الأمين أسأل نفسي لماذا أطلت المسافة إليه؟ لكنني تشجعت حينما رأيت ساحة السوق والمحناط مقفرة، وتبدى ذلك المقهى الكسيح في طرق الساحة الغربي، هاتفاً محرضاً نافذ الصبر، إنني أفتح المستودع في كل وقت ومتى أشاء، فأي وجه للخوف وأنا حارسه الأمين، كل الحراس يفتحون بإذن وبدون إذن، فأدرت المفتاح وفتحت.

في البيت ونحن نتنـاول طعام الغداء، قالت زوجتي: «غشوك بالسمك»، إنه سايخ، والسمن مغشوش، أما الماء الذي جاءوا به لنا كأنهم اغترفوه من البحر والبن «ماهوش بلدي» تحرك خنجر في أعماقي، فأنطلقت إلى المقهى أتقاضى «الباقي»، قابلني الرجل بوجه غاضب، زمجر: ما الذي حملته إليّ حبوباً أم نملا؟ وأخـذ يحـك جلده الكابي، ثم قال وهو يستدير إلى بؤرته الموحشة: «روح يا غشاش»، عدت إلى البيت فوجدت زوجتي تحت جلدها وتشكو من النمل، قلت: نمل؟ قالت: جئت به في الأكياس من المستودع، رنت في أذني كلمة القهوجي من جديد «يا غشاش».

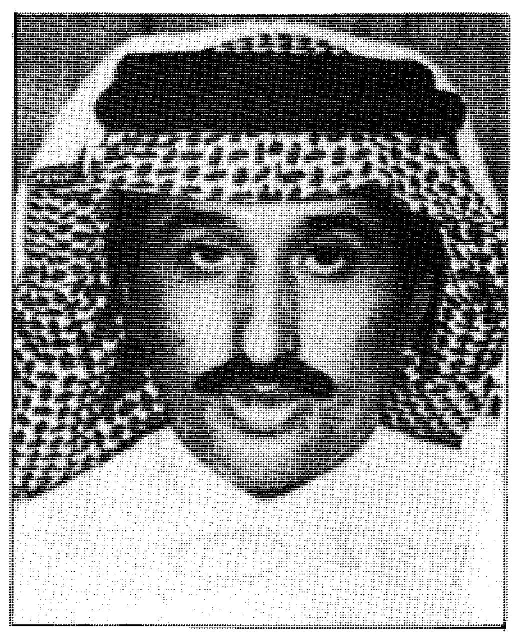
وفي موقعنا أنا وسعدى رحنا نشاهد أسراب النمل تزحف في خطوط كثيرة إلى شارع الجمالة.. واخترق صمتنا نداء حاد من خارج الدار: يا أمان.. يا أمان..



قصة قصيرة للأستاذ أحمد ابراهيم

ابن أحمد يوسف[1]

الضحية



أحمد إبراهيم يوسف

فاطمة تتجوز وتخلف إن شاء الله لكن مريم لا.. مريم ما يتجوزها غير ولدي.. مريم لمحمد.

رن صوت عمها في أذنيها، جفّ حلقها وأحست بشيء ما يسقط في داخلها نهر من المرارة يجري في شرايين قلبها، أصابتها إغماءة قصيرة مفاجئة، كلمات عمها تكبر وتكبر مريم لمحمد.. مريم لمحمد.. خيِّل إليها أنّ كل ما في الغرفة

(١) الأستاذ أحمد إبراهيم بن أحمد يوسف من مواليد جزر فرسان سنة ١٣٧٣ هـ حصل على بكالوريوس إجتماع من جامعة الملك عبدالعزيز بجدة سنة ١٤٠١ هـ قصاص له قصص قصيرة منها:

١ ـ قصة قصيرة بعنوان (الضحية).

٢ ـ قصة قصيرة بعنوان (الحورية والقوقعة).

٣ ـ قصة قصيرة بعنوان (ألسنة البحر).

يصرخ فيها مريم لمحمد.. مريم لمحمد وأنّ الغرفة تصرخ بهذه العبارة (القفف) (الزنــابيل) والأبواب.. كلّها تقهقه بسخرية.. كأنها تكيدها.. هرولت إلى غرفتها تفرغ شحنة الدموع التي استلمتها عيناها.. اهتز الجسد النحيل فوق الفراش كطائر أصاب جناحه سهم طائش لم تجد إلا الدمع تعبيراً عن الرفض.. كل دمعة احتجاج صامت ترسله إليهم.

دخلت أختها وأغلقت خلفها الباب، احتضنتها، وامتدت أناملها تمسح شعيرات رأسها التي بعثرتها أنامل الغضب وتسوي شعرها الغزير الأسود المنسدل الذي تحسدها عليه نساء القرية.

سألت أختها وهي تمسح دموعها بكفها المخضب: إيش قالوا إخواني؟

- مالك ما تردين؟ سكتوا كالعادة.

وانخرطت في نوبة بكاء.

- الله يرحمك يا أمي.. أنتي الوحيدة اللي قدرت توقفي في وجهه وتقولي كلمة لا.. قدرت تقولي الكلمة اللي عجز عن قولها الرجال ردت اختها بحزن.

- الله يرحمها.

وسرحت لحظات في مشهد، مات مع أمها.. مشهد مضى منذ خمس سنوات.. عمها بكل جبروته يقف واثقاً من نفسه وحوله كبار الأسرة الشيخ مسعود والشيخ حسن وإخوانها جميعهم، عمها تعصف ريح غضبه بالتهديد والوعيد وأمها شجرة نخرتها أرضة السنين، والشقاء تقف في وجه العاصفة بكبرياء وتسبح ضد التيار بتحد وثقة وتصيح في وجه عمها:

- خاف الله يا شيخ سالم.. اليوم دنيا وبكرة آخرة..

- لا تظلم البنت فيردُ عليها بقوله:

- وهي رايحة تتجوز غريب؟

- بنتي تتجوز ولدك؟

- مش ابن عمها؟

فترفع صوتها الضعيف قائلة:

ابنك.. ابنك اللي.. كيف تبغاه يفتح بيت

- أنت مالك شغل في هادي المسائل.. وبكره الجواز يعقله

- كيف مش بنتي ولازم أخاف عليها؟

- أنت قربه وفرّغت ولا تنسي إني ولي أمرها بعد أبوها. تصرخ في أبنائها محاولة أن يقولوا كلمتهم.

- تكلموا يا أولاد.. ولا انتم مالكم رأي؟
وينتفض غضبها.
- مالكم ساكتين.. أنتم رجال بالله؟
ثم تلتفت إلى الشيخ سالم بكل ثقة وتقول له:
- اسمع يا شيخ سالم بنتي ما تتجوز ولدك يعني ما تتجوز ولدك وبكرة إن شاء الله الشرع بيني وبينك.
- اشوفك واثقة من نفسك.

- ولكنها ماتت لم تشرق عليها شمس يوم جديد، كانت تلك الليلة آخر صفحة في سجل حياتها المليء بالصبر والكفاح والأمومة.

أوديب يفقأ عينيه بيديه مختاراً، نظرت إلى مرآتها.. المرآة لا تكذب فهذه الشعرة البيضاء الثالثة تسكن غابة شعرها ولم يطلع الفجر بعد.

ما زال قلبها محجوزاً عليه في صندوق سيسم العادات كلما حاول أحد الخطاب أن يرفع الغطاء وقف عمها بوجهه كأنه حارس كنز في أساطير العجائز التي يحكينها لأطفال القرية قبل النوم.

الزمن يأكل شبابها بلا رحمة، الجمود يملأ حياتها.. اشتاقت للحركة.. اشتاقت أرضها للمطر.. كل يوم وفي لحظة وحدة وحشية تمطر من عينيها الدموع. وما زالت تحس بالجفاف يتغشاها كل ليلة العاطفة التي تختزنها بحيرة راكدة.. اشتاقت للحركة.. وأفنت شبابها تحت شجرة حناء تخرط من أوراقها الخضراء لتخضب كفيها في كل مناسبة فرح وتخضب قدميها كلما جدد السعد مشواره في بيت من بيوت القرية.

ألسنة الناس لا تسكنها إلا الأقنعة.. الناس لا يعترفون بالظروف لهذا فإنها تحاول ألا يعرف الناس طريق بئر الألم التي تفيض في نفسها.. لبست للناس ما يشتهون وانصرف اهتمامها إلى أزهار (المونس) و (الشار) ترعاها كوليد لها فقدته بكلمة وترشقه بين شعيرات رأسها بحنان الأم ورغبة العذراء.

.. تمر السنون والفرح الدفين في قلبها تحول إلى مشاركة، لبست ثوب النسيان لتهرب من مأساتها ففي كل فرح تجدها تسهم بزغرودة أو تقود الصبايا في رقصة، أو تردد بصوتها أهازيج شعراء القرية في العريس والعروسة.
ومن خلفها تتناثر الأصوات الأنثوية مرددة:

قمـــري شل بنــتـــنـــا قمـــري شلهـــا وراح

توزع الفرحة والبسمة على الجميع بعد أن عجزت أن تسكن الفرح قلبها.. حتى إذا خلت إلى نفسها وجنّ عليها الليل أخذت تسترجع الذكريات، وتعد النجوم والخطاب في سماء حياتها وتنام بدموع الوحدة والانشطار وتحلم بأوديب وهو يفقأ عينيــه بيــديــه تسيل دماؤه وتسقط قطع اللحم الملطخ بخيوط الدم على كفيه. ويحتضنها الصمت كما يحتضن القرية النائمة كل ليلة ويتغشاها كلما جنّ على القرية ليل إلى أن يولد الفجر وتصحو الديكة.



قصة قصيرة للأستاذ أحمد إبراهيم

ابن أحمد يوسف

الحورية والقوقعة

الليل عساس في القرية تلُف عباءته السوداء الكئيبة أزقتها الثعبانية وزواياها الحادة والمنفرجة، أنفاسه تعشش في تجويف الرأس.

عندما يغيب القمر.. القط تبدأ جيوش الليل.. الفأر والتخاريف غزوها.. عندها يمد الناس أيديهم لسلطان النوم مبايعين بطواعية غريبة.

***

قالت قاعة من قاعات البيت ما زالت ساهرة لزميلتها:

- مسكينة أحمدية.
- ردت عليها الأخرى واضعة كفها المحناة على خدها.
- وي .. مالها؟
- حالتها تفرح العدو.. جان جان كبير فلق من شر ما خلق.
- وفتشوا لها؟
- لها ثلاثة أيام محجوبة وبعد بكره العصر شيلعبون لها.

ردت زميلتها - بصوت مرتعش - تمتمات الاستعاذة.

***

تضرب الأمواج السوداء القوقعة، تقذفها إلى عمق الباحة، ظلمات بعضها فوق بعض كقطع الليل.

كبّـر الربـان وأذّن بينما تناهت إلى سمع أحد الركاب أصوات غناء ورقص وغطاريف صادرة من تجاويف جبل سولين.

ارتعش القلب واقشعر البدن تذكر قول جدته العرجوني القديم فهمس (أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة).

تكولت ريح في يوم عاصف أخذت حفنة من كل زهب ورحلت لتذروها في العيون وتلون بلونها الطيني الأشياء الظاهرة.

صاح صبي ربعة على أخيه الصغير.

باعد عن الكول الشيطان يلعب فيه.

***

قالت قاعة من قاعات البيت لزميلتها مواصلة حديث السهرة الشيق.

- تدرين حسينة شيطانها فالت وتعرفين قاسمية.. كلها عيب.

- ما ... سون؟

- ضحكن على مشية حسينة القزلا

- يا خفي الألطاف.

- وشمعنها المسكينة.

***

دكان صغير تبدو عليه بصمة السنين، في جذوع النخل في سقفه وملمس وجه الجدار المجصص الذي أذهبت بياضه الأيدي اللامسة مخلفة وراءها لوناً أسوداً على مدخل الباب من الجانبين.

في الدكان شيخان. خطوط المعاناة تسود ملامحهما، لون ترابي كالح وعروق نافـرة وشعر زانت لياليه الأقمار. عندما تراهما تسافر بك ملامحهما إلى عوالم ماضوية تجد فيها صبر هؤلاء الرجال الجملي على الخطر وتحدي المجهول والفاقة.

قال أحد الشيخين وصوته ينوس كدبالة الشمعة التي وضعت على دكة الدكان:

- تدري يا شيخ عمر أنهم وزعوا الصدقة.

- سمعت إنهم وزعوها.

- نقّوا البيوت نقوه.

- من كم هبوا للناس.

من خمسين ريال. وناس حصلوا وناس ما حصلوش.

- يا شيـخ عثمـان أيادي، مسلمنها لولد ربع ثمن يسفسف فيها ويستمران يأكلان لحماً ميتاً حتى يحين موعد صلاة العشاء فتطفىء الأنفاس التي تفوح منها رائحة اللحم الميت أنفاس الشمعة النائسة.

المياه الفستقية تغسل الشواطىء البكر تتغلغل في خلايا الرمل الأبيض تأخذ في كل مدة وجزرة ما علق بالشواطىء من نباتات طحلبية مما طرح البحر والسنين والعزلة.

***

تدحرجت حجرة خرجت على جاذبية الجبل انطلقت تشدها جاذبية جديدة.

قال شيخ ذو رأس حجرية ضخمة:

ـ البنت مالها إلا بيتها.. تتعلم لمه؟

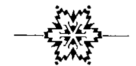
رد عليه شاب أكلت الأرضة كتبه:

ـ حتى تنفع نفسها وزوجها وأولادها وبلدها بعلمها

رد عليه الشيخ بسخرية صخرية الكلمات:

ـ آخـر زمن.. انته شتعمل مثل حسين قرص حامض اللي يشا بنته تصير دكتوره روح يا ولدي بلا زنبله وثقالة دم.

الهواء رخاء طارت الطيور في سماء القرية تحلق بحماس إلى الأعلى الأعلى تخفق بأجنحتها بمنتهى الثقة وعلى شواطئها العذراء نوارس تستقبل أمواج العطاء وهي تقذف القوقعة من عمق الظلمات إلى شواطىء النور والدفء لتخرج حورية فك عنها الطلسم الذي كان يتغشاها ـ عاد القمر ـ القط ملأ تجاويف الرأس نوراً وأضاء أزقة القرية الثعبانية وزواياها الحادة والمنفرجة في الليل ـ الفأر بعده لم عباءته السوداء الكئيبة ورحل.



قصة قصيرة

للأستاذ أحمد إبراهيم بن أحمد يوسف

ألسنة البحر

في زمن ما.

كان للبحر لسان وصوت معبر وعميق.

كان ينشد لأهالي القرى البحرية الأناشيد عن الشمس والأرض والمطر.

وكانوا يرقصون - رجالاً ونساء.. صبياناً وبنات - على إيقاع أناشيده، ويرددون ما يقول بفهم واتقان يحكي لهم حكايات ممتعة عن النوارس والمراكب المسافرة إلى الآفاق البعيدة، عن أفعال النواخيد ومعاناة البحارة كان يقول منفعلاً:

- يجب أن يكون العطاء بقدر الجهد.

تسامع الناس بأناشيد البحر وحكاياته الممتعة وأقواله فأعجبتهم وأصبح الجلوس على الشواطىء والتأمل عادة يمارسها أهالي القرى بانتظام وحرص.

لكن الريح الصفراء كانت تنقل للنواخيد - في مراكبهم - أقوال البحر وحكاياته وأناشيده وتأثر الناس وإعجابهم به وتضيف من عندها بعض الكلمات حتى استطاعت أن تملأ صدورهم بالغضب، فاجتمعوا في جزيرة من الجزر ليتفقوا على قرار ضد البحر.

قال نوخذة:

- لقد أصبح خطراً علينا.

قال آخر:

- كل البحارة حفظوا أقواله

قال ثالث:

- لابد من إسكاته.

سأل أحدهم:

- وما العمل؟

نطق كبير القوم:

- إقطعوا لسانه.

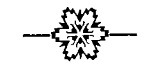
قطعوا لسان البحر. صرخ من الألم لوهلة لكنه ما لبث أن نبت له لسان آخر فنطق.

أصابتهم الدهشة لكن أيديهم سرعان ما امتدت لتقطع اللسان الوليد.

وحين جاء أهالي القرى كعادتهم.

جلسوا ينتظرون البحر أن ينشد لهم أناشيده ويهدي إليهم بَوحَه الجميل.

قرأ البحر عليهم قصيدة حزينة وهامة.. لم يفهموا ما يقول.. ظلوا صامتين يرقبون أمواجه المنكسرة على الشاطىء.. صرخ فيهم تناثر الرذاذ لكنهم لم يستطيعوا أن يعرفوا سبب صراخه.. احتد غضبه.. ملأ بالملح عيون الجالسين، لكنهم حملوا أمتعتهم ورحلوا إلى الجدران الدافئة تاركين على الرمل الممتد ألسنة بيضاء كثيرة.



الحلم

قصة قصيرة للأستاذ عمرو محمد العامري[1]



عمرو محمد العامري

المكان: مقبرة.

الحضور: حفار

الجنازة: حلم

أسند رأسي بباطن الكف.. تهتز أضلعي إذ يعاودني النشيج ثم أعود للصمت

(١) الأستاذ عمرو محمد العامري، وُلد في قرية القمري بمنطقة جازان، عام ١٣٧٧ هـ، درس الابتدائية والمتوسطة بمدينة ضمد، حصل على الثانوية العامة القسم العلمي بثانوية معاذ بن جبل بمدينة جازان، سافر في بعثة دراسية حصل بعدها على شهادة البكالوريوس.. علوم، التحق بعدها بالقوات المسلحة كضابط عسكري.. وما زال، مارس كتابة الشعر في بداية حياته، ثم المقالة، وأخيراً القصة القصيرة، نشرت في معظم المجلات والصحف السعودية، صدرت له عن نادي جازان الأدبي مجموعة قصصية بعنوان (طائر الليل) يستعد لإصدار مجموعة قصصية بعنوان (الجراد) عضو عامل في نادي جازان الأدبي.

والسكون وأغذي مسارب الدمع الماتحة.

أمد يدا أتقبل بها العزاء الذي لن يكون وتصافحني الريح الباردة وتصفعني كأنما لتذكرني أني لوحدي أقارع الشجن.. أمسح زوايا المكان لا شيء هناك حيث يسقط البصر (فلنواري الجنازة) يهتف من داخلي ذلك الصوت الغريب.. اتكىء على أطراف يقظتي وأواري الجنازة (الحلم) وأجمع بقاياي وأرحل.. يأتيني صوت الجنازة من مثواها.. عليك رحمة الله أيها الحي كم أنت شقي.. يهتز رأسي كمن يقول نعم يؤمن على ذلك الصدى ويهتف الصوت الغريب مرة أخرى.. ليس الموت سيئاً إلى درجة كبيرة.. إنه يبدو حلا عاقلا ومقبولاً أحياناً وأكثر رحمة من الحياة نفسها أحياناً أخرى.. أفتش عن نفسي داخل هذا الحوار وأواصل التنهد وأغذ السير نحو مسقط القدم.

***

تظلني سحابة.. ترسم لي ظلا طويلا أنكره.. أنكره وأهرب منه وكلما أمعنت في الهرب تطاول ذلك الظل والتصق بالقدم أسلم بقدري وأرضى بالمكتوب ويتأكد لي أن اليقين لن يكون إذا لم تسنده قناعة داخلية وأننا أحرص على أقنعتنا حرصنا على حياتنا وأن الحب يموت مع اللمسة الأولى وتنداح في القلب جرة من دموع تغسلني حتى أظافر اليدين.

أحس أني أبل من مرض لم يكن، وأفتش عن متنفس عن منفذ يأخذني إلى البعيد، إلى مواطن لم تطأها الشمس ولا رشها ضوء القمر، إلى حلم لا يعرف اليقظة وحب يدوم رغم جفاف الأيام.

يعاودني ذلك النداء الشؤم.. أما عرفت أن قيم الأشياء في عدم إمتلاكها، وأن المثاليات رائعة بدون ممارسة، وأن مذاق الفواكه في الأشجار المحرمة رائع، حتى الهوس، وأن بعض الإجابات تأتي أحياناً حائرة كمطالع الأسئلة، وأن أسئلة الحياة أكثر من إجاباتها وحبذا.. حبذا لو تظل بعض التساؤلات بدون إجابة؟.

***

أنام.. أنام وأحلم أني أموت وأحس أني أعلو قليلا على جسدي الذي يبدو لي قذراً نتناً مثل كل الرغبات الدنيوية.. تصفعني تلك الرؤيا أنا لست كل هذا العفن

أحاول أن أصرخ، تبدو لي فكاي تتحركان ولا صوت، لكني سمعت ذلك الصراخ كما لو كنت في اليقظة.

أعلو قليلاً لتأتي كلاب وذئاب وسفلة تنهش ذلك الجسد، تنتهي ويبقى لا يتغير، ويأتي فاعل خير يأخذني.. بقايا جسدي.. ويرمي بي في برميل القمامة.

ويـأتي عامـل النظافة ثيابه بيضاء ناصعة وإني أكاد أشتم رائحته العطرة وأناشده الخلاص من الذباب والعفن ويأبى ذلك العامل بل ويرميني بحجر يخطئني ويصيب حافة البرميل وأصحو على صوت البرميل الأجوف صوت البرميل الفارغ أقوى من صوتي.. أتحسس جسدي يصدمني العفن وروائح الذباب وأتقيأ، أتقيأ أشياء لا حصر لها.. مسامير وقطعة من زجاج.. جوارب مرتقة.. صوراً وحروفاً أبجدية وألواناً وأصواتاً وحتى روائح واحس براحة لا مثيل لها.

المسافة قيد والمدى صمت وآخر الدرب منحنى، والأفق بعيد بعيد كنجم كأمس (العين لا يملأها غير التراب) ما قلت هذه المقولة ولكن قالها شيخ على مشارف الدنيا، قالها وأردف التحسر، ماذا أقول أنا العاشق لبهجة العمر وخضرة الحياة.

«لا يملأ العين غير التراب» مطية اليأس أركبها إذ تقصر اليد ويقوم المحال أرددهـا أغنيـة عربية في صبيحة عيد غربة أرددها وأحمل بقايا حطام النفس المكسورة المنثورة على مخارج الدروب وأمضي إلى هناك على أحدها يأخذني إلى مرفأ من قناعة أو علها تطالني الشمس المشرقة.



القاسمية

قصة قصيرة للأستاذ عمرو محمد العامري

ـ آلو..

ـ مين؟..

ـ ....

ـ مين؟

ـ فاطمة.

كان للصوت طعم المباح الجميل وحلاوة الأشياء التي لا تسترجع وكان لليل أسر الصباح الطليق ورعشة اللمسة الأولى.. أما الماضي فقد تداعى داخل النفس حتى عاد بي إلى بهجة العمر وبوح السنين الخاليات.

ـ أنا فاطمة.. لم أكن أعرف أن لك ذاكرة مثقوبة إلى هذا الحد؟.. ثم ضحكت.. وانفطرت سبحة القلب، ويا واهب العزاء مدد.. ما هكذا يورد الصادي ولا يوقظ الغافلون.. ما هكذا تأتي البشائر.. وهمست كالممسوس.. فاطمة.؟

ـ نعم.. أنسيتني؟

ـ لا يا فاطمة.. ذلك يستحيل.. لكني أتساءل.. أي قدر عذب طوح بك هذه الليلة.. سؤال غبي أليس كذلك؟..

ـ ضاحكة .. أنت كما عهدتك.. لا تتغير.. جئت أسأل عنك أيها العفريت.

ـ ذلك يستحيل.. الأمور لا تجري بهذه البساطة.. حسب علمي على الأقل.. هنالك شيء ما ومن حقي أن أعرفه.. غيومك لا تهمي هكذا من غير ميعاد.

ـ يمكنها أن تهمي في أي زمان ومكان شئت.. أنت تعرف ذلك.. لكنك اخترت الهروب.. لقد وصفتك بالغباء مازحة لا تدعني أصفك بالجبن عن يقين.

ـ لا يهم إننا ما نفعله لا ما نوصف به.. غير أن الموقف لا يحتمل الحساب.. كما أنني لا أريد مواجع لدي منها الكثير.. أفصحي يا فاطمة.. ما الأمر؟..

ـ ما زلت أحبك أيها الشقي.. أبى حبك إلا أن يتغذى بالوهم والأحلام ورماد الذكريات.. أتفهمني.. ثم أجهشت بالبكاء.. طوى صوتها الليل.

تتداعى السنين.. في العمر مواقف تلغي حدود المسافة والمكان.. أعود طفلاً

أحذف البهم وأمرح في جنبات القاسمية.. القرية التي كانت حاضرة البر أيام كانت الأرض بكراً كصبيحة الطوفان.. والناس وثيقي العهد بآدم.. الله أين أمست القاسمية.. لقد خانها أهلها والماء وبريق المدينة فأقفرت وأمست ملعباً للريح ومسرحاً للغيلان.

أخي حسين: إن كان الليل قد طوى صوت فاطمة فقد طوت أخاك ليال كثيرة، أخوك لا يلام إن كان صرام حقوله شوك وصبار.. هذا كل ما لدي فلننتظر زرعاً آخر فقد يأتي.

وفاطمة من أي جوانب الليل هاتفت.. ربما حسبتني نسيتها.. أو نسيت القاسمية.. لا يافاطمة.. إن كل الذي أرفل فيه مباهج زائلة وإحساساً راسخاً بانعدام القيمة.. وكبرياء زائفة وعقيمة و «والله مانسيت القاسمية فما أزهرت الدنيا في نون عيني إلا وبدت لي القاسمية فردوساً مفقوداً وبدا لي أهلها كواكب ارتحلت إلى مداراتها النائية ورغم أنها أمست دمنة دارسة وخبراً بعد عيان إلا أن أحلامي ما زلت أراها هناك.. ما السر في ذلك؟ لست أدري.. لكن رؤياي التي أراها كل ليلة.. أراها هناك والذين ماتوا.. والذين مازالوا ينتظرون أراهم هناك كل ليلة.. حتى إذا تجافت الجنوب عن المضاجع وعدت إلى عالم اليقظة.. تبين لي أن ما رأيت أضغاث أحلام وأن القاسمية لم تعد غير أمنية تسكن الذاكرة ومحالا يفترش الوجدان.

حسين أنا ما أضعت فاطمة.. القبرة التي كنت أحبها ويتمناها علي الشامي وعبدالله أبو طرفة كلنا أضعنا فاطمة.. نحن لا نلام.. كنا في موسم هجرة القرى إلى المدن.. حتى القاسمية كان بإمكاننا أن نلحق الماء على بعد عشرين ذراعاً.. ثلاثين ذراعاً.. أربعين.. غير أن بريق المدينة لا يقاوم.. إنه نارنا.. إنه نار الفراشات.

لقد ارتحلنا.. كلنا، علي في عرعر.. وعبدالله في الجبيل وأنا حيث أنا وأنت حيث أنت.. كنا في مواسم ركض وكنا نخاف أن نلتفت فنتعثر وكلنا رضينا بأقل منها جمالاً وحسباً ونسباً.. وتركناها تقتات المنى والذكريات.. بعد أن كانت منية القلب.. لماذا تركناها؟.. سؤال يصرخ في وجهي كل ليلة.. لقد رضينا من الدنيا بالفتات وما يقيم الأود.. وأضعنا فردوسنا المنسي.. وأحلامنا البكر وأضعت أنا فاطمة.. كنت أبيح لنفسي كل شيء لو رأيت حصاداً لهذا الركض.. ولكن؟..

***

للحلم حلاوة.. وإذا صار محالا صار مراً.. ولا غرابة إذا متحنا كل يوم مرارة وعلقماً.. أحلامنا كثيرة والمركب لا تفي والحياة مليئة بسوء الفهم وسوء الإختيار: صدقت يا علي إذ تقول: إنك ما تستطيع تحقيقه لا ما تريد وصدقت إذ شبهت الدنيا الحرون بصندوق الأسرار وصدقت أكثر إذ شبهتنا بأبطال قصة يلهو بها كاتب.. يبعثهم إلى الظلام والفناء أو يلهو بهم في متاهات الحزن والضياع.. حتى إذا فقدنا لهم كل أمل بالنجاة والنجاح.. عاد ليبعثهم من جديد.. لا بطريقة فجة هائجة.. ولكن بطريق هادئة سلسلة كجريان النسغ في غصون الأشجار.. كنت وما زلت أحبك يا علي تأكدت هذه الليلة من صدق هذه المقولة بعد أن هاتفتني فاطمة الليلة.. لا أدري لماذا ولكني كما تعلمت منك.. سأرقب اتجاه الريح وأنحني وأغني لجراحي التي أدمنتني.. علي أما زلت تبحث عن الكمال في العلاقات والأشياء، وتحلم بقمم الأشياء؟ يستحيل ذلك يا أخي.. يجب أن ترضى بالممكن في غياب المستحيل.. وأن تتخلى عن مقولتك الدائمة إنك في الجانب الآخر من التل وإن العمر لا يتسع.. لأي بداية.. لكل عمر أحلامه وبداياته.. يجب أن تتحرك.. إدمان الأشياء يحيلها إلى عادات رتيبة.. حتى الجميل منها.. أتسمعُ ما أقول؟

***

تمضي ركائب الليل.. والبدر راع يتجول بين قطعان النجوم.. وأكام الغيوم تنداح هنا وهناك وصوتها ينخر في الوجدان والذاكرة.. صدقت يا عبدالله.. إن ما تصنعه الصدفة الواحدة تعجز عنه آلاف المحاولات.. أتدري من سمعت هذه الليلة؟ إنها سوسنة الوديان.

***

عاقل أنت رغم فارق العمر بيننا.. هروبك إلى دنيا الرسم يمتص كل أحزانك.. صحيح أن لوحاتك تنبض بحزن جنوبي متأصل.. لكنها تمنحك حزام أمان تلوذ به كلما زاد همك.. أغبياء عندما نسألك تفسيراً لما ترسمه وأشد غباء عندما نقول لك.

- من علمك الرسم يا عبد الله.. أبوك مازال فلاحاً في أقصى الجنوب.

وتضحك.. تضحك حتى تندى دموعك وحتى تبرز عضلة في جبهتك.. حينها تتوقف فجأة كأنك تذكرت شيئاً ما.. كأنك ندمت إذ أفرغت كل هذا الكم من الضحك.. ثم تتنهد وتقول..

- الألم.. الألم.. كل شيء تلزمه الحرارة لينضج.. حتى الإنسان.

- ولكن هل فسرت لنا بعض ما ترسمه؟

- لا تفسدوا الأشياء الجميلة بالتساؤل.. تقبلوها كما هي أو دعوها.

صدقت أيها الطائر الجنوبي.. أحب أن أدعوك كذلك ألست القائل إن الحكمة شرقية أما الهوى فجنوبي أصيل؟.. إن في مقولتك قدراً كبيراً من الصدق.. أيها الطائر فقط لو تقل لي لماذا هاتفتني فاطمة هذه الليلة.. دائماً لديك آخر الأخبار أيها الهدهد.

- نعم أعرف.. لقد خطبت الليلة لكهل في الستين.

وأقفلت الخط.. وأقفلت النافذة.. وأويت إلى فراشي أحلم بفاطمة.. كما أحلم كل ليلة بالقاسمية.



أهداب الحلم.. والأساطير

قصة قصيرة للأستاذة نجوى محمد هاشم

أيها الآتي من زمن أغتيال الفرح بين الجوانح التي أدمنت الوجع.. يمتد بك الليل.. تتثاءب ساعاته: السريعة.. وموال السهارى ينساب في أديم الليل.. عندما أعلنت قدومك، ذات ليلة، لم يكن ذلك مفاجئاً لي.. فقد تلبَّستني حالة استشعار فجرت عالمي الداخلي.. همس الليل.. انداحت أحزانه، ثكلى، تندب حظها.. تسلقت أركان الغرفة.. تدثرت بأحزانه، بالستائر، لتعاود سكنى الأعماق.. لكن الأرض، كانت على موعد، مع المطر، مع الإرتواء.. مع عودة نبض الحياة، التهم مجيئك، المسافات الزمنية، حزينة، محاصرة.. عندئذ يقف الزمان حائراً.. ويتلاشى زمن المقاطعة.. سقطت اللوحة «دعونا نحزن».. أقيمت الطقوس هرع القوم.. الشروخ التي إعتادت، اغتيال الأشياء كالقواقع.. أو مثل كاسات الزهور المتوحشة التأمت دونما إختيار.

تبدو العلاقة، بين النفس والضوء الأخضر، أكثر اقتراباً.. كأن كل شيء يستقبلك.. الوردة.. الحب.. الفرح.. الانتشاء.. الوقوف فوق الأهداب.. تتساقط أنغام الحزن الجميل في هدوء.

الذرة.. العنف.. الفشل أشياء تتجول، بعيداً عن الأصابع.. عن الصوت.. عن الدفاتر.. عن الشعر.

الفرح يمرق تحت العيون.. مثل خيول الفاتحين.. السهام الملونة.. تخترق أديم الليل بسرعة تتجاوز مداها.

لحظات.. ويبدأ السفر في الوجوه، آت أنت من هناك.. من أعماق المجهول.. آت متدفقاً كالأنهار.. آت أنت مثل كلمات قصيرة تنفذ إلى القلب.. آت أنت.. آت..

---

(١) نجوى محمد هاشم من مواليد مدينة جازان عام ١٣٨٢ هـ حصلت على بكالوريوس علم إجتماع من جامعة الملك عبدالعزيز عام ١٤٠٥ هـ لها نشاط في الصحف والمجلات السعودية ومن إصداراتها:

١ ـ «السفر في ليل الأحزان» مجموعة قصصية صدرت عام ١٤٠٦ هـ.

٢ ـ مجموعة قصصية أخرى، تحت الطبع.

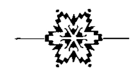
سوار من العطر والأهداب.. يلتف حول، عنق الليل.. الجدران ترفرف تتعانق.. الليـل يتسلق السماء.. ويكمل دورته.. لحظة السكون تبددت.. إنتصف الليل.. بدأت لحظات التجول فوق المشاعر والأحاسيس.. اللحظة، قطعة إكسير، فاخرة، لكنها متجمدة.. يتوارى الدم في الأوردة.. تتلمس الحروف مخارج لها.. الروح تحترق.. لابد لها أن تحترق فالعظماء هم الذين يحترقون، من الدواخل.

مدينـة الحلم الليليـة، تفتـح أبوابها، للتعرف على نفسها.. الدم يتخثر في العروق.. تبدأ الذاكرة في فتح، صفحة للجراح.

تنطلق روائح الفل، والياسمين.. تسبق المكان.. معلنة قدومه.. مراوح الريش، تطل على الدواخل.. تفتح أبواب الإستقرار.. يذوب العمر الجليدي تفتح صفحة البحث عن أرض جديدة.. دائرية الأسرار.. الخصوصية.. الدعوة عامة، لغرس السنابل الخضراء.. وردة الربيع الدائم إنفراج الستارة وشيك.. يقتحم الجمهور المكان.. تطرح الأكف تبدأ القراءة.. اللغة المشتركة.. الإيماءات.. الإسترجاع.. الحكم النهائي.. واحد.

تبدأ رحلة السكون إلى بلاد الدهشة.. الفرح.. البكاء.. الإنسياب.. الحرية.. مهرجانات الأمل، والضوء.. العصافير.. الغناء.. يسترد الليل عافيته.. عنفوانه.. يتمدد على كل الأمكنة.. على أهداب الحلم.. والأساطير.

يا أنت.. يا أنا.. حان الوقت للإنطلاق بعكس السير واشتعلت لحظة، إفتراش سماء هذا الليل الصيفي.. بعد تجاوز الحدود.



الذات.. والليل

قصة قصيرة للأستاذة نجوى محمد هاشم

إلتقيا في زمن لا لقاء به، وفي مكان عدمي، سألها:
- من أنت؟

- أنا الليل الصامت - الحلم. في شارع الشمس أسكن. في ظلال العيون أنام. على أحداث الليل أتوقف. في مواسم الربيع يتنبأ بقدومي. إلى ضفاف المستحيل وجهتي.. أحمل همي في كفي، وأحمل جرحي وعذابي. على هامتي الهدب موطني.. الصمت قضيتي.. القدوم عالمي.. الغياب وجودي.

أمتلك الكثير حريتي - زحفي الدائم إلى ما أريد. حلمي الذي يولد ولا يولد.. يموت ولا يموت.. ضجيجي الذي قد يقتل صمت الآخرين. إنني في الزمن الساكن أمتلك الكثير من الصور التي قد تحجب جسر البقاء أعصابي بيدي أقبض عليها فتؤلمني دون إيلام. أحمل الكثير من الأسئلة، التي لا تتوقف عند حدود الحلم. يداي مبللتان بالظمأ إلى الأمان. كثيراً ما أواجه الوحدة منفردة.. أسكن نفسي، وحلمي، وهمي، وجرحي، وفكري.

أمسك بها، حدق في عينيها! حاول اقتلاع جذور ذكريات مريرة، من داخلها أمن على مشاعرها - أقنعها بعدمية الزمان، والمكان - إنتابها ذعر طفولي رهيب، تقدم خطوة منها - تأمل عالمها:

- البحث عن الجمــال في زمن الفجيعة أمر ليس سهلاً - اغتيال الإنسانية المتكاثر، كآلام البشرية - الموت الحي الذي تخافينه، يمر كل دقيقة في مواكب، هائلة تفتقد مصابيح تنير.

من قتل كل هؤلاء: السيادة المطلقة، الأنانية، التي يكتنفها. كل فرد داخل ملابسه أشياء عادية، الحزن وإغتياله للفرح - تكاثر الألوان، يعني إنعدام اللون الواحد، الرمزية تكوين ذات كل شخصية ناجحة.

أنا وأنت وما بيننا أشياء ثلاثة نتحكم فيها نحن الإثنان، ونسكن في أعماق أعماقها أمر بالغ الصعوبة.

تزفر زفرة طويلة يتوقف تيار الحلم داخلها، محاولة نفي النفس، خارج الحدود، للالتقاء بنفس أخرى، يبدو حلماً مستحيلاً ـ تشعر بضبابية هائلة تحجب الرؤيا، عن دواخلها ـ تنتفض ـ تخاف ـ تخاف أن تجتاحها، دوامة الحياة، التي طالما هربت منها، في أحلامها، وذاتها ـ تقف على أبواب الإنسان في داخلها:

ـ قد يأتي، وقد لا يأتي.

الركض في أعماق أمواجها بدا مناسباً ـ أسوار الخوف قابلة للتحلل ـ الغياب والوجود واحد ـ أشياء متناثرة تحتاج إلى وقفة تأمل ـ تلملم بقايا الشروخ التي إغتالت الجمال داخلها.

تنتظر:

ـ السفر في أقاليم، الطفولة، والحرية، والقلق مذاقه مر!

تستهل نفسها من نفسه ـ تلقي نظرة على ذاتها ـ يمتد الليل أمامها، طويلاً مخيفاً تتسرب ساعاته الطويلة سريعة ـ تخترق ظلمته ـ تحاول أن تتعرف على نفسها، تجدها ـ تحزن ـ تضحك ـ تملك حزنها، وضحكها ـ إرادتها ـ تغادره:

الليل تفجير الأحزان، وأفراح نائمة ـ مواقف طفولية ـ وإمتلاك لنفس مفقودة، ومحاسبة ذات نختلقها من أجل أن نسكن الليل.

ـ الليل فرصة للالتصاق بالذات، ووقفة تأمل إنسانية لمنع تحول الأنانية خارج نطاق الحدود ومنح الود، تأشيرة انطلاق، لجمع الضياع ـ واسترداد الطفولة، والإنسانية المفقودة.

تترنح سعادة ـ تطوي دفاتر ضمتها ـ تتلبسها ذاتها ـ تمسح المكان بعينيها. تلمحه ـ تسكن إرادتها ـ تسبح في عيون الشمس الملتهبة تناديه يقترب منها:

ـ أنا وأنت، وما بيننا أشياء ثلاثة كل منا يديرها، كما يشاء.

ـ خارج الزمان والمكان؟

ـ لا بل نسكن المكان والزمان.

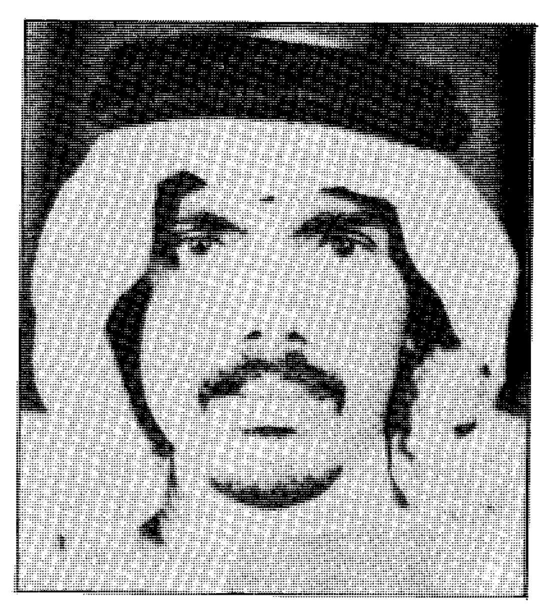
ـ وإقناعك لي بعدمية كل من الزمان والمكان.

ـ كان ذلك قبل أن تتلبسي ذاتك.



ترنيمة الشاب المعاصر

قصة قصيرة للأستاذ محمد منصور المدخلي[1]



محمد بن منصور ربيع المدخلي

الرجل الراحل تودعه امرأة في سكون، والليل البهيم جاثم على أرجاء القرية، وقد أعطى الطفل الصغير لحظات العبث البرىء الثروة الكبيرة تنتظر الأحياء، هب الأقرباء لنجدة المحزون، وما هي إلا أيام قلائل حتى غدا الرصيد ناقصا، والمنزل يبحث عن الحنان.. عن البسمة والدفء، دموع في الداخل، وأخرى في المآقي تتحدد، فرح الحنان لايدوم ولحظات السعادة لا تعود، الصبر.. الصبر يا نفسي.

(١) الأستاذ محمد بن منصور ربيع مدخلي ولد عام ١٣٨٣ هـ في قرية مجعر المداخلة، يعمل الآن معيدا في فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالجنوب بأبها، له مشاركات عديدة في الثقافة والآداب والخطابة، يكتب في الصحافة السعودية منذ وقت مبكر في حياته، عضو في نادي جازان الأدبي، عضو نادي أبها الأدبي وأمين لجنة القصة به، أعد رسالة الماجستير في الشريعة الإسلامية، له مجموعة قصصية بعنوان «عرس القرية» وكتاب مجموع في النقد والشعر والقصة والمقالة والرسائل والخطابة، دراسة عن مفهوم التربية عند علماء الفقه الإسلامي، دراسة ميدانية ونظرية عن مدينة بالمنطقة الجنوبية من المملكة العربية السعودية، والتي سترى النور قريباً إن شاء الله تعالى.

هكذا حدثت الأُم نفسها، وهي تهدهد رأس الصبي براحتيها ومضت السنوات، وهي تقبض يدها مرة وأخرى ترخي، والعطاء يعلو مرة ومرة يدنو، فكرت في بناء مسجد، لعل زوجها ينال الأجر، بيد أن الطفل يحتاج إلى كلفة ومئونة لقد قرأت في عينيه أحلام العمر المديد، حقاً إنه رجل المستقبل، وأشارت إليه ثم أسرعت في تقبيله، العمر يمضي والأبن يكبر، لقد عوضها الوحشة، وعطر الفضاء بعبير البسمة والفرح.

أحمد: المفقود لا يعود، والقضاء أمر واقع، وما علينا سوى تكييف أنفسنا مع حاضرنا والمستقبل، هكذا أخبر أمه، فلانت لهذه العبارات الحكيمة، وخضعت للإقتراح الصعب، أخذ ما يكفيه وسافر للحصول على وظيفة تكفل له العيش الهنىء.

السنون تلف في ثيابها خبايا المستقبل، لا تدري هناء أم تعاسة، فرح أو ترح؟ لحظة السفر مرة، والشاب يسطر أحلام غده على صفحة طويلة، الدائرة تكبر والرصيد يصغر، الجسم ينمو والعقل ينقص بالجليس، ناهيك عن بقية «الشلة» فقد زادوا الحدث اتساعاً وضخامة.

السهرات كثيرة.. الحضارة والمدنية تبتلع الشاب القادم، وقلب حنون ينتظر وينتظر. بيت موحش، لا فتى ولا عشير، لا أحد يا له من عمر عسير، الفتى الهارب خلف السراب، والأم التي حدثت نساء الحي عن الأحلام المنتظرة بنغمة كلها إحساس يدوي في النفس كإبتسام طفل غرير، وأخيراً استيقظت على الحقيقة، هرعت.. الأقـدام عاريـة.. رقيقـة، الرمضاء تأكلها والصحراء لا ترحم، أحمد.. أحمد.. أين أنت؟ سألت الطريق الطويل.. فلم يجبها أحد.. التفتت يمنة ويسرة.. لا شيء سوى الصمت الرهيب رجعت القهقري، الكرسي الخشبي يئن ويصرخ بصوت مبحوح.

هنا أم ثكلى تبحث عن الابن الغائب، الصخب ولّد الذوبان والإنصهار، رسالة تلو رسالة كلها تعبق حناناً ومحبة، لقد سطرت أحرف اللقاء في فتاة الأحلام، إنها تهيىء الموقف لزوجة ابنها مستقبلاً، ما فائدة الأحلام عندما تنقلب سراباً وخيالاً.

في فم الزمان قصيدة شدا بها البشر، عندما تجمعوا على الأُم المريضة، وهم يترحمون على فتاها الذي اجتاحته مواكب الشباب الضائع، دون تفكر أو روية، ها هو اليوم يلهث وراء المجهول، ضحك بهستيريا عندما سأله الصبيان: هل أنت إبن العجوز؟ «سعيدة» وهو يتحسس بدلته الأنيقة، وبريق الشيب يعلو جبهته،

دخل القرية يبحث عن المنزل العتيق فلم يجد سوى الأطلال، توقف برهة من الزمن، وأهدى له الصخب المشين عكازاً، اتكأ عليه ومضى يبحث عن أثر آلام الصحراء الطويلة، والعمر بخطا حائرة.



قراءة في سجل الضمير

قصة قصيرة للأستاذ محمد منصور المدخلي

أصبـح الصبح وقد لاح الصباح.. ووشوشة الأقاحي تستثير النفوس.. كرة مدورة تلتهم الأشياء، وفي داخلها أسرار رهيبة.. يا لعظمة المبدع المجيد، الفعال لما يريد.. وقد ولى الليل هارباً، والساعة تشير إلى الخامسة والنصف.. في حين الأشياء تبدو واضحة تماماً. وجفون الكون تكتحل بألوان زاهية.. وأقدام أحمد تبوءِ شارع الحياة والباحثون عن رغيف العيش يشاركونه المشوار، بينما دعاء «الأم» ذبذبات صوتية تعاوده بين الفينة والأخرى.. «رعاك الله يا ولدي».

البرامج الصباحية تدغدغ الأسماع.. أزيز الشاحنات.. وبائع الجرائد تصمت عند الإشارة.. ثم جاء اللون الأخضر وإنطلقت الأفواج البشرية والجمادية.. أدار المحرك.. وزخمة الصخب تحمله في عصبية زائدة.. أبواق مزعجة تعانق الأفق، وهناك أحلام كثيرة تنتظرها القلوب.

دخل «أحمد مكتب العمل وهو يتذكر أخبار الأمس.. عندما تصفح الصحيفة وفيها.. عام مضى بآلامه وأحزانه بغدر أصحابه وسوء نياتهم.. نعم إنها الصور ما زالت في مخيلته حتى أسئلة أبنائه الكثيرة.. وقد تفائل محرر الصحيفة بعام جديد حل على الناس فيه الفرح والسرور.. وفيه تستعاد الحقوق والأشياء الغائبة، كان المكتب يعج بألوان من البشر والأوراق.. نبرة صوت تحرك الأمل والعمل في الآخـرين.. أرضيـة المكـان تتسـع للتحاور والنقاش وجلبة الصوت يضيق بها الفضاء.. وقد تقدم شخص من مؤخرة الصف بلا روية، والشرر يقدح من عيون المراجعين أسرع أولهم بإندفاع لا إرادي.. في حين الغير يزداد تحديقهم، عالم جديد يسكن روح «أحمد» وهو يحاول جاهداً أن يعطي الخير للآخرين.

في أذنه همس زميله.. «الراتب جاء» لم يبد اهتماماً به وسارع في إنجاز عمل اليـوم.. الحشود كثيرة، والناس في زيادة.. والعدد يكبر.. سوادهم تأبط أوراق ملفوفة.. وموكب الإنتظار ينتظر.. وقد وشوش بعضـهم.. ليت الموظف الثالث موجود، لكان الإنجاز أسرع.. بينما مبلغ الصوت يفاجئهم بأن البقية في الغد.. و «أحمد» ينظر في الأعداد المصطفة على طول المدخل.

إقتنع البعض ومضى.. بينما البقية إنضمت إلى مكتب أحمد وهو قابع في مكانه يخلص الأوراق.

الشمس استدارت في كبد السماء.. وقد قرب وقت صلاة الظهر.. بعدها أقبل أحد المراجعين: أين أنتم؟ «فين»؟ لي أربعة أسابيع أراجع.. وايش هذا الشغل؟ أسئلة تدور في حلقة مفرغة.. غير أن للصدق وجه واحد فقط تعكسه النفوس المخلصة، تنهد آخر المراجعين عند «أحمد» وحمد الله، وقد دعى له كثيراً.

يارب كم يأخذ الإنسان وكم يعطي؟.. على الهامش حدث «أحمد» أن جاراً لصديقه أتعب المحاكم فقد كان فراشاً في مدرسة ثم إنتهت خدمته.. وجلس للناس بالمرصاد.. ينبش عن قضايا كاذبة.. وقد تسبب في مصائب عديدة.

.. قال أحمد: مثل هذا يؤخذ على يديه.. لأنه عضو فاسد.. صور كثيرة تتكرر أمام «أحمد»، وصراعات عديدة يشاهدها.. والحسود عزول.. حتى البعض أصبح ينال منه.. ليس إلا.. لأنه يحب الخير للناس.. و «الكاميرا الخفية».. وأحمد لا ينسى ذلك المساء.. حينما حمل عليه جاره عقيرته مهدداً له.. بقوله.. أنت خائن.. أنت خصم.. أنت ورفع يده عالياً، وأسرع آخر نحو أحمد.. غير أن «أحمد» يحمل قلباً كبيراً والعفو عند المقدرة، والرجل الشديد من يملك نفسه عند الغضب.. صوت يجلجل نبه الذاكرة.. ووقت توقيع الإنصراف يأتي.. والفراش يحكي دعابة أو طرفة.

نظر أحمد إلى الساعة وقد إقتربت من الثانية والنصف بعد الظهر، وهو يتذكر طلبات المنزل وهدايا الأطفال وموعد الضيف القادم.. نظر إلى المرآة وتجاعيد الوجه والشعر.

حمد الله كثيراً وهو ينجز أعمال الآخرين، وكله رضا ومحبة.. وما هي إلا أيام ويستلم قرار التقاعد.. ويبقى ضمير الإنسان مسؤولاً أمام الله تعالى في كل شيء.



طفولة

للأستاذ محمد عبدالله المنقري(١)



محمد عبد الله المنقري

إلى محمد وطارق وكل عصافير الجنة..

الليل يسير ببطىء حاضناً الهلال في لياليه الأخيرة.. والقرية ساكنة إلا من بكاء الأطفال وتسابيح جدي القريب مني، كانت جدتي تشاركه نصف «القعادة» ممسكة بأوراق «الطفي» تصنع مصلة بديلة لمصلة البيت التي بدأت تتآكل وأنا جالس ممسكا بكتاب الهجاء وأردد بلثغة بابا.. ماما.. خالتي.. وأسحب بنفسي

(١) محمد عبدالله المنقري من مواليد قرية «الحصن» منطقة جازان عام ١٣٩٠ هـ طالب بكلية الآداب بالسنة الرابعة، كاتب قصة قصيرة، نال جائزة نادي القصة السعودي الأولى عام ١٤١٠ هـ ونال الجائزة الثالثة من مهرجان أبها الثقافي عام ١٤١٠ هـ وجائزة في المقالة الأدبية في مسابقة عمادة شئون الطلاب بالجامعة ١٤١٢ هـ، يعمل الآن محرراً متعاوناً بالقسم الثقافي بجريدة البلاد.

إلى الداخل مخاطي السائل على شفتي.

حين ترى جدتي لساني خارجاً تهوى عليّ بعسيب الطفي.

أضحك ثم أخبىء وجهي بذراعي، يضحك جدي، تضحك جدتي حينها أعيد وجهي إلى كتاب الهجاء أنظر بطرف عيني إلى صلعة جدي وأردد.. زرع.. حصد.. خبز..

أقلب الصفحة وأعود أقرأ من جديد.

بابا.. ماما.. خالي..

- والله بوك مدري فيّانه الليلة. قالتها جدتي بنبرة خافتة تضغطها مرارة الإنتظار.. وهي تنظر في صدر الأفق الأسود وتهز رأسها.

- له تسعة شهور وهذا غلاق امعاشر بقى إلا قليل وهيروح.

قالها جدي ثم أردفها بتنهيدة وأخذ يقرأ وإبهامه تساقط حبات المسبحة.. (فانتشروا في الأرض وأبتغوا من فضل الله). (١)

(٢)

«مسقيدة» الدار ما زالت تفتح فمها لأعواد الحطب التي يجمعها خالي.. ودخانها الأبيض يرسم سحابة كثيفة تمد أطرافها بعيداً..

بين الفينة والأخرى وحين يشد البرد قبضته على جسدي تصطك أطرافي.. تتفتت الحروف على شفتي.. أقذف كتاب الهجاء وأركض إلى جوار خالي لأحظى بشيء من دفىء النار التي يوقدها بحكمة بالغة.. ينظر إليّ خالي.. يفتح عينيه على إتساعهما وهو يشير بأصبعه إلى مصدر صوت بعض الكلاب.. أبادله النظرة.. ثم أضحك فيهز رأسه بعنف ويضحك كثيراً.

- من أين يأتي هذا الدفء الذي يحمس أجسادنا..؟

سألته، ولم تزل ضحكته على شفته - أشاور إلى ألسنة النار..؟

- والنار من أين تجيء.. لم يجبني ساعتها.. وبعد صمت يسير قال:

- أنت جيت تتدفأ والّا تسأل..؟

حاولت أن أصادر أسئلتي.. بينما كانت الكتب الكبيرة الحجم تأخذ حيزاً لا بأس به من مساحة السجادة التي يفرشها خالي.. العلوم.. الحساب.. وكتب أخرى ما أستطعت أن أفهم ما كتب عليها.. سألته أخرى.. من أين يأتي البرد..؟ كان يحرك قلم الحبر الذي قارب على الإنتهاء وكأنه يهز أوتار العود.. نظر إليّ

---

(١) الآية رقم (١٠) من سورة الجمعة.

بابتسامة.. روح اسأل جدك وتعالى معاك بالمداد.
ـ ذاكر دروسك وإلا سيضربك الأستاذ غداً.
أعدت نظري إلى الكتاب وأنا أتذكر عصا الأستاذ الغليظة عندما تحولت إلى شظايا بعد أن جلد بها أيدينا في الصباح القريب حين سولت لنا أنفسنا إستبدال علب التغذية بعدد من الفاكهة الطازجة التي يحملها أحد الطلاب المطرودين من المدرسة، تتناقل ألسنة الطلاب والناس أنه اعتدى على أحد المدرسين بعد أن صفعة وقذف المدير ولذلك طُرد؟
تورمت كفي وغابت شظية في إبهامي..

(٣)

من غير إرهاصات سابقة بدأت السماء تمطر قطرات تطرق صفحة كتابي وقبل أن تأخذ شكلا وأمسحها أولاً بأول..
مرة مسحت وجهاً رسمته بأعلى الصفحة وبخط ردىء كتبت أسفله اسم «صفية» بنت جارنا بطفولة عابثة.. صفعني أبي ليلتها عندما سمع خالي يقرأه.. فمسحت الإسم وأقسمت في داخلي ألا أمسح الوجه؟..

***

مسقيدة(١) خالي أخذت في التلاشي والمطر المتكاثف يدفعنا إلى داخل الدار.. (خيرك هنى ياالله.. اللهم آتنا ما فيه الخير).
(اللهم حوالينا ولا علينا..) وعبارات أخرى كان يرددها جدي.. وأخرى ترددها جدتي، والبرق يلمع في صدر الأفق بشكل متعرج كما تبدو الشمس من خلال الشقوق المرسومة في صدر بيتنا الطيني.
فجأة تذكر جدي أكياس المحاصيل التي ما زالت مكشوفة..
فَرد مظلته السوداء وخرج بينما كان صفير الريح يتعالى عند انفتاح درف الباب الخشبي الأخضر.. مضت فترة وجيزة عاد بعدها جدي، جلس عند الباب والمظلة ما زالت على رأسه.. وأكثر من حبة برد لم تذب بعد، هي الآن على سطح مظلته.
خطوت خطوتين.. التقط حبة برد إنشطرت على ضرسي وذابت.. مددت يدي

(١) المسقيدة: أكثر من جذوة نار توضع بشكل دائري طلباً للدفء. قديماً.

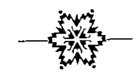
إلى البقية.. لمع البرق.. والرعد ينفض الأرجاء.. ارتعدت بعنف.. سقط جسدي للأمام من غير وعي.

***

في الصباح وقبل أن تكمل عيني إنفتاحتها سمعت جدتي تقول:

- الولد لابد أن نذهب به إلى السيّد. عرفت أني كنت في حالة الغياب التي تصيبني.

وفي الركن كانت «صفية» تبني بيت الطين.. ركضت لأبني إلى جوارها بيتاً آخراً. وقد نامت الأسئلة داخلي أو لعلها تجيء عندما يأتي المساء.



إيقاع النشيج.. النشيج الصر

للأستاذ/ محمد عبدالله المنقري

بعد أن حلت الربطة الصغيرة ببطىء كبير سحبت ريالاً رمادياً غارق في الرائحة الفريدة الأمومية التي لا تبيد، فالتقطته يد الصغير الواقف في وجهها تماماً، وأخذ يركض مأخوذ بفرحة وإنتشاء، كانت يدها تقطر بالإرتعاش المتقدم في الزمن الآهل بالذكريات التي ما تزال حية، والعش الذي جرت في مسامه أنهر الحب، والأناشيد: وهدهدات الصغار في ساعات النوم، ما اكتوى بعسجد الفراق إلا بعد حين، فانزوى هارباً إلى هدوء ندي بعد أن أخذت تمر بالسيدة العجوز السنوات الثقال، فإذا الكلمات المعدودة الخفيضة تنوء حراكاً فما تنفك من براثن التعب الساطع والخطى التي تسحب تنوء إرتفاعاً عن جسد الأرض.

***

(ب)

في المدى كانت الشمس المسائية تلقى على هون بجسدها في جوف المدى، والرذاذ البرتقالي يرتش.. يصهل في ترائب الأفق، وقد بدا يتكاثف أحمراً وقانياً ومخيفاً.

وإندس وجه الشمس بعد أن كانت تداعب خصلات الذرة الواهنة وجدائل الصغيرات وهن يلعبن حول السيدة العجوز ثم يعبرن إلى أمهاتهن سريعاً، وهي جالسة تنقض جديلتها البيضاء كأنها خارجة من حوض الظهيرة الأبيض، وتعبىء المساحات حولها بنظراتها المرتعشة.. وهي تقذف من حين لآخر فتات المهروس إلى دجاجات ربما كانت ثلاثاً. تند دون الأرض وتلتف دون لذة على الفتات فتلتقطه دون رغبة ظاهرة.

***

(ج)

أمي العزيزة..

بعد الدوام أدام الباري علينا وعليكم نعمه والسعادة.

والصلاة والسلام على من صلى وصام وحج بيت الله الحرام.

هكذا أخذ الفتى الصغير يقرأ بداية الرسالة وهي تنظر إلى الصفحة تتمتم بكلام يشبه الهمس غير الواضح.. بينما أخذت قراءة الطفل تنحدر صوب التفاصيل الأخرى عن الحال والأخبار، ولم يشعر إلا بيدها فجأة تشد الصفحة إلى أسفل، فشعر أنها تريده أن يتمهل، فأخذ يقرأ ببطىء شديد، بينما غيض دمعها، وانطفأت تمتماتها المتجاسرة علي إتساع الذاكرة المورقة، تذكرت كيف كانت تأخذه إلى صدرها ترضعه لبن الأمومة الوارف؟ وتنشده اهزوجة تسكت البكاء حين يسري إليه، وتهصر قلبها كي يقر عينا.

***

(د)

رفعت غطاء السحارة الخشبية فتطايرت رائحة البعيثران القديم ورائحة الهيل النافرة من أكياس المشمع الشفاف الكتوم.. بينما صارت يدها تجوس بزوايا الصندوق تطارد الرسائل القديمة وتلم الصور البعيدة العهد.. تقرب الصورة من عينها.. الشماغ المتوازن الدقيق.. الوجه الطري الآهل بالأمل الشبابي المتوهج، وعلى الشفتين ابتسامة الخفر الخجولة الوادعة لا تذبل ولا تغيب عن ذاكرتها.

وها هو الهواء المسائي البارد يهب من جهات أربع على حد سواء خفيف منعش، والباب الخشبي المدلوك مأخوذ بالحركة التي لا تحس مثقل بإيقاع السنوات التي اتكأت عليه وخطت عتبة المكان إلى الغروب.

***

كان الفناء حولها خاو وصغير ونظيف.. فسيح لتقلبات الورق الأصفر المنخور المتعضن لشجيرات الأراك الكثة المتشابكة إلى حد تظنه من أبد الآبدين.

ترقـرقت عينـاها مستسلمة للذاكرة وهي آخذة في دفع الباب الذي صدأت مساميره، ونالها الماء فتساقط صدؤها خطوطاً سوداء وشاحبة على صدر الخشب الداكن، وحين جلست لصب الحليب البقري في الإناء المعلق بعرض السرير ريثما يتحـول لبنـاً رائبـاً.. بينما كان طرف الرسالة القديمة نصف الأزرق / نصف الأحمر.. بين من أسفل حبال السرير العرضية الرمادية الباهتة المنحسرة عنها البطانية دافئة الألوان والملمس الخشن الذي لا يلين.

***

(هـ)

كان للحليب داخـل الإناء صوت هو أشبه ما يكون بصوت الموج المتكسر المستسلم على الشواطىء وهو في بحر الإناء تهزه الهوينى، ثم تتركه فجأة وهي تتناول الرسالة من بين حبال السرير المحبوكة الموثقة. حين لا يكون حولها طفل له من فك رمز الحروف ما يفصح عن مكنون هذه الحروف المتنافرة المؤتلفة.. المحكمة الشكل، الشائخة التي لا تنضب، المتفجرة بما يسيل له الدمع ويجعلها غارقة في تلاطم الذكرى التي لا تلين.

وتشع فضاءات البوح الخافت الحي الوارف الذي لا يكون له أول ولا آخر وتتناثر محارات اللؤلؤ المخبوء اللامع على صلب الشاطىء البعيد القريب.

وقد خرج الصغار إلى لعبهم المباح في المساء الهادىء.

***

صار دمعها يتساقط على الصفحة مطراً لا يضعف، فإذا الحروف.. تذوب مراقة متحـركـة راجعـة إليها، حركة سالفة وأودية الدمع منهمرة لا تتسح وهي تفرد الصفحة فلا تراها وحائط الدمع ناهض، متسامق وساخن يكوي.

***